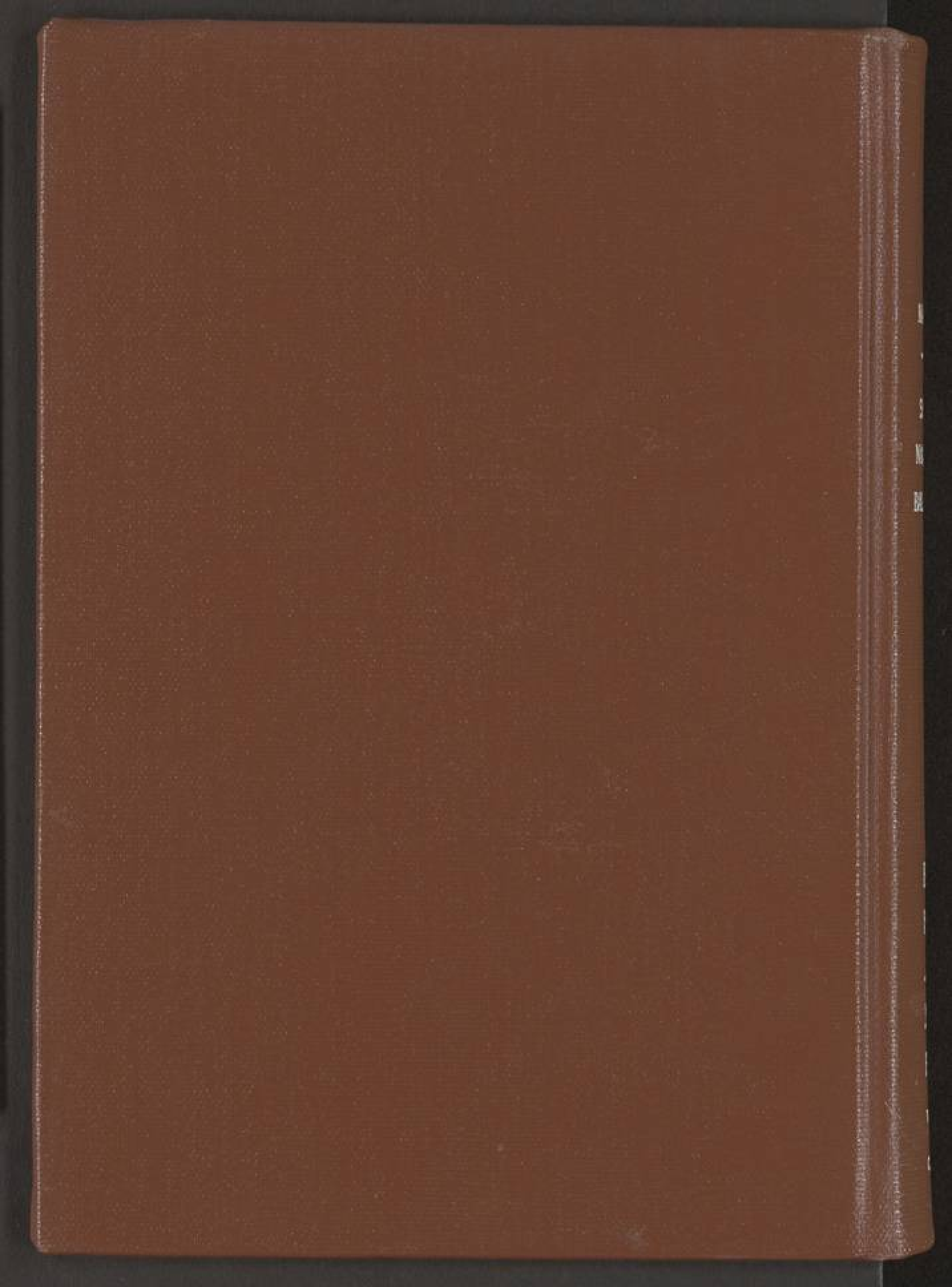


شرح نهج البلاغة

المقتبس من بحار الأنوار للعلامة المجلسي قدس سره

Majlisī, Muḥammad Bāqir ibn Muḥammad Taqī

/Sharḥ nahj al-balāghah/.

شرح نهج البلاغة

المقتطف من بحار الأنوار للعلامة المجلسي قدس سره

المجلد الثاني

الخطب «٢»

استخراج وتنظيم
علي أنصاريان

تصحيح
مرتضى حاجعلي فرد

وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي
الدائرة العامة للنشر والاعلام



وزارة الثّقافة والإرشاد الإسلامي
الدّائرة العامّة للنّشر والإعلام

شرح نهج البلاغة

المقتطف من بحار الأنوار للعلاّمة المجلسي قدّس سرّه

المجلد الثاني: الخطب(٢)

استخراج و تنظيم: علي انصاريان

تصحيح: مرتضى حاجعلى فرد

الطبعة الاولى: جمادى الثانى ١٤٠٨ هـ .ق.
العدد: ٣٠٠٠ نسخة



فهرس العناوين

خطب

أمير المؤمنين

عليه السلام

١٢٩ ــ ومن خطبة له عليه السلام

في ذكر المكاييل والموازين

عِبادَ ٱللهِ ، إِنَّكُمْ ــ وَمَا تَأْمُلُونَ مِنْ هٰذِهِ ٱلدُّنْيَا ــ أَثْوِيَاءُ(١٧٠٩) مُؤَجَّلُونَ ، وَمَدِينُونَ مُقْتَضَوْنَ : أَجَلٌ مَنْقُوصٌ ، وَعَمَلٌ مَحْفُوظٌ . فَرُبَّ دَائِبٍ(١٧١٠) مُضَيَّعٌ ، وَرُبَّ كَادِحٍ(١٧١١) خَاسِرٌ . وَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي زَمَنٍ لَا يَزْدَادُ ٱلْخَيْرُ فِيهِ إِلَّا إِدْبَاراً ، وَلَا الشَّرُّ فِيهِ إِلَّا إِقْبَالاً . وَلَا الشَّيْطَانُ فِي هَلَاكِ النَّاسِ إِلَّا طَمَعاً . فَهٰذَا أَوَانٌ قَوِيَتْ عُدَّتُهُ ، وَعَمَّتْ مَكِيدَتُهُ ، وَأَمْكَنَتْ فَرِيسَتُهُ(١٧١٢) . ٱضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ . فَهَلْ تُبْصِرُ إِلَّا فَقِيراً يُكَابِدُ فَقْراً ، أَوْ غَنِيّاً بَدَّلَ نِعْمَةَ ٱللهِ كُفْراً ، أَوْ بَخِيلاً ٱتَّخَذَ ٱلْبُخْلَ بِحَقِّ ٱللهِ وَفْراً ، أَوْ مُتَمَرِّداً كَأَنَّ بِأُذُنِهِ عَنْ سَمْعِ ٱلْمَوَاعِظِ وَقْراً ! أَيْنَ أَخْيَارُكُمْ وَصُلَحَاؤُكُمْ ! وَأَيْنَ أَحْرَارُكُمْ وَسُمَحَاؤُكُمْ ! وَأَيْنَ ٱلْمُتَوَرِّعُونَ فِي مَكَاسِبِهِمْ ، وَٱلْمُتَنَزِّهُونَ فِي مَذَاهِبِهِمْ ! أَلَيْسَ قَدْ ظَعَنُوا جَمِيعاً عَنْ هٰذِهِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ ، وَٱلْعَاجِلَةِ ٱلْمُنَغِّصَةِ . وَهَلْ خُلِقْتُمْ إِلَّا فِي حُثَالَةٍ(١٧١٣) لَا تَلْتَقِي إِلَّا بِذَمِّهِمُ الشَّفَتَانِ . ٱسْتِصْغَاراً لِقَدْرِهِمْ ، وَذَهَاباً عَنْ ذِكْرِهِمْ ! « فَإِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! » « ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ » ، فَلَا

مُنْكِرٌ مُغَيِّرٌ ، وَلَا زَاجِرٌ مُزْدَجِرٌ . أَفَبِهٰذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُجَاوِرُوا ٱللهَ فِي دَارِ قُدْسِهِ ، وَتَكُونُوا أَعَزَّ أَوْلِيَائِهِ عِنْدَهُ ؟ هَيْهَاتَ ! لَا يُخْدَعُ ٱللهُ عَنْ جَنَّتِهِ ، وَلَا تُنَالُ مَرْضَاتُهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ . لَعَنَ ٱللهُ ٱلْآمِرِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ التَّارِكِينَ لَهُ ، وَالنَّاهِينَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ ٱلْعَامِلِينَ بِهِ !

بيان: «الأثوياء» جمع «ثوى» وهو الضيف. «مؤجّلون» أي مؤخّرون إلى وقت معلوم. و«المدين» المديون. و«المقتضون» جمع «مقتضى» على بناء المفعول. «أجل منقوص» أي أجلكم أجل منقوص يوماً فيوماً ولحظة فلحظة، وعملكم عمل محفوظ عندالله. و«الدائب» المجتهد ذوالجدّ والتعب. و«الكادح» الساعي و«أمكنت» أي أمكنته، يقال: «أمكنني الأمر» أي سهل وتيسّر. و«كابده مكابدة» قاساه وتحمّل المشاقّ فيه، وذكره في هذا المقام إمّا لأنّ الغرض بيان ماسبق من إدبار الخير وإقبال الشرّ وعموم الضلال، ومقاساة الفقراء بيان للأوّلين، فالخير والشرّ يعمّان الدنيويّين والأخرويّين، وإمّا لأنّ شيوع الفقر، لمنع الحقوق الواجبة، أو المراد بمكابدة الفقر ترك الصبر عليه وهو أيضاً من المنكرات. «بدّل نعمة الله» أي الغناء وولايته ــ عليه السلام ــ، والتخصيص لشدّة إنكارهم لقوّتهم أو الأعمّ. و«الوفر» المال الكثير. وقوله ــ عليه السلام ــ «بحقّ الله» متعلّق بالبخل، أي يعدّ بخله بحقّ الله توفير المال والزيادة فيه. و«الوقر» ثقل الأذن.

«أين أحراركم» أي الّذين اعتقوا من رقّ الشهوات. و«التورّع» مبالغة في الورع. و«التنزّه» التباعدمن القبيح. و«ظعن» ــ كمنع ــ أي سار وارتحل: و«أنغص الله عليه العيش ونغّصه» كدّره. و«الحثالة» الردى من كلّ شيء. «لاتلتقي بذمّهم» أي إنّهم أحقر من أن يشغل الإنسان بذمّهم لأنّه لابدّ في الذّم من إطباق إحدى الشفتين على الأُخرى. و«ذهاباً» أي ترفّعاً، يقال: «فلان ذهب بنفسه عن كذا» أي رفعها عنه. و«لازاجرمُزدجر» أي من يزجر غيره عن القبائح وتمتنع نفسه ايضاً عنها. «في دار قدسه» أي الجنّة لأنّ أهلها يقدّسونه ــ تعالى ــ وهم منزّهون عن العيوب و«مجاورة

الله» سكون تلك الدار المنسوبة إليه ـ سبحانه ـ تشريفاً، وقربه مجاورة رحمته. «هيهات» أي بعد ما تريدون. «لايخدع الله عن جنته» أي لايمكن أخذها منه ـ تعالى ـ بالخديعة. و«المرضاة» الرضا. وآخر الكلام يدلّ على اشتراط الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بالعمل بهما. وسيأتي الكلام فيه في محلّه إن شاء الله، ولعلّ غرضه ـ عليه السلام ـ التعريض بالسابقين الغاصبين.[518]

١٣٠ ـ ومن كلام له عليه السلام

لأبي ذر رحمه الله لما أُخرج إلى الربذة(١٧١٤)

يَا أَبَا ذَرٍّ ، إِنَّكَ غَضِبْتَ لِلهِ ، فَارْجُ مَنْ غَضِبْتَ لَهُ . إِنَّ ٱلْقَوْمَ خَافُوكَ عَلَىٰ دُنْيَاهُمْ ، وَخِفْتَهُمْ عَلَىٰ دِينِكَ ، فَاتْرُكْ فِي أَيْدِيهِمْ مَا خَافُوكَ عَلَيْهِ ، وَٱهْرُبْ مِنْهُمْ بِمَا خِفْتَهُمْ عَلَيْهِ ؛ فَمَا أَحْوَجَهُمْ إِلَىٰ مَا مَنَعْتَهُمْ ، ومَا أَغْنَاكَ عَمَّا مَنَعُوكَ ! وَسَتَعْلَمُ مَنِ ٱلرَّابِحُ غَداً ، وَٱلْأَكْثَرُ حُسَّداً . وَلَوْ أَنَّ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرَضِينَ كَانَتَا عَلَىٰ عَبْدٍ رَتْقاً ، ثُمَّ اتَّقَىٰ ٱللهَ ، لَجَعَلَ ٱللهُ لَهُ مِنْهُمَا مَخْرَجاً ! لَا يُؤْنِسَنَّكَ إِلَّا ٱلْحَقُّ ، وَلَا يُوحِشَنَّكَ إِلَّا ٱلْبَاطِلُ ، فَلَوْ قَبِلْتَ دُنْيَاهُمْ لَأَحَبُّوكَ ، وَلَوْ قَرَضْتَ(١٧١٥) مِنْهَا لَأَمَّنُوكَ .

بيان: قال عبدالحميد بن أبي الحديد في شرح هذا الكلام: قد روى هذا الكلام أحمد بن عبدالعزيز الجوهريّ في كتاب السقيفة عن عبدالرزّاق، عن أبيه عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لمّا أُخرج أبوذرّ إلى الربذة أمر عثمان فنودي في الناس أن لايكلّم أحد أباذرّ ولا يشيّعه، وأمر مروان بن الحكم أن يخرج به[519] فتحاماه الناس

٥١٨- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٨٧، ط كمباني وص ٦٣٦، ط تبريز.

٥١٩- في المصدر: وأمر مروان بن الحكم أن يخرج به، فخرج به....

إلّا عليّ بن أبي طالب ــ عليه السلام ــ وعقيلاً أخاهُ وحسناً وحسيناً ــ عليهما السلام ــ وعمّار بن ياسر، فإنّهم خرجوا معه يشيّعونه.

فجعل الحسن ــ عليه السلام ــ يكلّم أباذرّ فقال له مروان: ايها يا حسن! ألا تعلم أنّ أمير المؤمنين قد نهى عن كلام ذلك الرجل، فإن كنت لا تعلم فاعلم ذلك.

فحمل عليّ ــ عليه السلام ــ على مروان فضرب بالسوط بين أذني راحلته، وقال: تنحّ! لحاك الله إلى النار.

فرجع مروان مغضباً إلى عثمان فأخبره الخبر، فتلظّى على عليّ ــ عليه السلام ــ. ووقف أبوذرّ فودّعه القوم ومعه ذكوان مولى أمّ هانيء بنت أبي طالب، قال ذكوان: فحفظت كلام القوم وكان حافظاً؛ فقال عليّ ــ عليه السلام ــ:

يا باذرّ إنّك غضبت لله، إنّ القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك، فامتحنوك بالقلاء، ونفوك إلى الفلاء، والله لو كانت السماوات والأرض على عبد رتقاً ثمّ اتقى الله لجعل منها مخرجاً، يا باذرّ لايؤنسنّك إلّا الحقّ ولا يوحشنّك إلّا الباطل.

ثمّ قال لأصحابه: ودّعوا عمّكم. وقال لعقيل: ودّع أخاك.

فتكلّم عقيل فقال: ما عسى أن نقول ياباذرّ أنت تعلم أنّا نحبّك وأنت تحبّنا فاتّق الله، فإنّ التقوى نجاة واصبر فإنّ الصبر كرم، واعلم أنّ استثقالك الصبر من الجزع واستبطاءك العافية من اليأس، فدع اليأس والجزع.

ثمّ تكلّم الحسن ــ عليه السلام ــ فقال: يا عمّاه لولا أنّه لاينبغي للمودّع أن يسكت، وللمشيّع أن ينصرف لقصر الكلام و إن طال الأسف، وقد أتى القوم إليك ماترى، فضع عنك الدنيا بتذكّر فراقها، وشدّة ما اشتدّ منها برجاء مابعدها، واصبر حتّى تلقى نبيّك ــ صلّى اللهُ عليه وآله ــ وهو عنك راض.

ثمّ تكلّم الحسين ــ عليه السلام ــ فقال: يا عمّاه إنّ الله ــ تعالى ــ قادر أن يغيّر ماقد ترى، والله كلّ يوم في شأن[٥٢٠]، وقد منعك القوم دنياهم، ومنعتهم دينك فما أغناك عمّا منعوك، وأحوجهم إلى مامنعتهم، فاسأل الله الصبر والنصر، استعذبه من

٥٢٠- في المصدر: كلّ يوم هو في شأن.

الجشع والجزع، فإنّ الصبر من الدين والكرم، و إنّ الجشع لايقدم رزقاً والجزع لايؤخّر أجلاً.

ثمّ تكلّم عمّار ــ رحمه الله ــ مغضباً فقال: لا آنس الله من أوحشك، ولا آمن من أخافك، أما والله لو أردت دنياهم لآمنوك، ولو رضيت أعمالهم لأحبّوك، وما منع الناس أن يقولوا بقولك إلّا الرضا بالدنيا، والجزع من الموت ومالوا إلى ما سلطان جماعتهم عليه، والملك لمن غلب، فوهبوا لهم دينهم، ومنحهم القوم دنياهم، فخسروا الدنيا والآخرة، ألا ذلك هو الخسران المبين.

فبكى أبوذرّ ــ رحمه الله ــ وكان شيخاً كبيراً، وقال: رحمكم الله يا أهل بيت الرحمة، إذا رأيتكم ذكرت بكم رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ، مالي بالمدينة سكن ولا شجن غيركم، إنّي ثقلت على عثمان بالحجاز، كما ثقلت على معاوية بالشام، وكره أن أُجاور أخاه وابن خاله بالمصرين فأُفسد الناس عليهما، فسيّرني إلى بلد ليس لي به ناصر ولا دافع إلّا الله، والله ما أريد إلّا الله صاحباً، وما أخشى مع الله وحشة.

ورجع القوم إلى المدينة فجاء عليّ ــ عليه السلام ــ إلى عثمان، فقال له: ماحملك على ردّ رسولي وتصغير أمري؟

فقال عليّ ــ عليه السلام ــ: أمّا رسولك فأراد أن يردّ وجهي فرددته وأمّا أمرك فلم أصغره.

قال: أما بلغك نهيي عن كلام أبي ذرّ؟

قال: أو كلّ ما أمرت بأمر معصية أطعناك فيه؟

قال عثمان: أقد مروان من نفسك.

قال: ممّ ذا؟

قال: من شتمه وجذب راحلته.

قال: أمّا الراحلة فراحلتي بها، وأمّا شتمه إيّاي فوالله لايشتمني شتمة إلّا شتمتك، لا أكذب عليك.

فغضب عثمان وقال: لم لايشتمك كأنّك خير منه؟

قال علي ــ عليه السلام ــ إي والله ومنك.

ثمّ قام فخرج. فأرسل عثمان إلى وجوه المهاجرين والأنصار و إلى بني أُميّة يشكو إليهم عليًا ــ عليه السلام ــ ، فقال القوم: أنت الوالي عليه، و إصلاحه أجمل.

قال: وددت ذاك.

فأتوا عليًا ــ عليه السلام ــ وقالوا: لو اعتذرت إلى مروان وأتيته.

فقال: كلاّ، أمّا مروان فلا آتيه ولا أعتذر إليه[٥٢١]، ولكن إن أحبّ عثمان أتيته.

فرجعوا إلى عثمان فأخبروه، فأرسل إليه فأتاه ومعه بنوهاشم، فتكلّم علي ــ عليه السلام ــ فحمدالله وأثنى عليه ثمّ قال: أمّا ماوجدت عليّ فيه من كلام أبي ذرّ و وداعه فوالله ما أردت مناواتك[٥٢٢] ولا الخلاف عليك ولكن أردت به قضاء حقّه، وأمّا مروان فإنّه اعترض، يريد ردّي عن قضاء حقّ الله ــ عزّوجلّ ــ فرددته ردّ مثلي مثله، وأمّا ما كان منّي إليك فإنّك أغضبتني فاخرج الغضب منّي مالم أردّه.

فتكلّم عثمان فحمدالله وأثنى عليه ثمّ قال: أمّا ما كان منك إليّ فقد وهبته لك، وأمّا ما كان منك إلى مروان فقد عفا الله عنك، وأمّا ما حلفت عليه فأنت البرّ الصادق، فادن يدك، فأخذ يده فضمّها إلى صدره.

فلمّا نهض قالت قريش و بنو أُميّة لمروان: أنت رجل جبهك[٥٢٣] عليّ فضرب راحلتك، وقد تفانت وائل في ضرع ناقة، وربيان وعبس في لطمة فرس[٥٢٤]، والأوس والخزرج في نسعة، أفتحمّل لعليّ ــ عليه السلام ــ ما أتى إليك.

فقال مروان: والله لو أردت ذلك لما قدرت عليه.

٥٢١ ــ في المصدر: ولا أعتذر منه.

٥٢٢ ــ في المصدر: مساءتك.

٥٢٣ ــ «جبه الرجل» ضربه على جبهته، فاجأه، ردّه عن حاجته. «جبهه بالمكروه» استقبله به.

٥٢٤ ــ «وائل» كليب بن ربيعة. راجع حروب أيّام العرب يوم البسوس. و«ربيان» مصحف [ذبيان] وقعت بين ذبيان وعبس حروباً عظيمة وبقيت نار الحرب مستعرة مدّة مديدة بسبب فرسين اسمهماداحس والغبراء، وسمّي بعض أيّامهم بيوم داحس ويوم الغبراء.

واعلم أنّ الّذي عليه أكثر أرباب السير وعلماء الأخبار والنقل أنّ عثمان نفى أباذرّ أوّلاً إلى الشام، ثمّ استقدمه إلى المدينة لمّا شكى منه معاوية ثمّ نفاه من المدينة إلى الربذة لما عمل بالمدينة نظير ما كان يعمل بالشام. وأصل هذه الواقعة أنّ عثمان لمّا أعطى مروان بن الحكم وغيره بيوت الأموال واختصّ زيد بن ثابت بشيء منها جعل أبوذرّ يقول بين الناس وفي الطرقات والشوارع: بشّر الكافرين بعذاب أليم، و يرفع بذلك صوته، و يتلو قوله ــ تعالى ــ «وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» ٥٢٥ فرفع ذلك إلى عثمان مراراً وهو ساكت، ثمّ إنّه أرسل إليه مولى من مواليه أن انته عمّا بلغني عنك فقال أبوذرّ: أينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله ــ تعالى ــ وعيب من ترك أمر الله؟ فوالله لأن أرضى الله بسخط عثمان أحبّ إليّ وخير لي من أن أسخط الله برضى عثمان.

فأغضب عثمان ذلك وأحفظه فتصابر وتماسك إلى أن قال عثمان يوما والناس حوله: أيجوز للإمام أن يأخذ من بيت المال شيئا قرضاً، فإذا أيسر قضى؟

فقال كعب الأحبار: لا بأس بذلك.

فقال أبوذرّ: يابن اليهوديّين أتعلّمنا ديننا؟

فقال عثمان: قد كثر أذاك لي وتولّعك بأصحابي، الحق بالشام، فأخرجه إليها.

فكان أبوذرّ ينكر على معاوية أشياء يفعلها، فبعث إليه معاوية يوما ثلاثمائة دينار، فقال أبوذرّ لرسوله: إن كانت من عطائي الّذي حرمتمونيه عامي هذا قبلتها، وإن كانت صلة فلاحاجة لي فيها وردّها عليه. ثمّ بنى معاوية الخضراء بدمشق، فقال أبوذرّ: يا معاوية! إن كانت هذه من مال الله فهي الخيانة، و إن كانت من مالك فهي الإسراف. وكان أبوذرّ يقول بالشام: والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها، والله ماهي في كتاب الله ولا سنّة نبيّه، إنّي لأرى حقّا يطفأ، و باطلا يحيى، وصادقا مكذّباً، وأثرة بغير تقى، وصالحا مستأثراً عليه.

٥٢٥- التوبة: ٣٤.

فقال حبيب بن مسلمة الفهريّ لمعاوية: إنّ أباذرّ لمفسد عليكم الشام، فتدارك أهله إن كان لك فيه حاجة.

وروى أبو عثمان الجاحظ عن جلام بن جندل الغفاريّ قال: كنت عاملا لمعاوية على قنسّرين والعواصم في خلافة عثمان، فجئت إليه يوما أسأله عن حال عملي، إذ سمعت صارخاً على باب داره يقول: أتتكم القطار بحمل النار، اللّهمّ العن الآمرين بالمعروف التاركين له، اللّهم العن الناهين عن المنكر المرتكبين له.

فازبأر معاوية وتغيّر لونه وقال: يا جلام أتعرف الصارخ؟

فقلت: اللّهمّ لا.

قال: من عذيرى من جندب بن جنادة، يأتينا كلّ يوم فيصرخ على باب قصرنا بماسمعت.

ثمّ قال: أدخلوه، فجيء بأبي ذرّ بين قوم يقودونه حتّى وقف بين يديه، فقال له معاوية: يا عدوّ الله وعدوّ رسوله تأتينا في كلّ يوم فتصنع ما تصنع، أما إنّي لوكنت قاتل رجل من أصحاب محمّد من غير إذن أميرالمؤمنين عثمان لقتلتك ولكنّي أستاذن فيك.

قال جلام: وكنت أُحبّ أن أرى أباذرّ لأنّه رجل من قومي، فالتفت إليه فإذا رجل أسمر، ضرب من الرجال، خفيف العارضين، في ظهره حناء فأقبل على معاوية وقال: ما أنا بعدو لله ولا لرسوله، بل أنت وأبوك عدوّان لله و لرسوله، أظهرتما الاسلام، وأبطنتما الكفر، ولقد لعنك رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ ودعا عليك مرّات أن لاتشبع، سمعت رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ يقول: «إذا ولّى الأمّة الأعين الواسع البلعوم الّذي يأكل ولا يشبع فلتأخذ الأُمّة حذرها منه».

فقال معاوية: ما أنا ذلك الرجل.

قال أبوذرّ: بل أنت ذلك الرجل أخبرني بذلك رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ وسمعته يقول وقد مررت به: «اللّهمّ العنه ولاتشبعه إلّا بالتراب» وسمعته يقول: «أُسيت[٥٢٦] معاوية في النار».

٥٢٦- في المصدر: الست.

فضحك معاوية وأمر بحبسه، وكتب إلى عثمان فيه، فكتب عثمان إلى معاوية: أن احمل جندباً إليّ على أغلظ مركب وأوعره. فوجّه به من سار به[٥٢٧] الليل والنهار، وحمله على شارف ليس عليها إلّا قتب حتّى قدم به المدينة، وقد سقط لحم فخذيه من الجهد فلمّا قدم بعث إليه عثمان: أن الحق بأيّ أرض شئت.

قال بمكّة.

قال: لا.

قال: ببيت المقدس.

قال: لا.

قال: بأحد المصرين.

قال: لا.

قال: ولكنّي مسيّرك إلى الربذة فسيّره إليها، فلم يزل بها حتّى مات.

و في رواية الواقديّ أنّ أباذرّ لمّا دخل على عثمان قال له:

لا أنعم الله بقين عينا نعم ولا لقاه يوماً زيناً
تحية السخط إذا التقينا

فقال أبوذرّ: ما عرفت اسمي قينا.

وفي رواية أُخرى: لا أنعم الله بك عينا يا جنيدب. فقال أبوذر: أنا جندب وسمّاني رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ عبدالله، فاخترت اسم رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ الّذي سمّانى به على اسمي.

فقال له عثمان: أنت الّذي تزعم أنّا نقول: يدالله مغلولة، وأنّ الله فقير ونحن أغنياء؟

فقال أبوذرّ: لوكنتم لا تقولون هذا لأنفقتم مال الله على عباده ولكنّي أشهد[٥٢٨] لسمعت رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ يقول: «إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين

٥٢٧- في المصدر: مع من ساربه.

٥٢٨- في المصدر: أشهد أنّي سمعت.

رجلاً جعلوا مال الله دولاً، وعباده خولاً[٥٢٩]».

فقال عثمان لمن حضر: أسمعتموها من رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ؟

قالوا: لا.

قال عثمان: و يلك يا أباذرّ أتكذب على رسول الله ــ صلّى الله عليه و آله ــ؟

فقال أبوذرّ لمن حضر: ماتدرون[٥٣٠] أنّي صدقت؟

قالوا: لا والله ماندري.

فقال عثمان: ادعوالي عليّا.

فلمّا جاء، قال عثمان لأبي ذرّ: اقصص عليه حديثك في بني أبي العاص.

فأعاده فقال عثمان لعليّ ــ عليه السلام ــ: أسمعت هذا من رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ؟

قال: لا، وصدق أبوذرّ.

فقال: كيف عرفت صدقه؟

قال: لأنّي سمعت رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ يقول: «ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذرّ».

فقال من حضر: أمّا هذا فسمعناه كلّنا من رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ.

فقال أبوذرّ: اُحدّثكم أنّي سمعت هذا من رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ فتتّهموني؟ ماكنت أظنّ أنّي أعيش حتّى أسمع هذا من أصحاب محمّد ــ صلّى الله عليه وآله ــ

وفي خبر آخر بإسناده عن صهبان مولى الأسلميّين، قال: رأيت أباذرّ يوم دخل به على عثمان، فقال له: أنت الّذي فعلت وفعلت.

٥٢٩- في المصدر بعده: ودينه دخلاً.

٥٣٠- في المصدر: أما تدرون.

فقال أبوذرّ: نصحتك فاستغششتني، ونصحت صاحبك فاستغشني.

قال عثمان: كذبت، ولكنّك تريد الفتنة وتحبّها، قد انغلت الشام علينا.

فقال له أبوذرّ: اتبع سنّة صاحبيك لايكن لأحد عليك كلام.

فقال عثمان: مالك وذلك؟ لا أمّ لك.

قال أبوذرّ: ما وجدت لي عذراً إلّا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فغضب عثمان وقال: أشيروا عليّ في هذا الشيخ الكذّاب، إمّا أن أضربه أو أحبسه أو أقتله، فإنّه قد فرّق جماعة المسلمين، أو أنفيه من أرض الإسلام.

فتكلّم عليّ ـــ عليه السلام ـــ وكان حاضراً فقال: أشير عليك بما قال مؤمن آل فرعون: «وَإِنْ يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كِذْبُهُ، وَإِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ، إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ» [٥٣١].

فأجابه عثمان بجواب غليظ، وأجابه عليّ ـــ عليه السلام ـــ بمثله، ولم يذكر الجوابين تذمّما منهما.

قال الواقدي: ثمّ إنّ عثمان حَظَرَ على الناس أن يقاعدوا أباذرّ أو يكلّموه فمكث كذلك أيّاما ثمّ أتي به فوقف بين يديه، فقال أبوذرّ: ويحك يا عثمان أما رأيت رسول الله ـــ صلّى الله عليه وآله ـــ ورأيت أبابكر وعمر، هل هديك كهديهم؟ أما إنّك لتبطش بي بطش جبّار.

فقال عثمان: اخرج عنّا من بلادنا.

فقال أبوذرّ: ما أبغض إليّ جوارك، فإلى أين أخرج؟

قال: حيث شئت.

قال: أخرج إلى الشام أرض الجهاد.

قال: إنّما جلبتك من الشام لما قد أفسدتها، أفأردّك إليها؟

قال: أفأخرج إلى العراق؟

قال: لا. إنّك إن تخرج إليها تقدم على قوم أولي شبه وطعن على الأئمّة

٥٣١- الغافر: ٢٨.

والولاة.

قال: أفأخرج إلى مصر؟

قال: لا.

قال: فإلى أين أخرج؟

قال: إلى البادية.

قال أبوذرّ: أصير بعد الهجرة أعرابيًا؟

قال: نعم.

قال أبوذرّ: فأخرج إلى بادية نجد.

قال عثمان: بل إلى الشرف الأبعد فأقصى[٥٣٢]، امض على وجهك هذا، فلا تعدون[٥٣٣]. فخرج إليها.

و روى الواقديّ أيضا عن مالك بن أبي الرجا[٥٣٤] عن موسى بن ميسرة أنّ أبا الأسود الدؤليّ قال: كنت أُحبّ لقاء أبي ذرّ لأسأله عن سبب خروجه إلى الربذة، فجئته فقلت له: ألا تخبرني أخرجت من المدينة طائعاً أم أُخرجت[٥٣٥]؟

فقال: كنت في ثغر من ثغور المسلمين أغنى عنهم فأُخرجت إلى المدينة.

فقلت: دار هجرتي، فأُخرجت من المدينة إلى ماترى.

ثمّ قال: بينا أنا ذات ليلة نائم في المسجد على عهد رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ إذ مرّ بي ـ صلّى الله عليه وآله ـ فضربني برجله، وقال: لا أراك نائما في المسجد.

فقلت: بأبي أنت و أُمّي غلبتني عيني فنمت فيه.

قال: فكيف تصنع إذا أخرجوك منه؟

قلت: آخذ سيفي فأضربهم به.

٥٣٢- في المصدر: أقصى فأقصى.

٥٣٣- في المصدر: فلا تعدون ربذة.

٥٣٤- في المصدر: مالك بن أبي الرجال.

٥٣٥- في المصدر: أم أُخرجت كرها.

فقال: ألا أدلّك على خير من ذلك؟ انسق معهم حيث ساقوك، وتسمع وتطيع، فسمعت وأطعت وأنا أسمع وأُطيع، الله ليلقينّ الله عثمان وهو آثم في جنبي.[٥٣٦] انتهى كلامه.

و إنّما أوردته بطوله لتعلم أنّ قبائح أعمال عثمان وطغيانه على أبي ذرّ وغيره متواتر بين الفريقين.

بيان: يقال: «لحاه الله» أي قبّحه ولعنه، و«ازبأرّ الكلب» تنفّش، و«[ازبأرّ] الرجل للشرّ» تهيّأ. و«الضرب بالفتح» الرجل الخفيف اللحم. و«البلعوم» بالضمّ، مجرى الطعام في الحلق. و«أُسيت» كأنّه تصغير الإست. و«الشارف من النوق» المسنّة الهرمة. و«أنغله» أفسده. وفي القاموس: «الشرف» المكان العالي، وجبل قرب جبل شريف، والربذة والشرف الأعلى: جبل قرب زبيد.

أقول: قال عبدالحميد بن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: روى أبوعمرو[٥٣٧] ابن عبدالبرّ في كتاب الاستيعاب لمّا حضر أباذرّ الوفاة وهو بالربذة بكت زوجته أمّ ذرّ، قالت:

فقال لي: ما يبكيك؟

فقلت[٥٣٨]: مالي لا أبكي وأنت تموت بفلاة من الأرض، وليس عندي ثوب يسعك كفنا، ولابدّ لي من القيام بجهازك.

فقال: أبشري ولا تبكي، فإنّي سمعت رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ يقول: «لايموت بين امرأين مسلمين ولدان أو ثلاث فيصبران ويحتسبان فيريان النار أبداً». وقدمات لنا ثلاثة من الولد، وسمعت أيضا رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ يقول لنفر، أنا فيهم: «ليموتنّ أحدكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين»؛ وليس من أُولئك النفرأحد إلّا وقدمات في قرية وجماعة، فأنا لا أشكّ أنّي ذلك الرجل، والله ما كذبت ولا كذبت، فانظري الطريق.

٥٣٦- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٨، ص ٢٥٢ــ٢٦١ ، ط بيروت.

٥٣٧- الصحيح هو أبوعمر.

٥٣٨- فقالت. خ ل.

قالت أمّ ذرّ: فقلت: أنّى وقد ذهب الحاجّ وتقطعت الطرق؟

فقال: اذهبي فتبصّري.

قالت: فكنت أشتدّ إلى الكثيب فأصعد فأنظر ثمّ أرجع إليه فأُمرّضه، فبينا أنا وهو على هذه الحال إذا أنا برجال على ركابهم كأنّهم الرخم تخبّ[٥٣٩] بهم رواحلهم، فأسرعوا إليّ حتّى وقفوا عليّ، وقالوا: يا أمة الله مالك؟

فقلت: امرؤ من المسلمين يموت تكفّنونه؟

قالوا: ومن هو؟ قلت: أبوذرّ.

قالوا: صاحب رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ؟

قلت: نعم.

ففدوه بآبائهم، و أُمّهاتهم وأسرعوا إليه حتّى دخلوا عليه.

فقال لهم: أبشروا فإنّي سمعت رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ يقول لنفر أنافيهم: «ليموتنّ رجل منكم بفلاة من الأرض تشهده عصابة من المؤمنين» وليس من أُولئك النفر أحد إلّا وقد هلك في قرية وجماعة، والله ما كذبت ولا كذبت ولو كان عندي ثوب يسعني كفناً لي أو لامرأتي لم أُكفن إلّا في ثوب لي أولها، وإنّي أُنشدكم الله أن يكفّنني رجل منكم كان أميراً أو عرّيفا أو بريداً أو نقيباً.

قالت: وليس في أُولئك النفر أحد إلّا وقد قارف بعض ماقال إلّا فتى من الأنصار.

قال له: أنا أكفّنك ياعمّ في ردائي هذا، وثوبين معي في عيبتي من غزل أمّي.

فقال أبوذرّ: أنت تكفّنني.

فمات فكفّنه الأنصاريّ، وغسّله في النفر الّذين حضروه وقاموا عليه ودفنوه في نفر كلّهم يمان.

قال أبو عمرو[٥٤٠] بن عبدالبرّ قبل أن يروي هذا الحديث: كان النفر الّذين

٥٣٩- «خبّ الفرس في عدوه» راوح بين يديه ورجليه، أي قام على إحداهما مرّة وعلى الأخرى مرّة.

٥٤٠- الصحيح هو أبو عمر.

حضروا موت أبي ذرّ الربذة مصادفة جماعة منهم حجر بن عدي الّذي قتله معاوية وهو من أعلام الشيعة وعظمائها، وأمّا الأشتر فهو أشهر في الشيعة من أبي الهذيل في المعتزلة، وقريء كتاب الاستيعاب على شيخنا عبدالوّهاب بن سكينة المحدث وأنا حاضر، فلمّا انتهى القاريء إلى هذا الخبر قال أستادي عمرو بن عبدالله الدباس وكنت أحضر معه سماع الحديث: لتقل الشيعة بعد هذا ما شاءت، فما قال المرتضى والمفيد إلّا بعض ما كان حجر والأشتر يعتقدانه في عثمان ومن تقدّمه، فأشار الشيخ إليه بالسكوت فسكت. انتهى كلامه بلفظه.

فانظر فيه ببصيرة تزدد يقيناً.

أقول: وقال ابن عبدالبرّ بعد نقل الرواية الطويلة: روى عنه جماعة من الصحابة وكان من أوعية العلم المبرّزين في الزهد والورع والقول بالحقّ سئل عليّ ــ عليه السلام ــ عن أبي ذرّ، فقال: ذلك رجل وعى علماً عجز عنه الناس، ثمّ أوكأ عليه ولم يخرج شيئاً منه، وروي عن النبي ــ صلّى الله عليه وآله ــ أنه قال: أبوذرّ في أمّتي شبيه عيسى بن مريم في زهده، وبعضهم يرويه: من سرّه أن ينظر إلى تواضع عيسى بن مريم فلينظر إلى أبي ذر.[٥٤١]

١٣١ ــ ومن كلام له عليه السلام

وفيه يبين سبب طلبه الحكم ويصف الإمام الحق

أَيَّتُهَا النُّفُوسُ ٱلْمُخْتَلِفَةُ ، وَٱلْقُلُوبُ ٱلْمُتَشَتِّتَةُ ، الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ ، وَٱلْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ ، أَظْأَرُكُمْ (١٧١٦) عَلَى ٱلْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَنْفِرُونَ عَنْهُ نُفُورَ ٱلْمِعْزَى مِنْ وَعْوَعَةِ ٱلْأَسَدِ ! هَيْهَاتَ أَنْ أَطْلَعَ بِكُمْ سَرَارَ (١٧١٧)

٥٤١- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٢٢، كتاب تاريخ نبيّنا ــ صلّى الله عليه وآله ــ، ص ٤١١ ــ ٤٢٠.

ٱلْعَدْلِ ، أَوْ أُقِيمَ ٱعْوِجَاجَ ٱلْحَقِّ . ٱللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ ، وَلَا ٱلْتِمَاسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ ٱلْحُطَامِ ، وَلٰكِنْ لِنَرِدَ ٱلْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ ، وَنُظْهِرَ ٱلْإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ ، فَيَأْمَنَ ٱلْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ ، وَتُقَامَ ٱلْمُعَطَّلَةُ مِنْ حُدُودِكَ . ٱللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَنَابَ ، وَسَمِعَ وَأَجَابَ ، لَمْ يَسْبِقْنِي إِلَّا رَسُولُ ٱللهِ ــ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ــ بِالصَّلَاةِ .

وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ٱلْوَالِي عَلَىٰ ٱلْفُرُوجِ وَٱلدِّمَاءِ وَٱلْمَغَانِمِ وَٱلْأَحْكَامِ وَإِمَامَةِ ٱلْمُسْلِمِينَ ٱلْبَخِيلُ، فَتَكُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ نَهْمَتُهُ(١٧١٨) ، وَلَا ٱلْجَاهِلُ فَيُضِلَّهُمْ بِجَهْلِهِ ، وَلَا ٱلْجَافِي فَيَقْطَعَهُمْ بِجَفَائِهِ ، وَلَا ٱلْحَائِفُ(١٧١٩) لِلدُّوَلِ(١٧٢٠) فَيَتَّخِذَ قَوْماً دُونَ قَوْمٍ ، وَلَا ٱلْمُرْتَشِي فِي ٱلْحُكْمِ فَيَذْهَبَ بِٱلْحُقُوقِ ،وَيَقِفَ بِهَا دُونَ ٱلْمَقَاطِعِ(١٧٢١) ، وَلَا ٱلْمُعَطِّلُ لِلسُّنَّةِ فَيُهْلِكَ ٱلْأُمَّةَ .

بيان: «الغائبة عنهم» غيبة العقول عن أربابها أبلغ في الدلالة من غيبتها عمّن اعتبر الشهود بالنسبة إليه. «أظأركم» أي أعطفكم، يقال: «ظأرت الناقة إذا عطفت على ولد غيرها. وقال الجوهريّ: «المعز» من الغنم خلاف الضأن وهو اسم جنس وكذلك «المعزى» . و«الوعوعة» الصوت. قوله ــ عليه السلام ــ «هيهات» قال ابن أبي الحديد: يفسّره الناس بمعنى: هيهات أن أطلعكم مضيئين ومنورين سرار العدل، و«السرار» آخر ليلة من الشهر وتكون مظلمة، ويمكن أن يفسّر بوجه آخر وهو أن يكون السرار بمعنى السرر وهو خطوط مضيئة في الجبهة، وقد نصّ أهل اللغة على أنه يجوز فيه

السّرار. قالوا: ويجمع سرار على أسرّة و يقولون: برقت أسرّة وجهه؛ فالمعنى: هيهات أن تلمع بكم لوامع العدل و يبرق وجهه. ويمكن أن ينصب سرار على الظرفيّة و يكون التقدير: هيهات أن أطلع بكم الحقّ زمان استسراره واستخفائه، فيكون قد حذف المفعول وحذفه كثير. وقال الكيدريّ: «سرار الشهر وسرره» آخر ليلة منه، و«السرار» المسارّة من السرّ، وجمع سرر الكفّ والجبهة، و«سرار العدل» أي في سرار فحذف حرف الجرّ ووصل الفعل، وقيل: أي هيهات أن أظهر بمعونتكم ماخفي واستسرّ من أقمار العدل وأنواره. انتهى.

ولعلّ المراد بـ «الّذي كان» الرغبة في الخلافة أو الحروب أو الجميع، ولم يكن ناقصة وكان تامّة. و«المنافشة» المغالبة في الشيء النفيس. و«الحطام» ما تكسر من اليبس، وهو كناية عن متاع الدنيا، والمراد بفضوله زخارفها وزينتها وما لايحتاج إليه منها. و«معالم الدين» الآثار الّتي يهتدى بها. و«الإنابة» الرجوع. قوله ــ عليه السلام ــ «نهمته» أي حرصه وجشعه على أموال رعيّته، ومن رواه «نهمة» بالتحريك فهي إفراط الشهوة في الطعام. و«الجفاء» خلاف البرّ والصلة، و«رجل جافي الخلقة والخلق» أي منقبض غليظ. «فيقطعهم» أي عن الوصول إليه، أو عن حاجاتهم، أو بعضهم عن بعض لتفرّقهم، والأوّل أظهر و إن لم يذكره أحد.

قوله ــ عليه السلام ــ «ولا الحائف» بالحاء المهملة، من «الحيف» وهو الظلم والجور. و«الدول» بضمّ الدال المهملة، جمع «الدولة» بالضمّ وهي اسم المال المتداول، قال الله ــ تعالى ــ: «كَيْلَا يَكُونَ دُوْلَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ» [٥٤٢]؛ إذا لم يقسّم الإمام بالسويّة ويخصّ بالمال بعضهم دون بعض فيتّخذ قوماً دون قوم فيفرّق المسلمين. وروي: «الخائف» بالمعجمة، و«الدول» بكسر الدال، جمع «دولة» بالفتح، وهي الغلبة، أي من يخاف دول الأيّام وتقلّب الدهور فيتّخذ قوماً يتوقّع نفعهم في دنياه و يقوّيهم و يضعّف آخرين.

قوله ــ عليه السلام ــ «دون المقاطع» أي يقف عند مقطع الحكم فلا يقطعه

٥٤٢- الحشر: ٧.

بأن يحكم بالحقّ بل يحكم بالباطل، أو يسوّف الحكم حتّى يضطرّ المحقّ و يرضى بالصلح فيذهب بعض حقّه، ويحتمل أن يكون «دون» بمعنى «غير» أي يقف في غير مقطعة. قال ابن أبي الحديد: «فإن قلت: أفتراه عنى بهذا قوماً بأعيانهم، قلت: الامامية تزعم أنّه رمز بالجفاء والعصبيّة لقوم دون قوم إلى عمر، ورمز بالجهل إلى من كان قبله، ورمز بتعطيل السنّة إلى عثمان ومعاوية.[٥٤٣] انتهى. والأظهر أنّ المراد بالبخيل عثمان لما هو المعلوم من أكله أموال المسلمين و لما مرّ منه ــ عليه السلام ــ في الشقشقيّة، وبالجاهل جميعهم، و بالجافي عمر كما مرّ في الشقشقيّة، و بالحائف للدول عمر و عثمان كما هو المعلوم من سيرتها، و بالمعطّل للسنّة أيضاً جميعهم.[٥٤٤]

[هذا بيان آخر في شرح الكلام:]

بيان: «النهمة» بالفتح، الحاجة و بلوغ الهمّة والحاجة والشهوة في الشيء، وبالتحريك كما في بعض النسخ، إفراط الشهوة في الطعام. و«الجفاء» خلاف البرّ والصلة، والغلظة في الخلق، «فيقطعهم بجفائه» أي عن حاجتهم لغلظته عليهم، أو بعضهم عن بعض لأنّه يصير سبباً لتفرقتهم. و«الحائف» بالمهملة، الظالم. و«الدول» بالضمّ، جمع «دولة» وهي المال الّذي يتداول به، فالمعنى: الّذي يجور ولايقسم بالسويّة وكما فرض الله، فيتّخذ قوماً مصرفا أوحبيباً فيعطيهم ما شاء ويمنع آخرين حقوقهم؛ وفي بعض النسخ بالخاء المعجمة، و«الدول» بالكسر، جمع «دولة» بالفتح، وهي الغلبة في الحرب وغيره وانقلاب الزمان، فالمراد الّذي يخاف تقلّبات الدهر وغلبة أعدائه فيتّخذ قوماً يتوقّع نصرهم ونفعهم في دنياه و يقوّيهم بتفضيل العطاء وغيره، و يضعف آخرين؛ وفي بعضها بالمعجمة وضمّ الدال، أي الّذي يخاف ذهاب الأموال وعدمها عند الحاجة، فيذهب بالحقوق أي يبطلها. و«يقف بها دون المقاطع» أي يجعلها موقوفة عند مواضع قطعها فلا يحكم بها بل يحكم بالباطل، أو يسوّف في الحكم حتّى يضطرّ المحقّ و يرضى بالصلح؛ ويحتمل أن يكون «دون» بمعنى غير، أي يقف بها في غير مقاطعها وهو

٥٤٣- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٨، ص ٢٦٦، ط بيروت.

٥٤٤- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٩٢، ط كمپاني وص ٦٤٠، ط تبريز.

الباطل.[٥٤٥]

١٣٢ ـ ومن خطبة له عليه السلام

يعظ فيها ويزهد في الدنيا

حمد الله

نَحْمَدُهُ عَلَىٰ مَا أَخَذَ وَأَعْطَىٰ ، وَعَلَىٰ مَا أَبْلَىٰ وَٱبْتَلَىٰ[١٧٢٢] . ٱلْبَاطِنُ لِكُلِّ خَفِيَّةٍ ، وَٱلْحَاضِرُ لِكُلِّ سَرِيرَةٍ ، ٱلعَالِمُ بِمَا تُكِنُّ الصُّدُورُ ، وَمَا تَخُونُ ٱلْعُيُونُ. وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ غَيْرُهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً نَجِيبُهُ وَبَعِيثُهُ[١٧٢٣] ، شَهَادَةً يُوَافِقُ فِيهَا السِّرُّ ٱلْإِعْلَانَ ، وَٱلْقَلْبُ اللِّسَانَ .

عظة الناس

ومنها : فَإِنَّهُ وَٱللهِ ٱلْجِدُّ لَا اللَّعِبُ ، وَٱلْحَقُّ لَا ٱلْكَذِبُ . وَمَا هُوَ إِلَّا ٱلْمَوْتُ أَسْمَعَ دَاعِيهِ[١٧٢٤] ، وَأَعْجَلَ حَادِيهِ[١٧٢٥] . فَلَا يَغُرَّنَّكَ سَوَادُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ ، وَقَدْ رَأَيْتَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِمَّنْ جَمَعَ ٱلْمَالَ وَحَذِرَ ٱلْإِقْلَالَ ، وَأَمِنَ ٱلْعَوَاقِبَ ـ طُولَ أَمَلٍ وَٱسْتِبْعَادَ أَجَلٍ ـ كَيْفَ نَزَلَ بِهِ ٱلْمَوْتُ فَأَزْعَجَهُ عَنْ وَطَنِهِ ، وَأَخَذَهُ مِنْ مَأْمَنِهِ ، مَحْمُولاً عَلَىٰ أَعْوَادِ ٱلْمَنَايَا يَتَعَاطَىٰ بِهِ الرِّجَالُ الرِّجَالَ ، حَمْلاً عَلَىٰ ٱلْمَنَاكِبِ وَإِمْسَاكاً بِٱلْأَنَامِلِ . أَمَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَأْمُلُونَ بَعِيداً ، وَيَبْنُونَ مَشِيداً ، وَيَجْمَعُونَ كَثِيراً !

٥٤٥ـ بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٢٥، كتاب الإمامة، ص ١٦٧.

كَيْفَ أَصْبحَتْ بُيُوتُهُمْ قُبُوراً ، وَمَا جَمَعُوا بُوراً ؛ وَصَارَتْ أَمْوَالُهُمْ لِلْوَارِثِينَ ، وَأَزْوَاجُهُمْ لِقَوْمٍ آخَرِينَ ؛ لَا فِي حَسَنَةٍ يَزِيْدُونَ ، وَلَا مِنْ سَيِّئَةٍ يَسْتَعْتِبُونَ ! فَمَنْ أَشْعَرَ التَّقْوَى قَلْبَهُ بَرَّزَ مَهَلُهُ (١٧٢٦) ، وَفَازَ عَمَلُهُ . فَاهْتَبِلُوا (١٧٢٧) هَبَلَهَا ، وَاعْمَلُوا لِلْجَنَّةِ عَمَلَهَا : فَإِنَّ الدُّنْيَا لَمْ تُخْلَقْ لَكُمْ دَارَ مُقَامٍ ، بَلْ خُلِقَتْ لَكُمْ مَجَازاً لِتَزَوَّدُوا مِنْهَا الْأَعْمَالَ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ . فَكُونُوا مِنْهَا عَلَى أَوْفَازٍ (١٧٢٨) . وَقَرِّبُوا الظُّهُورَ (١٧٢٩) لِلزِّيَالِ (١٧٣٠) .

١٣٣ — ومن خطبة له عليه السلام

يعظم الله سبحانه ويذكر القرآن والنبي ويعظ الناس

عظمة الله تعالى

وَانْقَادَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ بِأَزِمَّتِهَا ، وَقَذَفَتْ إِلَيْهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرَضُونَ مَقَالِيدَهَا (١٧٣١) ، وَسَجَدَتْ لَهُ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ الْأَشْجَارُ النَّاضِرَةُ ، وَقَدَحَتْ (١٧٣٢) لَهُ مِنْ قُضْبَانِهَا النِّيرَانَ الْمُضِيئَةَ ، وَآتَتْ أُكُلَهَا بِكَلِمَاتِهِ الثِّمَارُ الْيَانِعَةُ .

القرآن

منها : وَكِتَابُ اللهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ نَاطِقٌ لَا يَعْيَا لِسَانُهُ ، وَبَيْتٌ لَا

تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ ، وَعِزٌّ لَا تُهْزَمُ أَعْوَانُهُ .

رسول الله

منها : أَرْسَلَهُ عَلَىٰ حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ، وَتَنَازُعٍ مِنَ ٱلْأَلْسُنِ ، فَقَفَّىٰ بِهِ الرُّسُلَ ، وَخَتَمَ بِهِ ٱلْوَحْيَ ، فَجَاهَدَ فِي ٱللهِ ٱلْمُدْبِرِينَ عَنْهُ ، وَٱلْعَادِلِينَ بِهِ .

بيان: «العادلون به» الجاعلون له عديلاً ومثلاً.[٥٤٦]

الدنيا

منها : وَإِنَّمَا الدُّنْيَا مُنْتَهَىٰ بَصَرِ ٱلْأَعْمَىٰ ، لَا يُبْصِرُ مِمَّا وَرَاءَهَا شَيْئاً ، وَٱلْبَصِيرُ يَنْفُذُهَا بَصَرُهُ ، وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّارَ وَرَاءَهَا . فَٱلْبَصِيرُ مِنْهَا شَاخِصٌ ، وَٱلْأَعْمَىٰ إِلَيْهَا شَاخِصٌ . وَٱلْبَصِيرُ مِنْهَا مُتَزَوِّدٌ ، وَٱلْأَعْمَىٰ لَهَا مُتَزَوِّدٌ .

عظة الناس

منها : وَٱعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَيَكَادُ صَاحِبُهُ يَشْبَعُ مِنْهُ وَيَمَلُّهُ إِلَّا ٱلْحَيَاةَ فَإِنَّهُ لَا يَجِدُ فِي ٱلْمَوْتِ رَاحَةً . وَإِنَّمَا ذٰلِكَ بِمَنْزِلَةِ ٱلْحِكْمَةِ الَّتِي هِيَ حَيَاةٌ لِلْقَلْبِ ٱلْمَيِّتِ ، وَبَصَرٌ لِلْعَيْنِ ٱلْعَمْيَاءِ ، وَسَمْعٌ لِلْأُذُنِ

٥٤٦- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١٨، كتاب تاريخ نبيّنا ــ صلّى الله عليه وآله ــ، ص ٢٢١.

الصَّمَّاءِ ، وَرِيٌّ لِلظَّمْآنِ ، وَفِيهَا ٱلْغِنَىٰ كُلُّهُ وَٱلسَّلَامَةُ . كِتَابُ ٱللهِ تُبْصِرُونَ بِهِ ، وَتَنْطِقُونَ بِهِ ، وَتَسْمَعُونَ بِهِ ، وَيَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ ، وَيَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ ، وَلَا يَخْتَلِفُ فِي ٱللهِ ، وَلَا يُخَالِفُ بِصَاحِبِهِ عَنِ ٱللهِ . قَدِ ٱصْطَلَحْتُمْ عَلَىٰ ٱلْغِلِّ(١٧٣٣) فِيمَا بَيْنَكُمْ ، وَنَبَتَ ٱلْمَرْعَىٰ عَلَىٰ دِمَنِكُمْ(١٧٣٤) . وَتَصَافَيْتُمْ عَلَىٰ حُبِّ ٱلْآمَالِ ، وَتَعَادَيْتُمْ فِي كَسْبِ ٱلْأَمْوَالِ . لَقَدِ ٱسْتَهَامَ(١٧٣٥) بِكُمُ ٱلْخَبِيثُ ، وَتَاهَ بِكُمُ ٱلْغُرُورُ ، وَٱللهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ .

١٣٤ — وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وقد شاوره عمر بن الخطاب في الخروج إلى غزو الروم

وَقَدْ تَوَكَّلَ ٱللهُ لِأَهْلِ هٰذَا الدِّينِ بِإِعْزَازِ ٱلْحَوْزَةِ(١٧٣٦) ، وَسَتْرِ ٱلْعَوْرَةِ . وَٱلَّذِي نَصَرَهُمْ ، وَهُمْ قَلِيلٌ لَا يَنْتَصِرُونَ ، وَمَنَعَهُمْ وَهُمْ قَلِيلٌ لَا يَمْتَنِعُونَ ، حَيٌّ لَا يَمُوتُ .

إِنَّكَ مَتَىٰ تَسِرْ إِلَىٰ هٰذَا ٱلْعَدُوِّ بِنَفْسِكَ ، فَتَلْقَهُمْ فَتُنْكَبْ ، لَا تَكُنْ لِلْمُسْلِمِينَ كَانِفَةٌ(١٧٣٧) دُونَ أَقْصَىٰ بِلَادِهِمْ . لَيْسَ بَعْدَكَ مَرْجِعٌ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ ، فَٱبْعَثْ إِلَيْهِمْ رَجُلًا مِحْرَباً ، وَٱحْفِزْ(١٧٣٨) مَعَهُ أَهْلَ ٱلْبَلَاءِ(١٧٣٩)

وَالنَّصِيحَةِ ، فَإِنْ أَظْهَرَ ٱللهُ فَذَاكَ مَا تُحِبُّ ، وَإِنْ تَكُنِ ٱلْأُخْرَىٰ ، كُنْتَ رِدْأً لِلنَّاسِ (١٧٤٠) وَمَثَابَةً (١٧٤١) لِلْمُسْلِمِينَ .

١٣٥ — ومن كلام له عليه السلام

وقد وقعت مشاجرة بينه وبين عثمان فقال المغيرة بن الأخنس لعثمان : أنا أكفيكه ، فقال علي عليه السلام للمغيرة :

يَابْنَ اللَّعِينِ ٱلْأَبْتَرِ (١٧٤٢) ، وَٱلشَّجَرَةِ الَّتِي لَا أَصْلَ لَهَا وَلَا فَرْعَ ، أَنْتَ تَكْفِينِي ؟ فَوَٱللهِ مَا أَعَزَّ ٱللهُ مَنْ أَنْتَ نَاصِرُهُ ، وَلَا قَامَ مَنْ أَنْتَ مُنْهِضُهُ . ٱخْرُجْ عَنَّا أَبْعَدَ ٱللهُ نَوَاكَ (١٧٤٣) ، ثُمَّ ٱبْلُغْ جَهْدَكَ ، فَلَا أَبْقَىٰ ٱللهُ عَلَيْكَ إِنْ أَبْقَيْتَ !

إيضاح: «المغيرة» وهو ابن أخنس الثقفي. وقال ابن أبي الحديد[٥٤٧] وغيره: إنّما قال ـ عليه السلام ـ : «يابن اللعين» لأنّ الأخنس كان من أكابر المنافقين، ذكره أصحاب الحديث كلّهم في المؤلّفة الّذين أسلموا يوم الفتح بألسنتهم دون قلوبهم، وأعطاه رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ مائة من الإبل من غنائم حنين يتألّف بها قلبه؛ وابنه أبوالحكم بن الأخنس قتله أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ يوم أُحُد كافراً في الحرب. و إنّما قال ـ عليه السلام ـ : «يا ابن الأبتر» لأن من كان عقبه ضالاً خبيثاً فهو كمن لا عقب له بل من لا عقب له خير منه. وكنّى ـ عليه السلام ـ بنفي أصلها

٥٤٧- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٨، ص ٣٠١، ط بيروت.

وفرعها من دناءته وحقارته، وقيل: لأنّ في نسب ثقيف طعناً. وقتل المغيرة مع عثمان في الدار. قوله ـ عليه السلام ـ «ما أعزّ الله» يحتمل الدعاء والخبر. قوله ـ عليه السلام ـ «أبعد الله نواك» النوى الوجه الّذي تذهب فيه والدار، أي أبعد الله مقصدك أو دارك. و يروى: «أبعد الله نوأك» بالهمزة أي خيرك من أنواء النجوم التي كانت العرب تنسب المطر إليها. «ثمّ ابلغ جهدك» أي غايتك وطاقتك في الأذى. وفي النهاية: «أبقيت عليه» رحمته وأشفقت عليه.[٥٤٨]

١٣٦ ـ ومن كلام له عليه السلام

في أمر البيعة

لَمْ تكُنْ بَيْعَتُكُمْ إِيَّايَ فَلْتَةً[١٧٤٤]، وَلَيْسَ أَمْرِي وَأَمْرُكُمْ وَاحِداً. إِنِّي أُرِيدُكُمْ للهِ وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَنِي لِأَنْفُسِكُمْ.

أَيُّهَا النَّاسُ، أَعِينُونِي عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، وَايْمُ اللهِ لَأُنْصِفَنَّ الْمَظْلُومَ مِنْ ظَالِمِهِ، وَلَأَقُودَنَّ الظَّالِمَ بِخِزَامَتِهِ[١٧٤٥]، حَتَّىٰ أُورِدَهُ مَنْهَلَ الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ كَارِهاً.

إيضاح: «الفلتة» الأمر يقع من غير تدبّر ولا رويّة، وفيه تعريض ببيعة أبي بكر كما روت العامّة عن عمر أنّه قال: كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله المسلمين شرّها، ومن عاد إلى مثلها فاقتلوه.

قوله ـ عليه السلام ـ «إنّي أُريدكم» الخطاب لغير الخواصّ من أصحابه ـ عليه السلام ـ والمعنى: أُريد إطاعتكم إيّاي لله وتريدون أن تطيعوني للمنافع

٥٤٨- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٣٧٢، ط كمپاني وص ٣٥٠، ط تبريز.

الدنيوية. وقال الجوهريّ: خزمتُ البعير بالخزامة، وهي حلقة من شعر تجعل في وترة أنفه ليشدّ فيها الزمام.[٥٢٩]

١٣٧ - ومن كلام له عليه السلام

في شأن طلحة والزبير وفي البيعة له

طلحة والزبير

وَٱللهِ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَراً، وَلَا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نِصْفاً(١٧٤٦)، وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقّاً هُمْ تَرَكُوهُ، وَدَماً هُمْ سَفَكُوهُ، فَإِنْ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ، فَإِنَّ لَهُمْ نَصِيبَهُمْ مِنْهُ، وَإِنْ كَانُوا وَلُوهُ دُونِي فَمَا الطَّلِبَةُ(١٧٤٧) إِلَّا قِبَلَهُمْ. وَإِنَّ أَوَّلَ عَدْلِهِمْ لَلْحُكْمُ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ. إِنَّ مَعِي لَبَصِيرَتِي مَا لَبَسْتُ وَلَا لُبِسَ عَلَيَّ. وَإِنَّهَا لَلْفِئَةُ ٱلْبَاغِيَةُ فِيهَا ٱلْحَمَأُ وَٱلْحُمَّةُ(١٧٤٨)، وَٱلشُّبْهَةُ ٱلْمُغْدِفَةُ(١٧٤٩)؛ وَإِنَّ ٱلْأَمْرَ لَوَاضِحٌ؛ وَقَدْ زَاحَ(١٧٥٠) ٱلْبَاطِلُ عَنْ نِصَابِهِ، وَٱنْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ شَغْبِهِ(١٧٥١). وَٱيْمُ ٱللهِ لَأُفْرِطَنَّ(١٧٥٢) لَهُمْ حَوْضاً أَنَا مَاتِحُهُ(١٧٥٣)، لَا يَصْدُرُونَ عَنْهُ بِرِيٍّ، وَلَا يَعُبُّونَ(١٧٥٤) بَعْدَهُ فِي حَسْيٍ(١٧٥٥)!

امر البيعة

ومنه: فَأَقْبَلْتُمْ إِلَيَّ إِقْبَالَ ٱلْعُوذِ ٱلْمَطَافِيلِ(١٧٥٦) عَلَىٰ أَوْلَادِهَا، تَقُولُونَ:

٥٢٩- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٤٠١، ط كمپاني وص ٣٧٦، ط.تبريز.

ٱلْبَيْعَةَ ٱلْبَيْعَةَ ! قَبَضتُ كَفِّي فَبَسَطْتُمُوهَا ، وَنَازَعتُكُمْ يَدِي فَجَاذَبْتُمُوهَا. ٱللَّهُمَّ إِنَّهُمَا قَطَعَانِي وَظَلَمَانِي ، وَنَكَثَا بَيْعَتِي ، وَأَلَّبَا(١٧٥٧) النَّاسَ عَلَيَّ ؛ فَٱحْلُلْ مَا عَقَدَا ، وَلَا تُحْكِمْ لَهُمَا مَا أَبْرَمَا ، وَأَرِهِمَا ٱلْمَسَاءَةَ فِيمَا أَمَّلَا وَعَمِلَا . وَلَقَدِ ٱسْتَثَبْتُهُمَا(١٧٥٨) قَبْلَ ٱلْقِتَالِ ، وَٱسْتَأْنَيْتُ بِهِمَا أَمَامَ ٱلْوِقَاعِ(١٧٥٩) ، فَغَمَطَا النِّعْمَةَ(١٧٦٠) ، وَرَدَّا ٱلْعَافِيَةَ .

تبيين: «النصف» بالكسر والتحريك، الإنصاف والعدل، أي إنصافاً أو حكماً ذا إنصاف ويقال: «ولى أمراً» أي قام به. و«الطلبة» بكسر اللّام، ما طلبته من شيء. وقال في النهاية: «لبست الأمر» بالفتح، إذا خلطت بعضه ببعض، وربّما شدّد للتكثير. وقال ابن أبي الحديد: «الحمأ» الطين الأسود. و«حمّة العقرب» سمّها، أي في هذه الفتنة الضلال والفساد. ويروى: «الحما» بألف مقصورة وهو كناية عن الزبير لأنّ كلّ من كان نسيب الرجل فهم الأحماء واحدهم حما، مثل قفا وأقفاء، وما كان نسيب المرأة فهم الأحماة[٥٥٠]، فأمّا الإصهار فيجمع الجهتين. وكان الزبير ابن عمّة رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ وقد كان النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ أعلم عليّاً ـ عليه السلام ـ بأنّ فئة تبغى عليه في أيّام خلافته فيها بعض زوجاته وبعض أحمائه، فكنّى ـ عليه السلام ـ عن الزّوجة بالحمّة وهي سمّ العقرب، و«الحمأ» يضرب مثلاً لغير الطيب الغير الصافي. وقال ابن ميثم: «المغدفة» الخفيّة، وأصله المرأة تغدف وجهها، أي تسترها.[٥٥١] وروي: «المغدفة» بكسر الدال من «أغدف» أي أظلم، وهي إشارة إلى شبهتهم في الطلب بدم عثمان.

و«قد زاح الباطل» أي بعد وذهب. «عن نصابه» أي مركزه ومقرّه. و«الشغب» بالتسكين، تهييج الشرّ وقد يحرّك. و«العبّ» الشرب بلامصّ،

٥٥٠- في المصدر: الأخاتن.

٥٥١- شرح النهج لابن ميثم، ج ٣، ص ١٦٦، ط بيروت.

و«الحسى» ماء كامن في رمل يحفر عنه فيستخرج و يكون بارداً عذباً، وهذه كناية عن الحرب والهيجاء وتهديد بها ومايتعقّبها من القتل والهلاك.

وقال الجوهريّ: «العُوذ» حديثات النتايج من الظبأ والخيل والإبل، واحدها «عائذ» مثل حائل وحول، وذلك إذا ولدت عشرة أيّام أو خمسة عشر يوماً، ثمّ هي مطفل. وفي القاموس: «المطفل» ـ كمحسن ـ ذات الطفل من الإنس والوحش، والجمع «مطافيل». وقيل: إنّ في الجمع بين الوصفين تجوّزاً، وعلى ما في القاموس لايحتاج إلى ذلك. و«ألّبا» بتشديد اللّام، من «التأليب» وهو التحريض. قوله ـ عليه السلام ـ و«استثبتّها» استفعال من «ثاب يثوب» إذا رجع أي طلبت منها أن يرجعا. وروي بالتآء المثنّاة من التوبة. و«استأنيت» أي انتظرت، من الإناءة. «فغمطا» بالكسر[552] أي حقرا.[553]

١٣٨ ـ ومن خطبة له عليه السلام

يومىء فيها إلى ذكر الملاحم

يَعْطِفُ ٱلْهَوَىٰ عَلَىٰ ٱلْهُدَىٰ ، إِذَا عَطَفُوا ٱلْهُدَىٰ عَلَىٰ ٱلْهَوَىٰ ، وَيَعْطِفُ الرَّأْيَ عَلَىٰ ٱلْقُرْآنِ إِذَا عَطَفُوا ٱلْقُرْآنَ عَلَىٰ الرَّأْيِ .

ومنها : حَتَّىٰ تَقُومَ ٱلْحَرْبُ بِكُمْ عَلَىٰ سَاقٍ ، بَادِياً نَوَاجِذُهَا[١٧٦١] ، مَمْلُوءَةً أَخْلَافُهَا[١٧٦٢] ، حُلْواً رَضَاعُهَا ، عَلْقَماً عَاقِبَتُهَا. أَلَا وَفِي غَدٍ ـ وَسَيَأْتِي غَدٌ بِمَا لَا تَعْرِفُونَ ـ يَأْخُذُ ٱلْوَالِي مِنْ غَيْرِهَا عُمَّالَهَا عَلَىٰ مَسَاوِىءِ أَعْمَالِهَا ، وَتُخْرِجُ لَهُ ٱلْأَرْضُ أَفَالِيذَ[١٧٦٣] كَبِدِهَا ، وَتُلْقِي إِلَيْهِ سِلْماً مَقَالِيدَهَا ،

٥٥٢- في أقرب الموارد ضبطه بالفتح.

٥٥٣- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٤٠٨، ط كمپاني وص ٣٨٢، ط تبريز.

فَيُرِيكُمْ كَيْفَ عَدْلُ السِّيرَةِ ، وَيُحْيِي مَيِّتَ ٱلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ .

منها : كَأَنِّي بِهِ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ ، وَفَحَصَ(١٧٦٤) بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ(١٧٦٥) ، فَعَطَفَ عَلَيْهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ(١٧٦٦) ، وَفَرَشَ ٱلْأَرْضَ بِالرُّؤُوسِ . قَدْ فَغَرَتْ فَاغِرَتُهُ(١٧٦٧) ، وَثَقُلَتْ فِي ٱلْأَرْضِ وَطْأَتُهُ ، بَعِيدُ ٱلْجَوْلَةِ ، عَظِيمُ ٱلصَّوْلَةِ . وَٱللهِ لَيُشَرِّدَنَّكُمْ(١٧٦٨) فِي أَطْرَافِ ٱلْأَرْضِ حَتَّىٰ لَا يَبْقَىٰ مِنْكُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ، كَٱلْكُحْلِ فِي ٱلْعَيْنِ ، فَلَا تَزَالُونَ كَذٰلِكَ ، حَتَّىٰ تَؤُوبَ إِلَىٰ ٱلْعَرَبِ عَوَازِبُ أَحْلَامِهَا(١٧٦٩) ! فَٱلْزَمُوا السُّنَنَ ٱلْقَائِمَةَ ، وَٱلْآثَارَ ٱلْبَيِّنَةَ ، وَٱلْعَهْدَ ٱلْقَرِيبَ ٱلَّذِي عَلَيْهِ بَاقِي النُّبُوَّةِ . وَٱعْلَمُوا أَنَّ الشَّيْطَانَ إِنَّمَا يُسَنِّي(١٧٧٠) لَكُمْ طُرُقَهُ لِتَتَّبِعُوا عَقِبَهُ .

إيضاح: لعلّ أوّل الكلام إشارة إلى ظهور القائم ـ عليه السلام ـ وكذا قوله «وسيأتي غد» وماقبله إلى الفتن الّتي تظهر قبل القائم ـ عليه السلام ـ . وقيام الحرب على ساق كناية عن شدّتها، وقيل: «الساق» الشدّة، و«بدوّنواجذها» عن الضحك تهكّماً أو عن بلوغ الحرب غايتها كما أنّ غاية الضحك أن تبدو النواجذ. و«الأخلاف» للناقة حلمات الضرع. و إنّما قال ـ عليه السلام ـ : «حلواً رضاعها» لأنّ أهل النجدة في أوّل الحرب يقبلون عليها، ومرارة عاقبتها لأنّها القتل، ولأنّ مصير أكثرهم إلى النار. والمنصوبات الأربعة أحوال والمرفوع بعد كلّ منها فاعل، و إنّما ارتفع عاقبتها بعد «علقماً» مع أنّه اسم صريح لقيامه مقام اسم الفاعل، كأنّه قال مريرة عاقبتها.

قوله ـ عليه السلام ـ «ألا وفي غد» قال ابن أبي الحديد: تمامه قوله ـ عليه السلام ـ «يأخذ الوالي»، وبين الكلام جملة اعتراضيّة . قد كان تقدّم ذكر طائفة من الناس كانت ذات ملك وافرة فذكر ـ عليه السلام ـ أنّ الوالي يعني القائم

ـ عليه السلام ـ يأخذ عمّال هذه الطائفة على سوء أعمالهم، و«على» هيهنا متعلّقة بـ «يأخذ» وهي بمعنى يؤاخذ.

و«الأفاليذ» جمع «أفلاذ» وهي جمع «فلذة» وهي القطعة من الكبد، كناية عن الكنوز الّتي تظهر للقائم ـ عليه السلام ـ. وقد فسّر قوله ـ تعالى ـ : «وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا» ٥٥٤ بذلك في بعض التفاسير. ٥٥٥ وقوله ـ عليه السلام ـ «سلماً» مصدر سدّ مسدّ الحال أو تمييز. قوله ـ عليه السلام ـ «كأنّي! به» الظاهر أنّه إشارة إلى السفيانيّ. وقال ابن أبي الحديد: إخبار عن عبدالملك بن مروان وظهوره بالشام وملكه بعد ذلك العراق وماقتل من العرب فيها أيّام عبدالرحمن بن أشعث وقتله أيّام مصعب بن الزبير. وقال: مفعول «فحص» محذوف أي فحص الناس براياته أي نحّاهم وقلّبهم يميناً وشمالاً. و«ضواحى كوفان» ماقرب منها من القرى، وقد سار القتال مصعب بعد أن قتل المصعب المختار فالتقوا بأرض مسكن من نواحي الكوفة. «قد فغرت فاغرته» أي انفتح فوه، و يقال: فغرفاه، يتعدّى ولا يتعدّى. و«ثقل وطأته» كناية عن شدّة ظلمه وجوره. «بعيد الجولة» أي جولان خيوله وجيوشه في البلاد، فيكون كناية عن اتّساع ملكه، أو جولان رجاله في الحرب بحيث لايتعقّبه السكون. و«شردالبعير» نفر وذهب في الأرض. «عوازب أحلامها» أي ما ذهب وغاب من عقولها.

وقال ابن ميثم: فإن قلت: قوله ـ عليه السلام ـ «حتّى تؤوب» يدلّ على انقطاع تلك الدولة بظهور العرب، وعبدالملك مات وقام بعده بنوه بالدولة؟ قلت: الغاية ليست غاية لدولة عبدالملك بل غاية لكونهم لايزالون مشرّدين في البلاد مقهورين، وذلك الانقهار و إن كان أصله من عبدالملك إلّا أنّه استمرّ في زمان أولاده إلى حين انقضاء دولتهم. قال بعض الشارحين٥٥٦: إنّ ملك أولاده ملكه، وهذا جواب من لم يتدبّر في كلامه ـ عليه السلام ـ. والعرب هيهناهم بنوالعبّاس ومن معهم من العرب أيّام ظهور دولتهم كقحطبة بن شبيب الطائيّ وابنيه حميد والحسن، وكبني رزتنى منهم طاهر بن

٥٥٤- الزلزال: ٢.

٥٥٥- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٩، ص ٤٢ ـ ٤٦، ط بيروت.

٥٥٦- المراد من «بعض الشارحين» هو ابن أبي الحديد في شرحه، ج ٩، ص ٤٧، ط بيروت.

الحسين و إسحاق بن إبراهيم وغيرهم من العرب. وقيل: إنّ أبامسلم عربيّ.

قوله ــ عليه السلام ــ و«العهد القريب» قال ابن أبي الحديد: أي عهده وأيّامه ــ عليه السلام ــ.[٥٥٧] وكأنّه دفع لماعساه يتوهّمونه من أنه إذا آبت إلى العرب عوازب أحلامها فيجب عليهم اتّباع الدولة الجديدة في كلّ ماتفعله فوصّاهم بأنّه إذا تبدّلت الدولة فالزموا الكتاب والسنّة والعهد الّذي فارقتكم عليه. قوله ــ عليه السلام ــ «إنّما يسنّي» أي يسهل.[٥٥٨]

[بيان: «الساق» الشدّة أو بالمعنى المشهور كناية عن استوائها. و«بدوّ النواجذ» كناية عن بلوغ الحرب غايتها كما أنّ غاية الضحك أن تبدو النواجذ ويمكن أن يكون كناية عن الضحك على التهكّم.]

إيضاح: قال ابن أبي الحديد: «ألا وفي غد» تمامه قوله ــ عليه السلام ــ «يأخذ الوالي» وبين الكلام جملة اعتراضيّة وهي قوله ــ عليه السلام ــ «وسيأتي غد بمالا تعرفون» والمراد تعظيم شأن الغد الموعود ومثله كثير في القرآن ثمّ قال: قد كان تقدم ذكر طائفة من الناس ذات ملك و إمرة فذكر ــ عليه السلام ــ أنّ الوالي يعني القائم ــ عليه السلام ــ يأخذ عمّال هذه الطائفة على سوء أعمالهم. و«على» ههنا متعلّقه بـ «يأخذ» وهي بمعنى يؤاخذ. وقال: «الأفاليذ» جمع «أفلاذ» والأفلاذ جمع «فلذة» وهي القطعة من الكبد كناية عن الكنوز الّتي تظهر للقائم ــ عليه السلام ــ وقد فسّر قوله ــ تعالى ــ: «وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا» بذلك في بعض التفاسير.

أقول: وقال ابن أبي الحديد في شرح بعض خطبه ــ صلوات الله عليه ــ: قال شيخنا أبو عثمان وقال ابوعبيدة: وزاد فيها في رواية جعفر بن محمّد ــ عليهما السّلام ــ عن آبائه ــ عليهم السّلام ــ:

ألا إنّ أبرار عترتي وأطائب أرومتي أحلم الناس صغاراً وأعلم الناس كباراً. ألا

٥٥٧- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٩، ص ٤٨، ط بيروت.

٥٥٨- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٣٨٤، ط كمپاني وص ٣٦١، ط تبريز.

وإنّا أهل بيت من علم الله علمنا وبحكم الله حكمنا ومن قول صادق سمعنا فان تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا، وإن لم تفعلوا يهلككم الله بأيدينا. معنا راية الحقّ من تبعها لحق، ومن تأخّر عنها غرق. ألا وبنا يدرك ترة كلّ مؤمن، وبنا تخلع ربقة الذلّ عن أعناقكم، وبنا فتح لابكم، وبنا يختم لابكم.

ثمّ قال ابن أبي الحديد: «وبنا يختم لابكم» إشارة إلى المهديّ الّذي يظهر في آخرالزمان وأكثر المحدّثين على أنّه من ولد فاطمة ــ عليها السلام ــ وأصحابنا المعتزلة لاينكرونه وقد صرّحوا بذكره في كتبهم واعترف به شيوخهم إلّا أنّه عندنا لم يخلق بعد وسيخلق وإلى هذا المذهب يذهب أصحاب الحديث أيضاً.

روى قاضي القضاة عن كافي الكفاة إسماعيل بن عبّاد ــ رحمه الله ــ باسناد متّصل بعليّ ــ عليه السلام ــ أنّه ذكر المهديّ وقال إنّه من ولد الحسين ــ عليه السلام ــ وذكر حليته فقال: رجل أجلى الجبين أقنى الأنف ضخم البطن أزيل الفخذين أبلج الثنايا بفخذه اليمنى شامة وذكر هذا الحديث بعينه عبدالله بن قتيبة في كتاب غريب الحديث.[٥٥٩] انتهى.

أقول: في ديوان أميرالمؤمنين ــ صلوات الله عليه ــ المنسوب إليه:

بنيّ إذا ماجاشت الترك فانتظر ... ولاية مهديّ يقوم فيعدل
وذلّ ملوك الأرض من آل هاشم ... وبويع منهم من يلذّ، ويهزل
صبيّ من الصبيان لا رأي عنده ... ولا عنده جدّ ولا هو يعقل
فثمّ يقوم القائم الحقّ منكم ... وبالحقّ يأتيكم وبالحقّ يعمل
سميّ نبيّ الله نفسي فداؤه ... فلا تخذلوه يا بنيّ وعجّلوا[٥٦٠]

٥٥٩- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢٧٦ ــ ٢٨٢.
٥٦٠- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٥١، كتاب تاريخ الإمام الثاني عشر ــ عليه السلام ــ، ص ١٣٠ ــ ١٣٢.

١٣٩ — ومن كلام له عليه السلام

في وقت الشورى

لَنْ يُسْرِعَ أَحَدٌ قَبْلِي إِلَىٰ دَعْوَةِ حَقٍّ ، وَصِلَةِ رَحِمٍ ، وَعَائِدَةِ كَرَمٍ . فَٱسْمَعُوا قَوْلِي ، وَعُوا مَنْطِقِي ؛ عَسَىٰ أَنْ تَرَوْا هٰذَا ٱلْأَمْرَ مِنْ بَعْدِ هٰذَا ٱلْيَوْمِ تُنْتَضَى(١٧٧١) فِيهِ ٱلسُّيُوفُ ، وَتُخَانُ فِيهِ ٱلْعُهُودُ ، حَتَّىٰ يَكُونَ بَعْضُكُمْ أَئِمَّةً لِأَهْلِ ٱلضَّلَالَةِ ، وَشِيعَةً لِأَهْلِ ٱلْجَهَالَةِ .

بيان: قوله ــ عليه السلام ــ «إلى دعوة حقّ» أي لن يدعو أحد قبلي إلى حقّ فما لم أدع إليه لم يكن حقاً، أولم يسبقني أحد إلى إجابة دعوة حقّ فما لم أجب إليه لايكون حقاً. و«نضى السيف من غمده وانتضاه» أخرجه. قال ابن ميثم ــ رحمه الله ــ: إشارة إلى ما علمه ــ عليه السلام ــ من حال البغاة والخوارج والناكثين لعهد بيعته. وما وقع بعد هذا اليوم من قتل الحسين ــ عليه السلام ــ وظهور بني أُميّة وغيرهم. وأشار بأئمة أهل الضلالة إلى طلحة والزبير، وبأهل الضلالة إلى أتباعهم، وبأهل الجهالة إلى معاوية ورؤساء الخوارج وأُمراء بني أُميّة، وبشيعتهم إلى أتباعهم.[٥٦١]

١٤٠ — ومن كلام له عليه السلام

في النهي عن غيبة الناس

وَإِنَّمَا يَنْبَغِي لِأَهْلِ ٱلْعِصْمَةِ وَٱلْمَصْنُوعِ إِلَيْهِمْ فِي ٱلسَّلَامَةِ(١٧٧٢) أَنْ يَرْحَمُوا أَهْلَ ٱلذُّنُوبِ وَٱلْمَعْصِيَةِ ، وَيَكُونَ ٱلشُّكْرُ هُوَ ٱلْغَالِبَ عَلَيْهِمْ ،

٥٦١ــ بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٣٥٢، ط كمپاني وص ٣٣١، ط تبريز.

وَٱلْحَاجِزَ لَهُمْ عَنْهُمْ ، فَكَيْفَ بِالْعَائِبِ ٱلَّذِي عابَ أَخَاهُ وَعَيَّرَهُ بِبَلْوَاهُ ! أَمَا ذَكَرَ مَوْضِعَ سَتْرِ ٱللهِ عَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي عَابَهُ بِهِ ! وَكَيْفَ يَذُمُّهُ بِذَنْبٍ قَدْ رَكِبَ مِثْلَهُ ! فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَكِبَ ذٰلِكَ الذَّنْبَ بِعَيْنِهِ فَقَدْ عَصَى ٱللهَ فِيمَا سِوَاهُ ، مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ . وَٱيْمُ ٱللهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ عَصَاهُ فِي ٱلْكَبِيرِ ، وَعَصَاهُ فِي الصَّغِيرِ ، لَجَرَاءَتُهُ عَلَى عَيْبِ النَّاسِ أَكْبَرُ !

يَا عَبْدَ ٱللهِ ، لَا تَعْجَلْ فِي عَيْبِ أَحَدٍ بِذَنْبِهِ ، فَلَعَلَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ ، وَلَا تَأْمَنْ عَلَى نَفْسِكَ صَغِيرَ مَعْصِيَةٍ ، فَلَعَلَّكَ مُعَذَّبٌ عَلَيْهِ . فَلْيَكْفُفْ مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ عَيْبَ غَيْرِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ ، وَلْيَكُنِ الشُّكْرُ شَاغِلاً لَهُ عَلَى مُعَافَاتِهِ مِمَّا ٱبْتُلِيَ بِهِ غَيْرُهُ .

١٤١ — ومن كلام له عليه السلام

في النهي عن سماع الغيبة وفي الفرق بين الحق والباطل

أَيُّهَا النَّاسُ ، مَنْ عَرَفَ مِنْ أَخِيهِ وَثِيقَةَ دِينٍ وَسَدَادَ طَرِيقٍ ، فَلَا يَسْمَعَنَّ فِيهِ أَقَاوِيلَ الرِّجَالِ . أَمَا إِنَّهُ قَدْ يَرْمِي الرَّامِي ، وَتُخْطِىءُ السِّهَامُ ، وَيُحِيلُ ٱلْكَلَامُ(١٧٧٣) ، وَبَاطِلُ ذٰلِكَ يَبُورُ ، وَٱللهُ سَمِيعٌ وَشَهِيدٌ . أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ ٱلْحَقِّ وَٱلْبَاطِلِ إِلَّا أَرْبَعُ أَصَابِعَ .

فسئل ، عليه السلام ، عن معنى قوله هذا ، فجمع أصابعه ووضعها بين أذنه

وعينه ثم قال :

ٱلْبَاطِلُ أَنْ تَقُولَ سَمِعْتُ ، وَٱلْحَقُّ أَنْ تَقُولَ رَأَيْتُ !

١٤٢ — ومن كلام له عليه السلام

المعروف في غير أهله

وَلَيْسَ لِوَاضِعِ ٱلْمَعْرُوفِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ ، وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ ، مِنَ ٱلْحَظِّ فِيمَا أَتَىٰ إِلَّا مَحْمَدَةُ اللِّئَامِ ، وَثَنَاءُ ٱلْأَشْرَارِ ، وَمَقَالَةُ ٱلْجُهَّالِ ، مَا دَامَ مُنْعِماً عَلَيْهِمْ : مَا أَجْوَدَ يَدَهُ ! وَهُوَ عَنْ ذَاتِ ٱللهِ بَخِيلٌ !

مواضع المعروف

فَمَنْ آتَاهُ ٱللهُ مَالاً فَلْيَصِلْ بِهِ ٱلْقَرَابَةَ ، وَلْيُحْسِنْ مِنْهُ الضِّيَافَةَ ، وَلْيَفُكَّ بِهِ ٱلْأَسِيرَ وَٱلْعَانِيَ ، وَلْيُعْطِ مِنْهُ ٱلْفَقِيرَ وَٱلْغَارِمَ(١٧٧٤) ، وَلْيَصْبِرْ نَفْسَهُ(١٧٧٥) عَلَىٰ ٱلْحُقُوقِ وَالنَّوَائِبِ ، ٱبْتِغَاءَ الثَّوَابِ ؛ فَإِنَّ فَوْزاً بِهٰذِهِ ٱلْخِصَالِ شَرَفُ مَكَارِمِ الدُّنْيَا ، وَدَرْكُ فَضَائِلِ ٱلْآخِرَةِ ؛ إِنْ شَاءَ ٱللهُ .

١٤٣ — ومن خطبة له عليه السلام

في الاستسقاء

وفيه تنبيه العباد إلى وجوب استغاثة رحمة الله إذا حبس عنهم رحمة المطر

أَلَا وَإِنَّ الْأَرْضَ الَّتِي تُقِلُّكُمْ، وَالسَّمَاءَ الَّتِي تُظِلُّكُمْ[١٧٧٦]، مُطِيعَتَانِ لِرَبِّكُمْ، وَمَا أَصْبَحَتَا تَجُودَانِ لَكُمْ بِبَرَكَتِهِمَا تَوَجُّعاً لَكُمْ، وَلَا زُلْفَةً[١٧٧٧] إِلَيْكُمْ، وَلَا لِخَيْرٍ تَرْجُوَانِهِ مِنْكُمْ، وَلٰكِنْ أُمِرَتَا بِمَنَافِعِكُمْ فَأَطَاعَتَا، وَأُقِيمَتَا عَلَىٰ حُدُودِ مَصَالِحِكُمْ فَقَامَتَا.

إِنَّ اللهَ يَبْتَلِي عِبَادَهُ عِنْدَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ بِنَقْصِ الثَّمَرَاتِ، وَحَبْسِ الْبَرَكَاتِ، وَإِغْلَاقِ خَزَائِنِ الْخَيْرَاتِ، لِيَتُوبَ تَائِبٌ، وَيُقْلِعَ مُقْلِعٌ، وَيَتَذَكَّرَ مُتَذَكِّرٌ، وَيَزْدَجِرَ مُزْدَجِرٌ. وَقَدْ جَعَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ الِاسْتِغْفَارَ سَبَباً لِدُرُورِ الرِّزْقِ وَرَحْمَةِ الْخَلْقِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: «اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً. يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً. وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً». فَرَحِمَ اللهُ امْرَأً اسْتَقْبَلَ تَوْبَتَهُ، وَاسْتَقَالَ خَطِيئَتَهُ، وَبَادَرَ مَنِيَّتَهُ!

اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ مِنْ تَحْتِ الْأَسْتَارِ وَالْأَكْنَانِ، وَبَعْدَ عَجِيجِ الْبَهَائِمِ وَالْوِلْدَانِ، رَاغِبِينَ فِي رَحْمَتِكَ، وَرَاجِينَ فَضْلَ نِعْمَتِكَ، وَخَائِفِينَ مِنْ عَذَابِكَ وَنِقْمَتِكَ. اللَّهُمَّ فَاسْقِنَا غَيْثَكَ وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ، وَلَا تُهْلِكْنَا بِالسِّنِينَ[١٧٧٨]، «وَلَا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا»؛ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ نَشْكُو إِلَيْكَ مَا لَا يَخْفَىٰ عَلَيْكَ، حِينَ أَلْجَأَتْنَا الْمَضَايِقُ الْوَعْرَةُ[١٧٧٩]، وَأَجَاءَتْنَا[١٧٨٠]

ٱلْمَقَاحِطُ(١٧٨١) ٱلْمُجْدِبَةُ، وَأَعْيَتْنَا ٱلْمَطَالِبُ ٱلْمُتَعَسِّرَةُ، وَتَلَاحَمَتْ(١٧٨٢) عَلَيْنَا ٱلْفِتَنُ ٱلْمُسْتَصْعِبَةُ. ٱللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَلَّا تَرُدَّنَا خَائِبِينَ، وَلَا تَقْلِبَنَا وَاجِمِينَ(١٧٨٣). وَلَا تُخَاطِبَنَا بِذُنُوبِنَا، وَلَا تُقَايِسَنَا بِأَعْمَالِنَا. ٱللَّهُمَّ ٱنْشُرْ عَلَيْنَا غَيْثَكَ وَبَرَكَتَكَ، وَرِزْقَكَ وَرَحْمَتَكَ؛ وَٱسْقِنَا سُقْيَا نَاقِعَةً مُرْوِيَةً مُعْشِبَةً، تُنْبِتُ بِهَا مَا قَدْ فَاتَ، وَتُحْيِي بِهَا مَا قَدْ مَاتَ، نَافِعَةَ ٱلْحَيَا(١٧٨٤)، كَثِيرَةَ ٱلْمُجْتَنَى، تُرْوِي بِهَا ٱلْقِيعَانَ(١٧٨٥)، وَتُسِيلُ ٱلْبُطْنَانَ(١٧٨٦)، وَتَسْتَوْرِقُ ٱلْأَشْجَارَ(١٧٨٧)، وَتُرْخِصُ ٱلْأَسْعَارَ؛ «إِنَّكَ عَلَىٰ مَا تَشَاءُ قَدِيرٌ».

توضيح: «تحملكم» في بعض النسخ: «تقلكم» على صيغة الإفعال، يقال: «أقلّ الشيء واستقلّه» إذا حمله ورفعه، وكذلك قلّه. و«تظلكم» أيضاً على بناء الإفعال، أي ألقى عليكم ظلّه، والمراد بالسماء السحاب أو معناه الحقيقيّ، لأنّ أصل الأمطار أو بعضها من السماء كما مرّ في الأخبار. و«البركة» النماء والزّيادة.

وجود السماء ببركتها بنزول المطر منها وإعداد الأرضيّات بالشمس والقمر وغيرهما لحصول المنافع منها، وجود الأرض بخروج الحبوب والثمار وغير ذلك منها. و«توجّعت له» أي رثيت له وتألّمت لما أصابه. و«الزلفة» بالضمّ، القربة.

و«إقامتها على حدود المصالح» تسخيرهما للجري على وجه ينفع العباد تشبيهاً بحفظه الثغور ونحوها. و«أقلعت عن الأمر إقلاعاً» تركته. و«زجرته فازدجر» أي نهيته فانتهى. و«درور الرزق» كثرته وعدم انقطاعه ويقال: درّ السماء بالمطر دراً ودروراً فهي مدرار. «ورحمة الخلق» عطف على الدرور: وفي بعض النسخ: و«رحمة للخلق» عطفاً على سبباً.

و«استقبال التوبة» التوجّه إليها عن رغبة وشوق. و«استقالة الخطيئة» طلب

العفو عن المعصية الّتي باع العاصي نفسه وآخرته بها، واشترى العذاب الأليم، تشبيهاً باقالة البيع. و«المبادرة» المسابقة والاسراع إلى العمل قبل أن تأخذه المنيّة و لا يدرك العمل. ويحتمل أن يكون المراد مسابقة الناس إلى المنيّة والإسراع إليها شوقاً لها بأن صاروا مستعدّاً لنزولها بالأعمال الصالحة، كما قال سيّد الساجدين ــ عليه السلام ــ : «وهب لنا من صالح الأعمال عملاً نستبطئ معه المصير إليك ونحرص له على وشك اللحاق بك» . والأوّل أظهر.

و«السِتر» بالكسر، مايستتر به. و«الكِنّ» بالكسر، السترو وقاء كلّ شيء وذكر الخروج من تحت الأستار في مقام الاستعطاف، لأنّ الأستار من شأنها أن لاتفارق إلّا لضرورة شديدة، ففيه دلالة على الاضطرار، أو لأنّ الرحمة تنزل من السماء كما قال اللّه ــ تعالى ــ : «وَفِي السَّماءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ» [٥٦٢]. في البروز لها استعداد للرحمة، أو لأنّ الاجتماع لايتحقّق غالباً إلّا بالخروج، وهو مظنّة الرحمة، وعلى التقادير يدلّ على استحباب الاستسقاء تحت السماء والخروج له إلى البراري.

و«العجيج» الصياح، ورفع البهائم والأطفال أصواتها بالأنين والبكاء مظنّة العطف والرحمة، وفيه إيماء إلى ما ذكره الأصحاب من استحباب إخراج البهائم والأطفال في الاستسقاء، وقد ورد في الحديث القدسيّ: «ولو لا شيوخ ركّع، وبهائم رتّع وصبية رضّع، لصببت عليكم البلاء صبّاً ترضّون به رضّاً».

و«المقاحط» أماكن القحط أو سنوه. و«الجدب» انقطاع المطر. و«أعيتنا» أي أعجزتنا وأتعبتنا. و«التحم القتال» أي اشتبك واختلط. و«حبل متلاحم» أي مشدود الفتل، والفتنة تكون بمعنى العذاب والمحنة. و«الصعب» العسر ونقيض الذلول، و«استصعب عليه الأمر» أي صعب. و «وجم ــ كوعد ــ وجماً ووجوماً» سكت على غيظ، و«وجم الشيء» كرهه. «ولا تخاطبنا بذنوبنا» أي لاتجعل جوابنا الاحتجاج علينا بذنوبنا، أولا تنادنا ولا تدعُنا يا مذنبين! أولا تخاطبنا خطاباً يناسب ذنوبنا.

«ولا تقايسنا بأعمالنا»، «قياس الشيء بالشيء و مقايسته به» تقديره به،

٥٦٢- الذاريات: ٢٢.

والمعنى: لاتجعل فعلك بنا مناسباً ومشابهاً لأعمالنا، ولا تجازنا على قدرها، بل تفضّل علينا بالصفح عن الذنوب ومضاعفة الحسنات. و«أعشبت المطر الأرض» أي أنبتته. و«الناقعة المروية» المسكنة للعطش، و«الحيا» بالفتح والقصر، الخصب والمطر. و«جنى الثمرة واجتناها» أي اقتطفها، و«المجتنى» الثمرة، والمصدر. و«القيعان» جمع «قاع» وهوالمستوى من الأرض. و«البطنان» بالضمّ، جمع «باطن» وهو مسيل الماء والغامض من الأرض. و«الرخص» ضدّ الغلا، يقال: «رخص السعر» ـ ككرم ـ صار رخيصاً، وأرخصه الله.[٥٦٣]

١٤٤ ـ ومن خطبة له عليه السّلام

مبعث الرسل

بَعَثَ ٱللهُ رُسُلَهُ بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ ، وَجَعَلَهُمْ حُجَّةً لَهُ عَلَىٰ خَلْقِهِ ، لِئَلَّا تَجِبَ ٱلْحُجَّةُ لَهُمْ بِتَرْكِ ٱلْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ ، فَدَعَاهُمْ بِلِسَانِ ٱلصِّدْقِ إِلَىٰ سَبِيلِ ٱلْحَقِّ. أَلَا إِنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ قَدْ كَشَفَ ٱلْخَلْقَ(١٧٨٨) كَشْفَةً ؛ لَا أَنَّهُ جَهِلَ مَا أَخْفَوْهُ مِنْ مَصُونِ أَسْرَارِهِمْ وَمَكْنُونِ ضَمَائِرِهِمْ ؛ " وَلٰكِنْ لِيَبْلُوَهُمْ : أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا » ، فَيَكُونَ ٱلثَّوَابُ جَزَاءً ، وَٱلْعِقَابُ بَوَاءً(١٧٨٩)

بيان: قال في النهاية: «الجراحات بواء» أي سواء في القصاص؛ ومنه حديث عليّ ـ عليه السلام ـ : «والعقاب بواء». وأصل البوء اللزوم.[٥٦٤]

٥٦٣- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٩١، كتاب الصلاة، ص ٣١٢.

٥٦٤- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٥، كتاب العدل والمعاد، ص ٣١٦.

فضل اهل البيت

أَيْنَ ٱلَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ دُونَنَا ، كَذِباً وَبَغْياً عَلَيْنَا ، أَنْ رَفَعَنَا ٱللهُ وَوَضَعَهُمْ ، وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ ، وَأَدْخَلَنَا وَأَخْرَجَهُمْ. بِنَا يُسْتَعْطَى ٱلْهُدَىٰ ، وَيُسْتَجْلَى ٱلْعَمَىٰ . إِنَّ ٱلْأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي هٰذَا ٱلْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ ؛ لَا تَصْلُحُ عَلَىٰ سِوَاهُمْ ، وَلَا تَصْلُحُ ٱلْوُلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ .

اهل الضلال

منها : آثَرُوا عَاجِلًا وَأَخَّرُوا آجِلًا ، وَتَرَكُوا صَافِياً ، وَشَرِبُوا آجِناً(١٧٩٠) كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ فَاسِقِهِمْ وَقَدْ صَحِبَ ٱلْمُنكَرَ فَأَلِفَهُ ، وَبَسِئَ بِهِ(١٧٩١) وَوَافَقَهُ ، حَتَّىٰ شَابَتْ عَلَيْهِ مَفَارِقُهُ ، وَصُبِغَتْ بِهِ خَلَائِقُهُ(١٧٩٢) ، ثُمَّ أَقْبَلَ مُزْبِداً كَالتَّيَّارِ لَا يُبَالِي مَا غَرَّقَ ، أَوْ كَوَقْعِ النَّارِ فِي ٱلْهَشِيمِ لَا يَحْفِلُ(١٧٩٣) مَا حَرَّقَ !

أَيْنَ ٱلْعُقُولُ ٱلْمُسْتَصْبِحَةُ بِمَصَابِيحِ ٱلْهُدَىٰ ، وَٱلْأَبْصَارُ ٱللَّامِحَةُ إِلَىٰ مَنَارِ ٱلتَّقْوَىٰ ! أَيْنَ ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي وُهِبَتْ لِلّٰهِ ، وَعُوقِدَتْ عَلَىٰ طَاعَةِ ٱللهِ ! ٱزْدَحَمُوا عَلَىٰ ٱلْحُطَامِ(١٧٩٤) ، وَتَشَاحُّوا عَلَىٰ ٱلْحَرَامِ ؛ وَرُفِعَ لَهُمْ عَلَمُ ٱلْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَصَرَفُوا عَنِ ٱلْجَنَّةِ وُجُوهَهُمْ ، وَأَقْبَلُوا إِلَىٰ النَّارِ بِأَعْمَالِهِمْ ؛ وَدَعَاهُمْ رَبُّهُمْ فَنَفَرُوا وَوَلَّوْا ، وَدَعَاهُمُ الشَّيْطَانُ فَاسْتَجَابُوا وَأَقْبَلُوا !

إيضاح: الكشف أُريد به هنا الابتلاء الّذي هو سببه. وقال في النّهاية: «الجراحات بواء» أي سواء في القصاص، منه حديث عليّ ــ عليه السلام ــ: «والعقاب بواء» وأصل البوء اللزوم.

«أين الّذين زعموا» أي الخلفاء الجائرون المتقدّمون. قوله ــ عليه السلام ــ «أن رفعنا الله» تعليل لدعوتهم الكاذبة، أي كانت العلّة الحاملة لهم على هذا الكذب أنّ الله رفع قدرنا في الدنيا والآخرة وأعطانا أي الملك والنبوّة وأدخلنا أي في دار قربه وعناياته الخاصّة. و«أن» هيهنا للتعليل أي لأنّ، فحذف اللام؛ ويحتمل أن يكون المعنى: أين الّذين زعموا عن أن يروا أن رفعنا الله وأورثنا الخلافة ووضعهم بأخذهم بأعمالهم السيّئة. و«البطن» مادون القبيلة وفوق الفخذ. قوله ــ عليه السلام ــ «لا تصلح على سواهم» أي لايكون لها صلاح على يد غيرهم، ولا يكون الولاة من غيرهم صالحين. و«الآجن» الماء المتغيّر. قوله ــ عليه السلام ــ «كأنّي أنظر» قال ابن أبي الحديد: هو إشارة إلى قوم يأتي من الخلف بعد السلف.[٥٦٥] قيل: والأظهر أنّ المراد بهم من تقدّم ذكرهم من الخلفاء وغيرهم من ملاعين الصحابة، كما قال ــ عليه السلام ــ في الفصل السابق: «أين الّذين زعموا» فيكون قوله ــ عليه السلام ــ «كأنّي أنظر» إشارة إلى ظهور اتّصافهم بالصفات حتّى كأنّه يراه عياناً.

و قال في النّهاية: «بسأت» بفتح السين وكسرها، أي اعتادت واستأنست. «شابت عليه مفارقه» أي ابيضّ شعره وفنى عمره في صحبته المنكر. «وصبغت به خلائقه» أي صار المنكر عادته حتّى تلوّنت خلائقه به. «والتيّار» موج البحر ولجّته، وكلمة «ثمّ» للترتيب الحقيقيّ أو الذكريّ، ولعلّ المراد بالفاسق عمر. وقوله ــ عليه السلام ــ «لا يحفل» أي لايبالي. و«اللامحة» الناظرة.[٥٦٦]

٥٦٥- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٩، ص ٨٩، ط بيروت.

٥٦٦- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ١٧٨، ط كمپاني وص ١٧٢، ط تبريز.

١٤٥ — ومن خطبة له عليه السلام

فناء الدنيا

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّمَا أَنْتُمْ فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ(١٧٩٥) فِيهِ الْمَنَايَا ، مَعَ كُلِّ جَرْعَةٍ شَرَقٌ ، وَفِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ ! لَا تَنَالُونَ مِنْهَا نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقِ أُخْرَىٰ ، وَلَا يُعَمَّرُ مُعَمَّرٌ مِنْكُمْ يَوْماً مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا بِهَدْمِ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ ، وَلَا تُجَدَّدُ لَهُ زِيَادَةٌ فِي أَكْلِهِ إِلَّا بِنَفَادِ مَا قَبْلَهَا مِنْ رِزْقِهِ ؛ وَلَا يَحْيَا لَهُ أَثَرٌ ، إِلَّا مَاتَ لَهُ أَثَرٌ ؛ وَلَا يَتَجَدَّدُ لَهُ جَدِيدٌ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَخْلَقَ(١٧٩٦) لَهُ جَدِيدٌ ؛ وَلَا تَقُومُ لَهُ نَابِتَةٌ إِلَّا وَتَسْقُطُ مِنْهُ مَحْصُودَةٌ . وَقَدْ مَضَتْ أُصُولٌ نَحْنُ فُرُوعُهَا ، فَمَا بَقَاءُ فَرْعٍ بَعْدَ ذَهَابِ أَصْلِهِ !

ذم البدعة

منها : وَمَا أُحْدِثَتْ بِدْعَةٌ إِلَّا تُرِكَ بِهَا سُنَّةٌ . فَاتَّقُوا الْبِدَعَ ، وَالْزَمُوا الْمَهْيَعَ(١٧٩٧) . إِنَّ عَوَازِمَ الْأُمُورِ(١٧٩٨) أَفْضَلُهَا ، وَإِنَّ مُحْدِثَاتِهَا شِرَارُهَا .

١٤٦ — ومن كلام له عليه السلام

وقد استشاره عمر بن الخطاب في الشخوص لقتال الفرس بنفسه

إِنَّ هٰذَا الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ نَصْرُهُ وَلَا خِذْلَانُهُ بِكَثْرَةٍ وَلَا بِقِلَّةٍ . وَهُوَ

دِينُ ٱللهِ الَّذِي أَظْهَرَهُ ، وَجُنْدُهُ الَّذِي أَعَدَّهُ وَأَمَدَّهُ ، حَتَّىٰ بَلَغَ مَا بَلَغَ ، وَطَلَعَ حَيْثُ طَلَعَ ؛ وَنَحْنُ عَلَىٰ مَوْعُودٍ مِنَ ٱللهِ ، وَٱللهُ مُنْجِزٌ وَعْدَهُ ، وَنَاصِرٌ جُنْدَهُ. وَمَكَانُ ٱلْقَيِّمِ (١٧٩٩) بِالْأَمْرِ مَكَانُ النِّظَامِ (١٨٠٠) مِنَ ٱلْخَرَزِ يَجْمَعُهُ وَيَضُمُّهُ : فَإِنِ ٱنْقَطَعَ النِّظَامُ تَفَرَّقَ ٱلْخَرَزُ وَذَهَبَ ، ثُمَّ لَمْ يَجْتَمِعْ بِحَذَافِيرِهِ (١٨٠١) أَبَداً. وَٱلْعَرَبُ ٱلْيَوْمَ ، وَإِنْ كَانُوا قَلِيلًا ، فَهُمْ كَثِيرُونَ بِٱلْإِسْلَامِ ، عَزِيزُونَ بِالِاجْتِمَاعِ ! فَكُنْ قُطْباً ، وَٱسْتَدِرِ الرَّحَا بِٱلْعَرَبِ ، وَأَصْلِهِمْ دُونَكَ نَارَ ٱلْحَرْبِ ، فَإِنَّكَ إِنْ شَخَصْتَ (١٨٠٢) مِنْ هٰذِهِ ٱلْأَرْضِ ٱنْتَقَضَتْ عَلَيْكَ ٱلْعَرَبُ مِنْ أَطْرَافِهَا وَأَقْطَارِهَا ، حَتَّىٰ يَكُونَ مَا تَدَعُ وَرَاءَكَ مِنَ ٱلْعَوْرَاتِ أَهَمَّ إِلَيْكَ مِمَّا بَيْنَ يَدَيْكَ .

إِنَّ ٱلْأَعَاجِمَ إِنْ يَنْظُرُوا إِلَيْكَ غَداً يَقُولُوا : هٰذَا أَصْلُ ٱلْعَرَبِ ، فَإِذَا ٱقْتَطَعْتُمُوهُ ٱسْتَرَحْتُمْ ، فَيَكُونُ ذٰلِكَ أَشَدَّ لِكَلَبِهِمْ عَلَيْكَ ، وَطَمَعِهِمْ فِيكَ . فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ مَسِيرِ ٱلْقَوْمِ إِلَىٰ قِتَالِ ٱلْمُسْلِمِينَ ، فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ هُوَ أَكْرَهُ لِمَسِيرِهِمْ مِنْكَ ، وَهُوَ أَقْدَرُ عَلَىٰ تَغْيِيرِ مَا يَكْرَهُ . وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ عَدَدِهِمْ ، فَإِنَّا لَمْ نَكُنْ نُقَاتِلُ فِيمَا مَضَىٰ بِٱلْكَثْرَةِ ، وَإِنَّمَا كُنَّا نُقَاتِلُ بِالنَّصْرِ وَٱلْمَعُونَةِ !

بيان: قال ابن أبي الحديد: قد اختلف في الحال الّذي قاله أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ ، فقيل: قاله في غزاة القادسيّة، وقيل: في غزاة نهاوند. ذهب إلى

الأخير محمّدبن جرير، و إلى الأوّل المدائنيّ.[٥٦٧]

و«نظام العقد» الخيط الجامع له. «بجذافيره» أي بأسره أو بجوانبه أو بأعاليه.

قوله ــ عليه السلام ــ «وأصلهم» أي اجعلهم صالين لها، يقال: «صليت اللحم» إذا شويته، أو ألقهم في نار الحرب دونك، أو من «صلى فلان بالأمر» إذا قاسى حرّها وشدّتها. و«العورات» الخلل في الثغر وغيره وكلّ مكمن للستر. «لكلبهم» أي لحرصهم وشدّتهم. قوله ــ عليه السلام ــ «فأمّا ماذكرت» جواب لما قال عمر: إنّ هؤلاء الفرس قد قصدوا المسير إلى المسلمين وأنا أكره أن يغزونا قبل أن نغزوهم. ثمّ اعلم أنّ هذا الكلام وما تقدّم يدلّ [على] أنّهم كانوا محتاجين إليه ــ عليه السلام ــ في التدبير و إصلاح الأمور الّتي يتوقّف عليها الرياسة والخلافة؛ فهو ــ عليه السلام ــ كان أحقّ بها وأهلها، وكانوا هم الغاصبين حقّه. وأمّا إراءتهم مصالحهم فلا يدلّ على كونهم على الحقّ لأنّ ذلك كان لمصلحة الإسلام والمسلمين لا لمصلحة الغاصبين؛ وجميع تلك الأمور كان حقّه ــ عليه السلام ــ قولاً وفعلاً وتدبيراً، فكان يلزمه القيام بما يمكنه من تلك الأمور ولا يسقط الميسور بالمعسور.[٥٦٨]

١٤٧ ــ ومن خطبة له عليه السلام

الغاية من البعثة

فَبَعَثَ ٱللهُ مُحَمَّداً ، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، بِٱلْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ ٱلْأَوْثَانِ إِلَىٰ عِبَادَتِهِ ، وَمِنْ طَاعَةِ ٱلشَّيْطَانِ إِلَىٰ طَاعَتِهِ ، بِقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَهُ وَأَحْكَمَهُ ، لِيَعْلَمَ ٱلْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ ، وَلِيُقِرُّوا بِهِ بَعْدَ إِذْ

٥٦٧- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٩، ص ٩٦ ــ ٩٧، ط بيروت.

٥٦٨- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٣١٧، ط كمپاني وص ٣٠٠، ط تبريز.

جَحَدُوهُ ، وَلِيُثْبِتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ . فَتَجَلَّى لَهُمْ سُبْحَانَهُ[١٨٠٣] فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ ، وَخَوَّفَهُمْ مِنْ سَطْوَتِهِ ، وَكَيْفَ مَحَقَ مَنْ مَحَقَ بِالْمَثُلَاتِ[١٨٠٤] . وَاحْتَصَدَ مَنِ احْتَصَدَ بِالنَّقِمَاتِ!

بيان: «أحكمه» أي أتقنه ومنعه من الفساد لفظاً ومعنى. «وليقرّوا به» أي باللسان. «وليثبتوه» أي بالقلب. «فتجلّى ــ سبحانه ــ لهم» أي ظهرو انكشف بما نبّههم عليه فيه من آيات القدرة والقصص. وقيل: المراد بالكتاب عالم الايجاد لاشتماله على آثار الصنع. و«محق الشيء» أبطله ومحاه. و«الاحتصاد» قطع الزرع وهنا كناية عن استئصالهم.[٥٦٩]

الزمان المقبل

وَإِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَخْفَى مِنَ الْحَقِّ ، وَلَا أَظْهَرَ مِنَ الْبَاطِلِ ، وَلَا أَكْثَرَ مِنَ الْكَذِبِ عَلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ؛ وَلَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذٰلِكَ الزَّمَانِ سِلْعَةٌ أَبْوَرَ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ، وَلَا أَنْفَقَ مِنْهُ[١٨٠٥] إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ؛ وَلَا فِي الْبِلَادِ شَيْءٌ أَنْكَرَ مِنَ الْمَعْرُوفِ ، وَلَا أَعْرَفَ مِنَ الْمُنْكَرِ ! فَقَدْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَمَلَتُهُ ، وَتَنَاسَاهُ حَفَظَتُهُ : فَالْكِتَابُ يَوْمَئِذٍ وَأَهْلُهُ طَرِيدَانِ مَنْفِيَّانِ ، وَصَاحِبَانِ مُصْطَحِبَانِ فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ لَا يُؤْوِيهِمَا مُؤْوٍ . فَالْكِتَابُ وَأَهْلُهُ فِي ذٰلِكَ الزَّمَانِ فِي النَّاسِ وَلَيْسَا فِيهِمْ ، وَمَعَهُمْ وَلَيْسَا مَعَهُمْ ! لِأَنَّ الضَّلَالَةَ لَا تُوَافِقُ

٥٦٩- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١٨، كتاب تاريخ نبيّنا ــ صلّى الله عليه وآله ــ، ص ٢٢١.

ٱلْهُدَىٰ ، وَإِنِ ٱجْتَمَعَا. فَٱجْتَمَعَ ٱلْقَوْمُ عَلَىٰ ٱلْفُرْقَةِ ، وَٱفْتَرَقُوا عَلَىٰ ٱلْجَمَاعَةِ ، كَأَنَّهُمْ أَئِمَّةُ ٱلْكِتَابِ وَلَيْسَ ٱلْكِتَابُ إِمَامَهُمْ ، فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلَّا ٱسْمُهُ ، وَلَا يَعْرِفُونَ إِلَّا خَطَّهُ وَزَبْرَهُ(١٨٠٦) . وَمِنْ قَبْلُ مَا مَثَّلُوا(١٨٠٧) بِالصَّالِحِينَ كُلَّ مُثْلَةٍ ، وَسَمَّوْا صِدْقَهُمْ عَلَىٰ ٱللهِ فِرْيَةً(١٨٠٨) ، وَجَعَلُوا فِي ٱلْحَسَنَةِ عُقُوبَةَ ٱلسَّيِّئَةِ .

وَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ آمَالِهِمْ وَتَغَيُّبِ آجَالِهِمْ ، حَتَّىٰ نَزَلَ بِهِمُ ٱلْمَوْعُودُ(١٨٠٩) ٱلَّذِي تُرَدُّ عَنْهُ ٱلْمَعْذِرَةُ ، وَتُرْفَعُ عَنْهُ ٱلتَّوْبَةُ ، وَتَحُلُّ مَعَهُ ٱلْقَارِعَةُ(١٨١٠) وَٱلنِّقْمَةُ .

عظة الناس

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ، إِنَّهُ مَنِ ٱسْتَنْصَحَ ٱللهَ وُفِّقَ ، وَمَنِ ٱتَّخَذَ قَوْلَهُ دَلِيلًا هُدِيَ « لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ » ؛ فَإِنَّ جَارَ ٱللهِ آمِنٌ ، وَعَدُوَّهُ خَائِفٌ ؛ وَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ ٱللهِ أَنْ يَتَعَظَّمَ ، فَإِنَّ رِفْعَةَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا عَظَمَتُهُ أَنْ يَتَوَاضَعُوا لَهُ ، وَسَلَامَةَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا قُدْرَتُهُ أَنْ يَسْتَسْلِمُوا لَهُ . فَلَا تَنْفِرُوا مِنَ ٱلْحَقِّ نِفَارَ ٱلصَّحِيحِ مِنَ ٱلْأَجْرَبِ ، وَٱلْبَارِي(١٨١١) مِنْ ذِي ٱلسَّقَمِ(١٨١٢) . وَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا ٱلرُّشْدَ حَتَّىٰ تَعْرِفُوا ٱلَّذِي تَرَكَهُ ، وَلَنْ تَأْخُذُوا بِمِيثَاقِ ٱلْكِتَابِ حَتَّىٰ تَعْرِفُوا ٱلَّذِي نَقَضَهُ ، وَلَنْ تَمَسَّكُوا بِهِ حَتَّىٰ تَعْرِفُوا ٱلَّذِي نَبَذَهُ . فَٱلْتَمِسُوا ذٰلِكَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ ،

فَإِنَّهُمْ عَيْشُ ٱلْعِلْمِ ، وَمَوْتُ ٱلْجَهْلِ . هُمُ ٱلَّذِينَ يُخْبِرُكُمْ حُكْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ مَنْطِقِهِمْ ، وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ ؛ لَا يُخَالِفُونَ ٱلدِّينَ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ ؛ فَهُوَ بَيْنَهُمْ شَاهِدٌ صَادِقٌ ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ .

بيان: «أحكمه» أي أتقنه، وقيل في قوله ــ تعالى ــ : «كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ» ٥٧٠ أي أُحفظت من فساد المعنى و ركاكته؛ ويمكن أن يكون المراد بالإقرار الإقرار باللسان، و بالإثبات التصديق بالقلب. و«تجلّى لهم» أي ظهر وانكشف، وربّما يفسّر الكتاب هنا بعالم الإيجاد. و«المحق» النقص والمحو والإبطال. و«المثلات» العقوبات. قوله ــ عليه السلام ــ «واحتصد» في بعض النسخ بالمهملتين في الموضعين من الحصاد وهو قطع الزّرع والنبات، فهو كناية عن استئصالهم، وفي بعضها بالمعجمتين من «اختضد البعير» أي خطمه ليذلّ، والأوّل أظهر.

و«البوار» الهلاك وكساد السوق. وتلاوة الكتاب إمّا بمعنى قراءته أو متابعته فإنّ من اتّبع غيره يقال: تلاه، والتحريف بالثاني أنسب. و يقال: «تناساه» إذا أرى من نفسه أنّه نسيه. و«نفى الشيء» أي نحّاه أو جحده. و«الطرد» الإبعاد. وأهل الكتاب أئمّة الدين وأتباعهم العالمون بالكتاب العاملون به.

قوله ــ عليه السلام ــ «لأنّ الضلالة» أي ضلالتهم مضادّة لهدى الكتاب فلم يجتمعا حقيقة و إن اجتمعا ظاهراً. و«الزبر» بالفتح، الكتابة، و بالكسر الكتاب. قوله ــ عليه السلام ــ «ومن قبل» أي من قبل ذلك الزمان و إن كان بعده ــ عليه السلام ــ. «مامثّلوا» بالتخفيف والتشديد، أي نكلوا. والظرف أعني قوله «على الله» متعلّق بالفرية، ويحتمل تعلّقه بالصدق. والمراد بتغيّب آجالهم نسيانهم إيّاها وترك استعدادهم لها ولما بعدها. و«الموعود» الموت فإنّه لا تقبل فيه معذرة وعند نزوله توبة. و«القارعة» المصيبة الّتي تقرع أي تلق بشدّة وقوّة.

قوله ــ عليه السلام ــ «من استنصح الله» قال في النهاية: أي اتّخذه ناصحاً.

٥٧٠- هود: ١.

انتهى. والاعتقاد بكونه ـ تعالى ـ ناصحاً وأنّه لايريد للعبد إلّا ما هوخير له يوجب التوفيق بالرغبة في العمل بكلّ ما أمر، والانتهاء عمّا نهى عنه.

قوله ـ عليه السلام ـ «للّتي هي أقوم» أي للحالة والطريقة الّتي اتباعها وسلوكها أقوم. «فإنّ جار الله» أي من أجاره الله أو من كان قريباً منه. وفي بعض النسخ: «عظمته وقدرته» بالنصب، فكلمة «ما» فيهما زائدة. قوله ـ عليه السلام ـ «حتّى تعرفوا الّذي تركه» الغرض منه وممّا بعده التنفير من أئمّة الضلال والتنبيه على وجوب البراءة منهم.

«فإنهم عيش العلم» أي أسباب حياته. قوله ـ عليه السلام ـ «وصمتهم عن منطقهم» فإنّ لصمتهم وقتاً وهيئة وحالة تكون قرائن دالّة على حسن منطقهم لو نطقوا. قوله ـ عليه السلام ـ «ولا يختلفون فيه» أي لايخالف بعضهم بعضاً فيكون البعض مخالفاً للحقّ. «فهو بينهم» الضمير راجع إلى الدين. «شاهد صادق» أي يأخذون بما حكم به ودلّ عليه. و«صامت» لأنّه لاينطق في الظاهر. «ناطق» بلسان أهله والعالم به.[٥٧١]

١٤٨ ــ ومن كلام له عليه السلام

في ذكر أهل البصرة

كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرْجُو ٱلْأَمْرَ لَهُ، وَيَعْطِفُهُ عَلَيْهِ دُونَ صَاحِبِهِ، لَا يَمُتَّانِ[١٨١٣] إِلَى ٱللهِ بِحَبْلٍ، وَلَا يَمُدَّانِ إِلَيْهِ بِسَبَبٍ[١٨١٤]. كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَامِلُ ضَبٍّ[١٨١٥] لِصَاحِبِهِ، وَعَمَّا قَلِيلٍ يُكْشَفُ قِنَاعُهُ بِهِ! وَٱللهِ لَئِنْ أَصَابُوا ٱلَّذِي يُرِيدُونَ لَيَنْتَزِعَنَّ هٰذَا نَفْسَ هٰذَا، وَلَيَأْتِيَنَّ هٰذَا عَلَى

٥٧١ـ بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٧١٧، ط كمپاني وص ٦٦٤، ط تبريز.

هٰذَا . قَدْ قَامَتِ ٱلْفِئَةُ ٱلْبَاغِيَةُ ، فَأَيْنَ ٱلْمُحْتَسِبُونَ (١٨١٦) ! فَقَدْ سُنَّتْ لَهُمُ السُّنَنُ ، وَقُدِّمَ لَهُمُ ٱلْخَبَرُ . وَلِكُلِّ ضَلَّةٍ عِلَّةٌ ، وَلِكُلِّ نَاكِثٍ شُبْهَةٌ . وَٱللهِ لَا أَكُونُ كَمُسْتَمِعِ ٱللَّدْمِ (١٨١٧) ، يَسْمَعُ النَّاعِيَ ، وَيَحْضُرُ ٱلْبَاكِيَ ، ثُمَّ لَا يَعْتَبِرُ !

إيضاح: «كلّ واحد منها» أي طلحة والزبير. «لايمتّان» قال في النهاية: «المتّ» التوسّل والتوصّل بحرمة أو قرابة أو غير ذلك؛ وقال: «السبب» في الأصل الحبل الّذي يتوصّل به إلى ماء، ثمّ استعير لكلّ ما يتوصّل به إلى شيء كقوله ـ تعالى ـ: «وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبابُ» ٥٧٢ أي الوصل والمودات؛ وقال: «الضبّ» الغضب والحقد. والظاهر أنّ الضمير المجرور في «قناعه» راجع إلى كلّ واحد منها، والباء في «به» للسببيّة، والضمير للضبّ. «يكشف قناعه» الّذي استتر به و يظهر حاله بسبب حقده و بغضه.

«فأين المحتسبون» أي العاملون لله والطالبون للأجر، و يقال أيضاً: «احتسب عليه» أي أنكر، وتقديم الخبر هو إخبار النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين. وضمير «لهم» في الموضعين للمحتسبين أو للفئة الباغية. وعلّة ضلّتهم هي البغي والحسد. وشبهتهم في نكث البيعة الطلب بدم عثمان كما قيل، أو المعنى: أنّ لكلّ ضلالة غالباً علّة ولكلّ ناكث شبهة بخلاف هؤلاء فإنّهم يعدلون عن الحقّ مع وضوحه بغير عذر وشبهة.

و«مستمع اللدم» الضبع وهو صوت الحجر يضرب به الأرض أو حيلة يفعلها الصائد عند باب جحرها فتنام ولا تتحرّك حتّى يجعل الحبل في عرقوبها فيخرجها. والمعنى: لا أغترّ و لا أغفل عن كيد الأعداء فأستمع الناعي بقتل طائفة من المسلمين ويحضر الباكي على قتلاهم فلا أحاربهم حتّى يحيطوا بي. وقيل: لا أكون كمن يسمع

٥٧٢- البقرة: ١٦٦.

الضرب والبكاء ثمّ لايصدّق حتّى يجيء لمشاهدة الحال. قال الجوهريّ: «اللدم» ضرب المرأة صدرها و عضديها في النياحة.٥٧٣

١٤٩ – ومن كلام له عليه السلام

قبل موته

أَيُّهَا النَّاسُ ، كُلُّ آمْرِىءٍ لَاقٍ مَا يَفِرُّ مِنْهُ فِي فِرَارِهِ. اَلْأَجَلُ مَسَاقُ النَّفْسِ (١٨١٨) . وَالْهَرَبُ مِنْهُ مُوَافَاتُهُ . كَمْ أَطْرَدْتُ (١٨١٩) اَلْأَيَّامَ أَبْحَثُهَا عَنْ مَكْنُونِ هٰذَا ٱلْأَمْرِ ، فَأَبَى ٱللهُ إِلَّا إِخْفَاءَهُ . هَيْهَاتَ ! عِلْمٌ مَخْزُونٌ ! أَمَّا وَصِيَّتِي : فَاللهَ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ، وَمُحَمَّداً صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَلَا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ. أَقِيمُوا هٰذَيْنِ ٱلْعَمُودَيْنِ ، وَأَوْقِدُوا هٰذَيْنِ ٱلْمِصْبَاحَيْنِ ، وَخَلَاكُمْ ذَمٌّ (١٨٢٠) مَا لَمْ تَشْرُدُوا (١٨٢١) . حُمِّلَ كُلُّ آمْرِىءٍ مِنْكُمْ مَجْهُودَهُ ، وَخُفِّفَ عَنِ ٱلْجَهَلَةِ . رَبٌّ رَحِيمٌ ، وَدِينٌ قَوِيمٌ ، وَإِمَامٌ عَلِيمٌ . أَنَا بِٱلْأَمْسِ صَاحِبُكُمْ ، وَأَنَا ٱلْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ ، وَغَداً مُفَارِقُكُمْ ! غَفَرَ ٱللهُ لِي وَلَكُمْ !

إِنْ تَثْبُتِ ٱلْوَطْأَةُ (١٨٢٢) فِي هٰذِهِ ٱلْمَزَلَّةِ (١٨٢٣) فَذَاكَ ، وَإِنْ تَدْحَضِ (١٨٢٤) ٱلْقَدَمُ فَإِنَّا كُنَّا فِي أَفْيَاءِ (١٨٢٥) أَغْصَانٍ ، وَمَهَابِّ رِيَاحٍ ، وَتَحْتَ ظِلِّ

٥٧٣- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٤٠٨، ط كمپاني وص ٣٨٢، ط تبريز.

غمَام ، اَضْمحلَّ فِي الْجوِّ مُتلَفَّقُهَا[١٨٢٦] ، وَعفَا[١٨٢٧] فِي الْأَرْضِ مَخَطُّهَا[١٨٢٨] .
وَإِنَّمَا كُنْتُ جَاراً جَاوَرَكُم بَدَنِي أَيَّاماً ، وَسَتُعْقَبُونَ مِنِّي جُثَّةً خَلاءً[١٨٢٩] :
سَاكِنَةً بَعْدَ حَرَاكٍ ، وَصَامِتَةً بَعْدَ نُطْقٍ. لِيَعِظْكُمْ هُدُوِّي . وَخُفُوتُ[١٨٣٠]
إِطْرَاقِي . وَسُكُونُ أَطْرَافِي[١٨٣١] ، فَإِنَّهُ أَوْعَظُ لِلْمُعْتَبِرِينَ مِنَ الْمَنْطِقِ
الْبَلِيغِ وَالْقَوْلِ الْمَسْمُوعِ . وَدَاعِي لَكُمْ وَدَاعُ امْرِىءٍ مُرْصِدٍ[١٨٣٢]
لِلتَّلَاقِي! غَداً تَرَوْنَ أَيَّامِي ، وَيُكْشَفُ لَكُمْ عَنْ سَرَائِرِي . وَتَعْرِفُونَنِي
بَعْدَ خُلُوِّ مَكَانِي وَقِيَامِ غَيْرِي مَقَامِي .

١٥٠ — ومن خطبة له عليه السلام

يومي فيها إلى الملاحم ويصف فئة من أهل الضلال

وَأَخَذُوا يَمِيناً وَشِمَالاً ظَعْناً فِي مَسَالِكِ الْغَيِّ ، وَتَرْكاً لِمَذَاهِبِ الرُّشْدِ.
فَلَا تَسْتَعْجِلُوا مَا هُوَ كَائِنٌ مُرْصَدٌ . وَلَا تَسْتَبْطِئُوا مَا يَجِيءُ بِهِ الْغَدُ .
فَكَمْ مِنْ مُسْتَعْجِلٍ بِمَا إِنْ أَدْرَكَهُ وَدَّ أَنَّهُ لَمْ يُدْرِكْهُ . وَمَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ
مِنْ تَبَاشِيرِ[١٨٣٣] غَدٍ! يَا قَوْمِ ، هٰذَا إِبَّانُ[١٨٣٤] وُرُودِ كُلِّ مَوْعُودٍ .
وَدُنُوٌّ[١٨٣٥] مِنْ طَلْعَةِ مَا لَا تَعْرِفُونَ . أَلَا وَإِنَّ مَنْ أَدْرَكَهَا مِنَّا يَسْرِي فِيهَا
بِسِرَاجٍ مُنِيرٍ ، وَيَحْذُو فِيهَا عَلَى مِثَالِ الصَّالِحِينَ ، لِيَحُلَّ فِيهَا

رِبْقاً[١٨٣٦] ، وَيُعْتِقَ فِيهَا رِقًّا ، وَيَصْدَعَ شَعْباً[١٨٣٧] ، وَيَشْعَبَ صَدْعاً[١٨٣٨] ، فِي سُتْرَةٍ عَنِ النَّاسِ لَا يُبْصِرُ ٱلْقَائِفُ[١٨٣٩] أَثَرَهُ وَلَوْ تَابَعَ نَظَرَهُ . ثُمَّ لَيُشْحَذَنَّ[١٨٤٠] فِيهَا قَوْمٌ شَحْذَ ٱلْقَيْنِ النَّصْلَ[١٨٤١] . تُجْلَىٰ بِالتَّنْزِيلِ أَبْصَارُهُمْ ، وَيُرْمَىٰ بِالتَّفْسِيرِ فِي مَسَامِعِهِمْ ، وَيُغْبَقُونَ كَأْسَ ٱلْحِكْمَةِ بَعْدَ الصَّبُوحِ[١٨٤٢] !

بيان: «مرصد» أي مترقب مايجيء به الغد من الفتن والوقايع. «من تباشير غد» أي أوائله أو من البشرى به. و«الإبّان» الوقت والزمان. «يسري» من «السرى» السير بالليل. و«الربق» الخيط. و«القائف» الّذي يتتبّع الآثار. «ولو تابع نظره» أي ولو استقصى في الطلب وتابع النظر والتأمّل. و«شحذت السكّين» حددته، أي ليحرّضنّ في هذه الملاحم قوم على الحرب و يشحذ عزائمهم في قتل أهل الضلال كما يشحذ الحدّاد النصل كالسيف وغيره. قوله ــ عليه السلام ــ «يجلي بالتنزيل» أي يكشف الرين والغطاء عن قلوبهم بتلاوة القرآن وإلهامهم تفسيره ومعرفة أسراره. و«الغبوق» الشرب بالعشيّ مقابل الصبوح.[٥٧٤]

في الضلال

منها : وَطَالَ ٱلْأَمَدُ بِهِمْ لِيَسْتَكْمِلُوا ٱلْخِزْيَ ، وَيَسْتَوْجِبُوا ٱلْغِيَرَ[١٨٤٣] ؛ حَتَّىٰ إِذَا ٱخْلَوْلَقَ ٱلْأَجَلُ[١٨٤٤] ، وَٱسْتَرَاحَ قَوْمٌ إِلَىٰ ٱلْفِتَنِ ، وَأَشَالُوا[١٨٤٥] عَنْ لَقَاحِ حَرْبِهِمْ ، لَمْ يَمُنُّوا عَلَىٰ ٱللهِ بِالصَّبْرِ ، وَلَمْ يَسْتَعْظِمُوا بَذْلَ أَنْفُسِهِمْ فِي ٱلْحَقِّ ؛ حَتَّىٰ إِذَا وَافَقَ وَارِدُ ٱلْقَضَاءِ ٱنْقِطَاعَ مُدَّةِ ٱلْبَلَاءِ ،

٥٧٤- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٥١، كتاب تاريخ الإمام الثاني عشر ــ عليه السّلام ــ، ص ١١٦ ــ ١١٧.

حَمَلُوا بَصَائِرَهُمْ عَلَىٰ أَسْيَافِهِمْ (١٨٤٦)، وَدَانُوا لِرَبِّهِمْ بِأَمْرِ وَاعِظِهِمْ؛ حَتَّىٰ إِذَا قَبَضَ ٱللهُ رَسُولَهُ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، رَجَعَ قَوْمٌ عَلَىٰ ٱلْأَعْقَابِ، وَغَالَتْهُمُ السُّبُلُ، وَٱتَّكَلُوا عَلَىٰ ٱلْوَلَائِجِ (١٨٤٧)، وَوَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ، وَهَجَرُوا السَّبَبَ ٱلَّذِي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ، وَنَقَلُوا ٱلْبِنَاءَ عَنْ رَصِّ أَسَاسِهِ، فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ. مَعَادِنُ كُلِّ خَطِيئَةٍ، وَأَبْوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ فِي غَمْرَةٍ (١٨٤٨). قَدْ مَارُوا (١٨٤٩) فِي ٱلْحَيْرَةِ، وَذَهَلُوا فِي السَّكْرَةِ، عَلَىٰ سُنَّةٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ: مِنْ مُنْقَطِعٍ إِلَى الدُّنْيَا رَاكِنٍ، أَوْ مُفَارِقٍ لِلدِّينِ مُبَايِنٍ.

بيان: نصب «ظعناً» و«تركاً» على المصدر، والعامل فيهما من غير لفظهما، أو مصدران قاما مقام الفاعل. قوله ــ عليه السلام ــ «مرصد» على المفعول، أي مترقب معدّ لابدّ من كونه. و«تباشير كلّ شيء» أوائله. و «إبّان الشيء» بالكسر والتشديد، وقته وزمانه، ولعلّه إشارة إلى ظهور القائم ــ عليه السلام ــ .قوله ــ عليه السلام ــ «إنّ من أدركها منّا» أي قائم آل محمّد ــ صلّى الله عليه وآله ــ . و«سرى ــ كضرب ــ وأسرى» أي سار بالليل. و«الربق» بالفتح[575]، شدّ الشاة بالربق وهو الخيط.[576] و«الصدع» التفريق والشقّ. و«الشعب» الجمع.

قوله ــ عليه السلام ــ «في سترة» أشار ــ عليه السلام ــ به إلى غيبة القائم ــ عليه السلام ــ . و«القائف» الّذي يتتبّع الآثار و يعرفها. و«شحذت السكّين» حددته، أي ليحرّضنّ في تلك الملاحم قوم على الحرب و يشحذ عزائمهم في قتل أهل الضلال كما يشحذ القين ــ وهو الحدّاد ــ النصل كالسيف وغيره. و«تجلى بالتنزيل» أى يكشف الرين والغطاء عن قلوبهم بتلاوة القرآن وإلهامهم تفسيره ومعرفة أسراره

٥٧٥- في النهج: «ربقاً» بالكسر، أي حبلاً معقوداً.

٥٧٦- كذا، والصواب: الحبل.

وكشف الغطاء عن مسامع قلوبهم. و«الغبوق» الشرب بالعشيّ، تقول: «غبقت الرجل أغبقه ـ بالضمّ ـ فاغتبق هو» أي تفاض عليهم المعارف صباحاً ومساءً، والقوم أصحاب القائم ـ عليه السلام ـ.

قوله ـ عليه السلام ـ «وطال الأمدبهم» هذا متّصل بكلام قبله لم يذكره السيّد ـ رضي الله عنه ـ. و«الأمد» الغاية. و«الغير» اسم من قولك «غيّرت الشيء فتغيّر» أي تغيّر الحال وانتقالها من الصلاح إلى الفساد. و«اخلولق الأجل» أي قرب انقضاء أمرهم، من «اخلولق السحاب» أي استوى وصار خليقاً بأن يمطر، و«اخلولق الرسم» استوى بالأرض. و«استراح قوم» أي مال قوم من شيعتنا إلى هذه الفئة الضالّة واتّبعوها تقيّة أو لشبهة دخلت عليهم. و«أشالوا»[٥٧٧] أي رفعوا أيديهم وسيوفهم. واستعار «اللقاح» بفتح اللام لإثارة الحرب لشبهها بالناقة.

وقوله ـ عليه السلام ـ «إذا قبض الله» لعلّه منقطع عمّا قبله إلّا أن يحمل من طال الأمد بهم في الكلام المتقدّم على من كان أهل الضلال قبل الإسلام، ولايخفى بعده. وبالجملة، الكلام صريح في شكايته ـ عليه السلام ـ عن الّذين غصبوا الخلافة منه. و«غالتهم السبل» أي أهلكتهم. و«وصلوا غيرالرحم» أي رحم الرسول ـ صلّى الله عليه وآله ـ. والسبب الّذي أُمروا بمودّته أهل البيت ـ عليهم السلام ـ كما قال النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ: «خلّفت فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي، حبلان ممدودان من السماء إلى الأرض لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض». «كلّ ضارب في غمرة» أي سائر في غمرة الضلالة والجهالة. «قد ماروا في الحيرة» أي تردّدوا و اضطربوا فيها. والمنقطع إلى الدنيا هو المنهمك في لذّاتها. والمفارق للدين هو الزاهد الّذي يترك الدنيا للدنيا، أو يعمل على الضلالة والردى، وسيأتي فيما سنورده من كتبه ـ عليه السلام ـ وغيرها ماهو صريح في الشكاية.

منهاما كتب ـ عليه السلام ـ في كتاب له إلى معاوية:

٥٧٧- كذا في النهج، وفي البحار: اشتالوا.

وكتاب الله يجمع لنا ما شذّ عنّا، وهو قوله ـ سبحانه ـ: «وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ»[٥٧٨] وقوله ـ تعالى ـ: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ»[٥٧٩]، فنحن مرّة أولى بالقرابة وتارة أولى بالطاعة. ولمّا احتجّ المهاجرون على الأنصار يوم السقيفة برسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ فلجوا عليهم، فإن يكن الفلج به فالحقّ لنا دونكم، و إن يكن بغيره فالأنصار على دعواهم. وقلت: إنّي كنت أُقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتّى أُبايع، ولعمرالله لقد أردت أن تذمّ فمدحت وأن تفضح فافتضحت! وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوماً ما لم يكن شاكّاً في دينه؛ ولا مرتاباً بيقينه![٥٨٠]

ومنها كتب ـ عليه السلام ـ في جواب عقيل[٥٨١]:

فدع عنك قريشاً وتركاضهم في الضلال، وتجوالهم في الشقاق، وجماحهم في التيه، فإنّهم قد أجمعوا على حربي كإجماعهم [على] حرب رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ قبلي، فجزت قريشاً عنّي الجوازي، فقد قطعوا رحمي، وسلبوني سلطان ابن أُمّي.[٥٨٢]

١٥١ ـ ومن خطبة له عليه السلام

يحذر من الفتن

الله ورسوله

وَأَحْمَدُ اللهَ وَأَسْتَعِينُهُ عَلَىٰ مَدَاحِرِ (١٨٥٠) الشَّيْطَانِ وَمَزَاجِرِهِ ، وَالاعْتِصَامِ

٥٧٨- الأنفال: ٧٥.
٥٧٩- آل عمران: ٦٨.
٥٨٠- نهج البلاغة، باب الكتب، تحت رقم ٢٨.
٥٨١- نهج البلاغة، باب الكتب، تحت رقم ٣٦.
٥٨٢- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ١٧٨، ط كمپاني وص ١٧٢، ط تبريز.

مِنْ حَبَائِلِهِ وَمَخَاتِلِهِ[١٨٥١]. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا ٱللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَنَجِيبُهُ وَصَفْوَتُهُ. لَا يُوَازَىٰ فَضْلُهُ، وَلَا يُجْبَرُ فَقْدُهُ. أَضَاءَتْ بِهِ ٱلْبِلَادُ بَعْدَ الضَّلَالَةِ ٱلْمُظْلِمَةِ، وَٱلْجَهَالَةِ ٱلْغَالِبَةِ، وَٱلْجَفْوَةِ ٱلْجَافِيَةِ؛ وَالنَّاسُ يَسْتَحِلُّونَ ٱلْحَرِيمَ، وَيَسْتَذِلُّونَ ٱلْحَكِيمَ؛ يَحْيَوْنَ عَلَىٰ فَتْرَةٍ[١٨٥٢]، وَيَمُوتُونَ عَلَىٰ كَفْرَةٍ!

بيان: «لايوازى» أي لايساوى فضله ولايبلغه أحد. و«الجبر» إصلاح العظم من كسر. و«الغالبة» في بعض النسخ بالياء المثنّاة أي المجاوزة عن الحدّ. و«الجفوة» غلظ الطبع وقساوة القلب والوصف للمبالغة كشعر شاعر. والمراد بالفترة هنا انقطاع الوحي أو ترك الاجتهاد في الطاعات.[٥٨٣]

التحذير من الفتن

ثُمَّ إِنَّكُمْ مَعْشَرَ ٱلْعَرَبِ أَغْرَاضُ بَلَايَا قَدِ ٱقْتَرَبَتْ. فَٱتَّقُوا سَكَرَاتِ النِّعْمَةِ، وَٱحْذَرُوا بَوَائِقَ[١٨٥٣] النِّقْمَةِ، وَتَثَبَّتُوا فِي قَتَامِ ٱلْعِشْوَةِ[١٨٥٤]، وَٱعْوِجَاجِ ٱلْفِتْنَةِ عِنْدَ طُلُوعِ جَنِينِهَا، وَظُهُورِ كَمِينِهَا، وَٱنْتِصَابِ قُطْبِهَا، وَمَدَارِ رَحَاهَا. تَبْدَأُ فِي مَدَارِجَ خَفِيَّةٍ، وَتَؤُولُ إِلَىٰ فَظَاعَةٍ جَلِيَّةٍ. شِبَابُهَا[١٨٥٥] كَشِبَابِ ٱلْغُلَامِ، وَآثَارُهَا كَآثَارِ السِّلَامِ[١٨٥٦]، يَتَوَارَثُهَا الظَّلَمَةُ بِٱلْعُهُودِ! أَوَّلُهُمْ قَائِدٌ لِآخِرِهِمْ، وَآخِرُهُمْ مُقْتَدٍ بِأَوَّلِهِمْ؛ يَتَنَافَسُونَ فِي دُنْيَا دَنِيَّةٍ، وَيَتَكَالَبُونَ عَلَىٰ جِيفَةٍ مُرِيحَةٍ[١٨٥٧]. وَعَنْ

٥٨٣- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١٨، كتاب تاريخ نبيّنا ــ صلّى الله عليه وآله ــ، ص ٢٢١.

قَلِيلٍ يَتَبَرَّأُ التَّابِعُ مِنَ ٱلْمَتْبُوعِ ، وَٱلْقَائِدُ مِنَ ٱلْمَقُودِ ، فَيَتَزَايَلُونَ(١٨٥٨) بِٱلْبَغْضَاءِ ، وَيَتَلَاعَنُونَ عِنْدَ اللِّقَاءِ . ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذٰلِكَ طَالِعُ ٱلْفِتْنَةِ الرَّجُوفِ(١٨٥٩) ، وَٱلْقَاصِمَةِ(١٨٦٠) الزَّحُوفِ ، فَتَزِيغُ قُلُوبٌ بَعْدَ ٱسْتِقَامَةٍ ، وَتَضِلُّ رِجَالٌ بَعْدَ سَلَامَةٍ ؛ وَتَخْتَلِفُ ٱلْأَهْوَاءُ عِنْدَ هُجُومِهَا ، وَتَلْتَبِسُ ٱلْآرَاءُ عِنْدَ نُجُومِهَا(١٨٦١) . مَنْ أَشْرَفَ لَهَا قَصَمَتْهُ ، وَمَنْ سَعَى فِيهَا حَطَمَتْهُ ؛ يَتَكَادَمُونَ(١٨٦٢) فِيهَا تَكَادُمَ ٱلْحُمُرِ فِي ٱلْعَانَةِ(١٨٦٣) ! قَدِ ٱضْطَرَبَ مَعْقُودُ ٱلْحَبْلِ ، وَعَمِيَ وَجْهُ ٱلْأَمْرِ . تَغِيضُ(١٨٦٤) فِيهَا ٱلْحِكْمَةُ . وَتَنْطِقُ فِيهَا الظَّلَمَةُ ، وَتَدُقُّ(١٨٦٥) أَهْلَ ٱلْبَدْوِ بِمِسْحَلِهَا(١٨٦٦) ، وَتَرُضُّهُم(١٨٦٧) بِكَلْكَلِهَا(١٨٦٨) ! يَضِيعُ فِي غُبَارِهَا ٱلْوُحْدَانُ(١٨٦٩) . وَيَهْلِكُ فِي طَرِيقِهَا الرُّكْبَانُ ؛ تَرِدُ بِمُرِّ ٱلْقَضَاءِ ، وَتَحْلُبُ عَبِيطَ الدِّمَاءِ(١٨٧٠) . وَتَثْلِمُ مَنَارَ الدِّينِ(١٨٧١) ، وَتَنْقُضُ عَقْدَ ٱلْيَقِينِ . يَهْرُبُ مِنْهَا ٱلْأَكْيَاسُ(١٨٧٢) . وَيُدَبِّرُهَا ٱلْأَرْجَاسُ(١٨٧٣) . مِرْعَادٌ مِبْرَاقٌ ، كَاشِفَةٌ عَنْ سَاقٍ ! تُقْطَعُ فِيهَا ٱلْأَرْحَامُ ، وَيُفَارَقُ عَلَيْهَا ٱلإِسْلَامُ ! بَرِيُّهَا سَقِيمٌ ، وَظَاعِنُهَا مُقِيمٌ !

منها : بَيْنَ قَتِيلٍ مَطْلُولٍ(١٨٧٤) ، وَخَائِفٍ مُسْتَجِيرٍ . يَخْتِلُونَ(١٨٧٥) بِعَقْدِ ٱلْأَيْمَانِ وَبِغُرُورِ ٱلْإِيمَانِ ؛ فَلَا تَكُونُوا أَنْصَابَ(١٨٧٦) ٱلْفِتَنِ . وَأَعْلَامَ ٱلْبِدَعِ ؛ وَٱلْزَمُوا مَا عُقِدَ عَلَيْهِ حَبْلُ ٱلْجَمَاعَةِ . وَبُنِيَتْ عَلَيْهِ أَرْكَانُ الطَّاعَةِ ؛ وَٱقْدَمُوا عَلَى ٱللهِ مَظْلُومِينَ ، وَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ ظَالِمِينَ ؛

وَٱتَّقُوا مَدَارِجَ الشَّيْطَانِ ، وَمَهَابِطَ ٱلْعُدْوَانِ ؛ وَلَا تُدْخِلُوا بُطُونَكُمْ لُعَقَ(١٨٧٧) ٱلْحَرَامِ ، فَإِنَّكُمْ بِعَيْنِ(١٨٧٨) مَنْ حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَعْصِيَةَ ، وَسَهَّلَ لَكُمْ سُبُلَ الطَّاعَةِ .

توضيح: «مداحر الشيطان» الأمور الّتي يدحر و يطرد بها. و«مزاجره» الأمور الّتي يزجرها. و«حبائله» مكائده الّتي يضلّ بها البشر. و«مخاتله» الأمور الّتي يختل بها، بالكسر، أي يخدع بها. و«لايوازى» أي لايساوى، والأصل فيه الهمزة كما قيل. و«الجهالة الغالبة» بالباء الموحّدة وفي بعض النسخ بالمثناة، من «الغلاء» وهو الارتفاع، أو من «الغلوّ» وهو مجاوزة الحدّ. و«الجفوة» غلظ الطبع، والوصف للمبالغة. «والناس» الواو للحال. و«الحريم» حرمات الله الّتي يجب احترامها و محرّماته.

وقال في النهاية: «الفترة» مابين الرسولين، و«أصابني على فترة» أي في حال سكون وتقليل من العبادات والمجاهدات. و«الكفرة» المرّة من الكفر. و«المعشر» الجماعة. و«الغرض» الهدف. و«سكرات النعمة» مايحدثه النعم عند أربابها من الغفلة المشابهة للسكر. و«البوائق» الدواهي. و«التثبّت» التوقف وترك اقتحام الأمر. و«القتام» بالفتح، الغبار. و«العشوة» ركوب الأمر على غير بيان ووضوح؛ و يروى: «وتبيّنوا» كما قرئ في الآية.[٥٨٤] وكنّى ــ عليه السلام ــ عن ظهور المستور المخفيّ منها بقوله «عند جنينها وظهور كمينها»، و«الجنين» الولد مادام في البطن، و«الكمين» الجماعة المختفية في الحرب. والمدار مصدر، والمكان بعيد، و«انتصاب قطبها ومدار رحاها» كنايتان عن انتظام أمرها. و«المدرجة» المذهب والمسلك، أي إنّها تكون ابتداءً يسيرة ثمّ تصير كثيرة. و«الشباب» بالكسر، نشاط الفرس ورفع يديه جميعاً، وفي بعض النسخ بالفتح. و«السلام» الحجارة، أي إنّ أربابها يمرحون في أوّل الأمر كما يمرح الغلام، ثمّ يؤوّل إلى أن يعقب فيهم أو في الإسلام آثار كآثار الحجارة في الأبدان، فيحتمل أن يكون كالتفسير لسابقه، أو يكون المراد: إنّها في الدنيا كنشاط الغلام وما

٥٨٤- الحجرات: ٦.

أعقبها في الآخرة كآثار السلام.

«يتوارثها الظلمة بالعهود» الظرف متعلّق بالفعل، أي توارثهم بما عهدوا بينهم من ظلم أهل البيت ــ عليهم السلام ــ وغصب حقّهم، أو بالظلمة أي الّذين ظلموا عهد الله وتركوه. «يتكالبون» أي يتواثبون. و«المريحة» المنتنة، من «أراحت» إذا ظهر ريحها، أو من «أراح البعير» إذا مات. قوله ــ عليه السلام ــ «وعن قليل» أي بعد قليل من الزمان. «يتبرّأ التابع» قال ابن أبي الحديد: ذلك التبرّء في القيامة كما ورد في الكتاب العزيز، أمّا تبرّء التابع من المتبوع قال ــ تعالى ــ: «وقالوا ضلّوا عنّا بل لم نكن ندعو من قبل شيئاً» [٥٨٥]. وأمّا تبرّء القائد من المقود أي المتبوع من التابع فقال ــ تعالى ــ: «إذ تبرّأ الّذين اتُّبعوا من الّذين اتَّبعوا» [٥٨٦]. و أمّا الأعمّ كما دلّ عليه قوله ــ عليه السلام ــ «فيتزايلون ــ الخ»، فقال ــ تعالى ــ: «يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض و يلعن بعضكم بعضاً» [٥٨٧]. وقوله ــ عليه السلام ــ «يتزايلون» أي يفترقون. و«طالع الفتنة» مقدّماتها، وسمّاها وجوفاً لشدّة الاضطراب فيها. قال: ولمّا ذكر ــ عليه السلام ــ رغبتهم في الدُّنيا وتكالبهم عليها أراد أن يذكرما يؤكّد التعجّب من فعلهم فأتى بجملة معترضة بين الكلامين فقال: «عن قليل يتبرّء التّابع ــ الخ». ثمّ عاد إلى نظام الكلام فقال: «ثمّ يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف».

وقال ابن ميثم: أشار ــ عليه السلام ــ إلى منافستهم في الدنيا في إثارة تلك الفتن، ثمّ أخبر عن انقضائها عن قليل، وكنّى عن ذلك بتبرّء التابع من المتبوع. قيل: ذلك التبرّء عند ظهور الدولة العبّاسيّة فإنّ العادة جاريةبتبرّء الناس من الولاة المعزولين خصوصاً ممّن تولّى عزل أُولئك أو قتلهم فيتباينون بالبغضاء و يتلاعنون عند اللقاء. قال: وقوله ــ عليه السلام ــ «ثمّ يأتي» إشارة إلى التتار إذ الدائرة فيهم كانت على العرب.

٥٨٥- الغافر: ٧٤. وأوضح منه في هذا المطلب الآية ١٦٧ من سورة البقرة.

٥٨٦- البقرة: ١٦٦.

٥٨٧-العنكبوت: ٢٥؛ وفي البحار: «بعضهم»، وهو تصحيف.

قال: وقال بعض الشارحين: ذلك إشارة إلى الملحمة الكائنة في آخر الزمان كفتنة الدجّال، ووصفها بالرجوف كناية عن اضطراب الناس أو أمر الإسلام فيها وبقصمها عن هلاك الخلق فيها تشبيهاً لها بالرجل الشجاع الكثير الزحف إلى أقرانه، أي يمشي إليهم قدماً.

و«نجم الشيء ينجم ــ بالضمّ ــ نجوماً» ظهر وطلع. قوله ــ عليه السلام ــ «من أشرف لها» أي صادمها وقابلها. و«من سعى فيها» أي في تسكينها وإطفائها. و«الحطم» الكسر. و«التكادم» التعاضّ بأدنى الفم. و«العانة» القطيع من حمر الوحش؛ ولعلّ المراد مغالبة مثيري تلك الفتنة بعضهم لبعض، أو مغالبتهم لغيرهم. و«معقود الحبل» قواعد الدين الّتي كلّفوا بها. وفي إسناد العمى إلى وجه الأمر تجوّز. و«الغيض» القلّة والنقص. و«المسحل» ــ كمنبر ــ السوهان أو المنحت، أي يفعل بهم ما يفعل بالحديد أو الخشب. و«الرضّ» الدقّ. و«الكلكل» الصدر. و«الوحدان» جمع واحد، أي من كان يسير وحده فإنّه يهلك فيها بالكلّيّة، وإذا كانوا جماعة فهم يضلّون في طريقها فيهلكون، ولفظ الغبار مستعار للقليل اليسير من حركة أهلها، أي إذا أراد القليل من الناس دفعها هلكوا في غبارها من دون أن يدخلوا في غمارها. وأمّا الركبان وهم الكثير من الناس فإنّهم يهلكون في طريقها وعند الخوض فيها. ويجوز أن يكون الوحدان جمع أوحد، أي يضلّ في غبار هذه الفتنة وشبهها فضلاء عصرها لغموض الشبهة واستيلاء الباطل، ويكون الركبان كناية عن الجماعة أهل القوّة، فهلاك أهل العلم بالضلال، وهلاك أهل القوّة بالقتل.[٥٨٨]

و«مرّ القضاء» الهلاك والاستيصال والبلايا الصعبة. و«عبيط الدماء» الطريّ الخاص منها. و«تثلم» أي تكسر. «منار الدين» أي أعلامه. «مرعاد مبراق» أي ذات رعد وبرق تشبيهاً بالسحاب، أو ذات وعيد وتهدّد، من «رعد الرجل وبرق» إذا أوعد وتهدّد. ويحتمل أن يكون الرعد صوت السلاح والبرق ضوءه.

وقال في النهاية: «السّاق» في اللغة، الأمر الشديد، وكشف السّاق مثل في

٥٨٨- شرح النهج لابن ميثم، ج ٣، ص ٢٢٤ ــ ٢٢٦، ط بيروت.

شدّة الأمر، وأصله من كشف الإنسان عن ساقه وتشميره إذا وقع في أمر شديد.- قوله ـ عليه السلام ـ «بريّها» أي من يعدّ نفسه بريئاً سالماً من المعاصي أو الآفات، أو من كان سالماً بالنسبة إلى سائر الناس فهوأيضاً مبتلى بها، أو المعنى. إنّ من لم يكن مائلاً إلى المعاصي أو أحبّ الخلاص من شرورها لايمكنه ذلك.

قوله ـ عليه السلام ـ «وظاعنها مقيم» أي لايمكنه الخروج عنها أو من اعتقد أنّه متخلّف عنها فهو داخل فيها لكثرة الشبه وعموم الضلالة. قوله ـ عليه السلام ـ «مطلول» أي مهدّد لا يطلب به. «يختلون» أي يخدعون. «بعقد الإيمان بصيغة المصدر أو كصرد بصيغة الجمع. و«يختلون» في بعض النسخ على بناء المجهول فيكون إخباراً عن حال المخدوعين الّذين يختلهم غيرهم بالأيمان المعقودة بينهم، أو بالعهود الّذي يشدّونها بمسح أيمانهم؛ وفي بعض النسخ على بناء المعلوم فيكون إخباراً عن أهل ذلك الزمان جميعاً أو الخادعين الخائنين منهم. و«بغرور الإيمان» أي بالإيمان الّذي يظهره الخادعون لهؤلاء الموصوفين فيغرونهم بالمواعيد الكاذبة، أو الّذي يظهر هؤلاء الموصوفون فيغرون الناس به، على النسختين. قوله ـ عليه السلام ـ «أنصاب الفتن» جمع «نصب» وهو بالفتح أو التحريك، العلم أو بمعنى الغاية والحدّ، ومنه أنصاب الحرم؛ وفي بعض النسخ بالراء، ماعقد عليه حبل الجماعة أي القوانين الّتي ينتظم بها اجتماع الناس على الحقّ، وهي الّتي بنيت عليها أركان الطاعة.

«واقدموا على الله مظلومين» أي كونوا راضين بالمظلوميّة، أولا تظلموا الناس و إن استلزم ترك الظلم مظلوميّتكم. و«مدارج الشيطان» مذاهبه ومسالكه. و«مهابط العدوان» المواضع الّتي يهبط هو وصاحبه فيها. و«اللعق» جمع «لعقة» بالضمّ، وهي اسم لما تأخذه الملعقة، و«اللعقة» بالفتح، المرّة منه؛ فنبّه ـ عليه السلام ـ باللعق على قلّتها بالنسبة إلى متاع الآخرة، أو المراد لا تدخلوا بطونكم القليل منه فكيف بالكثير. قوله ـ عليه السلام ـ «بعين من حرّم» أي بعلمه، كقوله ـ تعالى ـ: تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا (القمر: ١٤). ٥٨٩

٥٨٩- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٧١٦، ط كمپاني وص ٦٦٣، ط تبريز.

١٥٢ — ومن خطبة له عليه السلام

في صفات الله جل جلاله ، وصفات أئمة الدين

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الدَّالِّ عَلَىٰ وُجُودِهِ بِخَلْقِهِ ، وَبِمُحْدَثِ خَلْقِهِ عَلَىٰ أَزَلِيَّتِهِ ؛ وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَىٰ أَنْ لَا شَبَهَ لَهُ . لَا تَسْتَلِمُهُ(١٨٧٩) الْمَشَاعِرُ ، وَلَا تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ ، لِافْتِرَاقِ الصَّانِعِ وَالْمَصْنُوعِ ، وَالْحَادِّ وَالْمَحْدُودِ ، وَالرَّبِّ وَالْمَرْبُوبِ ؛ الْأَحَدِ بِلَا تَأْوِيلِ عَدَدٍ ، وَالْخَالِقِ لَا بِمَعْنَى حَرَكَةٍ وَنَصَبٍ(١٨٨٠) ، وَالسَّمِيعِ لَا بِأَدَاةٍ(١٨٨١) ، وَالْبَصِيرِ لَا بِتَفْرِيقِ آلَةٍ(١٨٨٢) ، وَالشَّاهِدِ لَا بِمُمَاسَّةٍ ، وَالْبَائِنِ(١٨٨٣) لَا بِتَرَاخِي مَسَافَةٍ ، وَالظَّاهِرِ لَا بِرُؤْيَةٍ ، وَالْبَاطِنِ لَا بِلَطَافَةٍ . بَانَ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالْقَهْرِ لَهَا ، وَالْقُدْرَةِ عَلَيْهَا ، وَبَانَتِ الْأَشْيَاءُ مِنْهُ بِالْخُضُوعِ لَهُ ، وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ . مَنْ وَصَفَهُ فَقَدْ حَدَّهُ(١٨٨٤) ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ ، وَمَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَزَلَهُ ، وَمَنْ قَالَ : « كَيْفَ » فَقَدِ اسْتَوْصَفَهُ ، وَمَنْ قَالَ : « أَيْنَ » فَقَدْ حَيَّزَهُ . عَالِمٌ إِذْ لَا مَعْلُومٌ ، وَرَبٌّ إِذْ لَا مَرْبُوبٌ ، وَقَادِرٌ إِذْ لَا مَقْدُورٌ .

النهج: قال ـــ عليه السلام ـــ :

الحمدلله الدالّ على وجوده بخلقه، وبمحدث خلقه على أزليّته.٥٩٠

٥٩٠ ـ الأوّليّة والآخريّة وصفان اضافيّان، فإذا قويس شيء إلى آخر وجد بعده وصف بالأوّليّة، وإذا قويس إلى شيء وجد قبله وصف بالآخريّة. وللتقدّم والتأخّر أقسام مذكورة في محلّها؛ وقد اختلف القول في تقدّم الواجب على الممكنات، فقيل: إنّ تقدّمه زمانيّ، وقيل: عليّ، وقيل: سرمديّ إلى غيرذلك. لكنّ التقدّم الزمانيّ بمعناه المصطلح وهووقوع المتقدّم مقارناً لجزء من

ومنه[٥٩١] قال ـ عليه السلام ـ :

الحمدلله خالق العباد، وساطح المهاد، ومسيل الوهاد، ومخصب النجاد، ليس لأوّليّته ابتداء، ولا لأزليّته انقضاء، هو الأوّل لم يزل، والباقي بلا أجل... (إلى قوله ـ عليه السلام ـ:) قبل كلّ غاية ومدّة، وكلّ إحصاء وعدّة... (إلى قوله ـ عليه السلام ـ:) لم يخلق الأشياء من أصول أزليّة، ولامن أوائل أبديّة بل خلق ما خلق فأقام حدّه، وصوّر ماصوّر فأحسن صورته.

⟵

الزمان متقدم على الجزء الّذي وقع المتأخّر مقارناً له ممّا يستحيل في حقّ الحقّ ـ سبحانه وتقدّس ـ لتعاليه عن مقارنة الزمان ومقايسته بالحدثان. على أنّه يستلزم قدم الزمان وهو كرّ على مافرّ منه.

وأمّا تفسير التقدّم الزمانيّ بأنّ الواجب كان في زمان لم يكن شيء، وتتميمه بأنّ الزمان أمر موهوم منتزع من ذاته، ممّا لايجدي شيئاً ولا يسمن ولا يغني من جوع لأنّ الزمان إن كان أمراً موهوماً فلايمكن تأثيره في الواقعيّات و إناطة البحث الحقيقيّ به؛ غاية الأمر تسميته ـ تعالى ـ بالقديم الزمانيّ تسمية ليس وراءه حقيقة ولا تجاوز حدّ الإسم والوهم. و إن كان أمراً واقعيّاً فلايمكن انتزاعه من ذات الباريّ ـ سبحانه ـ و إلّا لتطرّق التغير والحدوث إليها.

وأمّا آخريّة الواجب، فقيل بالآخريّة الزمانيّة بمعنى أنّه يفنى كلّ شيء إلّا الواجب ـ تعالى ـ فيكون زمان ليس فيه غيره ـ سبحانه ـ ولمّا كان ظاهر هذا القول مخالفاً لظواهر الكتاب والسنّة من أبديّة نشأة الآخرة وخلود أهلها، فسّر بفناء الموجودات قبل قيام الساعة!

ولقائل أن يقول: هل يكون عند فناء جميع الموجودات زمان أولا؟ فإن كان فلا يكون الواجب آخراً بالنسبة إلى نفس الزمان و إلّا فلايكون آخراً زمانياً، على أنّه ـ تعالى ـ يكون على هذا آخراً بالنسبة إلى الموجودات قبل قيام الساعة لابعده، وله توال فاسدة أخرى.

وحقّ القول أنّ الواجب ـ تعالى ـ محيط بجميع العوالم، مهيمن على كافّة الموجودات ويكون وجوده أوسع وأرفع من كلّ الموجودات، بل هي بأسرها ظلّ وجوده وشعاع نوره ـ تبارك وتعالى ـ وليس لها استقلال اصلاً فليس بين الموجودات الإمكانيّة وبين وجوده السرمديّ الواجب المحيط الغير المتناهي بل فوق ما لايتناهى بما لايتناهى نسبة، فأين المتناهي من غيرالمتناهي ؟! وما للتراب وربّ الأرباب؟!

فكلّما قويس وجود إمكانيّ إلى وجوده المتعالي كان من بين يديه ومن خلفه ومن فوقه ومن تحته، ومن كلّ جهة من جهاته، وكلّ شأن من شؤونه محدوداً محاطاً بوجوده ـ تبارك وتعالى ـ. فإذا لوحظ الجهة السابقة على الموجودات، كان ـ سبحانه ـ هو الأوّل، و إذا لوحظ الجهة اللاحقة، كان هو الآخر، و إذا لوحظ ظاهرها كان هو الباطن و إذا لوحظ باطنها كان هو الظاهر:

«هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» ـ الحديد: ٣.

«أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ» ـ فصّلت: ٥٤.

٥٩١ـ في بعض النسخ: وفي خطبة.

بيان: «الساطح» الباسط. و«المسيل» المجري. و«الوهاد» جمع «وهدة» وهي الأرض المنخفضة. و«أخصب الله الأرض» أي جعلها كثيرة العشب والكلاء، و«النجاد» بالكسر، جمع «نجد» بالفتح، وهو المرتفع من الأرض. «ولالأزليّته انقضاء» أي في جانب الأبد، أي أزليّته أزليّة مقرونة بالأبديّة، ويمكن أن يكون إشارة إلى أنّ الأزليّة تستلزم الأبديّة إذ ماثبت قدمه امتنع عدمه، أو في جانب الأزل إذا رجع الوهم إليه. ولا يخفى دلالة تلك الفقرات على اختصاص الأزليّة به وحدوث ماسواه، إذ ذكر الصفات المشتركة بينه وبين خلقه لايناسب مقام المدح. ثمّ صرّح ـ عليه السلام ـ بذلك بقوله «لم يخلق الأشياء من أُصول أزليّة» ردّاً على مازعمته الحكماء من الهيولى القديمة ونحو ذلك. و«الأبد» بالتحريك الدهر، و«الدائم» و«القديم» الأزلي[٥٩٢]، كما ذكره في القاموس؛ وقيل: الزمان الطويل الّذي ليس بمحدود، والظاهر أنّه تأكيد وتفسير للفقرة الأولى، ويحتمل أن يكون المراد الأمثلة الّتي يخلق الله ـ تعالى ـ الأشياء على حذوها. وفي بعض النسخ: «بديّة» والبديّ ـ كرضيّ ـ الأوّل «من أوائل» سابقة على إيجادها.[٥٩٣]

٥٩٢ـ الأزليّة والقدم مترادفان ومعناهما كون الموجود بحيث لايسبقه عدم، فإن أُضيف إلى العدم الذاتيّ سمّي قدماً ذاتياً، وإن أُضيف إلى العدم الزمانيّ سمّي قدماً زمانياً؛ وحيث إنّ الزمان مقدار الحركة والحركة تختصّ بالأجسام، فإذا لم يكن جسم لم يكن زمان، وكلّ شيء غيرجسماني فإنّه خارج عن حيطة الزمان البتّة فلووجد شيء مجرّد عن المادّة كان لامحالة غيرمحدود بالزمان.
وحيث إنّ الجسم لاينفكّ عن الحركة ـ بناء على القول بالحركة الجوهريّة ـ فكلّما فرض جسم كان حادثاً زمانياً.
والواجب ـ تعالى ـ قديم أزليّ ذاتاً بمعنى كون الوجود عين ذاته واستحالة العدم عليه بوجه وزماناً بمعنى كونه خارجاً عن ظرف لزمان ومنزّهاً عن مقارنته لابمعنى كونه مقارناً لزمان غيرمتناه من جهة البدء. وأمّا ماسواه فعلى القول بوجود المجرّدات المحضة الموجودات النورية العالية فإنّها أيضاً غيرمقيّدة بالزمان لكنّها لاتشارك الواجب ـ تعالى ـ في الأزليّة الذاتيّة.
وأمّا المادّة أعني الهيولى الأولى فليست من الموجودات المتحصّلة، وتحصّلها إنّما يكون بالصور، ولا شيء من الصور الجسمانيّة بقديم لما ذكرنا. نعم، على القول بقدم الصور الفلكيّة كما يراه بعض الفلاسفة تكون مادّتها أيضاً قديمة، لكنّها على كلّ حال ليست موجودة قبل الأشياء ولا أصلاً أزلياً للكائنات.

٥٩٣ـ بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٥٧، كتاب السماء والعالم، ص ٢٧.

ائمة الدين

منها: قَدْ طَلَعَ طَالِـعٌ ، وَلَمَعَ لَامِـعٌ ، وَلَاحَ(١٨٨٥) لَائِـحٌ ، وَٱعْتَدَلَ مَائِلٌ ؛ وَٱسْتَبْدَلَ ٱللهُ بِقَوْمٍ قَوْماً ، وَبِيَوْمٍ يَوْماً ؛ وَٱنْتَظَرْنَا ٱلْغِيَرَ(١٨٨٦) ٱنْتِظَارَ ٱلْمُجْدِبِ ٱلْمطَرَ. وَإِنَّمَا ٱلأَئِمَّةُ قُوَّامُ ٱللهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ ، وَعُرَفَاوُهُ عَلَىٰ عِبَادِهِ ؛ وَلَا يَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ. إِنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ خَصَّكُمْ بِٱلْإِسْلَامِ ، وَٱسْتَخْلَصَكُمْ لَهُ ، وَذٰلِكَ لِأَنَّهُ ٱسْمُ سَلَامَةٍ ، وَجِمَاعُ(١٨٨٧) كَرَامَةٍ . ٱصْطَفَى ٱللهُ تَعَالَىٰ مَنْهَجَهُ ، وَبَيَّنَ حُجَجَهُ ، مِنْ ظَاهِرِ عِلْمٍ ، وَبَاطِنِ حِكَمٍ . لَا تَفْنَىٰ غَرَائِبُهُ ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ . فِيهِ مَرَابِيعُ النِّعَمِ(١٨٨٨) ، وَمَصَابِيحُ الظُّلَمِ ، لَا تُفْتَحُ ٱلْخَيْرَاتُ إِلَّا بِمَفَاتِيحِهِ ، وَلَا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِمَصَابِيحِهِ . قَدْ أَحْمَىٰ حِمَاهُ(١٨٨٩) ، وَأَرْعَىٰ مَرْعَاهُ . فِيهِ شِفَاءُ ٱلْمُسْتَشْفِي ، وَكِفَايَةُ ٱلْمُكْتَفِي .

توضيح: قيل: هذه خطبة خطب بها ـ عليه السلام ـ بعد قتل عثمان وانتقال الخلافة إليه [٥٩٤] ، و يمكن أن يكون المراد بطلوع الطالع ظهور إمرته وخلافته ـ عليه السلام ـ ، وأن يشير بلموع اللامع إلى ظهورها من حيث هي حقّ له. وسطوع أنوار العدل بصيرورتها إليه، وبلوح اللائح إلى الحروب والفتن الواقعة بعد انتقال الأمر إليه. وقيل: المراد بالجميع واحد، فيحتمل أن يكون المراد: طلع ما كان طالعاً فإنّ الخلافة كانت له ـ عليه السلام ـ حقيقة أي طلع ظاهراً ما كان طالعاً حقيقة كقوله

٥٩٤- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٩، ص ١٥٣، ط بيروت.

ــ عليه السلام ــ «واعتدل مائل» أي الخلافة كانت مائلة عن مركزها، أو أركان الدين القويم. ولعلّ انتظار الغير كناية عن العلم بوقوعه، أو الرضيّ بما قضى الله من ذلك، و المراد بالغير ماجرى قبل ذلك من قتل عثمان و انتقال الأمر إليه ــ عليه السلام ــ، أو ماسيأتي من الحروب والوقائع، والأوّل أنسب.

قوله ــ عليه السلام ــ «قوّام الله» أي يقومون بمصالحهم، وقيّم المنزل هو المدبّر له. و«العرفاء» جمع «عريف» وهو القيّم بأمور القبيلة والجماعة يلي أمورهم و يتعرّف الأمير منه أحوالهم، فعيل بمعنى فاعل. «إلّا من عرفهم» أي بالإمامة. و«عرفوه» أي بالتشيّع والولاية. ومنكرهم من لم يعرفهم ولم يقرّ بما أتوابه من ضروريّات الدين فهو منكر لهم.

قوله ــ عليه السلام ــ «لأنّه اسم سلامة» أي الإسلام مشتقّ من السلامة. وقال الجوهريّ: «جماع الشيء» بالكسر، جمعه، يقال: الخمر جماع الإثم. و«المرابيع» الأمطار الّتي يجيئ في أوّل الربيع فيكون سبباً لظهور الكلاء. و يقال: «أحميت المكان» أي جعلته حمى. قال ابن أبي الحديد: «أحماه» أي جعله عرضة لأن يحمى، أي عرض الله ــ سبحانه ــ حماه و محارمه لأن يجتنب. و«أرعى مرعاه» لأن يرعى، أي مكّن من الانتفاع بمواعظه لأنّه خاطبنا بلسان عربيّ مبين[٥٩٥]. ويمكن أن يقال: المعنى: جعل له حرمات ونهى عن انتهاكها و ارتكاب نواهيه وتعدّى حدوده، ورخصاً أباح للناس التمتّع بها. والمراد بقوله ــ عليه السلام ــ «أحمى حماه» منع المغيّرين هن تغيير قواعده، و بقوله «أرعى مرعاه» مكّن المطيعين من طاعته الّتي هي الأغذية الروحانيّة للصالحين كما أنّ النبات غذاء للبهائم.[٥٩٦]

[هذا بيان آخر في شرح الجزء الثاني من الخطبة:]

بيان: ظاهره أنّ الاسلام مشتقّ من السلامة، أي من آفات الدنيا ر مهالك الآخرة إذا أدّى حقّه، فليس بمعنى الانقياد والدخول في السلم. و«جماع الشيء»

٥٩٥- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٩، ص ١٥٦، ط بيروت.

٥٩٦- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٣٩٨، ط كمپاني وص ٣٧٣، ط تبريز.

ـ ككتاب ـ جمعه، وفي الحديث: «الخمر جماع الاثم» أي مظنّته ومجمعه. و«المنهج والمنهاج» الطريق الواضح، وحججه الأدلّة على صحّته وكلمة «من» للتفسير وتفصيل الحجج. وظاهر العلم الأحكام الواضحة المبيّنة للناس من محكمات القرآن وما اتّضح من السنّة. و«باطن الحكم» الأحكام المخزونة عند أهلها، كتأويل المتشابهات وأسرار الشريعة، وقيل: يعني بظاهر علم، وباطن حكم القرآن؛ ألا تراه كيف أتى بعده بصفات ونعوت لايكون إلّا للقرآن، ولا ريب في اتّحاد حجج الاسلام والقرآن، ولا يبعد أن يكون القرآن في جملة كلام حذف السيّد ـ رضي الله عنه ـ على عادته في الالتقاط والاختصار، وفي بعض النسخ: «عزائمه» مكان «غرائبه» أي آياته المحكمة وبراهينه العازمة أي القاطعة، وعدم فناء العزائم أو الغرائب إمّا ثباتها واستقرارها على طول المدّة وتغيّر الأعصار، أو كثرتها عند البحث والتفتيش عنها. وعدم انقضاء العجائب هو أنّه كلّما تأمّل فيه الانسان استخرج لطائف معجبة. و«المرابيع» أمطار أوّل الربيع تحيى بها الأرض وتنبت الكلاء، وفي بعض النسخ: «بمفاتيحه وبمصابيحه» مع الياءِ وفي بعضها بدونها.

و«حميت المكان من الناس» ـ كرميت ـ أي منعته منهم، والحماية اسم منه، و«كلاء حمًى» ـ كرضًى ـ أي محميّ، و«أحميت المكان» جعلته حمى لايقرب منه ولايجترء عليه. و«الرِعي» بالكسر، الكلاء وبالفتح، المصدر والمرعى الرعي والمصدر والموضع.

قيل: «أحمى حماه» أي جعله الله عرضة لأن يحمى، كما تقول: «أقتلت الرجل» أي جعلته عرضة لأن يقتل، أي قد عرض الله حمى القرآن ومحارمه لأن يجتنب، وعرض مرعاه لأن يرعى، أي مكّن من الانتفاع بمواعظه وزواجره لأنّه خاطبنا بلسان عربيّ مبين ولم يقنع ببيان مالم يعلم إلّا بالشرع حتّى نبّه في أكثره على أدلّة العقل.[٥٩٧]

وقيل: استعار لفظ الحمى لحفظه وتدبّره والعمل بقوانينه، ووجه الاستعارة أنّ بذلك يكون حفظ الشخص وحراسته، أمّا في الدنيا، فن أيدي كثير من الظالمين

٥٩٧- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٩، ص ١٥٦، ط بيروت.

لاحترامهم حملة القرآن ومفسّريه ومن يتعلّق به، وأمّا في الآخرة، فلحمايته حفظته ومتدبّريه والعامل به من عذاب الله كما يحمي الحمى من يلود به، وقيل: أراد بحماه محارمه، أي منع بنواهيه و زواجره أن يستباح محارمه.

«وأرعى مرعاه» أي هيّأه لأن يرعى، واستعار لفظ المرعى للعلوم والحكم والآداب الّتي يشتمل عليها القرآن ووجه المشابهة أنّ هذه مراعي النفوس وغداؤها الّذي به يكون نشوها العقليّ، وتمامها الفعليّ كما أن النبات والعشب غذاء للأبدان الحيوانيّة الّذي يقوم بها وجودها.[598]

وأقول: يحتمل أن يكون المراد به أنّه جعل له حدودا وحرمات، ونهى عن انتهاكها وارتكاب نواهيه وتعدّي حدوده، ورخصاً أباح للناس الانتفاع بها والتمتّع منها، ويمكن أن يقال: «أحمى حماه» أي منع المغيّرين من تغيير قواعده «وأرعى مرعاه» أي مكّن المطيعين من طاعته، وهي الغذاء الروحانيّ الّذي به حياتهم الباقية في النشأة الآخرة. و«المشتفي» طالب الشفاء كالمستشفي كما في بعض النسخ أي فيه شفاء من الأمراض المعنويّة كالجهل والضلال كما قال ــ تعالى ــ: «شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ»[599]، أو منها ومن الأمراض البدنيّة أيضاً بالتعوّذ ونحوه كما قال ــ سبحانه ــ: «وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ»[600]. و«الكفاية» بالكسر، ما به يحصل الاستغناء عن غيره، وهذه الكفاية لأهله، ومن أخذ غوامضه منهم ورجع في تأويل المتشابهات ونحوه إليهم.[601]

١٥٣ ــ ومن خطبة له عليه السلام

صفة الضال

٥٩٨- شرح النهج لابن ميثم، ج ٣، ص ٢٣٨، ط بيروت.

٥٩٩- يونس: ٥٧.

٦٠٠- الإسراء: ٨٢.

٦٠١- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٦٨، كتاب الإيمان والكفر، ص ٣٧٤.

وَهُوَ فِي مُهْلَةٍ مِنَ ٱللهِ يَهْوِي مَعَ ٱلْغَافِلِينَ . وَيَغْدُو مَعَ ٱلْمُذْنِبِينَ ، بلا سَبِيلٍ قَاصِدٍ . وَلَا إِمَامٍ قَائِدٍ .

صفات الغافلين

منها : حَتَّى إِذَا كَشَفَ لَهُمْ عَنْ جَزَاءِ مَعْصِيَتِهِمْ ، وَٱسْتَخْرَجَهُمْ مِنْ جَلَابِيبِ غَفْلَتِهِمُ ٱسْتَقْبَلُوا مُدْبِراً . وَٱسْتَدْبَرُوا مُقْبِلاً ، فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِمَا أَدْرَكُوا مِنْ طَلِبَتِهِمْ . وَلَا بِمَا قَضَوْا مِنْ وَطَرِهِمْ .

إِنِّي أُحَذِّرُكُمْ . وَنَفْسِي . هٰذِهِ ٱلْمَنْزِلَةَ . فَلْيَنْتَفِعِ ٱمْرُؤٌ بِنَفْسِهِ ، فَإِنَّمَا ٱلْبَصِيرُ مَنْ سَمِعَ فَتَفَكَّرَ ، وَنَظَرَ فَأَبْصَرَ ، وَٱنْتَفَعَ بِٱلْعِبَرِ ، ثُمَّ سَلَكَ جَدَداً وَاضِحاً يَتَجَنَّبُ فِيهِ ٱلصَّرْعَةَ فِي ٱلْمَهَاوِي ، وَٱلضَّلَالَ فِي ٱلْمَغَاوِي (١٨٩٠) . وَلَا يُعِينُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلْغُوَاةَ بِتَعَسُّفٍ فِي حَقٍّ ، أَوْ تَحْرِيفٍ فِي نُطْقٍ . أَوْ تَخَوُّفٍ مِنْ صِدْقٍ .

عظة الناس

فَأَفِقْ أَيُّهَا ٱلسَّامِعُ مِنْ سَكْرَتِكَ ، وَٱسْتَيْقِظْ مِنْ غَفْلَتِكَ . وَٱخْتَصِرْ مِنْ عَجَلَتِكَ . وَأَنْعِمِ ٱلْفِكْرَ فِيمَا جَاءَكَ عَلَىٰ لِسَانِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ مِمَّا لَا بُدَّ مِنْهُ وَلَا مَحِيصَ عَنْهُ ؛ وَخَالِفْ مَنْ خَالَفَ ذٰلِكَ إِلَىٰ غَيْرِهِ . وَدَعْهُ وَمَا رَضِيَ لِنَفْسِهِ ؛ وَضَعْ فَخْرَكَ ، وَٱحْطُطْ

كِبْرَكَ ، وَٱذْكُرْ قَبْرَكَ ، فَإِنَّ عَلَيْهِ مَمَرَّكَ . وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ ، وَكَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ ، وَمَا قَدَّمْتَ ٱلْيَوْمَ تَقْدَمُ عَلَيْهِ غَداً . فَٱمْهَدْ[١٨٩١] لِقَدَمِكَ . وَقَدِّمْ لِيَوْمِكَ . فَٱلْحَذَرَ ٱلْحَذَرَ أَيُّهَا ٱلْمُسْتَمِعُ ! وَٱلْجِدَّ ٱلْجِدَّ أَيُّهَا ٱلْغَافِلُ ! « وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ » .

إِنَّ مِنْ عَزَائِمِ ٱللهِ فِي ٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ، ٱلَّتِي عَلَيْهَا يُثِيبُ وَيُعَاقِبُ . وَلَهَا يَرْضَى وَيَسْخَطُ . أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ عَبْداً ـ وَإِنْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ . وَأَخْلَصَ فِعْلَهُ ـ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ ٱلدُّنْيَا . لَاقِياً رَبَّهُ بِخَصْلَةٍ مِنْ هٰذِهِ ٱلْخِصَالِ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا : أَنْ يُشْرِكَ بِٱللهِ فِيمَا ٱفْتَرَضَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَتِهِ . أَوْ يَشْفِيَ غَيْظَهُ بِهَلَاكِ نَفْسٍ ، أَوْ يُعِرَّ[١٨٩٢] بِأَمْرٍ فَعَلَهُ غَيْرُهُ ، أَوْ يَسْتَنْجِحَ[١٨٩٣] حَاجَةً إِلَى ٱلنَّاسِ بِإِظْهَارِ بِدْعَةٍ فِي دِينِهِ ، أَوْ يَلْقَى ٱلنَّاسَ بِوَجْهَيْنِ . أَوْ يَمْشِيَ فِيهِمْ بِلِسَانَيْنِ . ٱعْقِلْ ذٰلِكَ فَإِنَّ ٱلْمِثْلَ دَلِيلٌ عَلَى شِبْهِهِ .

إِنَّ ٱلْبَهَائِمَ هَمُّهَا بُطُونُهَا ، وَإِنَّ ٱلسِّبَاعَ هَمُّهَا ٱلْعُدْوَانُ عَلَى غَيْرِهَا ؛ وَإِنَّ ٱلنِّسَاءَ هَمُّهُنَّ زِينَةُ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْفَسَادُ فِيهَا ؛ إِنَّ ٱلْمُؤْمِنِينَ مُسْتَكِينُونَ[١٨٩٤] . إِنَّ ٱلْمُؤْمِنِينَ مُشْفِقُونَ . إِنَّ ٱلْمُؤْمِنِينَ خَائِفُونَ .

١٥٤ ـ ومن خطبة له عليه السلام

يذكر فيها فضائل أهل البيت

وَنَاظِرُ قَلْبٍ (١٨٩٥) اللَّبِيبِ بِهِ يُبْصِرُ أَمَدَهُ ، وَيَعْرِفُ غَوْرَهُ (١٨٩٦) وَنَجْدَهُ (١٨٩٧). دَاعٍ دَعَا ، وَرَاعٍ رَعَى ، فَاسْتَجِيبُوا لِلدَّاعِي. وَاتَّبِعُوا الرَّاعِيَ.

قَدْ خَاضُوا بِحَارَ الْفِتَنِ ، وَأَخَذُوا بِالْبِدَعِ دُونَ السُّنَنِ . وَأَرَزَ (١٨٩٨) الْمُؤْمِنُونَ ، وَنَطَقَ الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ. نَحْنُ الشِّعَارُ (١٨٩٩) وَالْأَصْحَابُ ، وَالْخَزَنَةُ وَالْأَبْوَابُ ، وَلَا تُؤْتَى الْبُيُوتُ إِلَّا مِنْ أَبْوَابِهَا ؛ فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقاً .

قال عبدالحميد بن أبي الحديد[٦٠٢]: أي خزنة العلم و أبوابه، قال رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ : أنا مدينة العلم وعليّ بابها، ومن أراد الحكمة فليأت الباب. وقال ــ صلّى الله عليه وآله ــ فيه ــ عليه السلام ــ : خازن علمي. وتارة أُخرى: عيبة علمي.[٦٠٣]

منها : فِيهِمْ كَرَائِمُ (١٩٠٠) الْقُرْآنِ ، وَهُمْ كُنُوزُ الرَّحْمٰنِ . إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا ، وَإِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسْبَقُوا. فَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ أَهْلَهُ ، وَلْيُحْضِرْ عَقْلَهُ ، وَلْيَكُنْ مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ ، فَإِنَّهُ مِنْهَا قَدِمَ ، وَإِلَيْهَا يَنْقَلِبُ. فَالنَّاظِرُ بِالْقَلْبِ ، الْعَامِلُ بِالْبَصَرِ ، يَكُونُ مُبْتَدَأُ عَمَلِهِ أَنْ يَعْلَمَ : أَعَمَلُهُ

٦٠٢- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٩، ص ١٦٥، ط بيروت.

٦٠٣- بحار الأنوار الطبعة الجديدة، ج ٤٠، كتاب تاريخ أمير المؤمنين ــ عليه السلام ــ، ص ٢٠٤.

عَلَيْهِ أَمْ لَهُ ! فَإِنْ كَانَ لَهُ مَضَىٰ فِيهِ ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ وَقَفَ عَنْهُ . فَإِنَّ ٱلْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَالسَّائِرِ عَلَىٰ غَيْرِ طَرِيقٍ . فَلَا يَزِيدُهُ بُعْدُهُ عَنِ الطَّرِيقِ ٱلْوَاضِحِ إِلَّا بُعْداً مِنْ حَاجَتِهِ . وَٱلْعَامِلُ بِٱلْعِلْمِ كَالسَّائِرِ عَلَىٰ الطَّرِيقِ ٱلْوَاضِحِ . فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ : أَسَائِرٌ هُوَ أَمْ رَاجِعٌ !

وَٱعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ ظَاهِرٍ بَاطِناً عَلَىٰ مِثَالِهِ ، فَمَا طَابَ ظَاهِرُهُ طَابَ بَاطِنُهُ ، وَمَا خَبُثَ ظَاهِرُهُ خَبُثَ بَاطِنُهُ . وَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ الصَّادِقُ ـ صَلَّىٰ ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ : «إِنَّ ٱللّٰهَ يُحِبُّ ٱلْعَبْدَ ، وَيُبْغِضُ عَمَلَهُ ، وَيُحِبُّ ٱلْعَمَلَ وَيُبْغِضُ بَدَنَهُ» .

وَٱعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ نَبَاتاً . وَكُلُّ نَبَاتٍ لَا غِنَىٰ بِهِ عَنِ ٱلْمَاءِ ، وَٱلْمِيَاهُ مُخْتَلِفَةٌ ؛ فَمَا طَابَ سَقْيُهُ ، طَابَ غَرْسُهُ وَحَلَتْ ثَمَرَتُهُ ، وَمَا خَبُثَ سَقْيُهُ ، خَبُثَ غَرْسُهُ وَأَمَرَّتْ ثَمَرَتُهُ .

بيان: لعلّ المراد بالظاهر و الباطن ما يظهر من الانسان من أعماله، وما هو باطن من نيّاته و عقائده، فقوله ـ عليه السلام ـ : «وقد قال» كالاستثناء من المقدّمتين والحاصل أنّ الغالب مطابقة الظاهر للباطن، وقد يتخلّف ذلك كما يدلّ عليه الخبر ويحتمل أن يكون المعنى أنّ ما يظهر من أفعال المرء وأفعاله في آخر عمره يدلّ على ما كان كامناً في النفس من النيّات الحسنة والعقائد الحقّة والطينات الطيّبة أو النيّات الفاسدة والعقائد الرديّة والطينات الخبيثة، فيكون الخبر دليلاً على ذلك، فانّ من يكون في بدو حاله فاجراً ويختم له بالحسنى، إنّما يحبّه الله لما يعلم من حسن سريرته الّذي يدلّ عليه خاتمة عمله، ومن كان بعكس ذلك يبغضه لما يعلم من سوء سريرته، وهذان الوجهان ممّا خطر بالبال و ربّما يؤيّد الثاني ما ذكره بعده كما لا يخفى بعد التأمّل.

وقال ابن أبي الحديد: هو مشتقّ من قوله ـ تعالى ـ: «وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ» [٦٠٤]. والمعنى أنّ لكلي حالتي الإنسان الظاهرة أمراً باطنياً يناسبها من أحواله، والحالتان الظاهرتان ميله إلى العقل، وميله إلى الهوى، فالمتّبع لعقله يرزق السعادة والفوز، فهذا هو الّذي طاب ظاهره وطاب باطنه، والمتّبع لمقتضى هواه يرزق الشقاوة والعطب، وهذا هو الّذي خبث ظاهره وخبث باطنه.[٦٠٥]

ومنهم من حمل الظاهر على حسن الصورة والهيئة وقبحها، وقال: هما يدلّان على قبح الباطن وحسنه، وحمل حبّ العبد مع قبح الفعل على ما إذا كان مع قبح الصورة ولا يخفى بعد الوجهين على الخبير.[٦٠٦]

[هذا بيان آخر في شرح الجزء الآخر من الخطبة:]

توضيح: قال الجوهريّ: الناظر من المقلة السواد الأصغر الّذي فيه إنسان العين، أي إنّ قلب اللبيب له عين يبصرها غايته الّتي تجرى إليها، و يعرف من أحواله المستقبلة ما كان مرتفعاً شريفاً، أو منخفضاً ساقطاً. و«النجد» المرتفع من الأرض. ولعلّ المراد بالداعي الرسول ـ صلّى اللّه عليه وآله ـ، و بالراعي نفسه ـ عليه السلام ـ. قوله ـ عليه السلام ـ «قد خاضوا» كلام منقطع عمّا قبله ومتّصل بكلام أسقطه السيّد ـ رضي الله عنه ـ تقيّة للتصريح بذمّ الخلفاء الثلاثة فيه. و«أرز» بالفتح والكسر، انقبض. و«المؤمنون» هو ـ عليه السلام ـ وشيعته. والضالّون خلفاء الجور وأتباعهم.

وقال ابن أبي الحديد في قوله ـ عليه السلام ـ و«الخزنة والأبواب» أي خزنة العلم وأبوابه، أو خزنة الجنّة وأبوابها، قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها ومن أراد الحكمة فليأت الباب»؛ وقال فيه: خازن علمي ، وتارة أخرى: عيبة علمي. وقال ـ صلّى الله عليه وآله ـ في الخبر المستفيض: إنّه قسيم الجنّة والنار، يقول للنّار هذا لي فدعيه، وهذا لك فخذيه. ثمّ ذكر أربعة وعشرين حديثاً من

٦٠٤- الأعراف: ٥٨.

٦٠٥- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٩، ص ١٧٨ ـ ١٧٩، ط بيروت.

٦٠٦- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٧١، كتاب الإيمان والكفر، ص ٣٦٧.

فضائله ــ صلوات الله عليه ــ من طرق المخالفين.

قوله ــ عليه السلام ــ «فيهم كرائم القرآن» ضمير الجمع إلى آل محمّد ــ عليهم السلام ــ الّذين عناهم ــ عليه السلام ــ بقوله «نحن الشعار» والمراد بكرائم القرآن مدائحهم الّتي ذكرها الله فيه، أو علومه المخزونة عندهم. و«هم كنوز الرحمن» أي خزائن علومه وحكمه وقربه. قوله ــ عليه السلام ــ «لم يسبقوا» أي ليس صمتهم عن عيّ وعجز حتّى يسبقهم أحد، بل لمحض الحكمة. قوله ــ عليه السلام ــ «فليصدق رائد أهله» يحتمل أن يكون المراد بالرائد الإنسان نفسه فإنّه كالرائد لنفسه في الدنيا يطلب فيه لآخرته ماء ومرعى، أي لينصح نفسه ولايغشّها بالتسويف والتعليل، أو المعنى: ليصدق كلّ منكم أهله وعشيرته ومن يعينه أمره، وليبلّغهم ماعرف من فضلنا وعلوّ درجتنا. قوله ــ عليه السلام ــ «فإنّه منها قدم» لخلق روحه قبل بدنه من عالم الملكوت، أو لخروج أبيهم من الجنّة، وقيل: الآخرة الحضرة الإلهيّة الّتي منها مبدأ الخلق وإليها معادهم. «فالناظر بالقلب» أي من لايقتصر في نظره على ظواهر الأمور. «العامل بالبصر» أي من يعمل بما يبصر بعين بصيرة، أي إذا علم الحقّ لايتعدّاه، و يروى: «العالم بالبصر» أي من كان إبصاره سبباً لعلمه.

قوله ــ عليه السلام ــ «واعلم أنّ لكلّ ظاهر باطناً» أقول: قد يتوهّم التنافي بين هاتين الكلمتين و بين الخبر المرويّ ظاهراً، ويخطر بالبال دفعه بوجوه:

الأوّل: أن يكون الخبر في قوّة الاستثناء لبيان أنّ المقدّمتين ليستا كلّيّتين بل هما لبيان الغالب وقد يتخلّف كما ورد في الخبر.

الثّاني: أن يكون الخبر استشهاداً للمقدّمتين، و بيانه أنّ للعمل ظاهراً و باطناً، وللشخص ظاهراً و باطناً، فظاهر الشخص مطابق لباطنه، ولذا يحبّ الله ظاهر الشخص لما يعلم من حسن باطنه وعاقبته، و يبغض ظاهر الشخص إذا علم سوء باطنه ورداءة عاقبته.

الثالث: أن يكون المراد أنّه لايمكن أن لايظهر سوء الباطن من الأخلاق الرديّة والاعتقادات الباطلة والطينات الفاسدة وإن كان في آخر العمر، ولا حسن الباطن من الأخلاق الحسنة والاعتقادات الحقّة والطينات الطيّبة، فالّذي يحبّه الله و يبغض عمله

ينقلب حاله في آخر العمر و يظهر منه حسن العقائد والأعمال وكذا العكس، فظهر أنّ حسن الباطن والظاهر مطابقتان، وكذا سوءهما. ولعلّ ما يذكر بعده يؤيّد هذا الوجه في الجملة.

الرابع: ما ذكره ابن أبي الحديد حيث قال: هو مشتقّ من قوله ــ تعالى ــ «وَ الْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ»، والمعنى أنّ لكلتي حالتي الإنسان الظّاهرة أمراً باطناً يناسبها من أحواله، والحالتان الظاهرتان ميله إلى العقل وميله إلى الهوى، فالمتّبع لعقله يرزق السعادة والفوز، فهذا هو الّذي طاب ظاهره وطاب باطنه، والمتّبع لمقتضى هواه يرزق الشقاوة والعطب، وهذا هو الّذي خبث ظاهره وخبث باطنه.

الخامس: ما قيل: المراد بطيب الظاهر حسن الصورة والهيئة، و بخبثه قبحها. وقال: هما يدلان على حسن الباطن وقبحه. وحمل خبث العبد مع قبح الفعل على ما إذا كان مع حسن الصورة، والآخر على ما إذا كان مع قبح الصورة، ولايخفى بعده. والأوّل أظهر الوجوه.

و«أمرّت» أي صارت مرّاً.[٦٠٧]

١٥٥ ــ ومن خطبة له عليه السلام

يذكر فيها بديع خلقة الخفاش

حمد الله وتنزيهه

اَلْحَمْدُ للهِ اَلَّذِي اَنْحَسَرَتِ[(١٩٠١)] اَلْأَوْصَافُ عَنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِهِ ، وَرَدَعَتْ عَظَمَتُهُ اَلْعُقُولَ ، فَلَمْ تَجِدْ مَسَاغاً إِلَى بُلُوغِ غَايَةِ مَلَكُوتِهِ !

هُوَ اَللهُ اَلْحَقُّ اَلْمُبِينُ ، أَحَقُّ وَأَبْيَنُ مِمَّا تَرَى اَلْعُيُونُ ، لَمْ تَبْلُغْهُ اَلْعُقُولُ

٦٠٧ــ بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ١٧٦، ط كمباني وص ١٧٠، ط تبريز.

بِتَحْدِيدٍ فَيَكُونَ مُشَبَّهاً ، وَلَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ ٱلْأَوْهَامُ بِتَقْدِيرٍ فَيَكُونَ مُمَثَّلاً . خَلَقَ ٱلْخَلْقَ عَلَىٰ غَيْرِ تَمْثِيلٍ ، وَلَا مَشُورَةِ مُشِيرٍ ، وَلَا مَعُونَةِ مُعِينٍ ، فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ ، وَأَذْعَنَ لِطَاعَتِهِ ، فَأَجَابَ وَلَمْ يُدَافِعْ ، وَٱنْقَادَ وَلَمْ يُنَازِعْ .

خلقة الخفاش

وَمِنْ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ ، وَعَجَائِبِ خِلْقَتِهِ ، مَا أَرَانَا مِنْ غَوَامِضِ ٱلْحِكْمَةِ فِي هٰذِهِ ٱلْخَفَافِيشِ ٱلَّتِي يَقْبِضُهَا ٱلضِّيَاءُ ٱلْبَاسِطُ لِكُلِّ شَيْءٍ ، وَيَبْسُطُهَا ٱلظَّلَامُ ٱلْقَابِضُ لِكُلِّ حَيٍّ ؛ وَكَيْفَ عَشِيَتْ(١٩٠٢) أَعْيُنُهَا عَنْ أَنْ تَسْتَمِدَّ مِنَ ٱلشَّمْسِ ٱلْمُضِيئَةِ نُوراً تَهْتَدِي بِهِ فِي مَذَاهِبِهَا ، وَتَتَّصِلُ بِعَلَانِيَةِ بُرْهَانِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ مَعَارِفِهَا . وَرَدَعَهَا بِتَلَأْلُؤِ ضِيَائِهَا عَنِ ٱلْمُضِيِّ فِي سُبُحَاتِ(١٩٠٣) إِشْرَاقِهَا ، وَأَكَنَّهَا فِي مَكَامِنِهَا عَنِ ٱلذَّهَابِ فِي بُلَجِ ٱئْتِلَاقِهَا(١٩٠٤) ، فَهِيَ مُسْدَلَةُ ٱلْجُفُونِ بِالنَّهَارِ عَلَىٰ حِدَاقِهَا ، وَجَاعِلَةُ ٱللَّيْلِ سِرَاجاً تَسْتَدِلُّ بِهِ فِي ٱلْتِمَاسِ أَرْزَاقِهَا ؛ فَلَا يَرُدُّ أَبْصَارَهَا إِسْدَافُ(١٩٠٥) ظُلْمَتِهِ ، وَلَا تَمْتَنِعُ مِنَ ٱلْمُضِيِّ فِيهِ لِغَسَقِ دُجُنَّتِهِ(١٩٠٦) . فَإِذَا أَلْقَتِ ٱلشَّمْسُ قِنَاعَهَا ، وَبَدَتْ أَوْضَاحُ(١٩٠٧) نَهَارِهَا ، وَدَخَلَ مِنْ إِشْرَاقِ نُورِهَا عَلَىٰ ٱلضِّبَابِ فِي وِجَارِهَا(١٩٠٨) ، أَطْبَقَتِ ٱلْأَجْفَانَ عَلَىٰ مَآقِيهَا(١٩٠٩) ، وَتَبَلَّغَتْ(١٩١٠) بِمَا ٱكْتَسَبَتْهُ مِنَ ٱلْمَعَاشِ فِي ظُلَمِ لَيَالِيهَا . فَسُبْحَانَ مَنْ

جَعَلَ اللَّيْلَ لَهَا نَهاراً وَمَعاشاً ، وَالنَّهارَ سَكَناً وَقَراراً ! وَجَعَلَ لَهَا أَجْنِحَةً مِنْ لَحْمِهَا تَعْرُجُ بِهَا عِنْدَ ٱلْحَاجَةِ إِلَىٰ الطَّيَرانِ ، كَأَنَّهَا شَظَايَا ٱلْآذَانِ[١٩١١] ، غَيْرَ ذَوَاتِ رِيشٍ وَلَا قَصَبٍ[١٩١٢] ، إِلَّا أَنَّكَ تَرَىٰ مَوَاضِعَ ٱلْعُرُوقِ بَيِّنَةً أَعْلَاماً[١٩١٣] . لَهَا جَنَاحَانِ لَمَّا يَرِقَّا فَيَنْشَقَّا ، وَلَمْ يَغْلُظَا فَيَثْقُلَا . تَطِيرُ وَوَلَدُهَا لَاصِقٌ بِهَا لَاجِئٌ إِلَيْهَا ، يَقَعُ إِذَا وَقَعَتْ ، وَيَرْتَفِعُ إِذَا ٱرْتَفَعَتْ ، لَا يُفَارِقُهَا حَتَّىٰ تَشْتَدَّ أَرْكَانُهُ ، وَيَحْمِلَهُ لِلنُّهُوضِ جَنَاحُهُ ، وَيَعْرِفَ مَذَاهِبَ عَيْشِهِ ، وَمَصَالِحَ نَفْسِهِ . فَسُبْحَانَ ٱلْبَارِىءِ لِكُلِّ شَيْءٍ ، عَلَىٰ غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ[١٩١٤] !

تبيان: «الخفّاش» ــ كرمّان ــ معروف، و«حسر حسوراً» ــ كقعد ــ كلّ لطول مدى ونحوه، و«حسرته أنا» يتعدّى ولايتعدّى، و«انحسرت» أي كلّت وأعيت. و«كنه الشيء» حقيقته ونهايته. و«ردعت» ــ كمنعت ــ لفظاً ومعناً. و«المساغ» المسلك. و«الملكوت» العزّ والسلطان. و«الحق» المتحقّق وجوده، أو الموجود حقيقة. و«أبين» أي أوضح، وكونه ــ سبحانه ــ أحقّ وأبين ممّا ترى العيون، لأنّ العلم بوجوده ــ سبحانه ــ عقليّ يقينيّ لا يتطرّق إليه ما يتطرّق إلى المحسوسات من الغلط. و«الحدّ» في اللغة، المنع والحاجز بين الشيئين ونهاية الشيء وطرفه، وفي عرف المنطقيّين، التعريف بالذاتيّ، والمراد بالتحديد هنا إمّا إثبات النهاية والطرف المستلزم للمشابهة بالأجسام، أو التحديد المنطقيّ والأوّل أنسب بعرفهم. و«التقدير» إثبات المقدار، وكأنّ المراد بالتمثيل إيجاد الخلق على حذو ماقد خلقه غيره، أو أنّه لم يجعل لخلقه مثالاً قبل الايجاد كما يفعله البنّاء تصويراً لما يريد بناءه. و«المشورة» مفعلة من «أشار إليه بكذا» أي أمره به، و«المشورة» بضمّ الشين ــ كما في بعض النسخ ــ والشورى بمعناه. و«المعونة» الاسم من «أعانه وعوّنه». «فتمّ خلقه» أي بلغ كلّ مخلوق إلى كماله الّذي

أراده الله ـ سبحانه ـ منه، أو خرج جميع ما أراده من العدم إلى الوجود بمجرّد أمره، و«أذعن» أي خضع وأقرّ وأسرع في الطاعة وانقاد، والجملتان كالتفسير للاذعان، ولعلّ المراد بالاذعان دخوله تحت القدرة الالهيّة وعدم الاستطاعة للامتناع.

وقوله ـ عليه السلام ـ «لم يدافع» بيان للاجابة، كما أنّ «لم ينازع» بيان للانقياد، وإلّا لكان العكس أنسب، ويحتمل أن يكون إشارة إلى تسبيحهم بلسان الحال كقوله ـ تعالى ـ : «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ»[٦٠٨]، كما مرّ. و«اللطائف» جمع «لطيفة»، وهي ما صغر ودقّ. و«العجائب» جمع «عجيبة وعجيب» قيل: يجمع على «عجائب» كأفيل وأفايل، وقيل: لايجمع عجيب ولاعجب. و«الغامض» خلاف الواضح وكلّ شيء خفي مأخذه. وقال بعضهم: حاصل الكلام، التعجّب من مخالفتها لجميع الحيوانات في الأنقباض عن الضوء والاشارة إلى خفاء العلّة في ذلك، والمراد بالانقباض انقباض أعينها في الضوء، و يكون ذلك عن إفراط التحلّل في الروح النوريّ لحرّ النهار، ثمّ يستدرك ذلك برد الليل فيعود الابصار.

وقيل: الأظهر أنّه ليس لمجرّد الحرّ وإلّا لزم أن لايعرضه الانقباض في الشتاء إلّا إذا ظهرت الحرارة في الهواء، وفي الصيف أيضاً في أوائل النهار، بل ذلك لضعف في قوّتها الباصرة، ونوع من التضادّ والتنافر بينها و بين النور كالعجز العارض لسائر القوى المبصرة عن النظر إلى جرم الشمس؛ وأمّا أنّ علّة التنافر ماذا؟ ففيه خفاء، وهو منشأ التعجّب الذي يشير إليه الكلام، ويمكن أن يعود الضمير إليها من غير تقدير مضاف، و يكون المراد بانقباضها ما هو منشأ اختفائها نهاراً وإن كان ذلك ناشئاً من جهة الابصار. و«العشى» بالفتح مقصوراً، سوء البصر بالنهار أو بالليل والنهار أو العمى، والمعنى كيف عجزت وعميت عن أن تستمدّ؟ أي تستعين وتتقوّى، تقول: «أمددته بمدد» إذا أعنته وقوّيته. و«مذاهبها» طرق معاشها ومسالكها في سيرها وانتفاعها، و«تصل» بالنصب عطفاً على «تستمدّ» وفي بعض النسخ بالرفع عطفاً على «تهتدي»؛ وفي بعضها: «وتتّصل» و«الا تّصال إلى الشيء» الوصول إليه.

٦٠٨- الإسراء: ٤٤.

و«البرهان» الدليل، و«معارفها» ما تعرفه من طرق انتفاعها. و«ردعها» أي كفّها وردّها، و«تلألأ البرق» أي لمع، و«السبحات» بضمّتين جمع «سبحة» بالضمّ وهي النور، وقيل: «سبحات الوجه» محاسنه لأنّك إذا رأيت الوجه الحسن قلت: سبحان الله، وقيل: «سبحان الله» تنزيه له، أي سبحان وجهه. و«الكنّ» بالكسر، السترو «أكنّه» ستره، و«استكنّ» استتر، و«كمن» ـ كنصر ومنع ـ أي استخفى، و«المكمن» الموضع، و«البلج» بالتحريك، مصدر «بلج» ـ كتعب ـ أي ظهر ووضح، و«صبح أبلج بين البلج» أي مشرق ومضيء، ذكره الجوهريّ، وقيل: «البلج» جمع «بلجة» بالضمّ، وهو أوّل ضوء الصبح، وجاء «بلجة» أيضاً بالفتح ولم أجده في كلامهم؛ و«الائتلاق» اللمعان، يقال: «ائتلق وتألّق» إذا التمع. و«سدل ثوبه يسدله وأسدله» أي أرسله وأرخاه، و«الجفن» بالفتح، غطاء العين من أعلاها وأسفلها، والجمع «أجفان وجفون وأجفن». و«الحدقة» محرّكة، سواد العين، وتجمع على «حِداق» كما في بعض النسخ، وعلى «أحداق» كما في بعضها، وإسدال جفونها لانقباضها وتأثّر حاسّتها عن الضياء، وقيل: لأنّ تحلّل الروح الحامل للقوّة الباصرة سبب للنوم أيضاً فيكون ذلك الاسدال ضرباً من النوم. و«الالتماس» الطلب. و«أسدف الليل» أي أظلم، وفي بعض النسخ: «أسداف» بفتح الهمزة جمع «سدف» بالتحريك كجمل وأجمال وهو الظلمة، والاضافة للمبالغة، والضمير في «فيه» راجع إلى الليل. و«الغسق» بالتحريك، ظلمة أوّل الليل، و«الدجنّة» بضم الدّال المهملة والجيم وتشديد النون كحزقّة والدُجنّ كعتلّ، الظلمة؛ وحاصل الكلام التعجّب من كون حالها في الابصار والتماس الرزق على عكس سائر الحيوانات. و«قناع الشمس» كناية عن الظلمة أو مايحجبها من الآفاق، و«إلقاء القناع» طلوعها. و«الوضح» بالتحريك، البياض من كلّ شيء وبياض الصبح والقمر؛ وفي بعض النسخ: «دخل من إشراق نورها» أي دخل الشيء من إشراق نورها.

و«الضباب» بالكسر، جمع «الضبّ» الدابّة المعروفة، و«وجارها» بالكسر، جحرها الّذي تأوي إليه، ومن عادتها الخروج من وجارها عند طلوع الشمس لمواجهة

النور على عكس الخفافيش، و«مأقيها» بفتح الميم وسكون الهمزة وكسر القاف وسكون الياء ــ كما في أكثر النسخ ــ، لغة في «المؤق» بضمّ الميم وسكون الهمزة، أي طرف عينها ممّا يلي الأنف، وهو مجرى الدمع من العين، وقيل: مؤخّرها،وقال الأزهريّ: أجمع أهل اللغة أنّ «المؤق والمأق» بالضمّ والفتح، طرف العين الّذي يلي الأنف، وأنّ الّذي يلي الصدغ يقال له: اللحاظ، و«المأقي» لغة فيه؛ وقال ابن القطاع: «مأقى العين» فعلى، وقد غلط فيه جماعة من العلماء فقالوا: هو مفعل، وليس كذلك بل اليآء في آخره للالحاق، قال الجوهريّ: وليس هو مفعل لأنّ الميم أصليّة وإنّما زيدت في آخره اليآء للالحاق، ولمّا كان فعلى بكسر اللام نادراً لا أُخت لها أُلحق بمفعل، ولهذا جمع على «مآقي» على التوهّم؛ وفي بعض النسخ: «مآقيها» على صيغة الجمع. و«تبلّغ بكذا» أي اكتفى. و«المعاش» مايعاش به وما يعاش فيه، ومصدر بمعنى الحياة والمناسب ههنا الأوّل، وفيما سيجيء الثاني؛ وفي بعض النسخ: «ليلها» موضع «لياليها».

و«السكن» بالتحريك، ما تسكن إليه النفس وتطمئنّ. و«قرّ الشيء» ــ كفرّ ــ أي استقرّ بالمكان والاسم «القرار» بالفتح، وقيل: هو اسم مصدر[٦٠٩].
و«الشظيّة» الفلقة من الشيء، فعيلة من قولك «تشظّت العصا» إذا صارت فلقا، والجمع «شظايا». و«القصب» الّذي في أسفل الريش للطيور.

و«الأعلام» جمع «علم» بالتحريك، وهو طراز الثوب ورسم الشيء ورقمه و«أعلاماً» في المعنى كالتأكيد لبيّنة، وكلمة «لها» غير موجودة في بعض النسخ، فيكون قوله «جناحان» خبر مبتدء محذوف، أي جناحاه لم يجعلا رقيقين بالغين في الرّقة ولا في الغلظ حذراً من الانشقاق والثقل المانع من الطيران. و«لجأ إلى الشيء» أي لاذو اعتصم به، ووقوع الطير ضدّ ارتفاعه. و«أركان كلّ شيء» جوانبه الّتي يستند إليها و يقوم بها. و«النهوض» التحرّك بالقيام، و«نهض الطائر» إذا بسط جناحه ليطير، و«العيش» الحياة، و«مصالح الشيء» ما فيه صلاحه ضدّ الفساد. و«الباريئ» الخالق، و«مثال الشيء» شبهه، و«خلا» أي مضى وسبق، أي لم يخلق الأشياء على

٦٠٩- في النسخة المخطوطة: هو مصدر.

حذو خالق سبقه، بل ابتدعها على مقتضى الحكمة والمصلحة.

قال الدميريّ: «الخفّاش» بضمّ الخاء وتشديد الفاء، واحد «الخفافيش» الّتي تطير في الليل وهو غريب الشكل والوصف، و«الخفش» صغر العين وضيق البصر، و«الأخفش» صغير العين ضعيف البصر، وقيل: هو عكس الأعشى، وقيل: هو من يبصر في الغيم دون الصحو، وقال الجوهريّ: هو نوعان: و «الأعشى» من يبصر نهاراً لا ليلاً و«العمش» ضعف الرؤية مع سيلان الدمع غالب الأوقات، والعور معروف.

قال .البطليوسيّ: الخفّاش له أربعة أسماء: خفّاش و خشّاف وخطّاف ووطواط. وتسميته خفّاشاً يحتمل أن يكون مأخوذاً من الخفش، والأخفش في اللغة نوعان: ضعيف البصر خلقة، والثاني لعلّة حدثت، وهو الّذي يبصر بالليل دون النهار وفي يوم الغيم دون الصحو.

وما ذكره من أنّ الخفّاش هو الخطّاف فيه نظر، والحقّ أنّه صنفان.[٦١٠]

وقال قوم: الخفّاش الصغير، والوطواط الكبير، وهو لا يبصر في ضوء القمر ولا في ضوء النهار، ولمّا كان لا يبصر نهاراً التمس الوقت الّذي لايكون فيه ظلمة ولا ضوء وهو قريب غروب الشمس لأنّه وقت هيجان البعوض، فانّ البعوض يخرج ذلك الوقت يطلب قوته وهو دماء الحيوان، والخفّاش يطلب الطعم[٦١١] فيقع طالب رزق على طالب رزق، والخفّاش ليس هو من الطير في شي ء لأنّه ذوأذنين وأسنان وخصيتين[٦١٢] ويحيض و يطهر و يضحك كما يضحك الانسان و يبول كما تبول ذوات الأربع و يرضع ولده ولا ريش له.

قال بعض المفسّرين: لمّا كان الخفّاش هو الّذي خلقه عيسى بن مريم ــ عليه السلام ــ باذن الله ــ تعالى ــ، كان مبايناً لصنعة الله ــ تعالى ــ ولهذا جميع الطير تقهره وتبغضه، فما كان منها يأكل اللحم أكله ومالايأكل اللحم قتله، فلذلك لايطير إلّا ليلاً.

٦١٠- في المصدر: صنفان وهو الوطواط.

٦١١- في المصدر: والخفّاش يخرج طالباً للطعم.

٦١٢- في المصدر: وخصيتين ومنقار.

وقيل: لم يخلق عيسى ــ عليه السلام ــ غيره لأنّه أكمل الطير خلقاً وهو أبلغ في القدرة لأنّ له ثديا وأسنانا وأذنا[٦١٣]؛ وقيل: إنّما طلبوا خلق الخفّاش لأنّه من أعجب الطير[٦١٤] إذ هو لحم ودم يطير بغير ريش وهو شديد الطيران سريع التقلّب يقتات بالبعوض والذباب وبعض الفواكه، وهو مع ذلك موصف بطول العمر، فيقال: إنّه أطول عمراً من النسر ومن حمارالوحش، وتلد أنثاه ما بين ثلاثة أفراخ وسبعة، وكثيراً مايسفدو هو طائر في الهواء، وليس في الحيوان ما يحمل ولده غيره والقردو الانسان، ويحمله تحت جناحه، وربّما قبض عليه بفيه وهومن حنوّه عليه وإشفاقه عليه، وربّما أرضعت الانثى ولدها وهي طائرة، وفي طبعه أنّه متى أصابه ورق الدلب حذرولم يطر؛ و يوصف بالحمق، ومن ذلك إذا قيل له: «اطرق كرا» التصق بالأرض.[٦١٥]

١٥٦ ــ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

خاطب به أهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم

فَمَنِ ٱسْتَطَاعَ عِنْدَ ذٰلِكَ أَنْ يَعْتَقِلَ نَفْسَهُ عَلَىٰ ٱللهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، فَلْيَفْعَلْ . فَإِنْ أَطَعْتُمُونِي فَإِنِّي حَامِلُكُمْ إِنْ شَاءَ ٱللهُ عَلَىٰ سَبِيلِ ٱلْجَنَّةِ ، وَإِنْ كَانَ ذَا مَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ وَمَذَاقَةٍ مَرِيرَةٍ .

وَأَمَّا فُلَانَةُ فَأَدْرَكَهَا رَأْيُ ٱلنِّسَاءِ ، وَضِغْنٌ غَلَا فِي صَدْرِهَا كَمِرْجَلِ (١٩١٥) ٱلْقَيْنِ (١٩١٦) ، وَلَوْ دُعِيَتْ لِتَنَالَ مِنْ غَيْرِي مَا أَتَتْ إِلَيَّ ، لَمْ تَفْعَلْ . وَلَهَا

٦١٣ــ في المصدرمع زيادة هي: وتحيض كما تحيض المرأة.

٦١٤ــ في المصدر: من أعجب الطير خلقة.

٦١٥ــ بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٦٤، كتاب السماء والعالم، ص ٣٢٤ ــ ٣٢٩.

بَعْدُ حُرْمَتُهَا ٱلْأُولَىٰ ، وَٱلْحِسَابُ عَلَىٰ ٱللهِ تَعَالَىٰ .

وصف الايمان

منه : سَبِيلٌ أَبْلَجُ ٱلْمِنْهَاجِ ، أَنْوَرُ السِّرَاجِ . فَبِٱلْإِيمَانِ يُسْتَدَلُّ عَلَىٰ الصَّالِحَاتِ ، وَبِالصَّالِحَاتِ يُسْتَدَلُّ عَلَىٰ ٱلْإِيمَانِ ، وَبِٱلْإِيمَانِ يُعْمَرُ ٱلْعِلْمُ ، وَبِٱلْعِلْمِ يُرْهَبُ ٱلْمَوْتُ ، وَبِٱلْمَوْتِ تُخْتَمُ الدُّنْيَا ، وَبِالدُّنْيَا تُحْرَزُ ٱلْآخِرَةُ ، وَبِٱلْقِيَامَةِ تُزْلَفُ ٱلْجَنَّةُ ، «وَتُبَرَّزُ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ» . وَإِنَّ ٱلْخَلْقَ لَا مَقْصَرَ[١٩١٧] لَهُمْ عَنِ ٱلْقِيَامَةِ ، مُرْقِلِينَ[١٩١٨] فِي مِضْمَارِهَا إِلَىٰ ٱلْغَايَةِ ٱلْقُصْوَىٰ .

تبيين: «بلج الصبح» أي أضاء وأشرق، و«المنهاج» الطريق، والظاهر أنّ الكلام في وصف الدين، و«مناهجه» قوانينه، و«سراجه الأنور» الرسول الهادي إليه وأوصياؤه ـ صلوات الله عليهم ـ.

قال بعض شرّاح النهج: يريد بالايمان أوّلاً مسمّاه اللغوي وهو التصديق،قال الله ـ تعالى ـ: «وَ مَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَ لَوْ كُنَّا صَادِقِينَ»[٦١٦] أي بمصدّق، وثانياً بمعناه الشرعيّ، أي التصديق والاقرار والعمل، أي من حصل عنده التصديق بالوحدانية والرسالة، استدلّ بها على وجوب الأعمال الصالحة عليه، أو ندبه إليها، وبأعماله الصالحة يعلم إيمانه، وبهذا فرّ من الدور.[٦١٧]

وقال بعضهم: الصالحات معلولات للايمان وثمرات له، فيستدلّ بوجوده في

٦١٦ـ يوسف: ١٧.

٦١٧ـ بل الصحيح أنّ الاستدلال ليس بمعناه المصطلح عليه عند الفلاسفة والمتكلّمين، بل هو بمعناه اللغوي وهو الاستهداء، والمراد أنّ الايمان يهدي إلى عمل الصالحات فيمن آمن ولم يكن ليعمل الصالحات، كما أنّ الصالحات تهدي إلى الايمان بالله فيمن يعمل الصالحات ولم يكن ليؤمن بالله، كما سيجيء احتماله فيما بعد.

قلب العبد على ملازمته للصالحات استدلالاً بالعلّة على المعلول و بصدورها عن العبد على وجوده في القلب استدلالاً بالمعلول على العلّة.

وعلى هذا الوجه يكون الايمان في الموضعين بالمعنى اللغوي، وحينئذ يمكن أن يكون المعنى: يستدلّ بالايمان على الصالحات، أو يكون الايمان دليلاً للانسان نفسه، وقائداً يؤدّيه إلى فعل الصالحات، وبأعماله الصالحة يعلم غيره أنّه من المؤمنين، فالاستدلال في الموضعين ليس بمعنى واحد.

ويمكن أن يراد بالثاني أنّ مشاهدة الأعمال الصالحة يؤدّي من يشاهدها إلى الايمان.

ويحتمل أن يكون المراد أنّ الايمان يهدي إلى صالح الأعمال، والأعمال الصالحة تورث كمال الايمان، أو الايمان يقود الانسان إلى الأعمال الصالحة والأعمال الصالحة الناشئة من حسن السريرة وخلوص النيّة تورث توفيق الكافر للايمان.

أو يستدلّ بايمان الرجل إذا علم على حسن عمله، و بقدر أعماله على قدر إيمانه وكماله، أو يستدلّ بكلّ منها إذا علم على الآخر، وهذا قريب من الثاني والغرض بيان شدّة الارتباط والتلازم بينهما.

«وبالايمان يعمر العلم» فانّ العلم الخالي من الايمان كالخراب لاينتفع به؛ وقيل: لأنّ حسن العمل من أجزاء الايمان، والعلم بلا عمل كالخراب لافائدة فيه.

«وبالعلم يرهب الموت» أي يخشى عقاب الله بعد الموت كما قال الله ـ تعالى ـ: «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ» [٦١٨].

«وبالموت تختم الدنيا» والموت لا مهرب منه، فلابدّ من القطع بانقطاع الدنيا، ولاينبغي للعاقل أن تكون همّته مقصورة عليها.

«وبالدنيا تحرز الآخرة» أي تحاز و تجمع سعاداتها، فانّ الدنيا مضمار الآخرة ومحلّ الاستعداد واكتساب الزاد ليوم المعاد، أو المراد بالدنيا الأموال ونحوها، أي يمكن للانسان أن يصرف ما أعطاه الله من المال ونحوه على وجه يكتسب به الآخرة. و«الزُلفة

٦١٨- الفاطر: ٢٨.

و«الزُّلفى» بالضمّ فيها، القربة. و«أبرزه الشيء إبرازاً وبرّزه تبريزاً» أي أظهره وكشفه. و«الغاوي» العامل بما يوجب الخيبة أي بالقيامة أو فيها يقرب الجنّة للمتقين ليدخلوها أو ليستبشروا بها، ويكشف الغطاء عن الجحيم للضالّين كما قال ــ سبحانه ــ: «وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ»[٦١٩]. قيل: وفي اختلاف الفعلين دلالة على غلبة الوعد. و«القصر» بالفتح، الغاية، كالقصارى بالضمّ، و«قصرت الشيء» حبسته و«قصرت فلاناً على كذا» رددته على شيء دون ما أراد. كذا في العين: أي لامحبس للخلق أو لاغاية لهم دون القيامة أو لا مردّ لهم عنها.

و«أرقل» أي أسرع، و«المضمار» موضع تضمير الفرس ومدّته، وهو أن تعلفه حتّى يسمن، ثمّ تردّه إلى القوت، وفسّر المضمار بالميدان وهو أنسب بالمقام.[٦٢٠]

حال أهل القبور في القيامة

منه: قَدْ شَخَصُوا[١٩١٩] مِنْ مُسْتَقَرِّ ٱلْأَجْدَاثِ[١٩٢٠]، وَصَارُوا إِلَىٰ مَصَائِرِ ٱلْغَايَاتِ[١٩٢١]. لِكُلِّ دَارٍ أَهْلُهَا لَا يَسْتَبْدِلُونَ بِهَا وَلَا يُنْقَلُونَ عَنْهَا.

وَإِنَّ ٱلْأَمْرَ بِٱلْمَعْرُوفِ، وَٱلنَّهْيَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ، لَخُلُقَانِ مِنْ خُلُقِ ٱللهِ سُبْحَانَهُ؛ وَإِنَّهُمَا لَا يُقَرِّبَانِ مِنْ أَجَلٍ، وَلَا يَنْقُصَانِ مِنْ رِزْقٍ. وَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ ٱللهِ، «فَإِنَّهُ ٱلْحَبْلُ ٱلْمَتِينُ، وَٱلنُّورُ ٱلْمُبِينُ»، وَٱلشِّفَاءُ ٱلنَّافِعُ، وَٱلرِّيُّ ٱلنَّاقِعُ[١٩٢٢]، وَٱلْعِصْمَةُ لِلْمُتَمَسِّكِ، وَٱلنَّجَاةُ لِلْمُتَعَلِّقِ. لَا يَعْوَجُّ

٦١٩- الشعراء: ٩٠ ــ ٩١.

٦٢٠- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٦٧، كتاب الايمان والكفر، ص ٦٧ ــ ٦٩.

فَيُقَامَ ، وَلَا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبَ(١٩٢٣) ،« وَلَا تُخْلِقُهُ كَثْرَةُ الرَّدِّ» (١٩٢٤) ، وَوُلُوجُ ٱلسَّمْعِ (١٩٢٥) . « مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ سَبَقَ » .

عد: اعتقادنا في البعث بعد الموت أنه حق.

وقال النبيّ ــ صلّى الله عليه وآله ــ يا بني عبدالمطلب إنّ الرائد[٦٢١] لايكذب أهله، والّذي بعثني بالحقّ لتموتنّ كما تنامون، ولتبعثنّ كما تستيقظون، وما بعد الموت دارالآجنّة أو نار، وخلق جميع الخلق و بعثهم على الله ــ عزّوجلّ ــ كخلق نفس واحدة وبعثها؛ قال الله ــ تعالى ــ «مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ»[٦٢٢].

تذنيب: اعلم أنّ القول بالمعاد الجسمانيّ ممّا اتّفق عليه جميع الملّيّن وهو من ضروريّات الدين ومنكره خارج عن عداد المسلمين، والآيات الكريمة في ذلك ناصّة لايعقل تأويلها، والأخبار فيه متواترة لايمكن ردّها ولاالطعن فيها؛ وقد نفاه أكثر ملاحدة الفلاسفة تمسّكاً بامتناع إعادة المعدوم ولم يقيموا دليلاً عليه، بل تمسّكوا تارة بادّعاء البداهة واُخرى بشبهات واهية لايخفى ضعفها على من نظرفيها بعين البصيرة واليقين وترك تقليد الملحدين من المتفلسفين.

قال الرازيّ في كتاب نهاية العقول: قد عرفت أنّ من الناس من أثبت النفس الناطقة فلا جرم اختلف أقوال أهل العالم في أمر المعاد على وجوه أربعة: أحدها قول من قال: إنّ المعاد ليس إلّا للنفس، وهذا مذهب الجمهور من الفلاسفة؛ وثانيها: قول من قال: المعاد ليس إلّا لهذا البدن، وهذا قول نفاة النفس الناطقة وهم أكثر أهل الإسلام، وثالثها: قول من أثبت المعاد للأمرين وهم طائفة كثيرة من المسلمين مع أكثر النصارى؛ ورابعها: قول من نفى المعاد عن الأمرين، ولا أعرف عاقلاً ذهب إليه. بلى، كان جالينوس من المتوقّفين في أمر المعاد.

وغرضنا إثبات المعاد البدنيّ، وللناس فيه قولان: أحدهما أنّ الله ــ تعالى ــ

٦٢١- «الرائد» هو الّذي يرسله القوم لطلب الماء والكلاء لهم.

٦٢٢- لقمان: ٢٨.

يعدم أجزاء الخلق ثمّ يعيدها، وثانيها أنّه ـ تعالى ـ يميتهم و يفرّق أجزاءهم، ثمّ إنّه ـ تعالى ـ يجمعها و يردّ الحياة إليها؛ ثمّ قال: والدليل على جواز الإعادة في الجملة أنّا قد دلّلنا فيما مضى أنّ الله ـ تعالى ـ قادر على كلّ الممكنات، عالم بكلّ المعلومات من الجزئيّات والكلّيّات، والعلم بهذه الأُصول لايتوقّف على العلم بصحّة المعاد البدنيّ، وإذا كان كذلك أمكن الاستدلال بالسمع على صحّة المعاد، لكنّا نعلم باضطرار إجماع الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ من أوّلهم إلى آخرهم على إثبات المعاد البدنيّ فوجب القطع بوجود هذا المعاد.

وقال العلّامة ـ رحمه الله ـ في شرح الياقوت: اتّفق المسلمون على إعادة الأجساد خلافاً للفلاسفة. واعلم أنّ الإعادة تقال بمعنيين: أحدهما جمع الأجزاء وتأليفها بعد تفرّقها وانفصالها، والثاني إيجادها بعد إعدامها، وأمّا الثاني فقد اختلف الناس فيه واختار المصنّف جوازه أيضاً.

وقال العلّامة الدوانيّ في شرحه على العقائد العضديّة: والمعاد ـ أي الجسمانيّ فإنّه المتبادر عن إطلاق أهل الشرع، إذ هو الّذي يجب الاعتقاد به، و يكفر من أنكره ـ حقّ بإجماع أهل الملل الثلاثة وشهادة نصوص القرآن في المواضع المتعدّدة، بحيث لايقبل التأو يل كقوله ـ تعالى ـ «أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ... إلى قوله: «بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ»[٦٢٣]. قال المفسّرون: نزلت هذه الآية في أُبيّ بن خلف خاصم رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ وأتاه بعظم قدرمّ و بلي ففتّه بيده وقال: يا محمّد! أترى الله يحيي هذه بعد مارمّ؟ فقال ـ صلّى الله عليه وآله ـ نعم و يبعثك و يدخلك النار.

وهذا ممّا يقلع عرق التأو يل بالكلّيّة، ولذلك قال الإمام: الإنصاف أنّه لايمكن الجمع بين الإيمان بما جاء به النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ وبين إنكار الحشر الجسمانيّ. قلت: ولا الجمع بين القول بقدم العالم على ما يقوله الفلاسفة وبين الحشر الجسمانيّ لأنّ النفوس الناطقة على هذا التقدير غير متناهية فيستدعي حشرها جميعاً أبداناً غيرمتناهية، وأمكنة غيرمتناهية وقد ثبت تناهي الأبعاد بالبرهان وباعترافهم؛

٦٢٣- يس: ٩٢.

يحشر الأجساد و يعاد فيها الأرواح بإعادة البدن المعدوم بعينه عند المتكلّمين بل أكثرهم، وبأن تجمع أجزاؤه المتفرّقة كما كانت أوّلاً عند بعضهم، وهم الّذين ينكرون جواز إعادة المعدوم موافقة للفلاسفة، وإذا استحال إعادة المعدوم تعيّن الوجه الثاني وهو أن يكون بجمع الأجزاء المتفرّقة وتأليفها كما كانت أوّلاً.

لايقال: لو ثبت استحالة إعادة المعدوم لزم بطلان الوجه الثاني أيضاً لأنّ أجزاء بدن الشخص كبدن زيد مثلاً وإن لم يكن له جزء صوريّ لايكون بدن زيد إلّا بشرط اجتماع خاصّ وشكل معيّن، فإذا تفرّقت أجزاؤه وانتفى الاجتماع والشكل المعيّنان لم يبق بدن زيد، ثمّ إذا أُعيد فإمّا ان يعاد ذلك الاجتماع والشكل بعينهما أولا، وعلى الأوّل يلزم إعادة المعدوم، وعلى الثاني لايكون المعاد بعينه هو البدن الأوّل بل مثله، وحينئذ يكون تناسخاً، ومن ثمّ قيل: ما من مذهب إلّا وللتناسخ فيه قدم راسخ.

لأنانقول: إنّما يلزم التناسخ إذا لم يكن البدن المحشور مؤلّفاً من الأجزاء الأصليّة للبدن الأوّل، أمّا إذا كان كذلك فلا يستحيل إعادة الروح إليه؛ وليس ذلك من التناسخ، وإن سمّي ذلك تناسخاً كان مجرّد اصطلاح، فإنّ الّذي دلّ على استحالته تعلّق نفس زيد ببدن آخر لايكون مخلوقاً من أجزاء بدنه، وأمّا تعلّقه بالبدن المؤلّف من أجزائه الأصليّة بعينها مع تشكّلها بشكل مثل الشكل السابق، فهو الّذي تعنيه بالحشر الجسمانيّ؛ وكون الشكل والاجتماع غير السابق لايقدح في المقصود وهو حشر الأشخاص الإنسانيّة بأعيانها، فإنّ زيداً مثلاً شخص واحد محفوظ وحدته الشخصيّة من أوّل عمره إلى آخره بحسب العرف والشرع ولذلك يؤاخذ شرعاً وعرفاً بعد التبدّل بمالزمه قبل؛ وكما لايتوهّم أنّ في ذلك تناسخاً لاينبغي أن يتوهّم في هذه الصورة أيضاً، وإن كان الشكل مخالفاً للشكل الأوّل كما ورد في الحديث أنّه قال: يحشر المتكبّرون كأمثال الذرّ، وإنّ ضرس الكافر مثل أُحد، وإنّ أهل الجنّة جرد مرد مكحولون. والحاصل أنّ المعاد الجسمانيّ عبارة عن عود النفس إلى بدن هو ذلك البدن بحسب الشرع والعرف، ومثل هذه التبدّلات والمغايرات الّتي لا تقدح في الوحدة بحسب الشرع والعرف لا تقدح

في كون المحشور هو المبدأ، فافهم.

واعلم أنّ المعاد الجسمانيّ مما يجب الاعتقاد به و يكفر منكره، أمّا المعاد الروحانيّ أعني التذاذ النفس بعد المفارقة وتألّمها باللذّات والآلام العقليّة فلا يتعلّق التكليف باعتقاده ولايكفر منكره ولا منع شرعاً ولا عقلاً من إثباته.

قال الإمام في بعض تصانيفه: أمّا القائلون بالمعاد الروحانيّ والجسمانيّ معاً، فقد أرادوا أن يجمعوا بين الحكمة والشريعة فقالوا: دلّ العقل على أنّ سعادة الأرواح بمعرفة الله ـــ تعالى ـــ ومحبّته، وأنّ سعادة الأجساد في إدراك المحسوسات، والجمع بين هاتين السعادتين في هذه الحياة غير ممكن لأنّ الإنسان مع استغراقه في تجلّي أنوار عالم القدس لايمكنه أن يلتفت إلى شيء من اللذّات الجسمانيّة، ومع استغراقه في استيفاء هذه اللذّات لايمكنه أن يلتفت إلى اللذّات الروحانيّة؛ وإنّما تعذّر هذا الجمع لكون الأرواح البشريّة ضعيفة في هذا العالم، فإذا فارقت بالموت واستمدّت من عالم القدس والطهارة قويت قادرة على الجمع بين الأمرين، ولا شبهة في أنّ هذه الحالة هي الحالة القصوى من مراتب السعادات. قلت: سياق هذا الكلام مشعر بأنّ إثبات الروحانيّ إنّما هو من حيث الجمع بين الشريعة والفلسفة، وإثباتها ليس من المسائل الكلاميّة، وهذا كما أنّ الرئيس أباعليّ مع إنكاره للمعاد الجسمانيّ على ماهو بسطه في كتاب المعاد وبالغ فيه وأقام الدليل بزعمه على نفيه،قال في كتاب النجاة والشفاء: إنّه يجب أن يعلم أنّ المعاد منه ماهو مقبول من الشرع ولا سبيل إلى إثباته إلّا من طرق الشريعة وتصديق خبر النبوّة وهو الّذي للبدن عند البعث، وخيراته و شروره معلوم لايحتاج إلى أن يعلم. وقد بسطت الشريعة الحقّة الّتي أتانا به سيّدنا ومولانا محمّد ـــ صلّى الله عليه وآله ـــ حال السعادة والشقاوة الّتي بحسب البدن، ومنه ماهو مدرك بالعقل والقياس البرهانيّ وقد صدّقه النبوّة وهو السعادة والشقاوة الثابتتان بالقياس إلى نفس الأمر، وإن كان الأوهام منّا تقصر عن تصوّرهما الآن. وسياق هذا الكلام مشعر بأنّ إثباته للمعاد الروحانيّ ليس من حيث الحكمة، بل هو من حيث الشريعة، فإنّ التمسّك بالدلائل النقليّة ليس من وظائف الفلسفة، فلا يتوهّم أنّ إثباته من المسائل الحكميّة وهو أراد أن

يجمع بين الفلسفة والشريعة.

فذلكة: اعلم أنّ خلاصة القول في ذلك هو أنّ للناس في تفرّق الجسم واتّصاله مذاهب: فالقائلون بالهيولى يقولون بانعدام الصورة الجسميّة والنوعيّة وبقاء الهيولى عند تفرّق الجسم. والنافون للهيولى والجزء الّذي لايتجزّى كالمحقّق الطوسيّ ـ رحمه الله ـ يقولون بعدم انعدام جزء من الجسم عند التفرّق، بل ليس الجسم إلّا الصورة وهي باقية في حال الاتّصال والانفصال؛ وكذا القائلون بالجزء يقولون ببقاء الأجزاء عند التفرّق والاتّصال.

فأمّا على القول الأوّل، فلابدّ في القول بإثبات المعاد بمعنى عود الشخص بجميع أجزائه من القول بإعادة المعدوم، وأمّا القائلون بالأخيرين، فقد ظنّوا أنّهم قد تفصّوا عن ذلك ويمكنهم القول بالحشر الجسمانيّ بهذا المعنى مع عدم القول بجواز إعادة المعدوم. وفيه نظر إذ ظاهر أنّه إذا أُحرق جسد زيد وذرت الرياح ترابه لايبقى تشخّص زيد وإن بقيت الصورة والأجزاء، بل لابدّ في عود الشخص بعينه من عود تشخّصه بعد انعدامه كما مرّت الإشارة إليه، نعم ذكر بعض المتكلّمين أنّ تشخّص الشخص إنّما يقوم بأجزائه الأصليّة المخلوقة من المنيّ، وتلك الأجزاء باقية في مدّة حياة الشخص وبعد موته وتفرّق أجزائه، فلا يعدم التشخّص، وقد مضى ما يومئ إليه من الأخبار، وعلى هذا فلو انعدم بعض العوارض الغير المشخّصة وأُعيد غيرها مكانها لايقدح في كون الشخص باقياً بعينه.

فإذا تمهّد هذا فاعلم أنّ القول بالحشر الجسمانيّ على تقدير عدم القول بامتناع إعادة المعدوم حيث لم يتمّ الدليل عليه بيّن لاإشكال فيه، وأمّا على القول به، فيمكن أن يقال: يكفي في المعاد كونه مأخوذاً من تلك المادّة بعينها أو من تلك الأجزاء بعينها لاسيّما إذا كان شبيهاً بذلك الشخص في الصفات والعوارض بحيث لو رأيته لقلت: إنّه فلان إذ مدار اللذّات والآلام على الروح ولو بواسطة الآلات، وهو باق بعينه ولا تدلّ النصوص إلّا على إعادة ذلك الشخص بمعنى أنّه يحكم عليه عرفاً أنّه ذلك الشخص كما أنّه يحكم على الماء الواحد إذا أُفرغ في إنائين أنّه هو الماء الّذي كان في إناء واحد عرفاً وشرعاً وإن قيل بالهيولي، ولايبتني الاطلاقات الشرعيّة والعرفيّة واللغويّة على أمثال تلك الدقائق

الحكميّة والفلسفيّة، وقد أومأنا في تفسير بعض الآيات وشرح بعض الأخبار إلى مايؤيّد ذلك، كقوله ــ تعالى ــ : «عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ»[٦٢٤] وقوله ــ تعالى ــ : «بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا»[٦٢٥].

قال شارح المقاصد: اتّفق المحقّقون من الفلاسفة والمليّين على حقيقة المعاد، واختلفوا في كيفيّته فذهب جمهور الفلاسفة إلى أنّه روحانيّ فقط لأنّ البدن ينعدم بصوره وأعراضه فلايعاد، والنفس جوهرٌ مجرّدٌ باقٍ لاسبيل إليه للفناء فيعود إلى عالم المجرّدات بقطع التعلّقات. وذهب كثير من علماء الإسلام كالغزاليّ والكعبيّ والحليميّ والراغب والقاضي أبو زيد الدبوسيّ إلى القول بالمعاد الروحانيّ والجسمانيّ جميعاً ذهاباً إلى أنّ النفس جوهر مجرّد يعود إلى البدن، وهذا رأي كثير من الصوفيّة والشيعة والكرّاميّة و به يقول جمهور النصارى والتناسخيّة.

قال الإمام الرازيّ: إلّا أنّ الفرق أنّ المسلمين يقولون بحدوث الأرواح وردّها إلى الأبدان لافي هذا العالم بل في الآخرة، والتناسخيّة بقدمها وردّها إليها في هذا العالم و ينكرون الآخرة والجنّة والنار؛ وإنّما نبّهنا على هذا الفرق لأنّه جبلت على الطباع العاميّة أنّ هذا المذهب يجب أن يكون كفراً وضلالاً لكونه ممّا ذهب إليه التناسخيّة والنصارى ولايعلمون أنّ التناسخيّة إنّما يكفرون لإنكارهم القيامة والجنّة والنار والنصارى لقولهم بالتثليث. وأمّا القول بالنفوس المجرّدة، فلا يرفع أصلاً من أصول الدين، بل ربما يؤيّده و يبيّن الطريق إلى إثبات المعاد بحيث لايقدح فيه شبه المنكرين. كذا في نهاية العقول.

وقد بالغ الإمام الغزاليّ في تحقيق المعاد الروحانيّ وبيان أنواع الثواب والعقاب بالنسبة إلى الروح حتّى سبق إلى كثير من الأوهام ووقع في ألسنة بعض العوامّ أنّه ينكر حشر الأجساد افتراءً عليه. كيف وقد صرّح به في مواضع من كتاب الإحياء وغيره وذهب إلى أنّ إنكاره كفر؟ وإنّما لم يشرحه في كتبه كثيرشرح لما قال: إنّه ظاهر

٦٢٤- الاسراء: ٩٩ و يس: ٨١.
٦٢٥- النساء: ٥٦.

لايحتاج إلى زيادة بيان. نعم، ربما يميل كلامه وكلام كثير من القائلين بالمعادين إلى أنّ معنى ذلك أن يخلق الله ــ تعالى ــ من الأجزاء المتفرّقة لذلك البدن بدناً فيعيد إليه نفسه المجرّدة الباقية بعد خراب البدن. ولا يضرّنا كونه غير البدن الأوّل بحسب الشخص ولا امتناع إعادة المعدوم بعينه، وما شهد به النصوص من كون أهل الجنّة جرداً مرداً وكون ضرس الكافر مثل جبل أُحد، يعضد ذلك، وكذا قوله ــ تعالى ــ: «كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا». ولا يبعد أن يكون قوله ــ تعالى ــ: «أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ»[٦٢٦] إشارة إلى هذا.

فإن قيل: فعلى هذا يكون المثاب والمعاقب باللذّات والآلام الجسمانيّة غير من عمل الطاعة وارتكب المعصية، قلنا: العبرة في ذلك بالإدراك، وإنّما هو للروح ولو بواسطة الآلات وهو باق بعينه، وكذا الأجزاء الأصليّة من البدن، ولذا يقال للشخص من الصباء إلى الشيخوخة: إنّه هو بعينه وإن تبدّلت الصور والهيئات، بل كثير من الأعضاء والآلات، ولايقال لمن جنى في الشباب فعوقب في المشيب: إنّها عقوبة لغير الجاني. انتهى.

أقول: الأحوط والأولى التصديق بما تواتر في النصوص وعلم ضرورة من ثبوت الحشر الجسمانيّ وسائر ماورد فيها من خصوصيّاته وعدم الخوض في أمثال ذلك، إذ لم نكلّف بذلك. وربّما أفضى التفكّر فيها إلى القول بشيء لم يطابق الواقع ولم نكن معذورين في ذلك. والله الموفّق للحقّ والسداد في المبدء والمعاد.[٦٢٧]

وقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرنا عن الفتنة، وهل سألت رسول الله ــ صلى الله عليه وآله ــ عنها؟ فقال عليه السلام:

إِنَّهُ لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ، قَوْلَهُ: «الٓمٓ. أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا

٦٢٦ـ يس: ٨١.

٦٢٧ـ بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٧، كتاب العدل والمعاد، ص ٤٧ ــ ٥٣.

أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ » عَلِمْتُ أَنَّ ٱلْفِتْنَةَ لَا تَنْزِلُ بِنَا وَرَسُولُ ٱللهِ ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ بَيْنَ أَظْهُرِنَا . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ، مَا هٰذِهِ ٱلْفِتْنَةُ ٱلَّتِي أَخْبَرَكَ ٱللهُ تَعَالَى بِهَا ؟ فَقَالَ : « يَا عَلِيُّ ، إِنَّ أُمَّتِي سَيُفْتَنُونَ مِنْ بَعْدِي » ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ، أَوَلَيْسَ قَدْ قُلْتَ لِي يَوْمَ أُحُدٍ حَيْثُ ٱسْتُشْهِدَ مَنِ ٱسْتُشْهِدَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ، وَحِيزَتْ(١٩٣٦) عَنِّي ٱلشَّهَادَةُ ، فَشَقَّ ذٰلِكَ عَلَيَّ ، فَقُلْتَ لِي : « أَبْشِرْ ، فَإِنَّ ٱلشَّهَادَةَ مِنْ وَرَائِكَ ؟ » فَقَالَ لِي : « إِنَّ ذٰلِكَ لَكَذٰلِكَ ، فَكَيْفَ صَبْرُكَ إِذَنْ ؟ » فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ، لَيْسَ هٰذَا مِنْ مَوَاطِنِ ٱلصَّبْرِ ، وَلٰكِنْ مِنْ مَوَاطِنِ ٱلْبُشْرَىٰ وَٱلشُّكْرِ . وَقَالَ : « يَا عَلِيُّ ، إِنَّ ٱلْقَوْمَ سَيُفْتَنُونَ بِأَمْوَالِهِمْ ، وَيَمُنُّونَ بِدِينِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ ، وَيَتَمَنَّوْنَ رَحْمَتَهُ ، وَيَأْمَنُونَ سَطْوَتَهُ ، وَيَسْتَحِلُّونَ حَرَامَهُ بِٱلشُّبُهَاتِ ٱلْكَاذِبَةِ ، وَٱلْأَهْوَاءِ ٱلسَّاهِيَةِ ، فَيَسْتَحِلُّونَ ٱلْخَمْرَ بِٱلنَّبِيذِ ، وَٱلسُّحْتَ بِٱلْهَدِيَّةِ ، وَٱلرِّبَا بِٱلْبَيْعِ » قُلْتُ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ، فَبِأَيِّ ٱلْمَنَازِلِ أُنْزِلُهُمْ عِنْدَ ذٰلِكَ ؟ أَبِمَنْزِلَةِ رِدَّةٍ ، أَمْ بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ ؟ فَقَالَ : « بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ » .

[هذا بيان آخر في شرح الكلام:]

بيان: قوله ـ عليه السلام ـ «أن يعتقل» أي يحبس نفسه على طاعة الله. و«فلانة» كناية عن عائشة، ولعلّه من السيّد ـ رضي الله عنه ـ تقية. قوله

ـ عليه السلام ـ «وضغن» أي حقد، ومن أسباب حقدها لأمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ سدّ النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ باب أبيها من المسجد وفتح بابه ـ عليه السلام ـ، وبعثه ـ عليه السلام ـ بسورة برآءة بعد أخذها من أبي بكر، وإكرام رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ لفاطمة ـ عليها السلام ـ وحسدها عليها إلى غير ذلك من الأسباب المعلومة. و«المرجل» ـ كمنبر ـ القدر. و«القين» الحداد؛ أي كغليان قدر من حديد.

قوله ـ عليه السلام ـ «من غيرى» يعني به عمر كما قيل، أو الأعمّ وهو أظهر، أي لو كان عمر أو أحد من أضرابه ولّى الخلافة بعد قتل عثمان على الوجه الّذي قتل عليه ونسب إليه أنّه كان يحرض الناس على قتله، ودعيت إلى أن تخرج عليه في عصابة تثير فتنة وتنقض البيعة لم تفعل. وهذا بيان لحقدها له ـ علّيه السلام ـ. و«البلوج» الإضاءة.

قوله ـ عليه السلام ـ: لا «مقصر» أي لا مجلس[٦٢٨] ولا غاية لهم دونه. «مرقلين» أي مسرعين. «قد شخصوا» أي خرجوا. و«الأجداث» القبور. و«الخلق» بالضمّ وبضمّتين، السجيّة والطبع والمروّة والدين. والرجل إذا روي من الماء فتغيّر لونه، يقال: نقع. قوله ـ عليه السلام ـ «لا يزيغ فيستعتب» أي لا يميل فيطلب منه الرجوع، و«العتبى» الرجوع. والمراد بكثرة الردّ الترديد في الألسنة. قوله ـ عليه السلام ـ «لا تنزل بنا» قال ابن أبي الحديد لقوله ـ تعالى ـ: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ»[٦٢٩]. و«حيزت عنّي» أي منعت. و«الأهواء الساهية» أي الغافلة. قوله ـ عليه السلام ـ «بمنزلة فتنة» أي لا يجري عليهم في الظاهر أحكام الكفر وإن كانوا باطناً من أخبث الكفّار.

أقول: قال ابن ميثم[٦٣٠] وابن أبي الحديد[٦٣١]: هذا الخبر رواه كثير من المحدّثين

٦٢٨- يمكن أن يقرأ: لامحبس.
٦٢٩- الأنفال: ٣٣.
٦٣٠- شرح النهج لابن ميثم، ج ٣، ص ٢٦٥، ط بيروت.
٦٣١- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٩، ص ٢٠٦، ط بيروت.

عن عليّ ـ عليه السلام ـ قال:

إنّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ قال لي: إنّ الله كتب عليك جهاد المفتونين كما كتب عليّ جهاد المشركين.

قال: فقلت: يا رسول الله! ماهذه الفتنة الّتي كتب فيها الجهاد؟

قال: قوم يشهدون أن لا إله إلّا الله وأنّي رسول الله، وهم مخالفون للسنّة.

فقلت: يا رسول الله! فعلام أُقاتلهم وهم يشهدون كما أشهد؟

قال: على الإحداث في الدين ومخالفة الأمر.

فقلت: يا رسول الله! أنت كنت وعدتني الشهادة فاسئل الله أن يعجّلها لي بين يديك.

قال: فمن يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين؟ أما إنّي قد وعدتك الشهادة وستشهد، تضرب على هذه فتخضب هذه، فكيف صبرك إذن؟

فقلت: يا رسول الله! ليس هذا بموطن صبر، هذا موطن شكر.

قال: أجل أصبت، فأعدّ للخصومة، فانّك مخاصم.

فقلت: يا رسول الله! لوبيّنت لي قليلاً.

فقال: إنّ أُمّتي ستفتن من بعدي فتتأوّل القرآن، وتعمل بالرأي، وتستحلّ الخمر بالنبيذ، والسحت بالهديّة، والربا بالبيع، وتحرّف الكتاب عن مواضعه، وتغلب كلمة الضلال؛ فكن جلس[٦٣٢] بيتك حتّى تقلّدها. فإذا قلّدتها جاشت عليك الصدور، وقلبت لك الأمور، فقاتل حينئذ على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله، فليست حالهم الثانية بدون حالهم الأولى.

فقلت: يا رسول الله! فبأيّ المنازل أنزل هؤلاء المفتونين؟ أبمنزلة فتنة أم بمنزلة ردّة؟

فقال: بمنزلة فتنة، يعمهون فيها إلى أن يدركهم العدل.

٦٣٢- في المصدر: جليس.

فقلت: يا رسول الله أيدركهم العدل منّا أم من غيرنا؟ قال: بل منا، فبنا فتح وبنا يختم، وبنا ألّف بين القلوب بعد الفتنة.

فقلت: الحمدلله على ما وهب لنا من فضله.

بيان: «كن جلس بيتك» بالكسر، أي ملازماً له غير مفارق بالخروج للقتال ودفع أهل الضلال. والضمير في «تقلّدها وقلّدتها» على المجهول فيهما، راجع إلى الخلافة والإمارة، والتقليد مأخوذ من عقد القلادة على الاستعارة، وتقليدهم إطاعتهم وتركهم العناد. و«جأش القدر ــ بالهمز ــ وغيره» غلا. و«قلبت لك الأمور» أي دبّروا أنواع المكائد والحيل لدفعك.٦٣٣

١٥٧ ــ ومن خطبة له عليه السلام

يحث الناس على التقوى

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي جَعَلَ اَلْحَمْدَ مِفْتَاحاً لِذِكْرِهِ ، وَسَبَبًا لِلْمَزِيدِ مِنْ فَضْلِهِ ، وَدَلِيلاً عَلَىٰ آلائِهِ وَعَظَمَتِهِ .

عِبَادَ اللّٰهِ ، إِنَّ الدَّهْرَ يَجْرِي بِالْبَاقِينَ كَجَرْيِهِ بِالْمَاضِينَ ؛ لَا يَعُودُ مَا قَدْ وَلَّى مِنْهُ ، وَلَا يَبْقَى سَرْمَدًا مَا فِيهِ . آخِرُ فَعَالِهِ كَأَوَّلِهِ . مُتَشَابِهَةٌ أُمُورُهُ(١٩٢٧) ، مُتَظَاهِرَةٌ أَعْلَامُهُ(١٩٢٨) . فَكَأَنَّكُمْ بِالسَّاعَةِ(١٩٢٩) تَحْدُوكُمْ حَدْوَ الزَّاجِرِ(١٩٣٠) بِشَوْلِهِ(١٩٣١) : فَمَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ نَفْسِهِ تَحَيَّرَ فِي الظُّلُمَاتِ ، وَارْتَبَكَ فِي اَلْهَلَكَاتِ ، وَمَدَّتْ بِهِ شَيَاطِينُهُ فِي طُغْيَانِهِ ،

٦٣٣- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٤٤٤، ط كمباني وص ٤١٣، ط تبريز.

وَزَيَّنَتْ لَهُ سَيِّىءَ أَعْمَالِهِ. فَالْجَنَّةُ غَايَةُ السَّابِقِينَ، وَالنَّارُ غَايَةُ الْمُفَرِّطِينَ.

اعْلَمُوا، عِبَادَ اللهِ، أَنَّ التَّقْوَى دَارُ حِصْنٍ عَزِيزٍ، وَالْفُجُورَ دَارُ حِصْنٍ ذَلِيلٍ، لَا يَمْنَعُ أَهْلَهُ، وَلَا يُحْرِزُ(١٩٣٢) مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ. أَلَا وَبِالتَّقْوَى تُقْطَعُ حُمَةُ(١٩٣٣) الْخَطَايَا، وَبِالْيَقِينِ تُدْرَكُ الْغَايَةُ الْقُصْوَى.

عِبَادَ اللهِ، اللهَ اللهَ فِي أَعَزِّ الْأَنْفُسِ عَلَيْكُمْ، وَأَحَبِّهَا إِلَيْكُمْ: فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَوْضَحَ لَكُمْ سَبِيلَ الْحَقِّ وَأَنَارَ طُرُقَهُ. فَشِقْوَةٌ لَازِمَةٌ، أَوْ سَعَادَةٌ دَائِمَةٌ! فَتَزَوَّدُوا فِي أَيَّامِ الْفَنَاءِ(١٩٣٤) لِأَيَّامِ الْبَقَاءِ. قَدْ دُلِلْتُمْ عَلَى الزَّادِ، وَأُمِرْتُمْ بِالظَّعْنِ(١٩٣٥)، وَحُثِثْتُمْ عَلَى الْمَسِيرِ؛ فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَرَكْبٍ وُقُوفٍ، لَا يَدْرُونَ مَتَى يُؤْمَرُونَ بِالسَّيْرِ. أَلَا فَمَا يَصْنَعُ بِالدُّنْيَا مَنْ خُلِقَ لِلْآخِرَةِ! وَمَا يَصْنَعُ بِالْمَالِ مَنْ عَمَّا قَلِيلٍ يُسْلَبُهُ، وَتَبْقَى عَلَيْهِ تَبِعَتُهُ(١٩٣٦) وَحِسَابُهُ!

عِبَادَ اللهِ، إِنَّهُ لَيْسَ لِمَا وَعَدَ اللهُ مِنَ الْخَيْرِ مَتْرَكٌ، وَلَا فِيمَا نَهَى عَنْهُ مِنَ الشَّرِّ مَرْغَبٌ.

عِبَادَ اللهِ، احْذَرُوا يَوْماً تُفْحَصُ فِيهِ الْأَعْمَالُ، وَيَكْثُرُ فِيهِ الزِّلْزَالُ، وَتَشِيبُ فِيهِ الْأَطْفَالُ.

اعْلَمُوا، عِبَادَ اللهِ، أَنَّ عَلَيْكُمْ رَصَداً(١٩٣٧) مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَعُيُوناً مِنْ

جَوَارِحِكُمْ ، وَحُفَّاظَ صِدْقٍ يَحْفَظُونَ أَعْمَالَكُمْ ، وَعَدَدَ أَنْفَاسِكُمْ ، لَا تَسْتُرُكُمْ مِنْهُمْ ظُلْمَةُ لَيْلٍ دَاجٍ ، وَلَا يُكِنُّكُمْ مِنْهُمْ بَابٌ ذُو رِتَاجٍ (١٩٣٨) ، وَإِنَّ غَداً مِنَ الْيَوْمِ قَرِيبٌ .

بيان: «الرصد» بالتحريك، القوم يرصدون. و «الرتاج» بالكسر، الخلق.[٦٣٤]

يَذْهَبُ الْيَوْمُ بِمَا فِيهِ ، وَيَجِيءُ الْغَدُ لَاحِقاً بِهِ ، فَكَأَنَّ كُلَّ امْرِىءٍ مِنْكُمْ قَدْ بَلَغَ مِنَ الْأَرْضِ مَنْزِلَ وَحْدَتِهِ (١٩٣٩) ، وَمَخَطَّ حُفْرَتِهِ . فَيَا لَهُ مِنْ بَيْتِ وَحْدَةٍ ، وَمَنْزِلِ وَحْشَةٍ ، وَمُفْرَدِ غُرْبَةٍ ! وَكَأَنَّ الصَّيْحَةَ (١٩٤٠) قَدْ أَتَتْكُمْ ، وَالسَّاعَةَ قَدْ غَشِيَتْكُمْ ، وَبَرَزْتُمْ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ ، قَدْ زَاحَتْ (١٩٤١) عَنْكُمُ الْأَبَاطِيلُ ، وَاضْمَحَلَّتْ عَنْكُمُ الْعِلَلُ ، وَاسْتَحَقَّتْ بِكُمُ الْحَقَائِقُ ، وَصَدَرَتْ بِكُمُ الْأُمُورُ مَصَادِرَهَا ، فَاتَّعِظُوا بِالْعِبَرِ ، وَاعْتَبِرُوا بِالْغِيَرِ ، وَانْتَفِعُوا بِالنُّذُرِ .

١٥٨ — وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

ينبه فيها على فضل الرسول الأعظم، وفضل القرآن، ثم حال دولة بني أمية

النبي والقرآن

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ، وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الْأُمَمِ (١٩٤٢) ،

٦٣٤- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٥، كتاب العدل والمعاد، ص ٣٢٢.

وَٱنْتِقاضٍ مِنَ ٱلْمُبْرَمِ (١٩٤٣)؛ فَجاءَهُمْ بِتَصْدِيقِ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَٱلنُّورِ ٱلْمُقْتَدَىٰ بِهِ. ذٰلِكَ ٱلْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ، وَلَنْ يَنْطِقَ، وَلَكِنْ أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ: أَلَا إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي، وَٱلْحَدِيثَ عَنِ ٱلْمَاضِي، وَدَوَاءَ دَائِكُمْ، وَنَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ.

بيان: «المبرم من الحبل» المفتول، وانتقاضه كناية عن تعطيل قواعد الشرع وتزلزل أساس الدين.٦٣٥

دولة بني امية

ومنها: فَعِنْدَ ذٰلِكَ لَا يَبْقَىٰ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ (١٩٤٤) إِلَّا وَأَدْخَلَهُ ٱلظَّلَمَةُ تَرْحَةً (١٩٤٥)، وَأَوْلَجُوا فِيهِ نِقْمَةً. فَيَوْمَئِذٍ لَا يَبْقَىٰ لَهُمْ فِي ٱلسَّمَاءِ عَاذِرٌ، وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ نَاصِرٌ. أَصْفَيْتُمْ (١٩٤٦) بِٱلْأَمْرِ غَيْرَ أَهْلِهِ، وَأَوْرَدْتُمُوهُ غَيْرَ مَوْرِدِهِ، وَسَيَنْتَقِمُ ٱللهُ مِمَّنْ ظَلَمَ، مَأْكَلًا بِمَأْكَلٍ، وَمَشْرَباً بِمَشْرَبٍ، مِنْ مَطَاعِمِ ٱلْعَلْقَمِ، وَمَشَارِبِ ٱلصَّبِرِ (١٩٤٧) وَٱلْمَقِرِ (١٩٤٨)، وَلِبَاسِ شِعَارِ ٱلْخَوْفِ، وَدِثَارِ ٱلسَّيْفِ (١٩٤٩). وَإِنَّمَا هُمْ مَطَايَا ٱلْخَطِيئَاتِ وَزَوَامِلُ ٱلْآثَامِ (١٩٥٠). فَأُقْسِمُ، ثُمَّ أُقْسِمُ، لَتَنْخَمَنَّهَا أُمَيَّةُ مِنْ بَعْدِي كَمَا تُلْفَظُ ٱلنُّخَامَةُ (١٩٥١)، ثُمَّ لَا تَذُوقُهَا وَلَا تَطْعَمُ بِطَعْمِهَا أَبَداً مَا كَرَّ ٱلْجَدِيدَانِ (١٩٥٢)!

٦٣٥- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١٨، كتاب تاريخ نبيّنا ــ صلّى الله عليه وآله ــ، ص ٢٢٢.

توضيح: قوله ـ عليه السلام ـ «فعند ذلك» إخبار عن ملك بني أُميّة بعده وزوال أمرهم عند تفاقم فسادها في الأرض. «أصفيتم» أي خصصتم بالأمر، أي الخلافة. «وأوردتموه غير وروده»[٦٣٦] أي أنزلتموه عند غير مستحقّه. و«المقر» ـ ككتف ـ المرّ أو الصبر، أو شبيه به، أو السمّ. و«الزاملة» الّتي تحمل عليها من الإبل وغيرها.

قوله ـ عليه السلام ـ «ثمّ لا تذوقها» قال ابن أبي الحديد: فإن قلت: إنّهم قد ملكوا بعد الدولة الهاشميّة بالمغرب مدّة طويلة؟ قلت: الاعتبار بملك العراق والحجاز، وماعداهما من الأقاليم النائية لااعتداد به.[٦٣٧]

أقول: لعلّ المراد به انقطاع تلك الدّولة المخصوصة وعدم العود إلى أصحابها، ومع ذلك لابدّ من التخصيص بغير السفيانيّ الموعود.[٦٣٨]

١٥٩ ـ ومن خطبة له عليه السلام

يبين فيها حسن معاملته لرعيته

وَلَقَدْ أَحْسَنْتُ جِوَارَكُمْ ، وَأَحَطْتُ بِجُهْدِي مِنْ وَرَائِكُمْ . وَأَعْتَقْتُكُمْ مِنْ رِبَقِ(١٩٥٣) الذُّلِّ ، وَحَلَقِ(١٩٥٤) الضَّيْمِ ، شُكْراً مِنِّي لِلْبِرِّ ٱلْقَلِيلِ وَإِطْرَاقاً عَمَّا أَدْرَكَهُ ٱلْبَصَرُ ، وَشَهِدَهُ ٱلْبَدَنُ ، مِنَ ٱلْمُنْكَرِ ٱلْكَثِيرِ .

بيان: الإحاطة من الوراء دفع من يريدهم بشرّ، لأنّ العدوّ الغالب يكون من وراء المحارب. و«الحلق» بالتحريك وكعنب، جمع «حلقة». و«الضيم» الظلم. و«أطرق» أي سكت وأرخى عينيه إلى الأرض. وإطراقه ـ عليه السلام ـ عن المنكر

٦٣٦- في النهج: غير مورده.

٦٣٧- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٩، ص ٢٢٠، ط بيروت.

٦٣٨- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٣٨٣، ط كمپاني وص ٣٦١، ط تبريز.

الكثير وسكوته عنه لعدم تأثير النهي، أولانجراره إلى ماهو أعظم منه.[٦٣٩]

١٦٠ — ومن خطبة له عليه السلام

عظمة الله

أَمْرُهُ قَضَاءٌ وَحِكْمَةٌ ، وَرِضَاهُ أَمَانٌ وَرَحْمَةٌ ، يَقْضِي بِعِلْمٍ ، وَيَعْفُو بِحِلْمٍ.

حمد الله

اَللَّهُمَّ لَكَ ٱلْحَمْدُ عَلَىٰ ما تَأْخُذُ وَتُعْطِي ، وَعَلَىٰ مَا تُعَافِي وَتَبْتَلِي ؛ حَمْداً يَكُونُ أَرْضَىٰ ٱلْحَمْدِ لَكَ ، وَأَحَبَّ ٱلْحَمْدِ إِلَيْكَ ، وَأَفْضَلَ ٱلْحَمْدِ عِنْدَكَ.

حَمْداً يَمْلَأُ مَا خَلَقْتَ ، وَيَبْلُغُ مَا أَرَدْتَ . حَمْداً لَا يُحْجَبُ عَنْكَ ، وَلَا يُقْصَرُ دُونَكَ .

حَمْداً لَا يَنْقَطِعُ عَدَدُهُ ، وَلَا يَفْنَىٰ مَدَدُهُ . فَلَسْنَا نَعْلَمُ كُنْهَ عَظَمَتِكَ ، إِلَّا أَنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ « حَيٌّ قَيُّومٌ . لَا تَأْخُذُكَ سِنَةٌ[١٩٥٥] وَلَا نَوْمٌ » . لَمْ يَنْتَهِ إِلَيْكَ نَظَرٌ ، وَلَمْ يُدْرِكْكَ بَصَرٌ . أَدْرَكْتَ ٱلْأَبْصَارَ ، وَأَحْصَيْتَ ٱلْأَعْمَالَ ، وَأَخَذْتَ « بِالنَّوَاصِي وَٱلْأَقْدَامِ » . وَمَا الَّذِي نَرَىٰ مِنْ خَلْقِكَ ، وَنَعْجَبُ لَهُ

٦٣٩- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٧١٢، ط كمپاني وص ٦٦٠، ط تبريز.

مِنْ قُدْرَتِكَ ، وَنَصِفُهُ مِنْ عَظِيمِ سُلْطَانِكَ ، وَمَا تَغَيَّبَ عَنَّا مِنْهُ ، وَقَصُرَتْ أَبْصَارُنَا عَنْهُ ، وَٱنْتَهَتْ عُقُولُنَا دُونَهُ ، وَحَالَتْ سُتُورُ ٱلْغُيُوبِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ أَعْظَمُ. فَمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ ، وَأَعْمَلَ فِكْرَهُ ، لِيَعْلَمَ كَيْفَ أَقَمْتَ عَرْشَكَ ، وَكَيْفَ ذَرَأْتَ(١٩٥٦) خَلْقَكَ ، وَكَيْفَ عَلَّقْتَ فِي ٱلْهَوَاءِ سَمَاوَاتِكَ ، وَكَيْفَ مَدَدْتَ عَلَىٰ مَوْرِ(١٩٥٧) ٱلْمَاءِ أَرْضَكَ ، رَجَعَ طَرْفُهُ حَسِيراً(١٩٥٨) ، وَعَقْلُهُ مَبْهُوراً(١٩٥٩) ، وَسَمْعُهُ وَالِهاً(١٩٦٠) ، وَفِكْرُهُ حَائِراً .

كيف يكون الرجاء

منهـا : يَدَّعِي بِزَعْمِهِ أَنَّهُ يَرْجُو ٱللهَ ، كَذَبَ وَٱلْعَظِيمِ ! مَا بَالُهُ لَا يَتَبَيَّنُ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ ؟ فَكُلُّ مَنْ رَجَا عُرِفَ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ . وَكُلُّ رَجَاءٍ - إِلَّا رَجَاءَ ٱللهِ تَعَالَىٰ - فَإِنَّهُ مَدْخُولٌ(١٩٦١) وَكُلُّ خَوْفٍ مُحَقَّقٌ(١٩٦٢) ، إِلَّا خَوْفَ ٱللهِ فَإِنَّهُ مَعْلُولٌ(١٩٦٣) . يَرْجُو ٱللهَ فِي ٱلْكَبِيرِ ، وَيَرْجُو ٱلْعِبَادَ فِي ٱلصَّغِيرِ ، فَيُعْطِي ٱلْعَبْدَ مَا لَا يُعْطِي ٱلرَّبَّ ! فَمَا بَالُ ٱللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يُقَصَّرُ بِهِ عَمَّا يُصْنَعُ بِهِ لِعِبَادِهِ ؟ أَتَخَافُ أَنْ تَكُونَ فِي رَجَائِكَ لَهُ كَاذِباً ؟ أَوْ تَكُونَ لَا تَرَاهُ لِلرَّجَاءِ مَوْضِعاً ؟ وَكَذٰلِكَ إِنْ هُوَ خَافَ عَبْداً مِنْ عَبِيدِهِ ، أَعْطَاهُ مِنْ خَوْفِهِ مَا لَا يُعْطِي رَبَّهُ ، فَجَعَلَ خَوْفَهُ مِنَ ٱلْعِبَادِ نَقْداً ، وَخَوْفَهُ مِنْ خَالِقِهِ ضِمَاراً(١٩٦٤) وَوَعْداً . وَكَذٰلِكَ مَنْ عَظُمَتِ

الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ ، وَكَبُرَ مَوْقِعُهَا مِنْ قَلْبِهِ ، آثَرَهَا عَلَىٰ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، فَٱنْقَطَعَ إِلَيْهَا ، وَصَارَ عَبْداً لَهَا .

رسول الله

وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ ٱللهِ ـ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ كَافٍ لَكَ فِي ٱلْأُسْوَةِ(١٩٦٥) ، وَدَلِيلٌ لَكَ عَلَىٰ ذَمِّ الدُّنْيَا وَعَيْبِهَا ، وَكَثْرَةِ مَخَازِيهَا وَمَسَاوِيهَا ، إِذْ قُبِضَتْ عَنْهُ أَطْرَافُهَا ، وَوُطِّئَتْ لِغَيْرِهِ أَكْنَافُهَا(١٩٦٦) ، وَفُطِمَ عَنْ رَضَاعِهَا ، وَزُوِيَ عَنْ زَخَارِفِهَا .

بيان: «المخازي» المقابح. قوله ـ عليه السلام ـ «وطئت» بالتشديد، أي هيأت وبالتخفيف، من قولهم «وطات لك المجلس» أي جعلته سهلاً ليّناً. قوله ـ عليه السلام ـ «زوي» أي قبض.٦٤٠

موسى

وَإِنْ شِئْتَ ثَنَّيْتُ بِمُوسَىٰ كَلِيمِ ٱللهِ ـ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ حَيْثُ يَقُولُ : «رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ». وَٱللهِ ، مَا سَأَلَهُ إِلَّا خُبْزاً يَأْكُلُهُ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ ٱلْأَرْضِ ، وَلَقَدْ كَانَتْ خُضْرَةُ ٱلْبَقْلِ تُرَىٰ مِنْ شَفِيفِ(١٩٦٧) صِفَاقِ(١٩٦٨) بَطْنِهِ ، لِهُزَالِهِ وَتَشَذُّبِ لَحْمِهِ(١٩٦٩) .

٦٤٠- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١٦، كتاب تاريخ نبيّنا ـ صلّى الله عليه وآله ـ، ص ٢٨٤.

بيان: «الصفاق» الجلد الباطن الّذي فوقه الجلد الظاهر من البطن، وشفيفه رقته. و«تشذّب اللحم» تفرّقه.[٦٤١]

داوود

وَإِنْ شِئْتَ ثَلَّثْتُ بِدَاوُدَ ـ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ صَاحِبِ ٱلْمَزَامِيرِ، وَقَارِىءِ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ، فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ ٱلْخُوصِ بِيَدِهِ[١٩٧٠]، وَيَقُولُ لِجُلَسَائِهِ: أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بَيْعَهَا! وَيَأْكُلُ قُرْصَ الشَّعِيرِ مِنْ ثَمَنِهَا.

عيسى

وَإِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي عِيسَىٰ بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ ٱلْحَجَرَ، وَيَلْبَسُ ٱلْخَشِنَ، وَيَأْكُلُ ٱلْجَشِبَ، وَكَانَ إِدَامُهُ ٱلْجُوعَ، وَسِرَاجُهُ بِاللَّيْلِ ٱلْقَمَرَ، وَظِلَالُهُ فِي الشِّتَاءِ مَشَارِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا[١٩٧١]، وَفَاكِهَتُهُ وَرَيْحَانُهُ مَا تُنْبِتُ ٱلْأَرْضُ لِلْبَهَائِمِ؛ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَفْتِنُهُ، وَلَا وَلَدٌ يَحْزُنُهُ، وَلَا مَالٌ يَلْفِتُهُ، وَلَا طَمَعٌ يُذِلُّهُ، دَابَّتُهُ رِجْلَاهُ، وَخَادِمُهُ يَدَاهُ!

بيان: «كان إدامه الجوع» لعلّ المعنى أنّ الإنسان إنّما يحتاج إلى الإدام لأنّه يعسر على النفس أكل الخبز خالياً عنه، فأمّا مع الجوع الشديد فيلتذّ بالخبز ولا يطلب.

٦٤١- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١٣، كتاب النبوّة، ص ٥٠.

غيره، فهو بمنزلة الإدام، أو أنه كان يأكل الخبز دون الشبع فكان الجوع مخلوطاً به كالادام. و«لفته يلفته» لواه وصرفه عن رأيه.[٦٤٢]

الرسول الاعظم

فَتَأَسَّ[(١٩٧٢)] بِنَبِيِّكَ ٱلْأَطْيَبِ ٱلْأَطْهَرِ ـ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّى، وَعَزَاءً لِمَنْ تَعَزَّىٰ. وَأَحَبُّ ٱلْعِبَادِ إِلَىٰ ٱللهِ ٱلْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ، وَٱلْمُقْتَصُّ لِأَثَرِهِ. قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْماً[(١٩٧٣)]، وَلَمْ يُعِرْهَا طَرْفاً. أَهْضَمُ[(١٩٧٤)] أَهْلِ الدُّنْيَا كَشْحاً[(١٩٧٥)]، وَأَخْمَصُهُمْ[(١٩٧٦)] مِنَ الدُّنْيَا بَطْناً، عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَأَبَىٰ أَنْ يَقْبَلَهَا، وَعَلِمَ أَنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ أَبْغَضَ شَيْئاً فَأَبْغَضَهُ، وَحَقَّرَ شَيْئاً فَحَقَّرَهُ، وَصَغَّرَ شَيْئاً فَصَغَّرَهُ. وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِينَا إِلَّا حُبُّنَا مَا أَبْغَضَ ٱللهُ وَرَسُولُهُ، وَتَعْظِيمُنَا مَا صَغَّرَ ٱللهُ وَرَسُولُهُ، لَكَفَىٰ بِهِ شِقَاقاً لِلهِ، وَمُحَادَّةً[(١٩٧٧)] عَنْ أَمْرِ ٱللهِ. وَلَقَدْ كَانَ ـ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ يَأْكُلُ عَلَىٰ ٱلْأَرْضِ، وَيَجْلِسُ جِلْسَةَ ٱلْعَبْدِ، وَيَخْصِفُ[(١٩٧٨)] بِيَدِهِ نَعْلَهُ، وَيَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ، وَيَرْكَبُ ٱلْحِمَارَ ٱلْعَارِيَ[(١٩٧٩)]، وَيُرْدِفُ[(١٩٨٠)] خَلْفَهُ، وَيَكُونُ السِّتْرُ عَلَىٰ بَابِ بَيْتِهِ فَتَكُونُ فِيهِ التَّصَاوِيرُ فَيَقُولُ: «يَا فُلَانَةُ ـ لِإِحْدَىٰ أَزْوَاجِهِ ـ غَيِّبِيهِ عَنِّي، فَإِنِّي إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وَزَخَارِفَهَا». فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا

٦٤٢- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١٤، كتاب النبوة، ص ٢٣٨.

مِنْ نَفْسِهِ ، وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ ، لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً[١٩٨١] ، وَلَا يَعْتَقِدَهَا قَرَاراً ، وَلَا يَرْجُوَ فِيهَا مُقَاماً ، فَأَخْرَجَهَا مِنَ النَّفْسِ ، وَأَشْخَصَهَا[١٩٨٢] عَنِ الْقَلْبِ ، وَغَيَّبَهَا عَنِ الْبَصَرِ . وَكَذٰلِكَ مَنْ أَبْغَضَ شَيْئاً أَبْغَضَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ ، وَأَنْ يُذْكَرَ عِنْدَهُ .

وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ مَا يَدُلُّكَ عَلَىٰ مَسَاوِىءِ الدُّنْيَا وَعُيُوبِهَا : إِذْ جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِهِ[١٩٨٣] ، وَزُوِيَتْ عَنْهُ[١٩٨٤] زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ[١٩٨٥] . **فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ بِعَقْلِهِ** : أَكْرَمَ اللهُ مُحَمَّداً بِذٰلِكَ أَمْ أَهَانَهُ ! فَإِنْ قَالَ : أَهَانَهُ ، فَقَدْ كَذَبَ ـ وَاللهِ الْعَظِيمِ ـ بِالْإِفْكِ الْعَظِيمِ ، وَإِنْ قَالَ : أَكْرَمَهُ ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهَانَ غَيْرَهُ حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيَا لَهُ ، وَزَوَاهَا عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ مِنْهُ . فَتَأَسَّىٰ مُتَأَسٍّ بِنَبِيِّهِ ، وَاقْتَصَّ أَثَرَهُ ، وَوَلَجَ مَوْلِجَهُ ، وَإِلَّا فَلَا يَأْمَنِ الْهَلَكَةَ ، فَإِنَّ اللهَ جَعَلَ مُحَمَّداً ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ عَلَماً لِلسَّاعَةِ[١٩٨٦] ، وَمُبَشِّراً بِالْجَنَّةِ ، وَمُنْذِراً بِالْعُقُوبَةِ . خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا خَمِيصاً[١٩٨٧] ، وَوَرَدَ الْآخِرَةَ سَلِيماً . لَمْ يَضَعْ حَجَراً عَلَىٰ حَجَرٍ ، حَتَّىٰ مَضَىٰ لِسَبِيلِهِ ، وَأَجَابَ دَاعِيَ رَبِّهِ . فَمَا أَعْظَمَ مِنَّةَ اللهِ عِنْدَنَا حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ سَلَفاً نَتَّبِعُهُ ، وَقَائِداً نَطَأُ عَقِبَهُ[١٩٨٨] ! وَاللهِ لَقَدْ رَقَّعْتُ مِدْرَعَتِي[١٩٨٩] هٰذِهِ حَتَّىٰ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا . وَلَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ : أَلَا تَنْبِذُهَا عَنْكَ ؟

فَقُلْتُ: اُغْرُبْ عَنِّي (۱۹۹۰) ، فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى (۱۹۹۱) !

بيان: قوله ـ عليه السلام ـ «قضم الدنيا» في أكثر النسخ بالضاد المعجمة، وهو أكل الشيء اليابس بأطراف الأسنان، أي تناول منها قدر الكفاف وماتدعو إليه الضرورة، والتنوين في «قضماً» للتقليل، وفي بعضها بالصاد المهملة بمعنى الكسر. قوله ـ عليه السلام ـ «ولم يعرها طرفاً» من الإعارة، أي لم يلتفت إليها نظر إعارة، فكيف بأن يجعلها مطمح نظره؟ ويقال: «رجل أهضم» إذا كان خميصاً لقلّة الأكل. و«الكشح» الخاصرة.

قوله «جلسة العبد» قال ابن أبي الحديد: هي أن يضع قصبتي ساقيه على الأرض ويعتمد عليها بباطن فخذيه، يقال لها بالفارسيّة: دوزانو. و«الرياش» إمّا جمع «الريش» أو مرادفه، وهو اللّباس الفاخر، ويطلق على المال والخصب والمعاش. قوله ـ عليه السلام ـ «خميصاً» أي جائعاً.[٦٤٣]

[هذا بيان آخر في شرح الجزء الآخر من الخطبة:]

إيضاح: «السرى» كالهدى، السير عامّة اللّيل، وهذا مثل يضرب لمحتمل المشقّة العاجلة للراحة الآجلة.

وقال عبدالحميد بن أبي الحديد في شرح هذا الكلام[٦٤٤]: جاء في أخبار عليّ ـ عليه السلام ـ التي ذكرها أبو عبدالله أحمد بن حنبل في كتاب فضائله وهو روايتي عن قريش بن السبيع بن المهنّا العلويّ، عن أبي عبدالله أحمدبن عليّ بن المعمّر، عن المبارك بن عبد الجبّاربن أحمد بن القاسم الصيرفيّ المعروف بابن الطيوريّ، عن محمّدبن عليّ بن محمّدبن يوسف العلّاف المزنيّ، عن أبي بكر أحمدبن جعفربن حمدان بن مالك القطيعيّ، عن عبدالله بن أحمد بن حنبل، عن أبيه أبي عبدالله أحمد قال: قيل لعليّ ـ عليه السلام ـ : يا أميرالمؤمنين! لم ترقع قميصك؟ قال: يخشع القلب ويقتدي به المؤمنون.[٦٤٥]

٦٤٣ـ بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١٦، كتاب تاريخ نبيّنا ـ صلّى الله عليه وآله ـ، ص ٢٨٤.

٦٤٤ـ شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٩، ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦، ط بيروت.

٦٤٥ـ في المصدر: ليخشع القلب ويقتدي بي المؤمنون.

وروى أحمد أنّ عليّاً ــ عليه السلام ــ كان يطوف الأسواق مؤتزراً بإزار مرتدياً برداء ومعه الدرّة كأنّه أعرابيّ بدويّ، فطاف مرّة حتّى بلغ سوق الكرابيس، فقال لواحد: يا شيخ! بعني قميصاً بثلاثة دراهم.[٦٤٦]

فلمّا جاء أبو الغلام أخبروه، فأخذ درهماً ثمّ جاء إلى عليّ ــ عليه السلام ــ ليدفعه إليه. فقال[٦٤٧]: ما هذا ــ أو قال: ماشأنه هذا[٦٤٨] ــ ؟

فقال: يا مولاي إنّ القميص الّذي باعك ابني كان يساوي درهمين.

فلم يأخذ الدرهم وقال: باعني برضاي وأخذ برضاه.

وروى أحمد عن أبي البوار بائع الخام بالكوفة قال: جاء عليّ بن أبي طالب ــ عليه السلام ــ إلى السوق ومعه غلام له، وهو خليفة، فاشترى منّي قميصين وقال لغلامه: اختر أيّهما شئت. فأخذ أحدهما وأخذ عليّ الآخر، [قال]: ثمّ لبسه ومدّيده فوجد كمّه فاضلة، فقال: اقطع الفاضل، فقطعته ثمّ كفّه وذهب.

وروى أحمد عن الصمال بن عمير قال: رأيت قميص عليّ ــ عليه السلام ــ الّذي أصيب فيه، وهو كرابيس سنبلانيّ، ورأيت دمه قد سال عليه كالدرديّ.

وروى أحمد، قال: لمّا أرسل عثمان إلى عليّ وجدوه مدّثراً بعباءة محتجزاً، وهو يذود بعيراً له.

والأخبار في هذا المعنى كثيرة وفيما ذكرناه كفاية.[٦٤٩]

٦٤٦- في المصدر: بعني قميصاً تكون قيمته ثلاثة دراهم، فلمّا عرفه الشيخ لم يشترمنه شيئاً، ثمّ أتى آخر فلمّا عرفه لم يشترمنه شيئاً، فأتى غلاماً حدثاً فاشترى منه قميصاً بثلاثة دراهم.

٦٤٧- في المصدر: فقال له.

٦٤٨- في المصدر: أو قال ماشابه هذا.

٦٤٩- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٤١، كتاب تاريخ أمير المؤمنين ــ عليه السّلام ــ، ص ١٦٠.

١٦١ ـ ومن خطبة له عليه السلام

في صفة النبي وأهل بيته وأتباع دينه، وفيها يعظ بالتقوى

الرسول وأهله واتباع دينه

ٱبْتَعَثَهُ بِالنُّورِ ٱلْمُضِيءِ، وَٱلْبُرْهَانِ ٱلْجَلِيِّ، وَٱلْمِنْهَاجِ ٱلْبَادِي(١٩٩٢)، وَٱلْكِتَابِ ٱلْهَادِي. أُسْرَتُهُ خَيْرُ أُسْرَةٍ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ شَجَرَةٍ؛ أَغْصَانُهَا مُعْتَدِلَةٌ، وَثِمَارُهَا مُتَهَدِّلَةٌ(١٩٩٣). مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ، وَهِجْرَتُهُ بِطَيْبَةَ(١٩٩٤). عَلَا بِهَا ذِكْرُهُ وَٱمْتَدَّ مِنْهَا صَوْتُهُ. أَرْسَلَهُ بِحُجَّةٍ كَافِيَةٍ، وَمَوْعِظَةٍ شَافِيَةٍ، وَدَعْوَةٍ مُتَلَافِيَةٍ(١٩٩٥). أَظْهَرَ بِهِ ٱلشَّرَائِعَ ٱلْمَجْهُولَةَ، وَقَمَعَ بِهِ ٱلْبِدَعَ ٱلْمَدْخُولَةَ، وَبَيَّنَ بِهِ ٱلْأَحْكَامَ ٱلْمَفْصُولَةَ(١٩٩٦). فَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَامِ دِيناً تَتَحَقَّقْ شِقْوَتُهُ، وَتَنْفَصِمْ عُرْوَتُهُ، وَتَعْظُمْ كَبْوَتُهُ(١٩٩٧)، وَيَكُنْ مَآبُهُ(١٩٩٨) إِلَىٰ ٱلْحُزْنِ ٱلطَّوِيلِ وَٱلْعَذَابِ ٱلْوَبِيلِ.

وَأَتَوَكَّلُ عَلَىٰ ٱللهِ تَوَكُّلَ ٱلْإِنَابَةِ(١٩٩٩) إِلَيْهِ. وَأَسْتَرْشِدُهُ ٱلسَّبِيلَ ٱلْمُؤَدِّيَةَ إِلَىٰ جَنَّتِهِ، ٱلْقَاصِدَةَ إِلَىٰ مَحَلِّ رَغْبَتِهِ.

بيان: لعلّ المراد بالنور المضيء نور النبوّة، وبالبرهان الجليّ المعجزات الباهرة وبالمنهاج البادي شريعته الواضحة. و«أسرته» أهل بيته ـ صلّى الله عليه وآله ـ. و«شجرته» أصله وقبيلته. واعتدال أغصانه كناية عن تقارب أهل بيته في الفضل والكمال، أو عدم الاختلاف بينهم. قوله ـ عليه السلام ـ «متهدّلة» أي متدلّية، كناية

عن سهولة اجتناء العلم منها وظهورها وكثرتها. وقوله ـ عليه السلام ـ «ودعوة متلافية» لتلافيها ما فسد من قلوبهم، ونظام أمورهم في الجاهلية. قوله ـ عليه السلام ـ «المفصولة» أي ببيانه ـ صلّى الله عليه وآله ـ أو فصلها الله ـ سبحانه ـ وأوضحها له ـ صلّى الله عليه وآله ـ.[٦٥٠]

النصح بالتقوى

أُوصِيكُمْ، عِبَادَ ٱللهِ، بِتَقْوَى ٱللهِ وَطَاعَتِهِ، فَإِنَّهَا النَّجَاةُ غَداً، وَٱلْمَنْجَاةُ أَبَداً. رَهَّبَ فَأَبْلَغَ، وَرَغَّبَ فَأَسْبَغَ[٢٠٠٠]؛ وَوَصَفَ لَكُمُ الدُّنْيَا وَٱنْقِطَاعَهَا، وَزَوَالَهَا وَٱنْتِقَالَهَا. فَأَعْرِضُوا عَمَّا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا. أَقْرَبُ دَارٍ مِنْ سَخَطِ ٱللهِ، وَأَبْعَدُهَا مِنْ رِضْوَانِ ٱللهِ! فَغُضُّوا عَنْكُمْ ـ عِبَادَ ٱللهِ ـ غُمُومَهَا وَأَشْغَالَهَا، لِمَا قَدْ أَيْقَنْتُمْ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا وَتَصَرُّفِ حَالَاتِهَا. فَٱحْذَرُوهَا حَذَرَ الشَّفِيقِ النَّاصِحِ[٢٠٠١]، وَٱلْمُجِدِّ الْكَادِحِ[٢٠٠٢]. وَٱعْتَبِرُوا بِمَا قَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ مَصَارِعِ ٱلْقُرُونِ قَبْلَكُمْ: قَدْ تَزَايَلَتْ أَوْصَالُهُمْ[٢٠٠٣]، وَزَالَتْ أَبْصَارُهُمْ وَأَسْمَاعُهُمْ، وَذَهَبَ شَرَفُهُمْ وَعِزُّهُمْ، وَٱنْقَطَعَ سُرُورُهُمْ وَنَعِيمُهُمْ؛ فَبُدِّلُوا بِقُرْبِ ٱلْأَوْلَادِ فَقْدَهَا، وَبِصُحْبَةِ ٱلْأَزْوَاجِ مُفَارَقَتَهَا. لَا يَتَفَاخَرُونَ، وَلَا يَتَنَاسَلُونَ، وَلَا يَتَزَاوَرُونَ، وَلَا يَتَحَاوَرُونَ[٢٠٠٤]. فَٱحْذَرُوا، عِبَادَ ٱللهِ، حَذَرَ ٱلْغَالِبِ لِنَفْسِهِ، ٱلْمَانِعِ لِشَهْوَتِهِ، النَّاظِرِ بِعَقْلِهِ؛ فَإِنَّ ٱلْأَمْرَ وَاضِحٌ،

٦٥٠ ـ بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١٨، كتاب تاريخ نبيّنا ـ صلّى الله عليه وآله ـ، ص ٢٢٢.

وَٱلْعَلَمَ قَائِمٌ ، وَالطَّرِيقَ جَدَدٌ(٢٠٠٥) وَٱلسَّبِيلَ قَصْدٌ(٢٠٠٦)

١٦٢ — ومن كلام له عليه السلام

لبعض أصحابه وقد سأله : كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به ؟ فقال :

يَا أَخَا بَنِي أَسَدٍ، إِنَّكَ لَقَلِقُ ٱلْوَضِينِ(٢٠٠٧) ، تُرْسِلُ(٢٠٠٨) فِي غَيْرِ سَدَدٍ(٢٠٠٩) ، وَلَكَ بَعْدُ ذِمَامَةُ(٢٠١٠) الصِّهْرِ وَحَقُّ ٱلْمَسْأَلَةِ ، وَقَدِ ٱسْتَعْلَمْتَ فَٱعْلَمْ : أَمَّا ٱلاسْتِبْدَادُ عَلَيْنَا بِهٰذَا ٱلْمَقَامِ وَنَحْنُ ٱلْأَعْلَوْنَ نَسَباً ، وَٱلْأَشَدُّونَ بِرَسُولِ ٱللهِ ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ نَوْطاً(٢٠١١) ، فَإِنَّهَا كَانَتْ أَثَرَةً(٢٠١٢) شَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ ، وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ ؛ وَٱلْحَكَمُ ٱللهُ ، وَٱلْمَعْوَدُ إِلَيْهِ ٱلْقِيَامَةُ

وَدَعْ عَنْكَ نَهْباً(٢٠١٣) صِيحَ(٢٠١٤) فِي حَجَرَاتِهِ(٢٠١٥)
وَلٰكِنْ حَدِيثاً مَا حَدِيثُ الرَّوَاحِلِ

وَهَلُمَّ(٢٠١٦) ٱلْخَطْبَ(٢٠١٧) فِي ٱبْنِ أَبِي سُفْيَانَ ، فَلَقَدْ أَضْحَكَنِي الدَّهْرُ بَعْدَ إِبْكَائِهِ ، وَلَا غَرْوَ وَٱللهِ ، فَيَا لَهُ خَطْباً يَسْتَفْرِغُ ٱلْعَجَبَ ، وَيُكْثِرُ ٱلْأَوَدَ(٢٠١٨) ! حَاوَلَ ٱلْقَوْمُ إِطْفَاءَ نُورِ ٱللهِ مِنْ مِصْبَاحِهِ ، وَسَدَّ فَوَّارِهِ(٢٠١٩) مِنْ يَنْبُوعِهِ ، وَجَدَحُوا(٢٠٢٠) بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ شِرْباً وَبِيئاً(٢٠٢١) ، فَإِنْ تَرْتَفِعْ

عَنَّا وَعَنْهُمْ مِحَنَ ٱلْبَلْوَىٰ ، أَحْمِلْهُمْ مِنَ ٱلْحَقِّ عَلَىٰ مَحْضِهِ(٢٠٢٢) ؛ وَإِنْ تَكُنِ ٱلْأُخْرَىٰ ، «فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ، إِنَّ ٱللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ» .

ولنوضح روايتي الصدوق والسيّد ــ رضي الله عنهما ــ.

قال الفيروزآباديّ: دوران ابن اسد أبو قبيله فلايناقي مافي النهج أنه كان من بني أسد. وقال الجوهريّ: «ناط الشيء ينوطه نوطاً» علقه. قوله ــ عليه السلام ــ «ذمام الصهر»، «الذمام» بالكسر، الحرمة، وأمّا كونه صهراً فقيل: لأنّ زينب بنت جحش زوجة النبيّ ــ صلّى الله عليه وآله ــ كانت أسديّة. ونقل الراونديّ ــ رحمه الله ــ أنّه كان متزوّجاً في بني أسد، وأنكره ابن أبي الحديد.

وقال في النهاية: في حديث عليّ ــ عليه السلام ــ «إنّك لقلق الوضين»، «الوضين» بطان منسوج بعضه على بعض يشدّبه الرحل على البعير كالحزام للسرج، أراد به أنّه سريع الحركة يصفه بالخفّة وقلّة الثبات، كالحزام إذا كان رخواً. قوله ــ عليه السلام ــ «ترسل في غير سدد»، «الإرسال» الإطلاق والإهمال والتوجيه. و«السدد والسداد» الاستقامة والصواب، أي تطلق عنان دابّتك أو تهملها وتوجّهها في غير مواضعها، أي تتكلّم في غير موضع الكلام، وتسأل مثل هذا الأمر الّذي لايمكن التصريح بمحّ الحقّ فيه في مجمع الناس. وفي رواية الصدوق: «عن ذي مسد» و«المسد» الحبل الممسود، أي المفتول من نبات أو لحاء شجرة. وقيل: «المسد» المرود البكرة الّذي تدور عليه. ذكرهما في النهاية. فيمكن أن يقرأ على بناء المعلوم، أي ترسل الكلام كما يرسل البكرة على المرود عند الاستقاء، أو المعنى: تطلق حيواناً له مسد ربط به، كناية عن التكلّم بماله مانع عن التكلّم به، أو على المجهول، أي تنطق بالكلام من غير تأمّل تصير معلّقاً بالحبل بين السماء والأرض لا تدري الحيلة فيه، أو بتشديد الدال، أي ترسل الماءعن مجرى له محل سدّ أو وسد. والأظهر أنّه تصحيف؛ وفيما سيأتي من رواية المفيد من: «غير ذى مسدّد» وهو أظهر.

و«الاستبداد بالشيء» التفرّد به. والضمير في قوله ــ عليه السلام ــ «فإنّها» راجعة إلى الخلافة، أو الدنيا لظهورهما بقرينة المقام، وقيل: إلى الأثرة المفهومة من الاستبداد، وهو بعيد. وفي الأمالي: «امراة» وكأنّه تصحيف «إمرة» بالكسر، أي إمارة. قوله ــ عليه السلام ــ «شحّت» أي بخلت. و«النفوس الشاحّة» نفوس أهل السقيفة. قوله ــ عليه السلام ــ و«المعود إليه» اسم مكان. و يروى: «يوم القيامة» بالنصب على أن يكون ظرفاً، والعامل فيه «المعود» على أن يكون مصدراً.

قوله ــ عليه السلام ــ «دع عنك نهباً صيح في حجراته» البيت لامرئ القيس، و تمامه: ولكن حديثاً ما حديث الرواحل.

وكان قصّة هذا الشعر أنّ امرأ القيس لمّا انتقل في أحياء العرب بعد قتل أبيه نزل على رجل من جديلة طيّ يقال له: طريف، فأحسن جواره، فمدحه، وأقام عنده، ثمّ إنّه خاف أن لايكون له منعة فتحوّل ونزل على خالدبن سدوس النبهاني، فأعادت بنوجديلة على امرئ القيس وهو في جوار خالد، فذهبوا بإبله، فلمّا أتاه الخبر ذكر ذلك لجاره فقال له: اعطني رواحلك ألحق عليها القوم فأردّ إبلك. ففعل، فركب خالد في أثر القوم حتّى أدركهم، فقال: يا بني جديلة أغرتم على إبل جاري، فقالوا: ما هو لك بجار. قال: بلى والله وهذا رواحله. قالوا: كذلك قال: نعم. فرجعوا إليه وأنزلوه عنهنّ وذهبوا بهنّ وبالإبل. وقيل: بل انطوى خالد على الإبل فذهب بها، فقال امرئ القيس: دع عنك... إلى آخر القصيدة.

والمعنى: «دع عنك نهباً» أي اتركه. و«النهب» الغنيمة. و«الحجرات» النواحي، جمع «حجرة» كجمرة وجمرات. و«الصياح» صياح الغارة. و«الرواحل» جمع «راحلة» وهي الناقة الّتي تصلح لأن يشدّ الرحل على ظهرها. وانتصب «حديثاً» بإضمار فعل، أي حدّثني، أوهات، أو اسمع. و يروى بالرفع، أي غرضي حديث، فحذف المبتدأ. و«ما» ههنا تحتمل أن تكون إبهاميّة وهي الّتي إذا اقترنت بنكرة زادته إبهاماً، أو صلة مؤكّدة كما في قوله ــ تعالى ــ: «فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ»[٦٥١]. وأمّا

٦٥١- النساء: ١٥٥ و المائدة: ١٣.

«حديث» الثّاني فقد ينصب على البدل من الأوّل، وقد يرفع على أن يكون ما موصولة وصلتها الجملة، أي الّذي هو حديث الرواحل، ثمّ حذف صدرها كما حذف في تماما على الّذي أحسن، أو على أن تكون استفهاميّة بمعنى أيّ.

وقوله ــ عليه السلام ــ «وهلمّ الخطب» يؤيّد أنّه ــ عليه السلام ــ لم يستشهد إلّا بصدر البيت، فإنّه قائم مقام قول امرئ القيس «ولكن حديثاً ما». و«هلمّ» يستعمل لازماً ومتعدّياً، فاللازم بمعنى «تعال» ويستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث في لغة أهل الحجاز، وأهل نجد يقولون: هلمّا وهلموا. والمتعدّي بمعنى «هات»، قال ــ تعالى ــ: «هَلُمَّ شُهَداءَكُمْ»[٦٥٢]. وهنا يحتمل الوجهين وإن كان الثاني أظهر، أي لا تسأل عن اللصوص الثلاثة الماضية فإنّهم نهبوا الخلافة وصاحوا في حجراته، ومضوا، ولكن هات مانحن فيه الآن من خطاب ابن أبي سفيان لنتكلّم فيه ونشتغل بدفعه، فإنّه أعجب وأغرب، والتعرّض له أهمّ. و«الخطب» الحادث الجليل، والأمر العظيم. قوله ــ عليه السلام ــ «بعد إبكائه» قيل: «الإبكاء» إشارة إلى ما كان عليه من الكآبة لتقدّم الخلفاء. والضحك للتعجّب من أنّ الدهر لم يقنع بذلك حتّى جعل معاوية منازعاً له في الخلافة. والأظهر أنّ كليهما في أمر معاوية أو في أمره وأمر من تقدّمه فإنّها محلّ للحزن والتعجّب معاً.

و«الغرو» بالغين المعجمة المفتوحة والرآء المهملة الساكنة، العجب، أي لاعجب. ثمّ فسّره بما بعده فقال: «يستفرغ العجب» أي لم يبق منه مايطلق عليه لفظ التعجّب، وهذا من المبالغة في المبالغة، أي هذا أمر يجلّ عن التعجّب، كقول ابن هاني:

قدسرت في الميدان يوم طرادهم فعجبت حتى كدت لا أتعجّب

و«الأود» العوج؛ ويحتمل أن يكون «لاغرو» معناه أنّ ماوردعليّ ليس بعجب من تقلّبات الدنيا وأحوالها وقوّة الباطل وغلبة أهله فيها، فيكون قوله ــ عليه السلام ــ «فياله» استيناقاً لاستعظام الأمر، أو المعنى: لاغرو في أن أضحكني وأبكاني لأمر واحد.

٦٥٢- الأنعام: ١٥٠.

وأمّا رواية الصدوق، فلعلّ المعنى: لاعجب إلّا من جارتي وسؤالها عنّي لم لم تنتصر ممّن ظلمك؟ هل كان لي أهل يعينني، فاسأل عن ذلك؟ أي مع علمك بتفرّدي وتخذّل النّاس عنّي ما كنت تحتاج إلى السؤال عن علّة الأمر. و«فوّار الينبوع» بالفتح وتشديد الواو، وثقب البئر، و«الفُوار» بالضمّ والتخفيف، مايفور من حرّ القدر، وقرئ بهما والأوّل أظهر. و«جدحوا» أي خلطوا ومزجوا وأفسدوا. و«الوبيء» ذوالوباء والمرض. و«الشِرب» بالكسر، الحظّ من الماء. و«الشِّرب الوبيء» هو الفتنة الحاصلة من عدم انقيادهم له ـ عليه السلام ـ كالشُّرب المخلوط بالسمّ. قوله ـ عليه السلام ـ «فإن يرتفع»[٦٥٣] أي بأن يتّبعوا أمري.[٦٥٤]

١٦٣ ـ ومن خطبة له عليه السلام

الخالق جل وعلا

اَلْحَمْدُ للهِ خَالِقِ ٱلْعِبَادِ، وَسَاطِحِ ٱلْمِهَادِ(٢٠٢٣)، وَمُسِيلِ ٱلْوِهَادِ(٢٠٢٤)، وَمُخْصِبِ النِّجَادِ(٢٠٢٥). لَيْسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ ٱبْتِدَاءٌ، وَلَا لِأَزَلِيَّتِهِ ٱنْقِضَاءٌ. هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَلَمْ يَزَلْ، وَٱلْبَاقِي بِلَا أَجَلٍ. خَرَّتْ لَهُ ٱلْجِبَاهُ، وَوَحَّدَتْهُ الشِّفَاهُ. حَدَّ ٱلْأَشْيَاءَ عِنْدَ خَلْقِهِ لَهَا إِبَانَةً لَهُ(٢٠٢٦) مِنْ شَبَهِهَا. لَا تُقَدِّرُهُ ٱلْأَوْهَامُ بِٱلْحُدُودِ وَٱلْحَرَكَاتِ، وَلَا بِٱلْجَوَارِحِ وَٱلْأَدَوَاتِ. لَا يُقَالُ لَهُ: «مَتَىٰ؟» وَلَا يُضْرَبُ لَهُ أَمَدٌ «بِحَتَّىٰ». الظَّاهِرُ لَا يُقَالُ: «مِمَّ؟» وَٱلْبَاطِنُ لَا يُقَالُ: «فِيمَ؟» لَا شَبَحٌ فَيُتَقَصَّىٰ، وَلَا مَحْجُوبٌ فَيُحْوَىٰ.

٦٥٣- في النهج: فإن ترتفع.

٦٥٤- بحار الأنوار الطبعة القديمة، ج ٨، ص ١٥٧، ط كمپاني وص ١٥٢، ط تبريز.

لَمْ يَقْرُبْ مِنَ ٱلْأَشْيَاءِ بِٱلْتِصَاقٍ ، وَلَمْ يَبْعُدْ عَنْهَا بِٱفْتِرَاقٍ ، وَلَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ شُخُوصُ لَحْظَةٍ[٢٠٢٧] ، وَلَا كُرُورُ لَفْظَةٍ ، وَلَا ٱزْدِلَافُ رَبْوَةٍ[٢٠٢٨] ، وَلَا ٱنْبِسَاطُ خُطْوَةٍ ، فِي لَيْلٍ دَاجٍ[٢٠٢٩] ، وَلَا غَسَقٍ سَاجٍ[٢٠٣٠] ، يَتَفَيَّأُ[٢٠٣١] عَلَيْهِ ٱلْقَمَرُ ٱلْمُنِيرُ ، وَتَعْقُبُهُ ٱلشَّمْسُ ذَاتُ ٱلنُّورِ فِي ٱلْأُفُولِ وَٱلْكُرُورِ[٢٠٣٢] ، وَتَقَلُّبِ ٱلْأَزْمِنَةِ وَٱلدُّهُورِ ، مِنْ إِقْبَالِ لَيْلٍ مُقْبِلٍ ، وَإِدْبَارِ نَهَارٍ مُدْبِرٍ . قَبْلَ كُلِّ غَايَةٍ وَمُدَّةٍ ، وَكُلِّ إِحْصَاءٍ وَعِدَّةٍ ، تَعَالَىٰ عَمَّا يَنْحَلُهُ[٢٠٣٣] ٱلْمُحَدِّدُونَ مِنْ صِفَاتِ ٱلْأَقْدَارِ[٢٠٣٤] ، وَنِهَايَاتِ ٱلْأَقْطَارِ[٢٠٣٥] ، وَتَأَثُّلِ[٢٠٣٦] ٱلْمَسَاكِنِ ، وَتَمَكُّنِ ٱلْأَمَاكِنِ . فَٱلْحَدُّ لِخَلْقِهِ مَضْرُوبٌ ، وَإِلَىٰ غَيْرِهِ مَنْسُوبٌ .

ابتداع المخلوقين

لَمْ يَخْلُقِ ٱلْأَشْيَاءَ مِنْ أُصُولٍ أَزَلِيَّةٍ ، وَلَا مِنْ أَوَائِلَ أَبَدِيَّةٍ ، بَلْ خَلَقَ مَا خَلَقَ فَأَقَامَ حَدَّهُ[٢٠٣٧] ، وَصَوَّرَ مَا صَوَّرَ فَأَحْسَنَ صُورَتَهُ . لَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْهُ ٱمْتِنَاعٌ ، وَلَا لَهُ بِطَاعَةِ شَيْءٍ ٱنْتِفَاعٌ . عِلْمُهُ بِٱلْأَمْوَاتِ ٱلْمَاضِينَ كَعِلْمِهِ بِٱلْأَحْيَاءِ ٱلْبَاقِينَ ، وَعِلْمُهُ بِمَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ ٱلْعُلَىٰ كَعِلْمِهِ بِمَا فِي ٱلْأَرَضِينَ ٱلسُّفْلَىٰ .

إيضاح: «ساطح المهاد» اي باسط الأرض التي هي بمنزلة الفراش للخلق. و«الوهد» المكان المنخفض. و«النجاد» ما ارتفع من الأرض أي مجري السيول في

الوهاد، ومنبت العشب والنبات والأشجار في النجاد. قوله «انفضاء» أي في طرف الأبد، ويحتمل أن يكون المراد بالأوّليّة العلّيّة أي ليست له علّة، وليس لوجوده في الأزل انقضاء، والأوّل أوفق بالفقرتين الآتيتين لفّاً ونشراً. و«شخوص اللحظة» مدّ البصر بلاحركة جفن. و«كرور اللفظة» رجوعها. وقيل: «ازدلاف الربوة» صعود إنسان أو حيوان ربوة من الأرض، وهي الموضع المرتفع؛ وقيل: «ازدلاف الربوة» تقدّمها في النظر، فإنّ الربوة أوّل مايقع في العين من الأرض عند مدّ البصر، من «الزلف» بمعنى القرب.

قوله ـ عليه السلام ـ «داجٍ» أي مظلم. و«الفسق» محرّكة، ظلمة أوّل اللّيل، وقوله «ساجٍ» أي ساكن، كما قال ـ تعالى ـ: «وَ اللَّيْلِ إِذَا سَجَى»[655] أي سكن أهله، أو ركد ظلامه من «سجى البحر سجواً» إذا سكنت أمواجه. قوله ـ عليه السلام ـ «يتفيّأ» هذا من صفات الغسق ومن تتمّة نعته، ومعنى «يتفيّأ عليه» يتقلّب ذاهباً وجائياً في حالتي أخذه في الضوء إلى التبدّر، وأخذه في النقص إلى المحاق، والضمير في «عليه» للغسق.

وقوله «وتعقّبه» أي تتعقّبه فحذف إحدى التائين، والضمير فيه للقمر. وقوله «من إقبال ليل» متعلّق بتقليب، والمعنى أنّ الشمس تعاقب القمر فتطلع عند أُفوله، و يطلع عند أُفولها. قوله ـ عليه السلام ـ «قبل كلّ غاية» أي هو ـ سبحانه ـ قبل كلّ غاية. قوله «عمّا ينحله» أي ينسبه إليه.

قوله ـ عليه السلام ـ «وتأثّل المساكن» يقال: «مجد مؤثّل» أي أصيل، و«بيت مؤثّل» أي معمور. و«أثّل» ملكه، عظّمه، و«تأثّل» عظم. و«تمكّن الأماكن» ثبوتها واستقرارها.

أقول: يحتمل أن يكون المعنى التأثّل في المساكن والتمكّن في الأماكن. قوله ـ عليه السلام ـ «ولا من أوائل أبديّة» أقول: على هذه النسخة الأصول الأزليّة هي الأوائل الأبديّة، إذ ماثبت قدمه امتنع عدمه. قوله ـ عليه السلام ـ «فأقام حدّه» أي

٦٥٥- الضحى: ٢.

أتقن حدود الأشياء على وفق الحكمة الإلهيّة من المقادير والأشكال والنهايات والآجال.[٦٥٦]

منها : أَيُّهَا ٱلْمَخْلُوقُ السَّوِيُّ(٢٠٣٨) ، وَٱلْمُنْشَأُ ٱلْمَرْعِيُّ(٢٠٣٩) ، فِي ظُلُمَاتِ ٱلْأَرْحَامِ ، وَمُضَاعَفَاتِ ٱلْأَسْتَارِ. بُدِئْتَ «مِنْ سُلَالَةٍ(٢٠٤٠) مِنْ طِينٍ» ، وَوُضِعْتَ «فِي قَرَارٍ مَكِينٍ(٢٠٤١) ، إِلَىٰ قَدَرٍ مَعْلُومٍ» ، وَأَجَلٍ مَقْسُومٍ . تَمُورُ(٢٠٤٢) فِي بَطْنِ أُمِّكَ جَنِيناً لَا تُحِيرُ(٢٠٤٣) دُعَاءً ، وَلَا تَسْمَعُ نِدَاءً ؛ ثُمَّ أُخْرِجْتَ مِنْ مَقَرِّكَ إِلَىٰ دَارٍ لَمْ تَشْهَدْهَا ، وَلَمْ تَعْرِفْ سُبُلَ مَنَافِعِهَا .

فَمَنْ هَدَاكَ لِٱجْتِرَارِ ٱلْغِذَاءِ مِنْ ثَدْيِ أُمِّكَ ، وَعَرَّفَكَ عِنْدَ ٱلْحَاجَةِ مَوَاضِعَ طَلَبِكَ وَإِرَادَتِكَ ! هَيْهَاتَ ، إِنَّ مَنْ يَعْجِزُ عَنْ صِفَاتِ ذِي ٱلْهَيْئَةِ وَٱلْأَدَوَاتِ فَهُوَ عَنْ صِفَاتِ خَالِقِهِ أَعْجَزُ ، وَمِنْ تَنَاوُلِهِ بِحُدُودِ ٱلْمَخْلُوقِينَ أَبْعَدُ !

توضيح: «السويّ» العدل والوسط. و«رجل سويّ» أي مستوي الخلقة غير ناقص. و«أنشأ الخلق» ابتدأ خلقهم. و«الرعاية» الحفظ. و«المرعيّ» من شمله حفظ الراعي. و«مضاعفات الأستار» أي الأستار المضاعفة، والحجب بعضها فوق بعض. «بدئت من سلالة...» إشارة إلى قوله ــ تعالى ــ: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ»[٦٥٧]. وقد مرّ وجوه التفسير فيه، وهي جارية ههنا. و«المكين» المتمكّن، وهو في الأصل صفة للمستقرّ، وصف به المحلّ مبالغة، أو المراد

٦٥٦- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٤، كتاب التوحيد، ص ٣٠٦.
٦٥٧- المؤمنون: ١٣.

تمكّن الرحم في مكانها مربوطة برباطات كما سيأتي؛ والمعنى: في مستقرّ حصين هي الرحم. «إلى قدر معلوم» أي مقدار معيّن من الزمان قدّره الله للولادة. و«قسمه» ــ كضربه ــ و«قسّمه» بالتشديد، أي جزّأه وفرّقه، و«قسم أمره» أي قدّره، و«الأجل المقسوم» المدّة المقدّرة لحياة كلّ أحد، فالظرف متعلّق بمحذوف، أي منتهياً إلى أجل مقسوم؛ أو يقال: الوضع في الرحم غايته ابتداء الأجل أي مدّة حياة الدنيا، ويحتمل أن يكون تأكيداً للقدر المعلوم. و«مار الشيء» ــ كقال ــ تحرّك، أو بسرعة واضطراب. و«الجنين» الولد في البطن لاستتاره من «جنّ» أي استتر، فإذا ولد فهو منفوس. و«المحاورة» الجواب ومراجعة النطق، ويقال: «كلّمته فما أحار إليّ جواباً» أي لم يجبني. و«دعوته دعاءً» ناديته وطلبت إقباله. «لم تشهدها» أي لم تحضرها قبل ذلك ولم تعلم بحالها. و«الاجترار» الجذب. «مواضع طلبك» قيل: أي حلمة الثدي، والجمع باعتبار أنّ الطفل يمصّ من غير ثدي أمّه أيضاً، أو عرّفك عند الحاجة إلى كلّ شيء في الدار الدنيا مواضع طلبك. وفي بعض النسخ: «وحرّك عند الحاجة» فالمراد بمواضع الطلب القوى والآلات التي يحصل بها اجترار الغذاء. «هيهات» أي بعد أن يحيط علماً بصفات خالقه الذي هو أبعد الأشياء منه من حيث الحقيقة لعدم المشابهة والمجانسة وليس له حدود المخلوقين من لايقدر على وصف نفسه مع أنّه أقرب الأشياء إليه وغيره من ذوي الهيئة والأدوات، المجانس له في الذات والصفات، المتّصف بحدود المخلوقين.[658]

١٦٤ ــ ومن كلام له عليه السلام

لما اجتمع الناس إليه وشكوا ما نقموه على عثمان وسألوه مخاطبته لهم واستعتابه لهم، فدخل عليه فقال:

إِنَّ النَّاسَ وَرَائِي وَقَدِ اسْتَسْفَرُونِي[2044] بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، وَوَاللهِ مَا

٦٥٨- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٦٠، كتاب السماء والعالم، ص ٣٤٧.

أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ ! مَا أَعْرِفُ شَيْئاً تَجْهَلُهُ . وَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ أَمْرٍ لَا تَعْرِفُهُ . إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نَعْلَمُ . مَا سَبَقْنَاكَ إِلَىٰ شَيْءٍ فَنُخْبِرَكَ عَنْهُ ، وَلَا خَلَوْنَا بِشَيْءٍ فَنُبَلِّغَكَهُ . وَقَدْ رَأَيْتَ كَمَا رَأَيْنَا ، وَسَمِعْتَ كَمَا سَمِعْنَا ، وَصَحِبْتَ رَسُولَ ٱللهِ ـ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ كَمَا صَحِبْنَا. وَمَا ٱبْنُ أَبِي قُحَافَةَ وَلَا ٱبْنُ ٱلْخَطَّابِ بِأَوْلَىٰ بِعَمَلِ ٱلْحَقِّ مِنْكَ ، وَأَنْتَ أَقْرَبُ إِلَىٰ أَبِي رَسُولِ ٱللهِ ـ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ وَشِيجَةَ[٢٠٤٥] رَحِمٍ مِنْهُمَا ؛ وَقَدْ نِلْتَ مِنْ صِهْرِهِ مَا لَمْ يَنَالَا . فَٱللهَ ٱللهَ فِي نَفْسِكَ ! فَإِنَّكَ ـ وَٱللهِ ـ مَا تُبَصَّرُ مِنْ عَمًى ، وَلَا تُعَلَّمُ مِنْ جَهْلٍ ، وَإِنَّ الطُّرُقَ لَوَاضِحَةٌ . وَإِنَّ أَعْلَامَ الدِّينِ لَقَائِمَةٌ . فَٱعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ ٱللهِ عِنْدَ ٱللهِ إِمَامٌ عَادِلٌ ، هُدِيَ وَهَدَىٰ ، فَأَقَامَ سُنَّةً مَعْلُومَةً ، وَأَمَاتَ بِدْعَةً مَجْهُولَةً . وَإِنَّ السُّنَنَ لَنَيِّرَةٌ ، لَهَا أَعْلَامٌ ، وَإِنَّ ٱلْبِدَعَ لَظَاهِرَةٌ ، لَهَا أَعْلَامٌ . وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ ٱللهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَضُلَّ بِهِ ، فَأَمَاتَ سُنَّةً مَأْخُوذَةً ، وَأَحْيَا بِدْعَةً مَتْرُوكَةً . وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ ٱللهِ ـ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ يَقُولُ : «يُؤْتَىٰ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ بِٱلْإِمَامِ ٱلْجَائِرِ وَلَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ وَلَا عَاذِرٌ ، فَيُلْقَىٰ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا تَدُورُ الرَّحَى ، ثُمَّ يَرْتَبِطُ[٢٠٤٦] فِي قَعْرِهَا» . وَإِنِّي أَنْشُدُكَ ٱللهَ أَلَّا تَكُونَ إِمَامَ هٰذِهِ ٱلْأُمَّةِ ٱلْمَقْتُولَ ، فَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ : يُقْتَلُ فِي هٰذِهِ ٱلْأُمَّةِ إِمَامٌ يَفْتَحُ عَلَيْهَا ٱلْقَتْلَ وَٱلْقِتَالَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ ،

وَيَلْبِسُ أُمُورَهَا عَلَيْهَا . وَيَبُثُّ ٱلْفِتَنَ فِيهَا . فَلَا يُبْصِرُونَ ٱلْحَقَّ مِنَ ٱلْبَاطِلِ، يَمُوجُونَ فِيهَا مَوْجاً . وَيَمْرُجُونَ فِيهَا مَرْجاً[٢٠٤٧] . فَلَا تَكُونَنَّ لِمَرْوَانَ سَيِّقَةً[٢٠٤٨] يَسُوقُكَ حَيْثُ شَاءَ بَعْدَ جَلَالِ السِّنِّ وَتَقَضِّي ٱلْعُمُرِ . فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ : « كَلِّمِ النَّاسَ فِي أَنْ يُؤَجِّلُونِي ، حَتَّى أَخْرُجَ إِلَيْهِمْ مِنْ مَظَالِمِهِمْ » فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : مَا كَانَ بِٱلْمَدِينَةِ فَلَا أَجَلَ فِيهِ . وَمَا غَابَ فَأَجَلُهُ وُصُولُ أَمْرِكَ إِلَيْهِ .

توضيح: «الاستعتاب» طلب العتبى . وهو الرجوع و الرضا. قوله ــ عليه السلام ــ «ما أعرف شيئاً تجهله» الغرض بيان وضوح قبائح أعماله بحيث يعرفه الصبيان، لابيان وفور علمه. قوله ــ عليه السلام ــ «وأنت أقرب» الواو للحال، ويحتمل العطف. و«الوشيجة» تمييزه، وهي عرق الشجرة. و«الواشجة» الرحم المشتبكة، وقد وشجت بك قرابة فلان، والاسم «الوشيج» ذكره الجوهريّ. قوله ــ عليه السلام ــ «فإنّه كان يقال» أي كان النبيّ يقول. وأبهم ــ عليه السلام ــ لمصلحة. والمراد بالإمام إمام يدعو إلى النار. وقال الجوهريّ: «مرجت» فسدت و«مرج» اختلط واضطرب، ومنه الهرج والمرج. و«السيّقة» بتشديد اليآء المكسورة، ما استاقه العدوّ من الدوابّ. وفي القاموس: «جلّ يجلّ جلالة وجلالاً» أسنّ.[٦٥٩]

١٦٥ ــ ومن خطبة له عليه السلام

يذكر فيها عجيب خلقة الطاووس

خلقة الطيور

ٱبْتَدَعَهُمْ خَلْقاً عَجِيباً مِنْ حَيَوَانٍ وَمَوَاتٍ . وَسَاكِنٍ وَذِي حَرَكَاتٍ ؛

٦٥٩ـ بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٣٧٤، ط كمپاني وص ٣٥٢، ط تبريز.

وَأَقامَ مِنْ شَوَاهِدِ ٱلْبيِّنَاتِ عَلَىٰ لَطِيفِ صَنْعَتِهِ ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ . مَا ٱنْقَادَتْ لَهُ ٱلْعُقُولُ مُعْتَرِفَةً بِهِ ، وَمُسَلِّمَةً لَهُ ، وَنَعَقَتْ(٢٠٤٩) فِي أَسْمَاعِنَا دَلَائِلُهُ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّتِهِ ، وَمَا ذَرَأَ(٢٠٥٠) مِنْ مُخْتَلِفِ صُوَرِ ٱلْأَطْيَارِ ٱلَّتِي أَسْكَنَهَا أَخَادِيدَ(٢٠٥١) ٱلْأَرْضِ ، وَخُرُوقَ فِجَاجِهَا(٢٠٥٢) وَرَوَاسِيَ أَعْلَامِهَا(٢٠٥٣) ، مِنْ ذَاتِ أَجْنِحَةٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وَهَيْئَاتٍ مُتَبَايِنَةٍ . مُصَرَّفَةٍ فِي زِمَامِ ٱلتَّسْخِيرِ ، وَمُرَفْرِفَةٍ(٢٠٥٤) بِأَجْنِحَتِهَا فِي مَخَارِقِ ٱلْجَوِّ(٢٠٥٥) ٱلْمُنْفَسِحِ . وَٱلْفَضَاءِ ٱلْمُنْفَرِجِ . كَوَّنَهَا بَعْدَ إِذْ لَمْ تَكُنْ فِي عَجَائِبِ صُوَرٍ ظَاهِرَةٍ ، وَرَكَّبَهَا فِي حِقَاقِ(٢٠٥٦) مَفَاصِلَ مُحْتَجِبَةٍ(٢٠٥٧) ، وَمَنَعَ بَعْضَهَا بِعَبَالَةِ(٢٠٥٨) خَلْقِهِ أَنْ يَسْمُوَ(٢٠٥٩) فِي ٱلْهَوَاءِ خُفُوفاً(٢٠٦٠) . وَجَعَلَهُ يَدِفُّ دَفِيفاً(٢٠٦١) وَنَسَقَهَا(٢٠٦٢) عَلَىٰ ٱخْتِلَافِهَا فِي ٱلْأَصَابِيغِ(٢٠٦٣) بِلَطِيفِ قُدْرَتِهِ . وَدَقِيقِ صَنْعَتِهِ . فَمِنْهَا مَغْمُوسٌ فِي قَالَبِ(٢٠٦٤) لَوْنٍ لَا يَشُوبُهُ غَيْرُ لَوْنِ مَا غُمِسَ فِيهِ ؛ وَمِنْهَا مَغْمُوسٌ فِي لَوْنِ صِبْغٍ قَدْ طُوِّقَ(٢٠٦٥) بِخِلَافِ مَا صُبِغَ بِهِ .

الطاووس

وَمِنْ أَعْجَبِهَا خَلْقاً الطَّاوُوسُ ٱلَّذِي أَقَامَهُ فِي أَحْكَمِ تَعْدِيلٍ . وَنَضَّدَ أَلْوَانَهُ فِي أَحْسَنِ تَنْضِيدٍ(٢٠٦٦) . بِجَنَاحٍ أَشْرَجَ قَصَبَهُ(٢٠٦٧) . وَذَنَبٍ أَطَالَ مَسْحَبَهُ . إِذَا دَرَجَ(٢٠٦٨) إِلَى ٱلْأُنْثَىٰ نَشَرَهُ مِنْ طَيِّهِ . وَسَمَا بِهِ(٢٠٦٩) مُطِلّاً عَلَىٰ رَأْسِهِ(٢٠٧٠) كَأَنَّهُ قِلْعُ(٢٠٧١) دَارِيٍّ(٢٠٧٢) عَنَجَهُ نُوتِيُّهُ(٢٠٧٣)

يَخْتَالُ[٢٠٧٤] بِأَلْوَانِهِ ، وَيَمِيسُ بِزَيَفَانِهِ[٢٠٧٥] . يُفْضِي[٢٠٧٦] كَإِفْضَاءِ الدِّيَكَةِ ، وَيَؤُرُّ بِمَلَاقِحِهِ[٢٠٧٧] أَرَّ الْفُحُولِ الْمُغْتَلِمَةِ[٢٠٧٨] لِلضِّرَابِ[٢٠٧٩] . أُحِيلُكَ مِنْ ذٰلِكَ عَلَىٰ مُعَايَنَةٍ[٢٠٨٠] ، لَا كَمَنْ يُحِيلُ عَلَىٰ ضَعِيفٍ إِسْنَادُهُ. وَلَوْ كَانَ كَزَعْمِ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُلْقِحُ بِدَمْعَةٍ تَسْفَحُهَا مَدَامِعُهُ[٢٠٨١] ، فَتَقِفُ فِي ضَفَّتَيْ[٢٠٨٢] جُفُونِهِ ، وَأَنَّ أُنْثَاهُ تَطْعَمُ[٢٠٨٣] ذٰلِكَ ، ثُمَّ تَبِيضُ لَا مِنْ لِقَاحِ[٢٠٨٤] فَحْلٍ سِوَىٰ الدَّمْعِ الْمُنْبَجِسِ[٢٠٨٥] ، لَمَا كَانَ ذٰلِكَ بِأَعْجَبَ مِنْ مُطَاعَمَةِ الْغُرَابِ[٢٠٨٦] ! تَخَالُ قَصَبَهُ[٢٠٨٧] مَدَارِيَ[٢٠٨٨] مِنْ فِضَّةٍ ، وَمَا أُنْبِتَ عَلَيْهَا مِنْ عَجِيبِ دَارَاتِهِ[٢٠٨٩] وَشُمُوسِهِ خَالِصَ الْعِقْيَانِ[٢٠٩٠] وَفِلَذَ الزَّبَرْجَدِ[٢٠٩١] . فَإِنْ شَبَّهْتَهُ بِمَا أَنْبَتَتِ الْأَرْضُ قُلْتَ : جَنًى[٢٠٩٢] جُنِيَ مِنْ زَهْرَةِ كُلِّ رَبِيعٍ . وَإِنْ ضَاهَيْتَهُ بِالْمَلَابِسِ فَهُوَ كَمَوْشِيِّ الْحُلَلِ[٢٠٩٣] أَوْ كَمُونِقِ عَصْبِ الْيَمَنِ[٢٠٩٤] . وَإِنْ شَاكَلْتَهُ بِالْحُلِيِّ فَهُوَ كَفُصُوصٍ ذَاتِ أَلْوَانٍ ، قَدْ نُطِّقَتْ بِاللُّجَيْنِ الْمُكَلَّلِ[٢٠٩٥] . يَمْشِي مَشْيَ الْمَرِحِ الْمُخْتَالِ[٢٠٩٦] ، وَيَتَصَفَّحُ ذَنَبَهُ وَجَنَاحَيْهِ ، فَيُقَهْقِهُ ضَاحِكاً لِجَمَالِ سِرْبَالِهِ[٢٠٩٧] ، وَأَصَابِيغِ وِشَاحِهِ[٢٠٩٨] ؛ فَإِذَا رَمَىٰ بِبَصَرِهِ إِلَىٰ قَوَائِمِهِ زَقَا[٢٠٩٩] مُعْوِلاً[٢١٠٠] بِصَوْتٍ يَكَادُ يُبِينُ عَنِ اسْتِغَاثَتِهِ ، وَيَشْهَدُ بِصَادِقِ تَوَجُّعِهِ ، لِأَنَّ قَوَائِمَهُ حُمْشٌ[٢١٠١] كَقَوَائِمِ الدِّيَكَةِ الْخِلَاسِيَّةِ[٢١٠٢] . وَقَدْ نَجَمَتْ[٢١٠٣] مِنْ ظُنْبُوبِ[٢١٠٤] سَاقِهِ صِيصِيَةٌ[٢١٠٥] خَفِيَّةٌ ، وَلَهُ فِي

مَوْضِعِ ٱلْعُرْفِ قُنْزُعَةٌ(٢١٠٦) خَضْرَاءُ مُوَشَّاةٌ(٢١٠٧) . وَمَخْرَجُ عُنُقِهِ كَٱلْإِبْرِيقِ ، وَمَغْرِزُهَا(٢١٠٨) إِلَىٰ حَيْثُ بَطْنُهُ كَصِبْغِ ٱلْوَسِمَةِ(٢١٠٩) ٱلْيَمَانِيَّةِ ، أَوْ كَحَرِيرَةٍ مُلْبَسَةٍ مِرْآةً ذَاتَ صِقَالٍ(٢١١٠) ، وَكَأَنَّهُ مُتَلَفِّعٌ بِمِعْجَرٍ أَسْحَمَ(٢١١١) ؛ إِلَّا أَنَّهُ يُخَيَّلُ لِكَثْرَةِ مَائِهِ ، وَشِدَّةِ بَرِيقِهِ ، أَنَّ ٱلْخُضْرَةَ ٱلنَّاضِرَةَ مُمْتَزِجَةٌ بِهِ . وَمَعَ فَتْقِ سَمْعِهِ خَطٌّ كَمُسْتَدَقِّ ٱلْقَلَمِ فِي لَوْنِ ٱلْأُقْحُوَانِ(٢١١٢) ، أَبْيَضُ يَقَقٌ(٢١١٣) ، فَهُوَ بِبَيَاضِهِ فِي سَوَادِ مَا هُنَالِكَ يَأْتَلِقُ(٢١١٤) . وَقَلَّ صِبْغٌ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِقِسْطٍ(٢١١٥) ، وَعَلَاهُ(٢١١٦) بِكَثْرَةِ صِقَالِهِ وَبَرِيقِهِ ، وَبَصِيصِ(٢١١٧) دِيبَاجِهِ وَرَوْنَقِهِ(٢١١٨) ، فَهُوَ كَٱلْأَزَاهِيرِ ٱلْمَبْثُوثَةِ(٢١١٩) ، لَمْ تُرَبِّهَا(٢١٢٠) أَمْطَارُ رَبِيعٍ ، وَلَا شُمُوسُ قَيْظٍ(٢١٢١) . وَقَدْ يَنْحَسِرُ(٢١٢٢) مِنْ رِيشِهِ ، وَيَعْرَىٰ مِنْ لِبَاسِهِ ، فَيَسْقُطُ تَتْرَىٰ(٢١٢٣) ، وَيَنْبُتُ تِبَاعاً ، فَيَنْحَتُّ(٢١٢٤) مِنْ قَصَبِهِ ٱنْحِتَاتَ أَوْرَاقِ ٱلْأَغْصَانِ ، ثُمَّ يَتَلَاحَقُ نَامِياً حَتَّىٰ يَعُودَ كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ سُقُوطِهِ ، لَا يُخَالِفُ سَالِفَ أَلْوَانِهِ ، وَلَا يَقَعُ لَوْنٌ فِي غَيْرِ مَكَانِهِ ! وَإِذَا تَصَفَّحْتَ شَعْرَةً مِنْ شَعَرَاتِ قَصَبِهِ أَرَتْكَ حُمْرَةً وَرْدِيَّةً ، وَتَارَةً خُضْرَةً زَبَرْجَدِيَّةً ، وَأَحْيَاناً صُفْرَةً عَسْجَدِيَّةً(٢١٢٥) فَكَيْفَ تَصِلُ إِلَىٰ صِفَةِ هٰذَا عَمَائِقُ(٢١٢٦) ٱلْفِطَنِ ، أَوْ تَبْلُغُهُ قَرَائِحُ ٱلْعُقُولِ ، أَوْ تَسْتَنْظِمُ وَصْفَهُ أَقْوَالُ ٱلْوَاصِفِينَ !

وَأَقَلُّ أَجْزَائِهِ قَدْ أَعْجَزَ ٱلْأَوْهَامَ أَنْ تُدْرِكَهُ ، وَٱلْأَلْسِنَةَ أَنْ تَصِفَهُ !

فَسُبْحَانَ الَّذِي بَهَرَ[٢١٢٧] الْعُقُولَ عَنْ وَصْفِ خَلْقٍ جَلَّاهُ[٢١٢٨] لِلْعُيُونِ، فَأَدْرَكَتْهُ مَحْدُوداً مُكَوَّناً، وَمُؤَلَّفاً مُلَوَّناً؛ وَأَعْجَزَ الْأَلْسُنَ عَنْ تَلْخِيصِ صِفَتِهِ، وَقَعَدَ بِهَا عَنْ تَأْدِيَةِ نَعْتِهِ!

صغار المخلوقات

وَسُبْحَانَ مَنْ أَدْمَجَ قَوَائِمَ[٢١٢٩] الذَّرَّةِ[٢١٣٠] وَالْهَمَجَةِ[٢١٣١] إِلَى مَا فَوْقَهُمَا مِنْ خَلْقِ الْحِيتَانِ وَالْفِيَلَةِ! وَوَأَى[٢١٣٢] عَلَى نَفْسِهِ أَلَّا يَضْطَرِبَ شَبَحٌ مِمَّا أَوْلَجَ فِيهِ الرُّوحَ، إِلَّا وَجَعَلَ الْحِمَامَ[٢١٣٣] مَوْعِدَهُ، وَالْفَنَاءَ غَايَتَهُ.

توضيح: «الطاووس» على فاعول وتصغيره طويس، و«طوّست المرأة» أي تزيّنت. و«الحَيَوان» بالتحريك. جنس الحيّ ويكون بمعنى الحياة. و«الموات» ـ كسحاب ـ ما لاروح فيه، وأرض لم تحي بعد. والتي لا مالك لها ولا ساكن كالأرض والجبال وذي حركات كالماء والنار. أي المتحرك بطبعه، أو الأعمّ، ولا يضرّ التداخل. و«اللطيف» الدقيق. و«ما» مفعول «أقام» والضمير عائد إلى ما في «به» و «له» راجع إلى الله. ويحتمل أن يعود إلى «ما». و«نعقت» أي صاحت والغرض الاشعار بوضوح الدلائل. والضمير في دلائله راجع إلى الله أو إلى «ما». و«ماذرأ» أي خلق. وقيل: «الذرء» مختصّ بخلق الذرية. و«الأخاديد» جمع «أخدود» بالضمّ، وهو الشقّ في الأرض: والطير الذي يسكن الأخدود كالقطا. و«الفجاج» بالكسر، جمع «فجّ» بالفتح، وهو الطريق الواسع بين جبلين. والقبج يسكن الفجاج. و«الأعلام» الجبال. و«رواسيها» ثوابتها، والعقبان والصقور ونحوهما تسكن الجبال الراسية. و«التصريف» التقليب والتحويل من حال إلى حال. و«مصرّفة» منصوبة على الحالية وفي بعض النسخ مجرور على أنه صفة لذوات أجنحة. وكذلك «مرفرفة». و«زمّه»

شدّه، و«الزمام» ــ ككتاب ــ مايزمّ به، و«زمام البعير» خطامه، و«زمام التسخير» القدرة الكاملة.

و«رفرف الطائر بجناحيه» إذا بسطهما عند السقوط على شيء يحوم عليه ليقع فوقه. و«مخارق الجوّ» أمكنتها الّتي تخرق الهواء فتدخلها. و«المنفسخ» الواسع، و«الفضاء» بالفتح، المكان الواسع. و«الحِقاق» بالكسر، جمع «حُقّ» بالضمّ، وهو مجمع المفصلين من الأعضاء. و«احتجاب المفاصل» استتارها باللحم والجلد ونحوهما. و«عبل الشيء ــ بالضمّ ــ عبالة» بالفتح فيهما مثل ضخم ضخامة وزناً ومعنىً. «أن يسمو» أي يعلوفي السماء أي في جهة العلوّ؛ وفي بعض النسخ: في الهواء. و«الخُفوق» بالضمّ، سرعة الحركة. و«دفّ الطائر» ــ كمدّ ــ حرّك جناحيه لطيرانه ومعناه ضرب بهما دفّيه وهما جناحاه، قيل: وذلك إذا أسرع مشيا ورجلاه على وجه الأرض ثمّ يستقلّ طيراناً، و«دفيف الطائر» طيرانه فوق الأرض، يقال: «عقاب دفوف»، و«دفّت الحمامة» ــ كفرّت ــ إذا سارت سيراً ليّناً، كذا في المصباح. و يظهر من كلام بعضهم أنّ الفعل كمدّ فيهما، و«يدفّ» فيما عندنا من النسخ بكسر العين. و«نسقها» أي رتّبها، يقال: «نسقت الدرّ» ــ كنصرت ــ أي نظمتها، و«نسقت الكلام» أي عطفت بعضه على بعض. و«الاصابيغ» جمع «أصباغ» بالفتح جمع «صبغ» بالكسر، وهو اللون، أي جعل كلاً منها على لون خاصّ على وفق الحكمة البالغة. و«غمسه في الماء» ــ كضربه ــ دخله، و«الاغتماس» الارتماس. شبّه الطير بالثوب الّذي دقّه الصبّاغ إذا أراد صبغه. و«القالب» بالفتح كما في النسخ، قالب الخفّ وغيره كالخاتم والطابع وبالكسر، البسر الأحمر؛ وفي القاموس: «القالب» البسر الأحمر، وكالمثال يفرغ فيه الجواهر، وفتح لامه أكثر، و«شاة قالب لون» على غير لون أُمّها؛ وفي حديث شعيب وموسى ــ عليهما السلام ــ: «لك من غنمي ماجاءت به قالب لون». تفسيره في الحديث أنّها جاءت على غير ألوان أُمّهاتها كأنّ لونها قد انقلب؛ ومنه حديث عليّ ــ عليه السلام ــ في صفة الطيور: «فمنها مغموس في قالب لون لايشوبه غير لون ماغمس فيه».[٦٦٠] انتهى.

٦٦٠ــ النهاية، ج ٣، ص ٣٠٤.

والأظهر أنّ الغمس في قالب اللون عبارة عن إحاطة اللون الواحد بجميع أجزائه كما يحيط القالب بالأشياء المصوغة بالصبّ فيه من نحاس ونحوه. وعلى الكسر، يمكن أن يكون المراد بقالب اللون اللون الذي يقلّب اللون إلى لون آخر. و«لون صبغ» في بعض النّسخ بجرّ «لون» مضافا إلى «صبغ» على الاضافة البيانيّة، وفي بعضها بالجرّ منوّناً و«صبغ» على صيغة الماضي المجهول، أي صبغ ذلك المغموس. و«الطوق» حليّ للعنق وكلّ ما استدار بشيء، وهذا النوع كالفواخت ونحوها. و«التعديل» التسوية، ومنه تعديل القسمة، والمراد إعطاء كلّ شيء منه في الخلق ما يستحقّه وخلقه خالياً من نقص و«نضد متاعه» ــ كنصر ــ و«نضّده» بالتشديد، أي جعل بعضه فوق بعض، أي رتّب ألوانه. «بجناح أشرج قصبه» أي ركّب بعضها في بعض كما يشرج العيبة أي يداخل بين أشراجها وهي عراها.

و«سحبه» ــ كمنعه ــ جرّه على وجه الأرض، و«سحبت المرأة ذيلها» إذا درج أي مشى. و«طوى الصحيفة» ــ كرمى ــ ضدّ نشرها. و«سما» ــ كدعا ــ أي ارتفع، و«سمابه» أي أعلاه ورفعه. و«أطلّ عليه» أي أشرف. و«القِلع» بالكسر، الشراع، و«الداريّ» منسوب إلى دارين وهو موضع في البحر كان يؤتى منه الطيب من الهند وهو الآن خراب لاعمارة به ولا سكنى وفيه آثار قديمة، والنسبة إليه لأنّه كان مرسى[٦٦١] السفن في زمانه ــ عليه السلام ــ و«عنجه» ــ كنصره ــ أي عطفه، وقيل: هو أن يجذب الراكب خطام البعير فيردّه على رجليه.

وفي النهاية: «النوتي» الملاّح: الّذي يدبّر السفينة في البحر، و«قد نات ينوت نوتا» إذا تمايل من النعاس، كأنّ النوتيّ يميل السفينة من جانب إلى جانب.[٦٦٢] انتهى. ولطف التشبيه واضح.

و«اختال» أي تكبّر وأعجب بنفسه. و«يميس» أي يتبختر. و«زاف يزيف زيفاناً» أي تبختر في مشيه. و«يفضي» أي يسفد، و يقال: «أفضى المرأة» أي جامعها

٦٦١- «المرسى» محلّ وقوف السفن.

٦٦٢- النهاية، ج ٤، ص ١٩١. وفيه: في حديث عليّ ــ عليه السّلام ــ: «كأنّه قطع داريّ عنجه نوتيّه»، ثمّ ذكر التفسير.

أو خلابها، و«الديكة» ـ كقردة ـ جمع «ديك» بالكسر؛ وفي بعض النسخ وفي نهاية ابن الأثير: «كإفضاء الديكة». و«يأرّ ـ كيمدّ ـ أرّاً» بالفتح، أي يجامع، و«ألقح الفحل الناقة» أي أحبلها، و«الملاقحة» مفاعلة منه؛ وفي بعض النسخ: «بملاقحه» على صيغة الجمع مضافا إلى الضمير، أي بآلات تناسله وأعضائه. و«الفحل» الذكر من كلّ حيوان، و«غلم» ـ كعلم ـ أي اشتدّ شبقه، و«اغتلم البعير» إذا هاج من شدّة شهوة الضراب.

وقوله ـ عليه السلام ـ «أرّ الفحول المغتلمة» ليس في بعض النسخ. و«الاحالة» من الحوالة. «على ضعيف إسناده» أي إسناده الضعيف؛ وفي بعض النسخ: «على ضعف» بصيغة المصدر مبالغة. و يقال: «سفحت الدم» ـ كمنعت ـ أي أرقته، و«[سفحت] الدمع» أي أرسلته؛ وفي بعض النسخ: «تنشجها» ـ كتضرب ـ ، يقال: «نشج القدر والزقّ» أي غلى مافيه حتّى سمع له صوت، ولعلّ الأوّل أوضح، فانّ الفعل ليس متعدّياً بنفسه على ما في كتب اللغة. و«ضفّتا جفونه» جانباها، وكذلك ضفّتا النهر والوادي. و«تطعّم» على صيغة التفعّل بحذف إحدى التائين. و«بجّس الماء تبجيساً» فجّره فتبجّس وانبجس و يوجد الكلمة في النسخ بها أي الدمع المنفجر.

قال بعض الشارحين: زعم قوم أنّ اللقاح في الطاووس بالدمعة وأمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ لم يحلّ ذلك، ولكنّه قال: ليس بأعجب من مطاعمة الغراب. والعرب تزعم أنّ الغراب لايسفد، ومن أمثالهم: «أخفى من سفاد الغراب» فيزعمون أنّ اللقاح من المطاعمة وانتقال جزء من الماء الذي في قانصة الذكر إلى الأنثى من منقاره. وأمّا الحكماء فقلّ أن يصدّقوا بذلك على أنّهم قد قالوا في كتبهم ما يقرب من هذا، قال ابن سينا: والقبجة تحبلها ريح تهبّ من ناحية الحجل الذكر ومن سماع صوته؛ قال: والنوع المسمّى مالاقيا[٦٦٣] تتلاصق بأفواهها ثمّ تتشابك فذ[illegible] سفادها، ولايخفى أنّ المثل المذكور لايدلّ على أنّ الغراب لايسفد، بل الظاهر منه خلافه إلّا أن يكون مراد القائل

٦٦٣- في المخطوطة: ملاقيا.

أيضاً ذلك. وأمّا كلامه ـ عليه السلام ـ فالظاهر منه أنّ الطاووس لقاحه بالسفاد لقوله ـ عليه السلام ـ «يؤرّ بملاقحة» ولتعبيره عن القول الآخر بالزعم، وأنّ الغراب لقاحه بالمطاعمة.

وفي القاموس: الحمام إذا أدخل فه في فم أُنثاه فقد تطاعما وطاعما. و«خال الشيء» ـ كخاف ـ أي ظنّه، و«خاله يخيله» لغة فيه، وتقول في المضارع للمتكلّم: «إخال» بكسر الهمزة على غير قياس وهو أكثر استعمالاً و بنو أسد يفتحون على القياس. و«المدارى» بالدال المهملة على مافي أكثر النّسخ، جمع «مدرى» بكسر الميم. قال ابن الأثير: «المدرى والمدراة» شيء من حديد[٦٦٤] أو خشب على شكل سنّ من أسنان المشط وأطول منه يسرّح به الشعر المتلبّد و يستعمله من لامشط له.[٦٦٥]

وكان في نسخة ابن ميثم بالذال المعجمة، قال: وهي خشبة ذات أطراف كأصابع الكفّ ينقّى به الطعام. و«الدارة» هالة القمر وما أحاط بالشيء كالدائرة. و«العُقيان» بالضمّ، الذهب الخالص، وقيل: ما ينبت منه نباتا. و«الفلذ» ـ كعنب ـ جمع «فِلذة» بالكسر، وهي القطعة من الذهب والفضّة وغيرهما، و«فلذت له من الشيء» ـ كضربت ـ أي قطعت، و«الزبرجد» جوهر معروف، قيل: و يسمّيه الناس البلخش، وقيل: هو الزمرّد. و«جنيت الثمرة والزهرة واجتنيتها» بمعنى و«الجنيّ» فعيل منه وفي بعض النسخ: «جنى» ـ كحصى ـ وهو ما يجنى من الشجر مادام غضّاً بمعنى فعيل، ولفظة الفعل المجهول ليست في بعض النسخ. و«زهر البنات» بالفتح، نوره، والواحدة «زهرة» كتمر وتمرة، قالوا: ولايسمّى زهراً حتّى تفتح. والمضاهاة والمشاكلة والمشابهة بمعنى، واستعمال فاعل بمعنى فعّل بالتشديد كثير لاسيّما في كلامه ـ عليه السلام ـ. و«اللباس واللبس» بالكسر فيهما و«الملبس» واحد.

و«الوشي» نقش الثوب من كلّ لون، و«الموشيّ» ـ كمرميّ ـ المنقّش. و«الحلل» ـ كصرد ـ جمع «حلّة» بالضمّ، وهي إزار ورداء من برد أو غيره فلا تكون

٦٦٤- في المصدر: شيء يعمل.

٦٦٥- النهاية، ج ٢، ص ٢٣.

حلّة إلّا من ثوبين أو ثوب له بطانة. و«شيء أنيق» أي حسن معجب، و«المونق» مفعل منه قلبت الهمزة واواً. و«العصب» بالفتح، ضرب من البرود. و«الحليّ» بضمّ الحاء وكسر اللام وتشديد اليآء، جمع «حلي» بالفتح والتخفيف، وهوما يزيّن به من مصوغ المعدنيات أو الحجارة. و«الفصوص» جمع «فصّ» كفلس وفلوس: قال ابن السكّيت: كسر الفاء رديّ. وقال الفيروزآباديّ الفصّ للخاتم، مثلّثة والكسر غير لحن. و«نطّقت باللجين» أي جعلت الفضّة كالنطاق لها وهو ككتاب شبه إزار فيه تكّة تلبسه المرأة، وقيل: شقّة تلبسها المرأة وتشدّ وسطها بحبل وترسل الأعلى على الأسفل إلى الأرض، والأسفل ينجرّ على الأرض[٦٦٦]، و«كلّل فلانا» ألبسه الاكليل وهو بالكسر، التاج، وشبه عصابة زيّن بالجوهر، وقال بعض الشّارحين: شبّه ـ عليه السلام ـ بالفصوص المختلفة الألوان المنطّقة في الفضّة أي المرصّعة في صفائح الفضّة، و«المكلّل» الذي جعل كالاكليل. وحاصل الكلام أنّه ـ عليه السلام ـ شبّه قصب ريشه بصفائح من فضّة رصّعت بالفصوص المختلفة الألوان، فهي كالاكليل بذلك الترصيع والأظهر أنّ المكلّل وصف للجين. و«مرح» ـ كفرح ـ وزناً ومعنًى فهو «مرح» ككتف؛ وقيل: «المرح» أشدّ من الفرح[٦٦٧]، وقيل: هو النشاط. و«تصفّحت الكتاب» أي قلّبت صفحاته. و«قة» ـ كفرّ ـ أي ضحك، وقال في ضحكه: قه بالسكون فاذا كرّر قيل: «قهقه قهقهة» مثل دحرج دحرجة. و«الجمال» الحسن في الخلق والخلق. و«السربال» بالكسر، القميص أو كلّ مالبس. و«الوشاح» ـ ككتاب ـ شيء ينسج من أديم و يرصّع شبه قلادة تلبسه النساء. و«زقا يزقو» أي صاح. و«أعول» أي رفع صوته بالبكاء والصياح. و«استغاث» طلب العون والنصر. و«توجّع» أي تفجّع أو تشكو لأنّ قوائمه حمش أي دقاق، يقال: رجل أحمش الساقين. و«الخلاسيّة» بالكسر، هي الّتي بين الدجاجة الهنديّة والفارسيّة، والولدبين أبوين أبيض وسوداء وأسود وبيضاء، ذكره في العين. و«نجم النبات وغيره ـ كقعد ـ نجوما» أي ظهر وطلع.

٦٦٦- في المخطوطة: يجرّ على الأرض.

٦٦٧- في المخطوطة: أشدّ الفرح.

و«الظنبوب» بالضمّ، حرف العظم اليابس من قدم الساق، ذكره الجوهريّ. وفي القاموس: حرف الساق من قدم أو عظمه أو حرف عظمه. و«الصيصية» في الأصل، شوكة الحائك الّتي بها يسوّي السداة واللحمة، قال الجوهري: ومنه صيصية الديك الّتي في رجله. و«العرف» بالضمّ، شعر عنق الفرس وغيره. و«القنزعة» بضمّ القاف والزاي، ما ارتفع من الشعر، وقيل: الخصلة من الشعر يترك على رأس الصبيّ. «موشّاة» أي منقّشة.

و«المخرج» اسم مكان، أي محلّ خروج عنقه كمحلّ خروج عنق الابريق، و يشعر بأنّ عنقه كعنق الابريق، أو مصدر، أي خروج عنقه كخروج عنق الابريق، فالاشعار أقوى. و«الابريق» فارسيّ معرّب.[٦٦٨] و«غرزته» ــ كضربت ــ أي أثبتّه في الأرض، و«مغرزها» مبتدء خبره «كصبغ الوسمة» و«بطنه» مبتدء خبر محذوف، أى مغرزها إلى حيث بطنه موجوداً وممتدّاً ومنتهى إليه كصبغ... إلى آخره؛ و«حيث» تضاف إلى الجملة غالباً وهو في المعنى مضافة إلى المصدر الّذي تضمّنته الجملة، قالوا: «حيث» وإن كانت مضافة إلى الجملة في الظاهر، لكن لمّا كانت في المعنى مضافة إلى المصدر فاضافتها إليها كلا إضافة، ولذا بنيت على الضمّ كالغايات على الأعرف. فقال الرضيّ ــ رضي الله عنه ــ حذف خبر المبتدء الّذي بعد «حيث» غير قليل.

و«الوسمة» بكسر السين كما في بعض النسخ وهي لغة الحجاز وأفصح من السكون وأنكر الأزهريّ السكون و بالسكون كما في بعض النسخ وجوّزه بعضهم، نبت يختضب بورقه، وقيل: هو ورق النيل. و«الصقال» ــ ككتاب ــ اسم من «صقله» ــ كنصر ــ أي جلاه، فهو مصقول وصقيل. و«اللفاع» ــ ككتاب ــ الملحفة أو الكساء أو كلّ ما تتلفّع به المرأة، و«تلفّع الرجل بالثوب» إذا اشتمل به وتغطى؛ وفي بعض النسخ: «متقنّع» و«المقنع والمقنعة» بالكسر فيهما، ماتتقنّع به المرأة، و«القناع» ــ ككتاب ــ أوسع منها. و«المعجر» ــ كمنبر ــ ثوب أصغر من الرداء تلبسه المرأة؛ وقال المطرزيّ: ثوب كالعصابة تلفّه المرأة على استدارة رأسها. و«السحم» بالتحريك

٦٦٨- معرّب «آبريز» وهو الّذي يقال له بالفارسيّة: آفتابه.

و«السحمة» بالضمّ، السواد، و«الأسحم» الأسود. و«خيل له كذا» بالبناءِ للمفعول من الخيال بمعنى الوهم والظنّ أي لبس عليه؛ وفي بعض النسخ «يخيّل» على صيغة المعلوم فالفاعل ضمير الطاووس. و«البريق» اللمعان.

«واستدقّ» أي صار دقيقاً وهو ضدّ الغليظ، و«المستدقّ» على صيغة اسم الفاعل وفي بعض النسخ على صيغة اسم المفعول، قال ابن الأثير: «استدقّ الدّنيا» أي احتقرها و استصغرها، وهو استفعل من الشيءِ الدقيق الصغير، والمشبّه على الاوّل القلم، وعلى الثاني المرقوم؛ ويمكن أن تكون الاضافة على الأوّل لأدنى ملابسة فانّ الرقم الدقيق له نسبة إلى القلم. و«الاُقحوان» بالضمّ، البابونج. و«أبيض يقق» بالتحريك، أي شديد البياض. و«ائتلق وتألّق» أي التمع. و«علافلان فلاناً» أي غلبه وارتفع عليه. و«بصّ» ــ كفرّ ــ أي برق ولمع. و«الديباج» ثوب سداه ولحمته أبريسم وقيل: هو معرّب ثمّ كثر حتّى اشتقّت العرب منه فقالوا: «دبج الغيث الأرض دبجا» إذا سقاها فأنبت أزهاراً مختلفة لأنّه اسم للمنقّش. و«رونق الشيء» ماؤه وحسنه، أي أخذ من كلّ لون نصيباً وزاد على اللون بالبريق واللمعان. و«الزهرة» بالفتح وبالتحريك، النبات ونوره والجمع «أزهار» وجمع الجمع «أزاهر»[٦٦٩].

و«البثّ» النشر والتفريق. و«ربّ فلان الأمر» أي أصلحه وقام بتدبيره، و«ربّ الدهن» أي طيبه. و«القيظ» فصل الصيف وشدّة الحرّ، ولعلّ الجمع في الأمطار باعتبار الدفعات وفي الشموس بتعدّد الاشراق في الأيّام أو باعتبار أنّ الشمس الطالع في كلّ يوم فرد على حدة لاختلاف التأثير في نضج الثمار وتربية النبات باختلاف الحرّ والبرد وغير ذلك. و«تحسّر البعير» على صيغة التفعّل، أي سقط من الإعياء؛ وفي بعض النّسخ: «تنحسر» على صيغة الانفعال، تقول: «حسره ــ كضربه ونصره ــ فانحسر» أي كشفه فانكشف. و«العرى» بالضمّ، خلاف اللبس والفعل كرضي. و«تترى» فيه لغتان تنوّن ولا تنوّن مثل علقى فمن ترك صرفها في المعرفة جعل ألفها ألف التأنيث وهو أجود، وأصلها «وترى» من الوتر وهو الفرد، قال الله ــ تعالى ــ: «ثمّ

٦٦٩- في النسخة المخطوطة: أزاهير.

أرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى»[٦٧٠] أي واحداً بعد واحد، ومن نوّنها جعل ألفها ملحقة، ذكره الجوهريّ. و قال بعض شارحي النهج: «تترى» أي شيئاً بعد شيء و بينهما فترة، وهذا ممّا يغلط فيه قوم فيعتقدون أنّ «تترى» للمواصلة والالتصاق. و«ينبت تباعا» أي لافترات بينها، وكذلك حال الريش الساقط. و«التباع» بالكسر، الولاء. و«انحتّت ورق الشجر» أي سقطت.

وقوله ــ عليه السلام ــ «سالف ألوانه» في بعض النسخ: «سائر ألوانه» قال الجوهريّ: «سائر الناس» أي جميعهم، وفي المصباح: قال الأزهريّ: اتّفق أهل اللغة أنّ سائر الشيء باقيه قليلاً كان أو كثيراً، ولعلّ المراد عدم مخالفة لون الريش النابت للباقي من السوالف، أو المراد عدم التخالف بين الأرياش النابتة، وما في الأصل أوضح. و«الورد ــ بالفتح ــ من كلّ شجرة» نورها، وغلب على الورد الأحمر. و«التارة» الحين والزمان. و«العسجد» ــ كجعفر ــ الذهب. و«العمق» بالضمّ و بالفتح، قعر البئر ونحوها. و«الفطن» ــ كعنب ــ جمع «فطنة» بالكسر، وهى الحذق والعلم بوجوه الأمور، و«عمائق الفطن» الأذهان الثاقبة. و«القريحة» أوّل مايستنبط من البئر ومنه قولهم: «لفلان قريحة جيّدة» يراد استنباط العلم بجودة الطبع، و«اقترحت الشيء» أي ابتدعته من غير سبق مثال. والواو في قوله ــ عليه السلام ــ «وأقلّ» للحال، ولاريب أنّ الشعرة أقلّ الأجزاء التي بها قوام الحيوان والمراد بعجز الأوهام العجز عن وصف على هذه الالوان واختلافها واختصاص كلّ بموضعه وسائر ما أشار ــ عليه السلام ــ إليه، أو العجز عن إدراك جزئيّات الأوصاف المذكورة وتشريح الهيئات الظاهرة والخصوصيّات الخفيّة في خلق ذلك الحيوان كما هو المناسب لما بعده. و«بهره» ــ كمنعه ــ أي غلبه. و«جلاه» بالتشديد والتخفيف على اختلاف النسخ، أي كشفه. و«التكوين» الاحداث والايجاد. و«قعدبها» أي أقعدها وأعجزها، والغرض الدلالة على عجز العقول عن إدراك ذاته ــ سبحانه ــ فإنّها إذا عجزت عن إدراك مخلوق ظاهر للعيون على الصفات المذكورة فهي بالعجز عن إدراكه ــ سبحانه ــ

٦٧٠- المؤمنون: ٤٤.

ووصفه أحرى، وكذلك الألسن في تلخيص صفته وتأدية نعته.

و«دمج الشيء ــ كنصر ــ دموجاً» دخل في الشيء واستحكم فيه وأدمجه غيره. و«الذرة» واحدة الذرّ وهي صغار النمل. و«الهمجة» واحدة الهمج كذلك وهو ذباب صغير كالبعوض يسقط على وجوه الغنم والحمر وأعينها. و«الحيتان» جمع «حوت». و«الأفيلة» جمع «فيل» والمعروف بين أهل اللغة «فيلة» ــ كعنبة ــ كما في بعض النسخ، وأفيال وفيول. وقال ابن السكّيت: ولا تقل: «أفيلة» و«وأى» أي وعد. و«اضطرب» أي تحرّك. و«الشبح» الشخص. و«أولج» أي أدخل. و«الحمام» ــ ككتاب ــ قضاء الموت وقدره. ٦٧١

منها في صفة الجنة

فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَ مَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا لَعَزَفَتْ نَفْسُكَ(٢١٣٤) عَنْ بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إِلَىٰ الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَلَذَّاتِهَا، وَزَخَارِفِ مَنَاظِرِهَا، وَلَذَهِلَتْ بِالْفِكْرِ فِي ٱصْطِفَاقِ أَشْجَارٍ(٢١٣٥) غُيِّبَتْ عُرُوقُهَا فِي كُثْبَانِ(٢١٣٦) ٱلْمِسْكِ عَلَىٰ سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا، وَفِي تَعْلِيقِ كَبَائِسِ اللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ فِي عَسَالِيجِهَا وَأَفْنَانِهَا(٢١٣٧)، وَطُلُوعِ تِلْكَ الثِّمَارِ مُخْتَلِفَةً فِي غُلُفِ أَكْمَامِهَا(٢١٣٨)، تُجْنَىٰ(٢١٣٩) مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ فَتَأْتِي عَلَىٰ مُنْيَةِ مُجْتَنِيهَا، وَيُطَافُ عَلَىٰ نُزَّالِهَا فِي أَفْنِيَةِ قُصُورِهَا بِالْأَعْسَالِ ٱلْمُصَفَّقَةِ(٢١٤٠)، وَٱلْخُمُورِ ٱلْمُرَوَّقَةِ. قَوْمٌ لَمْ تَزَلِ ٱلْكَرَامَةُ تَتَمَادَىٰ بِهِمْ حَتَّىٰ حَلُّوا دَارَ ٱلْقَرَارِ، وَأَمِنُوا نُقْلَةَ ٱلْأَسْفَارِ. فَلَوْ شَغَلْتَ قَلْبَكَ أَيُّهَا ٱلْمُسْتَمِعُ بِٱلْوُصُولِ

٦٧١ - بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٦٥، كتاب السماء والعالم، ص ٣٢ ــ ٤١.

إِلَىٰ مَا يَهْجُمُ عَلَيْكَ مِنْ تِلْكَ ٱلْمَنَاظِرِ ٱلْمُونِقَةِ[٢١٤١]، لَزَهِقَتْ نَفْسُكَ شَوْقاً إِلَيْهَا، وَلَتَحَمَّلْتَ مِنْ مَجْلِسِي هٰذَا إِلَىٰ مُجَاوَرَةِ أَهْلِ ٱلْقُبُورِ ٱسْتِعْجَالاً بِهَا. جَعَلَنَا ٱللهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ يَسْعَىٰ بِقَلْبِهِ إِلَىٰ مَنَازِلِ ٱلْأَبْرَارِ بِرَحْمَتِهِ.

تفسير بعض ما في هذه الخطبة من الغريب

قال السيد الشريف رضي الله عنه: قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَؤُرُّ بِمَلَاقِحِه»، الأَرُّ: كِنَايَةٌ عَنِ النِّكَاحِ، يُقَالُ: أَرَّ الرَّجُلُ المَرْأَةَ يَؤُرُّهَا، إِذَا نَكَحَهَا. وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «كَأَنَّهُ قَلْعُ دَارِيٍّ عَنَجَهُ نُوتِيُّهُ» القَلْعُ: شِرَاعُ السَّفِينَةِ، وَدَارِيٌّ: مَنْسُوبٌ إِلَى دَارِينَ، وَهِيَ بَلْدَةٌ عَلَى البَحْرِ يُجْلَبُ مِنْهَا الطِّيبُ. وَعَنَجَهُ: أَيْ عَطَفَهُ. يُقَالُ: عَنَجْتُ النَّاقَةَ ـ كَنَصَرْتُ ـ أَعْنُجُهَا عَنْجاً إِذَا عَطَفْتَهَا. وَالنُّوتِيُّ: المَلَّاحُ. وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ضَفَّتَيْ جُفُونِه» أَرَادَ جَانِبَيْ جُفُونِهِ. وَالضَّفَّتَانِ: الجَانِبَانِ. وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَفِلَذَ الزَّبَرْجَدِ» الفِلَذُ: جَمْعُ فِلْذَةٍ، وَهِيَ القِطْعَةُ. وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «كَبَائِسَ اللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ» الكِبَاسَةُ: العِذْقُ[٢١٤٢] وَالعَسَالِيجُ: الغُصُونُ، وَاحِدُهَا عُسْلُوجٌ.

بيان: «لعزفت» أي زهدت. و«الزخرف» الذهب وكل مموّه. و«الاصطفاق» الاضطراب؛ ويروى: «اصطفاف أشجار» أي انتظامها صفاً. و«الكبائس» جمع «كباسة» وهي العذق التام بشماريخه ورطبه. و«العساليج» الأغصان، وكذا الأفنان. قوله ـ عليه السلام ـ «فتأتي علي منية مجتنيها» أي لايترك له منية أصلاً. وقال الفيروزآبادي: «التصفيق» تحويل الشراب من إناء إلى إناء ممزوجاً ليصفو؛ وقال: «الرواق» الصافي من الماء وغيره والمعجب. ويقال: «زهقت نفسه» أي مات.[٦٧٢]

٦٧٢- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٨، كتاب العدل والمعاد، ص ١٦٢.

١٦٦ – ومن خطبة له عليه السلام

الحث على التآلف

لِيَتَأَسَّ(٢١٤٣) صَغِيرُكُمْ بِكَبِيرِكُمْ ، وَلْيَرْأَفْ كَبِيرُكُمْ بِصَغِيرِكُمْ ؛ وَلَا تَكُونُوا كَجُفَاةِ ٱلْجَاهِلِيَّةِ : لَا فِي ٱلدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ ، وَلَا عَنِ ٱللهِ يَعْقِلُونَ ؛ كَقَيْضِ(٢١٤٤) بَيْضٍ فِي أَدَاحٍ(٢١٤٥) يَكُونُ كَسْرُهَا وِزْراً ، وَيُخْرِجُ حِضَانُهَا شَرّاً .

بنو امية

ومنها : ٱفْتَرَقُوا بَعْدَ أُلْفَتِهِمْ ، وَتَشَتَّتُوا عَنْ أَصْلِهِمْ . فَمِنْهُمْ آخِذٌ بِغُصْنٍ أَيْنَمَا مَالَ مَالَ مَعَهُ . عَلَىٰ أَنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ سَيَجْمَعُهُمْ لِشَرِّ يَوْمٍ لِبَنِي أُمَيَّةَ ، كَمَا تَجْتَمِعُ قَزَعُ ٱلْخَرِيفِ(٢١٤٦) ! يُؤَلِّفُ ٱللهُ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ يَجْمَعُهُمْ رُكَاماً كَرُكَامِ(٢١٤٧) السَّحَابِ ؛ ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَاباً . يَسِيلُونَ مِنْ مُسْتَثَارِهِمْ كَسَيْلِ ٱلْجَنَّتَيْنِ ، حَيْثُ لَمْ تَسْلَمْ عَلَيْهِ قَارَةٌ ، وَلَمْ تَثْبُتْ عَلَيْهِ أَكَمَةٌ(٢١٤٨) ، وَلَمْ يَرُدَّ سَنَنَهُ رَصُّ طَوْدٍ ، وَلَا حِدَابُ أَرْضٍ . يُذَعْذِعُهُمُ(٢١٤٩) ٱللهُ فِي بُطُونِ أَوْدِيَتِهِ ، ثُمَّ يَسْلُكُهُمْ يَنَابِيعَ فِي ٱلْأَرْضِ ، يَأْخُذُ بِهِمْ مِنْ قَوْمٍ حُقُوقَ قَوْمٍ ، وَيُمَكِّنُ لِقَوْمٍ فِي دِيَارِ قَوْمٍ . وَٱيْمُ ٱللهِ ، لَيَذُوبَنَّ مَا فِي أَيْدِيهِمْ بَعْدَ ٱلْعُلُوِّ وَٱلتَّمْكِينِ ، كَمَا تَذُوبُ ٱلْأَلْيَةُ

عَلَى النَّارِ .

الناس آخر الزمان

أَيُّهَا النَّاسُ . لَوْ لَمْ تَتَخَاذَلُوا عَنْ نَصْرِ ٱلْحَقِّ ، وَلَمْ تَهِنُوا عَنْ تَوْهِينِ ٱلْبَاطِلِ . لَمْ يَطْمَعْ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ ، وَلَمْ يَقْوَ مَنْ قَوِيَ عَلَيْكُمْ . لٰكِنَّكُمْ تِهْتُمْ مَتَاهَ بَنِي إِسْرَائِيلَ . وَلَعَمْرِي ، لَيُضَعَّفَنَّ لَكُمُ التِّيهُ مِنْ بَعْدِي أَضْعَافاً[٢١٥٠] بِمَا خَلَّفْتُمُ ٱلْحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ، وَقَطَعْتُمُ ٱلْأَدْنَى ، وَوَصَلْتُمُ ٱلْأَبْعَدَ . وَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنِ ٱتَّبَعْتُمُ الدَّاعِيَ لَكُمْ ، سَلَكَ بِكُمْ مِنْهَاجَ الرَّسُولِ ، وَكُفِيتُمْ مَؤُونَةَ الِاعْتِسَافِ ، وَنَبَذْتُمُ الثِّقْلَ ٱلْفَادِحَ[٢١٥١] عَنِ ٱلْأَعْنَاقِ .

إيضاح: تأسّي الصغير بالكبير لأنّه أكثر تجربة وأحزم. وقال الكيدريّ: أي ليتأسّ من صغر منزلته في العلم والعمل بمن له متانة فيها، وليرحم كلّ من له جاه ومنزلة في الدنيا بالمال والقوّة كلّ منّ دونه. و«القيض» بالفتح، قشرة البيض العليا اليابسة، وقيل: الّتي خرج مافيها من فرخ أوماء؛ وفي بعض النسخ: «كبيض هيض» أي كسر. و«الأداحي» جمع «الأدحيّ» بالضمّ وقد يكسر، وهو الموضع الّذي تبيض فيه النعامة وتفرخ، وهو أفعول من «دحوت»، لأنّها تدحو برجلها، أي تبسطه، ثمّ تبيض فيه. وليس للنعام عشّ. وقال ابن أبي الحديد: وجه الشبه أنّه إن كسرها كاسرأثم لأنّه يظنّه بيض القطا، وإن لم يكسر يخرج حضانها شرّاً إذ يخرج أفعيّ قاتلاً. واستعار لفظ الأداحي للأعشاش مجازاً لأنّ الأداحي لا تكون إلّا للنعام.

قال ابن ميثم: نهاهم ــ عليه السلام ــ أن يشبهوا جفاة الجاهليّة في عدم تفقّههم في الدين فيشبهون إذن بيض الأفاعيّ في أعشاشها، ووجه الشبه أنه إن كسره كاسر أثم

لتأذّي الحيوان به؛ فكذلك هؤلاء إذا أشبهوا جفاة الجاهلية لايحلّ أذاهم لحرمة الإسلام، وإن أهملوا وتركوا على الجهل خرجوا شياطين. و«الحضان» بالكسر، مصدر «حضن الطائر بيضه» إذا ضمّه إلى نفسه تحت جناحه، وهو مرفوع بالفاعليّة.

قوله ـ عليه السلام ـ «افترقوا» يذكر حال أصحابه وشيعته. وقال ابن أبي الحديد: «الآخذ بالغصن» من تمسّك بعده ـ عليه السلام ـ بذرّيّة الرسول ـ صلّى الله عليه وآله ـ. وتقدير الكلام: ومنهم من لايكون كذلك. ثمّ ذكر ـ عليه السلام ـ أنّ الفريقين، يجتمعان لشرّيوم. و«القزع» جمع «قزعة» وهي سحب صغار تجتمع فتصير ركاماً، و«الركام» ماكثف من السحاب. و«مستثارهم» موضع ثورانهم وهيجانهم. و«الجنّتان» هما اللّتان ذكرهما الله في القرآن في قصّة أهل سبأ. و«القارة» الجبل الصغير. «و«الأكمة» الموضع يكون أشدّ ارتفاعاً ممّا حوله وهو غليظ لايبلغ أن يكون حجراً. و«سننه» طريقه. و«طود مرصوص» أي جبل شديد التصاق الأجزاء بعضها ببعض. و«الحداب» جمع «حدبة» وهي الروابي والنجاد. و«الذعذعة» التفريق، ولعلّه كناية عن إخفائهم بين الناس في البلاد ثمّ إظهارهم بالإعانة والتأييد. والمراد بالقوم ثانياً آل الرسول ـ صلّى الله عليه وآله ـ وهو إشارة إلى ظهور بني عبّاس وانقراض بني أميّة.

وقوله ـ عليه السلام ـ «وايم الله ليذوبنّ مافي أيديهم» يحتمل أن يكون إشارة إلى ذهاب ملك بني أُميّة أو بني العبّاس. و«تاه في الأرض» ذهب متحيّراً، و«المتاه» مصدر. والمراد بالأدنى نفسه ـ عليه السلام ـ، وبالأبعد من تقدّم عليه. والداعي هو ـ عليه السلام ـ أو القائم ـ عليه السلام ـ. و«الاعتساف» سلوك غير الطريق. و«فدحه الدين» أثقله. والمراد بالثقل الفادح الإثم والعذاب في الآخرة، أو الأعمّ.[٦٧٣]

٦٧٣- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٩٢، ط كمپاني وص ٦٤٠، ط تبريز.

١٦٧ — ومن خطبة له عليه السلام

في أوائل خلافته

إنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ أَنْزَلَ كِتَاباً هَادِياً بَيَّنَ فِيهِ ٱلْخَيْرَ وَالشَّرَّ ، فَخُذُوا نَهْجَ ٱلْخَيْرِ تَهْتَدُوا ، وَٱصْدِفُوا[٢١٥٢] عَنْ سَمْتِ الشَّرِّ تَقْصِدُوا .

ٱلْفَرَائِضَ ٱلْفَرَائِضَ ! أَدُّوهَا إِلَى ٱللهِ تُؤَدِّكُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ . إِنَّ ٱللهَ حَرَّمَ حَرَاماً غَيْرَ مَجْهُولٍ ، وَأَحَلَّ حَلَالاً غَيْرَ مَدْخُولٍ[٢١٥٣] ، وَفَضَّلَ حُرْمَةَ ٱلْمُسْلِمِ عَلَى ٱلْحُرَمِ كُلِّهَا ، وَشَدَّ بِٱلإِخْلاَصِ وَالتَّوْحِيدِ حُقُوقَ ٱلْمُسْلِمِينَ فِي مَعَاقِدِهَا[٢١٥٤] ، «فَـٱلْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ ٱلْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ» إلَّا بِٱلْحَقِّ ، وَلَا يَحِلُّ أَذَى ٱلْمُسْلِمِ إلَّا بِمَا يَجِبُ .

بَادِرُوا أَمْرَ ٱلْعَامَّةِ وَخَاصَّةَ أَحَدِكُمْ وَهُوَ ٱلْمَوْتُ[٢١٥٥] ، فَإِنَّ النَّاسَ أَمَامَكُمْ ، وَإِنَّ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ مِنْ خَلْفِكُمْ . تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا ، فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ .

ٱتَّقُوا ٱللهَ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ . فَإِنَّكُمْ مَسْؤُولُونَ حَتَّى عَنِ ٱلْبِقَاعِ وَٱلْبَهَائِمِ . أَطِيعُوا ٱللهَ وَلَا تَعْصُوهُ ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ ٱلْخَيْرَ فَخُذُوا بِهِ ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ الشَّرَّ فَأَعْرِضُوا عَنْهُ .

بيان: «النهج» بالفتح، الطريق الواضح. و«صدف عنه» ـ كمنع ـ أي أعرض. و«السمت» الطريق. و«القصد» استقامة الطريق، يقال: «قصد فلان» ـ كضرب ـ إذا رشد. و«الفرائض» مكرّراً نصب على الاغراء. و«الحرم» جمع «حرمة» وهو اسم من الاحترام. «وشدّ الحقوق بالاخلاص والتوحيد» ربطه بهما. هوالله ـ تعالى ـ أوجب على المخلصين الموحّدين المحافظة عليها، وجعلها مكمّلاً لهما. و«معاقدها» مواضعها. و«مايجب» أي مايلزم ويثبت وهو كالتأكيد لقوله «إلّا بالحقّ» والمراد بالمبادرة إلى الموت الرضابه والتهيّؤله والاستعداد لما بعده؛ والموت وإن كان يعمّ كلّ حيوان إلاّ أنّ له مع كلّ أحد خصوصيّة وكيفيّة مخالفة لحاله مع غيره. والتقوى في العباد، اتباع أمر الله في المعاملات والأمور الدائرة بين الناس وفي البلاد، القيام بحقّ المقام والعمل في كلّ مكان بماأُمر به. والسؤال عن البقاع: لم أخربتم هذه؟ ولم عمّرتم هذه؟ ولم لم تعبدوا الله فيها؟ وعن البهائم لم أجعتموها؟ أو أوجعتموها، ولم لمْ تقوموا بشأنها ورعاية حقّها؟[٦٧٤]

[هذا بيان آخر في شرح الخطبة:]

بيان: «واصدفوا» أي أعرضوا عن طريقه. و«القصد» العدل. ونصب الفرائض على الإغراء. قوله ـ عليه السلام ـ «وشدّ بالإخلاص» أي ربط الحقوق بها فأوجب على المخلصين الموحّدين المحافظة على حقوق المسلمين. قوله ـ عليه السلام ـ «وخاصّة أحدكم» قال ابن أبي الحديد: الموت وإن كان عامّاً لكلّ حيوان إلّا أنّ له مع كلّ حيوان خصوصيّة وكيفيّة مخالفة مع غيره. «فإنّ الناس أمامكم» أي سبقوكم إلى الموت. وفي بعض النسخ: «البأس» بالباء الموحّدة مع الهمزة، أي الفتنة. «تحدوكم» أي تسوقكم. و«الحداء» سوق الإبل والغناء لها. «تخفّفوا» أي بالقناعة من الدنيا باليسير وترك الحرص عليها. وارتكاب المآثم. فإنّ المسافر الخفيف أحرى بلحوق أصحابه وبالنجاة. «إنّما ينتظر» أي للبعث والنشور.[٦٧٥]

٦٧٤- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٦٨، كتاب الإيمان والكفر، ص ٢٩٠.

٦٧٥- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٣٩٩، ط كمباني وص ٣٧٣، ط تبريز.

١٦٨ — ومن كلام له عليه السلام

بعدما بويع بالخلافة، وقد قال له قوم من الصحابة: لو عاقبت قوماً ممن أجلب على عثمان؟ فقال عليه السلام:

يَا إِخْوَتَاهُ! إِنِّي لَسْتُ أَجْهَلُ مَا تَعْلَمُونَ، وَلٰكِنْ كَيْفَ لِي بِقُوَّةٍ وَٱلْقَوْمُ ٱلْمُجْلِبُونَ(٢١٥٦) عَلَىٰ حَدِّ شَوْكَتِهِمْ(٢١٥٧)، يَمْلِكُونَنَا وَلَا نَمْلِكُهُمْ! وَهَا هُمْ هٰؤُلَاءِ قَدْ ثَارَتْ مَعَهُمْ عِبْدَانُكُمْ. وَٱلْتَفَّتْ إِلَيْهِمْ أَعْرَابُكُمْ، وَهُمْ خِلَالَكُمْ(٢١٥٨) يَسُومُونَكُمْ(٢١٥٩) مَا شَاؤُوا؛ وَهَلْ تَرَوْنَ مَوْضِعاً لِقُدْرَةٍ عَلَىٰ شَيْءٍ تُرِيدُونَهُ! إِنَّ هٰذَا ٱلْأَمْرَ أَمْرُ جَاهِلِيَّةٍ، وَإِنَّ لِهٰؤُلَاءِ ٱلْقَوْمِ مَادَّةً(٢١٦٠). إِنَّ النَّاسَ مِنْ هٰذَا ٱلْأَمْرِ ـ إِذَا حُرِّكَ ـ عَلَىٰ أُمُورٍ: فِرْقَةٌ تَرَىٰ مَا تَرَوْنَ، وَفِرْقَةٌ تَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ، وَفِرْقَةٌ لَا تَرَىٰ هٰذَا وَلَا ذَاكَ. فَٱصْبِرُوا حَتَّىٰ يَهْدَأَ النَّاسُ، وَتَقَعَ ٱلْقُلُوبُ مَوَاقِعَهَا، وَتُؤْخَذَ ٱلْحُقُوقُ مُسْمَحَةً(٢١٦١)؛ فَٱهْدَؤُوا عَنِّي. وَٱنْظُرُوا مَاذَا يَأْتِيكُمْ بِهِ أَمْرِي. وَلَا تَفْعَلُوا فَعْلَةً تُضَعْضِعُ(٢١٦٢) قُوَّةً، وَتُسْقِطُ مُنَّةً(٢١٦٣)، وَتُورِثُ وَهْناً(٢١٦٤) وَذِلَّةً. وَسَأُمْسِكُ ٱلْأَمْرَ مَا ٱسْتَمْسَكَ. وَإِذَا لَمْ أَجِدْ بُدًّا فَآخِرُ الدَّوَاءِ ٱلْكَيُّ(٢١٦٥).

إيضاح: «لوعاقبت» جزاء الشرط محذوف، أي لكان حسناً ونحوه. و«أجلبوا عليه» تجمّعوا وتألبوا. قوله ـ عليه السلام ـ: «على حدّ شوكتهم» أي لم ينكسر سورتهم، و«الحدّ» منتهى الشيء، ومن كلّ شيء حدّته، ومنك بأسك. و«الشوكة» شدة البأس، والحدّ في السلاح. وروي أنه ـ عليه السلام ـ جمع الناس ووعظهم، ثم قال: لتقم قتلة عثمان. فقام الناس بأسرهم إلّا قليل. وكان ذلك الفعل منه

ـ عليه السلام ـ استشهاداً على قوله. و«العبدان» جمع عبد. و«التفت» أي انضمّت واختلطت. «وهم خِلالكم» أي بينكم. «يسومونكم» أي يكلّفونكم. قوله ـ عليه السلام ـ «إنّ هذا الأمر» أي أمر المجلبين عليه كما قال ابن ميثم: إنّ قتلهم لعثمان كان عن تعصب وحميّة لا لطاعة أمر الله وإن كان في الواقع مطابقاً له. ويمكن أن يكون المراد: إنّ ما تريدون من معاقبة القوم أمر جاهليّة نشأ عن تعصّبكم وحميّتكم وأغراضكم الباطلة، وفيه إثارة للفتنة وتهيّج للشرّ، والأوّل أنسب بسياق الكلام إذ ظاهر أنّ إيراد تلك الوجوه للمصلحة وإسكات الخصم وعدم تقوية شبه المخالفين الطالبين لدم عثمان.

قوله ـ عليه السلام ـ «مسمحة» أي منقادة بسهولة. و يقال: «ضعضعه» أي هدمه حتّى الأرض. و«المنّة» بالضمّ، القوّة. قوله ـ عليه السلام ـ «فآخر الداء الكيّ» كذا في أكثر النسخ المصحّحة، ولعلّ المعنى: بعد الداء الكيّ إذا اشتدّ الداء، ولم يزل بأنواع المعالجات فيزول بالكيّ، و ينتهي أمره إليه.

وقال ابن أبي الحديد: «آخر الدواء الكيّ» مثل مشهور، و يقال: آخر الطبّ، و يغلط فيه العامّة فتقول: «آخر الداء الكيّ[٦٧٦]». ثمّ قال: ليس معناه وسأصبر عن معاقبة هؤلاء ما أمكن فإذا لم أجد بدّاً عاقبتهم، ولكنه كلام قاله ـ عليه السلام ـ أوّل مسير طلحة والزبير إلى البصرة، فإنّه حينئذ أشار عليه قوم بمعاقبة المجلبين فاعتذر ـ عليه السلام ـ بما ذكر ثمّ قال: سأمسك نفسي عن محاربة هؤلاء الناكثين واقنع بمراسلتهم و تخويفهم فإذا لم أجد بدّاً فآخر الدواء الحرب.[٦٧٧]

أقول: ويحتمل أن يكون ذلك تورية منه ـ عليه السلام ـ ليفهم المخاطبين المعنى الأوّل ومراده المعنى الثاني.[٦٧٨]

٦٧٦- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٩، ص ٢٩٢، ط بيروت.

٦٧٧- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٩، ص ٢٩٤، ط بيروت.

٦٧٨- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٣٧٧، ط كمپاني وص ٣٥٥، ط تبريز.

١٦٩ ـ ومن خطبة له عليه السلام

عند مسير أصحاب الجمل إلى البصرة

الامور الجامعة للمسلمين

إِنَّ ٱللهَ بَعَثَ رَسُولاً هَادِياً بِكِتَابٍ نَاطِقٍ وَأَمْرٍ قَائِمٍ ، **لَا يَهْلِكُ عَنْهُ** إِلَّا هَالِكٌ(٢١٦٦) . وَإِنَّ ٱلْمُبْتَدَعَاتِ(٢١٦٧) ٱلْمُشَبَّهَاتِ(٢١٦٨) هُنَّ ٱلْمُهْلِكَاتُ إِلَّا مَا حَفِظَ ٱللهُ مِنْهَا . وَإِنَّ فِي سُلْطَانِ ٱللهِ عِصْمَةً لِأَمْرِكُمْ ، فَأَعْطُوهُ طَاعَتَكُمْ غَيْرَ مُلَوَّمَةٍ(٢١٦٩) وَلَا مُسْتَكْرَهٍ بِهَا . وَٱللهِ لَتَفْعَلُنَّ أَوْ لَيَنْقُلَنَّ ٱللهُ عَنْكُمْ سُلْطَانَ ٱلْإِسْلَامِ ، ثُمَّ لَا يَنْقُلُهُ إِلَيْكُمْ أَبَداً حَتَّىٰ يَأْرِزَ(٢١٧٠) ٱلْأَمْرُ إِلَىٰ غَيْرِكُمْ .

التنفير من خصومه

إِنَّ هٰؤُلَاءِ قَدْ تَمَالَؤُوا(٢١٧١) عَلَىٰ سَخْطَةِ(٢١٧٢) إِمَارَتِي ، وَسَأَصْبِرُ مَا لَمْ أَخَفْ عَلَىٰ جَمَاعَتِكُمْ : فَإِنَّهُمْ إِنْ تَمَّمُوا عَلَىٰ فَيَالَةِ(٢١٧٣) هٰذَا الرَّأْيِ ٱنْقَطَعَ نِظَامُ ٱلْمُسْلِمِينَ ، وَإِنَّمَا طَلَبُوا هٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَداً لِمَنْ أَفَاءَهَا(٢١٧٤) ٱللهُ عَلَيْهِ ، فَأَرَادُوا رَدَّ ٱلْأُمُورِ عَلَىٰ أَدْبَارِهَا . وَلَكُمْ عَلَيْنَا ٱلْعَمَلُ بِكِتَابِ ٱللهِ تَعَالَىٰ وَسِيرَةِ رَسُولِ ٱللهِ ـ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ وَٱلْقِيَامُ بِحَقِّهِ ، وَٱلنَّعْشُ(٢١٧٥) لِسُنَّتِهِ .

بيان: «وأمر قائم» أي باقٍ حكمه غير منسوخ، وقيل: أي مستقيم ليس بذي

عوج. «لايهلك عنه» أي معرضاً وعادلاً عنه «إلّا هالك» أي من بلغ الغاية في الهلاك. و«المشبّهات» بالفتح، أي التي أشبهت السنن وليست منها، أو بالكسر، أي تشبه الأمر على الناس. وقوله ــ عليه السلام ــ «إلّا ما حفظ الله» استثناء من بعض متعلّقات المهلكات، أي إنّها مهلكة في جميع الأحوال إلّا حال حفظ الله بالعصمة عن ارتكابها، أو كلّ أحد إلّا من حفظه الله، ف «ما» بمعنى «من». قوله ــ عليه السلام ــ «وإنّ في سلطان الله» أو دين الله، أو حجّة الله، أو الإمام أي في طاعته.

قوله ــ عليه السلام ــ «غير ملومة» أي مخلصين غير ملوم صاحبها بأن ينسب إلى النفاق والرياء، وفي بعض النسخ على التفعيل للمبالغة، ويروى: «غيرملوية» أي غيرمعوجة، من «لويت العود» إذا عطفته. قوله ــ عليه السلام ــ «حتى يأرز» أي ينقبض وينضمّ ويجتمع. «إنّ هؤلاء» أي طلحة والزبير وعايشة. «قد تمالؤوا» أي تساعدوا واجتمعوا وتعاونوا. و«الفيالة» الضعف، أي إن بقوا على ضعف رأيهم قطعوا نظام المسلمين. و«الفيء» الرجوع. قوله ــ عليه السلام ــ «فأرادوا ردّ الأمور» أي أرادوا انتزاع الأمر منه ــ عليه السلام ــ كما انتزع أوّلاً. و«النعش» الرفع. والضميران في «حقّه وسنّته» راجعان إلى الرسول.[٦٧٩]

١٧٠ ــ ومن كلام له عليه السلام

في وجوب اتباع الحق عند قيام الحجة

كلّم به بعض العرب وقد أرسله قوم من أهل البصرة لما قرب عليه السلام منها ليعلم لهم منه حقيقة حاله مع أصحاب الجمل لتزول الشبهة من نفوسهم ، فبين له عليه السلام من أمره معهم ما علم به أنه على الحق ، ثم قال له : بايع ، فقال : إني رسول قوم ، ولا أحدث حدثاً حتى أرجع إليهم . فقال عليه السلام :

أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ الَّذِينَ وَرَاءَكَ بَعَثُوكَ رَائِداً تَبْتَغِي لَهُمْ مَسَاقِطَ الْغَيْثِ ،

٦٧٩- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٤٠٨، ط كمپاني وص ٣٨٣، ط تبريز.

فَرَجَعْتَ إِلَيْهِمْ وَأَخْبَرْتَهُمْ عَنِ ٱلْكَلَإِ وَٱلْمَاءِ ، فَخَالَفُوا إِلَىٰ ٱلْمَعَاطِشِ وَٱلْمَجَادِبِ ، مَا كُنْتَ صَانِعاً ؟ قَالَ : كُنْتُ تَارِكَهُم وَمُخَالِفَهُمْ إِلَىٰ ٱلْكَلَإِ وَٱلْمَاءِ . فَقَالَ ـ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ـ : فَٱمْدُدْ إِذاً يَدَكَ . فَقَالَ الرَّجُلُ : فَوَٱللهِ مَا ٱسْتَطَعْتُ أَنْ أَمْتَنِعَ عِنْدَ قِيَامِ ٱلْحُجَّةِ عَلَيَّ ، فَبَايَعْتُهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ .

وَالرّجلُ يُعْرَفُ بِكُلَيْبِ الجَرْمِيّ .

بيان: «المجادب» محالّ الجدب.[680]

١٧١ ـ وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما عزم على لقاء القوم بصفين

الدعاء

ٱللَّهُمَّ رَبَّ السَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ(٢١٧٦) ، وَٱلْجَوِّ ٱلْمَكْفُوفِ(٢١٧٧) ، الَّذِي جَعَلْتَهُ مَغِيضاً(٢١٧٨) لِلَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَمَجْرًى لِلشَّمْسِ وَٱلْقَمَرِ ، وَمُخْتَلَفاً لِلنُّجُومِ السَّيَّارَةِ ؛ وَجَعَلْتَ سُكَّانَهُ سِبْطاً(٢١٧٩) مِنْ مَلَائِكَتِكَ ، لَا يَسْأَمُونَ مِنْ عِبَادَتِكَ ؛ وَرَبَّ هٰذِهِ ٱلْأَرْضِ الَّتِي جَعَلْتَهَا قَرَاراً لِلْأَنَامِ ، وَمَدْرَجاً لِلْهَوَامِّ وَٱلْأَنْعَامِ ، وَمَا لَا يُحْصَىٰ مِمَّا يُرَىٰ وَمَا لَا يُرَىٰ ؛ وَرَبَّ ٱلْجِبَالِ ٱلرَّوَاسِي الَّتِي جَعَلْتَهَا لِلْأَرْضِ أَوْتَاداً ، وَلِلْخَلْقِ ٱعْتِمَاداً(٢١٨٠) ، إِنْ

٦٨٠- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٤٠٩، ط تبريز.

أَظْهَرْتَنَا عَلَىٰ عَدُوِّنَا ، فَجَنِّبْنَا ٱلْبَغْيَ وَسَدِّدْنَا لِلْحَقِّ ؛ وَإِنْ أَظْهَرْتَهُمْ عَلَيْنَا فَٱرْزُقْنَا ٱلشَّهَادَةَ ، وَٱعْصِمْنَا مِنَ ٱلْفِتْنَةِ .

الدعوة للقتال

أَيْنَ ٱلْمَانِعُ لِلذِّمَارِ(٢١٨١) ، وَٱلْغَائِرُ(٢١٨٢) عِنْدَ نُزُولِ ٱلْحَقَائِقِ(٢١٨٣) مِنْ أَهْلِ ٱلْحِفَاظِ(٢١٨٤) ! ٱلْعَارُ وَرَاءَكُمْ وَٱلْجَنَّةُ أَمَامَكُمْ !

بيان: «السقف المرفوع» السماء. و«الجوّ» الهواء ومابين السماء والأرض، و«كفّه» أي جمعه وضمّ بعضه إلى بعض، وفسّر بعضهم الجوّ المكفوف بالسماء أيضاً والظاهر أنّ المراد به هنا الهواء بين السماء والأرض فإنّه مكفوف بالسماء، وقد ورد في الدعاء: «وسدّ الهواء بالسماء». و«غاض الماء يغيض غيضاً» نضب وقلّ، وكون السماء مغيضاً للّيل والنهار والشمس والقمر ظاهر لأنّها فيها تغيب، وأمّا الجوّ المكفوف فإن فسّر بالسماء فظاهر أيضاً، وإنّ فسّر بالهواء فلكون آثارها تظهر فيه و يرى بحسب الحسّ كذلك، وقيل: المراد به الهواء والفضاء بين السماوات فإنّه مكفوف بها، ويمكن حمله على البعد الموجود أو الموهوم الّذي هو مكان الفلك، وكفّها تحديدها وضبطها بالسماوات، ويمكن جعل الموصول صفة لمجموع السقف والجوّ لا تّصالها بعدّهما شيئاً واحداً، فإنّ المجموع محلّ لتلك الآثار والأجرام في الجملة ومختلفاً للنجوم السيّارة. وقال ابن ميثم: المراد بالجوّ السماء، وكونه مغيضاً للّيل والنهار لأنّ الفلك بحركته المستلزمة لحركة الشمس على وجه الأرض يكون سبباً لغيبوبة الليل وعن وجهها لغيبوبة النهار، فكان كالمغيض لهما،وقيل: «جعلته مغيضاً» أي غيضة لهما، وهي في الأصل الأجة كما يجتمع فيها الماء فتسمّى غيضة و ينبت فيها الشجر، كأنّه جعل الفلك كالغيضة والليل والنهار كالشجر النابت فيها. وقال الكيدريّ في شرحه: «المغيض» الموضع الّذي يغيض فيه الماء أي ينضب و يقلّ، وجعل السماء والفلك مغيضاً للّيل والنهار مجازاً أي ينقص الله الليل مرّة والنهار أخرى وإن زاد في الآخر، وذلك بحسب جريان الشمس. وقال

«الجوّ المكفوف» كأنّه أراد الهواء المحدود الّذي ينتهي حدّه إلى السماء، والجوّ مابين السماء والأرض كأنّه كفّ أي منع من تجاوز حدّيه. وقال أبوعمرو: الجوّ ما اتّسع من الأودية، وكلّ مستدير فهو «كفّة» بالكسر، كأنّه أراد الهواء الّذي هو على هيئة المستدير، لأنّه داخل الفلك الكرويّ الشكل، أو أراد بالجوّ الفلك العريض الواسع بالمكفوف ما كان عليه كفّه من المجرّة والنيّرات فيكون من كفّة الثوب أو أراد بالمكفوف الفلك المحكم الخلق الشديد المتبرّيّ عن الخلل والفطور من قولهم «عيبة مكفوفة» أي مشرجة مشدودة.[٦٨١] انتهى.

و«الاختلاف» التردّد، وحمله على اختلاف الفصول بعيد. و«السبط» بالكسر، الأمّة والقبيلة. «لايسأمون» أي لايملّون. «قراراً» أي محلّ استقرار. و«درج» ــ كقعد ــ أي مشى. و«الهوامّ» الحشرات. وقال ابن ميثم: قال بعض العلماء: من أراد أن يعرف حقيقة قوله ــ عليه السلام ــ «ممّا يرى وممّا لايرى» فليوقد ناراً صغيرة في فلاة في ليلة صيفيّة وينظر ما يجتمع عليها من غرائب أنواع الحيوان العجيبة الخلق لم يشاهدها هو ولا غيره. وأقول: يحتمل أن يراد ما ليس من شأنه الرؤية لصغره أو لطافته كالملك والجنّ. و«الاعتماد» الاتّكاء والاتّكال، إذالجبال مساكن لبعضهم ومنها تحصل منافعهم.[٦٨٢]

[هذا بيان آخر في شرح الكلام:]

بيان: «الجوّ» مابين السماء والأرض والهواء. و«غاض الماء غيضاً» نضب وقلّ، والمراد هنا بالسقف المرفوع السماء، وبالجوّ المكفوف السماء أيضاً، من «كفّه» أي جمعه وضمّ بعضه إلى بعض، أو الهواء لكونه مضموماً بالسماء محفوظاً عن الانتشار كما ورد في الدعاء: «وسدّ الهواء بالسماء» لكن يأبى عنه وصفه بكونه مجرى للشمس والقمر ومختلفاً للنجوم السيّارة، وكونه مغيضاً للّيل والنهار، لأنّ الفلك بحركته المستلزمة لحركة الشمس على وجه الأرض يكون سبباً لغيبوبة الليل، وعن وجهها لغيبوبة النهار، فكان

٦٨١- شرح النهج لابن ميثم، ج ٣، ص ٣٢٨، ط بيروت.

٦٨٢- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٥٨، كتاب السماء والعالم، ص ٩٤ ــ ٩٥.

كالمغيض لها؛ وقيل: «المغيض» الغيضة وهي في الأصل الأجة ويجتمع إليها الماء فيسمّى غيضة ومغيضاً و ينبت فيها الشجر، وكذلك الليل والنهار يتولّدان من جريان الفلك فكان كالغيضة لها. و«الاختلاف» التردّد.

قوله ـ عليه السلام ـ «سبطاً» أي قبيلة. قوله ـ عليه السلام ـ «قراراً» أي موضع استقرارهم. و«مدرجاً» أي موضع سيرها وحركاتها. و«الهوامّ» الحشرات. قوله ـ عليه السلام ـ «وللخلق اعتماداً» لأنّهم يجعلونها مساكن لهم و يستغنون عن بناء جدار مثلاً، ولأنّها من أمّهات العيون ومنابع المياه، وفيها المعادن والأشجار والثمار والأعشاب، فهي معتمد للخلق في مرافقهم ومنافعهم. و«ذمار الرجل» كلّ شيء يلزمه الدفع عنه، وإن ضيّعه لزمه الذمّ أي اللوم. و«الحقائق» الأمور الشديدة. «العاروراء كم» أي يسوقكم إلى الحرب ويمنعكم من الهرب؛ وفي بعض النسخ: «النار» بهذا الوجه، أولأنّ الهارب مصيره إليها.[٦٨٣]

١٧٢ ــ ومن خطبة له عليه السلام

حمد الله

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي لَا تُوَارِي (٢١٨٥) عَنْهُ سَمَاءٌ سَمَاءً، وَلَا أَرْضٌ أَرْضاً.

يوم الشورى

منها: وَقَدْ قَالَ قَائِلٌ: إِنَّكَ عَلَىٰ هٰذَا ٱلْأَمْرِ يَا بْنَ أَبِي طَالِبٍ لَحَرِيصٌ؛ فَقُلْتُ: بَلْ أَنْتُمْ وَٱللّٰهِ لَأَحْرَصُ وَأَبْعَدُ، وَأَنَا أَخَصُّ وَأَقْرَبُ، وَإِنَّمَا طَلَبْتُ حَقًّا لِي وَأَنْتُمْ تَحُولُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَتَضْرِبُونَ وَجْهِي (٢١٨٦)

٦٨٣ــ بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٥١٩، ط كمپاني وص ٤٨٢، ط تبريز.

دُونَهُ . فَلَمَّا قَرَّعْتُهُ(٢١٨٧) بِالْحُجَّةِ فِي الْمَلَإِ الْحَاضِرِينَ هَبَّ(٢١٨٨) كَأَنَّهُ بُهِتَ لَا يَدْرِي مَا يُجِيبُنِي بِهِ !

الاستنصار على قريش

اَللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ ! فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِي ، وَصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتِي ، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي أَمْراً هُوَ لِي . ثُمَّ قَالُوا : أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ ، وَفِي الْحَقِّ أَنْ تَتْرُكَهُ .

بيان: قال ابن أبي الحديد: هذا الفصل من خطبة يذكر فيها أمر الشورى، والذي قال له: «إنّك على هذا الأمر لحريص» هو سعد بن أبي وقّاص مع روايته فيه: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى». وهذا عجيب؛ وقد رواه الناس كافّة. وقالت الإماميّة: هذا الكلام كان يوم السقيفة، والقائل أبو عبيدة بن الجرّاح».[٦٨٤]

و«قرعته بالحجّة» صدمته بها. قوله ــ عليه السلام ــ «بهت» في بعض النسخ: «هبّ» أي استيقظ. وقال الجوهريّ: «العدوى» طلبك إلى وال ليعديك على من ظلمك، أي ينتقم منه، يقال: «استعديت على فلان الأمير فأعداني» استعنت به فأعانني عليه. «فإنّهم قطعوا رحمي» لأنّهم لم يراعوا قربه ــ عليه السلام ــ من رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ أو منهم أو الأعمّ.

«ألا إنّ في الحقّ أن نأخذه» بالنون، «وفي الحقّ أن تتركه» بالتاء، أي إنّهم لم يقتصروا على أخذ حقّي ساكتين عن دعوى كونه حقّاً لهم، ولكنّهم أخذوه مع دعوهم أنّ الحقّ لهم، وإنّه يجب عليّ أن أترك المنازعة، فليتهم أخذوا معترفين بأنّه حقّ لي فكانت المصيبة أهون؛ وروي بالنون فيها، فالمعنى: إنّا نتصرّف فيه كما نشاء بالأخذ والترك دونك؛ وفي بعض النسخ فيها بالتاء، أي يعترفون أنّ الحقّ لي، ثمّ يدّعون أنّ

٦٨٤- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٩، ص ٣٠٥، ط بيروت.

الغاصب أيضاً على الحقّ، أو يقولون: لك الاختيار في الأخذ والترك. وكذا في الرواية الأخرى قرئي بالنون وبالتاء. وقال القطب الراونديّ: إنّها في خط الرضيّ أيضاً بالتاء أي إن ولّيت كانت ولايتك حقاً، وإن ولّى غيرك كانت حقاً على مذهب أهل الاجتهاد.[685]

منها في ذكر أصحاب الجمل

فَخَرَجُوا يَجُرُّونَ حُرْمَةَ رَسُولِ ٱللهِ ـ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ كَمَا تُجَرُّ ٱلْأَمَةُ عِنْدَ شِرَائِهَا، مُتَوَجِّهِينَ بِهَا إِلَىٰ ٱلْبَصْرَةِ، فَحَبَسَا نِسَاءَهُمَا فِي بُيُوتِهِمَا، وَأَبْرَزَا حَبِيسَ[2189] رَسُولِ ٱللهِ ـ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ لَهُمَا وَلِغَيْرِهِمَا، فِي جَيْشٍ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ أَعْطَانِي الطَّاعَةَ، وَسَمَحَ لِي بِٱلْبَيْعَةِ، طَائِعاً غَيْرَ مُكْرَهٍ، فَقَدِمُوا عَلَىٰ عَامِلِي بِهَا وَخُزَّانِ[2190] بَيْتِ مَالِ ٱلْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِهَا، فَقَتَلُوا طَائِفَةً صَبْراً[2191]، وَطَائِفَةً غَدْراً. فَوَٱللهِ لَوْ لَمْ يُصِيبُوا مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ إِلَّا رَجُلًا وَاحِداً مُعْتَمِدِينَ[2192] لِقَتْلِهِ، بِلَا جُرْمٍ جَرَّهُ، لَحَلَّ لِي قَتْلُ ذٰلِكَ ٱلْجَيْشِ كُلِّهِ، إِذْ حَضَرُوهُ فَلَمْ يُنْكِرُوا، وَلَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ بِلِسَانٍ وَلَا بِيَدٍ. دَعْ مَا أَنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ مِثْلَ ٱلْعِدَّةِ الَّتِي دَخَلُوا بِهَا عَلَيْهِمْ!

بيان: «الحرمة» مايحرم انتهاكه، والمراد بهاهنا الزوجة كالحبيس والضمير في «حبسا» راجع إلى طلحة والزبير. قوله ـ عليه السلام ـ «صبراً» أي بعد الأسر. «غدراً» أي بعد الأمان. قوله ـ عليه السلام ـ «جرّه» أي جذبه، أو من الجريرة؛

٦٨٥- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ١٧٧، ط كمپاني وص ١٧٠، ط تبريز.

قال في القاموس: «الجرّ» الجذب، و«الجريرة» الذنب جرّ على نفسه وغيره جريرة يجرّها ــ بالضمّ والفتح ــ جرّاً. قال ابن ميثم: فإن قلت: المفهوم من هذا الكلام تعليل جواز قتله ــ عليه السلام ــ لذلك الجيش بعدم إنكارهم للمنكر، فهل يجوز قتل من لم ينكر المنكر؟ قلت: أجاب ابن أبي الحديد عنه فقال: يجوز قتلهم لأنّهم اعتقدوا ذلك القتل مباحاً كمن يعتقد إباحة الزنا وشرب الخمر. وأجاب الراونديّ ــ رحمه الله ــ بأنّ جواز قتلهم لدخولهم في عموم قوله ــ تعالى ــ: «إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا ــ الآية». [686] وهؤلاء قد حاربوا رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ لقوله: «يا عليّ حربك حربي»، وسعوا في الأرض بالفساد. [687]

واعترض المجيب الأوّل عليه فقال: الإشكال إنّما هو في التّعليل بعدم إنكار المنكر، والتعليل بعموم الآية لاينفعه.

وأقول: الجواب الثاني أسدّ، والأوّل ضعيف، لأنّ القتل وإن وجب على من اعتقد إباحة ما علم من الدين ضرورة لكن هؤلاء كان جميع مافعلوه من القتل والخروج بالتأويل وإن كان معلوم الفساد، فظهر الفرق بين اعتقاد حلّ الخمر والزنا وبين اعتقاد هؤلاء إباحة مافعلوه.

وأمّا الاعتراض على الجواب الثاني فضعيف أيضاً لأنّ له أن يقول: إنّ قتل المسلم إذا صدر عن بعض الجيش ولم ينكر الباقون مع تمكّنهم وحضورهم كان ذلك قرينة على الرضا من جميعهم، والراضي بالقتل شريك القاتل خصوصاً إذا كان معروفاً بصحبته والاتّحاد به كاتّحاد بعض الجيش ببعض، وكان خروج ذلك الجيش على الإمام محاربة لله ولرسوله ــ صلّى الله عليه وآله ــ وسعياً في الأرض بالفساد وذلك عين مقتضى الآية. انتهى ملخّص كلامه.

ويمكن أن يجاب عن اعتراضه على الجواب بأنّ هؤلاء كانوا مدّعين لشبهة لم تكن شبهة محتملة لأنّهم خرجوا على الإمام بعد البيعة طائعين غيرمكرهين كما ذكره

٦٨٦- المائدة: ٣٣.

٦٨٧- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٩، ص ٣٠٩ ــ ٣١٠.

ــ عليه السلام ــ ، مع أنّ الاحتمال كافٍ له، فتأمّل.

ويمكن الجواب عن أصل السؤال بأنّ التعليل ليس بعدم إنكار المنكر مطلقاً بل بعدم إنكار هؤلاء لهذا المنكر الخاصّ أي قتل واحد من المسلمين المعاونين للإمام ــ عليه السلام ــ بالخروج عليه، وربما يشعر بذلك قوله ــ عليه السلام ــ «لحلّ لي قتل ذلك الجيش»، ويمكن حمل كلام الراونديّ على ذلك. وأمّا ماذكره أخيراً من جواز قتل الراضي بالقتل فإن أراد الحكم كلّياً فلا يخفى إشكاله، وإن أراد في هذه المادّة الخاصّة فصحيح. و يرد على جواب ابن أبي الحديد مثل ما أورده هو على الراونديّ ــ رحمه الله ــ بأنّ الإشكال إنّما هو في التعليل بعدم إنكار المنكر لا في استحلال القتل، ولوقدّر في كلامه ــ عليه السلام ــ ، كأن يقول: المراد إذ حضروه مستحلّين فلم ينكروا، لأمكن للراونديّ أن يقول: إذ حضروه محاربين. ولو أجاب بأنّ الحضور مع عدم الإنكار هوالاستحلال فبطلانه ظاهر، مع أنّ للراونديّ ــ رحمه الله ــ أن يقول: الحضور في جيش قد قتل بعضهم أحداً من أتباع الإمام ــ عليه السلام ــ من حيث إنّه من شيعته مع عدم الإنكار والدّفع محاربة لله ولرسوله ــ صلّى الله عليه وآله ــ ، ولاريب أنّه كذلك.[٦٨٨]

١٧٣ ــ ومن خطبة له عليه السلام

في رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ومن هو جدير بأن يكون للخلافة وفي هوان الدنيا

رسول الله

أَمِينُ وَحْيِهِ ، وَخَاتَمُ رُسُلِهِ ، وَبَشِيرُ رَحْمَتِهِ ، وَنَذِيرُ نِقْمَتِهِ .

٦٨٨- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٤١١، ط كمباني وص ٣٨٥، ط تبريز.

الجدير بالخلافة

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهٰذَا ٱلْأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ ، وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللهِ فِيهِ . فَإِنْ شَغَبَ[٢١٩٣] شَاغِبٌ ٱسْتُعْتِبَ[٢١٩٤] ، فَإِنْ أَبَى قُوتِلَ . وَلَعَمْرِي ، لَئِنْ كَانَتِ ٱلْإِمَامَةُ لَا تَنْعَقِدُ حَتَّىٰ يَحْضُرَهَا عَامَّةُ النَّاسِ ، فَمَا إِلَىٰ ذٰلِكَ سَبِيلٌ ، وَلٰكِنْ أَهْلُهَا يَحْكُمُونَ عَلَىٰ مَنْ غَابَ عَنْهَا ، ثُمَّ لَيْسَ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَرْجِعَ ، وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَخْتَارَ . أَلَا وَإِنِّي أُقَاتِلُ رَجُلَيْنِ : رَجُلًا ٱدَّعَىٰ مَا لَيْسَ لَهُ ، وَآخَرَ مَنَعَ الَّذِي عَلَيْهِ .

أُوصِيكُمْ عِبَادَ ٱللهِ بِتَقْوَىٰ ٱللهِ فَإِنَّهَا خَيْرُ مَا تَوَاصَىٰ ٱلْعِبَادُ بِهِ ، وَخَيْرُ عَوَاقِبِ ٱلْأُمُورِ عِنْدَ ٱللهِ . وَقَدْ فُتِحَ بَابُ ٱلْحَرْبِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ ٱلْقِبْلَةِ[٢١٩٥] ، وَلَا يَحْمِلُ هٰذَا ٱلْعَلَمَ إِلَّا أَهْلُ ٱلْبَصَرِ وَالصَّبْرِ وَٱلْعِلْمِ بِمَوَاضِعِ ٱلْحَقِّ ، فَٱمْضُوا لِمَا تُؤْمَرُونَ بِهِ ، وَقِفُوا عِنْدَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ ؛ وَلَا تَعْجَلُوا فِي أَمْرٍ حَتَّىٰ تَتَبَيَّنُوا ، فَإِنَّ لَنَا مَعَ كُلِّ أَمْرٍ تُنْكِرُونَهُ غِيَراً[٢١٩٦] .

هوان الدنيا

أَلَا وَإِنَّ هٰذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي أَصْبَحْتُمْ تَتَمَنَّوْنَهَا وَتَرْغَبُونَ فِيهَا ، وَأَصْبَحَتْ تُغْضِبُكُمْ وَتُرْضِيكُمْ ، لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ ، وَلَا مَنْزِلِكُمُ الَّذِي خُلِقْتُمْ لَهُ وَلَا الَّذِي دُعِيتُمْ إِلَيْهِ . أَلَا وَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِبَاقِيَةٍ لَكُمْ وَلَا تَبْقَوْنَ عَلَيْهَا ؛ وَهِيَ وَإِنْ غَرَّتْكُمْ مِنْهَا فَقَدْ حَذَّرَتْكُمْ شَرَّهَا . فَدَعُوا غُرُورَهَا لِتَحْذِيرِهَا ،

وَأَطْمَاعَهَا لِتَخْوِيفِهَا ؛ وَسَابِقُوا فِيهَا إِلَىٰ الدَّارِ الَّتِي دُعِيتُمْ إِلَيْهَا ، وَٱنْصَرِفُوا بِقُلُوبِكُمْ عَنْهَا ؛ وَلَا يَخِنَّنَّ أَحَدُكُمْ خَنِينَ (٢١٩٧) ٱلْأَمَةِ عَلَىٰ مَا زُوِيَ (٢١٩٨) عَنْهُ مِنْهَا ، وَٱسْتَتِمُّوا نِعْمَةَ ٱللهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَىٰ طَاعَةِ ٱللهِ وَٱلْمُحَافَظَةِ عَلَىٰ مَا ٱسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتَابِهِ . أَلَا وَإِنَّهُ لَا يَضُرُّكُمْ تَضْيِيعُ شَيْءٍ مِنْ دُنْيَاكُمْ بَعْدَ حِفْظِكُمْ قَائِمَةَ دِينِكُمْ . أَلَا وَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُكُمْ بَعْدَ تَضْيِيعِ دِينِكُمْ شَيْءٌ حَافَظْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ . أَخَذَ ٱللهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَىٰ ٱلْحَقِّ ، وَأَلْهَمَنَا وَإِيَّاكُمُ ٱلصَّبْرَ !

إيضاح: قوله ـ عليه السلام ـ «بهذا الأمر» أي الخلافة. «أقواهم عليه» أي أحسنهم سياسة وأشجعهم. ويدلّ على عدم جواز إمامة المفضول لاسيّما مع قوله ـ عليه السلام ـ «فإن شغب ـ الخ» . و«الشغب» بالتسكين، تهييج الشرّ، والمراد بالاستعتاب طلب الرجوع بالمراسلة والكلام ونحوهما.

قوله ـ عليه السلام ـ «لئن كانت الإمامة» قال ابن أبي الحديد: هذا تصريح بصحّة مذهب أصحابنا في أنّ الاختيار طريق إلى الإمامة، ويبطل قول الإماميّة من دعوى النص، وأنّه لاطريق إلى الإمامة سوى النصّ.[٦٨٩] انتهى.

وفيه نظر، أمّا أوّلاً، فلأنّه إنّما احتجّ عليهم بالإجماع إلزاماً لهم لا تّفاقهم على العمل به في خلافة أبي بكر وأخويه، وعدم تمسّكه ـ عليه السلام ـ بالنصّ لعلمه ـ عليه السلام ـ بعدم التفاتهم إليه، كيف وقد أعرضوا عنه في أوّل الأمر مع قرب العهد بالرسول ـ صلّى الله عليه وآله ـ وسماعهم منه.

وأمّا ثانياً، فلأنّه ـ عليه السلام ـ لم يتعرّض للنصّ نفياً وإثباتاً، فكيف يكون مبطلاً لما ادّعاه الإماميّة من النصّ؟ والعجب أنّه جعل هذا تصريحاً بكون الاختيار

٦٨٩ ـ شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٩، ص ٣٢٩، ط بيروت.

طريقاً إلى الإمامة؛ ونفي الدلالة في قوله ــ عليه السلام ــ «إنّ أحقّ الناس بهذا الأمر» على نفي إمامة المفضول مع قوله ــ عليه السلام ــ «فإن أبى قوتل» مع أنّه لم يصرّح بأنّ الإمامة تنعقد بالاختيار بل قال: إنّها لا تتوقّف على حضور عامّة الناس، ولا ريب في ذلك. نعم، يدلّ بالمفهوم عليه وهذا تقيّة منه ــ عليه السلام ــ ، ولا يخفى على من تتبّع سيره ــ عليه السلام ــ إنّه لم يكن يمكنه إنكار خلافتهم والقدح فيها صريحاً في المجامع، فلذا عبّر بكلام موهم لذلك. وقوله ــ عليه السلام ــ «وأهلها يحكمون» وإن كان موهماً له أيضاً لكن يمكن أن يكون المراد بالأهل الأحقّاء بالإمامة. ولايخفى على المتأمّل أنّ مامهّده ــ عليه السلام ــ أوّلاً بقوله «إنّ أحقّ الناس أقواهم» يشعر بأنّ عدم صحّة رجوع الشاهد واختيار الغائب إنّما هو في صورة الاتّفاق على الأحقّ دون غيره، فتأمّل.

قوله ــ عليه السلام ــ «رجلاً ادّعى» كمن ادّعى الخلافة، و «آخر منع» كمن لايطيع الإمام، أو يمنع حقوق الله و«خير عواقب الأمور» عاقبة كلّ شيء آخره، والتقوى خير ماختم به العمل في الدنيا، أو عاقبتها خير العواقب.

قوله ــ عليه السلام ــ «هذا العلم» بكسر العين أو بالتحريك كما في بعض النسخ، فعلى الأوّل المعنى: أنّه لايعلم وجوب قتال أهل القبلة وموقعه وشرائطه؛ وعلى الثاني إشارة إلى حرب أهل القبلة والقيام به، ويحتمل على بُعد أن يراد به الإمامة المشار إليها بقوله «إنّ أحقّ الناس بهذا الأمر» فيكون إشارة إلى بطلان خلافة غير أهل البصر والصبر والعلم بمواقع الحقّ.

قال ابن أبي الحديد: وذلك لأنّ المسلمين عظم عندهم حرب أهل القبلة وأكبروه، ومن أقدم منهم عليه أقدم مع خوف وحذر. قال الشافعيّ: لو لا عليّ ــ عليه السلام ــ لما علم شيء من أحكام أهل البغي.

قوله ــ عليه السلام ــ «فإنّ لنا» قال ابن ميثم: أي إنّ لنا مع كلّ أمر تنكرونه تغييراً، أي قوّة على التغيير، إن لم يكن في ذلك الأمر مصلحة في نفس الأمر، فلا تتسرّعوا إلى إنكار أمر نفعله حتّى تسألوا عن فائدته فإنّه يمكن أن يكون إنكاركم لعدم علمكم

بوجهه. وقال ابن أبي الحديد: أي لست كعثمان أصبر على ارتكاب ما أنهى عنه بل أغيّر كلّما ينكره المسلمون، و يقتضى الحال والشرع تغييره. انتهى.

ويمكن أن يكون المعنى: إنّ لنامع كلّ أمر تنكرونه تغييراً، أي ما يغيّر إنكاركم ويمنعكم عنه من البراهين الساطعة والأعمّ منها، ومن السيوف القاطعة إن لم ينفعكم البراهين. وفي ذكر أغضاب الدنيا توبيخ لأهلها بالرغبة في شيء لايراعى حقّهم كما قال ـ عليه السلام ـ: «رغبتك في زاهد فيك ذلّ نفس». وغرور الدنيا بتزيين الزخارف لأهلها واغفالهم عن الفناء وتحذيرها بما أراهم من الفناء وفراق الأحبّة ونحو ذلك. والدار التي دعوا إليها هي الجنّة. قوله ـ عليه السلام ـ «ولايخنّنّ أحدكم»، «الخنين» بالخاء المعجمة، ضرب من البكاء دون الانتخاب، وأصله خروج الصوت من الأنف كالحنين من الفم. و يروى بالمهملة أيضاً. واضافته إلى الأمة لأنّ الإماء كثيراً ما يبكين ويسمع الخنين منهنّ، والحرّة تأنف من البكاء والحنين. و«زواه عنه» صرفه وقبضه؛ وفي بعض النسخ: «مازوى عنه» أي عن أحدكم، ولعلّه أظهر. و«الصبر على الطاعة» حبس النفس عليها. كقوله ـ تعالى ـ: «وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ»[٦٩٠]؛ أو عدم الجزع من شدّتها، أو من البلايا إطاعةً لله، وعلى أيّ حال هو الشكر الموجب للمزيد فيه بطلب تمام النعمة. و«من» في قوله «من كتابه» بيان لـ «ما». و«القائمة» واحدة «قوائم» الدوابّ، و «قائمة السيف» مبقضه. ولعلّ المراد بقائمة الدين أصوله ومايقرب منها، ويحتمل أن تكون الإضافة بيانيّة فإنّ الدين بمنزلة القائمة لأمور الدنيا والآخرة.[٦٩١]

٦٩٠- الكهف: ٢٨.

٦٩١- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٧٢١، ط كمپاني وص ٦٦٨، ط تبريز.

١٧٤ — ومن كلام له عليه السلام

في معنى طلحة بن عبيد الله

وقد قاله حين بلغه خروج طلحة والزبير إلى البصرة لقتاله

قَدْ كُنْتُ وَمَا أُهَدَّدُ بِالْحَرْبِ، وَلَا أُرَهَّبُ بِالضَّرْبِ؛ وَأَنَا عَلَى مَا قَدْ وَعَدَنِي رَبِّي مِنَ النَّصْرِ. وَاللهِ مَا اسْتَعْجَلَ مُتَجَرِّداً[٢١٩٩] لِلطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمَانَ إِلَّا خَوْفاً مِنْ أَنْ يُطَالَبَ بِدَمِهِ، لِأَنَّهُ مَظِنَّتُهُ. وَلَمْ يَكُنْ فِي الْقَوْمِ أَحْرَصُ عَلَيْهِ مِنْهُ. فَأَرَادَ أَنْ يُغَالِطَ بِمَا أَجْلَبَ فِيهِ لِيَلْتَبِسَ الْأَمْرُ[٢٢٠٠] وَيَقَعَ الشَّكُّ. وَوَاللهِ مَا صَنَعَ فِي أَمْرِ عُثْمَانَ وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ: لَئِنْ كَانَ ابْنُ عَفَّانَ ظَالِماً ـ كَمَا كَانَ يَزْعُمُ ـ لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُوَازِرَ[٢٢٠١] قَاتِلِيهِ، وَأَنْ يُنَابِذَ[٢٢٠٢] نَاصِرِيهِ. وَلَئِنْ كَانَ مَظْلُوماً لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُنَهْنِهِينَ[٢٢٠٣] عَنْهُ، وَالْمُعَذِّرِينَ فِيهِ[٢٢٠٤]. وَلَئِنْ كَانَ فِي شَكٍّ مِنَ الْخَصْلَتَيْنِ، لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْتَزِلَهُ وَيَرْكُدَ[٢٢٠٥] جَانِباً، وَيَدَعَ النَّاسَ مَعَهُ، فَمَا فَعَلَ وَاحِدَةً مِنَ الثَّلَاثِ، وَجَاءَ بِأَمْرٍ لَمْ يُعْرَفْ بَابُهُ، وَلَمْ تَسْلَمْ مَعَاذِيرُهُ.

بيان: قوله «قد كنت» قال ابن أبي الحديد: «كان» ههنا تامّة والواو للحال، أي خلقت ووجدت بهذه الصفة ويجوز أن يكون الواو زائدة و«كان» ناقصة وخبرها «ما أهدّد». و«تجرد في الأرض» أي جد فيه، ذكره الجوهري. وقال في النهاية في

حديث عليّ ـ عليه السلام ـ : أراد أن يغالط بما أجلب فيه، يقال: «أجلبوا عليه» إذا تجمّعوا وتألّبوا، و«أجلبه» أي أعانه و«أجلب عليه» إذا صاحه واستحثّه. وقال الجوهري: «لبست عليه الأمر ألبس» خلطت. وقال: «أعذر» أي صار ذاعذر. وفي النهاية: «فما نهنها شيء دون العرش» أي مامنعها وكفّها عن الوصول إليه. و«الركود» السكوت والثبات.[٦٩٢]

١٧٥ ـ ومن خطبة له عليه السلام

في الموعظة وبيان قرباه من رسول الله

أَيُّهَا النَّاسُ غَيْرُ الْمَغْفُولِ عَنْهُمْ، وَالتَّارِكُونَ الْمَأْخُوذُ مِنْهُمْ. مَا لِي أَرَاكُمْ عَنِ اللهِ ذَاهِبِينَ، وَإِلَى غَيْرِهِ رَاغِبِينَ! كَأَنَّكُمْ نَعَمٌ(٢٢٠٦) أَرَاحَ بِهَا(٢٢٠٧) سَائِمٌ(٢٢٠٨) إِلَى مَرْعًى وَبِيٍّ(٢٢٠٩)، وَمَشْرَبٍ دَوِيٍّ(٢٢١٠)، وَإِنَّمَا هِيَ كَالْمَعْلُوفَةِ لِلْمُدَى(٢٢١١) لَا تَعْرِفُ مَاذَا يُرَادُ بِهَا! إِذَا أُحْسِنَ إِلَيْهَا تَحْسَبُ يَوْمَهَا دَهْرَهَا(٢٢١٢)، وَشِبَعَهَا أَمْرَهَا. وَاللهِ لَوْ شِئْتُ أَنْ أُخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَخْرَجِهِ وَمَوْلِجِهِ(٢٢١٣) وَجَمِيعِ شَأْنِهِ لَفَعَلْتُ، وَلٰكِنْ أَخَافُ أَنْ تَكْفُرُوا فِيَّ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

أَلَا وَإِنِّي مُفْضِيهِ(٢٢١٤) إِلَى الْخَاصَّةِ مِمَّنْ يُؤْمَنُ ذٰلِكَ مِنْهُ. وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ، وَاصْطَفَاهُ عَلَى الْخَلْقِ، مَا أَنْطِقُ إِلَّا صَادِقاً، وَقَدْ عَهِدَ إِلَيَّ بِذٰلِكَ كُلِّهِ، وَبِمَهْلِكِ مَنْ يَهْلِكُ، وَمَنْجَى مَنْ يَنْجُو، وَمَآلِ هٰذَا

٦٩٢ـ بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٣٨٦، ط تبريز.

ٱلْأَمْرِ . وَمَا أَبْقَىٰ شَيْئاً يَمُرُّ عَلَىٰ رَأْسِي إِلَّا أَفْرَغَهُ فِي أُذُنَيَّ وَأَفْضَىٰ بِهِ إِلَيَّ .

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ، إِنِّي ، وَٱللّٰهِ ، مَا أَحُثُّكُمْ عَلَىٰ طَاعَةٍ إِلَّا وَأَسْبِقُكُمْ إِلَيْهَا ، وَلَا أَنْهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةٍ إِلَّا وَأَتَنَاهَىٰ قَبْلَكُمْ عَنْهَا .

بيان: «أيها الغافلون» الظاهر أنّ الخطاب لعامّة المكلّفين، أي الّذين غفلوا عمّا يرادبهم ومنهم. «غيرالمغفول عنهم» فإنّ أعمالهم محفوظة مكتوبة. و«التاركون» أي لما أُمروا به. «المأخوذ منهم» بانتقاض أعمارهم وقواهم واستلاب أحبابهم وأموالهم. و«الذهاب عن الله» التوجّه إلى غيره والإعراض عن جنابه. و«النعم» بالتحريك، جمع لاواحد له من لفظه، وأكثر مايقع على الإبل. «أراح بهاسائم» شبّههم بالنعم الّتي تتبع نعماً أخرى سائمة أي راعية. وإنّما قال ذلك لأنّها إذا اتّبعت أمثالها كان أبلغ في ضرب المثل بجهلها من الإبل الّتي يسميها راعيها. وما يظهر من كلام ابن ميثم من أنّ السائم بمعنى الراعي ففيه مالا يخفى.

و«المرعى الوبيّ» ذوالوباء والمرض، وأصله الهمز. و«الدويّ» ذوالداء، والأصل في الدّويّ «دوى» بالتخفيف ولكنه شدّد للازدواج. قال الجوهريّ: «رجل دو» بكسر الواو، أي فاسد الجوف من داء. و«المدى» بالضمّ، جمع «مدية» وهي السكّين. قوله ــ عليه السلام ــ «تحسب يومها» أي تظنّ أنّ ذلك العلف كما هو حاصل لها في هذا اليوم حاصل لها أبداً، أو نظرها مقصور على يومها تحسب أنّه دهرها. و«شبعها أمرها» أي تظنّ انحصار شأنها وأمرها في الشبع. قوله ــ عليه السلام ــ «والله لوشئت أن أخبر» قال ابن أبي الحديد: هذا كقول المسيح ــ عليه السلام ــ : «و أُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ» [٦٩٣]. قال ــ عليه السلام ــ : «إلّا أنّي أخاف عليكم الغلوّ في أمري وأن تفضّلوني على رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ بل أخاف عليكم أن تدّعوا فيّ الإلهيّة كما ادّعت النصارى ذلك في المسيح ــ عليه السلام ــ لمّا أخبرهم بالأمور الغائبة. ومع كتمانه ــ عليه السلام ــ فقد كفر كثير منهم وادّعوا

٦٩٣ ــ آل عمران: ٤٩.

فيه النبوّة وأنّه شريك الرسول في الرسالة وأنّه هو الرسول، ولكنّ الملك غلط وأنّه هو الّذي بعث محمّداً ـ صلّى الله عليه وآله ـ، وادّعوا فيه الحلول والاتّحاد.[٦٩٤] ويحتمل أن يكون كفرهم فيه بإسناد التقصير إليه ـ عليه السلام ـ في إظهار شأنه وجلالته.

و«المهلك» بفتح اللّام وكسرها، يحتمل المصدر واسم الزمان والمكان؛ والمراد بالهلاك إمّا الموت والقتل، أو الضلال والشقاء، وكذلك النجاة. والمراد بالأمر الخلافة أو الدين وملك الإسلام وماله انتهاؤه بظهور القائم ـ عليه السلام ـ وما يكون في آخر الزمان.

و«أفرغه» صبّه، كفرغه.[٦٩٥]

[هذا بيان آخر في شرح الخطبة:]

قال ابن أبي الحديد[٦٩٦] في قوله «إنّي أخاف أن تكفروا فيّ برسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ» أي أخاف عليكم الغلوّ في أمري وأن تفضّلوني على رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ. ثمّ قال: وقد ذكرنا فيما تقدّم من إخباره ـ عليه السلام ـ عن الغيوب طرفاً صالحاً؛ ومن عجيب ما وقفت عليه من ذلك قوله في الخطبة الّتي يذكر فيها الملاحم وهو يشير إلى القرامطة «ينتحلون لنا الحبّ والهوى، و يضمرون لنا البغض والقلى، آية ذلك قتلهم ورّاثنا وهجرهم أحداثنا»؛ وصحّ ما أخبره ـ عليه السلام ـ لأنّ القرامطة قتلت من آل أبي طالب ـ عليه السلام ـ خلقاً كثيرة، وأسماؤهم مذكورة في كتاب مقاتل الطالبيّين لأبي الفرج الإصفهانيّ، ومرّ أبو طاهر سليمان بن الحسن الجنابيّ في جيشه بالغريّ و بالحائر فلم يعرج على واحد منهما ولا دخل ولا وقف، وفي هذه الخطبة قال وهو يشير إلى السارية الّتي كان يستند إليها في مسجد الكوفة «كأنّي بالحجر الأسود منصوباً ههنا، ويحهم إنّ فضيلته ليست في نفسه بل في موضعه وأسّه، يمكث ههنا برهة ثمّ ههنا برهة ـ وأشار إلى البحرين ـ ثمّ يعود إلى مأواه وأمّ مثواه»؛ ووقع الأمر في الحجر الأسود بموجب ما أخبر به ـ عليه السلام ـ.

٦٩٤- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٠، ص ١٢ ـ ١٣، ط بيروت.
٦٩٥- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٧١٤، ط كمپاني وص ٦٦١، ط تبريز.
٦٩٦- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٠، ص ١٣ ـ ١٥، ط بيروت.

وقد وقفت له على خطب مختلفة فيها ذكر الملاحم، فوجدتها تشتمل على ما يجوز أن ينسب إليه وما لايجوز أن ينسب إليه، ووجدت في كثير منها اختلالاً ظاهراً، وهذه المواضع الّتي أنقلها ليست من تلك الخطب المضطربة، بل من كلام له وجدته متفرّقاً في كتب مختلفة.

ومن ذلك أنّ تميم بن أسامة بن زهير بن دريد التّميميّ اعترضه وهو يخطب على المنبر و يقول: «سلوني قبل أن تفقدوني فوالله لا تسألوني عن فئة تضلّ مائة أوتهدي مائة إلّا نبّأتكم بناعقها وسائقها، ولوشئت لأخبرت كلّ واحد منكم بمخرجه ومدخله وجميع شأنه»، فقال له: فكم في رأسي طاقة شعر؟

فقال له: أما والله إنّي لأعلم ذلك ولكن أين برهانه لو أخبرتك به؟ ولقد أخبرت بقيامك ومقالك وقيل لي: إنّ على كلّ شعرة من شعر رأسك ملكاً يلعنك وشيطاناً يستنصرك[٦٩٧] وآية ذلك أنّ في بيتك سخلاً يقتل ابن رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ أو يحضّ على قتله.

فكان الأمر بموجب ما أخبر به ــ عليه السلام ــ ؛ كان ابنه حصين ــ بالصاد المهملة ــ يومئذ طفلاً صغيراً يرضع اللبن، ثمّ عاش إلى أن صار على شرطة عبيدالله بن زياد، وأخرجه عبيدالله إلى عمر بن سعد يأمره بمناجزة الحسين ــ عليه السلام ــ ، و يتوعّده على لسانه إن أرجى ذلك، فقتل [حسين ــ عليه السلام ــ] صبيحة اليوم الّذي ورد فيه الحصين بالرسالة في ليلته.

ومن ذلك قوله ــ عليه السلام ــ للبراء بن عازب يوماً: يا براء! أيقتل الحسين ــ عليه السلام ــ وأنت حيّ فلا تنصره؟

فقال البراء: لا كان ذلك يا أميرالمؤمنين، فلمّا قتل الحسين ــ عليه السلام ــ كان البراء يذكر ذلك و يقول: أعظم بها حسرة إذ لم أشهده و أقتل دونه.

وسنذكر من هذا النمط فيما بعد إذا مررنا بما يقتضي ذكره ما يحضرنا إن شاء الله.[٦٩٨]

٦٩٧ــ في المصدر: يستفزّك.

٦٩٨ــ بحار الأنوار الطبعة الجديدة، ج ٤٠، تاريخ أمير المؤمنين ــ عليه السلام ــ، ص ١٩١.

١٧٦ ــ ومن خطبة له عليه السلام

وفيها يعظ ويبين فضل القرآن وينهى عن البدعة

عظة الناس

ٱنْتَفِعُوا بِبَيَانِ ٱللهِ ، وَٱتَّعِظُوا بِمَوَاعِظِ ٱللهِ ، وَٱقْبَلُوا نَصِيحَةَ ٱللهِ ، فَإِنَّ ٱللهَ قَدْ أَعْذَرَ إِلَيْكُمْ بِٱلْجَلِيَّةِ(٢٢١٥) ، وَٱتَّخَذَ عَلَيْكُمُ ٱلْحُجَّةَ ، وَبَيَّنَ لَكُمْ مَحَابَّهُ مِنَ ٱلْأَعْمَالِ ، وَمَكَارِهَهُ مِنْهَا ، لِتَتَّبِعُوا هٰذِهِ ، وَتَجْتَنِبُوا هٰذِهِ ، فَإِنَّ رَسُولَ ٱللهِ ـ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ كَانَ يَقُولُ : « إِنَّ ٱلْجَنَّةَ حُفَّتْ بِٱلْمَكَارِهِ ، وَإِنَّ ٱلنَّارَ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ » .

وَٱعْلَمُوا أَنَّهُ مَا مِنْ طَاعَةِ ٱللهِ شَيْءٌ إِلَّا يَأْتِي فِي كُرْهٍ ، وَمَا مِنْ مَعْصِيَةِ ٱللهِ شَيْءٌ إِلَّا يَأْتِي فِي شَهْوَةٍ . فَرَحِمَ ٱللهُ ٱمْرَأً نَزَعَ(٢٢١٦) عَنْ شَهْوَتِهِ ، وَقَمَعَ هَوَىٰ نَفْسِهِ ، فَإِنَّ هٰذِهِ النَّفْسَ أَبْعَدُ شَيْءٍ مَنْزِعاً(٢٢١٧) ، وَإِنَّهَا لَا تَزَالُ تَنْزِعُ إِلَىٰ مَعْصِيَةٍ فِي هَوًى .

وَٱعْلَمُوا ـ عِبَادَ ٱللهِ ـ أَنَّ ٱلْمُؤْمِنَ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَنَفْسُهُ ظَنُونٌ(٢٢١٨) عِنْدَهُ ، فَلَا يَزَالُ زَارِياً(٢٢١٩) عَلَيْهَا وَمُسْتَزِيداً لَهَا . فَكُونُوا كَالسَّابِقِينَ قَبْلَكُمْ ، وَٱلْمَاضِينَ أَمَامَكُمْ . قَوَّضُوا(٢٢٢٠) مِنَ الدُّنْيَا تَقْوِيضَ الرَّاحِلِ ، وَطَوَوْهَا طَيَّ ٱلْمَنَازِلِ .

فضل القرآن

وَٱعْلَمُوا أَنَّ هٰذَا ٱلْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَغُشُّ ، وَٱلْهَادِي الَّذِي لَا يُضِلُّ ، وَٱلْمُحَدِّثُ الَّذِي لَا يَكْذِبُ . وَمَا جَالَسَ هٰذَا ٱلْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ : زِيَادَةٍ فِي هُدًى ، أَوْ نُقْصَانٍ مِنْ عَمًى . وَٱعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَىٰ أَحَدٍ بَعْدَ ٱلْقُرْآنِ مِنْ فَاقَةٍ(٢٢٢١) ، وَلَا لِأَحَدٍ قَبْلَ ٱلْقُرْآنِ مِنْ غِنًى ؛ فَٱسْتَشْفُوهُ مِنْ أَدْوَائِكُمْ ، وَٱسْتَعِينُوا بِهِ عَلَىٰ لَأْوَائِكُمْ(٢٢٢٢) ، فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ : وَهُوَ ٱلْكُفْرُ وَالنِّفَاقُ ، وَٱلْغَيُّ وَالضَّلَالُ ، فَٱسْأَلُوا ٱللّٰهَ بِهِ ، وَتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِحُبِّهِ ، وَلَا تَسْأَلُوا بِهِ خَلْقَهُ ، إِنَّهُ مَا تَوَجَّهَ ٱلْعِبَادُ إِلَى ٱللّٰهِ تَعَالَىٰ بِمِثْلِهِ . وَٱعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ ، وَقَائِلٌ مُصَدَّقٌ ، وَأَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ ٱلْقُرْآنُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ شُفِّعَ(٢٢٢٣) فِيهِ ، وَمَنْ مَحَلَ(٢٢٢٤) بِهِ ٱلْقُرْآنُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ صُدِّقَ عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ : «أَلَا إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلًى فِي حَرْثِهِ وَعَاقِبَةِ عَمَلِهِ ، غَيْرَ حَرَثَةِ ٱلْقُرْآنِ». فَكُونُوا مِنْ حَرَثَتِهِ وَأَتْبَاعِهِ ، وَٱسْتَدِلُّوهُ عَلَىٰ رَبِّكُمْ ، وَٱسْتَنْصِحُوهُ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ ، وَٱتَّهِمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ ، وَٱسْتَغِشُّوا(٢٢٢٥) فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ .

الحث على العمل

ٱلْعَمَلَ ٱلْعَمَلَ ، ثُمَّ النِّهَايَةَ النِّهَايَةَ ، وَالِاسْتِقَامَةَ ٱلِاسْتِقَامَةَ ، ثُمَّ الصَّبْرَ الصَّبْرَ ، وَٱلْوَرَعَ ٱلْوَرَعَ ! «إِنَّ لَكُمْ نِهَايَةً فَٱنْتَهُوا إِلَىٰ نِهَايَتِكُمْ» ،

وَإِنَّ لَكُمْ عَلَماً(٢٢٢٦) فَاهْتَدُوا بِعَلَمِكُمْ ، وَإِنَّ لِلْإِسْلَامِ غَايَةً فَانْتَهُوا إِلَىٰ غَايَتِهِ . وَاخْرُجُوا إِلَى ٱللهِ بِمَا ٱفْتَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَقِّهِ(٢٢٢٧) ، وَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ وَظَائِفِهِ(٢٢٢٨) . أَنَا شَاهِدٌ لَكُمْ ، وَحَجِيجٌ(٢٢٢٩) يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ عَنْكُمْ .

نصائح للناس

أَلَا وَإِنَّ ٱلْقَدَرَ السَّابِقَ قَدْ وَقَعَ ، وَٱلْقَضَاءَ ٱلْمَاضِيَ قَدْ تَوَرَّدَ(٢٢٣٠) ؛ وَإِنِّي مُتَكَلِّمٌ بِعِدَةِ(٢٢٣١) ٱللهِ وَحُجَّتِهِ ، قَالَ ٱللهُ تَعَالَىٰ : «إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا ٱللهُ ثُمَّ ٱسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَائِكَةُ أَنْ لَا تَخَافُوا ، وَلَا تَحْزَنُوا ، وَأَبْشِرُوا بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ» ، وَقَدْ قُلْتُمْ : «رَبُّنَا ٱللهُ» ، فَٱسْتَقِيمُوا عَلَىٰ كِتَابِهِ ، وَعَلَىٰ مِنْهَاجِ أَمْرِهِ ، وَعَلَى ٱلطَّرِيقَةِ ٱلصَّالِحَةِ مِنْ عِبَادَتِهِ ، ثُمَّ لَا تَمْرُقُوا مِنْهَا ، وَلَا تَبْتَدِعُوا فِيهَا ، وَلَا تُخَالِفُوا عَنْهَا . فَإِنَّ أَهْلَ ٱلْمُرُوقِ مُنْقَطَعٌ بِهِمْ عِنْدَ ٱللهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ . ثُمَّ إِيَّاكُمْ وَتَهْزِيعَ(٢٢٣٢) ٱلْأَخْلَاقِ وَتَصْرِيفَهَا(٢٢٣٣) ، وَٱجْعَلُوا ٱللِّسَانَ وَاحِداً ، وَلْيَخْزُنِ ٱلرَّجُلُ لِسَانَهُ(٢٢٣٤) ، فَإِنَّ هٰذَا ٱللِّسَانَ جَمُوحٌ بِصَاحِبِهِ(٢٢٣٥) . وَٱللهِ مَا أَرَىٰ عَبْداً يَتَّقِي تَقْوَىٰ تَنْفَعُهُ حَتَّىٰ يَخْزُنَ لِسَانَهُ . وَإِنَّ لِسَانَ ٱلْمُؤْمِنِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ(٢٢٣٦) ، وَإِنَّ قَلْبَ ٱلْمُنَافِقِ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ : لِأَنَّ ٱلْمُؤْمِنَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ تَدَبَّرَهُ فِي نَفْسِهِ ، فَإِنْ كَانَ خَيْراً أَبْدَاهُ ، وَإِنْ كَانَ شَرّاً وَارَاهُ . وَإِنَّ ٱلْمُنَافِقَ يَتَكَلَّمُ بِمَا أَتَىٰ عَلَىٰ لِسَانِهِ لَا يَدْرِي مَاذَا

لَهُ ، وَمَاذَا عَلَيْهِ . وَلَقَدْ قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ـ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ : «لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّىٰ يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ . وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ» . فَمَنِ ٱسْتَطَاعَ مِنكُمْ أَنْ يَلْقَىٰ ٱللهَ تَعَالَىٰ وَهُوَ نَقِيُّ الرَّاحَةِ مِنْ دِمَاءِ ٱلْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِهِمْ ، سَلِيمُ اللِّسَانِ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ ، فَلْيَفْعَلْ

تحريم البدع

وَٱعْلَمُوا عِبَادَ ٱللهِ أَنَّ ٱلْمُؤْمِنَ يَسْتَحِلُّ ٱلْعَامَ مَا ٱسْتَحَلَّ عَاماً أَوَّلَ ، وَيُحَرِّمُ ٱلْعَامَ مَا حَرَّمَ عَاماً أَوَّلَ ؛ وَأَنَّ مَا أَحْدَثَ النَّاسُ لَا يُحِلُّ لَكُمْ شَيْئاً مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ، وَلٰكِنَّ ٱلْحَلَالَ مَا أَحَلَّ ٱللهُ ، وَٱلْحَرَامَ مَا حَرَّمَ ٱللهُ . فَقَدْ جَرَّبْتُمُ ٱلْأُمُورَ وَضَرَّسْتُمُوهَا(٢٢٣٧) ، وَوُعِظْتُمْ بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَضُرِبَتِ ٱلْأَمْثَالُ لَكُمْ ، وَدُعِيتُمْ إِلَىٰ ٱلْأَمْرِ ٱلْوَاضِحِ ؛ فَلَا يَصَمُّ عَنْ ذٰلِكَ إِلَّا أَصَمُّ ، وَلَا يَعْمَىٰ عَنْ ذٰلِكَ إِلَّا أَعْمَىٰ . وَمَنْ لَمْ يَنْفَعْهُ ٱللهُ بِٱلْبَلَاءِ وَالتَّجَارِبِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِنَ ٱلْعِظَةِ ، وَأَتَاهُ ٱلتَّقْصِيرُ مِنْ أَمَامِهِ(٢٢٣٨) ، حَتَّىٰ يَعْرِفَ مَا أَنْكَرَ ، وَيُنْكِرَ مَا عَرَفَ . وَإِنَّمَا النَّاسُ رَجُلَانِ : مُتَّبِعٌ شِرْعَةً ، وَمُبْتَدِعٌ بِدْعَةً ، لَيْسَ مَعَهُ مِنَ ٱللهِ سُبْحَانَهُ بُرْهَانُ سُنَّةٍ ، وَلَا ضِيَاءُ حُجَّةٍ .

القرآن

وَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَعِظْ أَحَداً بِمِثْلِ هٰذَا ٱلْقُرْآنِ ، فَإِنَّهُ «حَبْلُ ٱللهِ

ٱلْمَتِينُ » ، وَسَبَبُهُ ٱلْأَمِينُ ، وَفِيهِ رَبِيعُ ٱلْقَلْبِ ، وَيَنَابِيعُ ٱلْعِلْمِ ، وَمَا لِلْقَلْبِ جِلَاءٌ غَيْرُهُ ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ ٱلْمُتَذَكِّرُونَ ، وَبَقِيَ النَّاسُونَ أَوِ ٱلْمُتَنَاسُونَ . فَإِذَا رَأَيْتُمْ خَيْراً فَأَعِينُوا عَلَيْهِ ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ شَرّاً فَاذْهَبُوا عَنْهُ ، فَإِنَّ رَسُولَ ٱللهِ ـ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ كَانَ يَقُولُ : « يَابْنَ آدَمَ ، اعْمَلِ ٱلْخَيْرَ وَدَعِ الشَّرَّ ، فَإِذَا أَنْتَ جَوَادٌ قَاصِدٌ »[٢٢٣٩]

انواع الظلم

أَلَا وَإِنَّ الظُّلْمَ ثَلَاثَةٌ : فَظُلْمٌ لَا يُغْفَرُ ، وَظُلْمٌ لَا يُتْرَكُ ، وَظُلْمٌ مَغْفُورٌ لَا يُطْلَبُ . فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُغْفَرُ فَالشِّرْكُ بِاللهِ ، قَالَ ٱللهُ تَعَالَىٰ : « إِنَّ ٱللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ » . وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي يُغْفَرُ فَظُلْمُ ٱلْعَبْدِ نَفْسَهُ عِنْدَ بَعْضِ ٱلْهَنَاتِ[٢٢٤٠] . وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُتْرَكُ فَظُلْمُ ٱلْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً . ٱلْقِصَاصُ هُنَاكَ شَدِيدٌ ، لَيْسَ هُوَ جَرْحاً بِٱلْمُدَى[٢٢٤١] وَلَا ضَرْباً بِالسِّيَاطِ[٢٢٤٢] ، وَلٰكِنَّهُ مَا يُسْتَصْغَرُ ذٰلِكَ مَعَهُ . فَإِيَّاكُمْ وَالتَّلَوُّنَ فِي دِينِ ٱللهِ ، فَإِنَّ جَمَاعَةً فِيمَا تَكْرَهُونَ مِنَ ٱلْحَقِّ ، خَيْرٌ مِنْ فُرْقَةٍ[٢٢٤٣] فِيمَا تُحِبُّونَ مِنَ ٱلْبَاطِلِ . وَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يُعْطِ أَحَداً بِفُرْقَةٍ خَيْراً مِمَّنْ مَضَىٰ ، وَلَا مِمَّنْ بَقِيَ .

بيان: «الهنات» جمع «هنة» وهو الشيء اليسير، ويمكن أن يكون المراد بها الصغائر فإنّها مكفّرة مع اجتناب الكبائر أو الأعمّ، فيكون قوله ـ عليه السلام ـ

«مغفور لايطلب» أي أحياناً لادائماً، وعلى الأوّل لايكون المقصود الحصر. و«المدى» بالضّم، جمع «مدية» وهي السكّين.٦٩٩

لزوم الطاعة

يَا أَيُّهَا النَّاسُ «طُوبَىٰ لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ»، وَطُوبَىٰ لِمَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ، وَأَكَلَ قُوتَهُ، وَاشْتَغَلَ بِطَاعَةِ رَبِّهِ، «وَبَكَىٰ عَلَىٰ خَطِيئَتِهِ» فَكَانَ مِنْ نَفْسِهِ فِي شُغُلٍ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ!

بيان: «لمن لزم بيته» أي لم يخرج منه لتهييج شرّ، وليس المراد ترك الخروج لطلب الرزق أو للعبادة كالجهاد، وعيادة المرضى، وتشييع الجنائز، وقضاء حوائج المؤمنين ونحوها، أو هو مختصّ ببعض أزمنة الفتن. «وأكل قوته» أي اكتفى بما قدرالله له من قوته ولم يطلب أكثرمن ذلك ولم يشترك في قوت غيره.٧٠٠

١٧٧ — ومن كلام له عليه السلام

في معنى الحكمين

فَأَجْمَعَ رَأْيُ مَلَئِكُمْ عَلَىٰ أَنِ اخْتَارُوا رَجُلَيْنِ، فَأَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ يُجَعْجِعَا(٢٢٤٤) عِنْدَ الْقُرْآنِ، وَلَا يُجَاوِزَاهُ، وَتَكُونَ أَلْسِنَتُهُمَا مَعَهُ وَقُلُوبُهُمَا تَبَعَهُ، فَتَاهَا عَنْهُ، وَتَرَكَا الْحَقَّ وَهُمَا يُبْصِرَانِهِ، وَكَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا، وَالِاعْوِجَاجُ رَأْيُهُمَا. وَقَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا فِي الْحُكْمِ

٦٩٩- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٧، كتاب العدل والمعاد، ص ٢٧١.

٧٠٠- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٦٧، كتاب الايمان والكفر، ص ٣٥٠.

بِٱلْعَدْلِ وَٱلْعَمَلِ بِٱلْحَقِّ سُوءَ رَأْيِهِمَا وَجَوْرَ حُكْمِهِمَا . وَالثِّقَةُ فِي أَيْدِينَا لِأَنْفُسِنَا ، حِينَ خَالَفَا سَبِيلَ ٱلْحَقِّ ، وَأَتَيَا بِمَا لَا يُعْرَفُ مِنْ مَعْكُوسِ ٱلْحُكْمِ .

إيضاح: قال في النهاية في حديث عليّ ــ عليه السلام ــ : «فأخذنا عليهما أن يجعجعا عند القرآن» أي يقيما عنده. يقال: «جعجع القوم» إذا أناخوا بالجعجاع وهي الأرض، و«الجعجاع» أيضاً الموضع الضيّق الخشن. وقال في القاموس: «التبع» محرّكة، التابع، يكون واحداً وجمعاً، ويجمع على «أتباع». قوله ــ عليه السلام ــ «والثقة في أيدينا» أي إنّا على برهان وثقة في أمورنا. قوله ــ عليه السلام ــ «بما لا يعرف» أي لا يصدّق به.[٧٠١]

١٧٨ ــ ومن خطبة له عليه السلام

في الشهادة والتقوى. وقيل: إنه خطبها بعد مقتل عثمان في أول خلافته

الله ورسوله

لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ ، وَلَا يُغَيِّرُهُ زَمَانٌ ، وَلَا يَحْوِيهِ مَكَانٌ ، وَلَا يَصِفُهُ لِسَانٌ ، وَلَا يَعْزُبُ[٢٢٤٥] عَنْهُ عَدَدُ قَطْرِ ٱلْمَاءِ وَلَا نُجُومِ السَّمَاءِ ، وَلَا سَوَافِي الرِّيحِ[٢٢٤٦] فِي ٱلْهَوَاءِ ، وَلَا دَبِيبُ النَّمْلِ عَلَى الصَّفَا[٢٢٤٧] ، وَلَا مَقِيلُ ٱلذَّرِّ[٢٢٤٨] فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ. يَعْلَمُ مَسَاقِطَ ٱلْأَوْرَاقِ ، وَخَفِيَّ طَرْفِ ٱلْأَحْدَاقِ[٢٢٤٩] .

٧٠١- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٠٨، ط كمپاني وص ٥٦٠، ط تبريز.

بيان: «مقيل الذرّ» أي نومها، أو محلّ نومها.٧٠٢

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهُ غَيْرَ مَعْدُولٍ بِهِ(٢٢٥٠)، وَلَا مَشْكُوكٍ فِيهِ، وَلَا مَكْفُورٍ دِينُهُ، وَلَا مَجْحُودٍ تَكْوِينُهُ(٢٢٥١)، شَهَادَةَ مَنْ صَدَقَتْ نِيَّتُهُ، وَصَفَتْ دِخْلَتُهُ(٢٢٥٢) وَخَلَصَ يَقِينُهُ، وَثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ٱلْمُجْتَبَى(٢٢٥٣) مِنْ خَلَائِقِهِ، وَٱلْمُعْتَامُ(٢٢٥٤) لِشَرْحِ حَقَائِقِهِ، وَٱلْمُخْتَصُّ بِعَقَائِلِ(٢٢٥٥) كَرَامَاتِهِ(٢٢٥٦)، وَٱلْمُصْطَفَى لِكَرَائِمِ رِسَالَاتِهِ، وَٱلْمُوَضَّحَةُ بِهِ أَشْرَاطُ ٱلْهُدَى(٢٢٥٧)، وَٱلْمَجْلُوُّ بِهِ غِرْبِيبُ(٢٢٥٨) ٱلْعَمَى.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الدُّنْيَا تَغُرُّ ٱلْمُؤَمِّلَ لَهَا وَٱلْمُخْلِدَ إِلَيْهَا(٢٢٥٩)، وَلَا تَنْفَسُ(٢٢٦٠) بِمَنْ نَافَسَ فِيهَا، وَتَغْلِبُ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهَا. وَٱيْمُ ٱللهِ، مَا كَانَ قَوْمٌ قَطُّ فِي غَضِّ(٢٢٦١) نِعْمَةٍ مِنْ عَيْشٍ فَزَالَ عَنْهُمْ إِلَّا بِذُنُوبٍ ٱجْتَرَحُوهَا(٢٢٦٢)، لِأَنَّ ٱللهَ لَيْسَ «بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ». وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ حِينَ تَنْزِلُ بِهِمُ النِّقَمُ، وَتَزُولُ عَنْهُمُ النِّعَمُ، فَزِعُوا إِلَى رَبِّهِمْ بِصِدْقٍ مِنْ نِيَّاتِهِمْ، وَوَلَهٍ مِنْ قُلُوبِهِمْ، لَرَدَّ عَلَيْهِمْ كُلَّ شَارِدٍ، وَأَصْلَحَ لَهُمْ كُلَّ فَاسِدٍ. وَإِنِّي لَأَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُوا فِي فَتْرَةٍ(٢٢٦٣). وَقَدْ كَانَتْ أُمُورٌ مَضَتْ مِلْتُمْ فِيهَا مَيْلَةً، كُنْتُمْ فِيهَا عِنْدِي غَيْرَ مَحْمُودِينَ، وَلَئِنْ رُدَّ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ إِنَّكُمْ

٧٠٢- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٤، كتاب التوحيد، ص ٣١٢.

لَسُعَدَاءُ . وَمَا عَلَيَّ إِلَّا ٱلْجُهْدُ ، وَلَوْ أَشَاءُ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ : عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ !

توضيح: «في غضّ نعمة» أي في نعمة غضّة طريّة ناضرة. و«الوله» بالتحريك، الحزن والخوف. و«الشارد» النافر.[٧٠٣]

بيان: قدمرّ شرح صدر الخطبة في كتاب التوحيد. قوله ـ عليه السلام ـ «غيرمعدول به» أي لايعادل ويساوى به أحد، كما قال ـ تعالى ـ: «بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ»[٧٠٤]. و«الدّخلة» بالضمّ والكسر، باطن الأمر. و«المعتام» أي المختار؛ والتآء تاء الافتعال، ذكره في النهاية. و«العقائل» جمع «عقيلة» وهي كريمة كلّ شيء. و«الأشراط» العلامات، جمع «شرط» بالتحريك. و«الغربيب» بالكسر، الأسود الشديد السواد، أي المكشوف به ظلم الضلال.[٧٠٥] و«أخلد اليه» مال. قوله ـ عليه السلام ـ «ولا تنفس» أي لا ترغب إلى من يرغب إليها، بل ترميه بالنوائب. قوله ـ عليه السلام ـ «من غلب عليها» أي من غلب عليها وأخذهاقهراً فسوف تغلب الدنيا عليه، أو المراد بمن غلب عليها من أراد الغلبة عليها. قوله ـ عليه السلام ـ «في غضّ نعمة» أي في نعمة غضّة طريّة.

قوله ـ عليه السلام ـ «ليس بظلاّم» أي لو فعله الله بقوم لفعله بالجميع لأنّ حكمه في الجميع واحد، فيكون ظلاّماً، أو المعنى أنّ ذلك ظلم شديد. ويقال: «فزعت إليه فأفزعني» أي استغثت إليه فأغاثني. و«الوله» الحزن والحيرة والخوف وذهاب العقل حزناً. و«الشارد» النافر. قوله ـ عليه السلام ـ «في فترة»، «الفترة» الانكسار والضعف، ومابين الرسولين؛ وكنّى ـ عليه السلام ـ بها هنا عن أمر الجاهليّة، أي إنّي لأخشى أن يكون أحوالكم في التعصّبات الباطلة والأهواء المختلفة كأحوال أهل الجاهليّة. قوله ـ عليه السلام ـ «ملتم فيها ميلة» إشارة إلى ميلهم عنه ـ عليه السلام ـ

٧٠٣- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٦، كتاب العدل والمعاد، ص ٥٧.

٧٠٤- الأنعام: ١.

٧٠٥- في بعض النسخ: ظلم الظلام.

إلى الخلفاء الثلاثة، وقول ابن أبي الحديد «إشارة إلى اختيارهم عثمان يوم الشورى يبطله قوله ــ عليه السلام ــ «أمور» وغير ذلك.

قوله ــ عليه السلام ــ «ولئن ردّ عليكم» أي أحوالكم الّتي كانت أيّام رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ. قوله ــ عليه السلام ــ «ولو أشاء» أي لو أشاء أن أقول فيما ملتم عن الحقّ ونبذتم الآخرة وراء ظهوركم بلفظ صريح لقلت، لكنّي طويت عن ذكره وأعرضت عنه لعدم المصلحة فيه ولم أُصرّح بكفركم ومايكون إليه مصير أمركم وما أكننتم وأخفيتم في ضمائركم لذلك. وقوله ــ عليه السلام ــ «عفا الله عمّا سلف» أي عفا عمّن تاب وأناب ورجع، ويحتمل أن يكون من الدعاء الشايع في أواخر الخطب، كقوله ــ عليه السلام ــ «غفر الله لنا ولكم» وأمثاله؛ وهذه الأدعية مشروطة بشرائط؛ وقيل: يحتمل أن يكون المعنى: لو أشاء أن أقول قولاً يتضمّن العفو عنكم لقلت، لكنّي لا أقول ذلك إذ لامجال للعفو هنا؛ ولايخفى بعده.[٧٠٦]

١٧٩ ــ ومن كلام له عليه السلام

وقد سأله ذعلب اليماني فقال : هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين ؟
فقال عليه السلام : أفأعبد ما لا أرى ؟ فقال : وكيف تراه ؟ فقال :

لَا تُدْرِكُهُ ٱلْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ ٱلْعِيَانِ ، وَلٰكِنْ تُدْرِكُهُ ٱلْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ ٱلْإِيمَانِ . قَرِيبٌ مِنَ ٱلْأَشْيَاءِ غَيْرَ مُلَابِسٍ ، بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرَ مُبَايِنٍ ، مُتَكَلِّمٌ لَا بِرَوِيَّةٍ[٢٢٦٤] ، مُرِيدٌ لَا بِهِمَّةٍ[٢٢٦٥] ، صَانِعٌ لَا بِجَارِحَةٍ[٢٢٦٦] . لَطِيفٌ لَا يُوصَفُ بِٱلْخَفَاءِ ، كَبِيرٌ لَا يُوصَفُ بِٱلْجَفَاءِ[٢٢٦٧] ، بَصِيرٌ لَا يُوصَفُ بِٱلْحَاسَّةِ ، رَحِيمٌ لَا يُوصَفُ بِالرِّقَّةِ . تَعْنُو[٢٢٦٨] ٱلْوُجُوهُ لِعَظَمَتِهِ ،

٧٠٦ـ بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ١٧٥، ط كمپاني وص ١٦٥، ط تبريز.

وَتَجِبُ الْقُلُوبُ(٢٢٦٩) مِنْ مَخَافَتِهِ .

١٨٠ — وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في ذم العاصين من أصحابه

أَحْمَدُ اللهَ عَلَىٰ مَا قَضَىٰ مِنْ أَمْرٍ ، وَقَدَّرَ مِنْ فِعْلٍ ، وَعَلَىٰ ابْتِلَائِي بِكُمْ أَيَّتُهَا الْفِرْقَةُ الَّتِي إِذَا أَمَرْتُ لَمْ تُطِعْ ، وَإِذَا دَعَوْتُ لَمْ تُجِبْ . إِنْ أُمْهِلْتُمْ(٢٢٧٠) خُضْتُمْ ، وَإِنْ حُورِبْتُمْ خُرْتُمْ(٢٢٧١) . وَإِنِ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَىٰ إِمَامٍ طَعَنْتُمْ ، وَإِنْ أُجِئْتُمْ إِلَىٰ مُشَاقَّةٍ(٢٢٧٢) نَكَصْتُمْ(٢٢٧٣) . لَا أَبَا لِغَيْرِكُمْ(٢٢٧٤) ! مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ وَالْجِهَادِ عَلَىٰ حَقِّكُمْ ؟ الْمَوْتَ أَوِ الذُّلَّ لَكُمْ ؟ فَوَاللهِ لَئِنْ جَاءَ يَوْمِي — وَلَيَأْتِيَنِّي — لَيُفَرِّقَنَّ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأَنَا لِصُحْبَتِكُمْ قَالٍ(٢٢٧٥) ، وَبِكُمْ غَيْرُ كَثِيرٍ(٢٢٧٦) . لِلَّهِ أَنْتُمْ ! أَمَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ ! وَلَا حَمِيَّةٌ تَشْحَذُكُمْ(٢٢٧٧) ! أَوَلَيْسَ عَجَباً أَنَّ مُعَاوِيَةَ يَدْعُو الْجُفَاةَ(٢٢٧٨) الطَّغَامَ(٢٢٧٩) فَيَتَّبِعُونَهُ عَلَىٰ غَيْرِ مَعُونَةٍ(٢٢٨٠) وَلَا عَطَاءٍ ، وَأَنَا أَدْعُوكُمْ — وَأَنْتُمْ تَرِيكَةُ الْإِسْلَامِ(٢٢٨١) ، وَبَقِيَّةُ النَّاسِ — إِلَىٰ الْمَعُونَةِ أَوْ طَائِفَةٍ مِنَ الْعَطَاءِ ، فَتَفَرَّقُونَ عَنِّي وَتَخْتَلِفُونَ عَلَيَّ ؟ إِنَّهُ لَا يَخْرُجُ إِلَيْكُمْ مِنْ أَمْرِي رِضًى فَتَرْضَوْنَهُ ، وَلَا سُخْطٌ فَتَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ ؛ وَإِنَّ أَحَبَّ مَا أَنَا لَاقٍ إِلَيَّ الْمَوْتُ ! قَدْ دَارَسْتُكُمُ الْكِتَابَ(٢٢٨٢) ، وَفَاتَحْتُكُمْ

ٱلْحِجَاجَ(٢٢٨٣) ، وَعَرَّفْتُكُمْ مَا أَنْكَرْتُمْ ، وَسَوَّغْتُكُمْ(٢٢٨٤) مَا مَجَجْتُمْ ، لَوْ كَـانَ ٱلْأَعْمَىٰ يَلْحَظُ ، أَوِ النَّائِـمُ يَسْتَيْقِظُ ! وَأَقْرِبْ بِقَوْمٍ(٢٢٨٥) مِنَ ٱلْجَهْلِ بِٱللهِ قَائِدُهُمْ مُعَاوِيَةُ ! وَمُؤَدِّبُهُمُ ٱبْنُ ٱلنَّابِغَةِ(٢٢٨٦) !

توضيح: «على ماقضى من أمر» قيل: الأمر أعمّ من أن يكون فعلاً. ولمّا كان القدر هو تفصيل القضاء وإيجاد الأشياء على وفقه قال: و«قدّر من فعل». و«الابتلاء» الامتحان. و«أمهله» أي رفق به وأخّره؛ وفي بعض النسخ: «أهملتم» أي تركتم. «خضتم» أي في الضلالة والأهواء الباطلة. «خرتم» بالخاء، من «الخور» بمعنى الضعف، أو من «خوار الثور» بمعنى الصياح؛ و يروى بالجيم، أي عدلتم عن الحقّ أو عن الحرب فراراً. قوله ــ عليه السلام ــ «أُجئتم» قال ابن أبي الحديد[٧٠٧] بالهمزة الساكنة بعد الجيم المكسورة، أي أُلجئتم، قال ــ تعالى ــ : «فَأَجَاءَهَا ٱلْمَخَاضُ» [٧٠٨].وفي بعض النسخ: «أجبتم» على بناء المعلوم بالباء. و«المشاقّة» المقاطعة والمصارمة. و«النكوص» الرجوع إلى ماوراء.

قوله ــ عليه السلام ــ «لا أبالغيركم» قال ابن ميثم: أصله «لاأب» والألف مزيدة إما لاستثقال توالي أربع حركات، أو لأنهم قصدوا الإضافة وأتوا باللام للتاكيد.[٧٠٩] وفي الدعاء بالذلّ لغيرهم نوع تلطّف لهم.

قوله ــ عليه السلام ــ «الموت أو الذلّ» في أكثر النسخ برفعها، وفي بعضها بالنصب. قال ابن أبي الحديد: دعاء عليهم بأن يصيبهم أحد الأمرين، كأنّه شرع داعياً عليهم بالفناء الكلّيّ وهو الموت، ثمّ استدرك فقال: «أو الذلّ» لأنّه نظير الموت. ولقد أُجيب دعاؤه ــ عليه السلام ــ بالدعوة الثانية، فإنّ شيعته ذلّوا بعده في الأيّام الأمويّة.[٧١٠]

٧٠٧- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٠، ص ٦٨، ط بيروت.
٧٠٨- مريم: ٢٣.
٧٠٩- شرح النهج لابن ميثم، ج ٣، ص ٣٧٦.
٧١٠- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٠، ص ٦٩، ط بيروت.

أقول: هذا على الرفع ظاهر، وأمّا على النصب فيحتمل الدعاء أيضاً بتقدير «أرجو» أو «أطلب». ويحتمل الاستفهام، أي أتنتظرون الموت؟ وقيل في قوله ـ عليه السلام ـ «وليأتيني» حشوة لطيفة بين الكلام، لأنّ لفظ «إن» أكثر مايستعمل لما لايعلم حصوله، فأتي بعدها بما يردّ ماتقتضيه من الشكّ في إتيان الموت وأشعر بأنّ الموضع موضع إذا. و«القالي» المبغض.

قوله ـ عليه السلام ـ «غير كثير» أي لستم سبب كثرة أعواني. و«لله أنتم» من قبيل لله أبوك، ولعلّه هنا للتعجّب على سبيل الذمّ، ويحتمل المدح تلطّفاً. وارتفاع قوله «دين» بفعل مقدّر يفسّره الفعل المذكور بعده. و«شحذت النصل» حددته. و«الطغام» أراذل الناس، الواحد والجمع سواء. و«معونة الجند» شيء يسير من المال يعطيهم الوالي لترميم أسلحتهم وإصلاح دوابّهم سوى العطاء المفروض في كلّ شهر، كما قيل. ومنشأ تعجّبه ـ عليه السلام ـ أمور:

أحدها: أنّ الداعي لهم معاوية، ولهؤلاء أمير المؤمنين، وكيف يساوى عاقل بينهما؟

وثانيها: أنّ المدعوّ هناك الجفاة الطغام مع خلوّهم غالباً عن الحميّة والمروّة، وههنا أصحابه الّذين هم تريكة الإسلام.

وثالثها: أنّ أصحاب معاوية يتّبعونه على غير معونة ولا عطاء، وأصحابه ـ عليه السلام ـ لايجيبونه إلى المعونة والعطاء، فإنّ معاوية إنّما كان يعطي رؤساء القبائل الأموال الجليلة ولايعطي الجند على وجه العطاء والمعونة شيئاً وهم كانوا يطيعون الرؤساء للحميّة أو العطايا من هؤلاء لهم.

و«التريكة» بيضة النعامة تتركها في مجثمها، أي أنتم خلف الإسلام وبقيّته كالبيضة الّتي تركها النعامة. وقوله ـ عليه السلام ـ «إلى المعونة» متعلق بـ «أدعوكم». قوله ـ عليه السلام ـ «لايخرج إليكم» أي إنكم لا تقبلون ممّا أقول لكم شيئاً سواء كان ممّا يرضيكم أو ممّا يسخطكم. و«إليّ» متعلّق بقوله «أحبّ». و«درس الكتاب» ـ كنصر وضرب ـ أي قرأ، فقوله «دارستكم الكتاب» أي قرأته

عليكم للتعليم، وقرأتم عليّ للتعلّم. قوله ـ عليه السلام ـ «وفاتحتكم» أي حاكمتكم بالمحاجّة والمجادلة. و«ساغ الشراب في الحلق» أي دخل بسهولة و«مججته من فيّ» أي رميت به، أي بيّنت لكم الأمور الدينيّة ماكنتم تنكرونه بآرائكم، وأعطيتكم من العطايا ماكنتم محرومين منها. وكلمة «لو» في قوله ـ عليه السلام ـ «لوكان» للتمنّي، أو الجزاء محذوف. وقوله ـ عليه السلام ـ «وأقرب بقوم» صيغة التعجّب، أي ما أقربهم إلى الجهل! وقوله ـ عليه السلام ـ «قائدهم معاوية» صفة لـ «قوم» فصّل بين الصفة والموصوف بالجارّ والمجرور، وهو مجوّز، وورد مثله في الكلام المجيد.[٧١١]

١٨١ ـ ومن كلام له عليه السلام

وقد أرسل رجلاً من أصحابه ، يعلم له علم أحوال قوم من جند الكوفة ، قد هموا باللحاق بالخوارج ، وكانوا على خوف منه عليه السلام ، فلما عاد إليه الرجل قال له : «أأمِنُوا فَقَطَنُوا[٢٢٨٧]، أم جبنوا فَظَعَنُوا[٢٢٨٨] ؟» فقال الرجل : بل ظَعَنُوا يا أمير المؤمنين . فقال عليه السلام :

«بُعْداً لَهُمْ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ» ! أَمَا لَوْ أُشْرِعَتِ[٢٢٨٩] ٱلأَسِنَّةُ إِلَيْهِمْ ، وَصُبَّتِ ٱلسُّيُوفُ عَلَىٰ هَامَاتِهِمْ[٢٢٩٠] ، لَقَدْ نَدِمُوا عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْهُمْ . إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ ٱلْيَوْمَ قَدِ ٱسْتَفَلَّهُمْ[٢٢٩١] ، وَهُوَ غَداً مُتَبَرِّىءٌ مِنْهُمْ ، وَمُتَخَلٍّ عَنْهُمْ . فَحَسْبُهُمْ بِخُرُوجِهِمْ[٢٢٩٢] مِنَ ٱلْهُدَىٰ ، وَٱرْتِكَاسِهِمْ[٢٢٩٣] فِي ٱلضَّلَالِ وَٱلْعَمَىٰ ، وَصَدِّهِمْ[٢٢٩٤] عَنِ ٱلْحَقِّ ، وَجِمَاحِهِمْ[٢٢٩٥] فِي ٱلتِّيهِ[٢٢٩٦]

٧١١ـ بحار الأنوار الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٨٧، ط كمباني وص ٦٣٥، ط تبريز.

بيان: «قطن بالمكان» أقام. و قوله ـ عليه السلام ـ «بعداً» منصوب على المصدر، و هو ضدّ القرب والهلاك. قوله ـ عليه السلام ـ «قد استفلّهم» في بعض النسخ بالقاف، أي حلمهم، أو اتّخذهم قليلاً، و سهل عليه أمرهم؛ و في أكثر النسخ بالفاء، أي وجدهم فلّاً لاخير فيهم، أومفلولين منهزمين؛ و في بعضها «استفزّهم» أي استخفّهم؛ و في بعضها «استقبلهم» أي قبلهم. والمراد بالغد اليوم الّذي تصبّ السيوف على هاماتهم، أو يوم القيامة. و قال الجوهريّ: «الرّكس» ردّ الشيء مقلوباً، و ارتكس فلان في أمركان قد نجا منه. و «جمح الفرس» ـ كمنع ـ اعتزّ فارسه و غلبه. و «التيه» المفازة والضلال.[712]

١٨٢ ـ ومن خطبة له عليه السلام

روي عن نوف البكالي قال: خطبنا بهذه الخطبة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بالكوفة وهو قائم على حجارة، نصبها له جعدة بن هبيرة المخزومي، وعليه مِدْرَعَةٌ من صُوف[2297] وحمائلُ سيفه لِيفٌ، وفي رجليه نعلان من لِيفٍ، وكأنّ جبينه ثَفِنَةُ[2298] بعير. فقال عليه السلام :

حمد الله و استعانته

اَلْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي إِلَيْهِ مَصَائِرُ الْخَلْقِ ، وَعَوَاقِبُ الْأَمْرِ . نَحْمَدُهُ عَلَىٰ عَظِيمِ إِحْسَانِهِ، وَنَيِّرِ بُرْهَانِهِ ، وَنَوَامِي[2299] فَضْلِهِ وَامْتِنَانِهِ، حَمْداً يَكُونُ لِحَقِّهِ قَضَاءً، وَلِشُكْرِهِ أَدَاءً، وَإِلَىٰ ثَوَابِهِ مُقَرِّباً، وَلِحُسْنِ مَزِيدِهِ مُوجِباً . وَنَسْتَعِينُ بِهِ اسْتِعَانَةَ رَاجٍ لِفَضْلِهِ ، مُؤَمِّلٍ لِنَفْعِهِ ، وَاثِـق

٧١٢ـ بحار الأنوار الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٠٨، ط كمپاني وص ٥٦٠، ط تبريز

بِدَفْعِهِ ، مُعْتَرِفٍ لَهُ بِالطَّوْلِ (٢٣٠٠) ، مُذْعِنٍ لَهُ بِالْعَمَلِ وَالْقَوْلِ . وَنُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانَ مَنْ رَجَاهُ مُوقِناً ، وَأَنَابَ إِلَيْهِ مُؤْمِناً ، وَخَنَعَ (٢٣٠١) لَهُ مُذْعِناً ، وَأَخْلَصَ لَهُ مُوَحِّداً ، وَعَظَّمَهُ مُمَجِّداً ، وَلَاذَ بِهِ رَاغِباً مُجْتَهِداً .

اللّه الواحد

لَمْ يُولَدْ سُبْحَانَهُ فَيَكُونَ فِي الْعِزِّ مُشَارَكاً ، وَلَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْرُوثاً هَالِكاً. وَلَمْ يَتَقَدَّمْهُ وَقْتٌ وَلَا زَمَانٌ ، وَلَمْ يَتَعَاوَرْهُ زِيَادَةٌ وَلَا نُقْصَانٌ (٢٣٠٢) ، بَلْ ظَهَرَ لِلْعُقُولِ بِمَا أَرَانَا مِنْ عَلَامَاتِ التَّدْبِيرِ الْمُتْقَنِ ، وَالْقَضَاءِ الْمُبْرَمِ . فَمِنْ شَوَاهِدِ خَلْقِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ مُوَطَّدَاتٍ (٢٣٠٣) بِلَا عَمَدٍ ، قَائِمَاتٍ بِلَا سَنَدٍ . دَعَاهُنَّ فَأَجَبْنَ طَائِعَاتٍ مُذْعِنَاتٍ ، غَيْرَ مُتَلَكِّئَاتٍ (٢٣٠٤) وَلَا مُبْطِئَاتٍ ؛ وَلَوْلَا إِقْرَارُهُنَّ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَإِذْعَانُهُنَّ بِالطَّوَاعِيَةِ ، لَمَا جَعَلَهُنَّ مَوْضِعاً لِعَرْشِهِ ، وَلَا مَسْكَناً لِمَلَائِكَتِهِ ، وَلَا مَصْعَداً لِلْكَلِمِ الطَّيِّبِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ مِنْ خَلْقِهِ . جَعَلَ نُجُومَهَا أَعْلَاماً يَسْتَدِلُّ بِهَا الْحَيْرَانُ فِي مُخْتَلِفِ فِجَاجِ الْأَقْطَارِ . لَمْ يَمْنَعْ ضَوْءَ نُورِهَا ادْلِهْمَامُ (٢٣٠٥) سُجُفِ (٢٣٠٦) اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ، وَلَا اسْتَطَاعَتْ جَلَابِيبُ (٢٣٠٧) سَوَادِ الْحَنَادِسِ (٢٣٠٨) أَنْ تَرُدَّ مَا شَاعَ (٢٣٠٩) فِي السَّمَاوَاتِ مِنْ تَلَأْلُؤِ نُورِ الْقَمَرِ . فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ سَوَادُ غَسَقٍ دَاجٍ (٢٣١٠) ، وَلَا لَيْلٍ سَاجٍ (٢٣١١) ،

فِي بِقَاعِ ٱلْأَرَضِينَ ٱلْمُتَطَأْطِئَاتِ (٢٣١٢) ، وَلَا فِي يَفَاعِ السُّفْعِ (٢٣١٣) ٱلْمُتَجَاوِرَاتِ ؛ وَمَا يَتَجَلْجَلُ بِهِ الرَّعْدُ (٢٣١٤) فِي أُفُقِ السَّمَاءِ ، وَمَا تَلَاشَتْ (٢٣١٥) عَنْهُ بُرُوقُ ٱلْغَمَامِ ، وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ تُزِيلُهَا عَنْ مَسْقَطِهَا عَوَاصِفُ ٱلْأَنْوَاءِ (٢٣١٦) وَٱنْهِطَالُ السَّمَاءِ (٢٣١٧) ! وَيَعْلَمُ مَسْقَطَ ٱلْقَطْرَةِ وَمَقَرَّهَا ، وَمَسْحَبَ الذَّرَّةِ وَمَجَرَّهَا ، وَمَا يَكْفِي ٱلْبَعُوضَةَ مِنْ قُوتِهَا ، وَمَا تَحْمِلُ ٱلْأُنْثَىٰ فِي بَطْنِهَا .

بيان: «البكاليّ» بفتح الباء و تخفيف الكاف، منسوب إلى «بكال» قبيلة؛ كذا ذكره الجوهريّ. و قال الراونديّ ــ رحمه الله ــ : منسوب إلى «بكالة» و هو اسم حيّ من همدان. و قال ابن أبي‌الحديد: إنّما هو «بكال» بكسر الباء، اسم حيّ من حمير[٧١٣]. و «الثفنة» بكسر الفاء من البعير، الركبة. «المصائر» جمع «المصير» و هو مصدر «صار إلى كذا» و معناه المرجع، قال ــ تعالى ــ : «وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ»[٧١٤].

قوله ــ عليه السلام ــ «مذعن له» من «أذعن له» أي خضع و ذلّ. و «الخنوع» أيضاً الخضوع والذلّ. قوله ــ عليه السلام ــ «ولا زمان» تأكيد للوقت، و قيل: الوقت جزء الزمان، و يمكن حمل أحدهما على الموجود والآخر على الموهوم. و «التعاور» التناوب؛ و يقال: «أبرم الأمر» أي أحكمه.

قوله ــ عليه السلام ــ «موطّلات» أي مثبتات.[٧١٥]

قوله ــ عليه السلام ــ «ولو لا إقرارهنّ» قيل: إقرارهنّ له بالربوبيّة راجع إلى شهادة حالهنّ بالإمكان والحاجة إلى الربّ والانقياد لحكم قدرته، و ظاهر أنّه لو لا إمكانها و انفعالها عن قدرته و تدبيره لم يكن فيها عرش و لم يكن أهلاً لسكنى

٧١٣- وفي القاموس: «بنى بكال» ــ ككتاب ــ بطن من حمير منهم نوف بن فضالة التابعي.

٧١٤- آل عمران: ٢٨، النور: ٤٢ و الفاطر: ١٨.

٧١٥- في مداراتها على ثقل أجرامها.

الملائكة، و صعود الكلم الطيّب والأعمال الصالحة، و لفظ الدعاء والإقرار والإذعان مستعارة. و ربّما يقال: إنّها محمولة على الحقيقة نظراً إلى أنّ لها أرواحاً. و «الادلهمام» شدّة ظلمة الليل. و «السجف» الستر. و «الحندس من الليل» الشديد الظلمة. و «المتطاطي» المنخفض. و «اليفاع» ما ارتفع من الأرض. و «السفع» الجبال، و سمّاها سفعاً لأنّ السفعة سواد مشرب حمرة، و كذلك لونها في الأكثر. و «التجلجل» صوت الرعد.

قوله ــ عليه السلام ــ «و ما تلاشت عنه» قال ابن أبي الحديد: قال ابن الأعرابي: «لشأ الرجل» إذا اتّضع و خسّ بعدرفعه، و إذا صحّ أصلها صحّ استعمال الناس «تلاشي» بمعنى اضمحلّ. و قال القطب الراونديّ: «تلاشي» مركّب من لاشيء، و لم يقف على أصل الكلمة أي يعلم ما يصوت به الرعد و يعلم ما يضمحلّ عنه البرق. فإن قلت: هو ــ سبحانه ــ عالم بما يضيئه البرق و بما لايضيئه فَلم خصّ ــ عليه السلام ــ ما يتلاشي عنه البرق؟ قلت: لأنّ علمه بماليس يضيء أعجب و أغرب لأنّ ما يضيئه البرق يمكن أن يعلمه أولوا الأبصار الصحيحة.[٧١٦]

قوله ــ عليه السلام ــ «عواصف الأنواء»، «الأنواء» جمع «نوء» و هو سقوط نجم من منازل القمر الثّمانية والعشرين في المغرب مع الفجر، و طلوع رقيبه من المشرق مقابلاً له من ساعته، و مدّة النوء ثلاثة عشر يوماً إلّا الجبهة فإنّ لها أربعة عشر يوماً، و إنّما سمّي نوءاً لأنّه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالمشرق أي نهض و طلع؛ و قيل: أراد بالنوء الغروب و هومن الأضداد. قال أبوعبيدة: و لم يسمع في النوء أنّه السقوط إلاّ في هذا الموضع. و إنّما أضاف العواصف إليها لأنّ العرب تضيف الرياح والأمطار والحرّ والبرد إلى الساقط منها، أولأنّ أكثر ما يكون عصفاً فيها. و «الانهطال» الانصباب. و «سحبه» ــ كمنعه ــ جرّه على وجه الأرض، و أكل و شرب أكلاً و شرباً شديداً.[٧١٧]

٧١٦- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٠، ص ٨٧، ط بيروت.

٧١٧- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٤، كتاب التوحيد، ص ٣١٥ ــ ٣١٦.

توضيح: المراد بشواهد الخلق آيات الابداع و علامات التدبير المحكم، أو ما يشهد من الخلق بوجوده ـ سبحانه ـ و تدبيره و علمه، أو ماحضر من خلقه أي ظهر وجوده بحيث لا يمكن لأحد إنكاره من علامات التدبير. و «وطدت ـ كوعدت ـ أطدُها طدة و وطّدتها توطيداً» إذا أثبتها بالوطء أوغيره حتّى تتصلّب، و «توطيد السماوات» إحكام خلقها و إقامتها في مقامها على وفق الحكمة. و «العمد» بالتحريك، جمع «عماد» بالكسر، و هو ما يسندبه، أوجمع «عمود». و «السند» بالتحريك، ما استندت إليه و اتكأت من حائط و غيره. و «الطائع» المنقاد السلس. و «أذعن» أي انقاد و لم يستعص. و «تلكأ» أي توقّف واعتلّ. و «الطواعية» ـ كثمانية ـ الطاعة و لعلّ المراد بالملائكة المقرّبون أو الأكثر، لأنّ منهم من يسكن الهواء والأرض والماء، و صعود الكلم الطيّب والعمل الصالح صعود الكتبة بصحائف أعمال العباد إلى السماوات، و فيه إشارة إلى قوله ـ سبحانه ـ: «إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ» ٧١٨؛ و إجابتهنّ إشارة إلى قوله ـ تعالى ـ: «ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ» ٧١٩، و قدمرّ الكلام في تأويل الآية. و قيل: هنا إقرارهنّ بالربوبيّة له راجع إلى شهادة حال الممكن للحاجة إلى الربّ والانقياد لحكم قدرته، و ظاهر أنّه لولا إمكانها و انفعالها عن قدرته و تدبيره لم يكن فيها عرش و لم يكن مسكناً للملائكة ولا مصعداً للكلم الطيّب والعمل الصالح من الخلق. (انتهى). و أمّا تخصيصه ـ عليه السلام ـ السماوات بالطاعة مع اشتراك الأرض لها في ذلك في الآية فلعلّه لكونها أكثر طاعة لكون مادّتها أقبل أولشرفها. و «العلم» بالتحريك، ما يهتدى به. و «المختلف» الاختلاف أي التردّد، أوموضعه، أوهومن المخالفة. و «الفجّ» الطريق الواسع بين جبلين. و «القطر» الجانب و الناحية، فالمعنى: يستدلّ بها الحيارى في التردّد في فجاج الأقطار، أو في اختلاف الفجاج الموجودة في الأقطار، و ذهاب كلّ منها إلى جهة غير ما يذهب إليه الآخر

٧١٨- الفاطر: ١٠. ٧١٩- فصّلت: ١١.

كاختلاف القوم في الآراء. و «السجف» بالكسر و بالفتح، الستر. و «الجلباب» بالكسر، ثوب واسع تغطي به المرأة ثيابها كالملحفة، و قيل: هو الخمار، و قيل: القميص. و «الحندس» ــ كزبرج ــ الشديد الظلمة. و «شاع الشيء يشيع» أي ظهر وذاع و فشا. و «تلألأ القمر والبرق» أي لمع.[٧٢٠]

عود الى الحمد

وَٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلْكَائِنِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ كُرْسِيٌّ أَوْ عَرْشٌ، أَوْ سَمَاءٌ أَوْ أَرْضٌ، أَوْ جَانٌّ أَوْ إِنْسٌ. لَا يُدْرَكُ بِوَهْمٍ[٢٣١٨]، وَلَا يُقَدَّرُ بِفَهْمٍ، وَلَا يَشْغَلُهُ سَائِلٌ[٢٣١٩]، وَلَا يَنْقُصُهُ نَائِلٌ[٢٣٢٠]، وَلَا يَنْظُرُ بِعَيْنٍ، وَلَا يُحَدُّ بِأَيْنٍ[٢٣٢١]، وَلَا يُوصَفُ بِٱلْأَزْوَاجِ[٢٣٢٢]، وَلَا يُخْلَقُ بِعِلَاجٍ[٢٣٢٣]، وَلَا يُدْرَكُ بِٱلْحَوَاسِّ، وَلَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ. ٱلَّذِي كَلَّمَ مُوسَىٰ تَكْلِيماً، وَأَرَاهُ مِنْ آيَاتِهِ عَظِيماً؛ بِلَا جَوَارِحَ وَلَا أَدَوَاتٍ، وَلَا نُطْقٍ وَلَا لَهَوَاتٍ[٢٣٢٤]. بَلْ إِنْ كُنْتَ صَادِقاً أَيُّهَا ٱلْمُتَكَلِّفُ[٢٣٢٥] لِوَصْفِ رَبِّكَ، فَصِفْ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَجُنُودَ ٱلْمَلَائِكَةِ ٱلْمُقَرَّبِينَ، فِي حُجُرَاتِ[٢٣٢٦] ٱلْقُدُسِ مُرْجَحِنِّينَ[٢٣٢٧]، مُتَوَلِّهَةً[٢٣٢٨] عُقُولُهُمْ أَنْ يَحُدُّوا أَحْسَنَ ٱلْخَالِقِينَ. فَإِنَّمَا يُدْرَكُ بِالصِّفَاتِ ذَوُو ٱلْهَيْئَاتِ وَٱلْأَدَوَاتِ، وَمَنْ يَنْقَضِي إِذَا بَلَغَ أَمَدَ حَدِّهِ بِٱلْفَنَاءِ. فَلَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ، أَضَاءَ بِنُورِهِ كُلَّ ظَلَامٍ، وَأَظْلَمَ بِظُلْمَتِهِ كُلَّ نُورٍ.

بيان: قوله ــ عليه السلام ــ «ولا يشغله سائل» أي عن سائل آخر. و

٧٢٠ــ بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٥٨، كتاب السماء والعالم، ص ٩٥.

«النّائل» العطاء أي لاينقص خزائنه عطاء. قوله ــ عليه السلام ــ «لايوصف بالأزواج» أي بالأمثال أو الأضداد أو بصفات الأزواج، أوليس فيه تركّب و ازدواج أمرين كمامرّ تحقيقه، أو بأنّ له صاحبة.

قوله ــ عليه السلام ــ «تكليماً» مصدر للتأكيد لإزالة توهّم السامع التجوّز في كلامه ــ تعالى ــ، و المراد بالآيات إمّا الآيات التسع أو الآيات الّتي ظهرت عند التكليم من سماع الصوت من الجهات الستّ و غيره؛ و يويّد الثاني قوله ــ عليه السلام ــ «بلا جوارح...» إلى قوله «ولا لهوات» إذ الظاهر تعلّقه بالتكليم، و يحتمل تعلّقه بالجميع على اللفّ والنشر غير المرتّب.

قوله ــ عليه السلام ــ «مرجحنّين» أي مائلين إلى جهة التحت خضوعاً لجلال الباري ــ عزّ سلطانه ــ و يحتمل أن يكون كناية عن عظمة شأنهم و رزانة قدرهم أوعن نزولهم وقتاً بعد وقت بأمره ــ تعالى ــ، قال الجزريّ: «ارجحنّ الشيء» إذا مال من ثقله و تحرّك. قوله ــ عليه السلام ــ «أمد حدّه» الإضافة بيانيّة، و حمل الحدّ على النّهايات والأطراف بعيد جدّاً.

قوله ــ عليه السلام ــ «أضاء بنوره كلّ ظلام» الظلام إمّا محسوس فإضاءته بأنوار الكواكب والنيّرين، أو معقول و هو ظلام الجهل فإضاءته بأنوار العلم والشرائع. قوله «و أظلم بظلمته كلّ نور» إذا جميع الأنوار المحسوسة أو المعقولة مضمحلّة في نور علمه، و ظلام بالنسبة إلى نور براهينه في جميع مخلوقاته الكاشفة عن وجوده.

و قال ابن أبي الحديد: تحت قوله ــ عليه السلام ــ معنى دقيق و سرّ خفيّ و هو أنّ كلّ رذيلة في الخلق البشريّ غير مخرجة عن حدّ الإيمان مع معرفته بالأدلّة البرهانيّة غير مؤثّرة نحو أن يكون العارف بخيلاً أوجباناً، و كلّ فضيلة مع الجهل به ــ سبحانه ــ ليست بفضيلة في الحقيقة، لأنّ الجهل به يكشف تلك الأنوار نحو أن يكون الجاهل به جواداً أو شجاعاً. و يمكن أن يكون الظلام والنور كنايتين عن الوجود والعدم، و يحتمل على بعد أن يكون الضمير في قوله «بظلمته» راجعاً إلى كلّ نور

لتقدّمه رتبةً فيرجع حاصل الفقرتين حينئذ إلى أنّ النور هو ماينسب إليه ـتعالى ـ فبتلك الجهة نور، و أمّا الجهات الراجعة إلى الممكنات فكلّها ظلمة. ٧٢١

بيان: «التكلّف» التجشّم و ارتكاب الشيء على مشقّة. و «حجرة القوم» بالفتح، ناحية دارهم، والجمع «حجرات» كجمرة و جمرات؛ و في بعض النسخ: «حجرات» بضمّتين، جمع «حجرة» بالضمّ و هي الغرفة، و قيل: الموضع المنفرد. و «ارجحنّ الشيء» ـ كاقشعر ـ أي مال من ثقله و تحرّك. قال في النهاية: أورد الجوهريّ هذا الحرف في حرف النون على أنّ النونين أصليّة، و غيره يجعلها زائدة من «رجح الشيء» ـ كمنع ـ إذا ثقل. قال ابن أبي الحديد: أي مائلين إلى جهة التحت خضوعاً للّه ـ سبحانه ـ. و قال الكيدريّ: «الارجحنان» الميل، و «ارجحنّ الشيء» اهتزّ. (انتهى). و لعلّ المراد بحجرات القدس المواضع المعدّة لهم في السماوات، و هي محالّ القدس والتنزّه عن المعاصي و رذائل الأخلاق. و «الوله» الحزن والحيرة والخوف، و «متولّهة عقولهم» على صيغة اسم الفاعل، أي محزونة أو حائرة أو خائفة؛ و في بعض النسخ على صيغة اسم المفعول، والأوّل أظهر. «أن يحدّوا أحسن الخالقين» أي يدركوه بكنهه أي يدركوا مبلغ قدرته و علمه، أو مقدار عظمته. ٧٢٢

الوصية بالتقوى

أُوصِيكُمْ عِبَادَ ٱللهِ بِتَقْوَىٰ ٱللهِ ٱلَّذِي أَلْبَسَكُمُ ٱلرِّيَاشَ (٢٣٢٩) ، وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَعَاشَ ؛ فَلَوْ أَنَّ أَحَداً يَجِدُ إِلَىٰ ٱلْبَقَاءِ سُلَّماً ، أَوْ لِدَفْعِ ٱلْمَوْتِ سَبِيلاً ، لَكَانَ ذٰلِكَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ٱلَّذِي سُخِّرَ لَهُ مُلْكُ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنْسِ ، مَعَ ٱلنُّبُوَّةِ وَعَظِيمِ ٱلزُّلْفَةِ. فَلَمَّا ٱسْتَوْفَى طُعْمَتَهُ (٢٣٣٠) ،

٧٢١- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٤، كتاب التوحيد، ص ٣١٣.
٧٢٢- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٥٩، كتاب السماء والعالم، ص ١٩٣.

وَٱسْتَكْمَلَ مُدَّتَهُ ، رَمَتْهُ قِسِيُّ ٱلْفَنَاءِ بِنِبَالِ ٱلْمَوْتِ ، وَأَصْبَحَتِ الدِّيَارُ مِنْهُ خَالِيَةً ، وَٱلْمَسَاكِنُ مُعَطَّلَةً ، وَوَرِثَهَا قَوْمٌ آخَرُونَ . وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْقُرُونِ السَّالِفَةِ لَعِبْرَةً !

أَيْنَ ٱلْعَمَالِقَةُ وَأَبْنَاءُ ٱلْعَمَالِقَةِ ! أَيْنَ ٱلْفَرَاعِنَةُ وَأَبْنَاءُ ٱلْفَرَاعِنَةِ ! أَيْنَ أَصْحَابُ مَدَائِنِ الرَّسِّ ٱلَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيِّينَ ، وَأَطْفَؤُوا سُنَنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ، وَأَحْيَوْا سُنَنَ ٱلْجَبَّارِينَ ! أَيْنَ ٱلَّذِينَ سَارُوا بِٱلْجُيُوشِ ، وَهَزَمُوا بِٱلْأُلُوفِ ، وَعَسْكَرُوا ٱلْعَسَاكِرَ ، وَمَدَّنُوا ٱلْمَدَائِنَ !

ومنها : قَدْ لَبِسَ لِلْحِكْمَةِ جُنَّتَهَا (٢٢٣١) ، وَأَخَذَهَا بِجَمِيعِ أَدَبِهَا ، مِنَ ٱلْإِقْبَالِ عَلَيْهَا ، وَٱلْمَعْرِفَةِ بِهَا ، وَٱلتَّفَرُّغِ لَهَا ؛ فَهِيَ عِنْدَ نَفْسِهِ ضَالَّتُهُ ٱلَّتِي يَطْلُبُهَا ، وَحَاجَتُهُ ٱلَّتِي يَسْأَلُ عَنْهَا . فَهُوَ مُغْتَرِبٌ إِذَا ٱغْتَرَبَ ٱلْإِسْلَامُ ، وَضَرَبَ بِعَسِيبِ ذَنَبِهِ (٢٢٣٢) ، وَأَلْصَقَ ٱلْأَرْضَ بِجِرَانِهِ (٢٢٣٣) بَقِيَّةٌ مِنْ بَقَايَا حُجَّتِهِ ، خَلِيفَةٌ مِنْ خَلَائِفِ أَنْبِيَائِهِ .

بيان: قال ابن أبي‌الحديد: قالت الاماميّة: إنّ المراد به القائم— عليه‌السلام— المنتظر والصوفيّة يزعمون أنّه وليّ اللّه و عندهم أنّ الدنيا لايخلو عن الأبدال و هم أربعون و عن الأوتاد و هم سبعة و عن القطب و هو واحد. والفلاسفة يزعمون أنّ المراد به العارف و عند أهل السنّة هو المهديّ الّذي سيخلق، و قد وقع اتّفاق الفرق من المسلمين على أنّ الدنيا والتكليف لاينقضي إلّا على المهديّ.[٧٢٣]

٧٢٣- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٠، ص ٩٦، ط بيروت.

قوله ـ عليه السلام ـ «فهو مغترب» أي هذا الشخص يخفى نفسه إذا ظهر الفسق و الفجور، و اغترب الاسلام باغتراب العدل والصلاح، و هذا يدلّ على ما ذهبت إليه الامامية. و «العسيب» عظم الذنب أو منبت الشعر منه و إلصاق الأرض بجرانه كناية عن ضعفه و قلّة نفعه فإنّ البعير أقلّ ما يكون نفعه حال بروكه.[٧٢٤]

ثم قال عليه السلام:

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ بَثَثْتُ لَكُمُ الْمَوَاعِظَ الَّتِي وَعَظَ الْأَنْبِيَاءُ بِهَا أُمَمَهُمْ، وَأَدَّيْتُ إِلَيْكُمْ مَا أَدَّتِ الْأَوْصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ، وَأَدَّبْتُكُمْ بِسَوْطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا، وَحَدَوْتُكُمْ بِالزَّوَاجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْسِقُوا(٢٣٣٤). لِلّٰهِ أَنْتُمْ! أَتَتَوَقَّعُونَ إِمَاماً غَيْرِي يَطَأُ بِكُمُ الطَّرِيقَ، وَيُرْشِدُكُمُ السَّبِيلَ؟

أَلَا إِنَّهُ قَدْ أَدْبَرَ مِنَ الدُّنْيَا مَا كَانَ مُقْبِلاً، وَأَقْبَلَ مِنْهَا مَا كَانَ مُدْبِراً، وَأَزْمَعَ التَّرْحَالَ عِبَادُ اللهِ الْأَخْيَارُ، وَبَاعُوا قَلِيلاً مِنَ الدُّنْيَا لَا يَبْقَى، بِكَثِيرٍ مِنَ الْآخِرَةِ لَا يَفْنَى. مَا ضَرَّ إِخْوَانَنَا الَّذِينَ سُفِكَتْ دِمَاؤُهُمْ ـ وَهُمْ بِصِفِّينَ ـ أَلَّا يَكُونُوا الْيَوْمَ أَحْيَاءً؟ يُسِيغُونَ الْغُصَصَ وَيَشْرَبُونَ الرَّنْقَ(٢٣٣٥)! قَدْ ـ وَاللهِ ـ لَقُوا اللهَ فَوَفَّاهُمْ أُجُورَهُمْ، وَأَحَلَّهُمْ دَارَ الْأَمْنِ بَعْدَ خَوْفِهِمْ.

أَيْنَ إِخْوَانِي الَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ، وَمَضَوْا عَلَى الْحَقِّ؟ أَيْنَ عَمَّارٌ(٢٣٣٦)؟

٧٢٤- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٥١، تاريخ الامام الثاني عشر ـ عليه السلام ـ، ص ١١٣.

وَأَيْنَ ابْنُ التَّيِّهانِ (٢٣٣٧) ؟ وَأَيْنَ ذُو الشَّهادَتَيْنِ (٢٣٣٨) ؟ وَأَيْنَ نُظَراؤُهُمْ مِنْ إخْوانِهِمُ الَّذِينَ تَعاقَدُوا عَلَى الْمَنِيَّةِ ، وَأُبْرِدَ بِرُؤُوسِهِمْ (٢٣٣٩) إلَى الْفَجَرَةِ!

قال : ثم ضرب بيده على لحيته الشريفة الكريمة ، فأطال البكاء ، ثم قال عليه السلام :

أوِّهِ (٢٣٤٠) عَلَى إخْوانِي الَّذِينَ تَلَوُا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ ، وَتَدَبَّرُوا الْفَرْضَ فَأَقامُوهُ ، أَحْيَوُا السُّنَّةَ وَأَماتُوا الْبِدْعَةَ . دُعُوا لِلْجِهادِ فَأَجابُوا ، وَوَثِقُوا بِالْقائِدِ فَاتَّبَعُوهُ .

ثم نادى بأعلى صوته :

الْجِهادَ الْجِهادَ عِبادَ اللهِ ! أَلا وَإنِّي مُعَسْكِرٌ فِي يَوْمِي هذا ؛ فَمَنْ أَرادَ الرَّواحَ إلَى اللهِ فَلْيَخْرُجْ !

قال نوفٌ : وعقد للحسين – عليه السلام – في عشرة آلاف ، ولقيس بن سعد – رحمه الله – في عشرة آلاف ، ولأبي أيوب الأنصاري في عشرة آلاف ، ولغيرهم على أعداد أخر ، وهو يريد الرجعة إلى صفين ، فما دارت الجمعة حتى ضربه الملعون ابن ملجم لعنه الله ، فتراجعت العساكر ، فكنا كأغنام فقدت راعيها ، تختطفها الذئاب من كل مكان !

[هذا بيان آخر في شرح الجزء الأخير من الخطبة:]

تبيان: قد مرّ شرح صدر الخطبة في كتاب التوحيد.

و قال في النهاية: «الرياش والريش» ما ظهر من اللباس. و قيل: «الرياش» جمع «الريش» و يقع الرياش على الخصب والمعاش والمال المستفاد. و «أسبغ» أي أكمل و أوسع. و «المعاش والمعيشة» مكسب الإنسان الّذي يعيش به. و «السلّم» – كسكّر – ما يرتقى عليه، و استعمل هنا في الوسيلة. و كون النبوّة والزلفة أي القرب والمنزلة من الوسائل إلى البقاء لاستجابة الدعاء معهما، فهما مظنّتان

للتوصّل إلى البقاء في الباطن كما أنّ السلطنة الكاملة مظنّة لأن تكون وسيلة إليه في الظاهر. و «الطعمة» الرزق المقدّر. و «القسيّ» جمع «القوس». و «النبل» السهام العربيّة لا واحد لها من لفظها. و قال ابن أبي الحديد: «نبال الموت» أسبابه و الإضافة البيانيّة للمبالغة بعيدة.

و «العمالقة» أولاد عمليق أوعملاق بن لاوذبن إرم بن سام بن نوح.[٧٢٥] و «الفراعنة» ملوك مصر. و قد مضى ذكر أصحاب الرسّ. و «عسكروا» أي جمعوا. و «مدّنوا المدائن» أي بنوها.

قوله_ عليه السلام_ «قد لبس للحكمة جنّتها» إشارة إلى القائم_ عليه السلام_ كما ذكره ابن أبي الحديد[٧٢٦] نقلاً عن الإماميّة. و «التفرّغ لها» أي عن العلائق والشواغل. قوله_ عليه السلام_ «ضالّته» إشارة إلى قوله_ عليه السلام_ «الحكمة ضالّة المؤمن». قوله_ عليه السلام_ «فهو مغترب» أي هذا الشخص يخفي نفسه و يخملها إذا ظهر الفسق والجور، و اغترب الإسلام باغتراب العدل والصلاح، و هو إشارة إلى غيبة القائم_ عليه السلام_.

و قال في النهاية في حديث عليّ_ عليه السلام_: إنّه ذكر فتنة فقال: «إذا كان ذلك ضرب يعسوب الدين بذنبه» أي فارق أهل الفتنة و ضرب في الأرض ذاهباً في أهل دينه، و أتباعه يتّبعونه على رأيه و هم الأذناب. و قال الزمخشريّ: الضرب بالذنب هيهنا مثل للإقامة والثبات، يعني يثبت هو و من يتبعه على الدين». و قال الفيروزآباديّ: «العسيب» عظم الذنب، أومنبت الشعر منه، والبعير إذا أعيى و تأذّى ضرب بعسيب ذنبه؛ و إلصاق الأرض بجرانه كناية عن ضعف الإسلام و قلّة نفعه فإنّ البعير أقلّ مايكون نفعه حال بروكه. و «جران البعير» صدره أو مقدّم عنقه.

و «بثّ الخبر» نشره. و «الحداء» سوق الإبل والغناء لها. و «استوثقوا» استجمعوا و انضمّوا. و «الزواجر» النواهي والايعادات. «يطأبكم الطريق» أي

٧٢٥- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٠، ص ٩٣، ط بيروت.
٧٢٦- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٠، ص ٩٦، ط بيروت.

يذهب بكم في سبيل الحقّ. قوله ــ عليه السلام ــ «ما كان مقبلاً» أي الهدى و الرشاد الّذي كان في أيّام الرسول ــ صلّى الله عليه وآله ــ أو في أيّام خلافته ــ عليه السلام ــ، فيكون إشارة إلى قرب ارتحاله ــ عليه السلام ــ من دار الفناء. و «ما كان مدبراً» الضلال والفساد. و «أزمع الأمر» أي عزم عليه. و «الترحال» بالفتح، مبالغة في الرحلة. و كلمة «ما» في «ضرَّ» نافية، و يحتمل الاستفهام على الإنكار، والفاعل «أن لايكونوا». و إساغة الغصص هنا كناية عن كثرة الآلام و مشاهدة المنكرات بحيث صار تجرّع الغصص عادة لهم، أوعن الرضا بقضاء الله. و «الغصّة» ما يعترض في الحلق. و «الرنق» بالفتح والتحريك، الكدر من الماء.

و «عمّار» هو ابن ياسر المعروف، و قدمرّ فضله. و «ابن التيّهان» بالياء المنقوطة باثنتين تحتها المشدّدة المكسورة و قبلها تاء منقوطة باثنتين فوقها، ذكره ابن أبي الحديد، و جوّز فتح الياء أيضاً، والمضبوط في أكثر النسخ بالياء الساكنة و فتح التاء و كسرها معاً. و في القاموس: و «تيهان» و «تيّهان» مشدّدة الياء و يكسر و هو أبوالهيثم و اسمه مالك. و قال ابن أبي الحديد: الصحيح أنّه أدرك صفّين و شهد هامع عليّ ــ عليه السلام ــ و قيل: توفّي في زمن الرسول ــ صلّى الله عليه وآله ــ. و «ذوالشهادتين» هو خزيمة بن ثابت و قصّته مشهورة، يكنّى أبا عمارة؛ شهد بدراً و ما بعدها من المشاهد، و شهد صفّين مع عليّ ــ عليه السلام ــ، فلمّا قتل عمار قاتل حتّى قتل.

قوله ــ عليه السلام ــ «تعاقدوا» أي جعلوا الموت بينهم عقداً، أو بايعوا على الموت؛ و روي «تعاهدوا». و «أُبرد برؤوسهم» من البريد، أي أرسل للبشارة بها. و «الفجرة» أُمراء عسكر الشام. و «أوه» ساكنة الواو مسكورة الهاء، كلمة شكوى و توجّع، و ربّما قلبوا الواو ألفاً فقالوا: «آه من كذا» و «آه على كذا» و ربّما شدّدوا الواو و كسروها و سكنوا الهاء فقالوا: «أوِّه من كذا»، و ربّما حذفوا الهاء مع التشديد و كسروا الواو فقالوا: «أوِّ من كذا» بلامدّ، و قد يقولون: «أوَّه» بالمدّ و التشديد و فتح الواو وسكون الهاء لتطويل الصوت بالشكاية، و ربّما أدخلوا فيه التاء،

تارة يمدّونه و تارة لايمدّونه فيقولون: «أوّتاه و أوّتاه» والاسم منه الآهة بالمدّ، ذكره الجوهريّ و ابن أبي الحديد.[٧٢٧] و «إحكامه» تلاوته كما ينبغي مع رعاية المحسّنات، و التّدبّر في معانيه والعمل بمقتضاه. وأراد بالقائد نفسه ـ عليه السلام ـ. و «الرواح إلى الله» الذهاب إلى الفوز برضوانه، أو إلى لقائه بالشهادة.

و «قيس» هومن أصحاب رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ، كان شجاعاً جواداً من كبار شيعة عليّ ـ عليه السلام ـ، شهد حروبه كلّها، و أبوه سعدبن عبادة كان رئيس الخزرج ولم يبايع أبابكر، و مات على عدم البيعة، والمشهور أنّهم قتلوه لذلك، و أحالوا قتله على الجنّ، و افتروا شعراً من قبل الجنّ كما مرّ. و «أبوأيّوب» هو خالدبن سعدبن كعب الخزرجيّ من بني النجار، شهدالعقبة وبدراً وسائر المشاهد، و عليه نزل رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ حين قدم المدينة، شهد مع أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ مشاهده كلّها، و كان على مقدّمته يوم النهروان. و «الاختطاف» أخذك الشيء بسرعة، و المراد هنا إمّا الأخذ بالنهب و القتل و الإذلال، أو الإغواء و الإضلال.[٧٢٨]

١٨٣ ــ ومن خطبة له عليه السلام

في قدرة الله وفي فضل القرآن وفي الوصية بالتقوى

الله تعالى

اَلْحَمْدُ للهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ، وَالْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ مَنْصَبَةٍ.[٢٣٤١] خَلَقَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ، وَاسْتَعْبَدَ الْأَرْبَابَ بِعِزَّتِهِ، وَسَادَ الْعُظَمَاءَ بِجُودِهِ؛

٧٢٧- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٠، ص ١١٠، ط بيروت.

٧٢٨- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٩٥، ط كمپاني وص ٦٤٣، ط تبريز.

وَهُوَ الَّذِي أَسْكَنَ الدُّنْيَا خَلْقَهُ ، وَبَعَثَ إِلَىٰ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنْسِ رُسُلَهُ ، لِيَكْشِفُوا لَهُمْ عَنْ غِطَائِهَا ، وَلِيُحَذِّرُوهُمْ مِنْ ضَرَّائِهَا ، وَلِيَضْرِبُوا لَهُمْ أَمْثَالَهَا ، وَلِيُبَصِّرُوهُمْ عُيُوبَهَا ، وَلِيَهْجُمُوا(٢٣٤٢) عَلَيْهِمْ بِمُعْتَبَرٍ(٢٣٤٣) مِنْ تَصَرُّفِ(٢٣٤٤) مَصَاحِّهَا(٢٣٤٥) وَأَسْقَامِهَا ، وَحَلَالِهَا وَحَرَامِهَا ، وَمَا أَعَدَّ ٱللهُ لِلْمُطِيعِينَ مِنْهُمْ وَٱلْعُصَاةِ مِنْ جَنَّةٍ وَنَارٍ ، وَكَرَامَةٍ وَهَوَانٍ . أَحْمَدُهُ إِلَىٰ نَفْسِهِ كَمَا ٱسْتَحْمَدَ(٢٣٤٦) إِلَىٰ خَلْقِهِ ، وَجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً ، وَلِكُلِّ قَدْرٍ أَجَلاً ، وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَاباً .

فضل القرآن

منها : فَٱلْقُرْآنُ آمِرٌ زَاجِرٌ ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ . حُجَّةُ ٱللهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ . أَخَذَ عَلَيْهِ مِيثَاقَهُمْ ، وَٱرْتَهَنَ عَلَيْهِمْ أَنْفُسَهُمْ(٢٣٤٧) . أَتَمَّ نُورَهُ ، وَأَكْمَلَ بِهِ دِينَهُ ، وَقَبَضَ نَبِيَّهُ ـ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ وَقَدْ فَرَغَ إِلَىٰ ٱلْخَلْقِ مِنْ أَحْكَامِ ٱلْهُدَىٰ بِهِ . فَعَظِّمُوا مِنْهُ سُبْحَانَهُ مَا عَظَّمَ مِنْ نَفْسِهِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يُخْفِ عَنْكُمْ شَيْئاً مِنْ دِينِهِ ، وَلَمْ يَتْرُكْ شَيْئاً رَضِيَهُ أَوْ كَرِهَهُ إِلَّا وَجَعَلَ لَهُ عَلَماً بَادِياً ، وَآيَةً مُحْكَمَةً ، تَزْجُرُ عَنْهُ ، أَوْ تَدْعُو إِلَيْهِ ، فَرِضَاهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ ، وَسَخَطُهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ . وَٱعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرْضَىٰ عَنْكُمْ بِشَيْءٍ سَخِطَهُ عَلَىٰ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَلَنْ يَسْخَطَ عَلَيْكُمْ بِشَيْءٍ رَضِيَهُ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَإِنَّمَا تَسِيرُونَ فِي أَثَرٍ بَيِّنٍ ، وَتَتَكَلَّمُونَ

بِرَجْعِ قَوْلٍ قَدْ قَالَهُ الرِّجَالُ مِنْ قَبْلِكُمْ . قَدْ كَفَاكُمْ مُؤُونَةَ دُنْيَاكُمْ ، وَحَثَّكُمْ عَلَىٰ الشُّكْرِ ، وَٱفْتَرَضَ مِنْ أَلْسِنَتِكُمُ الذِّكْرَ .

الوصية بالتقوى

وَأَوْصَاكُمْ بِالتَّقْوَىٰ ، وَجَعَلَهَا مُنْتَهَىٰ رِضَاهُ ، وَحَاجَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ . فَٱتَّقُوا ٱللهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِعَيْنِهِ(٢٣٤٨) ، وَنَوَاصِيكُمْ بِيَدِهِ ، وَتَقَلُّبُكُمْ فِي قَبْضَتِهِ . إِنْ أَسْرَرْتُمْ عَلِمَهُ ، وَإِنْ أَعْلَنْتُمْ كَتَبَهُ ، قَدْ وَكَّلَ بِذٰلِكَ حَفَظَةً كِرَاماً ، لَا يُسْقِطُونَ حَقّاً ، وَلَا يُثْبِتُونَ بَاطِلاً . وَٱعْلَمُوا « أَنَّهُ مَنْ يَتَّقِ ٱللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً » مِنَ ٱلْفِتَنِ ، وَنُوراً مِنَ الظُّلَمِ ، وَيُخَلِّدْهُ فِيمَا ٱشْتَهَتْ نَفْسُهُ ، وَيُنْزِلْهُ مَنْزِلَ ٱلْكَرَامَةِ عِنْدَهُ ، فِي دَارٍ ٱصْطَنَعَهَا لِنَفْسِهِ ؛ ظِلُّهَا عَرْشُهُ ، وَنُورُهَا بَهْجَتُهُ ، وَزُوَّارُهَا مَلَائِكَتُهُ ، وَرُفَقَاؤُهَا رُسُلُهُ ؛ فَبَادِرُوا ٱلْمَعَادَ ، وَسَابِقُوا ٱلْآجَالَ ، فَإِنَّ النَّاسَ يُوشِكُ أَنْ يَنْقَطِعَ بِهِمُ ٱلْأَمَلُ ، وَيَرْهَقَهُمُ ٱلْأَجَلُ(٢٣٤٩) ، وَيُسَدَّ عَنْهُمْ بَابُ التَّوْبَةِ . فَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي مِثْلِ مَا سَأَلَ إِلَيْهِ الرَّجْعَةَ(٢٣٥٠) مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَأَنْتُمْ بَنُو سَبِيلٍ ، عَلَىٰ سَفَرٍ مِنْ دَارٍ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ ، وَقَدْ أُوذِنْتُمْ مِنْهَا بِالِارْتِحَالِ ، وَأُمِرْتُمْ فِيهَا بِالزَّادِ

وَٱعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لِهٰذَا ٱلْجِلْدِ الرَّقِيقِ صَبْرٌ عَلَىٰ النَّارِ ، فَٱرْحَمُوا نُفُوسَكُمْ ، فَإِنَّكُمْ قَدْ جَرَّبْتُمُوهَا فِي مَصَائِبِ ٱلدُّنْيَا .

أفَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُمْ مِنَ الشَّوْكَةِ تُصِيبُهُ ، وَالْعَثْرَةِ تُدْمِيهِ ، وَالرَّمْضَاءِ تُحْرِقُهُ ؟ فَكَيْفَ إذَا كَانَ بَيْنَ طَابَقَيْنِ مِنْ نَارٍ ، ضَجِيعَ حَجَرٍ ، وَقَرِينَ شَيْطَانٍ ! أَعَلِمْتُمْ أَنَّ مَالِكاً (٢٣٥١) إذَا غَضِبَ عَلَى النَّارِ حَطَمَ بَعْضُهَا بَعْضاً لِغَضَبِهِ ، وَإذَا زَجَرَهَا تَوَثَّبَتْ بَيْنَ أَبْوَابِهَا جَزَعاً مِنْ زَجْرَتِهِ !

أَيُّهَا الْيَفَنُ الْكَبِيرُ (٢٣٥٢)، الَّذِي قَدْ لَهَزَهُ الْقَتِيرُ (٢٣٥٣)، كَيْفَ أَنْتَ إذَا الْتَحَمَتْ أَطْوَاقُ النَّارِ بِعِظَامِ الْأَعْنَاقِ ، وَنَشِبَتِ الْجَوَامِعُ (٢٣٥٤) حَتَّى أَكَلَتْ لُحُومَ السَّوَاعِدِ. فَاللهَ اللهَ مَعْشَرَ الْعِبَادِ ! وَأَنْتُمْ سَالِمُونَ فِي الصِّحَّةِ قَبْلَ السُّقْمِ ، وَفِي الْفُسْحَةِ قَبْلَ الضِّيقِ . فَاسْعَوْا فِي فَكَاكِ رِقَابِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُغْلَقَ رَهَائِنُهَا (٢٤٥٥).

إيضاح: «الرمضاء» الأرض الشديدة الحرارة. و «الطابق» ـ كهاجر و صاحب الأجُرّ الكبير. و «الحطم» الكسر. و «اليفن» بالتحريك، الشيخ الكبير و يقال: «لهزه» أي خالطه. و «القتير» ـ كأمير ـ الشيب أو أوّله.

قوله ـ عليه السلام ـ «إذا التحمت» أي التفت عليها وانضمّت والتصقت بها. و «نشب الشيء بالشي» أي علق. و «الجوامع» جمع «جامعة» و هي الغلّ لأنّها تجمع اليدين إلى العنق.[729]

أَسْهِرُوا عُيُونَكُمْ ، وَأَضْمِرُوا بُطُونَكُمْ ،

٧٢٩- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٨، كتاب العدل والمعاد، ص ٣٠٦.

وَٱسْتَعْمِلُوا أَقْدَامَكُمْ ، وَأَنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ ، وَخُذُوا مِنْ أَجْسَادِكُمْ فَجُودُوا بِهَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ ، وَلَا تَبْخَلُوا بِهَا عَنْهَا ، فَقَدْ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ : « إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ » وَقَالَ تَعَالَىٰ : « مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ ٱللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ ، وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ». فَلَمْ يَسْتَنْصِرْكُمْ مِنْ ذُلٍّ ، وَلَمْ يَسْتَقْرِضْكُمْ مِنْ قُلٍّ ؛ ٱسْتَنْصَرَكُمْ « وَلَهُ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ». وَٱسْتَقْرَضَكُمْ « وَلَهُ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ، وَهُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ». وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ « يَبْلُوَكُمْ(٢٨٥٦) أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا » . فَبَادِرُوا بِأَعْمَالِكُمْ تَكُونُوا مَعَ جِيرَانِ اللهِ فِي دَارِهِ . رَافَقَ بِهِمْ رُسُلَهُ ، وَأَزَارَهُمْ مَلَائِكَتَهُ ، وَأَكْرَمَ أَسْمَاعَهُمْ أَنْ تَسْمَعَ حَسِيسَ(٢٣٥٧) نَارٍ أَبَداً ، وَصَانَ أَجْسَادَهُمْ أَنْ تَلْقَىٰ لُغُوباً وَنَصَباً(٢٣٥٨) : « ذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ » .

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ ، وَاللهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ !

١٨٤ — ومن كلام له عليه السلام

قاله للبرج بن مسهر الطائي ، وقد قال له بحيث يسمعه : «لا حكم إلا لله» ، وكان من الخوارج

ٱسْكُتْ قَبَحَكَ ٱللهُ(٢٣٥٩) يَا أَثْرَمُ(٢٣٦٠) ، فَوَاللهِ لَقَدْ ظَهَرَ ٱلْحَقُّ فَكُنْتَ

فِيهِ ضَئِيلاً[٢٣٦١] شَخْصُكَ ، خَفِيًّا صَوْتُكَ ؛ حَتَّىٰ إِذَا نَعَرَ[٢٣٦٢] ٱلْبَاطِلُ نَجَمْتَ[٢٣٦٣] نُجُومَ قَرْنِ ٱلْمَاعِزِ .

بيان: «قبحك الله» بالتخفيف والتشديد، أي نحّاك عن الخير، و قيل: كسرك، يقال: «قبحت الجوزة» أي كسرتها. «الثرم» سقوط الإنسان. و «الضئيل» الدقيق النحيف الخفيّ. و «نعر» أي صاح، كناية عن ظهور الباطل و قوة أهله. و «نجم» طلع، أي طلعت بلاشرف ولا شجاعة ولا قدم بل على غفلة. و «الماعز» واحد المعز من الغنم و هو خلاف الضأن.[٧٣٠]

١٨٥ — ومن خطبة له عليه السلام

يحمد الله فيها ويثني على رسوله ويصف خلقاً من الحيوان

حمد الله تعالى

ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي لَا تُدْرِكُهُ ٱلشَّوَاهِدُ ، وَلَا تَحْوِيهِ ٱلْمَشَاهِدُ ، وَلَا تَرَاهُ ٱلنَّوَاظِرُ ، وَلَا تَحْجُبُهُ ٱلسَّوَاتِرُ ، ٱلدَّالِّ عَلَىٰ قِدَمِهِ بِحُدُوثِ خَلْقِهِ ، وَبِحُدُوثِ خَلْقِهِ عَلَىٰ وُجُودِهِ ، وَبِٱشْتِبَاهِهِمْ عَلَىٰ أَنْ لَا شَبَهَ لَهُ . ٱلَّذِي صَدَقَ فِي مِيعَادِهِ ، وَٱرْتَفَعَ عَنْ ظُلْمِ عِبَادِهِ ، وَقَامَ بِٱلْقِسْطِ فِي خَلْقِهِ ، وَعَدَلَ عَلَيْهِمْ فِي حُكْمِهِ . مُسْتَشْهِدٌ بِحُدُوثِ ٱلْأَشْيَاءِ عَلَىٰ أَزَلِيَّتِهِ ، وَبِمَا وَسَمَهَا بِهِ مِنَ ٱلْعَجْزِ عَلَىٰ قُدْرَتِهِ ، وَبِمَا ٱضْطَرَّهَا إِلَيْهِ مِنَ ٱلْفَنَاءِ عَلَىٰ دَوَامِهِ . وَاحِدٌ لَا بِعَدَدٍ[٢٣٦٤] ، وَدَائِمٌ لَا بِأَمَدٍ[٢٣٦٥] ، وَقَائِمٌ لَا بِعَمَدٍ .

٧٣٠- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٠٥، ط كمپاني وص ٥٥٨، ط تبريز.

تَتَلَقَّاهُ ٱلْأَذْهَانُ لَا بِمُشَاعَرَةٍ[٢٣٦٦]، وَتَشْهَدُ لَهُ ٱلْمَرائِي[٢٣٦٧] لَا بِمُحَاضَرَةٍ. لَمْ تُحِطْ بِهِ ٱلْأَوْهَامُ، بَلْ تَجَلَّىٰ لَهَا بِهَا، وَبِهَا ٱمْتَنَعَ مِنْهَا، وَإِلَيْهَا حَاكَمَهَا. لَيْسَ بِذِي كِبَرٍ ٱمْتَدَّتْ بِهِ ٱلنِّهَايَاتُ فَكَبَّرَتْهُ تَجْسِيماً، وَلَا بِذِي عِظَمٍ تَنَاهَتْ بِهِ ٱلْغَايَاتُ فَعَظَّمَتْهُ تَجْسِيداً؛ بَلْ كَبُرَ شَأْناً، وَعَظُمَ سُلْطَاناً.

الرسول الاعظم

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ٱلصَّفِيُّ، وَأَمِينُهُ ٱلرَّضِيُّ، صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ أَرْسَلَهُ بِوُجُوبِ ٱلْحُجَجِ، وَظُهُورِ ٱلْفَلَجِ[٢٣٦٨]، وَإِيضَاحِ ٱلْمَنْهَجِ؛ فَبَلَّغَ ٱلرِّسَالَةَ صَادِعاً[٢٣٦٩] بِهَا، وَحَمَلَ عَلَىٰ ٱلْمَحَجَّةِ دَالًّا عَلَيْهَا، وَأَقَامَ أَعْلَامَ ٱلاهْتِدَاءِ وَمَنَارَ ٱلضِّيَاءِ، وَجَعَلَ أَمْرَاسَ[٢٣٧٠] ٱلْإِسْلَامِ مَتِينَةً، وَعُرَا ٱلْإِيمَانِ وَثِيقَةً.

بيان: قوله «بوجوب الحجج» أي تمامها و نفوذها و لزومها. و «الفلج» بالتحريك، النصرة والغلبة. و «المرسة» بالتحريك، الحبل، وجمع جمعه «أمراس». و «المتانة» الشدّة.[٧٣١]

منها في صفة خلق اصناف من الحيوان

وَلَوْ فَكَّرُوا فِي عَظِيمِ ٱلْقُدْرَةِ، وَجَسِيمِ ٱلنِّعْمَةِ، لَرَجَعُوا إِلَىٰ ٱلطَّرِيقِ،

٧٣١- بحار الأنوار الطبعة الجديدة، ج ١٨، كتاب تاريخ نبينا ــ صلّى الله عليه وآله ــ، ص ٢٢٣.

وَخافُوا عذابَ ٱلْحَرِيقِ ، وَلٰكِنِ ٱلْقُلُوبُ عليلَةٌ ، وَٱلْبَصائِرُ مَدْخُولَةٌ ! أَلَا يَنْظُرُونَ إِلَىٰ صَغِيرِ مَا خَلَقَ ، كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ ، وَأَتْقَنَ تَرْكِيبَهُ ، وَفَلَقَ لَهُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ ، وَسَوَّىٰ لَهُ ٱلعَظْمَ وَٱلْبَشَرَ(٢٣٧١) ! ٱنْظُرُوا إِلَىٰ ٱلنَّمْلَةِ فِي صِغَرِ جُثَّتِهَا ، وَلَطَافَةِ هَيْئَتِهَا ، لَا تَكَادُ تُنَالُ بِلَحْظِ ٱلْبَصَرِ ، وَلَا بِمُسْتَدْرَكِ ٱلْفِكَرِ ، كَيْفَ دَبَّتْ عَلَىٰ أَرْضِهَا ، وَصُبَّتْ عَلَىٰ رِزْقِهَا ، تَنْقُلُ ٱلْحَبَّةَ إِلَىٰ جُحْرِهَا ، وَتُعِدُّهَا فِي مُسْتَقَرِّهَا . تَجْمَعُ فِي حَرِّهَا لِبَرْدِهَا ، وَفِي وِرْدِهَا لِصَدَرِهَا(٢٣٧٢) ؛ مَكْفُولٌ بِرِزْقِهَا ، مَرْزُوقَةٌ بِوِفْقِهَا(٢٣٧٣) ؛ لَا يُغْفِلُهَا ٱلْمَنَّانُ ، وَلَا يَحْرِمُهَا الدَّيَّانُ ، وَلَوْ فِي الصَّفَا(٢٣٧٤) ٱلْيَابِسِ ، وَٱلْحَجَرِ ٱلْجَامِسِ ! وَلَوْ فَكَّرْتَ فِي مَجَارِي أَكْلِهَا ، فِي عُلْوِهَا وَسُفْلِهَا ، وَمَا فِي ٱلْجَوْفِ مِنْ شَرَاسِيفِ(٢٣٧٥) بَطْنِهَا ، وَمَا فِي الرَّأْسِ مِنْ عَيْنِهَا وَأُذُنِهَا ، لَقَضَيْتَ مِنْ خَلْقِهَا عَجَباً ، وَلَقِيتَ مِنْ وَصْفِهَا تَعَباً ! فَتَعَالَىٰ ٱلَّذِي أَقَامَهَا عَلَىٰ قَوَائِمِهَا ، وَبَنَاهَا عَلَىٰ دَعَائِمِهَا ! لَمْ يَشْرَكْهُ فِي فِطْرَتِهَا فَاطِرٌ ، وَلَمْ يُعِنْهُ عَلَىٰ خَلْقِهَا قَادِرٌ وَلَوْ ضَرَبْتَ فِي مَذَاهِبِ فِكْرِكَ لِتَبْلُغَ غَايَاتِهِ ، مَا دَلَّتْكَ ٱلدَّلَالَةُ إِلَّا عَلَىٰ أَنَّ فَاطِرَ ٱلنَّمْلَةِ هُوَ فَاطِرُ ٱلنَّخْلَةِ ، لِدَقِيقِ تَفْصِيلِ كُلِّ شَيْءٍ ، وَغَامِضِ ٱخْتِلَافِ كُلِّ حَيٍّ . وَمَا ٱلْجَلِيلُ وَٱللَّطِيفُ ، وَٱلثَّقِيلُ وَٱلْخَفِيفُ ، وَٱلْقَوِيُّ وَٱلضَّعِيفُ ، فِي خَلْقِهِ إِلَّا سَوَاءٌ .

وَكَذٰلِكَ السَّمَاءُ وَٱلْهَوَاءُ، وَالرِّيَاحُ وَٱلْمَاءُ. فَٱنْظُرْ إِلَىٰ الشَّمْسِ وَٱلْقَمَرِ، وَالنَّبَاتِ وَالشَّجَرِ، وَٱلْمَاءِ وَٱلْحَجَرِ، وَٱخْتِلَافِ هٰذَا اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَتَفَجُّرِ هٰذِهِ ٱلْبِحَارِ، وَكَثْرَةِ هٰذِهِ الْجِبَالِ، وَطُولِ هٰذِهِ ٱلْقِلَالِ(٢٣٧٦) وَتَفَرُّقِ هٰذِهِ اللُّغَاتِ، وَٱلْأَلْسُنِ ٱلْمُخْتَلِفَاتِ. فَٱلْوَيْلُ لِمَنْ أَنْكَرَ ٱلْمُقَدِّرَ، وَجَحَدَ ٱلْمُدَبِّرَ! زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ مَا لَهُمْ زَارِعٌ، وَلَا لِاخْتِلَافِ صُوَرِهِمْ صَانِعٌ؛ وَلَمْ يَلْجَؤُوا(٢٣٧٧) إِلَىٰ حُجَّةٍ فِيمَا ادَّعَوْا، وَلَا تَحْقِيقٍ لِمَا أَوْعَوْا(٢٣٧٨)، وَهَلْ يَكُونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ بَانٍ، أَوْ جِنَايَةٌ مِنْ غَيْرِ جَانٍ!

خلقة الجرادة

وإِنْ شِئْتَ قُلْتَ فِي ٱلْجَرَادَةِ، إِذْ خَلَقَ لَهَا عَيْنَيْنِ حَمْرَاوَيْنِ، وَأَسْرَجَ لَهَا حَدَقَتَيْنِ قَمْرَاوَيْنِ(٢٣٧٩)، وَجَعَلَ لَهَا السَّمْعَ ٱلْخَفِيَّ، وَفَتَحَ لَهَا ٱلْفَمَ السَّوِيَّ، وَجَعَلَ لَهَا ٱلْحِسَّ ٱلْقَوِيَّ، وَنَابَيْنِ بِهِمَا تَقْرِضُ، وَمِنْجَلَيْنِ(٢٣٨٠) بِهِمَا تَقْبِضُ. يَرْهَبُهَا الزُّرَّاعُ فِي زَرْعِهِمْ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ذَبَّهَا(٢٣٨١)، وَلَوْ أَجْلَبُوا بِجَمْعِهِمْ، حَتَّىٰ تَرِدَ ٱلْحَرْثَ فِي نَزَوَاتِهَا(٢٣٨٢)، وَتَقْضِي مِنْهُ شَهَوَاتِهَا. وَخَلْقُهَا كُلُّهُ لَا يُكَوِّنُ إِصْبَعاً مُسْتَدِقَّةً.

فَتَبَارَكَ ٱللّٰهُ الَّذِي «يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً»، وَيُعَفِّرُ لَهُ خَدّاً وَوَجْهاً، وَيُلْقِي إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ سِلْماً وَضَعْفاً، وَيُعْطِي لَهُ

ٱلْقِيَادَ رَهْبَةً وَخَوْفاً ! فَالطَّيْرُ مُسَخَّرَةٌ لِأَمْرِهِ ؛ أَحْصَىٰ عَدَدَ الرِّيشِ مِنْهَا وَالنَّفَسَ ، وَأَرْسَىٰ قَوَائِمَهَا عَلَى النَّدَى[٢٣٨٣] وَٱلْيَبَسِ ؛ وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهَا ، وَأَحْصَىٰ أَجْنَاسَهَا . فَهٰذَا غُرَابٌ وَهٰذَا عُقَابٌ . وَهٰذَا حَمَامٌ وَهٰذَا نَعَامٌ . دَعَا كُلَّ طَائِرٍ بِٱسْمِهِ ، وَكَفَلَ لَهُ بِرِزْقِهِ . وَأَنْشَأَ « السَّحَابَ الثِّقَالَ » فَأَهْطَلَ[٢٣٨٤] دِيَمَهَا[٢٣٨٥] ، وَعَدَّدَ قِسَمَهَا[٢٣٨٦] . فَبَلَّ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ جُفُوفِهَا ، وَأَخْرَجَ نَبْتَهَا بَعْدَ جُدُوبِهَا[٢٣٨٧]

ايضاح: «مدخولة» أي معيوبة من «الدخل» بالتحريك، و هوالعيب والغشّ والفساد. و «فلق» أي شقّ. و «البشر» ظاهر جلد الإنسان. «ولا بمستدرك الكفر» إمّا مصدر ميميّ أي بادراك الفكر، أو اسم مفعول من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف أي بإدراك الفكر الّذي يدركه الإنسان بغاية سعيه، أو اسم مكان والباء بمعنى «في» أي في محلّ إدراكه، والغرض المبالغة في صغرها بحيث لايمكن إدراك تفاصيل أعضائه لا بالنظر ولا بالفكر. «كيف دبّت» أي مشت. و «ضنّت» بالضاد المعجمة والنون، أي بخلت؛ و في بعض النسخ: «صبّت» بالصاد المهملة والباء الموحّدة على بناء المجهول، إمّا على القلب أي صبّ عليها الرزق، أو كناية عن هجومها و اجتماعها على رزقها بإلهامه ـ تعالى ـ فكأنّها صبّت على الرزق، ويمكن أن يقرأ على بناء المعلوم من الصبابة و هي حرارة الشوق. «لصدرها»، «الصدر» بالتحريك، رجوع المسافر من مقصده والشاربة من الورد، أي تجمع في أيّام التمكّن من الحركة لأيّام العجز عنها، فإنّها تخفى في شدّة الشتاء لعجزها عن البرد. و «المنّان» هو كثير المنّ والعطاء. و «الديّان» القهّار والقاضي والحاكم والسائس و المُجازي. و «الصفا» مقصوراً، جمع «الصفاة» و هي الحجر الصلد الضخم الّذي لاينبت. و «الجامس» اليابس الجامد، قال الخليل في كتاب العين: «جمس الماء» جمد، و صخرة جامسة لزمت مكاناً. انتهى. والضمير في «علوها و سفلها» إمّا راجع إلى

المجاري، أو إلي النملة أي ارتفاع أجزاء بدنها و انخفاضها على وجه تقتضيه الحكمة. و قال الجوهريّ: «الشراسيف» مقاطّ الأضلاع و هي أطرافها الّتي تشرف على البطن، و يقال: «الشرسوف» غضروف معلّق بكلّ ضلع، مثل غضروف الكتف. «لقضيت من خلقها عجباً» القضاء بمعنى الأداء، أي لأدّيت عجباً، و يحتمل أن يكون بمعنى الموت أي لقضيت نحبك من شدّة تعجّبك، و يكون «عجباً» مفعولاً لأجله. «ولو ضربت» أي سرت، كما قال ــ تعالى ــ: «وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ» ٧٣٢. «غاياته» أي غايات فكرك. «إلّاسواء» أي في دقّة الصنعة و غموض الخلقة، أو في الدلالة على الفاطر و كمال قدرته و علمه. و «القلال» بالكسر، جمع «قُلّة» بالضمّ، و هي أعلى الجبل. «زعموا أنّهم كالنبات» أي كما زعموا في النبات، أو كنبات لا زارع له حيث لا ينسب إلى الزارع. و إن نسب إلى ربّه ــ تعالى ــ. «لماوعوا» أي جمعوا و حفظوا. «و أسرج لها حدقتين» أي جعلهما مضيئتين كالسراج، و يقال: «حدقة قمراء» أي منيرة، كما يقال: «ليلة قمراء» أي نيّرة بضوء القمر. «بهما تقرض» بكسر الراء، أي تقطع. و «المنجل» كمنبر، حديدة يقضب بها الزرع، شبّهت بهايداها. و «الذبّ» الدفع والمنع. «في نزواتها» أي وثباتها. «و خلقها كلّه» الوا و حاليّة. «سلماً» بالكسر و بالتحريك أي استسلاماً و انقياداً. و «أرسى» اي أثبت، أي جعل لها رجلين يمكنها الاستقرار بهما على الأراضي اليابسة والنديّة. و «الهطل» تتابع المطر. و «الديم» بكسر الدال و فتح الياء، جمع «الديمة» بالكسر، و هي المطر الّذي ليس فيه رعد ولا برق. و «الجذوب» قلّة النبات والزرع. ٧٣٣

تبيين: «التفكير» إعمال النظر في الشيء، يقال: فكر فيه ــ كضرب ــ و فكّر ــ بالتشديد ــ و أفكر و تفكّر بمعنى. و «الجسيم» العظيم. و «الحريق» اسم من الاحتراق. و «البصائر» جمع «البصيرة» و هي والبصر بالتحريك، العلم والخبرة، و في بعض النسخ: «الأبصار» موضع البصائر. و «الدخل» بالتحريك، ما داخلك من

٧٣٢- النساء: ١٠١.

٧٣٣- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٣، كتاب التوحيد، ص ٢٦ ــ ٢٨.

فساد في عقل أوجسم والعيب والريبة، يقال: هذا الأمر فيه دخل و دغل بمعنى، و قد دخل ــ كفرح ــ و دخل على البناء للمفعول. و «الاحكام» الاتقان، و «ركّبه تركيبا» أي وضع بعضه على بعض فتركّب. و «فلق» ــ كضرب ــ أي شقّ فانفلق، و منه [قوله ــ تعالى ــ]: «فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى»[٧٣٤]. و «استوى الشيء» اعتدل، و «سوّيته» عدلته.

و «النملة» واحدة «النمل»، و «الجثّة» بالضمّ للانسان، شخصه قاعداً أو نائما، فان كان منتصبا فهو طلّ بالتحريك، والشخص عام، كذا قيل. و في القاموس: «جثّة الانسان» شخصه. و «لطف الشيء ــ ككرم ــ لطافة بالفتح» و قيل: هو اسم أي صغر و دقّ، و «الهيئة» حال الشيء و كيفيّته. و «نلته ــ بالكسر ــ أنيله» أي أصبته. و «اللحظ» في الاصل، النظر بمؤخّر العين و هو أشدّ التفاتا من الشزر و في بعض النسخ: «بلحظ النظر». و «استدرك الشيء و أدركه» بمعنى، ذكره الجوهريّ و «استدركت ما فات و تداركته» بمعنى، و «استدركت الشيء بالشيء» أي حاولت إدراكه به؛ و «الفكر» ــ كعنب ــ جمع «فكرة» بالكسر و هو إعمال النظر، و قيل: اسم من الافتكار كالعبرة من الاعتبار، و في بعض النسخ: «الفكر» بسكون العين، و مستدرك الفكر على بناء المفعول يحتمل أن يكون مصدراً أي إدراك الفكر أو يطلبها الادراك، و لعلّه أنسب بقوله ــ عليه السلام ــ «بلحظ البصر» و أن يكون اسم مفعول أي بالفكر الّذي يدركه الانسان و يصل إليه أو يطلب إدراكه أي منتهى طلبه لايصل إلى إدراك ذلك، و أن يكون اسم مكان، والباء بمعنى في. و «دبّ» ــ كفرّ ــ أي مشى رويداً. و «صبّت» على بناء المفعول من الصبّ و هو في الأصل الاراقة، و قيل: هو على العكس، أي صبّت رزقها عليها والظاهر أنّه لاحاجة إليه، أي كيف أُلهمت حتّى انحطّت على رزقها، و استعير له الصبّ لهجومها عليه، و في بعض النسخ: «و ضنّت» بالضاد المعجمة والنون على بناء المعلوم أي بخلت برزقها، و ذكر دبيبها لأنّه متوقّف على القوائم والمفاصل والقوى الجزئيّة، و تركّبها فيها

٧٣٤- الأنعام: ٩٥.

مع غاية صغرها على وجه تنتظم به حركاتها السريعة المتتابعة مظهر للقدرة و لطيف الصنعة، و ذكر الصبّ أو الضنّة للدلالة على علمها بحاجتها إلى الرزق و حسن نظرها في الاعداد والحفظ. و «الجحرة» بالضمّ، الحفرة الّتي تحتفرها الهوامّ والسّباع لأنفسها. و «أعدّه» أي هيّأه، و «مستقرّها» موضع استقرارها. و «الورود» في الاصل، الاشراف على الماء للشرب، و «الصدر» بالتحريك، رجوع الشاربة من الورود، كأنّ المعنى: تجمع في أيّام التمكّن من الحركة لأيّام العجز عنها، فانّها تظهر في المصيف و تخفى في الشتاء لعجزها عن البرد. و «كفل» ــ كنصر و قيل: كعلم و شرف ــ أي ضمن، قيل: تقول: «كفلته و به و عنه» إذا تحمّلت به. «بوفقها» أي بقدر كفايتها.[٧٣٥] و «أغفلت الشيء إغفالاً» أي تركته إهمالاً من غير نسيان، و «المنّان» المنعم المعطي من المنّ بمعنى العطاء لا من المنّة، وقد يشتقّ منه و هو مذموم. و «حرمه» ــ كمنعه ــ ضدّ أعطاه و «الديّان» الحاكم والقاضي، و قيل: القهّار، و قيل: السائس و هو القائم على الشيء بما يصلحه كما تفعل الولاة والأُمراء بالرعيّة، و وجه المناسبة على الأخير واضح و لعلّه على الأوّل هو أنّ إعطاء كلّ شيء ما يستحقّه و لو على وجه التفضّل من فروع الحكم بالحقّ، و على الثاني الاشعار بأنّ قهره ــ سبحانه ــ لايمنعه عن العطاء كما يكون في غيره أحياناً. و «الصفا» مقصوراً، الحجارة، و قيل: الحجر الصلد الضخم لاينبت شيئاً والواحدة «صفاة». و جمس و جمد بمعنى، و قيل: أكثر ما يستعمل في الماء جمد، و في السمن و غيره جمس، و «صخرة جامسة» أي ثابتة في موضعها. و «الأكل» بالضمّ، كما في بعض النسخ و بضمّتين كما في بعضها، المأكول، و «الأكلة» بالضمّ، اللقمة و «علوها و سفلها» بالضمّ فيهما في بعض النسخ، و بالكسر في بعضها، والضميران كالسوابق.

قال بعض شرّاح النهج: «علوها» رأسها و ما يليه إلى الجزء المتوسّط، و يحتمل رجوعها إلى المجاري. و «الشراسيف» مقاط الأضلاع و هي أطرافها الّتي تشرف على البطن، و قيل: «الشرسوف» ــ كعصفور ــ غضروف معلّق بكلّ ضلع

٧٣٥- أو بما يوافقها من الرزق.

مثل غضروف الكتف؛ و لا حاجة إلى الحمل على المجاز كما يظهر من كلام بعض الشارحين. و «الأُذن» بضمّتين في النسخ. و «القضاء» يكون بمعنى الأداء، قال الله ــ تعالى ــ: «فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ»[٧٣٦] و قال: «فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ»[٧٣٧]. و «قضاء العجب» التعجّب أو التعجّب الكامل، و قال بعض الشارحين: يحتمل أن يكون بمعنى الموت من قولهم: «قضى فلان» أي مات، أي لقضيت نحبك من شدّة تعجّبك، و يكون «عجباً» نصباً على المفعول له، و لا يخفى بعده. و «الدعامة والدعام» بالكسر فيهما، عمادالبيت، والخشب المنصوب للتعريش و فيه تشبيه لها بالبيت المبنيّ على الدعائم. و في بعض النسخ: «لم يعنه». و «الضرب في الأرض» السير فيها أو الاسراع فيه. و «الدلالة» بالفتح كما في بعض النسخ و بالكسر كما في بعضها، الاسم من قولك: «دلّه إلى الشيء و عليه» أي أرشده و سدّده. و «الغامض» خلاف الواضح، والغرض من الكلام دفع توهّم يسرالخلق و سهولة الابداع في بعض الأشياء للصغر و خفاء دقائق الصنع. و «الجليل» العظيم، يقال: «جلّ ــ كفرّ ــ جلالة» بالفتح، أي عظم، والغرض استواء نسبة القدرة الكاملة إلى الأنواع، كذلك السماء قيل: المشبّه به الأمور المتضادّة السابقة، والمشبّه هو السماء والهواء والرياح والماء و وجه الشبه هو حاجتها في خلقها و تركيبها و أحوالها المختلفة والمتفقة إلى صانع حكيم، و يحتمل أن يكون التشبيه في استواء نسبة القدرة.

«فانظر إلى الشمس والقمر.. الخ» أي تدبّر فيما أودع في هذه الاشياء من غرائب الصنعة ولطائف الحكمة، و قيل: استدلال بامكان الاعراض على ثبوت الصانع بأن يقال: كلّ جسم يقبل لجسميّته المشتركة بينه و بين سائر الاجسام ما يقبله غيره من الأجسام فاذا اختلف الاجسام في الاعراض فلابدّ من مخصّص و هو الصانع الحكيم. انتهى.

و «اختلاف الليل والنهار» تعاقبهما. و «فجّر الماء» أي فتح له طريقا فتفجّر، و «انفجر» أي جرى وسال، والمراد بالبحار الأنهار العظيمة أوالبحار المعروفة،

٧٣٦- البقرة: ٢٠٠. ٧٣٧- النساء: ١٠٣.

و «تفجّرها» جريانها لو وجدت طريقاً. و «القلال» ــ كجبال ــ جمع «قلّة» بالضمّ، وهي أعلى الجبل، و قيل: الجبل. و «تفرّق اللغات» اختلافها و تباينها كما قال ــ عزّ و جلّ ــ: «وَ اخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَ أَلْوَانِكُمْ»[٧٣٨]. و «الويل» الحزن و الهلاك والمشقّة من العذاب، و علم واد في جهنّم والجملة تحتمل الاخبار والدعاء. قال سيبويه: «الويل» مشترك بين الدعاء والخبر.

والمراد بالنبات ما ينبت في الصحاري والجبال من غير زرع، و ليس المراد أنّ النبات ليس له مقدّر ولا مدبّر، بل المعنى أنّ النبات المذكور كما أنّه ليس له مدبّر من البشر يزعمون أنّ الانسان يحصل من غير مدبّر أصلاً، و قيل: المراد أنّهم قاسوا أنفسهم على النبات الّذي جعلوا من الأصول المسلّمة أنه لا مقدّر له بل ينبت بنفسه من غير مدبّر، و ذكر الاختلاف في الصور لأنّه من الدلائل الواضحة على الصانع لم يلجأوا أي لم يستندوا، والغرض استنادهم في دعواهم إلى قياس باطل و ظنّ ضعيف كما قال ــ عزّ و جلّ ــ: «وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ»[٧٣٩]. و «أوعى الشيء» و «وعاه» على المجرّد كما في بعض النسخ، أي حفظه و جمعه، أي لم يرتّبوا العلوم الضروريّة، و لم يحصّلوا المقدّمات على وجهها حتّى تفضي إلى نتيجة صحيحة. و «جنى فلان جناية» بالكسر، أي جرّ جريرة على نفسه و قومه، ويقال: «جنيت الثمرة أجنيها و اجتنيتها» أي اقتطفتها، و اسم الفاعل منها «جانٍ» إلّا أنّ المصدر من الثاني «جنى» لاجناية. والغرض دعوى الضرورة في الاحتياج إلى الصانع والفاعل كالبناء والجناية لا الاستناد إلى القياس.

«قلت في الجرادة» أي تكلّمت في بديع صنعتها و عجيب فطرتها. و «أسرج لها حدقتين» أي جعلها مضيئتين كالسراج، «قراوين» أي منيرتين كالليلة القمرآء المضيئة بالقمر. و «جعل لها السمع الخفيّ» أي عن أعين الناظرين، و قيل: المراد بالخفيّ اللطيف السامع لخفيّ الاصوات، فوصف بالخفّة مجازاً من قبيل إطلاق اسم المقبول على القابل و هو أنسب بقوله ــ عليه السلام ــ «و جعل لها الحسّ القويّ»؛ و

٧٣٨- الروم: ٢٢.
٧٣٩- الجاثية: ٢٤.

قيل: أراد بحسّها قوّتها الوهمية، و بقوّته حذقتها فيا ألهمت إيّاه من وجوه معاشها و تصرّفها يقال: «لفلان حسّ حاذق» إذا كان ذكيّا فطنا درّاكاً. و «الناب» في الاصل، السنّ خلف الرباعيّة. و«قرض» ــ كضرب ــ أي قطع. و «المنجل» ــ كمنبر ــ حديدة يقضب بها الزرع و قيل: «المنجلان» رجلاها شبّهها بالمناجل لعوجها و خشونتها. و «رهبه» ــ كعلم ــ أي خاف. و «ذبّ عن حريمه» ــ كمدّ ــ أي دفع و حمى. و «أجلبوا» أي تجمّعوا و تألّبوا، و «أجلب على فرسه» أي استحثّه للعدو بوكز أو صياح أونحو ذلك؛ «بجمعهم» أي بأجمعهم، و كلمة «لو» للوصل. و «الحرث» الزرع. و «نزا» ــ كدعا ــ أي وثب. «و خلقها» الجملة حاليّة. و «استدقّ» صار دقيقا. «الّذي يسجد[له]...» أي حقيقة، فإنّه يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين «طوعاً» حالتي الشدّة والرخاء، والكفرة له «كرها» حال الشدّة والضرورة أوأعمّ منها و من السجدة المجازيّة و هي الخضوع والدخول تحت ذلّ الافتقار والحاجة كمامرّ مرارا. و «العفر» بالتحريك و قد يسكن، وجه الارض و يطلق على التراب و «عفره في التراب ــ كضرب ــ و عفّره تعفيراً» أي مرغه فيه، و كان التعفير في البعض كأهل السماوات كناية عن غاية الخضوع. و «الالقاء بالطاعة» مجاز عن الانقياد، و في بعض النسخ: «بالطاعة إليه». و «السلم» بالكسر كما في بعض النسخ، الصلح و بالتحريك كما في بعضها، الاستسلام والانقياد. و «القياد» بالكسر، ما يقاد به و «إعطاء القياد» الانقياد. و «الرهبة» الخوف، و «أرسى» أي أثبت، و «الندى»[٧٤٠] البلل والمطر، و «اليبس» بالتحريك، ضدّ الرطوبة، و «طريق يبس» أي لانداوة فيه ولا بلل. و «الحمام» بالفتح، كلّ ذي طوق من الفواخت والقماريّ والوراشين و غيرها، والحمامة تقع على الذكر والأنثى كالحيّة والنعامة، و اسم الجنس من النعامة «نعام» بالفتح والغرض بيان عموم علمه ــ سبحانه ــ و قدرته. «دعا كلّ طائر باسمه» قيل: «الدعاء» استعارة في أمر

٧٤٠ــ «الندى» هنا مقابل اليبس فيعمّ الماء كأنّه يريد أنّ الله جعل من الطير ماتثبت أرجله في الماء ومنه مالا يمشي إلّا على الأرض اليابسة.

كلّ نوع بالدخول في الوجود، و قد عرفت أنّ ذلك الأمر يعود إلى حكم القدرة الالهيّة عليه بالدخول في الوجود كقوله ـ تعالى ـ: «فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا ـ الآية» [٧٤١].

و لمّا استعار الدعا رشّح بذكر الاسم لأنّ الشيء إنّما يدعى باسمه، و يحتمل أن يريد الاسم اللغويّ و هو العلامة، فإنّ لكلّ نوع من الطير خاصّة و سمة ليست للآخر، و يكون المعنى أنّه ـ تعالى ـ أجرى عليها حكم القدرة بما لها من السمات والخواصّ في العلم الالهيّ واللوح المحفوظ؛ و قال بعضهم: أراد أسماء الاجناس و ذلك أنّ اللّه ـ تعالى ـ كتب في اللوح المحفوظ كلّ لغة تواضع عليها العباد في المستقبل و ذكر الأسماء الّتي يتواضعون عليها، و ذكر لكلّ اسم مسمّاه فعند إرادة خلقها نادى كلّ نوع باسمه فأجاب داعيه و أسرع في إجابته. و «كفل برزقه» أي ضمن. و «السحاب» جمع «سحابة» و هي الغيم. و «الهطل» بالفتح، تتابع المطر أو الدمع و سيلانه، و قيل: تتابع المطر المتفرّق العظيم القطر؛ و «الديمة» بالكسر، مطر يدوم في سكون بلا رعد و برق والجمع «ديم» ـ كعنب ـ. و «تعديد القسم» إحصاء ما قدّر منها لكلّ بلد و أرض على وفق الحكمة. و «البلّة» بالكسر، ضدّ الجفاف، يقال: «بلّه فابتلّ». و «الجفوف» بالضمّ، الجفاف بالفتح. و «الجدوب» بالضمّ، انقطاع المطر و يبس الارض. [٧٤٢]

[هذا بيان آخر في شرح جزء من الخطبة:]

إيضاح: «الدالّ على قدمه بحدوث خلقه» فيه و فيما بعده دلالة على أنّ علّة الفاقة إلى المؤثّر الحدوث، و أنّه لا يعقل التأثير في الأزليّ القديم. [٧٤٣] و كذا قوله «مستشهد بحدوث الأشياء على أزليّته».

يد، ن: حدّثنا أبو العبّاس محمّد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقانيّ ـ رضوان اللّه عليه ـ قال: حدّثنا أبو سعيد الحسن بن عليّ العدويّ، قال:

٧٤١ـ فصلت: ١١.

٧٤٢ـ بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٦٤، كتاب السماء والعالم، ص ٤٠ ـ ٤٦.

٧٤٣ـ الحدوث والقدم قد يستعملان بمعنى المسبوقيّة بالعدم الذاتي ومقابلها، وقد يستعملان بمعنى المسبوقيّة بالعدم الزماني ←

حدّثنا الهيثم بن عبدالله الرمّانيّ، قال: حدّثني عليّ بن موسى الرضا، عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر ابن محمّد، عن أبيه محمّدبن عليّ، عن أبيه عليّ بن الحسين، عن أبيه الحسين بن عليّ ـ عليهم السلام ـ ، قال: خطب أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ الناس في مسجد الكوفة، فقال:

الحمدلله الذي لا من شيء كان، ولا من شيء كوّن ما قد كان، المستشهد بحدوث الأشياء على أزليّته، وبما وسمها به من العجز على قدرته، وبما اضطرّها إليه من الفناء على دوامه، لم يخل منه مكان فيدرك بأينيّة، ولاله شبح مثال فيوصف بكيفيّة، ولم يغب عن شيء فيعلم بحيثيّة؛ مبائن لجميع ما أحدث في الصفات، وممتنع عن الإدراك بما ابتدع من تصريف الذوات، وخارج بالكبرياء والعظمة من جميع تصرّف الحالات، محرّم على بوارع ثاقبات الفطن تحديده، وعلى عوامق ثاقبات

ومقابلها. فإن كان المراد بها في كلامه ـ عليه السلام ـ المعنى الأوّل كان المعنى أنّ العالم لمكان إمكانه يدلّ على وجود الواجب؛ وإن كان المراد بالحدوث الحدوث الزماني وبالقدم القدم الذاتيّ كان المعنى أنّ الحدوث الزماني في الزمانيات دليل على وجود الواجب، وذلك لأنّ الحدوث تغيّر والتغيّر يختصّ بالممكن والممكن يحتاج إلى الواجب، وأيضاً الحادث مسبوق بالعدم وكلّ ما كان كذلك أمكن عدمه فاحتاج في الوجود إلى الواجب؛ وإن كان المراد بها الحدوث والقدم الزمانيّين كان المعنى أنّ الحدوث الزمانيّ في الزمانيّات يدلّ على كون الواجب قديماً غيرمقيّد بالزمان وذلك لأنّ الحدوث نقص ومحدوديّة ووجود الواجب تامّ وفوق التمام، فلا يتّصف به؛ وإن كان المراد بالحدوث، الحدوث الذاتيّ وبالقدم، القدم الزمانيّ كان المعنى أنّ إمكان الخلق يدلّ على قدم الواجب وعدم تقيّده بالزمان، لكنّه في غاية البعد. وعلى الأوّلين فكلامه ـ عليه السلام ـ ناظر إلى إثبات الواجب وعلى الآخرين فناظر إلى إثبات قدمه. وعلى كلّ حال فلا يستفاد من كلامه ـ عليه السلام ـ أنّ مايحتاج إلى العلّة ينحصر في الحادث الزمانيّ بحيث لوفرض ممكن غيرحادث زماناً لم يحتج إلى الواجب. فتأمّل. وأمّا تحقيق القول في أنّ ملاك الاحتياج إلى العلّة هل هوالحدوث أو الإمكان، فله محلّ آخر.

وأمّا النكتة في جعله ـ عليه السلام ـ «الدالّ» صفة له ـ سبحانه ـ لا لخلقه مع أنّ الظاهر أنّ الخلق يدلّ بحدوثه على قدم الواجب، فهي أنّ الّذي يدلّ الناس إلى الحقّ حقيقةً هو الحقّ ـ سبحانه ـ كما في الدعاء المأثور: «وأنت دلّلتني عليك ودعوتني إليك»؛ ويدلّ على ذلك روايات كثيرة وأدعية مأثورة ووجوه عقليّة يضيق المجال عن ذكرها.

الفكر تكييفه، وعلى غوائص سابحات النظر تصويره؛ لا تحويه الأماكن لعظمته، ولا تذرعه المقادير لجلاله، ولا تقطعه المقائيس لكبريائه، ممتنع عن الأوهام أن تكتنهه، وعن الأفهام أن تستغرقه، وعن الأذهان أن تمتثله. قد يئست من استنباط الإحاطة به طوامح العقول، ونضبت عن الإشارة إليه بالاكتناه بحار العلوم، ورجعت بالصغر عن السموّ إلى وصف قدرته لطائف الخصوم. واحد لا من عدد، ودائم لا بأمد، وقائم لا بعمد، وليس بجنس فتعادله الأجناس، ولا بشبح فتضارعه الأشباح، ولا كالأشياء فتقع عليه الصفات. قد ضلّت العقول في أمواج تيّار إدراكه، وتحيّرت الأوهام عن إحاطة ذكر أزليّته، وحصرت الأفهام عن استشعار وصف قدرته، وغرقت الأذهان في لجج أفلاك ملكوته. مقتدر بالآلاء، وممتنع بالكبرياء، ومتملّك على الأشياء، فلا دهر يخلقه، ولا وصف يحيط به. قد خضعت له رواتب الصعاب في محلّ تخوم قرارها، وأذعنت له رواصن الأسباب في منتهى شواهق أقطارها. مستشهد بكلّيّة الأجناس على ربوبيّته، وبعجزها على قدرته، وبفطورها على قدمته، وبزوالها على بقائه، فلا لها محيص عن إدراكه إيّاها، ولا خروج من إحاطته بها، ولا احتجاب عن إحصائه لها، ولا امتناع من قدرته عليها؛ كفى بإتقان الصنع لها آية، وبمركب الطبع عليها دلالة، وبحدوث الفطر عليها قدمة، وبإحكام الصنعة لها عبرة، فلا إليه حدّ منسوب، ولا له مثل مضروب، ولا شيء عنه بمحجوب، تعالى عن ضرب الأمثال والصفات المخلوقة علوّاً كبيراً، وأشهد أن لا إله إلّا هو إيماناً بربوبيّته، وخلافاً على من أنكره، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، المقرّ في خير مستقرّ، المتناسخ من أكارم الأصلاب ومطهّرات الأرحام، المخرج من أكرم المعادن محتداً، وأفضل المنابت منبتاً، من أمنع ذروة[٧٤٤] وأعزّ أرومة، من الشجرة الّتي صاغ الله منها أنبياءه[٧٤٥]، وانتجب منها اُمناءه، الطيّبة العود، المعتدلة العمود، الباسقة الفروع،

٧٤٤- «أمنع» من «منع جاره» أي حامى عنه وصانه من أن يضام، أو من «منع الحصن» أي تعسّر الوصول إليه، يقال: «مكان منيع» ويقال: «امرأة منيعة» كناية عن العفيفة. و«الذروة» بضمّ الذال وكسرها وسكون الراء، العلوّ والمكان المرتفع وأعلى الشيء. ولعلّه إشارة إلى شرف والدته ـ صلّى الله عليه وآله ـ ومجدها وعلوّ نسبها وحسبها وقداستها وشدّة عفّتها.

٧٤٥- «صاغ الشيء» هيّأه على مثال مستقيم.

الناضرة الغصون[٧٤٦]، اليانعة الثمار، الكريمة الحشا[٧٤٧]، في كرم غرست[٧٤٨] وفي حرم أنبتت[٧٤٩]، وفيه تشعّبت وأثمرت وعزّت وامتنعت فسمت به وشمخت حتّى أكرمه الله - عزّ وجلّ - بالروح الأمين، والنور المنير، والكتاب المستبين، وسخّر له البراق، وصافحته الملائكة، وأرعب به الأبالس، وهدم به الأصنام والآلهة المعبودة دونه، سنّته الرشد، وسيرته العدل، وحكمه الحقّ، صدع بما أمره ربّه، وبلّغ ما حمّله، حتّى أفصح بالتوحيد دعوته، وأظهر في الخلق أن لا إله إلّا الله وحده لاشريك له، حتّى خلصت الوحدانيّة وصفت الربوبيّة[٧٥٠]، وأظهر الله بالتوحيد حجّته، وأعلى بالاسلام درجته، واختار الله - عزّ وجلّ - لنبيّه ما عنده من الروح والدرجة والوسيلة. صلّى الله عليه وعلى آله الطاهرين.

بيان: قوله - عليه السلام - «ولا من شيء كوّن ماقد كان» ردّ على من يقول بأنّ كلّ حادث مسبوق بالمادّة. «المستشهد بحدوث الأشياء على أزليّته»، «الاستشهاد» طلب الشهادة أي طلب من العقول بما بيّن لها من حدوث الأشياء الشهادة على أزليّته، أومن الأشياء أنفسها بأن جعلها حادثة فهي بلسان حدوثها تشهد

٧٤٦- «نضر الشجر» أخضر وحسن وكان جيلاً.

٧٤٧- «الحشا» ما انضمّت عليه الضلوع. مافي البطن. والجمع «الأحشاء». ويقال: «فلان في حشا فلان» أي في كنفه، و«فلان خيرهم حشاً» أي رعاية.

٧٤٨- «الكرم» بفتح الكاف والراء، صفة بمعنى الكريم والطيب؛ يستوي فيه المذكّر والمؤنّث والمفرد والجمع، يقال: رجل كرم ونساء كرم وأرض كرم. وبسكون الراء يأتي بمعنى أرض منقاة من الحجارة.

٧٤٩- «الحرم» بفتح الحاء والراء، مصدر بمعنى مايحميه الرجل ويدافع عنه، وبالضمّتين جمع «الحريم» كلّ موضع تجب حمايته؛ و«حريم الرجل» مايدافع عنه ويحميه، ومنه سمّيت نساء الرجل بالحريم.

٧٥٠- أي خلصت ونقيت.

على أزليّته، والمعنى على التقديرين أنّ العقل يحكم بأنّ كلّ حادث يحتاج إلى موجد، وأنّه لابدّ من أن تنتهي سلسلة الاحتياج إلى من لايحتاج إلى موجد فيحكم بأنّ علّة العلل لابدّ أن يكون أزليّاً، وإلّا لكان محتاجاً إلى موجد آخر بحكم المقدّمة الأولى.

«و بما وسمها به من العجز على قدرته»، «الوسم» الكيّ، شبّه ــ عليه السلام ــ ماأظهر عليها من آثار العجز والإمكان والاحتياج بالسمة الّتي تكون على العبيد والنعم و تدلّ على كونها مقهورة مملوكة. «و بما اضطرّها إليه من الفناء على دوامه» إذفناؤهايدلّ على إمكانها و حدوثها فيدلّ على احتياجها إلى صانع ليس كذلك.

«لم يخل منه مكان فيدرك بأينيّة» أي ليس ذامكان حتّى يكون في مكان دون مكان كما هومن لوازم المتمكّنات فيدرك بأنّه ذوأين و مكان، بل نسبة المجرّد إلى جميع الأمكنة على السواء، و لم يخل منه مكان من حيث الإحاطة العلميّة والعلّيّة والحفظ والتربية؛ أو أنّه لم يخل منه مكان حتّى يكون إدراكه بالوصول إلى مكانه بل آثاره ظاهرة في كلّ شي ء. «ولاله شبح مثال فيوصف بكيفيّة» إضافة الشبح بيانيّة، أي ليس له شبح مماثل له لا في الخارج ولا في الأذهان فيوصف بأنّه ذوكيفيّة من الكيفيّات الجسمانيّة أو الإمكانيّة و يحتمل أن يكون المراد بالكيفيّة الصورة العلميّة.

«و لم يغب عن شي ء فيعلم بحيثيّة» أي لم يغب عن شي ء من حيث العلم حتّى يعلم أنّه ذوحيث و مكان إذشأن المكانيّات أن يغيبوا عن شي ء فلايحيطوا به علماً فيكون كالتأكيد للفقرة السابقة، و يحتمل أن يكون «حيث» هنا للزمان، قال ابن هاشم: قال الأخفش: و قدترد «حيث» للزمان؛ أي لم يغب عن شي ء بالعدم ليكون وجوده مخصوصاً بزمان دون زمان، و يحتمل على هذا أن يكون إشارة إلى ماقيل من أنّه ــ تعالى ــ لمّا كان خارجاً عن الزمان فجميع الازمنة حاضرة عنده كخيط مع مافيه من الزمانيّات و إنّما يغيب شي ء عمّا لم يأت إذا كان داخلاً في الزمان. و يحتمل أن تكون الحيثيّة تعليليّة أي لم يجهل شيئاً فيكون علمه به معلّلاً بعلّة، و على هذا يمكن أن يقرأ «يعلم» على بناء المعلوم. و في التوحيد: لم يغب عن علمه شي ء.

«و ممتنع عن الإدراك بما ابتدع من تصريف الذوات» أي أظهر بما أبدع من الذوات المتغيّره المتنقلة من حال إلى حال أنّه يمتنع إدراكه إمّا لوجوب وجود المانع من حصول حقيقته في الأذهان لمامرّ، أولأنّ حصوله فيها يستلزم كونه كسائر الذوات الممكنة محلاً للصفات المتغيّرة فيحتاج إلى صانع، أولأنّ العقل يحكم بمباينة الصانع للمصنوع في الصفات فلايدرك كما تدرك تلك الذوات؛ و يحتمل أن يكون الظرف متعلّقاً بالادراك، أي يمتنع عن أن يدرك بخلقه أي بمشابهتها، أو بالصور العلميّة الّتي هي مخلوقة له.

«من جميع تصرّف الحالات» أي الصفات الحادثة المتغيّرة. «محرّم على بوارع ناقبات الفطن تحديده»، «البوارع» جمع «البارعة» و هي الفائقة. و «النقب» الثقب، و لعلّ المراد بالتحديد العقليّ، و يحتمل الأعمّ. و «الثاقبات» النافذات أوالمضيئات. و «التكييف» إثبات الكيف له أو الإحاطة بكيفيّة ذاته و صفاته أي كنهها. و كذا «التصوير» إثبات الصورة، أو تصوّره بالكنه، والأخير فيهما أظهر.

قوله «لعظمته» أي لكونه أعظم شأناً من أن يكون محتاجاً إلى المكان.

قوله ــ عليه السلام ــ «لجلاله» أي لكونه أجلّ قدراً عن أن يكون ذامقدار.

قوله ــ عليه السلام ــ «ولا تقطعه» من «قطعه» ــ كسمعه ــ أي أبانه، أو من «قطع الوادي و قطع المسافة»؛ و «المقائيس» أعمّ من المقائيس الجسمانيّة والعقلانيّة. و «الكنه» بالضمّ، جوهر الشيء و غايته و قدره و وقته و وجهه؛ و «اكتنهه و أكنهه» بلغ كنهه، ذكره الفيروزآباديّ.

قوله ــ عليه السلام ــ «أن تستغرقه» قال الفيروزآباديّ: «استغرق» استوعب، و في التوحيد: «أن تستعرفه» أي تطلب معرفته. قوله ــ عليه السلام ــ «أن تمتثله» قال الفيروزآباديّ: «امتثله» تصوّره، و في التوحيد: «تمثّله». قوله «من استنباط» أي استخراج الإحاطة به و بكنهه. «طوامح العقول» أي العقول الطامحة الرفيعة، و كلّ مرتفع طامح.

قوله ــ عليه السلام ــ «و نضبت» يقال: «نضب الماء نضوباً» أي غار أي

يبست بحارالعلوم قبل أن تشير إلى كنه ذاته، أوتبيّن غاية صفاته. قوله «بالصغر» بالضمّ، أي مع الذلّ. و «السموّ» الارتفاع والعلوّ، و لعلّ إضافة اللطائف إلى الخصوم ليست من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف، بل المراد المناظرات اللطيفة بينهم، أوفكرهم الدقيقة، أوعقولهم و نفوسهم اللّطيفة.

قوله ـ عليه السلام ـ «واحد لا من عدد» أي من غير أن يكون فيه تعدّد، أو من غير أن يكون معه ثان من جنسه. و «الأمد» الغاية، و «العمد» بالتحريك، جمع «العمود» أي ليس قيامه قياماً جسمانياً يكون بالعمد البدنيّة أو بالاعتماد على الساقين، أو أنّه قائم باق من غير استناد إلى سبب يعتمد عليه و يقيمه كسائر الموجودات الممكنة. قوله ـ عليه السلام ـ «ليس بجنس» أي ذا جنس، فيكون ممكناً معادلاً لسائر الممكنات الداخلة تحت جنسه أو أجناسها. و «الشبح» بالتحريك، الشخص، و جمعه أشباح. و «المضارعة» المشابهة؛ وقال الجزري: «التيّار» موج البحر ولجّته. انتهى. و «حصر الرجل» ـ كعلم ـ تعب، و «حصرت صدورهم» ضاقت، و كلّ من امتنع من شيء لم يقدر عليه فقد حصرعنه، ذكرها الجوهريّ. و «الاستشعار» لبس الشعار و الثوب الّذي يلي الجسد كناية عن ملازمة الوصف، و يحتمل أن يكون المراد به هنا طلب العلم والشعور. و «الملكوت» الملك والعزّة و السلطان.

قوله ـ عليه السلام ـ «بالآلاء» أي عليها. و «التملّك» الملك قهراً، و ضمّن معنى التسلّط والاستيلاء، و في بعض نسخ التوحيد: مستملك. قوله «يخلقه» من باب الإفعال من «الخلق» ضدّ الجديد. و «الراتب» الثابت، و «الصعب» نقيض الذلول، و «التخم» منتهى الشيء، والجمع «التخوم» بالضمّ. و «الرصين» المحكم الثابت، و «أسباب السماء» مراقيها أونواحيها أوأبوابها، و «الشاهق» المرتفع من الجبال والأبنية و غيرها. فرواتب الصعاب إشارة إلى الجبال الشاهقة الّتي تشبه الإبل الصعاب حيث أثبتها بعروقها إلى منتهى الأرض، و يحتمل أن تكون إشارة إلى جميع الأسباب الأرضيّة من الأرض والجبال والماء والثور والسمكة والصخرة و غيرها حيث

أثبت كلّاً منها في مقرّها بحيث لايزول عنه ولا يتزلزل ولايضطرب. و إنّما عبّر عنها بالصعاب إشارة إلى أنّ من شأنها أن تضطرب و تزلزل لولا أنّ الله أثبتها بقدرته. و رواصن الأسباب إشارة إلى الأسباب السماويّة من الأفلاك والكواكب حيث رتّبها على نظام لايختلّ ولا يتبدّل ولا يختلف، و لذا أورد ــ عليه السلام ــ في الأوّل التخوم و في الثاني الشواهق. و ما بعد ذلك من الفقرات مؤكّدة لمامرّ. و «الإدراك والإحاطة والإحصاء» كلّ منها يحتمل أن يكون بالعلم أو بالقدرة و العلّيّة والقهر والغلبة، أو بالمعنى الأعمّ، أو بالتوزيع.

قوله ــ عليه السلام ــ «كفى بإتقان الصنع» البآء زائدة أي كفى إحكام صنعه ــ تعالى ــ للأشياء لكونها آية لوجوده و صفاته الكماليّة. و «المركب» مصدر ميميّ بمعنى الركوب، أي كفى ركوب الطبائع و غلبتها على الأشياء للدلالة على من جعل الطبائع فيها و جعلها مسخّرة لها؛ و يحتمل أن يكون اسم مفعول من التركيب كما يقال: «ركّبت الفصّ في الخاتم أوعليه»، أي كفى الطبع الّذي ركّب على الأشياء دلالة على مركّبها. و على التقديرين ردّ على الطبيعيّين المنكرين للصانع بإسناد الأشياء إلى الطبائع. و «الفطر» الخلق و الابتداء والاختراع، و يحتمل أن يكون هنا «الفِطَر» بكسر الفاء و فتح الطاء على صيغة الجمع، أي كفى حدوث الخلق على الأشياء دلالة على قدمه.

قوله ــ عليه السلام ــ «فلا إليه حدّ» أي ليس له حدّ ينسب إليه. قوله «إيماناً» حال أو مفعول لأجله، و كذا قوله «خلاقاً». قوله ــ عليه السلام ــ «المقرّ» على صيغة المفعول، و «خير مستقرّ» المراد به إمّا عالم الأرواح أو الأصلاب الطاهرة أوأعلى علّيّين بعد الوفاة.

قوله «المتناسخ» أي المتزايل والمنتقل. و «المحتد» بكسر التاء، الأصل، يقال: «فلان في محتد صدق» ذكره الجوهريّ. و «المنبت» بكسر الباء، موضع النبات. و «الأرومة» بفتح الهمزة وضمّ الراء، أصل الشجرة و «بسق النخل بسوقاً»

طال، و منه قوله ـ تعالى ـ: «وَ النَّخلَ بَاسِقَاتٍ» [٧٥١]. و «اليانع» النضيج. و «الحشا» واحد أحشاء البطن؛ والمرادهنا داخل الشجرة و يحتمل أن يكون من قولهم «أنا في حشاه» أي في كنفه و ناحيته. و «سمت و شمخت» كلاهما بمعنى ارتفعت. والباء في قوله «به» لتعديتها. والمراد بالشجرة، الإبراهيميّة، ثمّ القرشيّة، ثمّ الهاشميّة. و «صدع بالحقّ» تكلّم به جهاراً. و «الإفصاح» البيان بفصاحة، أي أظهر دعوته متلبّساً بالتوحيد، و يمكن أن تقرأ «دعوته» بالرفع ليكون فاعل الإفصاح والضمير في قوله «حجّته و درجته» راجع إلى الرسول. [٧٥٢]

١٨٦ ـ ومن خطبة له عليه السلام

في التوحيد، وتجمع هذه الخطبة من أصول العلم ما لا تجمعه خطبة

مَا وَحَّدَهُ مَنْ كَيَّفَهُ، وَلَا حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مَنْ مَثَّلَهُ، وَلَا إِيَّاهُ عَنَى مَنْ شَبَّهَهُ، وَلَا صَمَدَهُ(٢٣٨٨) مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ وَتَوَهَّمَهُ. كُلُّ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ(٢٣٨٩)، وَكُلُّ قَائِمٍ فِي سِوَاهُ مَعْلُولٌ. فَاعِلٌ لَا بِاضْطِرَابِ آلَةٍ، مُقَدِّرٌ لَا بِجَوْلِ فِكْرَةٍ، غَنِيٌّ لَا بِاسْتِفَادَةٍ. لَا تَصْحَبُهُ الْأَوْقَاتُ، وَلَا تَرْفِدُهُ(٢٣٩٠) الْأَدَوَاتُ؛ سَبَقَ الْأَوْقَاتَ كَوْنُهُ، وَالْعَدَمَ وَجُودُهُ، وَالِابْتِدَاءَ أَزَلُهُ. بِتَشْعِيرِهِ الْمَشَاعِرَ عُرِفَ أَنْ لَا مَشْعَرَ لَهُ(٢٣٩١)، وَبِمُضَادَّتِهِ بَيْنَ الْأُمُورِ عُرِفَ أَنْ لَا ضِدَّ لَهُ، وَبِمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنْ لَا قَرِينَ

٧٥١ ـ ق: ١٠.

٧٥٢ ـ بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٤، كتاب التوحيد، ص ٢٢١.

لَهُ . ضَادَّ النُّورَ بِالظُّلْمَةِ ، وَالْوُضُوحَ بِالْبُهْمَةِ ، وَالْجُمُودَ بِالْبَلَلِ ، وَالْحَرُورَ بِالصَّرَدِ (٢٣٩٢) . مُؤَلِّفٌ بَيْنَ مُتَعَادِيَاتِهَا ، مُقَارِنٌ بَيْنَ مُتَبَايِنَاتِهَا ، مُقَرِّبٌ بَيْنَ مُتَبَاعِدَاتِهَا ، مُفَرِّقٌ بَيْنَ مُتَدَانِيَاتِهَا (٢٣٩٣) . لَا يُشْمَلُ بِحَدٍّ ، وَلَا يُحْسَبُ بِعَدٍّ ، وَإِنَّمَا تَحُدُّ الْأَدَوَاتُ أَنْفُسَهَا ، وَتُشِيرُ الْآلَاتُ إِلَىٰ نَظَائِرِهَا . مَنَعَتْهَا « مُنْذُ » الْقِدْمَةَ ، وَحَمَتْهَا « قَدُ » الْأَزَلِيَّةَ ، وَجَنَّبَتْهَا « لَوْلَا » التَّكْمِلَةَ (٢٣٩٤) ! بِهَا تَجَلَّىٰ صَانِعُهَا لِلْعُقُولِ ، وَبِهَا امْتَنَعَ عَنْ نَظَرِ الْعُيُونِ ، وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ السُّكُونُ وَالْحَرَكَةُ ، وَكَيْفَ يَجْرِي عَلَيْهِ مَا هُوَ أَجْرَاهُ ، وَيَعُودُ فِيهِ مَا هُوَ أَبْدَاهُ ، وَيَحْدُثُ فِيهِ مَا هُوَ أَحْدَثَهُ ! إِذاً لَتَفَاوَتَتْ ذَاتُهُ (٢٣٩٥) ، وَلَتَجَزَّأَ كُنْهُهُ ، وَلَامْتَنَعَ مِنَ الْأَزَلِ مَعْنَاهُ ، وَلَكَانَ لَهُ وَرَاءٌ إِذْ وُجِدَ لَهُ أَمَامٌ ، وَلَالْتَمَسَ التَّمَامَ إِذْ لَزِمَهُ النُّقْصَانُ . وَإِذاً لَقَامَتْ آيَةُ الْمَصْنُوعِ فِيهِ ، وَلَتَحَوَّلَ دَلِيلاً بَعْدَ أَنْ كَانَ مَدْلُولاً عَلَيْهِ ، وَخَرَجَ بِسُلْطَانِ الِامْتِنَاعِ (٢٣٩٦) مِنْ أَنْ يُؤَثِّرَ فِيهِ مَا يُؤَثِّرُ فِي غَيْرِهِ . الَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ ، وَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْأُفُولُ (٢٣٩٧) . لَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْلُوداً (٢٣٩٨) ، وَلَمْ يُولَدْ فَيَصِيرَ مَحْدُوداً . جَلَّ عَنِ اتِّخَاذِ الْأَبْنَاءِ ، وَطَهُرَ عَنْ مُلَامَسَةِ النِّسَاءِ . لَا تَنَالُهُ الْأَوْهَامُ فَتُقَدِّرَهُ ، وَلَا تَتَوَهَّمُهُ الْفِطَنُ فَتُصَوِّرَهُ ، وَلَا تُدْرِكُهُ الْحَوَاسُّ فَتُحِسَّهُ ، وَلَا تَلْمِسُهُ الْأَيْدِي فَتَمَسَّهُ . وَلَا يَتَغَيَّرُ بِحَالٍ ، وَلَا يَتَبَدَّلُ فِي الْأَحْوَالِ . وَلَا تُبْلِيهِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ ، وَلَا

يُغَيِّرُهُ الضِّيَاءُ وَالظَّلَامُ. وَلَا يُوصَفُ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَجْزَاءِ[٢٣٩٩]، وَلَا بِالْجَوَارِحِ وَالْأَعْضَاءِ، وَلَا بِعَرَضٍ مِنَ الْأَعْرَاضِ، وَلَا بِالْغَيْرِيَّةِ وَالْأَبْعَاضِ. وَلَا يُقَالُ: لَهُ حَدٌّ وَلَا نِهَايَةٌ، وَلَا انْقِطَاعٌ وَلَا غَايَةٌ؛ وَلَا أَنَّ الْأَشْيَاءَ تَحْوِيهِ فَتُقِلَّهُ[٢٤٠٠] أَوْ تُهْوِيَهُ[٢٤٠١]، أَوْ أَنَّ شَيْئاً يَحْمِلُهُ فَيُمِيلَهُ أَوْ يُعَدِّلَهُ. لَيْسَ فِي الْأَشْيَاءِ بِوَالِجٍ[٢٤٠٢]، وَلَا عَنْهَا بِخَارِجٍ. يُخْبِرُ لَا بِلِسَانٍ وَلَهَوَاتٍ[٢٤٠٣]، وَيَسْمَعُ لَا بِخُرُوقٍ وَأَدَوَاتٍ. يَقُولُ وَلَا يَلْفِظُ، وَيَحْفَظُ وَلَا يَتَحَفَّظُ[٢٤٠٤]، وَيُرِيدُ وَلَا يُضْمِرُ. يُحِبُّ وَيَرْضَى مِنْ غَيْرِ رِقَّةٍ، وَيُبْغِضُ وَيَغْضَبُ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ. يَقُولُ لِمَنْ أَرَادَ كَوْنَهُ: «كُنْ فَيَكُونُ»، لَا بِصَوْتٍ يَقْرَعُ، وَلَا بِنِدَاءٍ يُسْمَعُ؛ وَإِنَّمَا كَلَامُهُ سُبْحَانَهُ فِعْلٌ مِنْهُ أَنْشَأَهُ وَمَثَّلَهُ، لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذٰلِكَ كَائِناً، وَلَوْ كَانَ قَدِيماً لَكَانَ إِلٰهاً ثَانِياً.

لَا يُقَالُ: كَانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ، فَتَجْرِيَ عَلَيْهِ الصِّفَاتُ الْمُحْدَثَاتُ، وَلَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ فَصْلٌ، وَلَا لَهُ عَلَيْهَا فَضْلٌ، فَيَسْتَوِيَ الصَّانِعُ وَالْمَصْنُوعُ، وَيَتَكَافَأَ الْمُبْتَدَعُ وَالْبَدِيعُ. خَلَقَ الْخَلَائِقَ عَلَىٰ غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ، وَلَمْ يَسْتَعِنْ عَلَىٰ خَلْقِهَا بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ. وَأَنْشَأَ الْأَرْضَ فَأَمْسَكَهَا مِنْ غَيْرِ اشْتِغَالٍ، وَأَرْسَاهَا عَلَىٰ غَيْرِ قَرَارٍ، وَأَقَامَهَا بِغَيْرِ قَوَائِمَ، وَرَفَعَهَا بِغَيْرِ دَعَائِمَ، وَحَصَّنَهَا مِنَ الْأَوَدِ[٢٤٠٥] وَالِاعْوِجَاجِ، وَمَنَعَهَا مِنَ التَّهَافُتِ[٢٤٠٦] وَالِانْفِرَاجِ[٢٤٠٧]. أَرْسَىٰ أَوْتَادَهَا[٢٤٠٨]، وَضَرَبَ

أَسْدَادَهَا[٢٤٠٩]، وَٱسْتَفَاضَ عُيُونَهَا، وَخَدَّ[٢٤١٠] أَوْدِيَتَهَا؛ فَلَمْ يَهِنْ[٢٤١١] مَا بَنَاهُ، وَلَا ضَعُفَ مَا قَوَّاهُ. هُوَ الظَّاهِرُ عَلَيْهَا بِسُلْطَانِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَهُوَ ٱلْبَاطِنُ لَهَا بِعِلْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ، وَٱلْعَالِي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مِنْهَا بِجَلَالِهِ وَعِزَّتِهِ. لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ مِنْهَا طَلَبَهُ، وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ فَيَغْلِبَهُ، وَلَا يَفُوتُهُ السَّرِيعُ مِنْهَا فَيَسْبِقَهُ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ ذِي مَالٍ فَيَرْزُقَهُ. خَضَعَتِ ٱلْأَشْيَاءُ لَهُ، وَذَلَّتْ مُسْتَكِينَةً لِعَظَمَتِهِ، لَا تَسْتَطِيعُ ٱلْهَرَبَ مِنْ سُلْطَانِهِ إِلَىٰ غَيْرِهِ فَتَمْتَنِعَ مِنْ نَفْعِهِ وَضَرِّهِ، وَلَا كُفْءَ لَهُ فَيُكَافِئَهُ، وَلَا نَظِيرَ لَهُ فَيُسَاوِيَهُ. هُوَ ٱلْمُفْنِي لَهَا بَعْدَ وُجُودِهَا، حَتَّىٰ يَصِيرَ مَوْجُودُهَا كَمَفْقُودِهَا.

وَلَيْسَ فَنَاءُ الدُّنْيَا بَعْدَ ٱبْتِدَاعِهَا بِأَعْجَبَ مِنْ إِنْشَائِهَا وَٱخْتِرَاعِهَا. وَكَيْفَ وَلَوِ ٱجْتَمَعَ جَمِيعُ حَيَوَانِهَا مِنْ طَيْرِهَا وَبَهَائِمِهَا، وَمَا كَانَ مِنْ مُرَاحِهَا[٢٤١٢] وَسَائِمِهَا[٢٤١٣]، وَأَصْنَافِ أَسْنَاخِهَا[٢٤١٤] وَأَجْنَاسِهَا، وَمُتَبَلِّدَةِ[٢٤١٥] أُمَمِهَا وَأَكْيَاسِهَا[٢٤١٦]، عَلَىٰ إِحْدَاثِ بَعُوضَةٍ، مَا قَدَرَتْ عَلَىٰ إِحْدَاثِهَا، وَلَا عَرَفَتْ كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَىٰ إِيجَادِهَا، وَلَتَحَيَّرَتْ عُقُولُهَا فِي عِلْمِ ذٰلِكَ وَتَاهَتْ، وَعَجَزَتْ قُوَاهَا وَتَنَاهَتْ، وَرَجَعَتْ خَاسِئَةً[٢٤١٧] حَسِيرَةً[٢٤١٨]، عَارِفَةً بِأَنَّهَا مَقْهُورَةٌ، مُقِرَّةً بِٱلْعَجْزِ عَنْ إِنْشَائِهَا، مُذْعِنَةً بِالضَّعْفِ عَنْ إِفْنَائِهَا!

وَإِنَّ ٱللهَ، سُبْحَانَهُ، يَعُودُ بَعْدَ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَحْدَهُ لَا شَيْءَ مَعَهُ. كَمَا

كَانَ قَبلَ ٱبْتِدَائِهَا ، كَذَٰلِكَ يَكُونُ بَعْدَ فَنَائِهَا ، بِلَا وَقْتٍ وَلَا مَكَانٍ ، وَلَا حِينٍ وَلَا زَمَانٍ . عُدِمَتْ عِنْدَ ذَٰلِكَ ٱلْآجَالُ وَٱلْأَوْقَاتُ ، وَزَالَتِ السِّنُونَ وَالسَّاعَاتُ . فَـلَا شَيْءَ إِلَّا ٱللهُ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ الَّذِي إِلَيْـهِ مَصِيرُ جَمِيعِ ٱلْأُمُورِ . بِلَا قُدْرَةٍ مِنْهَا كَانَ ٱبْتِدَاءُ خَلْقِهَا ، وَبِغَيْـرِ ٱمْتِنَاعٍ مِنْهَا كَانَ فَنَاؤُهَا ، وَلَوْ قَدرَتْ عَلَىٰ ٱلِامْتِنَاعِ لَدَامَ بَقَاؤُهَا . لَمْ يَتَكَاءَدْهُ[٢٤١٩] صُنْعُ شَيْءٍ مِنْهَا إِذْ صَنَعَهُ ، وَلَمْ يَؤُدْهُ[٢٤٢٠] مِنْهَا خَلْقُ مَا خَلَقَهُ وَبَرَأَهُ[٢٤٢١] ، وَلَمْ يُكَوِّنْهَا لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ ، وَلَا لِخَوْفٍ مِنْ زَوَالٍ وَنُقْصَانٍ ، وَلَا لِلاسْتِعَانَةِ بِهَا عَلَىٰ نِدٍّ[٢٤٢٢] مُكَاثِرٍ[٢٤٢٣] ، وَلَا لِلاحْتِرَازِ بِهَا مِنْ ضِدٍّ مُثَاوِرٍ[٢٤٢٤] ، وَلَا لِلازْدِيَادِ بِهَا فِي مُلْكِهِ ، وَلَا لِمُكَاثَرَةِ شَرِيكٍ فِي شِرْكِهِ ، وَلَا لِوَحْشَةٍ كَانَتْ مِنْهُ ، فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَأْنِسَ إِلَيْهَا .

ثُمَّ هُوَ يُفْنِيهَا بَعْدَ تَكْوِينِهَا ، لَا لِسَأَمٍ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي تَصْرِيفِهَا وَتَدْبِيرِهَا ، وَلَا لِرَاحَةٍ وَاصِلَةٍ إِلَيْهِ ، وَلَا لِثِقَلِ شَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهِ . لَا يُمِلُّهُ طُولُ بَقَائِهَا فَيَدْعُوَهُ إِلَىٰ سُرْعَةِ إِفْنَائِهَا . وَلٰكِنَّهُ سُبْحَانَهُ دَبَّرَهَا بِلُطْفِهِ ، وَأَمْسَكَهَا بِأَمْرِهِ ، وَأَتْقَنَهَا بِقُدْرَتِهِ . ثُمَّ يُعِيدُهَا بَعْدَ ٱلْفَنَاءِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهَا ، وَلَا ٱسْتِعَانَةٍ بِشَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهَا ، وَلَا لِانْصِرَافٍ مِنْ حَالِ وَحْشَةٍ إِلَىٰ حَالِ ٱسْتِئْنَاسٍ ، وَلَا مِنْ حَالِ جَهْلٍ وَعَمًى إِلَىٰ حَالِ

عِلْمٍ وَٱلْتِمَاسٍ ، وَلَا مِنْ فَقْرٍ وَحَاجَةٍ إِلَى غِنًى وَكَثْرَةٍ ، وَلَا مِنْ ذُلٍّ وَضَعَةٍ إِلَى عِزٍّ وَقُدْرَةٍ .

بيان: قال بعض شرّاح النهج في قوله ــ عليه السلام ــ «ولتجزّأ كنهه» إشارة إلى نفي الجوهر الفرد. و قال: قوله ــ عليه السلام ــ «و لكان له وراء إذ كان له أمام» يؤكّد ذلك لأنّ من أثبته يقول يصحّ أن تحلّه الحركة ولا يكون أحد وجهيه غيرالآخر.

*** فائدة ***

اعلم أنّ الطبيعيّين والرياضيّين اتّفقوا على أنّ الأرض كرو يّة بحسب الحسّ و كذا الماء المحيط بها، و صارا بمنزلة كرة واحدة، فالماء ليس بتامّ الاستدارة بل هو على هيئة كرة مجوّفة قطع بعض منها و ملئت الأرض على وجه صارت الأرض مع الماء بمنزلة كرة واحدة، و مع ذلك ليس شي ء من سطحيه صحيح الاستدارة، أمّا المحدّب فلمافيه من الأمواج،وأمّاالمقعّرفللتضاريس فيه من الأرض.وقد أخرج الله ــ تعالى ــ قريباً من الربع من الأرض من الماء بمحض عنايته الكاملة، أولبعض الأسباب المتقدّمة لتكون مسكناً للحيوانات المتنفّسة و غيرها من المركّبات المحوجة إلى غلبة العنصر اليابس الصلب لحفظ الصور و الأشكال و ربط الأعضاء والأوصال. و ممّا يدلّ على كرو يّة الأرض ما أومأنا إليه سابقاً من طلوع الكواكب و غروبها في البقاع الشرقيّة قبل طلوعها و غروبها في الغربيّة بقدر ما تقتضيه أبعاد تلك البقاع في الجهتين على ما علم من ارصاد كسوفات بعينها لاسيّما القمريّة في بقاع مختلفة، فإنّ ذلك ليس في ساعات متساو ية البعد من نصف النهار على الوجه المذكور، و كون الاختلاف متقدّراً بقدر الأبعاد دليل على الاستدارة المتشابهة السائرةبحدبتها المواضع الّتي يتلو بعضها بعضاً على قياس واحد بين الخافقين، و ازدياد ارتفاع القطب والكواكب الشماليّة و انحطاط الجنوبيّة للسائرين إلى الشمال و بالعكس للسائرين إلى الجنوب بحسب سيرهما دليل على استدارتها بين الجنوب والشمال، و تركّب الاختلافين يعطي الاستداره في جميع الامتدادات. و يؤيّده مشاهدة استدارة أطراف المنكسف من القمر الدالّة على أنّ الفصل المشترك بين المستضي ء من الأرض و ما

ينبعث منه الظلّ دائرة، و كذلك اختلاف ساعات النهر[753] الطوال والقصار في مساكن متفقة الطول إلى غير ذلك. ولو كانت أُسطوانيّة قاعدتاها نحو القطبين لم يكن لساكني الاستدارة كوكب أبديّ الظهور، بل إمّا الجميع طالعة غاربة أو كانت كواكب يكون من كلّ واحد من القطبين على بعد تستره القاعدتان أبديّة الخفاء والباقية طالعة غاربة و ليس كذلك، و أيضاً فالسائر إلى الشمال قد يغيب عنه دائماً كواكب كانت تظهر له، و تظهر له كواكب كانت تغيب عنه بقدر إمعانه في السير و ذلك يدلّ على استدارتها في هاتين الجهتين أيضاً. و ممّا يدلّ على استدارة سطح الماء الواقف طلوع رؤوس الجبال الشامخة على السائرين في البحر أوّلاً ثمّ مايلي رؤوسها شيئاً بعد شيء في جميع الجهات. و قالوا: التضاريس الّتي على وجه الأرض من جهة الجبال و الاغوار لا تقدح في كرويّتها الحسيّة، إذ ارتفاع أعظم الجبال و أرفعها على ما وجدوه فرسخان و ثلث فرسخ، و نسبتها إلى جرم الأرض كنسبة جرم سبع عرض شعيرة إلى كرة قطرها ذراع بل أقلّ من ذلك. و يظهر من كلام أكثر المتأخرين أنّ عدم قدح تلك الأمور في كرويّتها الحسّيّة معناه أنّها لاتخلّ بشكل جملتها كالبيضة أُلزقت بها حبّات شعير لم يقدح ذلك في شكل جملتها. و اعترض عليه بأنّ كون الأرض أو البيضة حينئذ على الشكل الكرويّ أو البيضيّ عند الحسّ ممنوع، و كيف يمكن دعوى ذلك مع ما يرى على كلّ منها ما يخرج به الشكل ممّا اعتبروا فيه و عرّفوه به؟ و ربما يوجّه بوجه آخر و هو أنّ الجبال والوهاد الواقعة على سطح الأرض غير محسوسة عادة عند الاحساس بجملة كرة الأرض على ما هي عليه في الواقع. بيانه أنّ رؤية الأشياء تختلف بالقرب والبعد، فيرى القريب أعظم ممّا هوالواقع والبعيد أصغر منه و هو ظاهر، و قد أطبق القائلون بالانطباع و بخروج الشعاع كلّهم على أنّ هذا الاختلاف في رؤية المرئيّ بسبب القرب والبعد إنّما هو تابع لاختلاف الزاوية الحاصلة عند مركز الجليديّة في رأس المخروط الشعاعيّ بحسب التوهّم أو بحسب الواقع عند انطباق قاعدته على سطح المرئيّ، فكلّما قرب المرئيّ عظمت تلك الزاوية، و

٧٥٣- «النهر» بضمّتين، جمع «النهار».

كلّما بعد صغرت. و قد تقرّر أيضاً بين محققيهم أنّ رؤية الشيء على ما هو عليه إنّما هو[٧٥٤] في حالة يكون البعد بين الرائي والمرئيّ على قدر يقتضي أن تكون الزاوية المذكورة قائمة. فبناءً على ذلك إذا فرضت الزاوية المذكورة بالنسبة إلى مرئيّ قائمة يجب أن يكون البعد بين رأس المخروط و قاعدته المحيطة بالمرئيّ بقدر نصف قطر قاعدته على ما تقرّر في الأصول. فلمّا كان قطر الأرض أزيد من ألفي فرسخ بلا شبهة لا تكون مرئيّة على ماهي عليه من دون ألف فرسخ، و معلوم أنّ الجبال والوهاد المذكورة غير محسوسة عادة عند هذا البعد من المسافة فلايكون لها قدر محسوس عند الأرض بالمعنى الّذي مهّدنا.

ثمّ إنّهم استعلموا بزعمهم مساحة الأرض و أجزاءها و دوائرها في زمان المأمون و قبله فوجدوا مقدار محيط الدائرة العظمى من الأرض ثمانية آلاف فرسخ، و قصرها ألفين و خمسمائة و خمسة و أربعين فرسخاً و نصف فرسخ تقريباً، و مضروب القطر في المحيط مساحة سطح الأرض و هي عشرون ألف ألف و ثلاثمائة و ستّون ألف فرسخ و ربع ذلك مساحة الربع المسكون من الأرض. و أمّا القدر المعمور من الربع المسكون و هو ما بين خطّ الاستواء و الموضع الّذي عرضه بقدر تمام الميل الكليّ فساحته ثلاثة آلاف ألف و سبعمائة و خمسة و ستّين ألفاً و أربعمائة و عشرين فرسخاً و هو قريب من سدس سطح جميع الأرض و سدس عشره. والفرسخ ثلاثة أميال بالاتّفاق، و كلّ ميل أربعة آلاف ذراع عند المحدّثين، و ثلاثة آلاف عند القدماء، و كلّ ذراع أربع و عشرون إصبعاً عند المحدّثين، و اثنان و ثلاثون عند القدماء. و كلّ إصبع بالاتّفاق مقدارستّ شعيرات مضمومة بطون بعضها إلى ظهور بعض من الشعيرات المعتدلة.

و ذكروا أنّ للأرض ثلاث طبقات: الأولى الأرض الصرفة المحيطة بالمركز، الثانية الطبقة الطينيّة و هي المجاورة للماء، الثالثة الطبقة المنكشفة من الماء و هي الّتي تحتبس فيها الأبخرة والأدخنة و تتولّد منها المعادن و النباتات والحيوانات. و زعموا أنّ

٧٥٤ـ في (خ): هي.

البسائط كلّها شفّافة لاتحجب عن إبصار ماورائها ماعدا الكواكب، و أنّ الأرض الصرفة المتجاورة[٧٥٥] للمركز أيضاً شفّافة، والطبقتان الأخريان ليستا بسيطتين فهما كثيفتان. فالأرض جعل الله الطبقة الظاهرة منها ملوّنة كثيفة غبراء لتقبل الضياء و خلق ما فوقها من العناصر مشفّة لطيفة بالطباع لينفذ فيها و يصل إلى غيرها ساطع الشعاع،فإنّ الكواكب و سيّما الشمس والقمر أكثر تأثيراتها في العوالم السفلى بوسيلة أشعّتها المستقيمة والمنعطفة والمنعكسة بإذن الله ـ تعالى ـ.

و قالوا: الأرض في وسط السماء كالمركز في الكرة فينطبق مركز حجمها على مركز العالم، و ذلك لتساوي ارتفاع الكواكب و انحطاطها مدّة ظهورها و ظهور النصف من الفلك دائماً و تطابق أظلال الشمس في وقتي طلوعها و غروبها عند كونها على المدار الّذى يتساوى فيه زمان ظهورها و خفائها على خطّ مستقيم، أوعند كونها في جزئين متقابلين من الدائرة الّتي يقطعها بسيرها الخاصّ بها، و انخساف القمر في مقاطراته[٧٥٦] الحقيقيّة للشمس، فإنّ الأوّل يمنع ميلها إلى أحد الخافقين، والثاني إلى أحد السمتين، الرأس والقدم، و الثالث إلى أحد القطبين، والرابع إلى شي ء منها أو من غيرها من الجهات كما لايخفى. و كما أنّ مركز حجمها منطبق على مركز العالم فكذا مركز ثقلها، و ذلك لأنّ الثقال تميل بطبعها إلى الوسط كما دلّت عليه التجربة، فهي إذن لا تتحرّك عن الوسط، بل هي ساكنة فيه متدافعة بأجزائها من جميع الجوانب إلى المركز تدافعا متساوياً، فلا محالة ينطبق مركز ثقلها الحقيقيّ المتحد بمركز حجمها التقريبيّ على مركز العالم و مستقرّها عند وسط العالم لتكافؤ القوى، بلا تزلزل و اضطراب يحدث فيها لثباتها بالسبب المذكور، و لكون الأثقال المنتقلة من جانب منها إلى الآخر في غاية الصغر بالقياس إليها لايوجب انتقال مركز ثقلها من نقطة إلى أخرى بحركة شي ء منها، و كذا الأجزاء المبائنة لها تهوي إليها و هي تقبلها من جميع نواحيها من دون اضطراب. هذا ما ذكروه في هذا المقام، ولا نعرف من ذلك

٧٥٥ـ في (خ): المجاورة.

٧٥٦ـ «المقاطرة» مقابلة القطرين.

إلّا كون الجميع بقدرة القادر العليم و إرادة المدبّر الحكيم كما ستعرف ذلك إن شاءالله ــ تعالى ــ.

و قال الشيخ المفيد ــ قدّس سرّه ــ في كتاب المقالات: أقول: إنّ العالم هو السماء والأرض و ما بينهما و فيهما من الجواهر والأعراض، و لست أعرف بين أهل التوحيد خلافاً في ذلك.

أقول: لعلّ مراده ــ قدّس سرّه ــ بالسماوات ما يشمل العرش والكرسيّ والحجب، و غرضه نفي الجواهر المجرّدة الّتي تقول بها الحكماء.

ثمّ قال ــ رحمه الله ــ: و أقول: إنّ الفلك هو المحيط بالأرض الدائر عليها و فيه الشمس والقمر و سائر النجوم، والأرض في وسطه بمنزلة النقطة في وسط الدائرة، و هذا مذهب أبي القاسم البلخيّ و جماعة كثيرة من أهل التوحيد، و مذهب أكثر القدماء والمنجّمين و قد خالف فيه جماعة من بصريّة المعتزلة و غيرهم من أهل النحل.

و أقول: إنّ المتحرّك من الفلك إنّما يتحرّك حركةً دوريّةً كما يتحرّك الدائر على الكرة، و إلى هذا ذهب البلخيّ و جماعة من أهل التوحيد، و الأرض على هيئة الكرة في وسط الفلك و هي ساكنة لا تتحرّك، و علّة سكونها أنّها في المركز، و هو مذهب أبي القاسم و أكثر القدماء والمنجّمين، و قد خالف فيه الجبائيّ و ابنه و جماعة غيرهما من أهل الآراء والمذاهب من المقلّدة والمتكلّمين.

ثمّ قال: و أقول: إنّ العالم مملوءة من الجواهر و إنّه لا خلأ فيه، ولو كان فيه خلأ لماصحّ فرق بين المجتمع والمتفرّق من الجواهر والأجسام و هو مذهب أبي القاسم خاصّة من البغداديّين، و مذهب أكثر القدماء من المتكلّمين و خالف فيه الجبائيّ و ابنه و جماعة متكلّمي أهل الحشو والجبر والتشبيه.

ثمّ قال: و أقول: إنّ المكان هو ما أحاط بالشيء من جميع جهاته، ولا يصحّ تحرّك الجواهر إلّا في الأماكن؛ والوقت هو ما جعله الموقّت وقتاً للشيء و ليس بحادث مخصوص والزمان اسم يقع على حركات الفلك فلذلك لم يكن الفعل محتاجاً في وجوده إلى وقت ولا زمان، و على هذا القول سائر الموحّدين.

و سئل السيّد المرتضى ـ رحمه اللّه ـ: الفراغ له نهاية؟ والقديم ـ تعالى ـ يعلم منتهى نهايته؟ و هذا الفراغ أيّ شي ء هو؟ و كذلك الطبقة الثامنة من الأرض والثامنة من السماء نقطع أنّ هناك فراغاً أم لا؟ فإن قلت: لا، طالبتك بما وراء الملأ، القديم ـ تعالى ـ يعلم أنّ هناك نهاية. فإن قلت: نعم، طالبتك أيّ شي ء وراء النّهاية؟

فأجاب ـ رحمه اللّه ـ: إنّ الفراغ لايوصف بأنّه منته، ولا أنّه غير منته على وجه الحقيقة، و إنّما يوصف بذلك مجازاً و اتّساعاً. و أمّا قوله «و هذا الفراغ أيّ شي ء هو؟» فقد علمنا[757] أنّه لاجوهر ولا عرض ولا قديم ولا محدث ولا هو ذات ولا هو معلوم كالمعلومات. و أمّا الطبقة الثامنة من الأرض فما نعرفها، والّذي نطق به القرآن: «سَبْعَ سَمَـٰوَاتٍ طِبَاقاً وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ» فأمّا غير ذلك فلا سبيل للقطع به من عقل ولا شرع. انتهى.

و أقول: بسط الكلام في هذه الأمور خروج عن مقصود الكتاب، و محلّه علم الكلام.[758]

[إيضاح:] «لا تصحبه الأوقات» يحتمل وجهين: أحدهما نفي المصاحبة على الدوام بل وجوده سابق على الأزمان كالزمانيّات[759] كما قال: «سبق الأوقات كونه». و ثانيهما نفي الزمانيّة عنه ـ سبحانه ـ مطلقاً كما ذهب إليه الحكماء من أنّ الزمان نسبة المتغيّر إلى المتغيّر ولا يكون فيما لا تغيّر فيه أصلا، فالمراد بسبق كونه على الأوقات عدم لحوقها له و امتناع مقارنته ـ سبحانه ـ لها، و ربّما يؤيّد ذلك بقوله ـ عليه السلام ـ «و كيف يجري عليه ما هو أجراه؟».

٧٥٧ـ في (خ): قلنا.

٧٥٨ـ بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٦٠، كتاب السماء والعالم، ص ٩٥ـ١٠٠.

٧٥٩ـ يعني أنّ الزمانيّات تصحب الزمان مادامت موجودة لكن وجود الواجب غيرمقارن للزمان دائماً لأنّه ـ تعالى ـ كان موجوداً ولم يكن زمان، فلمّا خلق الزمان صار مقارناً له؛ وأمّا الحكماء فينفون مقارنته ـ سبحانه ـ للزمان مطلقاً لأنّ الزمان أمر تدريجيّ لايقارنه إلّا ماشأنه الحركة والتغيّر وهو الجسم لاغير، ودلالة كلامه ـ عليه السلام ـ على مقالتهم لاغبار عليها.

فإنّه ـ عليه السلام ـ استدلّ على عدم جريان السكون والحركة عليه بأنّه موجدهما فلايكونان من صفاته الكماليّة، لأنّ الفعل لا يكون كمالاً للفاعل و اتّصافه بهما لاعلى وجه الكمال يوجب التغيّر أوالنقص و هذا جارٍ في الزمان أيضاً.

و كذا قوله «و يعود فيه ما هو أبداه» أي أظهره، فقيل: المعنى أنّه ـ سبحانه ـ أظهر الحركة والسكون فكانا متأخّرين عنه ذاتاً، فلوكانا من صفاته لزم أن يعود المتأخّر و يصير متقدّماً لأنّ صفاته ـ سبحانه ـ عين ذاته فلا يجوز خلوّه عنها في مرتبة الإظهار والإيجاد. «و يحدث فيه ما هو أحدثه» لأنّ الشيء لايكون فاعلاً و قابلاً لشيء واحد، أو لما مرّ من لزوم الاستكمال بغيره والنقص في ذاته.

«إذاً لتفاوتت ذاته» أي حصل الاختلاف والتغيّر في ذاته. «و لتجزّأ كنهه» أي كانت حقيقته ذات أجزاء و أبعاض، لأنّ الحركة والسكون مستلزمان للتحيّز المستلزم للجسميّة، أو لكان فيه ما به بالقوّة و ما به بالفعل. «و لامتنع من الأزل معناه» أي ذاته المقصودة من أسمائه الحسنى، والامتناع من الأزل للجسميّة وحدوث ما لاينفكّ عن الحركة والسكون.

«لا بصوت يقرع» أي يقرع الأسماع، و «القرع» الدقّ، و في بعض النسخ على بناء المجهول أي يحصل من قرع شيء «و مثّله» أي أقامه، و قيل: الباريّ ـ تعالى ـ مثّل القرآن لجبرئيل ـ عليه السلام ـ بالكتابة في اللوح، و يقال: «مثّلته بين يديّ» أي أحضرته. فلمّا كان الله ـ تعالى ـ فعل القرآن واضحاً بيّناً كأن قد مثّله للمكلّفين. انتهى. والظاهر أنّ المراد أنّ قوله [ـ تعالى ـ:] «كُن فَيَكُونُ»[٧٦٠] ليس المراد به الكلام الحقيقيّ الّذي له صوت بل كناية عن تعلّق الإرادة و تمثيل لحصول الأشياء بمحض إرادته بلا تأخّر ولا توقّف على أمر.

«و لو كان قديماً لكان إلهاً ثانياً» هذا صريح في أنّ الإمكان لايجامع القدم و أنّ الإيجاد إنّما يكون لما هو مسبوق بالعدم[٧٦١]، فالقول بتعدّد القدماء مع القول بإمكان

٧٦٠ـ النحل: ٤٠.

٧٦١ـ كلامه ـ عليه السلام ـ صريح في أنّ القدم يلازم الألوهيّة ولا يجامع الإمكان، لكنّه ليس بصريح في أنّ المراد به القدم الزمانيّ، فإن كانت هناك قرينة عقليّة وجب حمله على القدم الذاتيّ.

بعضها قول بالنقيضين. «فتجري» على [بناء] المعلوم و في بعض النسخ على [بناء] المجهول. «عليه الصفات المحدثات» في أكثر النسخ «الصفات» معرّفة باللام، فالمحدثات صفة له و في بعضها بدون اللام على الإضافة و هو أنسب، أي لوكان محدثا لجرت عليه صفات الأجسام المحدثة فلم يكن بينه و بينها فرق. و «الفصل» القطع، والحاجز بين الشيئين. و «المبتدع» في بعض النسخ على صيغة الفاعل، و في بعضها على صيغة المفعول،فعلى الأوّل «البديع» بمعنى المبدع على بناء المفعول، و على الثاني بمعنى «المبدع» على بناء الفاعل.

«على غير مثال خلا» أي مضى و سبق. «من غير اشتغال» أي لم يشغله إمساكها عن غيره من الأمور. و «أرساها» أي أثبتها «على غير قرار» أي مقرّ يتمكّن عليه بل قامت بأمره لاعلى شيء. «بغير قوائم» أي لاكدابّة تقوم بقوائمها. و «الدعامة» بالكسر، عماد البيت الّذي يقوم هليه. و «حصّنه تحصيناً» أي جعله منيعا. و «الأود» بالتحريك، الاعوجاج، والعطف للتفسير. و «التهافت» التساقط قطعة قطعة. «أوتادها» أي جبالها الّتي هي للأرض بمنزلة الأوتاد. «و ضرب أسدادها،» «السدّ» بالفتح و بالضمّ الجبل والحاجز بين الشيئين، و قيل: بالضمّ ما كان مخلوقاً للّه ــ تعالى ــ و بالفتح ما كان من فعلنا. و «ضرب الأسداد» نصبها، يقال: «ضربت الخيمة» أي نصبتها، أوتعيينها كضرب الخراج. و لعلّ المعنى خلق الجبال فيها والأنهار الّتي هي كالحدود لها ليتميّز بعضها عن بعض على حسب اقتضاء الحكمة الكاملة. و قال الجوهري: «السدّ» أيضاً واحد السدود و هي السحائب السود، عن أبي زيد. «و استفاض عيونها» أي جعلها فائضة جارية. «و خدّ أوديتها» أي شقّها و منها «الأخدود» أي الحفرات المستطيلة في الأرض.

«حتّى يصير موجودها كمفقودها» لعلّ المراد بالمفقود ما لم يوجد أصلاً أي حتّى يصير كأن لم يكن، و يحتمل أن تكون الكاف زائدة.

و قوله ــ عليه السلام ــ «كما كان قبل ابتدائها» إلى آخر الكلام صريح في حدوث ما سوى اللّه ــ تعالى ــ و ظاهره نفي الزمان أيضاً قبل العالم و عدم

زمانيّته ـ سبحانه ـ إلى أن يحمل على الأزمنة المعيّنة من الليالي والأيّام والشهور والسنين ويدلّ على فناء جميع أجزاء الدنيا بعد الوجود. و هذا أيضاً ينافي القدم لأنّهم أطبقوا على أنّ ما ثبت قدمه امتنع عدمه، و أقاموا عليه البراهين العقليّة.

«لم يتكادّه» في أكثر النسخ على صيغة التفاعل و في بعضها على صيغة التفعّل، و كلاهما بمعنى نفي المشقّة. و في بعض النسخ: «لم يتكاره» على صيغة التفاعل من الكره، يقال: فعل الأمر على تكرّه و تكاره أي على تسخّط و عدم الرضا به. والغرض أنّه ـ سبحانه ـ لم يكن مجبوراً مكرهاً في خلق الأشياء.

و «آده الأمر يؤده» أثقله. و «برأه» أي خلقه. و «تشديد السلطان» إحكام السلطنة و حفظها عن تطرّق الخلل فيها. و «الندّ» بالكسر، المثل، قالوا: و لا يكون الندّ إلّا مخالفا. و «المكاثرة» المغالبة بالكثرة. و «الضدّ» بالكسر، النظير والكفو، و قيل: مثل الشيء و خلافه، و هو من الأضداد. و «الثور» بالفتح، الهيجان والوثب، و «ثاوره» أي واثبه. و «الشرك» بالكسر، الاسم من «شركته ـ كعلمت ـ في البيع والميراث شركة»؛ و في النسخ: «في شركة» بالتاء موضع الضمير «والاستئناس» اتّخاذ الأنيس ضدّ الاستيحاش.

و «السأم» بالتحريك، الملال. و «التصريف» التغيير و تحويل الشيء من حال إلى حال و من وجه إلى وجه. و «الثقل» بالكسر كما في بعض النسخ و كعنب كما في بعضها، ضدّ الخفّة. و «لم يملّه» على صيغة الإفعال، أي لم يجعله سئماً، و في بعض النسخ: «ولايملّه». و ذكر السرعة لأنّ الإفناء لا يستدعي زماناً طويلاً إذا كان عن قدرة كاملة، أو لأنّه إذا كان عن ملالة من البقاء يكون بسرعة. و «أتقنها» أحكمها. و «الالتماس» الطلب، والمراد طلب علم مجهول. و «الضعة» بالفتح كما في النسخ و بالكسر، انحطاط الدرجة ضدّ الرفعة. والضمير في قوله ـ عليه السلام ـ «يعيدها» راجع إلى الدنيا كالضمائر السابقة، و جوّز بعض شارحي النهج عودها إلى «الأمور» في قوله ـ عليه السلام ـ «إليه مصير جميع الأمور»؛ و على أيّ حال ظاهره انعدام جميع المخلوقات حتّى الأرواح والملائكة ثمّ عودها فيدلّ على جواز إعادة

المعدوم، و قد سبق الكلام فيه في المجلّد الثالث.[٧٦٢]

أقول: قدمرّت الخطبة بتمامها و شرحها في كتاب التوحيد.

تتميم: اعلم أنّ ظاهر هذا الخبر فناء جميع المخلوقات عند انقضاء العالم كما هو مذهب جماعة من المتكلّمين، قال شارح المواقف: قد سبقت في مباحث الجسم إشارة إلى أنّ الأجسام باقية غير متزايلة على مايراه النظّام، و قابلة للفناء غير دائمة البقاء على ما يراه الفلاسفة قولاً بأنّها ازليّة أبديّة، و الجاحظ و جمع من الكرّاميّة قولاً بأنّها أبديّة غير أزليّة، و توقّف أصحاب أبي‌الحسين في صحّة الفناء، و اختلف القائلون بها في أنّ الفناء بإعدام معدم أوبحدوث ضدّ أو بانتفاء شرط. أمّا الأوّل فذهب القاضي و بعض المعتزلة إلى أنّ الله ـ تعالى ـ يعدم العالم بلا واسطة فيصير معدوماً كما أوجده كذلك فصار موجوداً، و ذهب أبوالهذيل إلى أنّه ـ تعالى ـ يقول له: افن فيفنى، كما قال له: كن فكان. و أمّا الثاني فذهب جمهورالمعتزلة إلى أنّ فناء الجوهر بحدوث ضدّ له هو الفناء، فذهب ابن أُخشيد إلى أنّ الفناء و إن لم يكن متحيّزاً لكنّه يكون حاصلاً في جهة معيّنة، فإذا أحدثه الله ـ تعالى ـ فيها عدمت الجواهر بأسرها؛ و ذهب ابن شبيب إلى أنّ الله ـ تعالى ـ يحدث في كلّ جوهر فناءً ثمّ ذلك الفناء يقتضي عدم الجوهر في الزمان الثاني؛ و ذهب أبوعليّ و أتباعه إلى أنّه يخلق بعدد كلّ جوهر فناءً لا في محلّ فتفنى الجواهر؛ و قال أبوهاشم و أشياعه: يخلق فناءً واحداً لا في محلّ فيفني به الجواهر بأسرها. و أمّا الثالث و هو أنّ فناء الجوهر بانقطاع شرط وجوده فزعم بشر أنّ ذلك الشرط بقاء يخلقه الله ـ تعالى ـ لا في محلّ، فإذا لم يخلقه الله ـ تعالى ـ عدم الجوهر.و ذهب الأكثرون من أصحابنا والكلبيّ من المعتزلة إلى أنّه بقاء قائم به يخلقه الله حالاً فحالاً، فإذا لم يخلقه الله ـ تعالى ـ فيه انتفى الجوهر. و قال إمام الحرمين: إنّها الأعراض الّتي يجب اتّصاف الجسم بها، فإذا لم يخلقها الله ـ تعالى ـ فيه فني. و قال القاضي في أحد قوليه: هو الأكوان الّتي يخلقها الله في الجسم حالاً فحالاً، فمتى لم يخلقها الله فيه انعدم. و قال النظّام: إنّه ليس بباق بل يخلق الله حالاً فحالاً فمتى لم يخلق

٧٦٢ـ بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٥٧، كتاب السماء والعالم، ص ٣٠.

فنى.

و أكثر هذه الأقاويل من قبيل الأباطيل، سيّما القول بكون الفناء أمراً محققاً في الخارج ضدّاً للبقاء قائماً بنفسه أو بالجوهر، و كون البقاء موجوداً لا في محلّ، و لعلّ وجه البطلان غنيّ عن البيان.

ثمّ القائلون بصحّة الفناء و بحقيّة حشر الأجساد اختلفوا في أنّ ذلك بالإيجاد بعد الفناء أو بالجمع بعد تفرّق الأجزاء؟ والحقّ التوقف، و هو اختيار إمام الحرمين حيث قال: يجوز عقلاً أن تعدم الجواهر ثمّ تعاد، و أن تبقى و تزول أعراضها المعهودة ثمّ تعاد بنيتها ولم يدلّ قاطع سمعيّ على تعيين أحدهما، فلا يبعد أن يغيّر أجساد العباد على صفة أجسام التراب، ثمّ يعاد تركيبها إلى ماعهد، ولا يحيل أن يعدم منها شيء ثمّ يعاد، والله أعلم.

احتجّ الأوّلون بوجوه:

الأوّل: الإجماع على ذلك قبل ظهور المخالفين كبعض المتأخرين من المعتزلة و أهل السنّة. وردّ بالمنع كيف و قد أطبقت معتزلة بغداد على خلافه؟ نعم كان الصحابة يجمعون على بقاء الحقّ و فناء الخلق بمعنى هلاك الأشياء و موت الأحياء و تفرّق الأجزاء لابمعنى انعدام الجواهر بالكلّية لأنّ الظاهر أنهم لم يكونوا يخوضون في هذه التدقيقات.

الثاني: هو قوله ـ تعالى ـ: «هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ» [٧٦٣] أي في الوجود، ولا يتصوّر ذلك إلّا بانعدام ماسواه، و ليس بعدالقيامة و فاقاً فيكون قبلها؛ وأجيب بأنّه يجوز أن يكون المعنى: هو مبدء كلّ موجود و غاية كلّ مقصود، أو هو المتوحّد في الألوهيّة، أو في صفات الكمال، كما إذا قيل لك: هذا أوّل من زارك أو آخرهم؟ فتقول: هو الأوّل والآخر، و تريد أنّه لازائر سواه؛ أو هو الأوّل و الآخر بالنسبة إلى كلّ حيّ، بمعنى أنّه يبقى بعد موت جميع الأحياء، أوهو الأوّل خلقاً و الآخر رزقاً، كما قال [ـ تعالى ـ]: «خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ» [٧٦٤]. و بالجملة فليس المراد أنّه آخر كلّ شيء بحسب الزمان

٧٦٣ـ الحديد: ٣. ٧٦٤ـ الروم: ٤٠.

للاتّفاق على أبديّة الجنّة و من فيها.

الثالث: قوله ـ تعالى ـ: «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ» ٧٦٥ فإنّ المراد به الانعدام، لا الخروج عن كونه منتفعاً به لأنّ الشيء بعد التفرّق يبقى دليلاً على الصانع، و ذلك من أعظم المنافع. و أُجيب بأنّ المعنى أنّه هالك في حدّ ذاته لكونه ممكناًلا يستحقّ الوجود إلّا بالنظر إلى العلّة، أوالمراد بالهلاك الموت، أوالخروج عن الانتفاع المقصود به اللائق بحاله، كما يقال: هلك الطعام إذالم يبق صالحاً للأكل و إن صلح لمنفعة أخرى. و معلوم أن ليس مقصود الباري ـ تعالى ـ من كلّ جوهر الدلالة عليه و إن صلح لذلك كما أنّ من كتب كتاباً ليس مقصوده بكلّ كلمة الدلالة على الكاتب. أو المراد الموت كما في قوله ـ تعالى ـ: «إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ» ٧٦٦، و قيل: معناه: كلّ عمل لم يقصد به وجه الله ـ تعالى ـ فهو هالك أي غير مثاب عليه.

الرابع: قوله ـ تعالى ـ: «و هُوَ الَّذِي يَبْدَؤُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ» ٧٦٧ [و قوله ـ تعالى ـ:] «كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ» ٧٦٨. والبدؤ من العدم فكذا العود، و أيضاً إعادة الخلق بعد إبدائه لايتصوّر بدون تخلّل العدم. و أُجيب بأنّا لا نسلّم أنّ المراد بإبداء الخلق الايجاد و الإخراج عن العدم، بل الجمع والتركيب على ما يشعر به قوله ـ تعالى ـ: «وَ بَدأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِنْ طِينٍ» ٧٦٩. و لهذا يوصف بكونه مرئيّاً مشاهداً كقوله ـ تعالى ـ: «أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ [ثُمَّ يُعِيدُه، إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ] ـ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ» ٧٧٠.

و أمّا القول بأنّ الخلق حقيقة في التركيب تمسّكاً بمثل قوله ـ تعالى ـ: «خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ» ٧٧١ أي ركّبكم [و قوله ـ تعالى ـ:] «وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً» ٧٧٢ أي تركّبونه؛فلايكون حقيقة في الإيجاد دفعاً للاشتراك، فضعيف جدّاً لإطباق أهل اللّغة على أنّه إحداث و إيجاد مع تقدير، سواء كان عن مادّة كما في خلقكم من تراب أو بدونه كما في خلق الله العالم.

٧٦٥ـ القصص: ٨٨. ٧٦٧ـ الروم: ٢٧. ٧٦٩ـ السجدة: ٧. ٧٧١ـ الفاطر: ١٣.
٧٦٦ـ النساء: ١٧٦. ٧٦٨ـ الأنبياء: ١٠٤. ٧٧٠ـ العنكبوت: ١٩ـ٢٠. ٧٧٢ـ العنكبوت: ١٧.

الخامس: قوله ـ تعالى ـ : «كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ»[٧٧٣] و الفناء هو العدم. و أُجيب بالمنع بل هو خروج الشيء من الصفة الّتي ينتفع به عندها كما يقال: فنى زاد القوم و فنى الطعام و الشراب. و لذا يستعمل في الموت مثل أفناهم الحرب. و قيل: معنى الآية: كلّ من على وجه الأرض من الأحياء فهو ميّت.

قال الإمام: ولو سلّم كون الفناء والهلاك بمعنى العدم فلابدّ في الآيتين من تأويل، إذ لو حملتا على ظاهرهما لزم كون الكلّ هالكاً فانياً في الحال و ليس كذلك، و ليس التأويل بكونه آئلاً إلى العدم على ماذكرتم أولى من التأويل بكونه قابلاً له، و هذه منه إشارة إلى ما اتّفق عليه أئمّة العربيّة من كون اسم الفاعل و نحوه مجازاً في الاستقبال، و أنّه لابدّ من الاتّصاف بالمعنى المشتقّ منه. و إنّما الخلاف في أنّه هل يشترط بقاء ذلك المعنى؟ و قد توهّم صاحب التلخيص أنّه كالمضارع يشترك بين الحال والاستقبال، فاعترض بأنّ حمله على الاستقبال ليس تأويلاً و صرفاً عن الظاهر.

و احتجّ الآخرون بوجوه:

الأوّل: أنّه لو كان كذلك لما كان الجزاء واصلاً إلى مستحقّه، و اللازم باطل عندنا سمعاً للنصوص الواردة في أنّ الله لايضيع اجر من أحسن عملاً. و عقلاً عندالمعتزلة لماسبق من وجوب ثواب المطيع و عقاب العاصي. و بيان اللزوم أنّ المنشأ لايكون هوالمبتدأ بل مثله لامتناع إعادة المعدوم بعينه. و ردّ بالمنع و قدمرّ بيان ضعف أدلّته، ولو سلّم فلا يقوم على من يقول ببقاء الروح أو الأجزاء الأصليّة و إعدام البواقي ثمّ إيجادها و إن لم يكن الثاني هو الأوّل بعينه بل مغايراً له في وصفه الابتداء و الإعادة أو باعتبار آخر، ولا شكّ أن العمدة في الاستحقاق هو الروح على ما مرّ، و قد يقرّر بأنّها لوعدمت لماعلم إيصال الجزاء إلى مستحقّه لأنّه لايعلم أنّ ذلك المحشور هو الأوّل أُعيد بعينه أم مثل له خلق على صفته. أمّا على تقدير الفناء بالكلّيّة فظاهر، و أمّا على تقدير بقاء الروح و الأجزاء الأصليّة فلانعدام التركيب والهيئات و الصفات

[٧٧٣] ـ الرحمن: ٢٦.

الّتي بها يتمايز المسلمون سيّما على قول من يجعل الروح أيضاً من قبيل الأجسام، و اللازم منتفٍ لأنّ الأدلّة قائمة على وصول الجزاء إلى المستحقّ.

لايقال: لعلّ الله يحفظ الروح والأجزاء الأصليّة عن التفرّق والانحلال، بل الحكمة تقتضي ذلك ليعلم وصول الحقّ إلى المستحقّ لأنّا نقول: المقصود إبطال رأي من يقول بفناء الأجساد بجميع الأجزاء بل أجسام العالم بأسرها ثمّ الإيجاد و قد حصل ولو سلّم فقد علمت أنّ العمدة في الحشر هو الأجزاء الأصليّة لاالفضليّة و قد سلّمتم أنّها لا تتفرّق فضلاً عن الانعدام بالكلّيّة؛ بل الجواب أنّ المعلوم بالأدلّة هو أنّ الله ـ تعالى ـ يوصل الجزاء إلى المستحقّ ولا دلالة على أنّا نعلم ذلك عند الإيصال البتّة و كفى بالله عليماً. ولو سلّم فلعلّ الله ـ تعالى ـ يخلق علماً ضرورياً أوطريقاً جليّاً جزئيّاً أو كلّيّاً.

الثاني: و هو للمعتزلة أنّ فعل الحكيم لابدّ أن يكون لغرض لامتناع العبث عليه ولا يتصوّر له غرض في الإعدام إذ لامنفعة فيه لأحد لأنّها إنّما تكون مع الوجود بل الحياة، و ليس به أيضاً جزاء المستحقّ كالعذاب والسؤال والحساب و نحوذلك و هذا ظاهر. وردّ بمنع انحصار الغرض في المنفعة والجزاء، فلعلّ لله في ذلك حكماً و مصالح لايعلمها غيره، على أنّ في الإخبار بالإعدام لطفاً للمكلّفين و إظهاراً لغاية العظمة والاستغناء والتفرّد بالدوام و البقاء، ثمّ الإعدام تحقيق لذلك و تصديق.

الثالث: النصوص الدالّة على كون النشور بالإحياء بعدالموت والجمع بعد التفريق كقوله ـ تعالى ـ: «وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ـ الآية» ۷۷٤ و كقوله ـ تعالى ـ: «أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا» ـ إلى قوله ـ: «وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً» ۷۷٥ و كقوله ـ تعالى ـ: «كَذَلِكَ النُّشُورُ» ۷۷٦ [و قوله ـ تعالى ـ:] «وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ» ۷۷۷ و [قوله ـ تعالى ـ:] «كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ» ۷۷۸ بعد ما ذكر بدء الخلق من الطين و على وجه نرى و نشاهد مثل [قوله ـ تعالى ـ:] «أَوَلَمْ يَرَوْا

۷۷٤ـ البقرة: ۲٦۰. ۷۷٥ـ البقرة: ۲٥۹. ۷۷٦ـ الفاطر: ۹. ۷۷۷ـ الروم: ۱۹. ۷۷۸ـ الأعراف: ۲۹.

كَيْفَ يُبْدِئُ اللّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، إنَّ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرٌ ـ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ»[٧٧٩]، و كقوله ـ تعالى ـ: «يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَراشِ الْمَبْثُوثِ وَتَكُونُ الْجِبالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ»[٧٨٠]. إلى غير ذلك من الآيات المشعرة بالتفريق دون الإعدام.

والجواب أنّها لاتنفي الانعدام و إن لم تدلّ عليه، و إنّما سيقت لكيفيّة الإحياء بعد الموت والجمع بعد التفريق لأنّ السؤال وقع عن ذلك، و لأنّه أظهر في بادئ النظر والشواهد عليه أكثر، ثمّ هي معارضة بالآيات المشعرة بالإعدام والفناء. انتهى كلامه.

والحقّ أنّه لايمكن الجزم في تلك المسألة بأحد الجانبين لتعارض الظواهر فيها، و على تقدير ثبوته لايتوقّف انعدامها على شيء سوى تعلّق إرادة الربّ ـ تعالى ـ باعدامها، و أكثر متكلّمي الإماميّة على عدم الانعدام بالكلّيّة لاسيّما في الأجساد.[٧٨١] قال المحقّق الطوسيّ ـ رحمه الله ـ في التجريد: والسمع دلّ عليه و يتأوّل في المكلّف بالتفريق كما في قصّة إبراهيم ـ عليه السلام ـ. انتهى.

و أمّا الصور فيجب الإيمان به على ماورد في النصوص الصريحة، و تأويله بأنّه جمع للصورة كما مرّ من الطبرسيّ و قد سبقه الشيخ المفيد ـ رحمه الله ـ فهو خروج عن ظواهر الآيات بل صريحها، إذ لا يتأتّى ذلك في النفخة الأولى، و يأبى عنه أيضاً توحيد الضمير في قوله ـ تعالى ـ: «وَنُفِخَ فِيهِ أُخْرَى»[٧٨٢] و إطراح للنصوص الصحيحة

٧٧٩ ـ العنكبوت: ١٩ ـ ٢٠. ٧٨٠ ـ القارعة: ٤ ـ ٥.

٧٨١ ـ لمّا كان انعدام كلّ شيء إلّا الله ـ سبحانه ـ يبطل التقدّم والتأخّر وكلّ معنى حقيقيّ ويبطل به النسبة بين الدنيا والآخرة والمبدأ والمعاد وجميع المعارف الالهيّة المبيّنة تلو ذلك في الكتاب والسنّة القطعيّة لم يكن مجال لاحتماله، وما ظاهره ذلك من النصوص مبيّن بما يعارضه. وأمّا أحاديث الصور فهي آحاد لا تبلغ حدّ التواتر ولا يؤيّد الكتاب تفاصيل مافيها من صفة الصور والأمور المذكورة مع نفخة ولا دليل على حجّيّة الآحاد في غير الأحكام الفرعيّة من المعارف الأصليّة لامن طريق سيرة العقلاء ولامن طريق الشرع على ما بيّن في الأصول. فالواجب هو الايمان باجمال ما أريد من الصور لوروده في كتاب الله. وأمّا الأخبار، فالواجب تسليمها وعدم طرحها لعدم مخالفتها الكتاب والضرورة و إرجاع علمها إلى الله ورسوله والأئمّة من أهل بيته ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ. ط

٧٨٢ ـ الزمر: ٦٨.

الصريحة من غير حاجة. و قد قال سيّد الساجدين ــ صلوات اللّه عليه ــ في الدعاء الثالث من الصحيفة الكاملة: و إسرافيل صاحب الصور الشاخص الّذي ينتظر منك الإذن و حلول الأمر فينبّه بالنفخة صرعى رهائن القبور.[٧٨٣]

١٨٧ ــ ومن خطبة له عليه السلام

وهي في ذكر الملاحم

أَلَا بِأَبِي وَأُمِّي، هُمْ مِنْ عِدَّةٍ أَسْمَاؤُهُمْ فِي السَّمَاءِ مَعْرُوفَةٌ وَفِي الْأَرْضِ مَجْهُولَةٌ. أَلَا فَتَوَقَّعُوا مَا يَكُونُ مِنْ إِدْبَارِ أُمُورِكُمْ، وَانْقِطَاعِ وُصَلِكُمْ، وَاسْتِعْمَالِ صِغَارِكُمْ. ذَاكَ حَيْثُ تَكُونُ ضَرْبَةُ السَّيْفِ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَهْوَنَ مِنَ الدِّرْهَمِ مِنْ حِلِّهِ. ذَاكَ حَيْثُ يَكُونُ الْمُعْطَى أَعْظَمَ أَجْراً مِنَ الْمُعْطِي. ذَاكَ حَيْثُ تَسْكَرُونَ مِنْ غَيْرِ شَرَابٍ، بَلْ مِنَ النِّعْمَةِ وَالنَّعِيمِ، وَتَحْلِفُونَ مِنْ غَيْرِ اضْطِرَارٍ، وَتَكْذِبُونَ مِنْ غَيْرِ إِحْرَاجٍ[٢٤٢٥]. ذَاكَ إِذَا عَضَّكُمُ الْبَلَاءُ كَمَا يَعَضُّ الْقَتَبُ[٢٤٢٦] غَارِبَ الْبَعِيرِ[٢٤٢٧]. مَا أَطْوَلَ هٰذَا الْعَنَاءَ، وَأَبْعَدَ هٰذَا الرَّجَاءَ!

أَيُّهَا النَّاسُ، أَلْقُوا هٰذِهِ الْأَزِمَّةَ[٢٤٢٨] الَّتِي تَحْمِلُ ظُهُورُهَا الْأَثْقَالَ مِنْ أَيْدِيكُمْ، وَلَا تَصَدَّعُوا[٢٤٢٩] عَلَى سُلْطَانِكُمْ فَتَذُمُّوا غِبَّ فِعَالِكُمْ. وَلَا

٧٨٣ ــ بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٦، كتاب العدل والمعاد، ص ٣٣١.

تَقْتَحِمُوا مَا ٱسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ فَوْرِ نَارِ (٢٤٣٠) ٱلْفِتْنَةِ، وَأَمِيطُوا عَنْ سَنَنِهَا (٢٤٣١)، وَخَلُّوا قَصْدَ السَّبِيلِ (٢٤٣٢) لَهَا: فَقَدْ لَعَمْرِي يَهْلِكُ فِي لَهَبِهَا ٱلْمُؤْمِنُ، وَيَسْلَمُ فِيهَا غَيْرُ ٱلْمُسْلِمِ.

إِنَّمَا مَثَلِي بَيْنَكُمْ كَمَثَلِ السِّرَاجِ فِي الظُّلْمَةِ، يَسْتَضِيءُ بِهِ مَنْ وَلَجَهَا. فَٱسْمَعُوا أَيُّهَا النَّاسُ وَعُوا، وَأَحْضِرُوا آذَانَ قُلُوبِكُمْ تَفْهَمُوا.

إيضاح: قال ابن أبي‌الحديد: قالت الإماميّة: هذه العدّة هم الأئمّة الأحد عشر من ولده ــ عليه السلام ــ، و قال غيرهم: إنّه عنى الأبدال الّذين هم أولياء الله. [٧٨٤] انتهى.

و ظاهر أنّ ذكر انتظار فرج الشيعة كما اعترف به بعد هذا لا ارتباط له بحكاية الأبدال. و أمّا كون أسمائهم في الأرض مجهولة فلعلّ المراد به أنّ أكثر الناس لايعرفون قدرهم و منزلتهم، فلا ينافي معرفة الخواصّ لهم و إن كانوا أيضاً لايعرفونهم حقّ معرفتهم، أو أراد به جهالة أسمائهم في وقت إيراد الكلام، و التخصيص في الاحتمال الأخير أقلّ منه في الأوّل.

قوله ــ عليه السلام ــ «و انقطاع وصلكم» جمع «وصلة» أي تفرّق أموركم المنظّمة. والمراد باستعمال الصغار تقديمهم على المشايخ و أرباب التجارب في الأعمال والولايات. قوله ــ عليه السلام ــ «حيث يكون المعطى» على بناء المجهول «أعظم أجراً من المعطي» على بناء الفاعل، لأنّ أكثر الأموال في ذلك الزمان يكون من الحرام، و أيضاً لا يعطونها على الوجه المأمور به للأغراض الفاسدة. و أمّا المعطى فلمّا كان فقيراً يأخذ المال لسدّ خلّته لايلزمه البحث عن المال و حلّه و حرمته، فكان أعظم أجراً من المعطى. و قيل: لأنّ صاحب المال لمّا كان يصرفه في أغلب الأحوال في الفساد فإذا أخذه الفقير فقد فوّت عليه صرفه في القبائح فقد كفّه بأخذ المال من

٧٨٤ــ شرح النهج لابن أبي‌الحديد، ج ١٣، ص ٩٦، ط بيروت.

ارتكاب القبيح؛ ولا يخلو من بعد.

و «النّعمة» بالفتح، غضارة العيش؛ و في بعض النسخ بالكسر، أي الخفض والدعة والمال. قوله ــ عليه السلام ــ «من غير إحراج» أي من غير اضطرار إلى الكذب، و روي بالواو. قوله ــ عليه السلام ــ «إذا عضّكم البلاء» يقال: «عضّ اللقمة» ــ كسمع و منع ــ أي أمسكها بأسنانه، و «عضّ بصاحبه» أي لزمه، و «عضّ الزمان والحرب» شدّتها. و «القتب» بالتحريك، معروف. و «الغارب» ما بين العنق والسنام.

و قال ابن أبي الحديد: هذا الكلام غير متصل بما قبله كما هو عادة الرضيّ. و قد ذكر ــ عليه السلام ــ بين ذلك ماينال من شيعته من البؤس والقنوط و مشقّة انتظار الفرج. و قوله ــ عليه السلام ــ «ما أطول هذا العناء و أبعد هذا الرجاء» حكاية كلام شيعته ــ عليه السلام ــ.[٧٨٥] انتهى. فيكون المراد بالرجاء رجاء ظهور القائم ــ عليه السلام ــ. و قال ابن ميثم: و يحتمل أن يكون الكلام متصلاً، أو يكون قوله ــ عليه السلام ــ «ما أطول هذا العناء» كلاماً مستأنفاً في معنى التوبيخ لهم على إعراضهم عنه و إقبالهم على الدنيا و إتعابهم أنفسهم في طلبها، و تنفير لهم عنها بذكر طول العناء في طلبها و بعد الرجاء لما يرجى منها. قوله ــ عليه السلام ــ «ألقوا» أي ألقوا من أيديكم أزمّة الآراء الفاسدة و الأعمال الكاسدة الّتي هي كالنوق والمراكب في حمل التبعات والآثام. «ولا تصدّعوا» أي لا تتفرّقوا. و «السلطان» الأمير والإمام. و «غبّ كلّ شيء» عاقبته. و«فور نار الفتنة» وهجها و غليانها. و «أميطوا» أي تنحّوا. و «السَّنن» الطريقة. قوله ــ عليه السلام ــ «و خلّوا» أي دعوها تسلك طريقها، ولا تتعرّضوا لها فتكونوا حطباً لنارها.[٧٨٦]

٧٨٥ــ شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ٩٧، ط بيروت.

٧٨٦ــ بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٧١٣، ط كمباني و ص ٦٦٠، ط تبريز.

١٨٨ — ومن خطبة له عليه السلام

في الوصية بأمور

التقوى

أُوصِيكُمْ ، أَيُّهَا النَّاسُ ، بِتَقْوَى اللهِ وَكَثْرَةِ حَمْدِهِ عَلَىٰ آلَائِهِ إِلَيْكُمْ ، وَنَعْمَائِهِ عَلَيْكُمْ ، وَبَلَائِهِ [٢٤٣٣] لَدَيْكُمْ . فَكَمْ خَصَّكُمْ بِنِعْمَةٍ ، وَتَدَارَكَكُمْ بِرَحْمَةٍ ! أَعْوَرْتُمْ [٢٤٣٤] لَهُ فَسَتَرَكُمْ ، وَتَعَرَّضْتُمْ لِأَخْذِهِ [٢٤٣٥] فَأَمْهَلَكُمْ !

الموت

وَأُوصِيكُمْ بِذِكْرِ ٱلْمَوْتِ وَإِقْلَالِ ٱلْغَفْلَةِ عَنْهُ . وَكَيْفَ غَفْلَتُكُمْ عَمَّا لَيْسَ يُغْفِلُكُمْ [٢٤٣٦] ، وَطَمَعُكُمْ فِيمَنْ لَيْسَ يُمْهِلُكُمْ ! فَكَفَىٰ وَاعِظاً بِمَوْتَىٰ عَايَنْتُمُوهُمْ . حُمِلُوا إِلَىٰ قُبُورِهِمْ غَيْرَ رَاكِبِينَ ، وَأُنْزِلُوا فِيهَا غَيْرَ نَازِلِينَ . فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا لِلدُّنْيَا عُمَّاراً ، وَكَأَنَّ ٱلْآخِرَةَ لَمْ تَزَلْ لَهُمْ دَاراً . أَوْحَشُوا مَا كَانُوا يُوطِنُونَ [٢٤٣٧] ، وَأَوْطَنُوا مَا كَانُوا يُوحِشُونَ [٢٤٣٨] ، وَٱشْتَغَلُوا بِمَا فَارَقُوا ، وَأَضَاعُوا مَا إِلَيْهِ ٱنْتَقَلُوا . لَا عَنْ قَبِيحٍ يَسْتَطِيعُونَ ٱنْتِقَالاً ، وَلَا فِي حَسَنٍ يَسْتَطِيعُونَ ٱزْدِيَاداً . أَنِسُوا بِالدُّنْيَا فَغَرَّتْهُمْ ، وَوَثِقُوا بِهَا فَصَرَعَتْهُمْ .

سرعة النفاد

فَسَابِقُوا ـ رَحِمَكُمُ ٱللهُ ـ إِلَىٰ مَنَازِلِكُمُ ٱلَّتِي أُمِرْتُمْ أَنْ تَعْمُرُوهَا، وَالَّتِي رَغِبْتُمْ فِيهَا، وَدُعِيتُمْ إِلَيْهَا. وَٱسْتَتِمُّوا نِعَمَ ٱللهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَىٰ طَاعَتِهِ، وَٱلْمُجَانَبَةِ لِمَعْصِيَتِهِ. فَإِنَّ غَداً مِنَ ٱلْيَوْمِ قَرِيبٌ. مَا أَسْرَعَ السَّاعَاتِ فِي ٱلْيَوْمِ، وَأَسْرَعَ ٱلْأَيَّامَ فِي الشَّهْرِ، وَأَسْرَعَ الشُّهُورَ فِي السَّنَةِ، وَأَسْرَعَ السِّنِينَ فِي ٱلْعُمُرِ!

١٨٩ ـ ومن كلام له عليه السلام

في الايمان ووجوب الهجرة

اقسام الايمان

فَمِنَ ٱلْإِيمَانِ مَا يَكُونُ ثَابِتاً مُسْتَقِرّاً فِي ٱلْقُلُوبِ، وَمِنْهُ مَا يَكُونُ عَوَارِيَ[٢٤٣٩] بَيْنَ ٱلْقُلُوبِ وَٱلصُّدُورِ، «إِلَىٰ أَجَلٍ مَعْلُومٍ». فَإِذَا كَانَتْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ مِنْ أَحَدٍ فَقِفُوهُ حَتَّىٰ يَحْضُرَهُ ٱلْمَوْتُ، فَعِنْدَ ذٰلِكَ يَقَعُ حَدُّ ٱلْبَرَاءَةِ.

وجوب الهجرة

وَٱلْهِجْرَةُ قَائِمَةٌ عَلَىٰ حَدِّهَا ٱلْأَوَّلِ[٢٤٤٠]. مَا كَانَ لِلهِ فِي أَهْلِ ٱلْأَرْضِ حَاجَةٌ مِنْ مُسْتَسِرِّ[٢٤٤١] ٱلْإِمَّةِ[٢٤٤٢] وَمُعْلِنِهَا. لَا يَقَعُ ٱسْمُ ٱلْهِجْرَةِ عَلَىٰ أَحَدٍ

بِمَعْرِفَةِ ٱلْحُجَّةِ فِي ٱلْأَرْضِ. فَمَنْ عَرَفَهَا وَأَقَرَّ بِهَا فَهُوَ مُهَاجِرٌ. وَلَا يَقَعُ ٱسْمُ ٱلِاسْتِضْعَافِ عَلَى مَنْ بَلَغَتْهُ ٱلْحُجَّةُ فَسَمِعَتْهَا أُذُنُهُ وَوَعَاهَا قَلْبُهُ.

صعوبة الايمان

إِنَّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ. لَا يَحْمِلُهُ إِلَّا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ ٱمْتَحَنَ ٱللهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ، وَلَا يَعِي حَدِيثَنَا إِلَّا صُدُورٌ أَمِينَةٌ، وَأَحْلَامٌ(٢٤٤٣) رَزِينَةٌ.

علم الوصي

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ، سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، فَلَأَنَا بِطُرُقِ ٱلسَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ ٱلْأَرْضِ، قَبْلَ أَنْ تَشْغَرَ(٢٤٤٤) بِرِجْلِهَا فِتْنَةٌ تَطَأُ فِي خِطَامِهَا(٢٤٤٥)، وَتَذْهَبُ بِأَحْلَامِ قَوْمِهَا

بيان: قال ابن عبد البرّ في الاستيعاب[٧٨٧] و غيره: أجمع الناس كلّهم على أنّه لم يقل أحد من الصحابة ولا أحد من العلماء هذا الكلام.

و قال ابن ميثم: كنّي بشغر رجلها عن خلوّ تلك الفتنة من مدبّر.[٧٨٨] قال

٧٨٧ـ قال ابن عبدالبرّ: حدّثنا قاسم، حدّثنا عبدالوارث، حدّثنا احمد بن زهير، حدّثنا مسلم بن ابراهيم، حدّثنا شعبة عن أبي اسحاق، عن عبدالرحمن بن زيد، عن علقمة، عن عبدالله، قال: كنّا نتحدّث أن أقضى أهل المدينة عليّ بن أبي‌طالب.

قال أحمد بن زهير: وأخبرنا ابراهيم بن بشار، قال: حدّثنا سفيان بن عيينة، حدّثنا يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، قال: ما كان أحد من الناس يقول: «سلوني» غير عليّ بن أبي‌طالب. الاستيعاب، ج ٣، ص ٣٩.

٧٨٨ـ وقال بعض الشراح: الجملة كناية عن كثرة مداخل الفساد فيها. شرح النهج لابن ميثم، ج ٤، ص ٢٠١، ط بيروت.

الجوهريّ: «بلدة شاغرة برجلها» إذا لم تمنع من غارة أحد. و «شغر البلد» أي خلا من الناس. و قال ابن الأثير: «شغر الكلب» رفع إحدى رجليه ليبول، و قيل: «الشغر» البعد. و قيل: الاتّساع. و منه حديث عليّ ــ عليه السلام ــ: قبل أن تشغر برجلها فتنة. انتهى.

و قوله ــ عليه السلام ــ «تطأ في خطامها» قال ابن ميثم[۷۸۹]: استعارة بوصف الناقة الّتي أُرسلت خطامها و خلت عن القائد في طريقها فهي تخبط و تعثر و تطأمن لقيت من الناس على غير نظام من حالها. «و تذهب بأحلام قومها» قال بعض الشارحين: أي يتحيّر أهل زمانها فلا يهتدون إلى طريق التخلّص عنها؛ و يحتمل أن يريد أنّهم يأتون إليها سراعاً رغبةً و رهبةً من غير معرفة بكونها فتنةً.[۷۹۰]

[هذا بيان آخر في شرح الكلام:]

بيان: «العواريّ» جمع «العاريّة» بالتشديد فيهما كأنّها منسوبة إلى العار، فإنّ طلبها عار و عيب. قال ابن ميثم ــ رحمه الله ــ: قوله ــ عليه السلام ــ «فن الايمان...» إلى آخره قسمة للايمان إلى قسمين: أحدهما الثابت المستقرّ في القلوب الّذي صارملكة، و ثانيهما ما كان في معرض الغير والانتقال. و استعار ــ عليه السلام ــ لفظ «العواريّ» لكونه في معرض الاسترجاع والردّ. و كنّى ــ عليه السلام ــ بكونه بين القلوب والصدور عن كونه غير مستقرّ في القلوب ولا متمكّن من جواهر النفوس.[۷۹۱]

و قال ابن أبي الحديد: أراد ــ عليه السلام ــ من الايمان ما يكون على سبيل الاخلاص و منه ما يكون على سبيل النفاق.[۷۹۲]

و قوله ــ عليه السلام ــ «إلى أجل معلوم» ترشيح لاستعارة العواريّ و هذه

۷۸۹ ــ شرح النهج لابن ميثم، ج ٤، ص ۲۰۱، ط بيروت.

۷۹۰ ــ بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ۱۰، كتاب الاحتجاج، ص ۱۲۸.

۷۹۱ ــ شرح النهج لابن ميثم، ج ٤، ص ۱۹۳، ط بيروت.

۷۹۲ ــ شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ۱۳، ص ۱۰۲، ط بيروت.

القسمة إلى القسمين هي الموجودة في نسخة الرضيّ ــ رضي الله عنه ــ بخطه و في نسخ كثير من الشارحين و نسخ كثيرة معتبرة ثلاثة أقسام هكذا: «فن الايمان ما يكون ثابتاً مستقرّاً في القلوب، و منه ما يكون عواريّ [في القلوب، و منه ما يكون عواريّ] [٧٩٣] بين القلوب والصدور إلى أجل معلوم».

و قال ابن أبي الحديد في بيانها [٧٩٤]: إنّ الايمان إمّا أن يكون ثابتاً مستقرّاً بالبرهان و هو الايمان الحقيقيّ، أو ليس بثابت بالبرهان بل بالدليل الجدلي ككثير ممّن لم يحقّق العلوم العقليّة وهوالّذي عبّر ـ عليه السلام ـ عنه بقوله «عواريّ في القلوب» فهوو إن كان في القلب الّذي هو محلّ الايمان الحقيقيّ إلّا أنّ حكمه حكم العارية في البيت و إمّا أن يستند إلى تقليد و حسن ظنّ بالأسلاف. و قد جعله ــ عليه السلام ــ عواري بين القلوب والصدور، لأنّه دون الثاني فلم يجعله حالاً في القلب. و ردّ قوله ــ عليه السلام ــ إلى أجل معلوم إلى القسمين الأخيرين لأنّ من لم يبلغ درجة البرهان ربما ينحطّ إلى درجة المقلّد، فيكون إيمان كلّ منهما إلى أجل معلوم، لكونه في معرض الزوال.

«فاذا كانت لكم براءة...» الخ قيل: أي إذا أردتم التبرّي من أحد فاجعلوه موقوفاً إلى حال الموت، ولا تسارعوا إلى البراءة منه قبل الموت، لأنّه يجوز أن يتوب و يرجع، فاذامات و لم يتب جازت البراءة منه، لأنّه ليس له بعد الموت حالة تنتظر. و ينبغي أن تحمل هذه البراءة على البراءة المطلقة لجواز التبرّي من الفاسق و هو حيٌّ و من الكافر و هو حيٌّ، لكن بشرط الاتّصاف بأحد الوصفين، بخلاف ما بعد الموت.

و قيل: المعنى: انتظروا حتّى يأتيه الموت فانّه ربما يكون معتقداً للحقّ و يكتم إيمانه لغرض دنيويّ، و قيل: هذا إشارة إلى ما كان يفعله رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ في الصلاة على المنافقين، فاذا كبّر أربعاً كانوا يعلمون أنّه منافق، و إذا

٧٩٣ ـ ساقط من نسخة الكمباني.
٧٩٤ ـ شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ١٠٢، ط بيروت.

كبّر خمساً كانوا يعلمون أنّه مؤمن؛ فأشار ـ عليه السلام ـ إلى أنّه عند الموت تقع البراءة و تصحّ بعلامة تكبيراته الأربع. و كلا الوجهين كماترى.

والظاهر أنّ المراد بالبراءة قطع العلائق الايمانيّة الّتي يجوز معها الاستغفار كما يومئ إليه قوله ـ سبحانه ـ: «مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى...»[٧٩٥] إلى قوله ـ تعالى ـ: «فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ»[٧٩٦]

«و الهجرة قائمة...» الخ، و أصل الهجرة المأمور بها الخروج من دار الحرب إلى دارالاسلام. و قال في النهاية: فيه لاهجرة بعد الفتح و لكن جهادونيّة. و في حديث آخر: «لا تنقطع الهجرة حتّى تنقطع التوبة». «الهجرة» في الأصل اسم من «الهجر» ضدّ الوصل؛ و قد هجره هجراً و هجراناً. ثمّ غلب على الخروج من أرض إلى أرض و ترك الأولى للثانية، يقال منه: هاجر مهاجرة.

والهجرة هجرتان:

إحداهما الّتي وعدالله عليها الجنّة في قوله «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ»[٧٩٧]. فكان الرجل يأتي النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ و يدع أهله و ماله لايرجع في شيء منه، و ينقطع بنفسه إلى مهاجره، و كان النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ يكره أن يموت الرجل بالأرض الّتي هاجر منها، فمن ثمّ قال: «لكنّ البائس سعدبن خولة»، يرثي له أن مات بمكّة [٧٩٨]،و قال حين قدم مكّة: «اللّهمّ لا تجعل منايانا بها». فلمّا فتحت مكّة صارت دار إسلام كالمدينة، و انقطعت الهجرة.

والهجرة الثانية من هاجر من الأعراب و غزا مع المسلمين، و لم يفعل كما فعل

٧٩٥ـ التوبة: ١١٣.

٧٩٦ـ التوبة: ١١٤.

٧٩٧ـ التوبة: ١١١.

٧٩٨ـ أي يترقّق ويشفق عليه رسول‌الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ أن مات سعد بن خولة بمكّة في حجّة الوداع حين قال: لكنّ البائس سعد بن خولة قدمات في الأرض الّتي هاجر منها. راجع ترجمته في الاستيعاب بذيل الاصابة، ج ٢، ص ٤١.

أصحاب الهجرة الأولى، فهو مهاجر و ليس بداخل في فضل من هاجر تلك الهجرة، و هو المراد بقوله: «لا تنقطع الهجرة حتّى تنقطع التوبة». فهذا وجه الجمع بين الحديثين، و إذا أُطلق في الحديث ذكر الهجرتين فانّما يراد بها هجرة الحبشة و هجرة المدينة.[٧٩٩] انتهى.

و قال ابن أبي الحديد: هذا كلام من أسرار الوصيّة يختصّ به عليّ ــ عليه السلام ــ لأنّ الناس يروون أنّ النبيّ ــ صلّى الله عليه وآله ــ قال: «لا هجرة بعد الفتح»، فشفع عمّه العبّاس في نعيم بن مسعود الأشجعيّ أن يستثنيه فاستثناه؛ و هذه الهجرة الّتي أشار إليها أمير المؤمنين ــ عليه السلام ــ ليست تلك بل هي الهجرة إلى الامام. و قال بعض الأصحاب: تجب المهاجرة عن بلد الشرك على من يضعف عن إظهار شعائر الاسلام مع المكنة و يستحبّ للقادر على إظهارها تحرّزاً عن تكثير سواد المشركين، والمراد بها الأمور الّتي تختصّ بالاسلام كالأذان و الاقامة و صوم شهر رمضان و غير ذلك. و ألحق بعضهم ببلاد الشرك بلاد الخلاف الّتي لايتمكّن فيها المؤمن إقامة شعائر الايمان مع الامكان. ولو تعذّرت الهجرة لمرض أوعدم نفقة أو غير ذلك فلا حرج لقوله ــ تعالى ــ: «إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا»[٨٠٠].

والظاهر أنّ قوله ــ عليه السلام ــ «ما كان لله في أهل الأرض حاجة» كناية عن بقاء التكليف كما يدلّ عليه قول النبيّ ــ صلّى الله عليه وآله ــ: «لا تنقطع الهجرة حتّى تنقطع التوبة». و للتجوّز مجال واسع و في الصحيفة السجّاديّة: «ولا ترسلني من يدك إرسال من لا خير فيه، ولا حاجة بك إليه». و قيل: كلمة «ما» هيهنا نافية و وجّهوه بتوجيهات ركيكة. و «السرّ» ما يكتم و «استسرّ» أي استترو اختفى، فالمختفي حينئذ كمن لايختفي بل يعلن نفسه لأنّه لا يخاف و لا يتّقي لدينه

٧٩٩ــ شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ١٠٣، ط بيروت.
٨٠٠ــ النساء: ٩٨ــ٩٩.

أوغيره؛ و قيل: أي ممّن أسرّدينه أو أظهره و أعلنه، و «من» لبيان الجنس، و قيل: زائدة، ولو حذفت لجُرَّ المستترّ بدلاً من أهل الأرض.

«لا يقع اسم الهجرة...» الخ،أي يشترط في صدق الهجرة معرفة الامام والاقرار به. و المراد بقوله «فن عرفها...» الخ أنّه مهاجر بشرط الخروج إلى الامام والسفر إليه أو المراد بالمعرفة المعرفة المستندة إلى المشاهدة والعيان، و يحتمل أن يكون المراد أنّ مجرّد معرفة الامام والاقرار بوجوب اتّباعه كافٍ في إطلاق اسم الهجرة كما هو ظاهر الجزء الأخير من الكلام و يدلّ عليه بعض أخبارنا، فعرفة الامام والاقرار به في زمانه قائم مقام الهجرة المطلوبة في زمان الرسول ــ صلّى الله عليه وآله ــ.

و قال بعض الأصحاب: الهجرة في زمان الغيبة سكنى الأمصار لأنّها تقابل البادية مسكن الأعراب، والأمصار أقرب إلى تحصيل الكمالات من القرى والبوادي فانّ الغالب على أهلها الجفاء والغلظة والبعد عن العلوم والكمالات كما روي عن النبيّ ــ صلى الله عليه وآله ــ أنّ الجفاء والقسوة في الفدّادين[٨٠١]؛ و قيل: هي الخروج إلى طلب العلوم فيعمّ الخروج عن القرى والبوادي، والخروج عن بلد لايمكن فيه طلب العلم.

«و لا يقع اسم الاستضعاف...» الخ، «الاستضعاف» عدّ الشيء ضعيفاً أو وجدانه ضعيفاً و «استضعفه» أي طلب ضعفه. و «الحجّة» الدليل والبرهان، و يعبّر به عن الامام لأنّه دليل الحقّ، والمراد به هنا إمّا دليل الحقّ من أصول الدين أو الأعمّ أو الامام بتقدير مضاف أي حجّة الحجّة.

قال القطب الراوندي ــ رحمه الله ــ: يمكن أن يشير بهذا الكلام إلى إحدى آيتين:

إحداهما: «إنَّ الَّذِينَ تَوَفّٰهُمُ الْمَلٰئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا: فِيمَ كُنْتُمْ؟ قَالُوا: كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ. قَالُوا: أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّٰهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا؟!!

٨٠١ـ «الفدادون» الجمالون والرعيان والبقارون والحمارون والفلّاحون وأصحاب الوبر والّذين تعلو أصواتهم في حروثهم ومواشيهم والمكثرون من الابل.

فَأُولَئِكَ مَأْوَيهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً»[٨٠٢]. فيكون مراده ـ عليه السلام ـ على هذا أنّه لا يصدق اسم الاستضعاف على من عرف الامام و بلغته أحكامه و وعاها قلبه، و إن بقي في ولده و أهله لم يتجشّم السفر إلى الامام. كما صدق على هؤلاء المذكورين في الآية.

و الثانية قوله ـ تعالى ـ بعد ذلك: «إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَ النِّسَاءِ ـ الآية»[٨٠٣]. فيكون مراده على هذا أنّ من عرف الامام و سمع مقالته و وعاها قلبه لايصدق عليه اسم الاستضعاف كما صدق على هؤلاء، إذ كان المفروض على الموجودين في عصر الرسول المهاجرة بالأبدان دون من بعدهم، بل يقنع منهم بمعرفته و العلم بقوله بدون المهاجرة إليه بالبدن.

و قال ابن ميثم ـ رحمه الله ـ بعد حكاية كلامه: و أقول: يحتمل أن يريد بقوله ذلك أنّه لا عذر لمن بلغته دعوة الحجّة فسمعتها أذنه في تأخيره عن النهوض والمهاجرة إليه مع قدرته على ذلك ولا يصدق عليه اسم الاستضعاف كما يصدق على المستضعفين من الرجال والنساء و الولدان حتّى يكون ذلك عذراً له، بل يكون في تأخّره ملوماً مستحقاً للعقاب كالّذين قالوا: كنّا مستضعفين في الأرض، و يكون مخصوصاً بالقادرين على النهوض دون العاجزين، فانّ اسم الاستضعاف صادق عليهم.[٨٠٤] انتهى.

و أقول: سيأتي شرح هذا الكلام في أخبار كثيرة و أنّ المراد به أنّ المستضعف المعذور في معرفة الامام في زمان الهدنة في الجملة، إنّما هو إذا لم تبلغة الحجّة و اختلاف الناس فيه، أو بلغه ولم يكن له عقل يتميّز به بين الحقّ و الباطل، كما سنذكر تفصيله إن شاء الله ـ تعالى ـ.

«إنّ أمرنا صعب مستصعب»، «الصعب» العسر و الأبيّ الّذي لاينقاد بسهولة ضدّ الذلول، و «استصعب الأمر» أي صار صعباً، و «استصعبتُ الأمر» أي

٨٠٢ـ النساء: ٩٧.

٨٠٣ـ النساء: ٩٨.

٨٠٤ـ شرح النهج لابن ميثم، ج ٤، ص ١٩٨، ط بيروت.

وجدته صعباً. و «حملته و احتملته» بمعنى، و «حمّلته» بالتشديد، فاحتمله. و «الامتحان» الاختبار و «امتحن الله قلبه» أي شرحه و وسّعه.

قال ابن أبي الحديد: قال الله ـ تعالى ـ: «أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ»[٨٠] يقال: «امتحن فلان لأمر كذا» أي جرّب للنهوض به، فهو قويّ على احتمال مشاقّه و يجوز أن يكون بمعنى المعرفة لأنّ تحقيقك الشي ء إنّما يكون باختباره، فوضع موضعها فيتعلّق اللام بمحذوف، أي كائنة له، و هي اللام الّتي في قولك «أنت لهذا الأمر» أي مختصّ به و يكون مع معمولها منصوبة على الحال، و يجوز أن يكون المعنى: ضرب الله قلوبهم بأنواع المحن لأجل التقوى، أي ليثبّت و يظهر تقواها و يعلم أنّهم متّقون، لأنّ التقوى لايعلم إلّا عندالصبر على المحن والشدائد أو أخلص قلوبهم للتقوى أي أذابه و صفّاه. و «وعيت الحديث» أي حفظته و فهمته والغرض حفظ الحديث عن الإذاعة و ضبط الأسرار عن إفشائها إلى غير أهلها أو الاذعان الكامل به، و عدم التزلزل عندالعجز عن المعرفة التفصيليّة به، فيكون كالتفسير لماقبله. و «الحلم» بالكسر، الأناة والعقل. و «الرزانة» الوقار.

و حاصل الكلام أنّ شأنهم و ما هم عليه من الكمال والقدرة على خوارق العادات صعب لايحصل لغيرهم، مستصعب الفهم على الخلق،أوفهم علومهم و إدراك أسرارهم مشكل يستصعبه أكثر الخلق ، فلا يقبله حقّ القبول بحيث لا يخرج إلى طرف الافراط بالغلوّ أو التفريط بعدم التصديق، أو القول بعدم الحقّ لسوء الفهم إلّا قلب عبد شرحه الله و صفّاه للايمان، فيحمل كلّما يأتون به على وجهه إذا وجد له محملاً و يصدّق إجمالاً بكلّ ما عجز عن معرفته تفصيلاً و يردّ علمه إليهم ـ عليهم السّلام ـ.

والمراد بطرق السماء الطرق الّتي يصعد منها الملائكة و يرفع فيها أعمال العباد، أو منازل سكّان السماوات و مراتبهم، أو الأمور المستقبلة و ما خفي على الناس ممّا لا يعلم إلّا بتعليم ربّانيّ فانّ مجاري نزولها في السماء، أو أحكام الدين و قواعد الشريعة و

٨٠ـ الحجرات: ٣.

على ما يقابل كلّ واحد منها يحمل طرق الأرض.

و «شغر البلد» ــ كمنع ــ إذا خلا من حافظ يمنعه، و «بلدة شاغرة برجلها» لم تمنع عن غارة أحد، و «شغرت المرأة» رفعت رجلها للنكاح، و «شغرتها» فعلت بها ذلك، يتعدّى ولا يتعدّى، و «شغر الكلب» إذا رفع أحد رجليه ليبول، و قيل: «الشغر» البعد والاتّساع؛ و قيل كنّي بشغر رجلها عن خلوّ تلك الفتنة عن مدبّر يردّها و يحفظ الأمور و ينظم الدين. و يحتمل أن يكون كناية عن شمولها للبلاد و العباد من الشغر بمعنى الاتّساع، أو من شغر الكلب، أو من شغرة المرأة كناية عن تكشّفها و عدم مبالاتها بظهورعيوبها و إبداء سوءتها. و «الوطء» الدوس بالرجل. و «الخَطم» بالفتح من الدابّة، مقدّم أنفها، و «الخطام» ــ ككتاب ــ ما يوضع في أنف البعير ليقتادبه. والوطء في الخطام كناية عن فقد القائد و إذا خلت الناقة من القائد تعثّر و تخبط، و تفسد ما تمرّ عليه بقوائمها.

«و تذهب بأحلام قومها» أي تفسد عقول أهلها فكانت أفعالهم على خلاف ما يقتضيه العقل، فالمراد بأهلها المفسدون، أو يتحيّر أهل زمانها فلا يهتدون إلى طريق التخلّص عنها، فأهلها من أصابته البليّة، أو يأتي أهل ذلك الزمان إليها رغبة و رهبة ولا يتفحّصون عن كونها فتنة لغفلتهم عن وجه الحقّ فيها.[٨٠٦]

١٩٠ ــ ومن خطبة له عليه السلام

يحمد الله ويثني على نبيه ويعظ بالتقوى

حمد الله

أَحْمَدُهُ شُكْراً لِإِنْعَامِهِ، وَأَسْتَعِينُهُ عَلَىٰ وَظَائِفِ حُقُوقِهِ، عَزِيزَ ٱلْجُنْدِ، عَظِيمَ ٱلْمَجْدِ.

٨٠٦ـ بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٦٩، كتاب الايمان والكفر، ص ٢٢٧ ـ ٢٣٤.

الثناء على النبي

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، دَعَا إِلَىٰ طَاعَتِهِ، وَقَاهَرَ أَعْدَاءَهُ جِهَاداً عَنْ دِينِهِ؛ لَا يَثْنِيهِ عَنْ ذٰلِكَ اجْتِمَاعٌ عَلَىٰ تَكْذِيبِهِ، وَالْتِمَاسٌ لِإِطْفَاءِ نُورِهِ.

بيان: «لايثنيه» أي لا يصرفه ولا يعطفه.[٨٠٧]

العظة بالتقوى

فَاعْتَصِمُوا بِتَقْوَىٰ اللهِ، فَإِنَّ لَهَا حَبْلاً وَثِيقاً عُرْوَتُهُ، وَمَعْقِلاً[٢٤٤٦] مَنِيعاً ذِرْوَتُهُ[٢٤٤٧]. وَبَادِرُوا[٢٤٤٨] الْمَوْتَ وَغَمَرَاتِهِ[٢٤٤٩]، وَامْهَدُوا[٢٤٥٠] لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ، وَأَعِدُّوا لَهُ قَبْلَ نُزُولِهِ: فَإِنَّ الْغَايَةَ الْقِيَامَةُ؛ وَكَفَىٰ بِذٰلِكَ وَاعِظاً لِمَنْ عَقَلَ، وَمُعْتَبَراً لِمَنْ جَهِلَ! وَقَبْلَ بُلُوغِ الْغَايَةِ مَا تَعْلَمُونَ مِنْ ضِيقِ الْأَرْمَاسِ[٢٤٥١]، وَشِدَّةِ الْإِبْلَاسِ[٢٤٥٢]، وَهَوْلِ الْمُطَّلَعِ[٢٤٥٣]، وَرَوْعَاتِ الْفَزَعِ، وَاخْتِلَافِ الْأَضْلَاعِ[٢٤٥٤]، وَاسْتِكَاكِ الْأَسْمَاعِ[٢٤٥٥]، وَظُلْمَةِ اللَّحْدِ[٢٤٥٦]، وَخِيفَةِ الْوَعْدِ، وَغَمِّ الضَّرِيحِ، وَرَدْمِ الصَّفِيحِ[٢٤٥٧].

بيان: «الأرماس» جمع «الرمس» و هو القبر. و «الإبلاس» اليأس والانكسار والحزن. و قال الجزريّ: «المطلع» مكان الاطلاع من الموضع العالي، و منه الحديث: «لافتديت من هول المطلع» أي الموقف يوم القيامة، أو ما يشرف عليه من

٨٠٧- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١٨، كتاب تاريخ نبيّنا - صلّى الله عليه وآله - ص ٢٢٣.

أمر الآخرة عقيب الموت، فشبّهه بالمطلع الّذي يشرف عليه من موضع عال. و «اختلاف الأضلاع» كناية عن ضغطة القبر، إذ يحصل بسببها تداخل الأضلاع و اختلافها. و «الضريح» الشقّ في وسط القبر، و اللحد في الجانب. و «الصفيح» الحجر، والمراد بردمه هنا سدّ القبر به.[٨٠٨]

[إنّ ما سيأتي هنا بحوث و دراسات في أحوال البرزخ والقبر و عذابه و سؤاله بمناسبة البحث حول القيامة]

[* تذييل *]

ثمّ اعلم أنّ عذاب البرزخ و ثوابه ممّا اتّفقت عليه الأمّة سلفاً و خلفاً، و قال به أكثر أهل الملل و لم ينكره من المسلمين إلّا شرذمة قليلة لاعبرة بهم، و قد انعقد الإجماع على خلافهم سابقاً ولاحقاً. و الأحاديث الواردة فيه من طرق العامّة والخاصّة متواترة المضمون، و كذا بقاء النفوس بعد خراب الأبدان مذهب أكثر العقلاء من المليّين و الفلاسفة، و لم ينكره إلّا فرقة قليلة كالقائلين بأنّ النفس هي المزاج و أمثاله ممّن لا يعبأ بهم ولا بكلامهم، و قد عرفت ما يدلّ عليه من الأخبار الجليّة و قد أقيمت عليه البراهين العقليّة، و لنذكر بعض كلمات علماء الفريقين في المقامين.

قال نصير الملّة والدين ـ قدّس الله روحه ـ في التجريد: عذاب القبر واقع لإمكانه و تواتر السمع بوقوعه.

و قال العلّامة الحلّيّ ـ نوّرالله ضريحه ـ في شرحه: نقل عن ضرار أنّه أنكر عذاب القبر، و الإجماع على خلافه.

و قال الشيخ المفيد ـ رحمه الله ـ في أجوبة المسائل السرويّة ـ حيث سئل: ما قوله ـ أدام الله تأييده ـ في عذاب القبر و كيفيّته؟ و متى يكون؟ و هل تردّ الأرواح إلى الأجساد عند التعذيب أم لا؟ و هل يكون العذاب في القبر أو يكون بين النفختين؟ ـ الجواب: الكلام في عذاب القبر طريقه السمع دون العقل.

و قد ورد عن أئمّة الهدى ـ عليهم السلام ـ أنّهم قالوا: ليس يعذّب في القبر كلّ

٨٠٨ـ بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٦، كتاب العدل والايمان، ص ٢٤٤.

ميّت، و إنّما يعذّب من جملتهم من محض الكفر محضاً، ولا ينعّم كلّ ماضٍ لسبيله، و إنّما ينعّم منهم من محض الإيمان محضاً، فأمّا ما سوى هذين الصنفين فإنّه يلهى عنهم. و كذلك روي أنّه لايسأل في قبره إلّا هذان الصنفان خاصّة، فعلى ماجاء به الأثر من ذلك يكون الحكم ما ذكرناه. فأمّا عذاب الكافر في قبره و نعيم المؤمنين فيه فانّ الخبر أيضاً قدورد بأنّ اللّه ــ تعالى ــ يجعل روح المؤمن في قالب مثل قالبه في الدنيا في جنّة من جنّاته ينعّمه فيها إلى يوم الساعة، فإذا نفخ في الصور أنشأ جسده الّذي بلي في التراب و تمزّق ثمّ أعاده إليه و حشره إلى الموقف، و أمر به إلى جنّة الخلد، فلايزال منعّماً ببقاء اللّه ــ عزّ و جلّ ــ غير أنّ جسده الّذي يعاد فيه لايكون على تركيبه في الدنيا، بل تعدل طباعه، و تحسن صورته، فلايهرم مع تعديل الطباع، ولا يمسّه نصب في الجنّة ولا لغوب؛ والكافر يجعل في قالب كقالبه في الدنيا في محلّ عذاب يعاقب به، و نار يعذّب بها حتّى الساعة، ثمّ أُنشئ جسده الّذي فارقه في القبر و يعاد إليه، ثمّ يعذّب به في الآخرة عذاب الأبد، و يركّب أيضاً جسده تركيباً لايفنى معه، و قد قال اللّه ــ عزّوجلّ اسمه ــ : «اَلنّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْها غُدُوّاً وَ عَشِيّاً وَ يَوْمَ تَقُومُ السّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذابِ» [٨٠٩] و قال في قصّة الشهداء: «وَ لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ» [٨١٠]. فدلّ على أنّ العذاب والثواب يكونان قبل يوم القيامة و بعدها، والخبر وارد بأنّه يكون مع فراق الروح الجسد من الدنيا، والروح ههنا عبارة عن الفعّال الجوهر البسيط، و ليس بعبارة عن الحياة الّتي يصحّ معها العلم والقدرة لأنّ هذه الحياة عرض لايبقى ولا يصحّ الإعادة فيه فهذا ما عوّل عليه بالنقل و جاء به الخبر على ما بيّنّاه.

ثمّ سئل ــ رحمه اللّه ــ : ما قوله ــ أدام اللّه تمكينه ــ في معنى قول اللّه ــ تعالى ــ : «وَ لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ»؟ [٨١١] أهم أحياء في الحقيقة على ما تقتضيه الآية أم الآية مجاز؟ و أنّ أجسادهم الآن في قبورهم أم في الجنّة؟

٨٠٩ـ الغافر: ٤٦. ٨١٠ـ آل عمران: ١٦٩. ٨١١ـ آل عمران: ١٦٩.

فإنّ المعتزلة من أصحاب أبي هاشم يقولون: إنّ اللّه ـ تعالى ـ ينزع من جسد كلّ واحد منهم أجزاءً قدر ما يتعلّق به الروح، و إنّه ـ تعالى ـ يرزقهم على ما نطقت به الآية، و ما سوى هذا من أجزاء أبدانهم فهي في قبورهم كأجساد سائر الموتى.

الجواب: هذا المحكيّ عن أصحاب أبي هاشم لأنّ المحفوظ عنه الإنسان المخاطب المأمور المنهيّ هو البنية الّتي لا تصحّ الحياة إلّا بها و ما سوى ذلك من الجسد ليس بإنسان ولا يتوجّه إليه أمر ولا نهي ولا تكليف، و إن كان القوم يزعمون أنّ تلك البنية لا تفارق ماجاورها من الجسد فيعذّب أو ينعّم فهو مقال يستمرّ على أنّ البنية الّتي ذكروها هو المكلّف المأمور المنهيّ و باقي جسده في القبر، إلّا أنّهم لم يذكروا كيف يعذّب من عذّب و يثاب من أثيب؟ أفي دار غير الدنيا أم فيها؟ و هل يحيى بعد الموت أو تفارق الجملة في الدنيا فلا يلحقه موت؟ ثمّ لم يحك عنهم في أيّ محلّ يعذّبون و يثابون؟ و فيما قالوه من ذلك فليس به أثر و لايدلّ عليه العقل، و إنّما هو يخرج منهم على الظنّ والحساب، و من بنى مذهبه على الظنّ في مثل هذا الباب كان بمقالته مفترياً؛ ثمّ الّذي يفسد قولهم من بعد مادلّ على أنّ الإنسان المأمور المنهيّ هوالجوهر البسيط، و أنّ الأجزاء المؤلّفة لايصحّ أن تكون فعّالة، و دلائل ذلك يطول بإثباتها الكتاب، و فيما أومأنا إليه منها كفاية فيما تعلّق به السؤال و باللّه التوفيق.

و سئل عنه ـ قدّس اللّه روحه ـ في المسائل العكبريّة عن قول اللّه ـ تعالى ـ: «وَ لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ـ الآية»[٨١٢] هل يكون الرزق لغيرجسم؟ و ما صورة هذه الحياة؟ فإنّا مجمعون على أنّ الجواهر لا تبلى شيئاً، فما الفرق حينئذ في الحياة بين المؤمن والكافر.

فأجاب ـ رحمه اللّه ـ بأنّ الرزق لايكون عندنا إلّا للحيوان، والحيوان عندنا ليسوا بأجسام بل ذوات أُخرجوا في هذه الدار إلى الأجساد، و تعذّر عليهم كثير من الأفعال إلّا بها، فإن أُغنوا عنها بعد الوفاة جازأن يرزقوا مع عدمها رزقاً يحصل لهم به اللذات، و إن افتقروا إليها كان الرزق لهم حينئذ بحسبه في الدنيا على السواء. فأمّا

٨١٢ـ آل عمران: ١٦٩.

قوله «ما صورة هذه الحياة؟» فالحياة لاصورة لها لأنّها عرض من الأعراض و هي تقوم بالذات الفعّالة دون الأجساد الّتي تقوم بها حياة المتوّدون الحياة الّتي هي شرط في العلم والقدرة و نحوهما من الأعراض. و قوله «إنّا مجمعون على أنّ الجواهر لا تبلى شيئاً» فليس ذلك كما ظنّ، ولو كان كماتوهّم لم يمتنع أن توجد الحياة لبعض الجواهر و ترفع عن بعض، كما توجد حياة المتوّلبعض الأجساد و ترفع من بعض بالاتّفاق؛ ولو قلنا: «إنّ الحياة بعد النقلة من هذه الدار تعمّ أهل الكفر والإيمان» لم يفسد ذلك علينا أصلاً في الدين، فكانت الحياة لأهل الإيمان شرطاً في وصول اللذّات إليهم، والحياة لأهل الكفر شرطاً في وصول الآلام إليهم بالعقاب. انتهى.

و قال شارح المقاصد: اتّفق الإسلاميّون على حقيقة سؤال منكر و نكير في القبر و عذاب الكفّار و بعض العصاة فيه، و نسب خلافه إلى بعض المعتزلة؛ قال بعض المتأخّرين منهم: حكي إنكار ذلك عن ضراربن عمرو، و إنّما نسب إلى المعتزلة ـ و هم برآءمنه ـ لمخالطة ضرار إيّاهم، و تبعه قوم من السفهاء من المعاندين للحقّ و نحوه؛ قال في المواقف: و قال المحقّق الدوانيّ في شرح العقائد العضديّة: عذاب القبر للمؤمن و الفاسق والكافر حقّ لقوله ـ تعالى ـ: «اَلنّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْها غُدُوّاً وَ عَشِيّاً ـ الآية»[813].

و قوله: «رَبَّنا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَ أَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ»[814]؛و لقوله ـ صلّى اللّه عليه وآله ـ: «إنّ أحدكم إذامات عرض عليه مقعده بالغداة والعشيّ، إن كان من أهل الجنّة فن الجنّة، و إن كان من أهل النار فن النار، فيقال: هذا مقعدك حتّى نبعثك يوم القيامة»، و قوله ـ صلّى اللّه عليه وآله ـ : «استنزهوا من البول فإنّ عامّة عذاب القبر منه»،وقوله ـ صلّى اللّه عليه وآله ـ: «القبر إمّا روضة من رياض الجنّة، أو حفرة من حفر النيران». و نقل العلاّمة التفتازانيّ عن السيّد أبي الشجاع أنّ الصبيان يُسألون و كذا الأنبياء ـ عليهم السلام ـ و قيل: إنّ الأنبياء لايسألون لأنّ السؤال على ماورد في الحديث عن ربّه و عن دينه و عن نبيّه، ولا يعقل

۸۱۳ـ الغافر: ٤٦. ۸۱٤ـ الغافر: ۱۱.

السؤال عن النبيّ ــ صلّى الله عليه وآله ــ من نفس النبيّ، و أنت خبير بأنّه لايدلّ على عدم السؤال مطلقاً بل عدم السؤال عن نبيّه فقط، و ذلك أيضاً في الّذي لايكون على ملّة نبيّ آخر.

و اختلف الناس في عذاب القبر فأنكره قوم بالكلّيّة و أثبته آخرون، ثمّ اختلف هؤلاء فنهم من أثبت التعذيب و أنكر الإحياء و هو خلاف العقل، و بعضهم لم يثبت العذاب بالفعل بل قال: تجتمع الآلام في جسده فإذا حشر أحسّ بها دفعة، و هذا إنكار لعذاب القبر حقيقة، و منهم من قال بإحيائه لكن من غير إعادة الروح، و منهم من قال بالإحياء و إعادة الروح ولا يلزم أن يرى أثر الحياة فيه حتى أنّ المأكول في بطن الحيوانات يحيى و يسأل و ينعّم و يعذّب ولا ينبغي أن ينكر لأنّ من أخفى النار في الشجر الأخضر قادر على إخفاء العذاب والنعيم.

قال الإمام الغزاليّ في الإحياء: اعلم أنّ لك ثلاث مقامات في التصديق بأمثال هذا.

أحدها ــ و هو الأظهر و الأصحّ ــ أن تصدّق بأنّ الحيّة مثلاً موجودة تلدغ الميّت و لكنّا لا نشاهد ذلك، فإنّ ذلك العين لايصلح لمشاهدة تلك الأمور الملكوتيّة، و كلّ ما يتعلّق بالآخرة فهو من عالم الملكوت، أما ترى أنّ الصحابة كيف كانوا يؤمنون بنزول جبرئيل ــ عليه السلام ــ، و ما كانوا يشاهدونه، و يؤمنون أنّه ــ صلّى الله عليه وآله ــ يشاهده؟ فإن كنت لا تؤمن بهذا، فتصحيح الإيمان بالملائكة والوحي عليك أوجب، و إن آمنت به وجوّزت أن يشاهد النبيّ ــ صلّى الله عليه وآله ــ مالا تشاهده الأمّة فكيف لاتجوّز هذا في الميّت؟.

المقام الثاني أن تتذكّر أمر النائم فإنّه يرى في نومه حيّة تلدغه و هو يتألّم بذلك حتّى يرى في نومه يصيح و يعرق جبينه، و قد ينزعج من مكانه. كلّ ذلك يدرك من نفسه و يتأذّى به كما يتأذّى اليقظان، و أنت ترى ظاهره ساكناً ولا ترى في حواليه حيّة، والحيّة موجودة في حقّه، والعذاب حاصل، و لكنّه في حقّك غير مشاهد، و إن كان العذاب ألم اللدغ فلا فرق بين حيّة تتخيّل أو تشاهد.

المقام الثالث أنّ الحيّة بنفسها لا تؤلم بل الّذي يلقاك منها هوالسمّ، ثمّ السمّ ليس هوالألم، بل عذابك في الأثر الّذي يحصل فيك من السمّ، فلوحصل مثل ذلك من غيرسمّ فكان ذلك العذاب قدتوفّر، وقد لايمكن تعريف ذلك النوع من العذاب إلّا بأن يضاف إلى السبب الّذي يفضي إليه في العادة، والصفات المهلكات تنقلب مؤذيات و مؤلمات في النفس عند الموت فتكون آلامها كآلام لدغ الحيّات من غير وجود الحيّات.

فإن قلت: ما الصحيح من هذه المقامات الثلاثة؟ فاعلم أنّ من الناس من لم يثبت إلّا الثالث، و إنّما الحقّ الّذي انكشف لنا من طريق الاستبصار أنّ كلّ ذلك في حيّز الإمكان، و أنّ من ينكر بعض ذلك فهو لضيق حوصلته و جهله باتّساع قدرة اللّه و عجائب تدبيره منكر من أفعال اللّه ـ تعالى ـ مالم يأنس به ولم يألفه و ذلك جهل و قصور، بل هذه الطرق الثلاثة في التعذيب ممكن والتصديق بها واجب، و ربّ عبد يعاقب بنوع واحد من هذه الأنواع الثلاثة. هذا هوالحقّ فصدّق به.

ثمّ قال: و سؤال منكر و نكير حقّ لقوله ـ صلّى اللّه عليه وآله ـ: «إذا أُقبر الميّت أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما: منكر و للآخر: نكير؛ يقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فإن كان مؤمناً فيقول: هو عبداللّه و رسوله، أشهد أن لاإله إلّااللّه و أشهد أنّ محمّداً رسول اللّه، فيقولان: قد كنّا نعلم أنّك تقول هذا؛ ثمّ يفسح في قبره سبعين ذراعاً في سبعين ذراعاً، ثمّ ينوّرله فيه، ثمّ يقال له: نم، فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم؟ فيقولان: نم كنومة العروس الّذي لايوقظه إلّا أحبّ أهله، حتّى يبعثه اللّه من مضجعه ذلك. و إن كان منافقاً قال: سمعت الناس يقولون، فقلت مثله، لاأدري! فيقولان: قدكنّا نعلم أنّك تقول ذلك؛ فيقال للأرض: التئمي عليه، فتلتئم عليه فتختلف أضلاعه، فلايزال فيه معذّباً حتّى يبعثه اللّه من مضجعه ذلك.

و أنكر الجبائيّ وابنه و البلخيّ تسمية الملكين منكراً و نكيراً و قالوا: إنّما المنكر ما يصدر من الكافر عند تلجلجه إذاسئل، والنكير إنّما هو تقريع الكافر، و هو

خلاف ظاهر الحديث. و الأحاديث الصحيحة الدالّة على عذاب القبر و نعيمه و سؤال الملكين أكثر من أن تحصر بحيث يبلغ قدره المشترك حدّ التواتر و إن كان كلّ منها خبر الآحاد، و اتفق عليه السلف الصالح قبل ظهور المخالف. و أنكره مطلقاً ضرار بن عمرو و أكثر متأخري المعتزلة و بعض الروافض متمسّكين بأنّ الميّت جماد فلا يعذّب، و ما سبق حجّة عليهم، و من تأمّل عجائب الملك و الملكوت و غرائب صنعه ــ تعالى ــ لم يستنكف عن قبول أمثال هذا؛ فإنّ للنفس نشآت و في كلّ نشأة تشاهد صوراً تقتضيها تلك النشأة، فكما أنّها تشاهد في المنام أُموراً لم تكن تشاهد في اليقظة فكذا تشاهد في حال الانخلاع عن البدن أُموراً لم تكن تشاهد في الحياة. و إلى هذا يشير من قال: الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا. انتهى كلامه.

ولا يخفى على أحد أنّ مانسبه هو و غيره إلى الشيعة في هذا الباب فرية بلامرية. ولا يوجد من ذلك في كتبهم عين ولاأثر، و قد سمعت بعض كلماتهم في ذلك؛ و لعلّه رأى ذلك في بعض كتب الملاحدة من الإسماعيليّة و غيرهم الملصقين بهذه الفرقة المحقّة فنسب ذلك إليهم مجملاً، و هذا تدليس قبيح ولا سيّما من الفضلاء.

ثمّ اعلم أنّه روى العامّة في كتبهم عن أبي أمامة الباهليّ أنّ النبيّ ــ صلّى الله عليه وآله ــ قال: «إذا مات أحدكم و سوّيتم عليه التراب فليقم أحدكم عند قبره ثمّ ليقل: يا فلان بن فلانة فإنّه يسمع ولا يجيب، ثمّ ليقل: يا فلان بن فلانة ــ الثانية ــ فيستوي قاعداً، ثمّ ليقل: يا فلان بن فلانة؛ فإنّه يقول: أرشدنا رحمك الله، فيقول: اذكر ما خرجت عليه من الدنيا: شهادة أن لا إله إلّا الله، و أنّ محمّداً عبده و رسوله، و أنّك رضيت بالله ربّاً، و بالإسلام ديناً، و بمحمّد نبيّاً، و بالقرآن إماماً. فإنّ منكراً و نكيراً يتأخّر كلّ واحد منهما فيقول: انطلق فما يقعدنا عند هذا و قد لقّن حجّته؟»

فقال: يا رسول الله! فإن لم يعرف أُمّه؟

قال: فلينسبه إلى حوّاء.

و قال الشيخ البهائيّ ــ قدّس الله روحه ــ: قد يتوهّم أنّ القول بتعلّق

الأرواح بعد مفارقة أبدانها العنصريّة بأشباح أُخر كما دلّت عليه الأحاديث قول بالتناسخ، و هذا توهّم سخيف لأنّ التناسخ الّذي أطبق المسلمون على بطلانه هو تعلّق الأرواح بعد خراب أجسادها بأجسام أُخر في هذا العالم، إمّا عنصريّة كمايزعم بعضهم و يقسّمه إلى النسخ والمسخ والفسخ والرسخ، أوفلكيّة ابتداءً أو بعد تردّدها في الأبدان العنصريّة على اختلاف آرائهم الواهية المفصّلة في محلّها.

و أمّا القول بتعلّقها في عالم آخر بأبدان مثاليّة مدّة البرزخ إلى أن تقوم قيامتها الكبرى فتعود إلى أبدانها الأوليّة بإذن مبدعها إمّا بجمع أجزائها المتشتّتة أو بإيجادها من كتم العدم كما أنشأها أوّل مرّة فليس من التناسخ في شيء، و إن سمّيته تناسخاً فلامشاحّة في التسمية إذا اختلف المسمّى، و ليس إنكارنا على التناسخيّة و حكمنا بتكفيرهم بمجرّد قولهم بانتقال الروح من بدن إلى آخر، فإنّ المعاد الجسمانيّ كذلك عند كثير من أهل الإسلام، بل بقولهم بقدم النفوس و تردّدها في أجسام هذا العالم و إنكارهم المعاد الجسمانيّ في النشأة الأُخرويّة.

قال الفخرالرازيّ في نهاية العقول: إن المسلمين يقولون بحدوث الأرواح و ردّها إلى الأبدان لا في هذا العالم، والتناسخيّة يقولون بقدمها و ردّها إليها في هذا العالم و ينكرون الآخرة والجنّة والنار، و إنّما كفروا من أجل هذا الإنكار. انتهى كلامه ملخّصاً. فقد ظهر البون البعيد بين القولين. انتهى كلامه، زاداللّه في إكرامه.

ثمّ اعلم أنّ مقتضى قواعد العدليّة و ظواهر النصوص الماضية والآتية أنّه إنّما يسأل في القبر المكلّفون الكاملون لا الأطفال والمجانين والمستضعفون، و أمّا الأنبياء و الأئمّة ـ عليهم السلام ـ وإن كان المفهوم من فحوى عدم سؤال من لقّن و أمثالهم و مامرّ أنّه يسأل و هو مضغوط على بعض محتملاته و غيره ممّا يدلّ على رفعة شأنهم عدم السؤال عنهم، لكن لمّا لم نرفيه نصّاً صريحاً فالأولى عدم التعرّض له نفياً و إثباتاً، و لذا لم يتعرّض له علماءنا ـ رضوان اللّه عليهم ـ.

قال صاحب المحجّة البيضاء في مذهب آل العباء: اختلف أهل السنّة في أنّ الأنبياء ـ عليهم السلام ـ هل يسألون في القبر أم لا؟ و كذا في الأطفال؟ فقيل:

الأصحّ أنّ الأنبياء ـ عليهم السلام ـ لايسألون. و قال الصفّار: ليس في هذا نصّ ولا خبر ولا دليل فانتفي ذلك عنهم، و ما روي عنه ـ صلّى الله عليه وآله ـ من الاستعاذة عن عذاب القبر فذلك للمبالغة في إظهار الافتقار إلى الله ـ تعالى ـ و قيل: هو تحكّم محض لجواز أن يقال: «آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ»[٨١٥] فكما جاز أن يسأل المؤمن عمّا آمن به فيقال: من ربّك و مادينك؟ فكذا الرسول يسأل عمّا آمن به. فعلم أنّ حمل الاستعاذة على المبالغة تحكّم بغير دليل، و لأنّ النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ صاحب عهدة عظيمة لأنّه إنّما بعث لبيان الشرائع و صرف القلوب إلى الله ـ تعالى ـ فلم لايجوز أن يسأل عمّا كان في عهدته؟ حتّى قيل: و سؤالها الأنبياء بهذه العبارة: على ماذا تركتم أُمّتكم؟

والحقّ أنّ الأئمّة كالأنبياء ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ في هذه الأُمور كلّها، ولم أر في كتب الإماميّة هذه المسألة لانفياً ولا إثباتاً، والّذي يطمئنّ إليه قلبي أنّهم مع الأئمّة ـ سلام الله عليهم ـ مستثنون من هذه الأحكام. انتهى.

و قال الصدوق ـ رحمه الله ـ في رسالة العقائد: اعتقادنا في المساءلة في القبر أنها حقّ لابدّ منها، فن أجاب بالصواب فإذا بروح و ريحان في قبره و بجنّة نعيم في الآخرة و من لم يأت بالصواب فله نزل من حميم في قبره و تصلية جحيم في الآخرة. و أكثرما يكون عذاب القبر من النميمة و سوء الخلق والاستخفاف بالبول، و أشدّ ما يكون عذاب القبر على المؤمن مثل اختلاج العين أوشرطة حجّام، و يكون ذلك كفّارة لما بقي عليه من الذنوب الّتي تكفّرها الهموم والغموم والأمراض و شدّة النزف عند الموت.

فإنّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ كفّن فاطمة بنت أسد في قيصه بعدما فرغت النساء من غسلها و حمل جنازتها على عاتقه حتّى أوردها قبرها، ثمّ وضعها و دخل القبر واضطجع فيه ثمّ قام فأخذها على يديه و وضعها في قبرها، ثمّ انكبّ عليها يناجيها طويلاً و يقول لها: ابنك ابنك، ثمّ خرج و سوّى عليها التراب، ثمّ انكبّ على قبرها فسمعوه و هويقول: اللّهم إنّي أودعتها إيّاك . ثمّ انصرف.

٨١٥ ـ البقرة: ٢٨٥.

فقال له المسلمون: يا رسول الله! إنّا رأيناك صنعت اليوم شيئاً لم تصنعه قبل اليوم؟!

فقال: اليوم فقدت برّ أبي طالب إنّها كانت يكون عندها الشيء فتوثرني به على نفسها و ولدها؛ و إنّي ذكرت القيامة و أنّ الناس يحشرون عراة فقالت واسوأتاه! فضمنت لها أن يبعثها الله ــ تعالى ــ كاسية، و ذكرت ضغطة القبر فقالت: واضعفاه! فضمنت لها أن يكفيها الله ــ تعالى ــ ذلك فكفّنتها بقميصي و اضطجعت في قبرها لذلك و انكببت عليها فلقّنتها ما تسأل عنه، و إنّما سئلت عن ربّها فقالت: الله، و سئلت عن نبيّها فأجابت، و سئلت عن وليّها و إمامها فأُرتج عليها، فقلت لها: ابنك ابنك.

أقول: و قال الشيخ المفيد ــ نوّر الله ضريحه ــ في شرح هذا الكلام: جاءت الأخبار الصحيحة عن النبيّ ــ صلّى الله عليه وآله ــ أنّ الملائكة تنزل على المقبورين فتسألهم عن أديانهم، و ألفاظ الأخبار بذلك متقاربة، فمنها أنّ ملكين لله ــ تعالى ــ يقال لهما: ناكر و نكير، ينزلان على الميّت فيسألانه عن ربّه و نبيّه و دينه و إمامه فإن أجاب بالحقّ سلّموه إلى ملائكة النعيم، و إن أُرتج عليه سلّموه إلى ملائكة العذاب. و قيل في بعض الأخبار: إنّ اسمي الملكين اللّذين ينزلان على المؤمن مبشر و بشير. و قيل: إنّه إنّما سمّي ملكا الكافر ناكراً و نكيراً لأنّه ينكر الحقّ و ينكر ما يأتيانه به و يكرهه؛ و سمّي ملكا المؤمن مبشّراً و بشيراً لأنّهما يبشّرانه من الله ــ تعالى ــ بالرضا والثواب المقيم. و إنّ هذين الاسمين ليسا بلقب لهما، و إنّهما عبارة عن فعلهما، و هذه أُمور تتقارب بعضها من بعض ولا تستحيل معانيها والله أعلم بحقيقة الأمر فيها.

و قد قلنا فيما سلف: إنّما ينزل الملكان على من محض الإيمان محضاً أومحض الكفر محضاً، و من سوى هذين فيلهى عنه و بيّنّا أنّ الخبر جاء بذلك فمن جهته قلنا فيه ما ذكرناه.

فصل: وليس ينزل الملكان إلّا على حيّ ولا يسألان إلّا من يفهم المسألة و يعرف معناها، و هذا يدلّ على أنّ الله ــ تعالى ــ يحيي العبد بعدموته للمساءلة، و يديم

حياته بنعيم إن كان يستحقّه، أو بعذاب إن كان يستحقّه[٨١٦] ـ نعوذبالله من سخطه و نسأله التوفيق لما يرضيه برحمته ـ والغرض من نزول الملكين و مساءلتها العبد أنّالله يوكّل بالعبد بعد موته ملائكة النعيم و ملائكة العذاب، و ليس للملائكة طريق إلى ما يستحقّه العبد إلّا بإعلام الله ـ تعالى ـ ذلك لهم، فالملكان اللّذان ينزلان على العبد أحدهما من ملائكة النعيم والآخر من ملائكة العذاب، فإذا هبطا لما وكّلا به استفهما حال العبد بالمساءلة فإن أجاب بما يستحقّ به النعيم قام بذلك ملك النعيم و عرج عنه ملك العذاب، و إن ظهرت فيه علامة استحقاقه العذاب وكّل به ملك العذاب و عرج عنه ملك النعيم. و قد قيل: إنّ الملائكة الموكّلين بالنعيم والعقاب غير الملكين الموكّلين بالمساءلة، و إنّما يعرف ملائكة النعيم و ملائكة العقاب ما يستحقّه العبد من جهة ملكي المساءلة، فإذا ساءلا العبد و ظهر منه ما يستحقّ به الجزاء تولّى منه ذلك ملائكة الجزاء و عرج ملكا المساءلة إلى مكانها من السماء. و هذا كلّه جائز و لسنا نقطع بأحددون صاحبه، إذ الأخبار فيه متكافئة والعادة لنا في معنى ما ذكرناه التوقّف والتجويز.

فصل: و إنّما وكّل الله ـ تعالى ـ ملائكة المساءلة و ملائكة العذاب والنعيم بالخلق تعبّداً لهم بذلك، كما وكّل الكتبة من الملائكة ـ عليهم السلام ـ بحفظ أعمال الخلق و كتبها و نسخها و رفعها تعبّداً لهم بذلك، و كما تعبّد طائفة من الملائكة بحفظ بني آدم و طائفة منهم بإهلاك الأُمم، و طائفة بحمل العرش، و طائفة بالطواف حول البيت المعمور، و طائفة بالتسبيح، و طائفة بالاستغفار للمؤمنين، و طائفة بتنعيم أهل الجنّة، و طائفة بتعذيب أهل النار والتعبّد لهم بذلك ليثيبهم عليها. ولم يتعبّدالله الملائكة بذلك عبثاً كما لم يتعبّد البشر والجنّ بما تعبّدهم به لعباً بل تعبّد الكلّ للجزاء وما تقتضيه الحكمة من تعريفهم نفسه ـ تعالى ـ والتزامهم شكر النعمة عليهم.

٨١٦ ـ لعلّ المراد أنّ الانسان لايبطل بعد الموت ولاينعدم بالكلّيّة، بل له نوع من الحياة غير الحياة الحسّيّة الّتي يفقدها بالموت؛ قال ـ صلّى الله عليه وآله ـ: «و إنّما تنتقلون من دار إلى دار الحديث». وأمّا الروايات الدالة على إدخال الروح فيه إلى حقويه في القبر، فهي تمثيل للمساءلة كما أنّ الروايات الدالة على قولهما له «نم نومة العروس» و إنا منهما له وغيرذلك تمثيل لمكثه في القبر في انتظار البعث. ط

و قد كان الله ـ تعالى ـ قادراً على أن يفعل العذاب بمستحقّه من غير واسطة و ينعّم المطيع من غير واسطة، لكنه علّق ذلك على الوسائط لماذكرناه وبيّنّاوجه الحكمة فيه و وصفناه.

و طريق مساءلة الملكين الأموات بعد خروجهم من الدنيا بالوفاة هو السمع، و طريق العلم بردّة الحياة إليهم عند المساءلة هو العقل، إذ لا تصحّ مساءلة الأموات و استخبار الجمادات، و إنّما يحسن الكلام للحيّ العاقل لما يكلّم به و تقريره و إلزامه بما يقدر عليه، مع أنّه قدجاء في الخبر أنّ كلّ مساءل تردّ اليه الحياة عند مساءلتهم ليفهم ما يقال له؛ فالخبر بذلك أكّد ما في العقل، ولولم يرد بذلك خبر لكفى حجّة العقل فيه على ما بيّنّاه. انتهى كلامه ـ رحمه الله ـ.

و أقول: لمّا كانت هذه المسألة من أعظم الأصول الإسلاميّة و قد أكثرت المتفلسفة و الملاحدة الشبه فيها و رام بعض من آمن بلسانه و لم يؤمن بقلبه تأويلها و تحريفها أطنبت الكلام فيها بعض الإطناب و أرجو من فضل ربّي أن يوفّقني لأن أعمل في ذلك رسالة مفردة عن هذا الكتاب، والله الموفّق لكلّ خير و صواب. و قد أثبتنا الأخبار النافعة في هذا المقصد الأقصى في باب الاحتضار، و باب الجريدتين، وباب الدفن، و باب التلقين و غيرها من أبواب الجنائز، و باب أحوال أولاد آدم، و أبواب معجزات الأئمّة ـ عليهم السلام ـ وغرائب أحوالهم. و سيأتي خبر طويل في تكلّم سلمان مع بعض الأموات في باب أحواله ـ رضي الله عنه ـ، و سيأتي في أكثر الأبواب ما يناسب الباب لاسيّما في باب فضل فاطمة بنت أسد ـ رضي الله عنها ـ، و باب فضل ليلة الجمعة و يومها، و أبواب المواعظ، و أبواب فضائل الأعمال و غيرها ممّا تطول الإشارة إليها فكيف ذكرها.[٨١٧]

٨١٧- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٦، كتاب العدل والمعاد، ص ٢٧١.

فَاللهَ اللهَ عِبادَ اللهِ ! فَإِنَّ الدُّنْيَا مَاضِيَةٌ بِكُمْ عَلَىٰ سَنَنٍ[٢٤٥٨] ، وَأَنْتُمْ وَالسَّاعَةُ فِي قَرَنٍ[٢٤٥٩] . وَكَأَنَّهَا قَدْ جَاءَتْ بِأَشْرَاطِهَا[٢٤٦٠] ، وَأَزِفَتْ[٢٤٦١] بِأَفْرَاطِهَا[٢٤٦٢] ، وَوَقَفَتْ بِكُمْ عَلَىٰ صِرَاطِهَا . وَكَأَنَّهَا قَدْ أَشْرَفَتْ بِزَلَازِلِهَا ، وَأَنَاخَتْ بِكَلَاكِلِهَا[٢٤٦٣] ، وَانْصَرَمَتِ[٢٤٦٤] الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا ، وَأَخْرَجَتْهُمْ مِنْ حِضْنِهَا ، فَكَانَتْ كَيَوْمٍ مَضَىٰ ، أَوْ شَهْرٍ انْقَضَىٰ ، وَصَارَ جَدِيدُهَا رَثًّا[٢٤٦٥] ، وَسَمِينُهَا غَثًّا[٢٤٦٦] . فِي مَوْقِفٍ ضَنْكِ الْمَقَامِ ، وَأُمُورٍ مُشْتَبِهَةٍ عِظَامٍ ، وَنَارٍ شَدِيدٍ كَلَبُهَا[٢٤٦٧] ، عَالٍ لَجَبُهَا[٢٤٦٨] ، سَاطِعٍ لَهَبُهَا ، مُتَغَيِّظٍ[٢٤٦٩] زَفِيرُهَا[٢٤٧٠] ، مُتَأَجِّجٍ سَعِيرُهَا ، بَعِيدٍ خُمُودُهَا ، ذَاكٍ[٢٤٧١] وُقُودُهَا ، مَخُوفٍ وَعِيدُهَا ، عَمٍ قَرَارُهَا[٢٤٧٢] ، مُظْلِمَةٍ أَقْطَارُهَا ، حَامِيَةٍ قُدُورُهَا ، فَظِيعَةٍ أُمُورُهَا . «وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً» . قَدْ أَمِنَ الْعَذَابُ ، وَانْقَطَعَ الْعِتَابُ ؛ وَزُحْزِحُوا عَنِ النَّارِ ، وَاطْمَأَنَّتْ بِهِمُ الدَّارُ ، وَرَضُوا الْمَثْوَىٰ وَالْقَرَارَ . الَّذِينَ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا زَاكِيَةً ، وَأَعْيُنُهُمْ بَاكِيَةً ، وَكَانَ لَيْلُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ نَهَاراً ، تَخَشُّعاً وَاسْتِغْفَاراً ؛ وَكَانَ نَهَارُهُمْ لَيْلًا ، تَوَحُّشاً[٢٤٧٣] وَانْقِطَاعاً . فَجَعَلَ اللهُ لَهُمُ الْجَنَّةَ مَآباً ، وَالْجَزَاءَ ثَوَاباً ، «وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا» فِي مُلْكٍ دَائِمٍ ، وَنَعِيمٍ قَائِمٍ .

بيان: «على سنن» أي على طريقة الأمم الماضية يهلككم كماأهلكهم.و «القرن» حبل يشدّ به البعيران. «بأفراطها» أي مقدماتها. و «الكلاكل» جمع

«الكلكل» و هو الصدر، و يقال للأمر الثقيل: «قد أناخ عليهم بكلكله» أي هدّهم و رضّهم كما يهدّ البعير البارك من تحته إذا أُنيخ عليه بصدره، والجمع باعتبار تعدّد أهوالها. و «الحِضن» بالكسر، الجنب. و «الرثّ» البالي. و «الغثّ» المهزول. و «الضنك» الضيق. و «الكلب» الشدّة و الأذى. و «اللجب» الصوت. و «التغيّظ» الهيجان والغليان. و «الذكاء» شدّة وهج النار. و «حمى التنّور» اشتدحرّها. و «زحزحه عن كذا» باعده.[۸۱۸]

فَارْعَوْا عِبَادَ ٱللهِ مَا بِرِعَايَتِهِ يَفُوزُ فَائِزُكُمْ، وَبِإِضَاعَتِهِ يَخْسَرُ مُبْطِلُكُمْ. وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ مُرْتَهَنُونَ بِمَا أَسْلَفْتُمْ، وَمَدِينُونَ بِمَا قَدَّمْتُمْ. وَكَأَنْ قَدْ نَزَلَ بِكُمُ ٱلْمَخُوفُ، فَلَا رَجْعَةً تَنَالُونَ، وَلَا عَثْرَةً تُقَالُونَ. ٱسْتَعْمَلَنَا ٱللهُ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ، وَعَفَا عَنَّا وَعَنْكُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ.

ٱلْزَمُوا ٱلْأَرْضَ(۲٤۷٤)، وَٱصْبِرُوا عَلَىٰ ٱلْبَلَاءِ. وَلَا تُحَرِّكُوا بِأَيْدِيكُمْ وَسُيُوفِكُمْ فِي هَوَىٰ أَلْسِنَتِكُمْ، وَلَا تَسْتَعْجِلُوا بِمَا لَمْ يُعَجِّلْهُ ٱللهُ لَكُمْ.

فَإِنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنكُمْ عَلَىٰ فِرَاشِهِ وَهُوَ عَلَىٰ مَعْرِفَةِ حَقِّ رَبِّهِ وَحَقِّ رَسُولِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ مَاتَ شَهِيداً، وَوَقَعَ أَجْرُهُ عَلَىٰ ٱللهِ، وَٱسْتَوْجَبَ ثَوَابَ مَا نَوَىٰ مِنْ صَالِحِ عَمَلِهِ، وَقَامَتِ ٱلنِّيَّةُ مَقَامَ إِصْلَاتِهِ(۲٤۷٥) لِسَيْفِهِ؛ فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ مُدَّةً وَأَجَلاً.

۸۱۸- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ۷، كتاب العدل والمعاد، ص ۲۰۷.

١٩١ – ومن خطبة له عليه السلام

يحمد الله ويثني على نبيه ويوصي بالزهد والتقوى

اَلْحَمْدُ للهِ اَلْفَاشِي[٢٤٧٦] فِي اَلْخَلْقِ حَمْدُهُ، وَاَلْغَالِبِ جُنْدُهُ، وَاَلْمُتَعَالِي جَدُّهُ[٢٤٧٧]. أَحْمَدُهُ عَلَىٰ نِعَمِهِ اَلتُّؤَامِ[٢٤٧٨]، وَآلاَئِهِ اَلْعِظَامِ. اَلَّذِي عَظُمَ حِلْمُهُ فَعَفَا، وَعَدَلَ فِي كُلِّ مَا قَضَىٰ، وَعَلِمَ مَا يَمْضِي وَمَا مَضَىٰ، مُبْتَدِعِ اَلْخَلاَئِقِ بِعِلْمِهِ، وَمُنْشِئِهِمْ بِحُكْمِهِ[٢٤٧٩]، بِلاَ اَقْتِدَاءٍ وَلاَ تَعْلِيمٍ، وَلاَ اَحْتِذَاءٍ لِمِثَالِ صَانِعٍ حَكِيمٍ، وَلاَ إِصَابَةِ خَطَأٍ، وَلاَ حَضْرَةِ مَلأٍ.

الرسول الاعظم

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اِبْتَعَثَهُ وَالنَّاسُ يَضْرِبُونَ فِي غَمْرَةٍ[٢٤٨٠]، وَيَمُوجُونَ فِي حَيْرَةٍ. قَدْ قَادَتْهُمْ أَزِمَّةُ[٢٤٨١] اَلْحَيْنِ[٢٤٨٢]، وَاَسْتَغْلَقَتْ عَلَىٰ أَفْئِدَتِهِمْ أَقْفَالُ الرَّيْنِ[٢٤٨٣].

بيان: «الضرب» السير السريع، و «الضارب» السابح. و «الغمرة» الماء الكثير. و «الحين» الهلاك. و «استغلقت» أي تعسّر فتحها. و «الرين» الطبع والتغطية.[٨١٩]

٨١٩– بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١٨، كتاب تاريخ نبينا – صلى الله عليه وآله –، ص ٢٢٧.

الوصية بالزهد والتقوى

عِبَادَ ٱللهِ ! أُوصِيكُمْ بِتَقْوَىٰ ٱللهِ فَإِنَّهَا حَقُّ ٱللهِ عَلَيْكُمْ ، وَٱلْمُوجِبَةُ عَلَىٰ ٱللهِ حَقَّكُمْ . وَأَنْ تَسْتَعِينُوا عَلَيْهَا بِٱللهِ ، وَتَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَىٰ ٱللهِ : فَإِنَّ ٱلتَّقْوَىٰ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلْحِرْزُ وَٱلْجُنَّةُ ، وَفِي غَدٍ ٱلطَّرِيقُ إِلَىٰ ٱلْجَنَّةِ . مَسْلَكُهَا وَاضِحٌ ، وَسَالِكُهَا رَابِحٌ ، وَمُسْتَوْدَعُهَا(٢٤٨٤) حَافِظٌ . لَمْ تَبْرَحْ عَارِضَةً نَفْسَهَا عَلَىٰ ٱلْأُمَمِ ٱلْمَاضِينَ مِنْكُمْ وَٱلْغَابِرِينَ ، لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا غَداً ، إِذَا أَعَادَ ٱللهُ مَا أَبْدَىٰ ، وَأَخَذَ مَا أَعْطَىٰ ، وَسَأَلَ عَمَّا أَسْدَىٰ(٢٤٨٥) . فَمَا أَقَلَّ مَنْ قَبِلَهَا ، وَحَمَلَهَا حَقَّ حَمْلِهَا ! أُولٰئِكَ ٱلْأَقَلُّونَ عَدَداً ، وَهُمْ أَهْلُ صِفَةِ ٱللهِ سُبْحَانَهُ إِذْ يَقُولُ : «وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ» . فَأَهْطِعُوا(٢٤٨٦) بِأَسْمَاعِكُمْ إِلَيْهَا ، وَأَلِظُّوا(٢٤٨٧) بِجِدِّكُمْ عَلَيْهَا ، وَٱعْتَاضُوهَا مِنْ كُلِّ سَلَفٍ خَلَفاً ، وَمِنْ كُلِّ مُخَالِفٍ مُوَافِقاً . أَيْقِظُوا بِهَا نَوْمَكُمْ ، وَٱقْطَعُوا بِهَا يَوْمَكُمْ ، وَأَشْعِرُوهَا قُلُوبَكُمْ ، وَٱرْحَضُوا(٢٤٨٨) بِهَا ذُنُوبَكُمْ ، وَدَاوُوا بِهَا ٱلْأَسْقَامَ ، وَبَادِرُوا بِهَا ٱلْحِمَامَ ، وَٱعْتَبِرُوا بِمَنْ أَضَاعَهَا ، وَلَا يَعْتَبِرَنَّ بِكُمْ مَنْ أَطَاعَهَا . أَلَا فَصُونُوهَا وَتَصَوَّنُوا(٢٤٨٩) بِهَا ، وَكُونُوا عَنِ ٱلدُّنْيَا نُزَّاهاً(٢٤٩٠) ، وَإِلَىٰ ٱلْآخِرَةِ وُلَّاهاً(٢٤٩١) . وَلَا تَضَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ ٱلتَّقْوَىٰ ، وَلَا تَرْفَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ ٱلدُّنْيَا . وَلَا تَشِيمُوا(٢٤٩٢) بَارِقَهَا(٢٤٩٣) ، وَلَا تَسْمَعُوا نَاطِقَهَا ، وَلَا تُجِيبُوا نَاعِقَهَا ، وَلَا تَسْتَضِيئُوا

بِإِشْرَاقِهَا ، وَلَا تُفْتَنُوا بِأَعْلَاقِهَا[٢٤٩٤] ، فَإِنَّ بَرْقَهَا خَالِبٌ[٢٤٩٥] ، وَنُطْقَهَا كَاذِبٌ ، وَأَمْوَالَهَا مَحْرُوبَةٌ[٢٤٩٦] ، وَأَعْلَاقَهَا مَسْلُوبَةٌ . أَلَا وَهِيَ ٱلْمُتَصَدِّيَةُ[٢٤٩٧] ٱلْعَنُونُ[٢٤٩٨] ، وَٱلْجَامِحَةُ ٱلْحَرُونُ[٢٤٩٩] ، وَٱلْمَائِنَةُ ٱلْخَؤُونُ[٢٥٠٠] ، وَٱلْجَحُودُ ٱلْكَنُودُ[٢٥٠١] ، وَٱلْعَنُودُ ٱلصَّدُودُ[٢٥٠٢] ، وَٱلْحَيُودُ ٱلْمَيُودُ[٢٥٠٣] . حَالُهَا ٱنْتِقَالٌ ، وَوَطْأَتُهَا زِلْزَالٌ ، وَعِزُّهَا ذُلٌّ ، وَجِدُّهَا هَزْلٌ ، وَعُلْوُهَا سُفْلٌ . دَارُ حَرَبٍ[٢٥٠٤] وَسَلَبٍ ، وَنَهْبٍ وَعَطَبٍ . أَهْلُهَا عَلَىٰ سَاقٍ وَسِيَاقٍ[٢٥٠٥] ، وَلَحَاقٍ وَفِرَاقٍ[٢٥٠٦] . قَدْ تَحَيَّرَتْ مَذَاهِبُهَا[٢٥٠٧] ، وَأَعْجَزَتْ مَهَارِبُهَا[٢٥٠٨] ، وَخَابَتْ مَطَالِبُهَا ؛ فَأَسْلَمَتْهُمُ ٱلْمَعَاقِلُ ، وَلَفَظَتْهُمُ ٱلْمَنَازِلُ ، وَأَعْيَتْهُمُ ٱلْمَحَاوِلُ[٢٥٠٩] : فَمِنْ نَاجٍ مَعْقُورٍ[٢٥١٠] ، وَلَحْمٍ مَجْزُورٍ[٢٥١١] ، وَشِلْوٍ[٢٥١٢] مَذْبُوحٍ ، وَدَمٍ مَسْفُوحٍ[٢٥١٣] ، وَعَاضٍّ عَلَىٰ يَدَيْهِ ، وَصَافِقٍ بِكَفَّيْهِ ، وَمُرْتَفِقٍ بِخَدَّيْهِ[٢٥١٤] ، وَزَارٍ[٢٥١٥] عَلَىٰ رَأْيِهِ ، وَرَاجِعٍ عَنْ عَزْمِهِ ؛ وَقَدْ أَدْبَرَتِ ٱلْحِيلَةُ ، وَأَقْبَلَتِ ٱلْغِيلَةُ[٢٥١٦] ، «وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ»[٢٥١٧] . هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ! قَدْ فَاتَ مَا فَاتَ ، وَذَهَبَ مَا ذَهَبَ ، وَمَضَتِ الدُّنْيَا لِحَالِ بَالِهَا[٢٥١٨] ، «فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ[٢٥١٩]» .

١٩٢ — وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

تسمى القاصعة[٢٥٢٠]

وهي تتضمن ذم إبليس لعنه الله، على استكباره وتركه السجود لآدم عليه السلام، وأنه أول من أظهر العصبية (٢٥٢١) وتبع الحمية، وتحذير الناس من سلوك طريقته.

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَبِسَ الْعِزَّ وَالْكِبْرِيَاءَ، وَاخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ، وَجَعَلَهُمَا حِمًى (٢٥٢٢) وَحَرَماً عَلَى غَيْرِهِ، وَاصْطَفَاهُمَا (٢٥٢٣) لِجَلَالِهِ.

راس العصيان

وَجَعَلَ اللَّعْنَةَ عَلَى مَنْ نَازَعَهُ فِيهِمَا مِنْ عِبَادِهِ. ثُمَّ اخْتَبَرَ بِذٰلِكَ مَلَائِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ، لِيَمِيزَ الْمُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمْ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَهُوَ الْعَالِمُ بِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ، وَمَحْجُوبَاتِ الْغُيُوبِ: «إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ» اعْتَرَضَتْهُ الْحَمِيَّةُ فَافْتَخَرَ عَلَى آدَمَ بِخَلْقِهِ، وَتَعَصَّبَ عَلَيْهِ لِأَصْلِهِ. فَعَدُوُّ اللهِ إِمَامُ الْمُتَعَصِّبِينَ، وَسَلَفُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، الَّذِي وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصَبِيَّةِ، وَنَازَعَ اللهَ رِدَاءَ الْجَبْرِيَّةِ، وَادَّرَعَ لِبَاسَ التَّعَزُّزِ، وَخَلَعَ قِنَاعَ التَّذَلُّلِ.

أَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ صَغَّرَهُ اللهُ بِتَكَبُّرِهِ، وَوَضَعَهُ بِتَرَفُّعِهِ، فَجَعَلَهُ فِي الدُّنْيَا مَدْحُوراً، وَأَعَدَّ لَهُ فِي الْآخِرَةِ سَعِيراً؟!

ابتلاء الله لخلقه

وَلَوْ أَرَادَ ٱللّٰهُ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُورٍ يَخْطَفُ ٱلْأَبْصَارَ ضِيَاؤُهُ ، وَيَبْهَرُ ٱلْعُقُولَ رُوَاؤُهُ[٢٥٢٤] ، وَطِيبٍ يَأْخُذُ ٱلْأَنْفَاسَ عَرْفُهُ[٢٥٢٥] ، لَفَعَلَ. وَلَوْ فَعَلَ لَظَلَّتْ لَهُ ٱلْأَعْنَاقُ خَاضِعَةً ، وَلَخَفَّتِ ٱلْبَلْوَىٰ فِيهِ عَلَىٰ ٱلْمَلَائِكَةِ. وَلٰكِنَّ ٱللّٰهَ سُبْحَانَهُ يَبْتَلِي خَلْقَهُ بِبَعْضِ مَا يَجْهَلُونَ أَصْلَهُ ، تَمْيِيزاً بِالِاخْتِبَارِ لَهُمْ ، وَنَفْياً لِلِاسْتِكْبَارِ عَنْهُمْ ، وَإِبْعَاداً لِلْخُيَلَاءِ مِنْهُمْ .

طلب العبرة

فَٱعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ ٱللّٰهِ بِإِبْلِيسَ إِذْ أَحْبَطَ[٢٥٢٦] عَمَلَهُ الطَّوِيلَ ، وَجَهْدَهُ ٱلْجَهِيدَ ، وَكَانَ قَدْ عَبَدَ ٱللّٰهَ سِتَّةَ آلَافِ سَنَةٍ ، لَا يُدْرَىٰ أَمِنْ سِنِي الدُّنْيَا أَمْ مِنْ سِنِي ٱلْآخِرَةِ ، عَنْ كِبْرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ . فَمَنْ ذَا بَعْدَ إِبْلِيسَ يَسْلَمُ عَلَىٰ ٱللّٰهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ ؟ كَلَّا ، مَا كَانَ ٱللّٰهُ سُبْحَانَهُ لِيُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ بَشَراً بِأَمْرٍ أَخْرَجَ بِهِ مِنْهَا مَلَكاً . إِنَّ حُكْمَهُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ وَأَهْلِ ٱلْأَرْضِ لَوَاحِدٌ. وَمَا بَيْنَ ٱللّٰهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَةٌ[٢٥٢٧] فِي إِبَاحَةِ حِمًى حَرَّمَهُ عَلَىٰ ٱلْعَالَمِينَ .

بيان: «لايدرى» على صيغة المجهول، و في بعض النسخ على المتكلم المعلوم؛ فعلى الأوّل لايدلّ على عدم علمه ــ عليه السلام ــ و على الثاني أيضا المراد به غيره و أدخل نفسه تغليباً، والابهام لمصلحة كعدم تحاشي السامعين من طول المدّة أوغيره.

قوله ــ عليه السلام ــ «اخرج به منها ملكا» ظاهره أنّ ابليس كان من الملائكة، و يمكن الجواب بأنّ إطلاق الملك عليه لكونه من الملائكة بالولآء. و قال

بعض شراح النهج: «يسلم على الله» أي يرجع اليه سالمامن طرده و لعنه، تقول: «سلم عليّ هذا الشيء» إذا رجع إليك سالما ولم يلحقه تلف، و الباء للمصاحبة كما في قوله «بأمر» و أمّا الباء في «به» فيحتمل المصاحبة والسببيّة و قدمرّ تمام الخطبة و شرحها.[٨٢٠]

التحذير من الشيطان

فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللهِ عَدُوَّ اللهِ أَنْ يُعْدِيَكُمْ بِدَائِهِ[٢٥٢٨]، وَأَنْ يَسْتَفِزَّكُمْ[٢٥٢٩] بِنِدَائِهِ، وَأَنْ يُجْلِبَ عَلَيْكُمْ بِخَيْلِهِ وَرَجِلِهِ[٢٥٣٠]. فَلَعَمْرِي لَقَدْ فَوَّقَ[٢٥٣١] لَكُمْ سَهْمَ الْوَعِيدِ، وَأَغْرَقَ[٢٥٣٢] إِلَيْكُمْ بِالنَّزْعِ[٢٥٣٣] الشَّدِيدِ، وَرَمَاكُمْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ، فَقَالَ: «رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ»، قَذْفاً بِغَيْبٍ بَعِيدٍ، وَرَجْماً بِظَنٍّ غَيْرِ مُصِيبٍ، صَدَّقَهُ بِهِ أَبْنَاءُ الْحَمِيَّةِ، وَإِخْوَانُ الْعَصَبِيَّةِ، وَفُرْسَانُ الْكِبْرِ وَالْجَاهِلِيَّةِ. حَتَّىٰ إِذَا انْقَادَتْ لَهُ الْجَامِحَةُ[٢٥٣٤] مِنْكُمْ، وَاسْتَحْكَمَتِ الطَّمَاعِيَةُ[٢٥٣٥] مِنْهُ فِيكُمْ، فَنَجَمَتِ[٢٥٣٦] الْحَالُ مِنَ السِّرِّ الْخَفِيِّ إِلَى الْأَمْرِ الْجَلِيِّ، اسْتَفْحَلَ سُلْطَانُهُ عَلَيْكُمْ، وَدَلَفَ[٢٥٣٧] بِجُنُودِهِ نَحْوَكُمْ، فَأَقْحَمُوكُمْ[٢٥٣٨] وَلَجَاتِ[٢٥٣٩] الذُّلِّ، وَأَحَلُّوكُمْ وَرَطَاتِ الْقَتْلِ، وَأَوْطَؤُوكُمْ[٢٥٤٠] إِثْخَانَ[٢٥٤١] الْجِرَاحَةِ، طَعْناً فِي عُيُونِكُمْ، وَحَزّاً فِي

٨٢٠- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٦٣، كتاب السماء والعالم، ص ٢١٤.

حُلُوقِكُمْ ، وَدَقًّا لِمَنَاخِرِكُمْ ، وَقَصْداً لِمَقَاتِلِكُمْ ، وَسَوْقاً بِخَزَائِمِ[٢٠٤٢] ٱلْقَهْرِ إِلَىٰ النَّارِ ٱلْمُعَدَّةِ لَكُمْ. فَأَصْبَحَ أَعْظَمَ فِي دِينِكُمْ حَرْجاً ، وَأَوْرَى[٢٠٤٣] فِي دُنْيَاكُمْ قَدْحاً ، مِنَ الَّذِينَ أَصْبَحْتُمْ لَهُمْ مُنَاصِبِينَ[٢٠٤٤] ، وَعَلَيْهِمْ مُتَأَلِّبِينَ[٢٠٤٥] . فَٱجْعَلُوا عَلَيْهِ حَدَّكُمْ[٢٠٤٦] ، وَلَهُ جَدَّكُمْ[٢٠٤٧] ، فَلَعَمْرُ ٱللهِ لَقَدْ فَخَرَ عَلَىٰ أَصْلِكُمْ ، وَوَقَعَ فِي حَسَبِكُمْ ، وَدَفَعَ فِي نَسَبِكُمْ ، وَأَجْلَبَ بِخَيْلِهِ عَلَيْكُمْ ، وَقَصَدَ بِرَجِلِهِ سَبِيلَكُمْ ، يَقْتَنِصُونَكُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ ، وَيَضْرِبُونَ مِنْكُمْ كُلَّ بَنَانٍ[٢٠٤٨] . لَا تَمْتَنِعُونَ بِحِيلَةٍ ، وَلَا تَدْفَعُونَ بِعَزِيمَةٍ ، فِي حَوْمَةِ ذُلٍّ[٢٠٤٩] ، وَحَلْقَةِ ضِيقٍ ، وَعَرْصَةِ مَوْتٍ ، وَجَوْلَةِ بَلَاءٍ . فَأَطْفِئُوا مَا كَمَنَ فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ نِيرَانِ ٱلْعَصَبِيَّةِ وَأَحْقَادِ ٱلْجَاهِلِيَّةِ ، فَإِنَّمَا تِلْكَ ٱلْحَمِيَّةُ تَكُونُ فِي ٱلْمُسْلِمِ مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ وَنَخَوَاتِهِ[٢٠٥٠] ، وَنَزَغَاتِهِ[٢٠٥١] وَنَفَثَاتِهِ[٢٠٥٢] . وَٱعْتَمِدُوا وَضْعَ التَّذَلُّلِ عَلَىٰ رُؤُوسِكُمْ ، وَإِلْقَاءَ التَّعَزُّزِ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ ، وَخَلْعَ التَّكَبُّرِ مِنْ أَعْنَاقِكُمْ ؛ وَٱتَّخِذُوا التَّوَاضُعَ مَسْلَحَةً[٢٠٥٣] بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّكُمْ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ ؛ فَإِنَّ لَهُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ جُنُوداً وَأَعْوَاناً ، وَرَجِلاً وَفُرْسَاناً ، وَلَا تَكُونُوا كَٱلْمُتَكَبِّرِ عَلَىٰ ٱبْنِ أُمِّهِ مِنْ غَيْرِ مَا فَضْلٍ جَعَلَهُ ٱللهُ فِيهِ سِوَىٰ مَا أَلْحَقَتِ ٱلْعَظَمَةُ بِنَفْسِهِ مِنْ عَدَاوَةِ ٱلْحَسَدِ ، وَقَدَحَتِ ٱلْحَمِيَّةُ فِي قَلْبِهِ مِنْ نَارِ ٱلْغَضَبِ ، وَنَفَخَ الشَّيْطَانُ فِي أَنْفِهِ مِنْ رِيحِ ٱلْكِبْرِ الَّذِي أَعْقَبَهُ

ٱللّٰهُ بِهِ ٱلنَّدَامَةَ ، وَأَلْزَمَهُ آثَامَ ٱلْقَاتِلِينَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ .

التحذير من الكبر

أَلَا وَقَدْ أَمْعَنْتُمْ(٢٥٥٤) فِي ٱلْبَغْيِ ، وَأَفْسَدْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ، مُصَارَحَةً(٢٥٥٥) لِلّٰهِ بِٱلْمُنَاصَبَةِ ، وَمُبَارَزَةً لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْمُحَارَبَةِ . فَٱللّٰهَ ٱللّٰهَ فِي كِبْرِ ٱلْحَمِيَّةِ وَفَخْرِ ٱلْجَاهِلِيَّةِ ! فَإِنَّهُ مَلَاقِحُ(٢٥٥٦) ٱلشَّنَآنِ(٢٥٥٧) ، وَمَنَافِخُ ٱلشَّيْطَانِ ، ٱلَّتِي خَدَعَ بِهَا ٱلْأُمَمَ ٱلْمَاضِيَةَ ، وَٱلْقُرُونَ ٱلْخَالِيَةَ . حَتَّىٰ أَعْنَقُوا(٢٥٥٨) فِي حَنَادِسِ(٢٥٥٩) جَهَالَتِهِ ، وَمَهَاوِي(٢٥٦٠) ضَلَالَتِهِ ، ذُلُلاً(٢٥٦١) عَنْ سِيَاقِهِ ، سُلُساً(٢٥٦٢) فِي قِيَادِهِ . أَمْراً تَشَابَهَتِ ٱلْقُلُوبُ فِيهِ ، وَتَتَابَعَتِ ٱلْقُرُونُ عَلَيْهِ ، وَكِبْراً تَضَايَقَتِ ٱلصُّدُورُ بِهِ .

التحذير من طاعة الكبراء

أَلَا فَٱلْحَذَرَ ٱلْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكُبَرَائِكُمْ ! ٱلَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ ، وَتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ ، وَأَلْقَوُا ٱلْهَجِينَةَ(٢٥٦٣) عَلَىٰ رَبِّهِمْ ، وَجَاحَدُوا ٱللّٰهَ عَلَىٰ مَا صَنَعَ بِهِمْ ، مُكَابَرَةً لِقَضَائِهِ ، وَمُغَالَبَةً لِآلَائِهِ(٢٥٦٤) . فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أَسَاسِ ٱلْعَصَبِيَّةِ ، وَدَعَائِمُ أَرْكَانِ ٱلْفِتْنَةِ ، وَسُيُوفُ ٱعْتِزَاءِ(٢٥٦٥) ٱلْجَاهِلِيَّةِ . فَٱتَّقُوا ٱللّٰهَ وَلَا تَكُونُوا لِنِعَمِهِ عَلَيْكُمْ أَضْدَاداً ، وَلَا لِفَضْلِهِ عِنْدَكُمْ حُسَّاداً . وَلَا تُطِيعُوا ٱلْأَدْعِيَاءَ(٢٥٦٦) ٱلَّذِينَ شَرِبْتُمْ

بِصَفْوِكُمْ كَدَرَهُمْ(٢٦٦٧)، وَخَلَطْتُمْ بِصِحَّتِكُمْ مَرَضَهُمْ، وَأَدْخَلْتُمْ فِي حَقِّكُمْ بَاطِلَهُمْ، وَهُمْ أَسَاسُ(٢٥٦٨) الْفُسُوقِ، وَأَحْلَاسُ الْعُقُوقِ(٢٥٦٩) اتَّخَذَهُمْ إِبْلِيسُ مَطَايَا ضَلَالٍ، وَجُنْداً بِهِمْ يَصُولُ عَلَى النَّاسِ، وَتَرَاجِمَةً يَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، اسْتِرَاقاً لِعُقُولِكُمْ وَدُخُولاً فِي عُيُونِكُمْ، وَنَفْثاً فِي أَسْمَاعِكُمْ. فَجَعَلَكُمْ مَرْمَى نَبْلِهِ(٢٦٧٠)، وَمَوْطِئَ قَدَمِهِ، وَمَأْخَذَ يَدِهِ.

العبرة بالماضين

فَاعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ الْأُمَمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ بَأْسِ اللهِ وَصَوْلَاتِهِ، وَوَقَائِعِهِ وَمَثُلَاتِهِ(٢٥٧١)، وَاتَّعِظُوا بِمَثَاوِي خُدُودِهِمْ(٢٥٧٢)، وَمَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ(٢٥٧٣)، وَاسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ لَوَاقِحِ الْكِبْرِ(٢٥٧٤)، كَمَا تَسْتَعِيذُونَهُ مِنْ طَوَارِقِ الدَّهْرِ. فَلَوْ رَخَّصَ اللهُ فِي الْكِبْرِ لِأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ لَرَخَّصَ فِيهِ لِخَاصَّةِ أَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ؛ وَلٰكِنَّهُ سُبْحَانَهُ كَرَّهَ إِلَيْهِمُ التَّكَابُرَ، وَرَضِيَ لَهُمُ التَّوَاضُعَ، فَأَلْصَقُوا بِالْأَرْضِ خُدُودَهُمْ، وَعَفَّرُوا فِي التُّرَابِ وُجُوهَهُمْ. وَخَفَضُوا أَجْنِحَتَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَكَانُوا قَوْماً مُسْتَضْعَفِينَ. قَدِ اخْتَبَرَهُمُ اللهُ بِالْمَخْمَصَةِ(٢٥٧٥)، وَابْتَلَاهُمْ بِالْمَجْهَدَةِ(٢٥٧٦)، وَامْتَحَنَهُمْ بِالْمَخَاوِفِ، وَمَخَضَهُمْ(٢٠٧٧) بِالْمَكَارِهِ. فَلَا تَعْتَبِرُوا الرِّضَى وَالسُّخْطَ بِالْمَالِ وَالْوَلَدِ جَهْلاً بِمَوَاقِعِ الْفِتْنَةِ، وَالِاخْتِبَارِ فِي مَوْضِعِ

ٱلْغِنَىٰ وَٱلٱقْتِدَارِ ، فَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : « أَيَحْسَبُونَ أَنَّ مَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَاتِ؟ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ » فَإِنَّ ٱللَّهَ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ بِأَوْلِيَائِهِ ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ فِي أَعْيُنِهِمْ .

تواضع الانبياء

وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَىٰ بْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ ـ عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ ـ عَلَىٰ فِرْعَوْنَ ، وَعَلَيْهِمَا مَدَارِعُ الصُّوفِ ، وَبِأَيْدِيهِمَا ٱلْعِصِيُّ ، فَشَرَطَا لَهُ ـ إِنْ أَسْلَمَ ـ بَقَاءَ مُلْكِهِ ، وَدَوَامَ عِزِّهِ ؛ فَقَالَ : « أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ هٰذَيْنِ يَشْرِطَانِ لِي دَوَامَ ٱلْعِزِّ ، وَبَقَاءَ ٱلْمُلْكِ ؛ وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ ٱلْفَقْرِ وَالذُّلِّ ، فَهَلَّا أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا اساوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ » ؟ إِعْظَاماً لِلذَّهَبِ وَجَمْعِهِ ، وَٱحْتِقَاراً لِلصُّوفِ وَلُبْسِهِ ! وَلَوْ أَرَادَ ٱللَّهُ سُبْحَانَهُ لِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ ٱلذِّهْبَانِ(٢٥٧٨) ، وَمَعَادِنَ ٱلْعِقْيَانِ(٢٥٧٩) ، وَمَغَارِسَ ٱلْجِنَانِ ، وَأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طُيُورَ السَّمَاءِ وَوُحُوشَ ٱلْأَرَضِينَ لَفَعَلَ ، وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ ٱلْبَلَاءُ(٢٥٨٠) ، وَبَطَلَ ٱلْجَزَاءُ ، وَٱضْمَحَلَّتِ ٱلْأَنْبَاءُ ، وَلَمَا وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ أُجُورُ ٱلْمُبْتَلِينَ . وَلَا ٱسْتَحَقَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ ٱلْمُحْسِنِينَ . وَلَا لَزِمَتِ ٱلْأَسْمَاءُ مَعَانِيَهَا . وَلٰكِنَّ ٱللَّهَ

سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولِي قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ . وَضَعَفَةً فِيمَا تَرَى ٱلْأَعْيُنُ مِنْ حَالاَتِهِمْ ، مَعَ قَنَاعَةٍ تَمْلأُ ٱلْقُلُوبَ وَٱلْعُيُونَ غِنًى . وَخَصَاصَةٍ[٢٥٨١] تَمْلأُ ٱلْأَبْصَارَ وَٱلْأَسْمَاعَ أَذًى .

وَلَوْ كَانَتِ ٱلْأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لَا تُرَامُ ، وَعِزَّةٍ لَا تُضَامُ ، وَمُلْكٍ تُمَدُّ نَحْوَهُ أَعْنَاقُ الرِّجَالِ ، وَتُشَدُّ إِلَيْهِ عُقَدُ ٱلرِّحَالِ ، لَكَانَ ذٰلِكَ أَهْوَنَ عَلَى ٱلْخَلْقِ فِي ٱلاعْتِبَارِ ، وَأَبْعَدَ لَهُمْ فِي ٱلِاسْتِكْبَارِ ، وَلَآمَنُوا عَنْ رَهْبَةٍ قَاهِرَةٍ لَهُمْ ، أَوْ رَغْبَةٍ مَائِلَةٍ بِهِمْ ، فَكَانَتِ النِّيَّاتُ مُشْتَرَكَةً ، وَٱلْحَسَنَاتُ مُقْتَسَمَةً. وَلٰكِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ ٱلِاتِّبَاعُ لِرُسُلِهِ ، وَٱلتَّصْدِيقُ بِكُتُبِهِ ، وَٱلْخُشُوعُ لِوَجْهِهِ ، وَٱلِاسْتِكَانَةُ لِأَمْرِهِ ، وَٱلِاسْتِسْلَامُ لِطَاعَتِهِ ، أُمُوراً لَهُ خَاصَّةً ، لَا تَشُوبُهَا مِنْ غَيْرِهَا شَائِبَةٌ. وَكُلَّمَا كَانَتِ ٱلْبَلْوَىٰ وَٱلِاخْتِبَارُ أَعْظَمَ كَانَتِ ٱلْمَثُوبَةُ وَٱلْجَزَاءُ أَجْزَلَ .

الكعبة المقدسة

أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ ٱللهَ ، سُبْحَانَهُ ، ٱخْتَبَرَ ٱلْأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ صَلَوَاتُ ٱللهِ عَلَيْهِ ، إِلَىٰ ٱلآخِرِينَ مِنْ هٰذَا ٱلْعَالَمِ ؛ بِأَحْجَارٍ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ ، وَلَا تُبْصِرُ وَلَا تَسْمَعُ ، فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ ٱلْحَرَامَ «ٱلَّذِي جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِيَاماً» . ثُمَّ

وَضَعَهُ بِأَوْعَرِ بِقَاعِ ٱلْأَرْضِ حَجَراً، وَأَقَلِّ نَتَائِقِ[٢٥٨٢] ٱلدُّنْيَا مَدَراً[٢٥٨٣]، وَأَضْيَقِ بُطُونِ ٱلْأَوْدِيَةِ قُطْراً. بَيْنَ جِبَالٍ خَشِنَةٍ، وَرِمَالٍ دَمِثَةٍ[٢٥٨٤]، وَعُيُونٍ وَشِلَةٍ[٢٥٨٥]، وَقُرًى مُنْقَطِعَةٍ؛ لَا يَزْكُو بِهَا خُفٌّ، وَلَا حَافِرٌ وَلَا ظِلْفٌ[٢٥٨٦]. ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَوَلَدَهُ أَنْ يَثْنُوا أَعْطَافَهُمْ[٢٥٨٧] نَحْوَهُ، فَصَارَ مَثَابَةً لِمُنْتَجَعِ[٢٥٨٨] أَسْفَارِهِمْ، وَغَايَةً لِمُلْقَى[٢٥٨٩] رِحَالِهِمْ. تَهْوِي[٢٥٩٠] إِلَيْهِ ثِمَارُ ٱلْأَفْئِدَةِ مِنْ مَفَاوِزِ[٢٥٩١] قِفَارٍ سَحِيقَةٍ[٢٥٩٢] وَمَهَاوِي[٢٥٩٣] فِجَاجٍ[٢٥٩٤] عَمِيقَةٍ، وَجَزَائِرِ بِحَارٍ مُنْقَطِعَةٍ، حَتَّى يَهُزُّوا مَنَاكِبَهُمْ[٢٥٩٥] ذُلُلًا يُهَلِّلُونَ لِلّٰهِ حَوْلَهُ، وَيَرْمُلُونَ[٢٥٩٦] عَلَى أَقْدَامِهِمْ شُعْثاً[٢٥٩٧] غُبْراً[٢٥٩٨] لَهُ. قَدْ نَبَذُوا السَّرَابِيلَ[٢٥٩٩] وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَشَوَّهُوا بِإِعْفَاءِ ٱلشُّعُورِ[٢٦٠٠] مَحَاسِنَ خَلْقِهِمْ، ٱبْتِلَاءً عَظِيماً، وَٱمْتِحَاناً شَدِيداً، وَٱخْتِبَاراً مُبِيناً، وَتَمْحِيصاً بَلِيغاً، جَعَلَهُ ٱللّٰهُ سَبَباً لِرَحْمَتِهِ، وَوُصْلَةً إِلَى جَنَّتِهِ. وَلَوْ أَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَضَعَ بَيْتَهُ ٱلْحَرَامَ، وَمَشَاعِرَهُ ٱلْعِظَامَ، بَيْنَ جَنَّاتٍ وَأَنْهَارٍ، وَسَهْلٍ وَقَرَارٍ[٢٦٠١]، جَمِّ[٢٦٠٢] ٱلْأَشْجَارِ دَانِي ٱلثِّمَارِ، مُلْتَفِّ ٱلْبُنَى[٢٦٠٣]، مُتَّصِلَ ٱلْقُرَى، بَيْنَ بُرَّةٍ[٢٦٠٤] سَمْرَاءَ، وَرَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، وَأَرْيَافٍ[٢٦٠٥] مُحْدِقَةٍ، وَعِرَاصٍ[٢٦٠٦] مُغْدِقَةٍ[٢٦٠٧]، وَرِيَاضٍ نَاضِرَةٍ، وَطُرُقٍ عَامِرَةٍ، لَكَانَ قَدْ صَغُرَ قَدْرُ ٱلْجَزَاءِ عَلَى حَسَبِ ضَعْفِ ٱلْبَلَاءِ. وَلَوْ كَانَ ٱلْإِسَاسُ[٢٦٠٨] ٱلْمَحْمُولُ عَلَيْهَا، وَٱلْأَحْجَارُ

الْمَرْفُوعُ بِهَا ، بَيْنَ زُمُرُّدَةٍ خَضْرَاءَ ، وَيَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ ، وَنُورٍ وَضِيَاءٍ ، لَخَفَّفَ ذٰلِكَ مُصَارَعَةَ الشَّكِّ فِي الصُّدُورِ ، وَلَوَضَعَ مُجَاهَدَةَ إِبْلِيسَ عَنِ الْقُلُوبِ ، وَلَنَفَى مُعْتَلَجَ[٢٦٠٩] الرَّيْبِ مِنَ النَّاسِ ، وَلٰكِنَّ اللهَ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ ، وَيَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمَجَاهِدِ ، وَيَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ الْمَكَارِهِ ، إِخْرَاجاً لِلتَّكَبُّرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ ، وَإِسْكَاناً لِلتَّذَلُّلِ فِي نُفُوسِهِمْ ، وَلِيَجْعَلَ ذٰلِكَ أَبْوَاباً فُتُحاً[٢٦١٠] إِلَىٰ فَضْلِهِ ، وَأَسْبَاباً ذُلُلاً لِعَفْوِهِ .

عود الى التحذير

فَاللهَ اللهَ فِي عَاجِلِ الْبَغْيِ ، وَآجِلِ وَخَامَةِ الظُّلْمِ ، وَسُوءِ عَاقِبَةِ الْكِبْرِ ، فَإِنَّهَا مَصْيَدَةُ إِبْلِيسَ الْعُظْمَىٰ ، وَمَكِيدَتُهُ الْكُبْرَىٰ ، الَّتِي تُسَاوِرُ[٢٦١١] قُلُوبَ الرِّجَالِ مُسَاوَرَةَ السُّمُومِ الْقَاتِلَةِ ، فَمَا تُكْدِي[٢٦١٢] أَبَداً ، وَلَا تُشْوِي[٢٦١٣] أَحَداً ، لَا عَالِماً لِعِلْمِهِ ، وَلَا مُقِلّاً فِي طِمْرِهِ[٢٦١٤] . وَعَنْ ذٰلِكَ مَا حَرَسَ اللهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلَوَاتِ وَالزَّكَوَاتِ ، وَمُجَاهَدَةِ الصِّيَامِ فِي الْأَيَّامِ الْمَفْرُوضَاتِ ، تَسْكِيناً لِأَطْرَافِهِمْ[٢٦١٥] ، وَتَخْشِيعاً لِأَبْصَارِهِمْ ، وَتَذْلِيلاً لِنُفُوسِهِمْ ، وَتَخْفِيضاً لِقُلُوبِهِمْ ، وَإِذْهَاباً لِلْخُيَلَاءِ عَنْهُمْ ، وَلِمَا فِي ذٰلِكَ مِنْ تَعْفِيرِ عِتَاقِ الْوُجُوهِ[٢٦١٦] بِالتُّرَابِ تَوَاضُعاً ، وَالْتِصَاقِ كَرَائِمِ الْجَوَارِحِ بِالْأَرْضِ تَصَاغُراً ، وَلُحُوقِ الْبُطُونِ

بِالْمُتُونِ(٢٦١٧) مِنَ الصِّيَامِ تَذَلُّلاً؛ مَعَ مَا فِي الزَّكَاةِ مِنْ صَرْفِ ثَمَرَاتِ الْأَرْضِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ إِلَى أَهْلِ الْمَسْكَنَةِ وَالْفَقْرِ.

فضائل الفرائض

انْظُرُوا إِلَىٰ مَا فِي هٰذِهِ الْأَفْعَالِ مِنْ قَمْعِ(٢٦١٨) نَوَاجِمِ(٢٦١٩) الْفَخْرِ، وَقَدْعِ(٢٦٢٠) طَوَالِعِ الْكِبْرِ! وَلَقَدْ نَظَرْتُ فَمَا وَجَدْتُ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ يَتَعَصَّبُ لِشَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ إِلَّا عَنْ عِلَّةٍ تَحْتَمِلُ تَمْوِيهَ الْجُهَلَاءِ، أَوْ حُجَّةٍ تَلِيطُ(٢٦٢١) بِعُقُولِ السُّفَهَاءِ غَيْرَكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ تَتَعَصَّبُونَ لِأَمْرٍ مَا يُعْرَفُ لَهُ سَبَبٌ وَلَا عِلَّةٌ. أَمَّا إِبْلِيسُ فَتَعَصَّبَ عَلَىٰ آدَمَ لِأَصْلِهِ، وَطَعَنَ عَلَيْهِ فِي خِلْقَتِهِ، فَقَالَ: أَنَا نَارِيٌّ وَأَنْتَ طِينِيٌّ.

عصبية المال

وَأَمَّا الْأَغْنِيَاءُ مِنْ مُتْرَفَةِ(٢٦٢٢) الْأُمَمِ، فَتَعَصَّبُوا لِآثَارِ مَوَاقِعِ النِّعَمِ(٢٦٢٣)، فَقَالُوا: «نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ». فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُكُمْ لِمَكَارِمِ الْخِصَالِ، وَمَحَامِدِ الْأَفْعَالِ، وَمَحَاسِنِ الْأُمُورِ، الَّتِي تَفَاضَلَتْ فِيهَا الْمُجَدَاءُ وَالنُّجَدَاءُ مِنْ بُيُوتَاتِ الْعَرَبِ وَيَعَاسِيبِ(٢٦٢٤) الْقَبَائِلِ؛ بِالْأَخْلَاقِ الرَّغِيبَةِ(٢٦٢٥)، وَالْأَحْلَامِ(٢٦٢٦) الْعَظِيمَةِ، وَالْأَخْطَارِ الْجَلِيلَةِ، وَالْآثَارِ الْمَحْمُودَةِ. فَتَعَصَّبُوا لِخِلَالِ الْحَمْدِ مِنَ الْحِفْظِ لِلْجِوَارِ(٢٦٢٧)، وَالْوَفَاءِ بِالذِّمَامِ(٢٦٢٨)،

وَالطَّاعَةِ لِلْبِرِّ ، وَالْمَعْصِيَةِ لِلْكِبْرِ ، وَالْأَخْذِ بِالْفَضْلِ ، وَالْكَفِّ عَنِ الْبَغْيِ ، وَالْإِعْظَامِ لِلْقَتْلِ ، وَالْإِنْصَافِ لِلْخَلْقِ ، وَالْكَظْمِ لِلْغَيْظِ ، وَاجْتِنَابِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ .

بيان: «الأساورة» جمع للأسورة الّتي هي جمع السوار. و«الذهبان» بالكسر والضمّ، جمع «الذهب». و«العقيان» بالكسر، هو الذهب الخالص، وقيل: ما ينبت منه نباتاً. و«البلاء» الامتحان. و«اضمحلّ الأنباء» أي سقط الوعد والوعيد.

قال الثعلبيّ: قال العلماء بأخبار الماضين: لمّا كلم الله موسى و بعثه إلى مصر خرج ولا علم له بالطريق، و كان الله ـ تعالى ـ يهديه و يدلّه و ليس معه زاد ولا سلاح ولا حولة[821] ولا شيء غير عصاه و مدرعة صوف و قلنسوة من صوف و نعلين، يظلّ صائماً، و يبيت قائماً، و يستعين بالصيد و بقول الأرض حتّى ورد مصر، و لمّا قرب مصر أوحى الله ـ سبحانه ـ إلى أخيه هارون يبشّره بقدوم موسى و يخبره أنّه قد جعله لموسى وزيراً و رسولاً معه إلى فرعون، و أمره أن يمرّ يوم السبت لغرّة ذي الحجّة متنكّراً إلى شاطئ النيل ليلتقي في تلك الساعة بموسى.

قال: فخرج هارون و أقبل موسى ـ عليه السلام ـ فالتقيا على شطّ النيل قبل طلوع الشمس، فاتّفق أنّه كان يوم ورود الأسد الماء، و كان لفرعون أسد تحرسه في غيضة محيطة بالمدينة من حولها، و كانت ترد الماء غبّاً، و كان فرعون إذذاك في مدينة حصينة عليها سبعون سوراً، في كلّ سور رساتيق و أنهار[822] و مزارع و أرض واسعة، في ربض كلّ سور[823] سبعون ألف مقاتل، و من وراء تلك المدينة غيضة[824] تولّى فرعون غرسها بنفسه و عمل فيها و سقاها بالنيل، ثمّ أسكنها الأسد فتسلت[825] و توالدت

٨٢١ـ في المصدر بعد ذلك: ولا صاحب له ولا شيء. اهـ . م.

٨٢٢ـ في المصدر: وكان بين كلّ سورين بساتين وأنهار. اهـ . م.

٨٢٣ـ «الربض» ماحول المدينة من بيوت ومساكن؛ سور المدينة. وفي المصدر: وأرض واسعة في ربض، لكلّ سور. اهـ .

٨٢٤ـ «الغيضة» مجتمع الشجر في مغيض الماء؛ الأجمة.

٨٢٥ـ في المصدر: فتناسلت. م.

حتّى كثرت، ثمّ اتّخذها جنداً من جنوده تحرسه، و جعل خلال تلك الغيضة طرقاً تفضي من يسلكها إلى أبواب من أبواب المدينة معلومة ليس لتلك الأبواب طريق غيرها، فمن أخطأ وقع في الغيضة فأكلته الأُسد[٨٢٦] و كانت الأُسود إذا وردت النيل ظلّت عليها يومها كلّها ثمّ تصدرمع اللّيل.

قال: فالتقى موسى و هارون يوم ورودها، فلمّا أبصرتها الأُسد مدّت أعناقها و رؤوسها إليها و شخصت أبصارها نحوهما، و قذف اللّه ــ تعالى ــ في قلوبها الرعب، فانطلقت نحوالغيضة منهزمة هاربة على وجوهها تطأ بعضها بعضاً حتّى اندسّت في الغيضة، و كان لها ساسة يسوسونها و ذادة يذودونها و يشلونها بالناس[٨٢٧] فلمّا أصابها ما أصابها خاف ساستها فرعون ولم يشعروا من أين أتوا، فانطلق موسى و هارون ــ عليهما السلام ــ في تلك المسبعة[٨٢٨] حتّى وصلا إلى باب المدينة الأعظم الّذي هو أقرب أبوابها إلى منزل فرعون، و كان منه يدخل و منه يخرج، و ذلك ليلة الاثنين بعد هلال ذي الحجّة بيوم؛ فأقاما عليه سبعة أيّام. فكلّمهما واحد من الحرّاس و زبرهما[٨٢٩] و قال لهما: هل تدريان لمن هذا الباب؟ فقال موسى ــ عليه السلام ــ: إنّ هذا الباب والأرض كلّها و ما فيها لربّ العالمين، و أهلها عبيدٌ له، فسمع ذلك الرجل قولاً لم يسمع مثله قط و لم يظنّ أنّ أحداً من الناس يفصح بمثله، فلمّا سمع ما سمع أسرع إلى كبرائه الّذين فوقه فقال لهم: سمعت اليوم قولاً و عاينت عجباً من رجلين هو أعظم عندي و أفظع و أشنع ممّا أصابنا في الأُسد، و ما كانا ليقدما على ما أقدما عليه إلّا بسحر عظيم، و أخبرهم القصّة فلايزال ذلك يتداول بينهم حتّى انتهى إلى فرعون.

و قال السدّيّ بإسناده: سار موسى ــ عليه السلام ــ بأهله نحو مصر حتّى أتاها ليلاً فتضيّف أمّه و هي لا تعرفه، و إنّما أتاهم في ليلة كانوا يأكلون فيها الطفيشل و نزل في جانب الدار، فجاء هارون فلمّا أبصر ضيفه سأل عنه أمّه، فأخبرته أنّه ضيفٌ

٨٢٦ــ في المصدر: فتأكله الأسود. م

٨٢٧ــ في المصدر: ويسلّطونها على الناس. م

٨٢٨ــ في المصدر: في تلك الغيضة. م

٨٢٩ــ «زبره عن الأمر» منعه ونهاه عنه، «زبر السائل» انتهره. وليست هذه الكلمة في المصدر.

فدعاه فأكل معه فلمّا أن قعد تحدّثا فسأله هارون فقال: من أنت؟

فقال: أنا موسى.

فقام كلّ واحد منهما إلى صاحبه فاعتنقه، فلمّا أن تعارفا قال له موسى: يا هارون! انطلق معي إلى فرعون، فإنّ الله ــ عزّ و جلّ ــ قد أرسلنا إليه.

فقال هارون: سمعاً و طاعة.

فقامت أمّهما فصاحت[٨٣٠] و قالت: أُنشدكما الله أن تذهبا[٨٣١] إلى فرعون فيقتلكما.

فأتيا و مضيا[٨٣٢] لأمر الله ــ سبحانه ــ فانطلقا إليه ليلاً فأتيا الباب والتمسا الدخول عليه ليلاً فقرعا الباب ففزع فرعون و فزع البوّاب، و قال فرعون: من هذا الّذي يضرب بأبي هذه الساعة؟!

فأشرف عليهما البوّاب فكلّمهما، فقال له موسى: أنا رسول ربّ العالمين.

فأتى[٨٣٣] فرعون فأخبره و قال: إنّ ههنا إنساناً مجنوناً يزعم أنّه رسول ربّ العالمين.

و قال محمّد بن إسحاق بن يسار: خرج موسى لمّا بعثه الله ــ سبحانه ــ حين قدم مصر على فرعون هو وأخوه هارون حتّى وقفا على باب فرعون يلتمسان الإذن عليه و هما يقولان: إنّا رسولا ربّ العالمين، فأذنوا بنا هذا الرجل[٨٣٤]، فمكثا سنتين يغدوان إلى بابه و يروحان لايعلم بهما و لايجترئ أحد على أن يخبره بشأنهما حتّى دخل عليه بطّال له يلعب عنده و يضحكه فقال له: أيّها الملك إنّ على بابك رجلاً[٨٣٥] يقول قولاً عجيباً يزعم أنّ له إلهاً غيرك.

٨٣٠ـ في المصدر: فصاحت وضجّت. اهـ. م

٨٣١ـ في المصدر: أن لا تذهبا. م

٨٣٢ـ في المصدر: فأبيا عليها ومضيا. م

٨٣٣ـ في المصدر: ففزع البوّاب وأتى. اهـ. م

٨٣٤ـ المصدر خال من هذه الجملة. م

٨٣٥ـ في المصدر: رجلين، وهكذا تثنّي جميع الضمائر الآتية. م

فقال: ببابي؟!!![٨٣٦] أدخلوه.

فدخل موسى و معه هارون ــ عليهما السلام ــ على فرعون.[٨٣٧]

قالوا: فلمّا أذن فرعون لموسى و هارون دخلا عليه فلمّا وقفا عنده دعا موسى بدعاء و هو: «لاإله إلّاالله الحليم الكريم لااله الّاالله العليّ العظيم سبحان الله ربّ السموات السبع و ربّ الأرضين السبع و ما فيهنّ و ما بينهنّ و ربّ العرش العظيم و سلام على المرسلين والحمدلله ربّ العالمين. اللّهمّ إنّي أدرؤك[٨٣٨] في نحره و أعوذبك من شرّه و أستعينك[٨٣٩] عليه فاكفنيه بما شئت».

قال: فتحوّل ما بقلب موسى من الخوف أمناً، و كذلك من دعا بهذا الدعاء و هو خائف آمن الله خوفه، و نفّس كربته، و هوّن عليه سكرات الموت.

ثمّ قال فرعون لموسى: من أنت؟

قال: أنا رسول ربّ العالمين.

فتأمّله فرعون فعرفه فقال له: «أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ»[٨٤٠] معناه: على ديننا هذا الّذي تعيبه[٨٤١].

فقال موسى: «فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ»[٨٤٢] المخطئين[٨٤٣] و لم أرد بذلك القتل؛ «فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً» ــ أي نبوة[٨٤٤] ــ «وَ

٨٣٦ــ المصدر خال من هذه الكلمة. م

٨٣٧ــ العرائس، ص ١١٤ــ١١٥. م

٨٣٨ــ في المصدر: أدره بك. م

٨٣٩ــ في المصدر: وأستعين بك. م

٨٤٠ــ الشعراء: ١٨ــ١٩.

٨٤١ــ أي معنى «ولبثت فينا من عمرك سنين» أنّك لبثت على ديننا الّذي تعيبه.

٨٤٢ــ الشعراء: ٢٠.

٨٤٣ــ في المصدر: أي من المخطئين. م

٨٤٤ــ المصدر خال عن قوله أي نبوة. م

جَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ»[٨٤٥]. ثمّ أقبل موسى ينكر عليه ما ذكر فقال: «وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ»[٨٤٦] أي اتّخذتهم عبيداً تنزع أبناءهم من أيديهم تسترقّ من شئت[٨٤٧] أي إنّما صيّرني إليك ذلك.

قال فرعون: «وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ»[٨٤٨].

قال فرعون لمن حوله: «أَلَا تَسْتَمِعُونَ؟»[٨٤٩] إنكاراً لما قال.

قال موسى: «رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ»[٨٥٠].

فقال فرعون: «إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ»[٨٥١] يعني ما هذا بكلام صحيح[٨٥٢] إذ يزعم أنّ لكم إلهاً غيري.

قال موسى: «رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ»[٨٥٣].

فقال فرعون لموسى: «لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ * قَالَ: أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ»[٨٥٤] تعرف به صدقي و كذبك، وحقّي و باطلك.

قال فرعون: «فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ»[٨٥٥] فاتحة فاها قدملأت ما بين سماطي فرعون[٨٥٦]، واضعة لحيها الأسفل في الأرض و الأعلى في سورالقصر حتّى رأى بعض من كان خارجاً من مدينة مصر رأسها، ثمّ توجّهت نحو فرعون ليأخذه فارفضّ[٨٥٧] عنها الناس و ذعر عنها فرعون، و وثب عن سريره و أحدث حتّى قام به بطنه[٨٥٨] في يومه ذلك أربعين مرّة! و كان فيما يزعمون لايسعل ولايصدع[٨٥٩] ولا يصيبه آفة ممّا يصيب الناس، و كان يقوم في

٨٤٥- الشعراء: ٢١.
٨٤٦- الشعراء: ٢٢.
٨٤٧- في المصدر بعد ذلك: وتقتل من شئت. م
٨٤٨- الشعراء: ٢٣-٢٤.
٨٤٩- الشعراء: ٢٥.
٨٥٠- الشعراء: ٢٦.
٨٥١- الشعراء: ٢٧.
٨٥٢- في المصدر: ما هذا بكلام رجل صحيح العقل. م
٨٥٣- الشعراء: ٢٨.
٨٥٤- الشعراء: ٢٩-٣٠.
٨٥٥- الشعراء: ٣١-٣٢.
٨٥٦- أي جانباه. وفي المصدر: قد ملأت مابين جانبي القصر.
٨٥٧- في المصدر: فانفضّ. م
٨٥٨- في المصدر: قام من بطنه. م
٨٥٩- في المصدر: لايسعل ولا يتمخّط ولا يتصدّع رأسه. م

أربعين يوماً مرّة، و كان أكثر ما يأكل الموز لكيلا يكون له ثفل[٨٦٠] فيحتاج إلى القيام، و كان هذه الأشياء ممّا زيّن له أن قال ما قال، لأنّه ليس له من الناس شبيه.

قالوا: فلمّا قصدته الحيّة صاح: يا موسى أُنشدك باللّه و حرمة الرضاع إلّا أخذتها و كففتها عنّي، وإنّي أُومن بك و أُرسل معك بني إسرائيل.

فأخذها موسى فعادت عصا كما كانت، ثمّ نزع يده من جيبه فأخرجها بيضاء مثل الثلج، لها شعاع كشعاع الشمس، فقال له فرعون: هذه يدك.

فلمّا قالها فرعون أدخلها موسى جيبه ثمّ أخرجها الثانية، لها نور ساطع في السماء تكلّ منها الأبصار، و قد أضاءت ما حولها، يدخل نورها في البيوت، و يرى من الكوى من وراء الحجب، فلم يستطع فرعون النظر إليها، ثمّ ردّها موسى إلى جيبه ثمّ أخرجها فإذا هي على لونها الأوّل.

قالوا: فهمّ فرعون بتصديقه، فقام إليه هامان و جلس بين يديه فقال له: بينا أنت إله تعبد إذ أنت تابع لعبد؟!

فقال فرعون لموسى: أمهلني اليوم إلى غد.

و أوحى اللّه ــ تعالى ــ إلى موسى أن قل لفرعون: إنّك إن آمنت باللّه وحده عمرتك في ملكك ورددت[٨٦١] شاباً طرياً.

فاستنظره فرعون. فلمّا كان من الغد دخل عليه هامان فأخبره فرعون بما وعده موسى من ربّه.

فقال له هامان: واللّه ما يعدل هذا عبادة هؤلاء لك يوماً واحداً، و نفخ في منخره، ثمّ قال له هامان: أنا أردّك شاباً، فأتاه بالوسمة فخضبه بها![٨٦٢]

فلمّا دخل عليه موسى فرآه على تلك الحالة هاله ذلك،

٨٦٠ــ في نسخة: ثقل.

٨٦١ــ في المصدر: ورددتك. م

٨٦٢ــ في المصدر: فأتاه بالوشم فخضبه به. م

فأوحى اللّه ـ تعالى ـ: لايهولنّك مارأيت فإنّه لم يلبث إلّا قليلاً حتّى يعود إلى الحالة الأولى.

و في بعض الروايات أنّ موسى و هارون لمّا انصرفا من عند فرعون أصابهما المطر في الطريق، فأتيا على عجوز من أقرباء أمّهما، و وجّه فرعون الطلّب في أثرهما، فلمّا دخل عليهما الليل ناما في دارها و جاءت الطلّب إلى الباب والعجوز منتبهة، فلمّا أحسّت بهم خافت عليهما فخرجت العصا من صير الباب والعجوز تنظر[٨٦٣] فقاتلتهم حتّى قتلت منهم سبعة أنفس، ثمّ عادت و دخلت الدار، فلمّا انتبه موسى و هارون أخبرتهما بقصّة الطلّب و نكاية العصا منهم[٨٦٤] فآمنت بهما و صدّقتهما.[٨٦٥]

توضيح: «الغيضة» موضع تنبت فيه الأشجار الكثيرة. و «ربض المدينة» بالتحريك، ما حولها. و «الاندساس» الاختفاء. و «أشليت الكلب على الصيد» أغريته. و «الطفيشل» ـ كسميدع ـ نوع من المرق. و «الارفضاض» التفرّق. و «الطلّب» بالتحريك، جمع طالب. و «الصير» بالكسر، شقّ الباب.

ثمّ قال الثعلبيّ: قالت العلماء بأخبار الأنبياء: إنّ موسى و هارون ـ عليهما السلام ـ وضع فرعون أمرهما و ما أتيابه من سلطان اللّه ـ سبحانه ـ على السحر و قال للملأ من حوله[٨٦٦]: «إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ»[٨٦٧] إلى[٨٦٨] قوله: «فَمَاذَا تَأْمُرُونَ»[٨٦٩] أقتلها؟[٨٧٠] فقال العبد الصالح خربيل[٨٧١] مؤمن آل فرعون:

٨٦٣ـ في المصدر: من جانب الباب والعجوز تنظر إليها. م

٨٦٤ـ في نسخة: ونكاية العصا فيهم.

٨٦٥ـ العرائس: ١١٦. م

٨٦٦ـ في نسخة: قال للملأ من قومه. وفي المصدر: قال للملأ حوله؛ وكلّها باطلٌ لأنّ ما في القرآن هو: «قالوا: إن هذان لساحران يريدان» يعني: قال الملأ. فالصحيح هنا هو: وقال الملأ حوله.

٨٦٧ـ طه: ٦٣.

٨٦٨ـ الظاهر هو أنّ «إلى» ههنا غلط لأنّ الآية الآتية أي «فَمَاذَا تَأْمُرُونَ» تكون في سورة الشعراء، و إن كانت ترتبط بالآية السابقة. فالصحيح هو أن يكون: وقوله.

٨٦٩ـ الشعراء: ٣٥.

٨٧٠ـ في المصدر: قالوا: أقتلها؟ م

٨٧١ـ في المصدر: حزقيل. م

«أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللّهُ وَ قَدْ جاءَكُمْ بِالْبَيِّناتِ مِنْ رَبِّكُمْ»[۸۷۲] إلى قوله: «فَمَنْ يَنْصُرُنا مِنْ بَأْسِ اللّهِ إِنْ جاءَنا»[۸۷۳] قال فرعون: «ما أُرِيكُمْ إِلاّ ما أَرى وَ ما أَهْدِيكُمْ إِلاّ سَبِيلَ الرَّشادِ»[۸۷۴]. و قال الملأ من قوم فرعون: «أَرْجِهْ وَ أَخاهُ وَ ابْعَثْ فِي الْمَدائِنِ حاشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحّارٍ عَلِيمٍ»[۸۷۵] و كانت لفرعون مدائن فيها السحرة عدّة للأمر إذا حز به[۸۷۶].

و قال ابن عبّاس: قال فرعون لمّا رأى من سلطان اللّه في اليد والعصا[۸۷۷]: إنّا لا نغالب موسى إلّا بمن هو مثله. فأخذ غلماناً من بني إسرائيل فبعث بهم إلى قرية يقال لها الغرماء[۸۷۸] يعلّمونهم السحر كما يعلّم الصبيان (الكتابة خ ل) في الكتّاب، فعلّموهم سحراً كثيراً. و واعد فرعون موسى موعداً فبعث فرعون إلى السحرة فجاء بهم و معهم معلّمهم، فقالوا له[۸۷۹]: ماذا صنعت؟ فقال: قد علّمتهم سحراً لا يطيقه سحرة أهل الأرض إلّا أن يكون أمر من السماء فإنّه لا طاقة لهم به. ثمّ بعث فرعون الشرطيّ في مملكته فلم يترك في سلطانه ساحراً إلّا أتى به[۸۸۰].

و اختلفوا في عدد السحرة[۸۸۱] الّذين جمعهم فرعون، فقال مقاتل: كانوا اثنين و سبعين ساحراً، اثنان منهم من القبط و هما رأسا القوم، و سبعون من بني إسرائيل؛ و قال الكلبيّ: كانوا سبعين ساحراً غير رئيسهم، و كان الّذي يعلّمهم ذلك رجلين مجوسيّين من أهل نينوى؛ و قال كعب: كانوا اثني عشر ألفاً؛ و قال السدّيّ: كانوا بضعاً و ثلاثين ألفاً؛ و قال عكرمة: سبعين ألفاً؛ و قال محمّدبن المنكدر: ثمانين ألفاً.

۸۷۲- الغافر: ۲۸.

۸۷۳ و ۸۷۴- الغافر: ۲۹.

۸۷۵- الشعراء: ۳۶-۳۷.

۸۷۶- «حزبه» أمر، أي أصابه. وفي المصدر: معدّة للأمر إذا أحزنه. م

۸۷۷- في المصدر بعد ذلك: ما رأى. م

۸۷۸- في المصدر: الفرقاء. م

۸۷۹- في المصدر: فجيء بهم ومعهم معلّمهم فقال له. م

۸۸۰- في المصدر: فلم يتركوا في مملكته ساحراً إلّا أتوا به. م

۸۸۱- في المصدر: عدّة السحرة. م

فاختار منهم سبعة آلاف ليس منهم إلّا ساحر ماهر، ثمّ اختار منهم سبعمائة، ثمّ اختار من أولئك السبعمائة سبعين من كبرائهم و علمائهم؛ قال مقاتل: و كان رئيس السحرة أخوين بأقصى مدائن مصر. فلمّا جاءهما رسول فرعون قالا لأمّهما: دلّينا على قبر أبينا. فدلّتها عليه، فأتياه فصاحا باسمه فأجابهما، فقالا: إنّ الملك وجّه إلينا أن نقدّم عليه لأنّه أتاه رجلان ليس معهما رجال ولا سلاح و لهما عزّ و منعة و قد ضاق الملك ذرعاً[٨٨٢] من عزّهما، و معهما عصا إذا ألقياها لا يقوم لهما شيء، تبلع الحديد والخشب والحجر، فأجابهما أبوهما: انظرا إذاهما ناما فإن قدرتما أن تسلاّ العصا فسلاّها، فإنّ الساحر لايعمل سحره و هو نائم، و إن عملت العصا و هما نائمان فذلك أمر ربّ العالمين، ولا طاقة لكما بها ولا للملك ولا لجميع أهل الدنيا، فأتياهما في خفية و هما نائمان ليأخذا العصا فقصدتها العصا.

قالوا: ثمّ واعدوه يوم الزينة و كان يوم سوق لهم، عن سعيدبن جبير؛ و قال ابن عبّاس: كان يوم عاشوراء، و وافق ذلك يوم السبت في أوّل يوم من السنة و هو يوم النيروز، و كان يوم عيد لهم يجتمع إليه الناس من الآفاق؛ قال عبدالرحمن بن زيدبن أسلم: و كان اجتماعهم للميقات بالإسكندريّة، و يقال: بلغ ذنب الحيّة من وراء البحيرة[٨٨٣] يومئذ.

قالوا: ثمّ قال السحرة لفرعون: «أَئِنَّ لَنا لَأَجراً إِنْ كُنّا نَحنُ الْغالِبِينَ»[٨٨٤].

قال فرعون: «وَإِنَّكُمْ إذاً لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ»[٨٨٥] عندي في المنزلة.

فلمّا اجتمع الناس جاء موسى و هو متكئ على عصاه و معه أخوه هارون حتّى أتى[٨٨٦] الجمع و فرعون في مجلسه مع أشراف قومه، فقال موسى ـ عليه السلام ـ للسحرة حين جاءهم: «وَيْلَكُمْ لاتَفْتَرُوا عَلَى اللّهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذابٍ وَقَدْ

٨٨٢ـ أي ضاق صدره وضعفت طاقته.

٨٨٣ـ في المصدر: بلغ ذنب الحيّة الجزيرة من وراء البحرة. م

٨٨٤ـ الشعراء: ٤١.

٨٨٥ـ الشعراء: ٤٢.

٨٨٦ـ في المصدر: حتّى أتيا المجمع. م

خَابَ مَنِ افْتَرَى» [٨٨٧].

فتناجى السحرة بينهم و قال بعضهم لبعض: ما هذا بقول ساحر، فذلك قوله ـ تعالى ـ: «فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَ أَسَرُّوا النَّجْوَى» [٨٨٨].

فقالت السحرة: لنأتينّك اليوم بسحر لم تر مثله، و قالوا: «بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ» [٨٨٩]،و كانوا قد جاؤوا بالعصيّ والحبال تحملها ستّون بعيراً [٨٩٠]، فلمّا أبوا إلّا الإصرار على السحر قالوا لموسى: «إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى؟ قَالَ: بَلْ أَلْقُوا» [٨٩١] أنتم، فألقوا حبالهم و عصيّهم فإذا هي حيّات كأمثال الجبال قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضاً تسعى، فذلك قوله ـ تعالى ـ: «يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى * فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى» [٨٩٢] و قال: والله إن كانت لعصيّاً في أيديهم ولقد عادت حيّات و ما يعدّون عصاي هذه، أو كما حدّث نفسه [٨٩٣] فأوحى الله ـ تعالى ـ إليه: «لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى * وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى» [٨٩٤] ففرّج عن موسى و ألقى عصاه من يده فإذا هي ثعبان مبين، كأعظم ما يكون أسود مدلهم [٨٩٥] على أربع قوائم قصار غلاظ شداد، و هو أعظم و أطول من البختيّ، و له ذنب يقوم عليه فيشرف فوق حيطان المدينة رأسه و عنقه و كاهله، لايضرب ذنبه على شيء إلّا حطمه و قصمه، و يكسر بقوائمه الصخور الصمّ الصلاب، و يطحن كلّ شيء، و يضرم حيطان البيوت

٨٨٧ـ طه: ٦١.

٨٨٨ـ طه: ٦٢.

٨٨٩ـ الشعراء: ٤٤.

٨٩٠ـ قال اليعقوبيّ: فعملوا من جلود البقر حبالاً مجوّفة وعصيّاً مجوّفة ويزوّقونها ويصيرون فيها الزيبق ثمّ أحموا المواضع الّتي أرادوا أن يلقوا فيها الحبال والعصى، ثمّ جلس فرعون فألقى السحرة حبالهم وعصيّهم؛ فلمّا حمى الزيبق تحرّك ومشت الحبال والعصى.

٨٩١ـ طه: ٦٥ ـ ٦٦.

٨٩٢ـ طه: ٦٦ ـ ٦٧.

٨٩٣ـ في المصدر: فلمّا حدّث نفسه. م

٨٩٤ـ طه: ٦٨ ـ ٦٩.

٨٩٥ـ في المصدر: كأعظم مايكون من الثعابين، أسود مدلهم. م

بنفسه ناراً، وله عينان تلتهبان ناراً، و منخران تنفخان سموماً، و على مفرقه شعر كأمثال الرماح، و صارت الشعبتان له فاً سعته اثناعشر ذراعاً، و فيه أنياب و أضراس، و له فحيح و كشيش و صرير و صريف، فاستعرضت ما ألق السحرة من حبالهم و عصيّهم و هي حيّات[٨٩٦] في عين فرعون و أعين الناس، تسعى تلقفها و تبتلعها واحداً واحداً حتى مايرى بالوادي قليل ولا كثير ممّا ألقوا، و انهزم الناس فزعين هاربين منقلبين، فتزاحموا و تضاغطوا و وطئ بعضهم بعضاً حتى مات منهم يومئذ في ذلك الزحام و مواطئ الأقدام خمسة و عشرون ألفاً، و انهزم فرعون فيمن انهزم منخوباً[٨٩٧] مرعوباً عازباً عقله[٨٩٨] وقد استطلق بطنه في يومه ذلك عن أربعمائة جلسة[٨٩٩]! ثمّ بعد ذلك إلى أربعين مرّة في اليوم والليلة على الدوام إلى أن هلك!

فلمّا انهزم الناس و عاين السحرة ما عاينوا و قالوا: لوكان سحراً لما غلبنا، و لما خفي علينا أمره و لئن كان سحراً فأين حبالنا و عصيّنا؟ فأُلقوا سجّداً و قالوا: «آمَنّا بِرَبِّ الْعالَمينَ * رَبِّ مُوسىٰ وَ هارُونَ»[٩٠٠] و كان فيهم اثنان و سبعون شيخاً قد انحنت ظهورهم من الكبر، و كانوا علماء السحرة، و كان رئيس جماعتهم أربعة نفر[٩٠١]: سابور و عادور و حطحط[٩٠٢] و مصفا، و هم الّذين آمنوا حين رأوا ما رأوا من سلطان الله ــ تعالى ــ، ثمّ آمنت السحرة كلّهم.

فلمّا رأى فرعون ذلك أسف و قال لهم متجلّداً: «آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أنْ آذَنَ لَكُمْ؟ إنَّهُ لَكَبيرُكُمُ الَّذي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلأُقَطِّعَنَّ أيْدِيَكُمْ وَأرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ في جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أيُّنا أشَدُّ عَذاباً وَأبْقىٰ»[٩٠٣].

٨٩٦ـ في المصدر: وهي تخيّل. م

٨٩٧ـ «نخب» كان منزوع الفؤاد جباناً، و«المنخوب» الجبان الذاهب القلب. وفي المصدر: متخوفاً. م

٨٩٨ـ في المصدر: ذاهباً عقله.

٨٩٩ـ في المصدر: أربعمائة مرّة. م

٩٠٠ـ الشعراء: ٤٧ـ٤٨ والأعراف: ١٢١ـ١٢٢.

٩٠١ـ هكذا في النسخ وفي تاريخ الطبري. وفي المصدر: خمسة نفر، وزاد «حفظ».

٩٠٢ـ في المصدر: وحفظ وخطط. وفي نسخة من العرائس: «غادر» بدل «عادور».

٩٠٣ـ طه: ٧١.

فقالوا: «لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ» [٩٠٤] إلى قوله ـ تعالى ـ: «وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى» [٩٠٥].

فقطّع أيديهم و أرجلهم من خلاف و صلبهم على جذوع النخل، و هو أوّل من فعل ذلك، فأصبحوا سحرة كفرة و أمسوا شهداء بررة، و رجع فرعون مغلوباً [٩٠٦] معلولاً، ثمّ أبى إلّا إقامةً على الكفر و التمادي فيه، فتابع الله ـ تعالى ـ عليه بالآيات و أخذه و قومه بالسنين إلى أن أهلكهم. و خرج موسى ـ عليه السلام ـ راجعاً إلى قومه والعصا على حالها حيّة تتبعه و تبصبص حوله و تلوذ به كما يلوذ الكلب الألوف بصاحبه، و الناس ينظرون إليها ينخزلون و يتضاغطون حتّى دخل موسى عسكر بني إسرائيل و أخذ برأسها فإذا هي عصاه كما كانت أوّل مرّة، و شتّت الله على فرعون أمره، ولم يجد على موسى سبيلاً، فاعتزل موسى في مدينته و لحق بقومه و عسكروا مجتمعين إلى أن صاروا ظاهرين ظافرين. [٩٠٧]

بيان: «المدلهمّ» المظلم. و «فحيح الأفعي» صوتها من فيها. و «الكشيش» صوتها من جلدها. و «المنخوب» الجبان الّذي لافؤاد له.

ثمّ قال الثعلبيّ: فلمّا خاف فرعون على قومه أن يؤمنوا بموسى عزم على بناء صرح يقوى به سلطانه، فقال: «يَاهَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً ـ الآية». [٩٠٨] فجمع العمّال والفعلة حتّى اجتمع له خمسون ألف بنّاء سوى الأتباع والأجراء ممّن يطبخ الآجرّ والجصّ و ينجر الخشب والأبواب و يضرب المسامير، فلم يزل يبني ذلك الصرح إلى أن فرغ منه في سبع سنين و ارتفع ارتفاعاً لم يبلغه بنيان أحد من الخلق منذ خلق الله السموات والأرض، فبعث الله ـ عزّ و جلّ ـ جبرئيل و ضرب بجناحه الصرح فقطعه ثلاث قطع: وقعت قطعة منها في البحر، و أُخرى في الهند، و أُخرى في المغرب.

و قال الضحّاك: بعثه الله وقت الغروب [٩٠٩] فقذف به على عسكر فرعون

٩٠٤ ـ طه: ٧٢.
٩٠٥ ـ طه: ٧٣.
٩٠٦ ـ في المصدر: مغلوباً مهزوماً مكسوراً. م
٩٠٧ ـ العرائس، ص ١١٦ ـ ١١٨. م
٩٠٨ ـ الغافر: ٣٦.
٩٠٩ ـ المصدر خال عن قوله: وقت الغروب. م

فقتل منهم ألف ألف رجل[٩١٠].

و قالوا: ولم يبق أحد عمل فيه شيئاً إلّا أصابه موت أو حريق أو عاهة، ثمّ إنّ فرعون بعد ذلك عزم على قتال موسى فأراه الله الآيات.[٩١١]

فلمّا لم يؤمن أوحى الله ـ تعالى ـ إلى موسى أن اجمع بني إسرائيل كلّ أربعة أهل أبيات في بيت، ثمّ اذبحوا أولاد الضأن و اضربوا بدمائها على الأبواب، فإنّي مرسل على أعدائكم عذاباً و إنّي سآمر الملائكة[٩١٢] فلا يدخل بيتاً على بابه دم، و سآمرها فتقتل أبكار آل فرعون من أنفسهم و أموالهم فتسلمون أنتم و يهلكون هم، ثمّ اخبزوا خبزاً فطيراً[٩١٣] فإنّه أسرع لكم، ثمّ اسر بعبادي حتّى تنتهي بهم إلى البحر فيأتيك أمري. ففعلت ذلك بنو إسرائيل.

فقالت القبط لبني إسرائيل: لم تعالجون هذا الدم على أبوابكم؟

فقالوا: إن الله ـ سبحانه ـ مرسل عذاباً فنسلم و تهلكون.

فقالت القبط: فما يعرفكم ربّكم إلّا بهذه العلامات؟

فقالوا: هكذا أمرنا نبيّنا.

فأصبحوا و قد طعن أبكار آل فرعون و ماتوا كلّهم في ليلة واحدة و كانوا سبعين ألفاً، و اشتغلوا بدفنهم و بما نالهم من الحزن على المصيبة.

و سرى موسى بقومه متوجّهين إلى البحر و هم ستّمائة ألف و عشرون ألفاً لايعدّ فيهم ابن سبعين سنة لكبره ولا ابن عشرين سنة لصغره، و هم المقاتلة سوى الذرّيّة، و كان موسى ـ عليه السلام ـ على الساقة، و هارون على المقدّمة.

فلمّا فرغت القبط من دفن أبكارهم و بلغهم خروج بني إسرائيل، قال فرعون: هذا عمل موسى قتلوا أبكارنا من أنفسنا و أموالنا، ثمّ خرجوا و لم يرضوا أن ساروا بأنفسهم حتّى ذهبوا بأموالنا معهم، فنادى في قومه كما قال الله ـ سبحانه ـ: «فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ

٩١٠ـ في المصدر: ألفي ألف رجل. م

٩١١ـ العرائس، ص ١١٩. م

٩١٢ـ في المصدر: سأرسل الملائكة. م

٩١٣ـ في المصدر: ثمّ أخبزوا فطيراً. م

﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾ [٩١٤]. ثمّ تبعهم فرعون بجنوده و على مقدّمته هامان في ألف ألف و سبعمائة ألف، كلّ رجل على حصان و على رأسه بيضة و بيده حربة.

و قال ابن جريج: أرسل فرعون في أثر موسى و قومه ألف ألف و خمسمائة ألف ملك مسوّر [٩١٥] مع كلّ ملك ألف، ثمّ خرج فرعون خلفهم في الدهم [٩١٦] و كانوا مائة ألف رجل كلّ واحد منهم راكباً حصاناً أدهم، فكان في عسكر فرعون مائة ألف حصان أدهم، و ذلك حين طلعت الشمس و أشرقت، كما قال الله ـ سبحانه ـ: «فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ» [٩١٧].

فلمّا تراءى الجمعان و رأت بنو إسرائيل غبار عسكر فرعون قالوا: يا موسى أين ما وعدتنا من النصر والظفر؟ هذا البحر أمامنا، إن دخلناه غرقنا، و فرعون خلفنا إن أدركنا قتلنا، و لقد أوذينا من قبل أن تأتينا و من بعد ماجئتنا.

فقال موسى: «اَسْتَعِينُوا [٩١٨] بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» [٩١٩]. و قال: «عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَ يَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (الأعراف: ١٢٩)» [٩٢٠].

قالوا: فلمّا انتهى موسى ـ عليه السلام ـ إلى البحر هاجت الريح ترمي بموج كالجبال، فقال له يوشع بن نون: يا مكلّم الله [٩٢١] أين أُمرت و قد غشينا فرعون والبحر أمامنا؟

فقال موسى: ههنا.

فخاض يوشع الماء و جاز البحر ما يواري حافردابّته الماء.

و قال خربيل [٩٢٢]: يا مكلّم الله أين أُمرت؟

قال: ههنا.

٩١٤ـ الشعراء: ٥٣-٥٦.

٩١٥ـ «ملك مسوّر» مسود قدير.

٩١٦ـ «الدهم» العدد الكثير.

٩١٧ـ الشعراء: ٦٠.

٩١٨ـ في المصدر: فقال موسى لقومه: ياقوم استعينوا. اه . م

٩١٩ـ الأعراف: ١٢٨.

٩٢٠ـ العرائس، ص ١٢٣. م

٩٢١ـ في المصدر: ياكليم الله. م

٩٢٢ـ في المصدر: «حزقيل» في المواضع.

فكبح فرسه بلجامه[٩٢٣] حتّى طارالزبد من شدقيه ثمّ أقحمه البحر فرسب في الماء و ذهب القوم يصنعون مثل ذلك فلم يقدروا، فأوحى اللّه ـ سبحانه ـ إلى موسى: «أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ» [٩٢٤]،فضرب فلم يطعه فأوحى اللّه إليه أن كنّه؛ فضرب موسى بعصاه ثانياً و قال: انفلق أبا خالد[٩٢٥]! «فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ» [٩٢٦].فإذا خربيل واقف على فرسه لم يبتلّ سرجه ولا لبده. و ظهر في البحر اثناعشر طريقاً لاثني عشر سبطاً، لكلّ سبط طريق، و أرسل اللّه الريح والشمس على قعرالبحر حتّى صاريبساً.

و عن عبداللّه بن سلام أنّ موسى لمّا انتهى إلى البحر قال: «يا من كان قبل كلّ شي ء، و المكوّن لكلّ شي ء، والكائن بعد كلّ شي ء اجعل لنا مخرجاً»'.

و عن عبداللّه قال: قال رسول اللّه ـ صلّى اللّه عليه وآله ـ: إنّه قال عند ذلك: «اللّهمّ لك الحمد و إليك المشتكى و أنت المستعان[٩٢٧] ولا حول ولا قوّة إلّا باللّه العليّ العظيم».

قالوا: فخاضت بنو إسرائيل البحر كلّ سبط في طريق و عن جانبيهم الماء كالجبل الضخم لايرى بعضهم بعضاً فخافوا و قال كلّ سبط، قدقتل إخواننا. فأوحى اللّه ـ سبحانه ـ إلى جبال الماء أن تشبّكي! فصار الماء شبكات ينظر بعضهم إلى بعض، و يسمع بعضهم كلام بعض حتّى عبروا البحر سالمين، ولمّا خرجت ساقة عسكر موسى من البحر وصلت مقدّمة عسكر فرعون إليه، و أراد موسى أن يعود البحر إلى حاله الأولى فأوحى اللّه ـ سبحانه ـ أن: «وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ» [٩٢٨].

فلمّا وصل فرعون قال لقومه: انظروا إلى البحر قد انفلق لهيبتي حتّى أدرك أعدائي و عبيدي، ولم تكن في خيل فرعون أُنثى فجاء جبرئيل على فرس أُنثى و عليه عمامة سوداء و تقدّمهم و خاض البحر و ظنّ أصحاب فرعون أنّه منهم، فلمّا سمعت

٩٢ـ «كبح الدابّة باللجام» جذبها به لتقف ولاتجرى.

٩٢٤ـ الشعراء: ٦٣.

٩٢٥ـ هذا كنية للبحر.

٩٢٦ـ الشعراء: ٦٣.

٩٢٧ـ في المصدر بعد ذلك: وعليك التكلان. م

٩٢٨ـ الدخان: ٢٤.

الخيول ريحها اقتحمت البحر في أثرها، و جاء ميكائيل على فرس خلف القوم يشحذهم[۹۲۹] و يقول لهم: الحقوا بأصحابكم. فلمّا أراد فرعون أن يسلك طريق البحر نهاه وزيره هامان و قال: إنّي قد أتيت هذا الموضع مراراً و مالي عهد بهذه الطرق، و إنّي لاآمن أن يكون هذا مكراً من الرجل يكون فيه هلاكنا و هلاك أصحابنا. فلم يطعه فرعون و ذهب حاملاً[۹۳۰] على حصانه أن يدخل البحر، فامتنع و نفر حتّى جاء جبرئيل على رمكة بيضاء فخاض البحر فتبعها حصان فرعون، فلمّا توافوا في البحر و همّ أوّلهم بالخروج أمرالله البحر فالتطم عليهم فغرقهم أجمعين بمرأى من بني إسرائيل.

قالوا: فلمّا سمعت بنو إسرائيل صوت التطام البحر قالوا لموسى: ما هذه الوجبة؟[۹۳۱] فقال لهم: إنّ الله ــ سبحانه ــ قد أهلك فرعون و كلّ من كان معه. فقالوا: إنّ فرعون لايموت لأنّه خلق خلق من لايموت، ألم تر أنّه كان يلبث كذا و كذا يوماً يحتاج إلى شيء ممّا يحتاج إليه الإنسان؟ فأمرالله ــ سبحانه ــ البحر فألقاه على نجوة من الأرض و عليه درعه حتّى نظر إليه بنو إسرائيل.

و يقال: لولم يخرجه الله ــ تعالى ــ ببدنه لشكّ فيه بعض الناس، فبعث موسى جندين عظيمين من بني إسرائيل كلّ جند اثناعشر ألفاً إلى مدائن فرعون، و هي يومئذ خالية من أهلها لم يبق منهم إلّا النساء والصبيان والزمنى والمرضى والهرمى، و أمّر على الجندين يوشع بن نون وكالب بن يوفنا[۹۳۲] فدخلوا بلاد فرعون فغنموا ما كان فيها من أموالهم و كنوزهم، و حملوا من ذلك ما استقلّت به الحمولة[۹۳۳] عنها، و ما لم يطيقوا حملها باعوه من قوم آخرين؛ فذلك قوله ــ تعالى ــ: «كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ * وَ زُرُوعٍ وَ مَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنِعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ * كَذَلِكَ وَ أَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ»[۹۳۴]. ثمّ

۹۲۹ــ أي يسوقهم شديداً. وفي المصدر: يستحثّهم.

۹۳۰ــ في المصدر: معاجلاً. م

۹۳۱ــ «الوجبة» السقطة مع الهدة، أوصوت الساقط. وفي المصدر: هذه الضوضاء.

۹۳۲ــ تقدّم الخلاف في ضبطه.

۹۳۳ــ أي ما أطاقته الحمولة.

۹۳٤ــ الدخان: ۲۵ــ۲۸.

إنّ يوشع استخلف على قوم فرعون رجلاً منهم و عاد إلى موسى بن معه سالمين غانمين.[٩٣٥]

تذنيب: قال السيّد المرتضى ـ قدّس سرّه ـ : فإن قيل: كيف جاز لموسى أن يأمر السحرة بإلقاء الحبال والعصيّ و ذلك كفر وسحر وتلبيس وتمويه، والأمر بمثله لا يحسن؟

قلنا: لابدّ من أن يكون في أمره ـ عليه السلام ـ بذلك شرط، فكأنّه قال: ألقوا ما أنتم ملقون إن كنتم محقّين، و كان فيما تفعلونه حجّة، و حذف الشرط لدلالة الكلام عليه و اقتضاء الحال له، و يمكن أن يكون على سبيل التحدّي بأن يكون دعاهم إلى الإلقاء على وجه يساويه فيه، ولا يخيّلون فيما ألقوه السعي والتصرّف من غير أن يكون له حقيقة لأنّ ذلك غير مساوٍ لما ظهر على يده من انقلاب الجماد حيّة على الحقيقة دون التخييل، و إذا كان ذلك ليس في مقدورهم فإنّما تحدّاهم به ليظهر حجّته.[٩٣٦]

أقول: يمكن أن يقال: الأمر بالسحر إذا كان مشتملاً على بيان بطلانه و ظهور المعجزة و عدم مبالاته بما صنعوا مع أنّ القوم لاينتهون عنه بعدم أمره بل بنهيه أيضاً ليس بقبيح[٩٣٧]، فيمكن أن يكون مخصّصاً لعمومات النهي عن الأمر بالسحر إن كانت ولو كان لمحض دليل العقل، فلا يحكم في خصوص تلك الصورة بشيء من القبح؛ أو يقال: إنّه لم يكن المراد به الأمر حقيقة بل كان الغرض عدم خوفه و مبالاته بما سحروا به، فيمكن إرجاعه إلى أمر التسوية؛ و قيل: إنّه لم يأمر بالسحر بل بالإلقاء و هو أعمّ منه.

ثمّ قال السيّد: فإن قيل: فمن أيّ شيء خاف موسى ـ عليه السلام ـ ؟ أوليس خوفه يقتضي شكّه في صحّة ما أتى به؟

٩٣٥ـ العرائس، ص ١٢٣ ـ ١٢٦؛ وفيه: غانمين شاكرين. م

٩٣٦ـ تنزيه الأنبياء، ص ٧٠ ـ ٧١. م

٩٣٧ـ بل ربما يمكن أن يقال بحسن ذلك، إذ فيه إبطال الباطل و إرشاد الجاهل إلى بطلان عملهم وأنّ عمله ليس من سنخ عملهم وسحرهم، بل هو من عند الله، وعمله من صنع الله.

قلنا: إنّما رأى من قوّة التلبيس والتخييل ماأشفق عنده من وقوع الشبهة على من لم ينعم النظر[٩٣٨] فآمنه الله ـ تعالى ـ من ذلك، و بيّن له أنّ حجّته ستتضح للقوم بقوله ـ تعالى ـ: «لاَ تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى» (طه: ٦٨). [٩٣٩]

أقول: قدمرّ خبر في علّة ذلك الخوف في إلقاء إبراهيم ـ عليه السلام ـ في النار؛[٩٤٠] و قيل كان لايلقي العصا إلّا بوحـــي، و لمّا أبطأ الوحي خاف تفرّق بعض الناس قبل أن يؤمر بالإلقاء؛ و قيل: كان خوفه ابتداءً على مقتضى الجبلّة البشريّة.

ثمّ قال السيّد ـ رحمه الله ـ [٩٤١]: فإن قيل: فما معنى قوله: «رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَ مَلأَهُ ـ الآية» [٩٤٢]؟

قلنا: أمّا قوله: «لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ»[٩٤٣] ففيه وجوه:

أوّلها: أنّه أراد: لئلاّ يضلّوا، فحذف. و هذا له نظائر كثيرة في القرآن و كلام العرب فمن ذلك قوله: «أَنْ تَضِلَّ إِحْدَيهُمَا» [٩٤٤] و إنّما أراد: لئلاّ تضلّ. و قوله: «أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ» [٩٤٥] و قوله: «أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ» [٩٤٦] و قال الشاعر:

نزلتم منزل الأضياف منّا ٭ فعجّلنا القرى أن تشتمونا

٩٣٨ ـ أي لم يحقّق النظر فيا صنعوا.

٩٣٩ ـ تنزيه الأنبياء، ص ٧١. م

٩٤٠ ـ وهو خبر اسماعيل بن الفضل الهاشميّ، سأل عن أبي‌عبدالله ـ عليه السلام ـ عن موسى بن عمران لمّارأى حبالهم وعصيّهم كيف أوجس في نفسه خيفة ولم يوجسها إبراهيم؟

قال: إنّ إبراهيم ـ عليه السلام ـ حين وضع في المنجنيق كان مستنداً إلى مافي صلبه من أنوار حجج الله عزّ وجلّ ولم يكن موسى ـ عليه السلام ـ كذلك.

٩٤١ ـ تنزيه الأنبياء، ص ٧٣ ـ ٧٥. وقد لخّصه المصنّف. م

٩٤٢ و ٩٤٣ ـ يونس: ٨٨.

٩٤٤ ـ البقرة: ٢٨٢. والظاهر أنّ الآية لاتحتاج إلى تقدير والمعنى هو أن تنسى إحدى المرأتين فتذكرها الأخرى.

٩٤٥ ـ الأعراف: ١٧٢.

٩٤٦ ـ النحل: ١٥ ولقمان: ١٠.

و ثانيها: أنّ اللاّم ههنا هي لام العاقبة و ليست بلام الغرض كقوله: «لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَنًا» ٩٤٧.

و ثالثها: أن يكون مخرج الكلام مخرج النفي و الإنكار على من زعم أنّ اللّه ـ تعالى ـ فعل ذلك ليضلّهم.

و رابعها: أن يكون أراد الاستفهام فحذف حرفه المختصّ به. ٩٤٨

وَاحْذَرُوا مَا نَزَلَ بِالْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مِنَ الْمَثُلَاتِ(٢٦٢٩) بِسُوءِ الْأَفْعَالِ، وَذَمِيمِ الْأَعْمَالِ. فَتَذَكَّرُوا فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ أَحْوَالَهُمْ، وَاحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ.

فَإِذَا تَفَكَّرْتُمْ فِي تَفَاوُتِ(٢٦٣٠) حَالَيْهِمْ، فَالْزَمُوا كُلَّ أَمْرٍ لَزِمَتِ الْعِزَّةُ بِهِ شَأْنَهُمْ، وَزَاحَتِ الْأَعْدَاءُ لَهُ عَنْهُمْ، وَمُدَّتِ(٢٦٣١) الْعَافِيَةُ بِهِ عَلَيْهِمْ، وَانْقَادَتِ النِّعْمَةُ لَهُ مَعَهُمْ، وَوَصَلَتِ الْكَرَامَةُ عَلَيْهِ حَبْلَهُمْ مِنَ الاجْتِنَابِ لِلْفُرْقَةِ، وَاللُّزُومِ لِلْأُلْفَةِ، وَالتَّحَاضِّ عَلَيْهَا، وَالتَّوَاصِي بِهَا، وَاجْتَنِبُوا كُلَّ أَمْرٍ كَسَرَ فِقْرَتَهُمْ(٢٦٣٢)، وَأَوْهَنَ(٢٦٣٣) مُنَّتَهُمْ(٢٦٣٤)؛ مِنْ تَضَاغُنِ الْقُلُوبِ، وَتَشَاحُنِ الصُّدُورِ، وَتَدَابُرِ النُّفُوسِ، وَتَخَاذُلِ الْأَيْدِي

٩٤٧ـ القصص: ٨.

٩٤٨ـ بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١٣، كتاب النبوّة، ص ١٤١.

وَتَدَبَّرُوا أَحْوَالَ ٱلْمَاضِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكُمْ ، كَيْفَ كَانُوا فِي حَالِ التَّمْحِيصِ (٢٦٣٥) وَالْبَلَاءِ . أَلَمْ يَكُونُوا أَثْقَلَ ٱلْخَلَائِقِ أَعْبَاءً ، وَأَجْهَدَ ٱلْعِبَادِ بَلَاءً ، وَأَضْيَقَ أَهْلِ الدُّنْيَا حَالًا . ٱتَّخَذَتْهُمُ ٱلْفَرَاعِنَةُ عَبِيداً فَسَامُوهُمْ سُوءَ ٱلْعَذَابِ ، وَجَرَّعُوهُمُ ٱلْمُرَارَ (٢٦٣٦) ، فَلَمْ تَبْرَحِ ٱلْحَالُ بِهِمْ فِي ذُلِّ ٱلْهَلَكَةِ وَقَهْرِ ٱلْغَلَبَةِ ، لَا يَجِدُونَ حِيلَةً فِي ٱمْتِنَاعٍ ، وَلَا سَبِيلًا إِلَىٰ دِفَاعٍ . حَتَّىٰ إِذَا رَأَى ٱللهُ سُبْحَانَهُ جِدَّ الصَّبْرِ مِنْهُمْ عَلَى ٱلْأَذَىٰ فِي مَحَبَّتِهِ ، وَٱلِاحْتِمَالَ لِلْمَكْرُوهِ مِنْ خَوْفِهِ ، جَعَلَ لَهُمْ مِنْ مَضَايِقِ ٱلْبَلَاءِ فَرَجاً ، فَأَبْدَلَهُمُ ٱلْعِزَّ مَكَانَ الذُّلِّ ، وَٱلْأَمْنَ مَكَانَ ٱلْخَوْفِ ، فَصَارُوا مُلُوكاً حُكَّاماً ، وَأَئِمَّةً أَعْلَاماً ، وَقَدْ بَلَغَتِ ٱلْكَرَامَةُ مِنَ ٱللهِ لَهُمْ مَا لَمْ تَذْهَبِ ٱلْآمَالُ إِلَيْهِ بِهِمْ .

فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانُوا حَيْثُ كَانَتِ ٱلْأَمْلَاءُ (٢٦٣٧) مُجْتَمِعَةً ، وَٱلْأَهْوَاءُ مُؤْتَلِفَةً ، وَٱلْقُلُوبُ مُعْتَدِلَةً ، وَٱلْأَيْدِي مُتَرَادِفَةً ، وَالسُّيُوفُ مُتَنَاصِرَةً ، وَٱلْبَصَائِرُ نَافِذَةً ، وَٱلْعَزَائِمُ وَاحِدَةً . أَلَمْ يَكُونُوا أَرْبَاباً (٢٦٣٨) فِي أَقْطَارِ ٱلْأَرَضِينَ ، وَمُلُوكاً عَلَىٰ رِقَابِ ٱلْعَالَمِينَ ! فَٱنْظُرُوا إِلَىٰ مَا صَارُوا إِلَيْهِ فِي آخِرِ أُمُورِهِمْ ، حِينَ وَقَعَتِ ٱلْفُرْقَةُ ، وَتَشَتَّتَتِ ٱلْأُلْفَةُ ، وَٱخْتَلَفَتِ ٱلْكَلِمَةُ وَٱلْأَفْئِدَةُ ، وَتَشَعَّبُوا مُخْتَلِفِينَ ، وَتَفَرَّقُوا مُتَحَارِبِينَ . قَدْ خَلَعَ ٱللهُ عَنْهُمْ لِبَاسَ كَرَامَتِهِ ، وَسَلَبَهُمْ غَضَارَةَ نِعْمَتِهِ (٢٦٣٩) ، وَبَقِيَ قَصَصُ

أَخْبَارِهِمْ فِيكُمْ عِبَراً لِلْمُعْتَبِرِينَ .

الاعتبار بالامم

فَاْعْتَبِرُوا بِحَالِ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَبَنِي إِسْحَاقَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ . فَمَا أَشَدَّ ٱعْتِدَالَ(٢٦٤٠) ٱلْأَحْوَالِ ، وَأَقْرَبَ ٱشْتِبَاهَ(٢٦٤١) ٱلْأَمْثَالِ !

تَأَمَّلُوا أَمْرَهُمْ فِي حَالِ تَشَتُّتِهِمْ وَتَفَرُّقِهِمْ ، لَيَالِيَ كَانَتِ ٱلْأَكَاسِرَةُ وَٱلْقَيَاصِرَةُ أَرْبَاباً لَهُمْ ، يَحْتَازُونَهُمْ(٢٦٤٢) عَنْ رِيفِ ٱلْآفَاقِ ، وَبَحْرِ ٱلْعِرَاقِ ، وَخُضْرَةِ الدُّنْيَا ، إِلَىٰ مَنَابِتِ الشِّيحِ ، وَمَهَافِي(٢٦٤٣) الرِّيحِ ، وَنَكَدِ(٢٦٤٤) ٱلْمَعَاشِ ، فَتَرَكُوهُمْ عَالَةً مَسَاكِينَ إِخْوَانَ دَبَرٍ(٢٦٤٥) وَوَبَرٍ(٢٦٤٦) ، أَذَلَّ ٱلْأُمَمِ دَاراً ، وَأَجْدَبَهُمْ قَرَاراً ، لَا يَأْوُونَ(٢٦٤٧) إِلَىٰ جَنَاحِ دَعْوَةٍ يَعْتَصِمُونَ بِهَا ، وَلَا إِلَىٰ ظِلِّ أُلْفَةٍ يَعْتَمِدُونَ عَلَىٰ عِزِّهَا . فَٱلْأَحْوَالُ مُضْطَرِبَةٌ ، وَٱلْأَيْدِي مُخْتَلِفَةٌ ، وَٱلْكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ ؛ فِي بَلَاءِ أَزْلٍ(٢٦٤٨) ، وَأَطْبَاقِ جَهْلٍ ! مِنْ بَنَاتٍ مَوْؤُودَةٍ(٢٦٤٩) ، وَأَصْنَامٍ مَعْبُودَةٍ ، وَأَرْحَامٍ مَقْطُوعَةٍ ، وَغَارَاتٍ مَشْنُونَةٍ(٢٦٥٠) .

النعمة برسول الله

فَٱنْظُرُوا إِلَىٰ مَوَاقِعِ نِعَمِ ٱللهِ عَلَيْهِمْ حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولاً ، فَعَقَدَ بِمِلَّتِهِ طَاعَتَهُمْ ، وَجَمَعَ عَلَىٰ دَعْوَتِهِ أُلْفَتَهُمْ : كَيْفَ نَشَرَتِ النِّعْمَةُ

عَلَيْهِـمْ جَنَاحَ كَرَامَتِهَا ، وَأَسَالَتْ لَهُمْ جَدَاوِلَ نَعِيمِهَا ، وَٱلْتَفَّتِ ٱلْمِلَّةُ بِهِـمْ[٢٦٥١] فِي عَوَائِدِ[٢٦٥٢] بَرَكَتِهَا ، فَأَصْبَحُوا فِي نِعْمَتِهَا غَرِقِينَ ، وَفِي خُضْرَةِ عَيْشِهَا فَكِهِينَ[٢٦٥٣] . قَدْ تَرَبَّعَتِ[٢٦٥٤] ٱلْأُمُورُ بِهِـمْ ، فِي ظِلِّ سُلْطَانٍ قَاهِرٍ ، وَآوَتْهُمُ ٱلْحَالُ إِلَىٰ كَنَفِ عِزٍّ غَالِبٍ ، وَتَعَطَّفَتِ ٱلْأُمُورُ عَلَيْهِمْ فِي ذُرَىٰ مُلْكٍ ثَابِتٍ . فَهُمْ حُكَّامٌ عَلَىٰ ٱلْعَالَمِينَ ، وَمُلُوكٌ فِي أَطْرَافِ ٱلْأَرَضِينَ . يَمْلِكُونَ ٱلْأُمُورَ عَلَىٰ مَنْ كَانَ يَمْلِكُهَـا عَلَيْهِـمْ ، وَيُمْضُونَ ٱلْأَحْكَامَ فِيمَنْ كَانَ يُمْضِيهَا فِيهِـمْ ! لَا تُغْمَزُ لَهُمْ قَنَاةٌ[٢٦٥٥] ، وَلَا تُقْرَعُ لَهُمْ صَفَاةٌ[٢٦٥٦] !

لوم العصاة

أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ الطَّاعَةِ ، وَثَلَمْتُمْ[٢٦٥٧] حِصْنَ ٱللهِ ٱلْمَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ ، بِأَحْكَامِ ٱلْجَاهِلِيَّةِ . فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ قَدِ ٱمْتَنَّ عَلَىٰ جَمَاعَةِ هٰذِهِ ٱلْأُمَّةِ فِيمَا عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ هٰذِهِ ٱلْأُلْفَةِ ٱلَّتِي يَنْتَقِلُونَ فِي ظِلِّهَا ، وَيَأْوُونَ إِلَىٰ كَنَفِهَا ، بِنِعْمَةٍ لَا يَعْرِفُ أَحَدٌ مِـنَ ٱلْمَخْلُوقِينَ لَهَا قِيمَةً ، لِأَنَّهَا أَرْجَحُ مِنْ كُلِّ ثَمَنٍ ، وَأَجَلُّ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ .

وَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ ٱلْهِجْرَةِ أَعْرَاباً ، وَبَعْدَ ٱلْمُوَالَاةِ[٢٦٥٨] أَحْزَاباً . مَا تَتَعَلَّقُونَ مِنَ ٱلْإِسْلَامِ إِلَّا بِٱسْمِهِ ، وَلَا تَعْرِفُونَ مِنَ ٱلْإِيمَانِ إِلَّا رَسْمَهُ .

تَقُولُونَ: النَّارَ وَلَا ٱلْعَارَ! كَأَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُكْفِئُوا ٱلْإِسْلَامَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ٱنْتِهَاكاً لِحَرِيمِهِ، وَنَقْضاً لِمِيثَاقِهِ ٱلَّذِي وَضَعَهُ ٱللهُ لَكُمْ حَرَماً فِي أَرْضِهِ، وَأَمْناً بَيْنَ خَلْقِهِ. وَإِنَّكُمْ إِنْ لَجَأْتُمْ إِلَىٰ غَيْرِهِ حَارَبَكُمْ أَهْلُ ٱلْكُفْرِ، ثُمَّ لَا جَبْرَائِيلُ وَلَا مِيكَائِيلُ وَلَا مُهَاجِرُونَ وَلَا أَنْصَارٌ يَنْصُرُونَكُمْ إِلَّا ٱلْمُقَارَعَةَ بِالسَّيْفِ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللهُ بَيْنَكُمْ.

وَإِنَّ عِنْدَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ مِنْ بَأْسِ ٱللهِ وَقَوَارِعِهِ، وَأَيَّامِهِ وَوَقَائِعِهِ، فَلَا تَسْتَبْطِئُوا وَعِيدَهُ جَهْلاً بِأَخْذِهِ، وَتَهَاوُناً بِبَطْشِهِ، وَيَأْساً مِنْ بَأْسِهِ. فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَلْعَنِ ٱلْقَرْنَ ٱلْمَاضِيَ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلَّا لِتَرْكِهِمُ ٱلْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ. فَلَعَنَ ٱللهُ ٱلسُّفَهَاءَ لِرُكُوبِ ٱلْمَعَاصِي وَٱلْحُلَمَاءَ لِتَرْكِ ٱلتَّنَاهِي!

أَلَا وَقَدْ قَطَعْتُمْ قَيْدَ ٱلْإِسْلَامِ، وَعَطَّلْتُمْ حُدُودَهُ، وَأَمَتُّمْ أَحْكَامَهُ. أَلَا وَقَدْ أَمَرَنِي ٱللهُ بِقِتَالِ أَهْلِ ٱلْبَغْيِ وَٱلنَّكْثِ(٢٦٥٩) وَٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ، فَأَمَّا النَّاكِثُونَ فَقَدْ قَاتَلْتُ، وَأَمَّا ٱلْقَاسِطُونَ(٢٦٦٠) فَقَدْ جَاهَدْتُ، وَأَمَّا ٱلْمَارِقَةُ(٢٦٦١) فَقَدْ دَوَّخْتُ(٢٦٦٢)، وَأَمَّا شَيْطَانُ الرَّدْهَةِ(٢٦٦٣) فَقَدْ كُفِيتُهُ بِصَعْقَةٍ(٢٦٦٤) سُمِعَتْ لَهَا وَجْبَةُ(٢٦٦٥) قَلْبِهِ وَرَجَّةُ صَدْرِهِ(٢٦٦٦)، وَبَقِيَتْ بَقِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ ٱلْبَغْيِ. وَلَئِنْ أَذِنَ ٱللهُ فِي ٱلْكَرَّةِ عَلَيْهِمْ لَأُدِيلَنَّ مِنْهُمْ(٢٦٦٧) إِلَّا مَا يَتَشَذَّرُ(٢٦٦٨) فِي أَطْرَافِ ٱلْبِلَادِ تَشَذُّراً!

فضل الوحي

أَنَا وَضَعْتُ فِي الصِّغَرِ بِكَلاكِلِ[٢٦٦٩] ٱلْعَرَبِ ، وَكَسَرْتُ نَوَاجِمَ[٢٦٧٠] قُرُونِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ . وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ ٱللهِ ـ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ بِٱلْقَرَابَةِ ٱلْقَرِيبَةِ ، وَٱلْمَنْزِلَةِ ٱلْخَصِيصَةِ . وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وَلَدٌ يَضُمُّنِي إِلَىٰ صَدْرِهِ ، وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ ، وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ ، وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ[٢٦٧١] . وَكَانَ يَمْضَغُ ٱلشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ . وَمَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ ، وَلَا خَطْلَةً[٢٦٧٢] فِي فِعْلٍ . وَلَقَدْ قَرَنَ ٱللهُ بِهِ ـ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ ٱلْمَكَارِمِ ، وَمَحَاسِنَ أَخْلَاقِ ٱلْعَالَمِ ، لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ. وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ ٱتِّبَاعَ ٱلْفَصِيلِ[٢٦٧٣] أَثَرَ أُمِّهِ ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عَلَماً[٢٦٧٤] ، وَيَأْمُرُنِي بِٱلِاقْتِدَاءِ بِهِ . وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ[٢٦٧٥] فَأَرَاهُ ، وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي . وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي ٱلْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ ٱللهِ ـ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا . أَرَىٰ نُورَ ٱلْوَحْيِ وَٱلرِّسَالَةِ ، وَأَشُمُّ رِيحَ ٱلنُّبُوَّةِ .

وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ ٱلشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ ٱلْوَحْيُ عَلَيْهِ ـ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ ٱللهِ مَا هٰذِهِ ٱلرَّنَّةُ ؟ فَقَالَ : « هٰذَا ٱلشَّيْطَانُ قَدْ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِهِ . إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ ، وَتَرَىٰ مَا أَرَىٰ ، إِلَّا أَنَّكَ

لَسْتَ بِنَبِيٍّ ، وَلٰكِنَّكَ لَوَزِيرٌ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَيْرٍ» . وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ ـ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ لَمَّا أَتَاهُ ٱلْمَلأُ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَقَالُوا لَهُ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّكَ قَدِ ٱدَّعَيْتَ عَظِيماً لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ ، وَنَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْراً إِنْ أَنْتَ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ وَأَرَيْتَنَاهُ ، عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ . فَقَالَ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : «وَمَا تَسْأَلُونَ؟» قَالُوا : تَدْعُو لَنَا هٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ حَتَّىٰ تَنْقَلِعَ بِعُرُوقِهَا وَتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَقَالَ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : «إِنَّ ٱللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، فَإِنْ فَعَلَ ٱللهُ لَكُمْ ذٰلِكَ ، أَتُؤْمِنُونَ وَتَشْهَدُونَ بِٱلْحَقِّ؟» قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : «فَإِنِّي سَأُرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ ، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَا تَفِيئُونَ[٢٦٧٦] إِلَىٰ خَيْرٍ ، وَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي ٱلْقَلِيبِ[٢٦٧٧] ، وَمَنْ يُحَزِّبُ ٱلْأَحْزَابَ» . ثُمَّ قَالَ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : «يَا أَيَّتُهَا ٱلشَّجَرَةُ إِنْ كُنْتِ تُؤْمِنِينَ بِٱللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ، وَتَعْلَمِينَ أَنِّي رَسُولُ ٱللهِ ، فَٱنْقَلِعِي بِعُرُوقِكِ حَتَّىٰ تَقِفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ ٱللهِ» . فَوَٱلَّذِي بَعَثَهُ بِٱلْحَقِّ لَٱنْقَلَعَتْ بِعُرُوقِهَا ، وَجَاءَتْ وَلَهَا دَوِيٌّ شَدِيدٌ ، وَقَصْفٌ[٢٦٧٨] كَقَصْفِ أَجْنِحَةِ ٱلطَّيْرِ ؛ حَتَّىٰ وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُرَفْرِفَةً ، وَأَلْقَتْ بِغُصْنِهَا ٱلْأَعْلَىٰ عَلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَبِبَعْضِ أَغْصَانِهَا عَلَىٰ مَنْكِبِي ، وَكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَلَمَّا

نَظَرَ ٱلْقَوْمُ إِلَىٰ ذٰلِكَ قَالُوا ـ عُلُوًّا وَٱسْتِكْبَاراً ـ : فَمُرْهَا فَلْيَأْتِكَ نِصْفُهَا وَيَبْقَىٰ نِصْفُهَا ، فَأَمَرَهَا بِذٰلِكَ ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نِصْفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ وَأَشَدِّهِ دَوِيّاً ، فَكَادَتْ تَلْتَفُّ بِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَقَالُوا ـ كُفْراً وَعُتُوّاً ـ : فَمُرْ هٰذَا النِّصْفَ فَلْيَرْجِعْ إِلَىٰ نِصْفِهِ كَمَا كَانَ ، فَأَمَرَهُ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَرَجَعَ ؛ فَقُلْتُ أَنَا : لَا إِلٰهَ إِلَّا ٱللهُ ؛ إِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ ٱللهِ ، وَأَوَّلُ مَنْ أَقَرَّ بِأَنَّ الشَّجَرَةَ فَعَلَتْ مَا فَعَلَتْ بِأَمْرِ ٱللهِ تَعَالَىٰ تَصْدِيقاً بِنُبُوَّتِكَ ، وَإِجْلَالاً لِكَلِمَتِكَ . فَقَالَ ٱلْقَوْمُ كُلُّهُمْ : بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ ، عَجِيبُ السِّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ ، وَهَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هٰذَا ! (يَعْنُونَنِي) وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي ٱللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ . سِيمَاهُمْ سِيمَا الصِّدِّيقِينَ ، وَكَلَامُهُمْ كَلَامُ ٱلْأَبْرَارِ ، عُمَّارُ(٢٦٧٩) ٱللَّيْلِ وَمَنَارُ ٱلنَّهَارِ . مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ ٱلْقُرْآنِ ؛ يُحْيُونَ سُنَنَ ٱللهِ وَسُنَنَ رَسُولِهِ ؛ لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَلَا يَعْلُونَ ، وَلَا يَغُلُّونَ(٢٦٨٠) وَلَا يُفْسِدُونَ . قُلُوبُهُمْ فِي ٱلْجِنَانِ ، وَأَجْسَادُهُمْ فِي ٱلْعَمَلِ !

[توضيحات حول المسائل المطروحة في نهاية الخطبة]

[١ـ كيفيّة ولادة الرسول ـ صلّى الله عليه وآله ـ و معيشته و سلوكه و آدابه]

أقول: قال عبدالحميدبن أبي الحديد: روي أن بعض أصحاب أبي جعفر محمّدبن عليّ الباقر ـ عليهما السلام ـ سأله عن قول الله ـ تعالى ـ: «إِلَّا مَنِ ارْتَضَى

مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَداً» [٩٤٩] فقال ـ عليه السلام ـ: يوكّل الله ـ تعالى ـ بأنبيآئه ملائكة يحصون أعمالهم و يؤدّون إليهم تبليغهم الرسالة، و وكّل بمحمّد ملكاً عظيماً منذفصل عن الرضاع يرشده إلى الخيرات و مكارم الأخلاق و يصدّه عن الشرّ و مساوي الأخلاق، و هو الّذى كان يناديه: السّلام عليك يا محمّد يا رسول الله؛ و هو شابّ لم يبلغ درجة الرسالة بعد، فيظنّ أنّ ذلك من الحجر والأرض، فيتأمّل فلايرى شيئاً.

و روى الطبريّ في التاريخ عن محمّدبن الحنفيّة، عن أبيه عليّ ـ عليه السلام ـ قال: سمعت رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ يقول: ما هممت بشيء ممّا كان أهل الجاهليّة يعملون به غير مرّتين، كلّ ذلك يحول الله بيني و بين ما أريد من ذلك، ثمّ ما هممت بسوء حتّى أكرمني الله برسالته؛ قلت ليلة لغلام من قريش كان يرعى معي بأعلى مكّة: لو أبصرت لي غنمي حتّى أدخل مكّة فأسمر [٩٥٠] بها كما يسمر الشّباب، فخرجت أريد ذلك حتّى إذا جئت أوّل دار من دور مكّة سمعت عزفاً [٩٥١] بالدفّ والمزامير، فقلت: ما هذا؟ قالوا: هذا فلان تزوّج ابنة فلان. فجلست أنظر إليهم، فضرب الله على أذني، فكنت [٩٥٢] فما أيقظني إلّا مسّ الشمس، فجئت [٩٥٣] إلى صاحبي فقال: ما فعلت؟ فقلت: ما صنعت شيئاً ثمّ أخبرته الخبر، ثمّ قلت له ليلة أخرى مثل ذلك، فقال: افعل. فخرجت فسمعت حين دخلت مكّة مثل ما سمعت حين دخلتها تلك الليلة، فجلست أنظر فضرب الله على أذني، فما أيقظني إلّامسّ الشمس، فرجعت إلى صاحبي فأخبرته الخبر، ثمّ ما هممت بعدها بسوء حتّى أكرمني الله برسالته.

وروى محمّد بن حبيب في أماليه قال: قال رسول الله ـ صلّى الله عليه و آله ـ: أذكر و أنا غلام ابن سبع سنين، و قد بنى ابن جذعان داراً له بمكّة، فجئت مع الغلمان

٩٤٩ ـ الجنّ: ٢٧.

٩٥٠ ـ «سمر» لم ينم وتحدّث ليلاً.

٩٥١ ـ «العزف» صوت الدف والطنبور والعود وغيرها من آلات الطرب.

٩٥٢ ـ في المصدر: فنمت. وهو الموجود في تاريخ الطبري أيضاً.

٩٥٣ ـ في المصدر: فرجعت؛ وفي الطبريّ: فجئت. راجع تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٣٤.

نأخذ التراب والمدر في حجورنا فننقله فملأت حجري تراباً، فانكشفت عورتي، فسمعت نداءً من فوق رأسي: يا محمّد أرخ إزارك ! فجعلت أرفع رأسي فلا أرى شيئاً إلّا أنّي أسمع الصوت، فتماسكت لم أرخه، فكأنّ إنساناً ضربني على ظهري فخررت لوجهي، و انحلّ إزاري و سقط[۹۵۴] التراب إلى الأرض، فقمت إلى دار أبي طالب عمّي ولم أعد.

فأمّا حديث مجاورته ــ صلّى الله عليه وآله ــ بحرآء فمشهور، و قد ورد في الكتب الصحاح أنّه كان يجاور في حراء من كلّ سنة شهراً، و كان يطعم في ذلك الشهر من جاءه من المساكين، فإذا قضى جواره من حرآء كان أوّل ما يبدأ به إذا انصرف أن يأتي باب الكعبة قبل أن يدخل بيته فيطوف بها سبعاً أو ماشاءالله من ذلك، ثمّ يرجع إلى بيته حتى جاءت السنة الّتي أكرمه الله ــ تعالى ــ فيها بالرسالة فجاور في حرآء في شهر رمضان و معه أهله خديجة و عليّ بن أبي طالب و خادم لهم، فجاءه جبرئيل بالرسالة، قال ــ صلّى الله عليه وآله ــ: جاءني و أنا نائم بنمط[۹۵۵] فيه كتاب فقال: اقرأ! قلت: ما أقرأ؟ ففتّني[۹۵۶] حتّى ظننت أنّه الموت ثمّ أرسلني فقال: «ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ...» إلى قوله: «عَلَّمَ ٱلْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ»[۹۵۷]. فقرأته ثمّ انصرف عنّي، فهببت[۹۵۸] من نومي، و كأنّما كتب في قلبي كتاب. و ذكر تمام الحديث.

و أمّا حديث «أنّ الإسلام لم يجتمع عليه بيت واحد يومئذٍ إلّا النبيّ و هو[۹۵۹] ــ عليهما السلام ــ و خديجة» فخبر عفيف الكنديّ مشهور[۹۶۰]، و قد ذكرناه من

۹۵۴ ـ في المصدر: وانحلّ إزاري فستزني وسقط.

۹۵۵ ـ «النمط» ضرب من البسط؛ وعاء كالسفط. والظاهر أنّ المراد هنا الثاني.

۹۵۶ ـ في المصدر: «فغتّني» بالغين، أي خنقني.

۹۵۷ ـ العلق: ۱ ـ ۵.

۹۵۸ ـ أي فاستيقظت. وفي المصدر: فانتبهت.

۹۵۹ ـ أي عليّ ـ عليه السلام ـ.

۹۶۰ ـ هذا الحديث مشهور بين العامّة والخاصّة، بل متواتر وعليه أصحابنا الإماميّة من سالف الزمان إلى الآن. وتقدّم ذلك ويأتي في أحاديث كثيرة في محلّه.

قبل، و أنّ أباطالب قال له: أتدري من هذا؟ قال: لا. قال: هذا محمّد[٩٦١] بن عبدالله بن عبدالمطلب، و هذا ابني علي بن أبي طالب، و هذه المرأة خلفهما خديجة بنت خويلد زوجة محمّدابن أخي؛ و أيم الله ما أعلم على الأرض كلّها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة.[٩٦٢]

و قال أيضاً: روى محمّدبن إسحاق بن يسار في كتاب السيرة النبويّة، و رواه أيضاً محمّدابن جرير الطبريّ في تاريخه قال: كانت حليمة بنت أبي ذؤيب السعديّة أُمّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ الّتي أرضعته تحدّث أنّها خرجت من بلدها و معها زوجها و ابن لها ترضعه في نسوة من بني سعدبن بكر يلتمس الرضعاء بمكّة في سنة شهباء لم تبق شيئاً، قالت: فخرجت على أتان لنا قرآء عجفآء، و معنا شارف لنا ما تبضّ[٩٦٣] بقطرة، ولا ننام ليلنا أجمع من بكاء صبيّنا الّذي معنا من الجوع؛ ما في ثديي ما يغنيه، ولا في شارفنا[٩٦٤] ما يغذيه، و لكنّا نرجو الغيث والفرج. فخرجت على أتاني تلك ولقد راثت بالركب ضعفاً و عجفاً حتى شقّ ذلك عليهم حتى قدمنا مكّة نلتمس الرضعاء[٩٦٥]؛ فما منّا امرأة إلّا و قد عرض عليها محمّد فتأباه إذا قيل لها: إنّه يتيم، و ذلك أنّا إنّما كنّا نرجو المعروف من أبي الصبيّ، فكنّا نقول: يتيم، ما عسى أن تصنع أُمّه وجدّه، فكنّا نكرهه لذلك؛ فما بقيت امرأة ذهبت معي إلّا أخذت رضيعاً غيري. فلمّا اجتمعنا للانطلاق قلت لصاحبي: والله إنّي لأكره أن أرجع من بين صواحبي لم آخذ رضيعاً، والله لأذهبنّ إلى ذلك اليتيم فلآخذنّه، قال: لاعليك أن تفعلي، و عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة، فذهبت إليه فأخذته و ما يحملني على أخذه إلّا أنّي لم أجد غيره.

قالت: فلمّا أخذته رجعت إلى رحلي فلمّا وضعته في حجري أقبل عليه ثدياي

٩٦١ـ في المصدر: هذا ابن أخي محمّد.

٩٦٢ـ شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ١٩٨ ـ ٢٠٠، ط بيروت.

٩٦٣ـ قال الجزريّ: «ماتبضّ ببلال» أي مايقطر منها بلبن، يقال: «بضّ الماء» إذا قطر وسال.

٩٦٤ـ «الشارف» المسنّة من النوق.

٩٦٥ـ في المصدر: الرضاع.

بماشاء من لبن، فرضع حتّى روى، و شرب معه أخوه حتى روى، و ما كنّا ننام قبل ذلك من بكاء صبيّنا جوعاً، فنام و قام زوجي إلى شارفنا تلك فنظر إليها فإذا أنّها حافل فحلب منها ماشرب و شربت حتّى انتهينارياً و شبعاً، فبتنا بخير ليلة.

قالت: يقول صاحبي حين أصبحنا: تعلمين؟![٩٦٦] والله يا حليمة لقد أخذت نسمة مباركة.

فقلت: والله إنّي لأرجو ذلك.

ثمّ خرجناو ركبت أتاني تلك و حملته معي عليها، فوالله لقطعت بالركب ما يقدر عليها شيء من حميرهم حتى أنّ صواحبي ليقلن لي: ويحك يا بنت أبي ذؤيب اربعي[٩٦٧] علينا، أليس هذه أتانك التي كنت خرجت عليها؟

فأقول لهنّ: بلى والله إنّها هي.

فيقلن: والله إنّ لها لشأناً.

قالت: ثمّ قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد و ما أعلم أرضاً من أرض العرب أجدب منها، فكانت غنمي تروح عليّ حين قدمنا به معنا شباعا ملاء لبنا[٩٦٨]، فكنّا نحتلب و نشرب و ما يحلب إنسان قطرة لبن، ولا يجدها في ضرع حتى أنّ الحاضر من قومنا ليقولون لرعاتهم: ويلكم اسرحواحيث يسرح راعي ابنة أبي ذؤيب؛ فيفعلون فيروح أغنامهم جياعاً ما تبضّ بقطرة، و تروح غنمي شباعا لبّناً، فلم نزل نعرف من الله الزيادة والخير به حتّى مضت سنتاه و فصلته[٩٦٩]، فكان يشبّ شباباً لايشبه الغلمان حتّى كان غلاماً جفرا فقدمنا به على أُمّه آمنة بنت وهب و نحن أحرص شيء على مكثه فينالما كنّانرى من بركته. فكلّمنا أمّه و قلناها: لو تركتيه[٩٧٠] عندنا حتّى يغلظ فإنّا نخشى عليه وباءُ مكّة. فلم نزل بها حتّى ردّته معنا فرجعنا به إلى بلاد

٩٦٦ - في المصدر: أتعلمين؟!

٩٦٧ - أي أقيمي وانتظري، ويقال: «ربع فلان على فلان» إذا أقام وانتظره.

٩٦٨ - في السيرة: شباعاً لبناً. قلت: أي غزيرات اللبن.

٩٦٩ - «فصل الصبيّ عن الرضاع» فطمه.

٩٧٠ - في المصدر: لوتركته. وفي السيرة وتاريخ الطبري: لوتركت بنيّ عندي.

بني سعد، فوالله إنه لبعد ما قدمنا بأشهر مع أخيه في بهم لنا خلف بيوتنا إذ أتانا أخوه يشتدّ[٩٧١] فقال لي ولأبيه: ها هو ذاك أخي القرشيّ قدجاءه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه و شقّابطنه فهمايسوطانه.

قالت: فخرجت أنا و أبوه نشتدّ نحوه فوجدناه قائماً منتقعاً وجهه، فالتزمته والتزمه أبوه و قلنا: مالك يا بني؟ قال: جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني، ثمّ شقّا بطني، فالتمسا فيه شيئاً لا أدري ما هو.

قالت: فرجعنا به إلى خبائنا، و قال لي أبوه: يا حليمة! لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أُصيب[٩٧٢] فألحقيه بأهله[٩٧٣].

قالت: فاحتملته حتى قدمت به على أُمّه، فقالت: ما أقدمك به يا ظئر[٩٧٤] و قد كنت حريصة عليه و على مكثه عندك؟

فقلت لها: قد بلغ الله بابني و قضيت الّذي عليّ، و تخوّفت عليه الأحداث، و أدّيته إليك كما تحبّين.

قالت: ما هذا شأنك فاصدقيني خبرك.

قالت: فلم تدعني حتى أخبرتها الخبر.

قالت: أفتخوّفت عليه الشيطان؟

قلت: نعم.

قالت: كلاّ والله ما للشيطان عليه من سبيل و إنّ لابني لشأناً، أفلا أخبرك خبره؟

قلت: بلى.

قالت: رأيته[٩٧٥] حين حملت به أنّه خرج منّي نور أضاءت له قصور بصرى

٩٧١ـ يشتدّ (خ ل). وهو الموجود في السيرة والتاريخ.

٩٧٢ـ أي أصابه الجنّ، أو طرف من الجنون.

٩٧٣ـ في السيرة وتاريخ الطبري: فألحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك به.

٩٧٤ـ «الظئر» المرأة المرضعة.

٩٧٥ـ في المصدر والسيرة والتاريخ: رأيت.

من الشام، ثمّ حملت به، فوالله ما رأيت حملاقطّ كان أخفّ ولا أيسرمنه، ثمّ وقع حين ولدته و إنّه واضع يديه بالأرض، و رافع رأسه إلى السماء، دعيه عنك، و انطلقي راشدة.[٩٧٦]

و روى الطبريّ في تاريخه عن شدّاد بن أوس، قال: سمعت رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ يحدّث عن نفسه و يذكر ما جرى له و هو طفل في أرض بني سعدبن بكر، قال: لمّا ولدت استرضعت في بني سعد، فبينا أنا ذات يوم منتبذاً من أهلي في بطن وادمع أتراب[٩٧٧] لي من الصبيان نتقاذف بالجلّة إذ أتاني رهط ثلاثة، معهم طست من ذهب مملوّة ثلجاً، فأخذوني من بين أصحابي، فخرج أصحابي هراباً حتّى انتهوا إلى شفير[٩٧٨] الوادي، ثمّ عادوا إلى الرهط فقالوا: ما رابكم إلى هذا الغلام فإنّه ليس منّا، هذاابن سيّد قريش و هو مسترضع فينا غلام يتيم ليس له أب، فماذا يردّ عليكم قتله؟ و ماذا تصيبون من ذلك؟ ولكن إن كنتم لابدّ قاتليه فاختاروا منّا أيّنا شئتم فاقتلوه مكانه و دعوا هذا الغلام، فإنّه يتيم.

فلمّا رأى الصبيان أنّ القوم لايحيرون لهم جواباً[٩٧٩] انطلقوا هراباً مسرعين إلى الحيّ يؤذنونهم و يستصرخونهم على القوم، فعمد أحدهم فأضجعني إضجاعاً لطيفاً، ثمّ شقّ ما بين مفرق صدري إلى منتهى عانتي و أنا أنظر إليه فلم أجد لذلك مسّاً[٩٨٠]، ثمّ أخرج أحشاء بطني فغسلها بذلك الثلج، فأنعم غسلها[٩٨١] ثمّ أعادها مكانها؛ ثمّ قام الثاني منهم فقال لصاحبه: تنحّ! فنحّاه عنّي، ثمّ أدخل يده في جوفي و أخرج قلبي و أنا أنظر إليه فصدعه، ثمّ أخرج منه مضغة سوداء فرماها، ثمّ قال بيده: يمنة منه، و

٩٧٦ـ شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ٢٠١ـ٢٠٤، ط بيروت، والسيرة لابن هشام، ج ١، ص ١٧٣ـ١٧٧، وتاريخ الطبريّ، ج ١، ص ٥٧٣ـ٥٧٩.

٩٧٧ـ «أتراب» أصدقاء، أو من ولد معه.

٩٧٨ـ «شفير الوادي» ناحيته من أعلاه.

٩٧٩ـ «أحار الجواب» ردّه.

٩٨٠ـ في المصدر: ولم أجد لذلك حسّاً.

٩٨١ـ أي بالغ في ذلك وأجاد.

كأنّه يتناول شيئاً فإذا في يده خاتم من نور تحار أبصار الناظرين دونه، فختم به قلبي، ثمّ أعاده مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم في قلبي دهراً؛ ثمّ قال الثالث لصاحبه: تنحّ عنه! فأمرّ يده ما بين مفرق صدري إلى منتهى عانتي، فالتأم ذلك الشقّ، ثمّ أخذ بيدي فأنهضني من مكاني إنهاضاً لطيفاً و قال للأوّل الّذي شقّ بطني: زنه بعشرة من أُمّته. فوزنني بهم فرجحتهم. فقال: دعوه فلو وزنتموه بأُمّته كلّها لرجحهم. ثمّ ضمّوني إلى صدورهم و قبّلوا رأسي و ما بين عينيّ. و قالوا: يا حبيب[٩٨٢]! لا ترع إنّك لوتدري ما يرادبك من الخير لقرّت عيناك. فبينا أنا كذلك إذا أنا بالحيّ قد جاؤوا بحذا فيرهم، و اذا أُمّي و هي ظئري أمام الحيّ تهتف بأعلى صوتها و تقول: يا ضعيفاه! فانكبّ عليّ أولئك الرهط فقبّلوا رأسي و بين عينيّ و قالوا: حبّذا أنت من ضعيف. ثم قالت ظئري: يا وحيداه! فانكبّوا عليّ و ضمّوني إلى صدورهم و قبّلوا رأسي و بين عينيّ، ثمّ قالوا: حبّذا أنت من وحيدٍ، و ما أنت بوحيدٍ، إنّ الله و ملائكته معك والمؤمنين من أهل الأرض. ثمّ قالت ظئري: يا يتيماه! استضعفت من بين أصحابك فقتلت لضعفك. فانكبّوا عليّ و ضمّوني إلى صدورهم و قبّلوا رأسي و ما بين عينيّ و قالوا: حبّذا أنت من يتيم، ما أكرمك على الله، لو تعلم ما يرادبك من الخير.

قال: فوصل الحيّ إلى شفير الوادي فلمّا بصرت بي أُمّي و هي ظئري قالت: يا بنيّ لاأراك حيّاً بعد[٩٨٣]، فجاءت حتّى انكبّت عليّ و ضمّتني إلى صدرها؛ فوالّذي نفسي بيده إنّي لفي حجرها قد ضمّتني إليها و إنّ يدي لفي يد بعضهم، فجعلت ألتفت إليهم و ظننت أنّ القوم يبصرونهم، فإذاهم لايبصرونهم، فيقول بعض القوم: إنّ هذا الغلام قد أصابه لمم أوطائف من الجنّ، فانطلقوا به إلى كاهن بني فلان حتّى ينظر إليه و يداو يه.

فقلت: ما بي شيء ممّا يذكر، إنّ نفسي سليمة[٩٨٤] و إنّ فؤادي صحيح

٩٨٢ـ في المصدر: ياحبيب الله.

٩٨٣ـ في المصدر وتاريخ الطبريّ: ألا أراك حيّاً بعد؟

٩٨٤ـ في تاريخ الطبريّ: إنّ آرائي صحيحة.

ليست بي قلبة.

فقال أبي و هوزوج ظئري: ألا ترون كلامه صحيحاً؟ إنّي لأرجو أن لايكون على ابني بأس.

فاتّفقوا على أن يذهبوابي إلى الكاهن، فاحتملوني حتّى ذهبوابي إليه فقصّوا عليه قصّتي، فقال: اسكتوا حتّى أسمع من الغلام فهو أعلم بأمره منكم.

فسألني فقصصت عليه أمري و أنا يومئذٍ ابن خمس سنين ؛ فلمّا سمع قولي وثب و قال: يا للعرب اقتلوا هذا الغلام، فهو واللات والعزّى لئن عاش ليبدلنّ دينكم، و ليخالفنّ أمركم، و ليأتينّكم بما لم تسمعوا به قطّ.

فانتزعتني ظئري من حجره و قالت: لو علمت[٩٨٥] أنّ هذا يكون من قولك ما أتيتك به[٩٨٦] ثمّ احتملوني. فأصبحت و قد صارفي جسدي أثر الشقّ ما بين صدري إلى منتهى عانتي كأنّه الشراك.[٩٨٧]

بيان: أقول: رواه الكازرونيّ في المنتقى بأسانيد[٩٨٨] ولنشرح بعض ألفاظها: «الرضعاء» جمع «رضيع». و قال الجزريّ: في حديث حليمة: «في سنة شهباء» أي ذات قحط وجدب، و قال: «القمراء» الشديدة البياض. قولها «رائث» من «الريث»، بمعنى الإبطاء؛ و في أكثر رواياتهم: «ولقد أذمّت» قال الجزريّ: و منه

٩٨٥- في تاريخ الطبريّ: فاقتصصت عليه أمري مابين أوّله وآخره، فلمّا سمع وثب إليّ وضمّني إلى صدره، ثمّ نادى بأعلى صوته: ياللعرب! ياللعرب! اقتلوا هذا الغلام واقتلوني معه، فواللات والعزّى لئن تركتموه وأدرك، ليبدّلنّ دينكم وليسفّهنّ عقولكم وعقول آبائكم وليخالفنّ أمركم وليأتينّكم بدين لم تسمعوا بمثله قطّ.
فعمدت ظئري فانتزعتني من حجره وقالت: لأنت أعته وأجنّ من ابني هذا، فلو علمت.

٩٨٦- في تاريخ الطبريّ بعد ذلك: فاطلب لنفسك من يقتلك، فأنا غير قاتلي هذا الغلام، ثمّ احتملوني فأدّوني إلى أهلي، فأصبحت مفزعاً ممّا فعل بي وأصبح أثر الشقّ. اه

٩٨٧- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ٢٠٤-٢٠٧، ط بيروت، و تاريخ الطبريّ، ج ١، ص ٥٧٥-٥٧٧.

٩٨٨- المنتقى في مولود المصطفى، الباب الثّاني والثالث من القسم الثاني. قلت: ذكرت سابقاً أنّ حديث شقّ الصدر ممّا رواه

حديث حليمة «فلقد أذمّت بالركب» أي حبستهم لانقطاع سيرها، كأنّها حملت الناس على ذمّها. انتهى. و «العجف» الهزال. «حتى انتهينا ربّا» أي بلغنا غايته. «لقطعت بالركب» أي من سرعة سيرها و شدّة تقدّمها انقطع الركب عنها. و «اربعي» أي ارفقي بنا و انتظري بنا. و «اللبن» بمعنى اللّبون.

و قال الجزري: في حديث حليمة: «كان يشبّ في اليوم شباب الصبيّ في الشهر فبلغ ستّاً و هو جفر»، «استجفر الصبيّ» إذا قوى على الأكل، وأصله في أولاد المعز إذا بلغ أربعة أشهر و فصل عن أمّه و أخذ في الرعي، قيل له: «جفر» والأنثى «جفرة». انتهى.

و «البهم» جمع «بهمة» و هي أولاد الضأن. و «السوط» خلط الشيء بعضه ببعض، و «المسواط» ما يساط به القدر ليختلط بعضه ببعض. قوله «منتقعاً» أي متغيّراً. و «الجلّة» بالفتح، البعر. قوله «ماربكم»[989] أي ماشكّكم، و معناه هاهنا: ما دعاكم إلى أخذ هذا. قوله «ماذا يردّ عليكم» أي ما ينفعكم ذلك. قوله «فأنعم غسلها» أي بالغ فيه. قوله «ثمّ قال بيده يمنة» أي أشار بيده، أومدّها إلى جانب يمينه. و «القلبة» الداء.[990]

[٢ــ كيفيّة عبادة النبيّ ــصلّى الله عليه وآله ــقبل البعثة]

تذنيب: اعلم أنّ علماء الخاصّة والعامّة اختلفوا في أنّ النبيّ ــصلّى الله عليه وآله ــهل كان قبل بعثته متعبّداً بشريعة أم لا؟

العامّة، والإماميّة لايقول به، وهذا أيضاً كماترى من مرويّاتهم.

٩٨٩ــ في المصدر وتاريخ الطبري: ما إربكم.

٩٩٠ــ بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١٥، كتاب تاريخ نبيّنا صلّى الله عليه وآله، ص ٣٦١ــ٣٦٩.

قال العلاّمة ــ قدس الله روحه ــ في شرحه على مختصر ابن الحاجب: اختلف الناس في أنّ النبيّ ــ صلّى الله عليه وآله ــ هل كان متعبّداً بشرع أحد من الأنبياء قبله قبل النبوّة أم لا؟

فذهب جماعة إلى أنّه كان متعبّداً و نفاه آخرون كأبي الحسين البصريّ و غيره و توقّف الغزاليّ والقاضي عبدالجبّار؛ والمثبتون اختلفوا فذهب بعضهم إلى أنّه كان متعبّداً بشرع نوح ــ عليه السلام ــ و آخرون قالوا بشرع إبراهيم ــ عليه السلام ــ و آخرون بشرع موسى ــ عليه السلام ــ و آخرون بشرع عيسى ــ عليه السلام ــ و آخرون قالوا: بماثبت أنّه شرع.

و استدلّ المصنف على أنّه كان متعبّداً بشرع من قبله بما نقل نقلاً يقارب التواتر أنّه كان يصلّي و يحجّ و يعتمر و يطوف بالبيت و يتجنّب الميتة و يذكّي و يأكل اللحم و يركب الحمار و هذه أمور لايدركها العقل فلامصير إليها إلّا من الشرع؛ و استدلّ آخرون على هذا المذهب أيضاً بأنّ عيسى ــ عليه السلام ــ كان مبعوثاً إلى جميع المكلّفين، و النبيّ ــ صلّى الله عليه وآله ــ كان من المكلّفين، فيكون عيسى ــ عليه السلام ــ مبعوثاً إليه.

والجواب: لانسلّم عموم دعوة من تقدّمه.

و احتجّ المخالف بأنّه لوكان متعبّداً بشرع من قبله لكان مخالطاً لأهل تلك الشريعة قضاء للعادة الجارية بذلك أو لزمته المخالطة لأرباب تلك الشريعة بحيث يستفيد منهم الأحكام، و لمّا كان التالي باطلاً إجماعاً فكذا المقدّم.

والجواب: لانسلّم وجوب المخالطة لأنّ الشرع المنقول إليه عمّن تقدّمه إن كان متواتراً فلا يحتاج إلى المخالطة والمناظرة، و إن كان آحاداً فهو غير مقبول خصوصاً مع اعتقاده بأنّ أهل زمانه ــ صلّى الله عليه وآله ــ كانوا في غاية الإلحاد.

سلّمنا أنّه كان يلزم المخالطة، لكنّ المخالطة قد لاتحصل لموانع تمنع منها، فيحتمل[٩٩١] ترك المخالطة لمن يقاربه من أرباب الشرائع المتقدّمة على تلك الموانع، جمعاً بين الأدلّة. انتهى.

و قال المرتضى ــ رضي الله عنه ــ في كتاب الذريعة: هل كان رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ متعبّداً بشرائع من تقدّمه من الأنبياء ــ عليهم السلام ــ؟

في هذا الباب مسألتان: إحداهما قبل النبوّة، و الأخرى بعدها. و في المسألة الأولى ثلاثة مذاهب:

أحدها أنّه ــ صلّى الله عليه وآله ــ ما كان متعبّداً قطعاً، والآخر أنّه كان متعبّداً قطعاً، والثالث التوقّف وهذا هو الصحيح، والّذي يدلّ عليه أنّ العبادة بالشرائع تابعة لما يعلمه الله ــ تعالى ــ من المصلحة بها في التكليف العقليّ، ولا يمتنع أن يعلم الله ــ تعالى ــ أن لا مصلحة للنبيّ ــ صلّى الله عليه وآله ــ قبل نبوّته في العبادة بشيء من الشرائع، كما أنّه غير ممتنع أن يعلم أنّ له ــ صلّى الله عليه وآله ــ في ذلك مصلحة. و إذا كان كلّ واحد من الأمرين جائزاً ولا دلالة توجب القطع على أحدهما، وجب التوقّف.

و ليس لمن قطع على أنّه ما كان متعبّداً أن يتعلّق بأنّه لوكان تعبّد[٩٩٢] ــ صلّى الله عليه وآله ــ بشيء من الشرائع لكان فيه متبعاً لصاحب تلك الشريعة و مقتدياً به، و ذلك لايجوز لأنّه أفضل الخلق و اتّباع الأفضل للمفضول قبيح، و ذلك أنّه غير ممتنع أن يوجب الله ــ تعالى ــ عليه ــ صلّى الله عليه وآله ــ بعض ما قامت عليه الحجّة به من بعض الشرائع المتقدّمة لاعلى وجه الاقتداء بغيره فيها ولا الاتّباع. و ليس لمن قطع على أنّه ــ صلّى الله عليه وآله ــ كان متعبّداً أن يتعلّق بأنّه ــ صلّى الله عليه وآله ــ كان يطوف بالبيت و يحجّ و يعتمر و يذكّي و يأكل المذكّى و يركب البهائم و يحمل عليها، و ذلك أنّه لم يثبت عنه ــ صلّى الله عليه وآله ــ أنّه قبل النبوّة حجّ

٩٩١ــ فيحمل (خ ل).
٩٩٢ــ لعلّ الصحيح: لوكان تعبّد.

أو اعتمر، ولو ثبت لقطع به على أنّه كان متعبّداً، و بالتظنّي لايثبت مثل ذلك؛ ولم يثبت أيضاً أنّه ـ صلّى الله عليه وآله ـ تولّى التذكيه بيده. وقد قيل أيضاً إنّه لو ثبت أنّه ذكّى بيده لجاز أن يكون من شرع غيره في ذلك الوقت أن يستعين بغيره في الذكاة، فذكّى على سبيل المعونة لغيره. و أكل لحم المذكّى لاشبهة في أنّه غير موقوف على الشرع، لأنّه بعد الذكاة قد صار مثل كلّ مباح من المأكل و ركوب البهائم والحمل عليها يحسن عقلاً إذا وقع التكفّل بما يحتاج إليه من علف و غيره، ولم يثبت أنّه ـ صلّى الله عليه وآله ـ فعل من ذلك ما لا يستباح بالعقل فعله، و ليس علمه ـ صلّى الله عليه وآله ـ بأنّ غيره نبيّ بالدليل يقتضي كونه متعبّداً بشريعته، بل لابدّ من أمر زائد على هذا العلم.

فأمّا المسألة الثانية، فالصحيح أنّه ـ صلّى الله عليه وآله ـ ما كان متعبّداً بشريعة نبيّ تقدّم، و سندلّ عليه بعون الله، و ذهب كثير من الفقهاء إلى أنّه كان متعبّداً.

و لابدّ قبل الكلام في هذه المسألة من بيان جواز أن يتعبّد الله ـ تعالى ـ نبيّاً بمثل شريعة النبيّ الأوّل، لأنّ ذلك إذا لم يجز سقط الكلام في هذا الوجه من المسألة.

و قد قيل: إنّ ذلك يجوز على شرطين: إمّا بأن تندرس الأولى فيجدّدها الثاني، أو بأن يزيد فيها ما لم يكن منها، و يمنعون من جواز ذلك على غير أحد هذين الشرطين و يدّعون أنّ بعثته على خلاف ما شرطوه تكون عبثاً، ولا يجب النظر في معجزته ولابدّ من وجوب النظر في المعجزات.

و ليس الأمر على ما قالوه، لأنّ بعثة النبيّ الثاني لا تكون عبثاً، إذا علم الله ـ تعالى ـ أنّه يؤمن عندها و ينتفع من لم ينتفع بالأوّل، ولو لم يكن الأمر أيضاً كذلك كانت البعثة الثانية على سبيل ترادف الأدلّة الدالّة على أمر واحد، ولا يقول أحد: إنّ نصب الأدلّة على هذا الوجه يكون عبثاً.

فأمّا الوجه الثاني، فإنّا لا نسلّم لهم أنّ النظر في معجز كلّ نبيّ يبعث لابدّ من أن يكون واجباً، لأنّ ذلك يختلف؛ فإن خاف المكلّف من ضرر إن هو لم ينظر

وجب النظر عليه، وإن لم يخف لم يكن واجباً. و قد استقصينا هذاالكلام و فرغناه في كتاب الذخيرة.

والّذي يحقّق هذه المسألة أنّ تعبّده ــ صلّى اللّه عليه وآله ــ بشرع من تقدّمه لابدّ فيه من معرفة أمرين: أحدهما نفس الشرع والآخر كونه متعبّداً به؛ وليس يخلو من أن يكون علم ــ صلّى اللّه عليه وآله ــ كلا الأمرين بالوحي النازل عليه والكتاب المسلّم إليه، أو يكون علم الامرين من جهة النبيّ المتقدّم، أو يكون علم أحدهما من هذا الوجه والآخر من غير ذلك الوجه.

والوجه الأوّل يوجب أن لايكون متعبّداً بشرائعهم إذا فرضنا أنّه بالوحي إليه علم الشرع والتعبّد معاً، و أكثر ما في ذلك أن يكون تعبّد بمثل شرائعهم، و إنّما يضاف الشرع إلى الرسول إذا حمله ولزمه أداءه، و يقال في غيره: إنّه متعبّد بشرعه متى دعاه إلى اتّباعه وألزمه الانقياد له، فيكون مبعوثاً إليه؛ و إذا فرضنا أنّ القرآن والوحي وردا ببيان الشرع و إيجاب الاتّباع فذلك شرعه ــ صلّى اللّه عليه وآله ــ لا يجب إضافته إلى غيره.

و أمّا الوجه الثاني فهو و إن كان خارجاً من أقوال الفقهاء المخالفين لنا في هذه المسألة فاسد من جهة أنّ نقل اليهود و من جرى مجراهم من الأمم الماضية قدبيّن في مواضع أنّه ليس بحجّة لانقراضهم و عدم العلم باستواء أوّلهم و آخرهم، و أيضاً فإنّه ــ صلّى اللّه عليه وآله ــ مع فضله على الخلق لايجوز أن يكون متّبعاً لغيره من الأنبياء المتقدّمين ــ عليهم السلام ــ؛ ثمّ هذا القول يقتضي أن لا يكون ــ صلّى اللّه عليه وآله ــ بأن يكون من أمّة ذلك النبيّ بأولى منّا، ولا بأن تكون متعبّدين بشرعه بأولى من أن يكون متعبّداً بشرعنا، لأنّ حاله كحالنا في أنّنا من أمّة ذلك النبيّ.

و بهذه الوجوه الّتي ذكرناها نبطل القسمين الّذين فرغناهما، و ممّا يدلّ على حجّة ما ذكرناه و فساد قول مخالفينا أنّه قدثبت عنه ــ صلّى اللّه عليه وآله ــ توقّفه في أحكام معلوم أنّ بيانها في التوراة و انتظاره فيها نزول الوحي، ولو كان متعبّداً بشريعة موسى ــ عليه السلام ــ لماجرى ذلك؛ و أيضاً فلوكان الأمر على ما قالوه لكان يجب أن

يجعل ـ صلّى الله عليه وآله ـ كتب من تقدّمه في الأحكام بمنزلة الأدلّة الشرعيّة، و معلوم خلافه؛ و أيضاً فقد نبّه ـ صلّى الله عليه وآله ـ في خبر معاذ على الأدلّة فلم يذكر في جملتها التوراة والإنجيل؛ و أيضاً فإنّ كلّ شريعته مضافة إليه بالإجماع، ولو كان متعبّداً بشرع غيره لما جاز ذلك؛ و أيضاً فلا خلاف بين الأمّة في أنّه ـ صلّى الله عليه وآله ـ لم يؤدّ إلينا من أصول الشرائع إلّا ما أوحي إليه و حمله؛ و أيضاً فإنّه لاخلاف في أنّ شريعته ـ صلّى الله عليه وآله ـ ناسخة لكلّ الشرائع المتقدّمة من غير استثناء، فلوكان الأمر كما قالوه لما صحّ هذا الإطلاق؛ وأيضاً فإنّ شرائع من تقدّم مختلفة متضادّة فلايصحّ كونه متعبّداً بكلّها فلابدّ من تخصيص و دليل يقتضيه، فإن ادّعوا أنّه متعبّد بشريعة عيسى ـ عليه السلام ـ بأنّها ناسخة لشريعة من تقدّم فذلك منهم ينقض تعلّقهم بتعرّفه ـ صلّى الله عليه وآله ـ من اليهود في التوراة، فأمّا رجوعه في رجم المحصن إليها فلم يكن لأنّه كان متعبّداً بذلك، لأنّه لوكان الرجوع لهذه العلّة لرجع ـ صلّى الله عليه وآله ـ في غير هذا الحكم إليها، و إنّما رجع لأمر آخر؛ و قد قيل: إنّ سبب الرجوع أنّه ـ صلّى الله عليه وآله ـ كان خبّر بأنّ حكمه في الرجم يوافق ما في التوراة فرجع إليها تصديقاً لخبره و تحقيقاً لقوله ـ صلّى الله عليه وآله ـ. انتهى.

و قال المحقّق أبوالقاسم الحلّيّ ـ طيّب الله رمسه ـ في أصوله: شريعة من قبلنا هل هي حجّة في شرعنا؟

قال قوم: نعم ما لم يثبت نسخ ذلك الحكم بعينه. و أنكرالباقون ذلك وهو الحقّ. لنا وجوه:

الأوّل: قوله ـ تعالى ـ: «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى» [٩٩٣].

الثاني: لوكان متعبّداً بشرع غيره لكان ذلك الغير أفضل، لأنّه يكون تابعاً لصاحب ذلك الشرع، و ذلك باطل بالاتّفاق.

الثالث: لوكان متعبّداً بشرع غيره لوجب عليه البحث عن ذلك الشرع، لكن ذلك باطل، لأنّه لو وجب لفعله، ولو فعله لاشتهر، ولوجب على الصحابة والتابعين

٩٩٣ـ النجم: ٣ـ ٤.

بعده والمسلمين إلى يومنا هذا متابعته ـ صلّى الله عليه وآله ـ على الخوض فيه، و نحن نعلم من الدين خلاف ذلك.

الرابع: لوكان متعبّداً بشرع من قبله لكان طريقه إلى ذلك إمّا الوحي أوالنقل، و يلزم من الأوّل أن يكون شرعاً له لاشرعاً لغيره، و من الثاني التعويل على نقل اليهود و هو باطل، لأنّه ليس بمتواتر لما تطرّق إليه من القدح المانع من إفادة اليقين، و نقل الآحاد منهم لايوجب العمل لعدم الثقة.

و احتجّ الآخرون بقوله ـ تعالى ـ: «فَبِهُدَيهُمُ اقْتَدِهْ»[٩٩٤] و بقوله: «ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً»[٩٩٥] و بقوله: «شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً»[٩٩٦] و بقوله: «إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ»[٩٩٧] و بقوله: «إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَيٰةَ فِيهَا هُدىً وَ نُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ»[٩٩٨] و بأنّه ـ صلّى الله عليه وآله ـ رجع في معرفة الرجم في الزنا إلى التورية.

أجاب الأوّلون عن الآية الأولى بأنّها تتضمّن الأمر بالاهتداء بهديهم كلّهم، فلايكون ذلك إشارة إلى شرعهم، لأنّه مختلف، فيجب صرفه إلى ما اتّفقوا عليه و هو دلائل العقائد العقليّة دون الفروع الشرعيّة.

و عن الثاني بأنّ ملّة إبراهيم ـ عليه السلام ـ المراد بها العقليّات دون الشرعيّات[٩٩٩] يدلّ على ذلك قوله [ـ تعالى ـ]: «وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ»[١٠٠٠]، فلو أراد الشرعيّات لما جاز نسخ شيء منها، و

٩٩٤ـ الأنعام: ٩٠.

٩٩٥ـ النحل: ١٢٣.

٩٩٦ـ الشورى: ١٣.

٩٩٧ـ النساء: ١٦٣.

٩٩٨ـ المائدة: ٤٤.

٩٩٩ـ وربما يقال: إنّ هذا التوجيه لاينطبق على مثل قوله ـ تعالى ـ: «وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَسَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ» (حج: ٧٨) حيث ظاهره عدم الحرج في الفروع، إلّا أن يقال ذلك أيضاً في الحرج الشديد المنفي عقلاً فيكون من العقليات أيضاً.

١٠٠٠ـ البقرة: ١٣٠.

قد نسخ كثير من شرعه، فتعيّن أنّ المراد منه العقليّات.

و عن الآية الثالثة أنّه لايلزم من وصيّة نوح ـ عليه السلام ـ بشرعنا أنّه أمره به، بل يحتمل أن يكون وصايته به أمراً منه بقبوله عند أعقابهم إلى زمانه ـ صلّى الله عليه وآله ـ ، أوْ وصّى به بمعنى أطلعه عليه و أمره بحفظه، ولو سلّمنا أنّ المراد: شرع لنا ما شرع لنوح ـ عليه السلام ـ لاحتمل أن يكون المراد به من الاستدلال بالمعقول على العقائد الدينيّة، ولو لم يحتمل ذلك لم يبعد أن يتّفق الشرعان، ثمّ لايكون شرعه حجّة علينا من حيث ورد على نبيّنا ـ صلّى الله عليه وآله ـ بطريق الوحي، فلا تكون شريعته شريعة لنا باعتبار ورودها عنه.

و عن الآية الرابعة أنّ المساواة في الوحي لا تستلزم المساواة في الشرع.

و عن الآية الخامسة أنّ ظاهرها يقتضي اشتراك الأنبياء جميعاً في الحكم بها، و ذلك غير مراد، لأنّ إبراهيم و نوحاً و إدريس و آدم ـ عليهم السلام ـ لم يحكموا بها لتقدّمهم على نزولها، فيكون المراد أنّ الأنبياء يحكمون بصحّة ورودها عن الله و أنّ فيها نوراً و هدى، ولا يلزم أن يكونوا متعبّدين بالعمل بها، كما أنّ كثيراً من آيات القرآن منسوخة و هي عندنا نور وهدى؛ و أمّا رجوعه ـ صلّى الله عليه وآله ـ في تعرّف حدّ الرجم فلانسلّم أنّ مراجعته إلى التورية لتعرّفه، بل لم لايجوز أن يكون ذلك لإقامة الحجّة على من أنكر وجوده في التورية. انتهى.

أقول: إنّما أوردنا دلائل القول في نفي تعبّده ـ صلّى الله عليه وآله ـ بعد البعثة بشريعة من قبله لاشتراكها مع ما نحن فيه في أكثر الدلائل، فإذا عرفت ذلك فاعلم أنّ الّذي ظهر لي من الأخبار المعتبرة والآثار المستفيضة هو أنّه ـ صلّى الله عليه وآله ـ كان قبل بعثته مذ أكمل الله عقله في بدوسنّه نبيّاً مؤيّداً بروح القدس، يكلّمه الملك، و يسمع الصوت، و يرى في المنام، ثمّ بعد أربعين سنة صار رسولاً، و كلّمه الملك معاينة، و نـزل عليه القرآن، و أمر بالتبليغ، و كان يعبدالله قبل ذلك بصنوف العبادات إمّا موافقاً لما أمر به الناس بعدالتبليغ و هو أظهر[۱۰۰۱]، أوعلى وجه آخر، إمّا

۱۰۰۱ ـ لأنّه لوكان على وجه آخر لكان يتغيّر بعد ما أمر بتبليغه، ولوكان ذلك لنقل إلينا، وحيث لم ينقل صحّ أن نقول: إنّه كان موافقاً لما أمربه الناس بعد.

مطابقاً لشريعة إبراهيم ـ عليه السلام ـ، أو غيره ممّن تقدمه من الأنبياء ـ عليهم السلام ـ لاعلى وجه كونه تابعاً لهم وعاملاً بشريعتهم، بل بأنّ ما أُوحي إليه ـ صلّى الله عليه وآله ـ كان مطابقاً لبعض شرائعهم، أوعلى وجه آخر نسخ بما نزل عليه بعد الإرسال.

ولا أظنّ أن يخفى صحّة ما ذكرت على ذي فطرة مستقيمة و فطنة غيرسقيمة بعد الإحاطة بما أسلفنا من الأخبار في هذا الباب و أبواب أحوال الأنبياء ـ عليهم السلام ـ و ما سنذكره بعد ذلك في كتاب الإمامة. و لنذكر بعض الوجوه لزيادة الاطمئنان على وجه الإجمال:

الأوّل: أنّ ماذكرنا من كلام أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ من خطبته القاصعة المشهورة بين العامّة والخاصّة يدلّ على أنّه ـ صلّى الله عليه وآله ـ من لدن كان فطيماً كان مؤيّداً بأعظم ملك يعلّمه مكارم الأخلاق و محاسن الآداب، وليس هذا إلّا معنى النبوّة كما عرفت في الأخبار الواردة في معنى النبوّة. وهذا الخبر مؤيّد بأخبار كثيرة سبقت في الأبواب السابقة في باب منشأه ـ صلّى الله عليه وآله ـ وباب تزويج خديجة وغيرها من الأبواب.

الثاني: الأخبار المستفيضة الدالّة على أنّهم ـ عليهم السلام ـ مؤيّدون بروح القدس من بدء حالهم بنحو مامرّ من التقرير.

الثالث: صحيحة الأحول وغيرها حيث قال: «نحو ما كان رأى رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ من أسباب النبوّة قبل الوحي حتّى أتاه جبرئيل من عندالله بالرسالة»[١٠٠٢] فدلّت على أنّه ـ صلّى الله عليه وآله ـ كان نبيّاً قبل الرسالة. ويؤيّده الخبر المشهور عنه ـ صلّى الله عليه وآله ـ: «كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين» أو «بين الروح والجسد»؛ ويؤيّده أيضاً الأخبار الكثيرة الدالّة على أنّ الله ـ تعالى ـ اتّخذ إبراهيم ـ عليه السلام ـ عبداً قبل أن يتّخذه نبيّاً، وأنّ الله اتّخذه نبيّاً قبل أن يتّخذه رسولاً، وأنّ الله اتّخذه رسولاً قبل أن يتّخذه خليلاً، وأنّ الله اتّخذه خليلاً قبل أن

١٠٠٢ـ بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١٨، كتاب تاريخ نبيّنا ـ صلّى الله عليه وآله ـ، ص ٢٦٦.

يجعله إماماً. ١٠٠٣

الرابع: مارواه الكلينيّ في الصحيح عن يزيد الكناسيّ، قال: سألت أباجعفر- عليه السلام- أكان عيسى بن مريم حين تكلّم في المهد حجّة لله على أهل زمانه؟

فقال: كان يومئذ نبيّاً حجّة لله غيرمرسل؛ أما تسمع لقوله حين قال: «إِنّي عَبْدُ اللّهِ آتانِيَ الْكِتابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً وَجَعَلَنِي مُبارَكاً أَيْنَما كُنْتُ وَأَوْصانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكاةِ مادُمْتُ حَيّاً» ١٠٠٤؟!

قلت: فكان يومئذ حجّة لله على زكريّا في تلك الحال وهو في المهد؟

فقال: كان عيسى في تلك الحال آية للناس ورحمة من الله لمريم حين تكلّم فعبّر عنها ١٠٠٥ وكان نبيّاً حجّة على من سمع كلامه في تلك الحال ثمّ صمت فلم يتكلّم حتّى مضت له سنتان، وكان زكريّا الحجّة لله على الناس بعد صمت عيسى بسنتين، ثمّ مات زكريّا فورثه ابنه يحيى الكتاب والحكمة وهوصبيّ صغير، أما تسمع لقوله- عزّ و جلّ-: «يايَحْيى خُذِ الْكِتابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْناهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً» ١٠٠٦. فلمّا بلغ عيسى- عليه السلام- سبع سنين تكلّم بالنبوة والرسالة حين أوحى الله- تعالى- إليه، فكان عيسى الحجّة على يحيى وعلى الناس أجمعين...

إلى آخر الخبر. ١٠٠٧

وقد ورد في أخبار كثيرة أنّ الله لم يعط نبيّاً فضيلة ولا كرامة ولا معجزة إلّا وقد أعطاه نبيّنا- صلّى الله عليه وآله- فكيف جاز أن يكون عيسى- عليه السلام- في المهد نبيّاً ولم يكن نبيّنا- صلّى الله عليه وآله- إلى أربعين سنة نبيّاً؟

ويؤيّده مامرّ في أخبار ولادته- صلّى الله عليه وآله- وما ظهر منه في تلك

١٠٠٣- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١٢، كتاب النبوة، ص ١٢.

١٠٠٤- مريم: ٣١.

١٠٠٥- أي تكلّم عن مريم حين سكتت وأشارت إلى ابنها.

١٠٠٦- مريم: ١٢.

١٠٠٧- أصول الكافي، ج ١، ص ٣٨٢.

الحال من إظهار النبوّة، ومامرّ وسيأتي من أحوالهم وكمالهم في عالم الأظلّة وعند الميثاق، وأنّهم كانوا يعبدون الله ـ تعالى ـ ويسبّحونه في حجب النور قبل خلق آدم ـ عليه السلام ـ وأنّ الملائكة منهم تعلّموا التسبيح والتهليل والتقديس إلى غيرذلك من الأخبار الواردة في بدء أنوارهم. ويؤيّده ماورد في أخبار ولادة أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ أنّه ـ عليه السلام ـ قرأ الكتب السماويّة على النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ بعد ولادته، وما سيأتي من أنّ القائم ـ عليه السلام ـ في حجر أبيه ـ عليه السلام ـ أجاب عن المسائل الغامضة وأخبر عن الأمور الغائبة، وكذا سائر الأئمّة ـ عليهم السلام ـ كما سيأتي في أخبار ولادتهم ـ عليهم السلام ـ ومعجزاتهم؛ فكيف يجوّز عاقل أن يكون النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ في ذلك أدون منهم جميعاً؟

الخامس: أنّه ـ صلّى الله عليه وآله ـ بعد ما بلغ حدّ التكليف لابدّ من أن يكون إمّا نبيّاً عاملاً بشريعته أو تابعاً لغيره، لما سيأتي من الأخبار المتواترة أنّ الله لايخلي الزمان من حجّة ولا يرفع التكليف عن أحد، وقد كان في زمانه أوصياء عيسى ـ عليه السلام ـ وأوصياء إبراهيم ـ عليه السلام ـ فلو لم يكن أُوحي إليه بشريعة ولم يعلم أنّه نبيّ كيف جازله أن لا يتابع أوصياء عيسى ـ عليه السلام ـ ولا يعمل بشريعتهم إن كان عيسى ـ عليه السلام ـ مبعوثاً إلى الكافّة، وإن لم يكن مبعوثاً إلى الكافّة وكان شريعة إبراهيم ـ عليه السلام ـ باقياً في بني إسماعيل كما هو الظاهر، فكان عليه أن يتّبع أوصياء إبراهيم ـ عليه السلام ـ ويكونوا حجّة عليه ـ صلّى الله عليه وآله ـ وهو باطل بوجهين:

أحدهما أنّه يلزم أن يكونوا أفضل منه كمامرّ تقريره.

وثانيهما مامرّ من نفي كونه محجوجاً بأبي طالب وبأبيه[1008] بل كانا مستودعين للوصايا.

السادس: أنه لاشكّ في أنّه ـ صلّى الله عليه وآله ـ كان يعبدالله قبل بعثته بما لايُعلم إلّا بالشرع كالطواف والحجّ وغيرهما كما سيأتي أنّه ـ صلّى الله عليه وآله ـ

١٠٠٨ ـ راجع البحار، الطبعة الجديدة، ج ١٧، ص ١٤٠ وج ٣٥، ص ٧٣.

حجّ عشرين حجّة مستسراً[۱۰۰۹] و قدورد في أخبار كثيرة أنّه ـ صلّى الله عليه وآله ـ كان يطوف و أنّه كان يعبدالله في حراء، و أنّه كان يراعي الآداب المنقولة من التسمية والتحميد عند الأكل و غيره.[۱۰۱۰]

و كيف يجوّز ذومسكة من العقل على الله ـ تعالى ـ أن يهمل أفضل أنبيائه أربعين سنة بغير عبادة؟ والمكابرة في ذلك سفسطة، فلا يخلو إمّا أن يكون عاملاً بشريعة مختصّه به أوحى الله إليه، و هو المطلوب، أو عاملاً بشريعة غيره و هو لا يخلو من وجوه:

الأوّل: أن يكون علم وجوب عمله بشريعة غيره و كيفيّة الشريعة من الوحي و هو المطلوب أيضا، لأنّه ـ صلّى الله عليه وآله ـ حينئذ يكون عاملاً بشريعة نفسه موافقاً لشريعة من تقدّمه كمامرّ تقريره في كلام السيّد ـ رحمه الله ـ.

الثاني: أن يكون علمها جميعاً من شريعة غيره، و هو باطل كما عرفت بوجهين:

أحدهما أنّه يلزم كون من يعمل بشريعته أفضل منه.

و ثانيها أنّه معلوم أنّه ـ صلّى الله عليه وآله ـ لم يراجع في شي ء من الأمور إلى غيره ولم يخالط أهل الكتاب؛ و كان هذا من معجزاته ـ صلّى الله عليه وآله ـ أنّه أتى بالقصص مع أنّه لم يخالط العلماء ولم يتعلّم منهم، كمامرّ في وجوه إعجاز القرآن، و قد قال ـ تعالى ـ: «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ»[۱۰۱۱]، و المكابرة في هذا أيضاً ممّا لا يأتي به عاقل.

الثالث: أنّه ـ صلّى الله عليه وآله ـ علم وجوب العمل بشريعة من قبله

۱۰۰۹ـ وفي خبر غياث بن ابراهيم عن الصادق ـ عليه السلام ـ: لم يحجّ النبيّ بعد قدوم المدنية إلّا واحدة، وقد حجّ بمكّة مع قومه حجّات. وفي خبر عبدالله بن أبي يعفور عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه ـ صلّى الله عليه وآله ـ حجّ عشر حجّات مستسراً. وفي خبر عمر بن يزيد عنه ـ عليه السلام ـ: حجّ رسول الله صلّى الله عليه وآله غير حجّة الوداع عشرين حجّة. وغيرذلك ممّا أوردها الشيخ الحرّ العامليّ في كتاب وسائل الشيعة، باب استحباب تكرار الحجّ والعمرة، فراجعه.

۱۰۱۰ـ راجع البحار، الطبعة الجديدة، ج ۱٦.

۱۰۱۱ـ الجمعة: ۲.

بالوحي و أخذ الشريعة من أربابها، و هذا مع تضمّنه للمطلوب كما عرفت ـ إذ لا يلزم منه إلّا أن يكون نبيّاً أُوحي إليه أن يعمل بشريعة موافقة لشريعة من تقدّمه ـ باطل بما عرفت من العلم بعدم رجوعه ـ صلّى اللّه عليه وآله ـ إلى أرباب الشرائع قطّ في شيء من أموره، و أمّا عكس ذلك فهو غير متصوّر إذ لا يجوّز عاقل أن يوحي اللّه إلى عبده بكيفيّة شريعة لأن يعمل بها ولا يأمره بالعمل بها حتّى يلزمه الرجوع في ذلك إلى غيره، مع أنّه يلزم أن يكون تابعاً لغيره مفضولاً وقد عرفت بطلانه. ثمّ إنّ قول من ذهب إلى أنّه ـ صلّى اللّه عليه وآله ـ كان عاملاً بالشرائع المنسوخة كشريعة نوح و موسى ـ عليهما السلام ـ فهو أشدّ فساداً، لأنّه بعد نسخ شرائعهم كيف جازله ـ صلّى اللّه عليه وآله ـ العمل بها إلّا بأن يعلم بالوحي أنّه يلزمه العمل بها، و مع ذلك لايكون عاملاً بتلك الشريعة، بل بشريعة نفسه موافقاً لشرائعهم كما عرفت.

و أمّا استدلالهم بقوله ـ تعالى ـ: «مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَ لَا الْإِيمَانُ»[١٠١٢]، فلا يدلّ إلّا على أنّه ـ صلّى اللّه عليه وآله ـ كان في حال لم يكن يعلم القرآن و بعض شرائع الإيمان، و لعلّ ذلك كان في حال ولادته قبل تأييده بروح القدس، كما دلّت عليه رواية أبي حمزة[١٠١٣] و غيرها؛ و هذا لا ينافي نبوّته قبل الرسالة والعمل بشريعة نفسه قبل نزول الكتاب.

و بعد ما قرّرنا المطلوب في هذا الباب و ما ذكرنا من الدلائل لايخفى عليك ضعف بعض ما نقلنا في ذلك عن بعض الأعاظم ولا نتعرّض للقدح فيها بعد وضوح الحقّ، ولو أردنا الاستقصاء في إيراد الدلائل و دفع الشبهة لطال الكلام، ولخرجنا عن مقصودنا من الكتاب، واللّه الموفّق للصواب.[١٠١٤]

[هذا بيان في شرح الجزء الآخر من الخطبة]

بيان: «الكلاكل» الصدور، الواحدة «كلكل» والمعنى: أنّي أذللتهم و

١٠١٢ـ الشورى: ٥٢.

١٠١٣ـ راجع البحار، الطبعة الجديدة، ج ١٨، ص ٢٦٥ و ٢٦٦، الحديث تحت رقم ٢٢ و ٢٦.

١٠١٤ـ بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١٨، كتاب تاريخ نبيّنا ـ صلّى اللّه عليه وآله ـ، ص ٢٧١ ـ ٢٨١.

صرعتهم إلى الأرض، أو أثخنتهم للحمل عليهم. و «نجم النبت» أي طلع و ظهر، قال عبدالحميدبن أبي‌الحديد في شرح هذه الخطبة: فإن قلت: أمّا قهره لمضر فعلوم فما حال ربيعة ولم يعرف[١٠١٥] أنّه قتل منهم أحداً؟ قلت: بلى قد قتل بيده و بجيشه كثيراً من رؤسائهم في صفّين والجمل و قد تقدّم ذكر أسمائهم من قبل، و هذه الخطبة خطب بها بعد انقضاء أمر النهروان. و «العرف» بالفتح، الريح الطيّبة. و «مضغ الشي ء يمضغه» بفتح الضاد. و «الخطلة في الفعل» الخطاء فيه و إيقاعه على غير وجهه. و «حراء» [بالمدّ والتخفيف] جبل بمكّة معروف. و «الرنّة» الصوت. و «القرابة القريبة» بينه و بين رسول‌الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ، و «المنزلة الخصيصة» أنّه ابن عمّه دنيا[١٠١٦] و أنّ أبويهما أخوان لأب و أمّ دون غيرهما من بني عبدالمطّلب إلّا الزبير.

ثمّ إنّ أباه كفل رسول‌الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ دون غيره من الأعمام و ربّاه من بني هاشم، ثمّ ما كان بينهما من المصاهرة الّتي أفضت إلى النسل الأطهر دون غيره من الأصهار. و نحن نذكر ما ذكره أرباب السيرة من معاني هذا الفصل.

روى الطبريّ في تاريخه، قال: حدّثنا ابن‌حميد، قال: حدّثنا سلمة، قال: حدّثني محمّدبن إسحاق، قال: حدّثني عبدالله‌بن نجيح، عن مجاهد، قال: كان من نعمة الله ــ عزّ و جلّ ــ على عليّ بن أبي‌طالب ــ عليه السلام ــ و ما صنع الله له وأراد به من الخير أنّ قريشاً أصابتهم أزمة شديدة....

و ساق الحديث إلى آخر مامرّ برواية الصدوق.

ثمّ قال الطبريّ: قال ابن‌حميد: قال: حدّثنا محمّدبن اسحاق، قال: كان رسول‌الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكّة و خرج معه عليّ بن أبي‌طالب ــ عليه السلام ــ مستخفياً من عمّه أبي‌طالب و من جميع أعمامه و سائر قومه، فيصلّيان الصلوات فيها. فإذا أمسيا، رجعا فمكثا ماشاء الله أن يمكثا.

ثمّ إنّ أباطالب عثر عليهما يوماً و هما يصلّيان، فقال لرسول‌الله ــ صلّى الله

١٠١٥ ـ في المصدر: ولم نعرف.

١٠١٦ ـ أي أنّه ابن عمّه لحاً لاصق النسب.

عليه وآله ـــ: يا ابن أخي ما هذا الّذي أراك تدين به؟

قال: يا عمّ! هذا دين اللّه و دين ملائكته ودين رسله و دين أبينا إبراهيم؛ أو كما قال: بعثني اللّه به رسولاً إلى العباد و أنت يا عمّ! أحقّ من بذلت له النصيحة و دعوته إلى الهدى و أحقّ من أجابني إليه و أعانني عليه؛ أو كما قال....

فقال أبوطالب: يا ابن أخي! إنّي لا أستطيع أن أُفارق ديني و دين آبائي و ما كانوا عليه، و لكن لايخلص إليك شيء تكرهه ما بقيت.

قال الطبريّ: و قدروى هؤلاء المذكورون أنّ أباطالب قال لعليّ ــ عليه السلام ــ: يا بنيّ! ما هذا الّذي أنت عليه؟

فقال: يا أبة! آمنت باللّه و برسوله و صدّقت بما جاء به وصلّيت للّه معه.

قال: فزعموا أنّه قال له: أما إنّه لايدعو إلّا إلى خير فألزمه.

و روى الطبريّ في تاريخه أيضاً، قال: حدّثنا أحمدبن الحسين الترمذيّ، قال: حدّثنا عبداللّه بن موسى، قال: أخبرنا العلاء، عن المنهال بن عمرو، عن عبادبن عبداللّه قال: سمعت عليّاً ــ عليه السلام ــ يقول: أنا عبداللّه و أخو رسوله و أنا الصدّيق الأكبر، لايقولها بعدي إلّا كاذب مفترٍ، صلّيت قبل الناس سبع سنين.

و في غير رواية الطبريّ: أنا الصدّيق الأكبر و أنا الفاروق الأوّل، و أسلمت قبل إسلام أبي بكر وصلّيت قبل صلاته سبع سنين، كأنّه ــ عليه السلام ــ لم يرتض أن يذكر عمرو لارآه أهلاً للمقايسة بينه وبينه، و ذلك لأنّ إسلام عمر كان متأخراً.

وروى الفضل بن العبّاس، قال: سألت أبي عن ولد رسول اللّه الذكور: أيهم كان رسول اللّه ــ صلّى اللّه عليه وآله ــ له أشدّ حبّاً؟

فقال: عليّ بن أبي طالب ــ عليه السلام ــ.

فقلت له: سألتك عن بنيه؟

فقال: إنّه كان أحبّ عليه من بنيه جميعاً و أرأف، ما رأيناه زايله يوماً من الدهر منذ كان طفلاً إلّا أن يكون في سفر لخديجة، و ما رأينا أباً أبرّ بابن منه لعليّ ولا ابناً أطوع لأب من عليّ له.

وروى الحسين بن زيد بن عليّ بن الحسين ـ عليهما السلام ـ، قال: سمعت زيداً أبي يقول: كان رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ يمضغ اللحمة والتمرة حتّى تلين فيجعلها في فم عليّ ـ عليه السلام ـ و هو صغير في حجره.

وروى جبير بن مطعم، قال: قال أبي لنا و نحن صبيان بمكّة: ألا ترون حبّ هذا الغلام ـ يعني عليّاً ـ لمحمّد و اتّباعه له دون أبيه؟ واللاّت والعزّى لوددت أنّه ابني بفتيان بني نوفل جميعاً. [۱۰۱۷]

بيان: قال ابن أبي الحديد: و أمّا رنّة الشيطان، فروى أحمد بن حنبل في مسنده عن عليّ بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ قال: كنت مع رسول الله صبيحة الليلة الّتي أُسري به فيها و هو بالحجر يصلّي، فلمّا قضى صلاته و قضيت صلاتي سمعت رنّة شديدة، فقلت: يا رسول الله! ما هذه الرنّة؟

قال: ألا تعلم؟! هذه رنّة الشيطان، علم أنّه أُسري بي الليلة إلى السماء فأيس من أن يعبد في هذه الأرض.

و قد روي عن النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ ما يشابه هذا لمّا بايعه الأنصار السبعون ليلة العقبة، سمع من العقبة صوت عال في جوف الليل: يا أهل مكّة! هذا مذمّم والصباة معه قد أجمعوا على حربكم.

فقال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ للأنصار: ألا تسمعون ما يقول هذا أزب الكعبة يعني شيطانها ـ و قد روي أزيب العقبة ـ؟!

ثمّ التفت إليه فقال: أتسمع يا عدوّالله؟ أما والله لافرغنّ لك. [۱۰۱۸] انتهى.

أقول: و هاتان الرنّتان غير ماورد في الخبر، و هي إحدى الرنّتين اللتين مضتا في الخبرين. [۱۰۱۹]

۱۰۱۷ـ بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ۳۸، كتاب تاريخ أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ، ص ۳۲۲. فراجع أيضاً شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ۱۳، ص ۱۹۸ ـ ۲۰۱، ط بيروت.
۱۰۱۸ـ شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ۱۳، ص ۲۰۹، ط بيروت.
۱۰۱۹ـ بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ۱۸، كتاب تاريخ نبيّنا ـ صلّى الله عليه وآله ـ، ص ۲۲۳.

[هذا أيضاً بيان آخر قصير في شرح الجزء الأخير من الخطبة:]

قب: مرسلاً مثله مع اختصار.[١٠٢٠]

بيان: «الدويّ» صوت ليس بالعالي كصوت النحل و نحوه. و «قصف الرعد و غيره قصيفاً» اشتدّ صوته. و «رفرف الطائر بجناحيه» إذا بسطهما عند السقوط على شيء يحوم عليه ليقع فوقه. و «العتوّ» التكبّر والتجبّر.[١٠٢١]

[هذا بيان كامل في شرح تمام الخطبة:]

بيان: «بهره» غلبه. و «الرواء» بضمّ الراء والهمز والمدّ، المنظر الحسن. و «العرف» بالفتح، الريح الطيّبة. قوله ـ عليه السلام ـ «لايدرى» أي لايدريه أكثر الناس.

قوله ـ عليه السلام ـ «بأمر» الباء للاستصحاب. قوله ـ عليه السلام ـ «ملكاً» أي في الظاهر، لكونه في السماء و مخلوطاً بهم.

و قال الجزريّ: «الهوادة» الرخصة والسكون. و «المحاباة» و قال: «هذا شيء حمًى» أي محظور لايقرب. و «أعداه الداء» أي أصابه مثل ما بصاحب الداء. و «الاستفزاز» الإزعاج والاستنهاض على خفّة و إسراع. و «الرَّجِل» اسم جمع لراجل.

قوله ـ عليه السلام ـ «لقد فوّق» أي وضع فوق سهمه على الوتر. «و أغرق» أي استوفى مدّ القوس و بالغ في نزعها ليكون مرماه أبعد، و وقع سهامه أشدّ.

قوله «من مكان قريب» لقربه بهم و جريانه منهم مجرى الدم. قوله ـ عليه السلام ـ «بظنّ مصيب» في بعض النسخ «غير مصيب» و وجّه بوجوه:

الأوّل: أنّه قال ما قال لاعلى وجه العلم، بل على سبيل التوهّم، و «المصيب» الحقّ هو العلم دون التوهّم أو الظنّ و إن اتّفق وقوعهما.

الثاني: أنّ قوله: «لَأُغْوِيَنَّهُمْ»[١٠٢٢] بمعنى الشرك أو الكفر، والّذين

١٠٢٠ ـ ابن شهرآشوب: المناقب.

١٠٢١ ـ بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١٧، كتاب تاريخ نبيّنا ـ صلّى الله عليه وآله ـ، ص ٣٨٩.

١٠٢٢ ـ الحجر: ٣٩.

استثناهم المعصومون من المعاصي، ولا ريب في كون هذا الظنّ غير مصيب.[١٠٢٣]

الثالث: أنّه ـ عليه السلام ـ إنّما قال ذلك لأنّ غوايتهم كان منهم اختياراً، و تصديق أبناء الحميّة له يعود إلى وقوع الغواية منهم على وفق ظنّه، فكان ظنّه في نسبتها إليه خطأ و بعبارة أُخرى لمّا ظنّ أنّه قادر على إجبارهم على المعاصي و سلب اختيارهم حكم ـ عليه السلام ـ بخطائه، و لعلّ هذا أصوب.

قوله ـ عليه السلام ـ «الجامحة» أي النفوس الجامحة[١٠٢٤] من «جمح الفرس» إذا اعتزّ راكبه و غلبه. و كلّ ماطلع و ظهر فقد نجم. و «استفحل» أي قوي و اشتدّ. و «دلف» أي تقدّم. و «قحم في الأمر» رمى بنفسه فيه من غير رويّة.

و «الوجة» بالتحريك، موضع أوكهف يستتر فيه المارّة من مطر و غيره. و «الورطات» المهالك.

قوله ـ عليه السلام ـ «إثخان الجراحة» أي جعلكم واطئين لإثخانها و هو كثرتها كما قيل فهو مفعول ثان للإيطاء، و يحتمل أن يكون مفعولاً أوّلاً و هو أظهر.

و «الحزّ» القطع. و «الخزائم» جمع «خزامة» و هي حلقة من شعر تجعل في وترة أنف البعير فيشدّ فيها الزمام. و «ورى الزند» أي خرجت ناره. و «القدح» إخراجها من الزند. و «تألّبوا» تجمّعوا.

قوله ـ عليه السلام ـ «يقتنصونكم» أي يتصيّدونكم. و «الحومة» معظم الماء والحرب و غيرهما، و موضع الجارّ والمجرور نصب على الحال، أي يقتنصونكم في حومة ذلّ. و «الجولة» الموضع الّذي تجول فيه. و «النزغ» الإفساد. و في النهاية: «المسلحة» القوم الّذين يحفظون الثغر من العدوّ، لأنّهم يكونون ذوي سلاح، أولأنّهم يسكنون المسلحة و هي كالثغر والمرقب يرقبون العدولئلاّ يطرقهم على غفلة. انتهى.

و كلمة «ما» في قوله ـ عليه السلام ـ «من غير ما فضل» زائدة للتأكيد. و

١٠٢٣ ـ لأنّه لايظفر بإغواء الجميع بهذا المعنى.

١٠٢٤ ـ في هامش المطبوع: أي الأنفس الجامعة، أو الأخلاق الجامعة. من شرح النهج لابن أبي‌الحديد، ج ١٣، ص ٢١٠، ط بيروت.

«أمعن في الطلب» أي جدّ و أبعد. و «المصارحة» المكاشفة. و «المناصبة» المعاداة. و «أعنق» أسرع. و «ليلة ظلماء حندس» أي شديدة الظلمة. و «المهواة» الوهدة يتردّى الصيد فيها. و «ذُلُلاً» بضمّتين، جمع «ذلول» و «سلساً» كذلك جمع «سلس» و هما بمعنى سهل الانقياد.

قوله ـ عليه السلام ـ «أمراً» أي اعتمدوا أمراً. قوله ـ عليه السلام ـ «تضايقت الصدوربه» كناية عن كثرته. قوله ـ عليه السلام ـ «تكبّروا عن حسبهم» قيل: أي جهلوا أصلهم أنّه الطين المنتن فتكبّروا.

قوله ـ عليه السلام ـ «وألقوا الهجينة» أي نسبوا ما في الإنسان من القبائح إلى ربّهم، أو نسبوا الخطاء إليه ـ تعالى ـ فيما اختار لهم من خليفة الحقّ.[١٠٢٥]

قوله ـ عليه السلام ـ «مكابرة لقضائه» أي لحكمه عليهم بمتابعة أئمّة الحقّ، أو لما أوجب عليهم من شكر النعمة. و «الآلاء» الأنبياء والأوصياء ـ عليهم السلام ـ.

و «اعتزاء الجاهليّة» نداؤهم: يا لفلان! فيسمّون قبيلتهم فيدعونهم إلى المقاتلة و إثارة الفتنة.[١٠٢٦] قوله «لنعمه عليكم أضداداً» لعلّ المعنى أنّ تلك الخصال توجب زوال النعم عنكم، فكأنّكم أضداد و حسّاد لنعم اللّه عليكم.

قوله ـ عليه السلام ـ «شربتم بصفوكم» أي شربتم كدرهم مستبدلين ذلك بصفوكم، أو متلبّسين بصفوكم. و «الأحلاس» جمع «حِلس» بالكسر، و هو كساء رقيق يكون على ظهر البعير ملازماً له، فقيل لكلّ ملازم أمر هو حلس ذلك الأمر؛ ذكره الجزريّ.

و «النفث» النفخ، استعير هنا لوساوس الشيطان؛ و في بعض النسخ «نثّاً» من «نثّ الحديث» إذا أفشاه. و «مصارع جنوبهم» مساقطها. و «لواقح الكبر» ما يوجب حصوله. و «خفض الجناح» كناية عن لين الجانب و حسن الخلق والشفقة. و

١٠٢٥ ـ وقيل: أي أنّهم باحتقار غيرهم من الناس قبحوا خلق اللّه لهم.

١٠٢٦ ـ وقيل: تفاخرهم بأنسابهم، كلّ منهم ينتسب إلى أبيه ومافوقه من أجداده؛ وكثيراً مايجرّ التفاخر إلى الحرب، وهي إنّما تكون بدعوة الرؤساء فهم سيوفها.

«المخمصة» الجوع. و «المجهدة» المشقّة. و «محصهم» بالمهملتين، أي خلّصهم و طهّرهم، و بالمعجمتين، أي حرّكهم و زلزلهم. و «الذهبان» بالضمّ والكسر، جمع الذهب. و «العِقيان» بالكسر، الذهب الخالص. و «البلاء» الامتحان. و «الإنباء» الإخبار بالوعد والوعيد.

قوله ــ عليه السلام ــ «ولا لزمت الأسماء معانيها» أي كانت تنفكّ الأسماء عن المعاني فتصدق الأسماء بدون مسمّياتها، كالمؤمن والمسلم والزاهد و غيرها. و «الخصاصة» الفقر. و «ضامه حقّه» انتقصه. و «الضيم» الظلم.

قوله ــ عليه السلام ــ «تمتدّ نحوه» أي يؤمّله المؤمّلون و يرجوه الراجون، فإنّ كلّ من أمل شيئاً يطمح إليه بصره و يسافر برغبته إليه، فكنّي عن ذلك بمدّ العنق و شدّ عقد الرحال.

قوله ــ عليه السلام ــ «فكانت النيّات مشتركة» أي بين الله و بين ما يأملون من الشهوات، غير خالصة له ــ تعالى ــ. و حسناتهم مقتسمة بينه ــ تعالى ــ و بين تلك الشهوات؛ أو المعنى أنّهم لو كانوا كذلك لآمن بهم جلّ الخلق للرغبة والرهبة، فلم يتميّز المؤمن والمنافق، والمخلص والمرائي. و «جبل وعر» أي غليظ حزن.

قوله ــ عليه السلام ــ «و أقلّ نتائق الدنيا» قال ابن أبي الحديد: أصل هذه اللفظة من قولهم «امرأة نتاق» أي كثيرة الحبل والولادة، يقال: «ضيعة منتاق» أي كثيرة الريع، فجعل ــ عليه السلام ــ الضياع ذوات المدر الّتي يثار للحرث نتائق و قال: إنّ مكّة أقلّها صلاحاً للزرع، لأنّ أرضها حجرية.[١٠٢٧] و «القطر» الجانب.

قوله ــ عليه السلام ــ «دمثة» أي سهلة، و كلّما كان الرمل أسهل كان أبعد من أن ينبت و من أن يزكو به الدوابّ لأنّها تتعب في المشي به. قوله «وشلة» أي

١٠٢٧ــ قال في النهاية في حديث عليّ ــ عليه السلام ــ «أقلّ نتائق الدنيا مدراً»: «النتائق» جمع «نتيقة» فعلية بمعنى مفعولة من «النتق» وهو أن يقلع الشيء فترفعه من مكانه لترمى به؛ هذا هو الأصل، وأراد بها ههنا البلاد لرفع بنائها وشهرتها في موضعها. انتهى. وما ذكرناه في الأصل، ذكر ابن أبي الحديد ولعلّه أوفق منه رحمه الله. راجع شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ١٥٨، ط بيروت.

قليلة الماء. قوله «أعطافهم»، «عطفا الرجل» جانباه، أي [أن] يميلوا جوانبهم معرضين عن كلّ شيء متوجّهين نحوه. و «المثابة» المرجع. و «النجعة» في الأصل، طلب الكلاء، ثمّ سمّي كلّ من قصد أمراً يروم النفع فيه منتجعاً. و «ثمرة الفؤاد» هي سويداء القلب. و «السحيق» البعيد. و «الفجّ» الطريق بين الجبلين. و «هزّ المناكب» كناية عن السفر إليه مشتاقين.[١٠٢٨] و قوله «يهلّلون» أي يرفعون أصواتهم بالتلبية. و «الرمل» سعي فوق المشي. و «السرابيل» جمع «السربال» و هو القميص، أي خلعوا المخيط.

قوله «ملتقى البنى» أي مشتبك العمارة.[١٠٢٩] و «البرّة» الواحدة من البرّ و هو الحنطة. و «الأرياف» جمع «ريف» و هو كلّ أرض فيها زرع و نخل؛ وقيل: هو ما قارب الماء من الأرض. و «المحدقة» المطيفة[١٠٣٠]. و «الغدق» الماء الكثير. و «النضارة» الحسن. و «مضارعة الشكّ» مقاربته، و في بعض النسخ بالصاد المهملة[١٠٣١]. و «الاعتلاج» الاضطراب.

قوله ــ عليه السّلام ــ «فُتُحاً» بضمّتين، أي مفتوحة. و قوله «ذللاً» أي سهلة. و «وخامة العاقبة» رداءتها.

قوله ــ عليه السّلام ــ «فإنّها» قيل: الضمير يعود إلى مجموع البغي والظلم والكبر، و قيل: إلى الأخير باعتبار جعله «مصيدة» و هي بسكون الصاد وفتح الياء، آلة يصطاد بها. و «المساورة» المواثبة. قوله ــ عليه السّلام ــ «ما تكدي»[١٠٣٢] أي لا تردّ عن تأثيرها. و يقال: «رمى فأشوى» إذا لم يصب المقتل.

قوله ــ عليه السّلام ــ «ما حرس الله» ما زائدة. قوله ــ عليه السّلام ــ «عتاق الوجوه» إمّا من العتق بمعنى الحرّيّة، أو بمعنى الكرم، و «العتيق» الكريم من كلّ شيء والخيار من كلّ شيء. و «النواجم» جمع «ناجمة» و هو ما يطلع و يظهر

١٠٢٨ ــ وقيل: أي يحرّكوا مناكبهم، أي رؤوس أكتافهم لله، يرفعون أصواتهم بالتلبية وذلك في السعي والطواف.

١٠٢٩ ــ وقيل: أي كثير العمران.

١٠٣٠ ــ أي المحيطة من كلّ جهة.

١٠٣١ ــ وفي المصدر بالسين المهملة.

١٠٣٢ ــ من «أكدى الرجل» أي لم يظفر بحاجته.

من الكبر. و «القدع» الكفّ والمنع. و يقال: «لاط حبّه بقلبي يليط» إذا لصق. و «مواقع النعم» الأموال والأولاد، و آثارها هي الترفّه والغناء والتلذّذ بها، و يحتمل أن يكون الموقع مصدراً. و «المجداء» جمع «ماجد» و «المجد» الشرف في الآباء، والحسب والكرم يكونان في الرجل و إن لم يكونا في آبائه. و «النجداء» الشجعان، واحدهم «نجيد». و «بيوتات العرب» قبائلها. و «اليعسوب» السيّد والرئيس والمقدّم. و «الرغيبة» المرغوبة. قوله ـ عليه السّلام ـ «الخلال الحمد» أي الخصال المحمودة.

قوله ـ عليه السّلام ـ «و مدّت العافية» على البناء للمفعول و هو ظاهر، أوعلى البناء للفاعل من قولهم: «مدّ الماء» إذا جرى وسال. قوله ـ عليه السّلام ـ «و وصلت» استعار الوصل لاجتماعهم عن كرامة الله لهم حال كونهم على ذلك الأمر، و رشح بذكر الحبل. و «التحاضّ» تفاعل من «الحضّ» و هو الحثّ والتحريص. و «تواصى القوم» أي أوصى بعضهم بعضاً. و «الفقرة» واحدة «فقر» الظهر، و يقال لمن أصابته مصيبة شديدة: قد كسرت فقرته. و «المنّة» بالضمّ، القوة. و «الأعباء» الأثقال.

قوله ـ عليه السّلام ـ «فساموهم» أي الزموهم. و «المُرار» بالضمّ، شجر مرّ، واستعير شرب الماء المرّلكلّ من يلق شدّة.

قوله ـ عليه السّلام ـ «و بلغت الكرامة»، قوله «بهم» متعلّق بقوله «بلغت» و قوله «لهم» بالكرامة، و قوله «إليه» [متعلّق] بقوله «لم تذهب»[١٠٣٣]. و «الأملاء» جمع «الملأ» أي الجماعات والأشراف. و «الترافد» التعاون.

قوله ـ عليه السّلام ـ «متحازبين» أي مختلفين أحزاباً. و «غضارة النعمة» طيبها و لذّتها. قوله ـ عليه السّلام ـ «فما أشدّ اعتدال الأحوال» أي ما أشبه الأشياء بعضها ببعض! و إنّ حالكم لشبيهة بحال أولئك.

قوله ـ عليه السّلام ـ «يحتازونهم» أي يبعدونهم. و «بحر العراق» دجلة والفرات، أمّا الأكاسرة فطردوهم عن بحر العراق، والقياصرة عن الشام و ما فيه من

١٠٣٣ ـ وبقوله «مالم تبلغ» على ما في المصدر.

المراعي والمنتجع. و «الشيح» نبت معروف، و «منابت الشيح» أرض العرب. و «مهافي الريح» المواضع الّتي تهفو فيها الريح، أي تهبّ و هي الفيافي والصحاري. و «نكد المعاش» ضيقه و قلّته و «العالة» جمع «عائل» و هو الفقير. و «الدبر» بالتحريك، الجرح الّذي يكون في ظهر البعير.[١٠٣٤] و «الجدب» قلّة الزرع والشجر. و «الأزل» الضيق والشدّة.

قوله «و إطباق جهل» بكسر الهمزة، أي جهل عامّ مطبق عليهم، أو بفتحها، أي جهل متراكم بعضه فوق بعض. و «وأدالبنات» قتلهنّ. و «شنّ الغارة عليهم» تفريقها عليهم من جميع جهاتهم. قوله ــ عليه السّلام ــ «والتفّت الملّة» أي كانوا متفرّقين، فالتفّت ملّة محمّد ــ صلّى الله عليه وآله ــ بهم فجمعتهم، يقال: «التفّ الحبل بالحطب» أي جمعه، و «التفّ الحطب بالحبل» أي اجتمع به. و قوله «في عوائد حال» أي جمعتهم الملّة كائنة في عوائد بركتها.

قوله ــ عليه السّلام ــ «فكهين» أي أشرين مرحين[١٠٣٥] فكاهة صادرة عن خضرة عيش النعمة. قوله ــ عليه السّلام ــ «قد تربّعت» أي أقامت. و يقال: «تعطّف الدهر على فلان» أي أقبل حظّه و سعادته بعد أن لم يكن كذلك. و «الذُرى» الأعالي.

قوله ــ عليه السّلام ــ «لايغمز» يقال: «غمزه بيده» أي نخسه. و «القناة» الرمح، و يكنّى عن العزيز الّذي لايضام، فيقال: «لايغمز له قناة» أي هو صلب، والقناة إذا لم تكن في يد الغامز كانت أبعد عن الحطم والكسر.

و قوله «لا تقرع لهم صفاة» مثل يضرب لمن لا يطمع في جانبه لعزّته وقوّته. و «الصفاة» الصخرة والحجر الأملس.

و قوله «بأحكام» متعلّق بثلمتم، و قوله «بنعمة» متعلّق بقوله «امتنّ». قوله

١٠٣٤ــ و«الوبر» شعر الجمال، والمراد أنّهم كانوا رعاة ظاعنين من وادٍ إلى آخر، لم تكن لهم بلدة ولا حاضرة يعيشون فيها.

١٠٣٥ــ «أشر» بطر، أي أخذته دهشة وحيرة عند هجوم النعمة، أو طغى بالنعمة، أو عندها فصرفها إلى غير وجهها فهو أشر. و«مرح الرجل» اشتدّ فرحه ونشاطه حتّى جاوز القدر وتبختر واختال، فهو مرح.

«النار ولا العار» أي ادخلوا النار ولا تلتزموا العار.[١٠٣٦]

وقال الجوهري: «كفأت الإناء» قلبته، وزعم ابن الأعرابيّ أنّ «أكفأته» لغة و «كفأت القوم كفاءً» إذا أرادوا وجهاً فصرفتهم عنه إلى غيره. قوله «إلى غيره» الضمير عائد إلى الإسلام أو إلى الله.

قوله «فلا تستبطئوا» أي فلا تستبعدوا. قوله «لترك التناهي» يقال: «تناهوا عن المنكر» أي نهى بعضهم بعضاً. و «دوّخه» أي ذلّله. و «شيطان الردهة» هو ذو الثدية[١٠٣٧]. فقد روي أنّه رماه الله يوم النهر بصاعقة.[١٠٣٨] و «الردهة» نقرة في الجبل يجتمع فيها الماء. وإنّما سمّي بذلك لأنّه وجد بعد موته في حفرة؛ وقيل: هو أحد الأبالسة. و «الوجبة» اضطراب القلب. و «الرجّة» الحركة والزلزلة. و «أدلت من فلان» أي قهرته وغلبته. و «التشذّر» التبدّد والتفرّق. و «الكلاكل» الصدور[١٠٣٩]، الواحدة «كلكل» أي أنا أذللتهم وصرعتهم إلى الأرض. و «النواجم» جمع «ناجمة» وهي ماعلا قدرة وطارصيته. و «الخطل» خفّة وسرعة، و يقال للأحمق العجل: خطل. قوله «لا تفيئون» أي لا ترجعون.

قوله ــ عليه السّلام ــ «في القليب» أي قليب بدر[١٠٤٠]. و «الدويّ» صوت ليس بالعالي. و «قصف الطير» اشتدّ صوته. و «رفرف الطائر بجناحيه» إذا بسطهما عند السقوط على شيء يحوم عليه ليقع فوقه. و «العتوّ» التكبّر والتجبّر.

قوله «خفيف فيه» أي سريع. قوله ــ عليه السّلام ــ «ولا يغلّون» كلّ من خان خفية في شيء فقد غلّ.

١٠٣٦ ـ هكذا في النسخ؛ ولعلّ الأصوب هو أن يقال: أي تدخل النار ولا تلتزم العار.

١٠٣٧ ـ في هامش المطبوع: «ذوالثدية» لقب رجل اسمه «ثرمله». فمن قال في الثدي أنّه مذكّر يقول: إنّما أدخلوا الهاء في التصغير لأنّ معناه اليد وذلك أنّ يده كانت قصيرة مقدار الثدي، يدلّ على ذلك أنّهم كانوا يقولون فيه ذواليدية وذو الثدية جميعاً؛ من الصحاح.

١٠٣٨ ـ في هامش المطبوع: «ذو الثدية» كسمية، لقب حرقوص بن زهير كبير الخوارج، أو هو بالمثناة تحت. منه ـ طاب ثراه ـ.

١٠٣٩ ـ قيل: «القرن» القوّة والشدة، و إنّما ذكره لتشبّههم بالثور، كما ذكر الكلل لتشبيههم بالجمل. منه ـ رحمه الله ـ.

١٠٤٠ ـ طرح فيه نيّف وعشرون من أكابر قريش.

أقول: إنّما أوردت هذه الخطبة الشريفة بطولها لاشتمالها على جل قصص الأنبياء ـ عليهم السّلام ـ و علل أحوالهم وأطوارهم و بعثتهم والتنبيه على فائدة الرجوع إلى قصصهم والنظر في أحوالهم و أحوال أممهم و غير ذلك من الفوائد الّتي لاتحصى ولا تخفى على من تأمّل فيها. صلوات الله على الخطيب بها.[١٠٤١]

١٩٣ ـ ومن خطبة له عليه السّلام

يصف فيها المتقين

روي أن صاحباً لأمير المؤمنين عليه السلام يقال له همام كان رجلاً عابداً ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، صف لي المتقين حتى كأني أنظر إليهم . فتثاقل عليه السلام عن جوابه ثم قال : يا همام ، اتق الله وأحسن : فـ« ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » . فلم يقنع همام بهذا القول حتى عزم عليه ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ ثم قال عليه السلام :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ ٱللهَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ خَلَقَ ٱلْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيّاً عَنْ طَاعَتِهِمْ ، آمِناً مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ ، لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ ، وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَهُ. فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَايِشَهُمْ ، وَوَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ. فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ ٱلْفَضَائِلِ : مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ ، وَمَلْبَسُهُمُ ٱلِاقْتِصَادُ[٢٦٨١] ، وَمَشْيُهُمُ التَّوَاضُعُ . غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ[٢٦٨٢] عَمَّا حَرَّمَ ٱللهُ عَلَيْهِمْ ، وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَىٰ ٱلْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ . نُزِّلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي ٱلْبَلَاءِ كَالَّتِي نُزِّلَتْ فِي الرَّخَاءِ[٢٦٨٣] . وَلَوْلَا

١٠٤١ ـ بحار الأنوار الطبعة الجديدة، ج ١٤، كتاب النبوّة، ص ٤٧٧ ـ ٤٨٤.

ٱلْأَجَلُ ٱلَّذِي كَتَبَ ٱللهُ عَلَيْهِمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ، شَوْقاً إِلَىٰ ٱلثَّوَابِ، وَخَوْفاً مِنَ ٱلْعِقَابِ. عَظُمَ ٱلْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ، فَهُمْ وَٱلْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا، فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ، وَهُمْ وَٱلنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا، فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ. قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ، وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ، وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ، وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ، وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ. صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً. تِجَارَةٌ مُرْبِحَةٌ(٢٦٨٤) يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ. أَرَادَتْهُمُ ٱلدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا، وَأَسَرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا. أَمَّا ٱللَّيْلَ فَصَافُّونَ أَقْدَامَهُمْ، تَالِينَ لِأَجْزَاءِ ٱلْقُرْآنِ يُرَتِّلُونَهَا تَرْتِيلاً(٢٦٨٥). يُحَزِّنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَيَسْتَثِيرُونَ(٢٦٨٦) بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ. فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعاً، وَتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقاً، وَظَنُّوا أَنَّهَا نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ. وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ، وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ(٢٦٨٧) جَهَنَّمَ وَشَهِيقَهَا(٢٦٨٨) فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ، فَهُمْ حَانُونَ(٢٦٨٩) عَلَىٰ أَوْسَاطِهِمْ، مُفْتَرِشُونَ لِجِبَاهِهِمْ(٢٦٩٠) وَأَكُفِّهِمْ وَرُكَبِهِمْ، وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ، يَطْلُبُونَ إِلَىٰ ٱللهِ تَعَالَىٰ فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ(٢٦٩١). وَأَمَّا ٱلنَّهَارَ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ، أَبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ. قَدْ بَرَاهُمُ ٱلْخَوْفُ بَرْيَ ٱلْقِدَاحِ(٢٦٩٢) يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ ٱلنَّاظِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضَىٰ، وَمَا بِٱلْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ؛

وَيَقُولُ : لَقَدْ خُولِطُوا[٢٦٩٣] !

وَلَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ ! لَا يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ ٱلْقَلِيلَ ، وَلَا يَسْتَكْثِرُونَ ٱلْكَثِيرَ . فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ ، وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ[٢٦٩٤] إِذَا زُكِّيَ[٢٦٩٥] أَحَدٌ مِنْهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ ، فَيَقُولُ : أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي ، وَرَبِّي أَعْلَمُ بِي مِنِّي بِنَفْسِي ! ٱللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ ، وَٱجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ ، وَٱغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ .

فَمِنْ عَلَامَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَىٰ لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ ، وَحَزْماً فِي لِينٍ ، وَإِيمَاناً فِي يَقِينٍ ، وَحِرْصاً فِي عِلْمٍ ، وَعِلْماً فِي حِلْمٍ ، وَقَصْداً فِي غِنًى[٢٦٩٦] ، وَخُشُوعاً فِي عِبَادَةٍ ، وَتَجَمُّلاً[٢٦٩٧] فِي فَاقَةٍ ، وَصَبْراً فِي شِدَّةٍ ، وَطَلَباً فِي حَلَالٍ ، وَنَشَاطاً فِي هُدًى ، وَتَحَرُّجاً[٢٦٩٨] عَنْ طَمَعٍ . يَعْمَلُ ٱلْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَىٰ وَجَلٍ . يُمْسِي وَهَمُّهُ الشُّكْرُ ، وَيُصْبِحُ وَهَمُّهُ الذِّكْرُ . يَبِيتُ حَذِراً وَيُصْبِحُ فَرِحاً ؛ حَذِراً لَمَّا حُذِّرَ مِنَ ٱلْغَفْلَةِ ، وَفَرِحاً بِمَا أَصَابَ مِنَ ٱلْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ . إِنِ ٱسْتَصْعَبَتْ[٢٦٩٩] عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكْرَهُ لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ . قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيمَا لَا يَزُولُ ، وَزَهَادَتُهُ فِيمَا لَا يَبْقَىٰ ، يَمْزُجُ ٱلْحِلْمَ بِٱلْعِلْمِ ، وَٱلْقَوْلَ

بِالْعَمَلِ . تَرَاهُ قَرِيباً أَمَلُهُ ، قَلِيلاً زَلَلُهُ ، خَاشِعاً قَلْبُهُ ، قَانِعَةً نَفْسُهُ ، مَنْزُوراً[٢٧٠٠] أَكْلُهُ ، سَهْلاً أَمْرُهُ ، حَرِيزاً دِينُهُ[٢٧٠١] ، مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ ، مَكْظُوماً غَيْظُهُ . الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ ، وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ . إِنْ كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ ، وَإِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ . يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ ، وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ ، وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ ، بَعِيداً فُحْشُهُ[٢٧٠٢] ، لَيِّناً قَوْلُهُ ، غَائِباً مُنْكَرُهُ ، حَاضِراً مَعْرُوفُهُ ، مُقْبِلاً خَيْرُهُ ، مُدْبِراً شَرُّهُ . فِي الزَّلَازِلِ[٢٧٠٣] وَقُورٌ[٢٧٠٤] ، وَفِي الْمَكَارِهِ صَبُورٌ ، وَفِي الرَّخَاءِ شَكُورٌ . لَا يَحِيفُ عَلَى مَنْ يُبْغِضُ ، وَلَا يَأْثَمُ فِيمَنْ يُحِبُّ . يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ ، لَا يُضِيعُ مَا اسْتُحْفِظَ ، وَلَا يَنْسَى مَا ذُكِّرَ ، وَلَا يُنَابِزُ بِالْأَلْقَابِ[٢٧٠٥] ، وَلَا يُضَارُّ بِالْجَارِ ، وَلَا يَشْمَتُ بِالْمَصَائِبِ ، وَلَا يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ ، وَلَا يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ . إِنْ صَمَتَ لَمْ يَغُمَّهُ صَمْتُهُ ، وَإِنْ ضَحِكَ لَمْ يَعْلُ صَوْتُهُ ، وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ . نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ . أَتْعَبَ نَفْسَهُ لِآخِرَتِهِ ، وَأَرَاحَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ . بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَنَزَاهَةٌ ، وَدُنُوُّهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ . لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكِبْرٍ وَعَظَمَةٍ ، وَلَا دُنُوُّهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ .

قال : فصعق همام صعقة[٢٧٠٦] كانت نفسه فيها .

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : أَمَا وَٱللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ . ثُمَّ قَالَ : أَهٰكَذَا تَصْنَعُ ٱلْمَوَاعِظُ ٱلْبَالِغَةُ بِأَهْلِهَا ؟

فقال له قائل : فما بالك يا أمير المؤمنين ؟

فقال عليه السلام : وَيْحَكَ ، إِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ وَقْتاً لَا يَعْدُوهُ ، وَسَبَباً لَا يَتَجَاوَزُهُ . فَمَهْلًا ، لَا تَعُدْ لِمِثْلِهَا ، فَإِنَّمَا نَفَثَ الشَّيْطَانُ عَلَىٰ لِسَانِكَ !

تبيين: قال الكيدري: «الهمّام» البعيد الهمّة و كان السائل كاسمه.

و قال ابن أبي الحديد: همّام، هو همّام بن شريح بن يزيد بن مرّة و كان من شيعة أمير المؤمنين ــ عليه السّلام ــ و أوليائه، و كان ناسكا عابداً و تثاقله عن جوابه لأنّه علم أنّ المصلحة فى تأخير الجواب، و كأنّه حضر المجلس من لايحبّ ــ عليه السّلام ــ أن يجيب ــ و هو حاضر. و لعلّه بتثاقله ــ عليه السّلام ــ يشتدّ شوق همّام إلى سماع الموعظة. و لعلّه من باب تأخير البيان إلى وقت الحاجة، لا عن وقت الحاجة.[١٠٤٢]

و قال ابن ميثم: تثاقله ــ عليه السّلام ــ لخوفه على همّام كما يدلّ عليه قوله ــ عليه السّلام ــ «أما والله لقد كنت أخافها عليه».[١٠٤٣]

و أقول: هذا أظهر.

«اتّق الله و أحسن» أي ليس عليك أن تعرف صفات المتّقين على التفصيل و لعلّ الأصلح لك القناعة بما تعرفه مجملاً من صفاتهم و مراعاة التقوى والاحسان، و كأنّ المراد بالتقوى الاجتناب عمّا نهى الله عنه، و بالاحسان فعل ما أمرالله به، فالكلمة جامعة لصفات المتّقين و فضائلهم.

١٠٤٢ ـ شرح النهج لابن أبي‌الحديد، ج ١٠، ص ١٣٤، ط بيروت.

١٠٤٣ ـ شرح النهج لابن ميثم، ج ٣، ص ٤١٣، ط بيروت.

«حتّى عزم عليه»، «عزمت على فلان» أقسمت عليه، و «عزمت على الأمر» أي قطعت عليه وأردت فعله حتماً؛ فالضمير في «عليه» يحتمل عوده إليه ــ عليه السّلام ــ و إلى ماسأله من الوصف على التفصيل، والأوّل أظهر، و رواية الصدوق تعيّنه[١٠٤٤].

والتعرّض للغنا والأمن[١٠٤٥] لدفع توهّم أنّ مدح المتّقين الترغيب في الطاعة والتخويف من المعصية لانتفاعه ــ سبحانه ــ و دفع المضرّة عنه، و ليس المعنى أنّ أفعال الله ــ سبحانه ــ ليست معلّلة بالأعراض كما زعمه الحكماء، بل إشارة إلى ما ذكره المتكلّمون من أنّ الغرض لايعود إليه ــ سبحانه ــ بل إلى العباد، لأنّه أراد أن يثيبهم في الاخرة، والثواب هو النفع المقارن للتعظيم والإجلال، و فعله لمن لايستحقّ أصلا قبيح عقلا، فلذا كلّفهم و بعث إليهم الرسل و وعدهم وأوعدهم و عرضهم للمثوبات الدائمة الجليلة. و تفصيل ذلك في كتب الكلام.

و «المعايش» بالياء، جمع «معيشة» و هي مايعاش به أو فيه و ما يكون به الحياة، قال الله ــ تعالى ــ: «نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا»[١٠٤٦].

و «مواضع الخلق» مراتبهم، قال الله ــ تعالى ــ: «وَ رَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ»[١٠٤٧] و هي إشارة إلى الدّرجات الدنيويّة كالغنا والفقر والصحّة والمرض، أو الدينيّة لاختلاف استعداداتهم و قابليّاتهم في العلم والعمل، أو الأعمّ منهما و هو أظهر، والتفريع يؤيّد الأخيرين.

«منطقهم الصواب»، «المنطق» النطق أي لايقولون إلّا حقّاً و يحترزون عن الكذب والفحش والغيبة و سائر الأقاويل الباطلة، و قيل: أي لا يتكلّمون إلّا في مقام التكلّم كذكرالله ــ تعالى ــ و إظهار حقّ و إبطال باطل، و كأنّ الابتداء بالمنطق لكون النفع والضرر في القول أكثر في الأغلب من أعمال سائر الجوارح.

١٠٤٤ـ حيث قال: فقال همّام: «يا أميرالمؤمنين! أسألك بالّذي أكرمك بما خصّك...» الخ. والرواية في الأمالي، ص ٣٤٠، مجلس ٨٤.

١٠٤٥ ـ يعني في قوله ـ عليه السلام ـ «خلقهم غنيّاً عن طاعتهم، آمناً من معصيتهم...» الخ.

١٠٤٦ و ١٠٤٧ـ الزخرف: ٣٢.

و «الملبس» بفتح الباء، مايلبس. و «الاقتصاد» التوسّط بين طرفي الافراط والتفريط، والمعنى أنّهم لايلبسون مايلحقهم بدرجة المترفين، ولا ما يلحقهم بأهل الخسّة والدناءة، أو يصير سبباً لشهرتهم بالزهد كما هو دأب المتصوّفين، أو المعنى أنّ الاقتصاد في الأقوال والأفعال صار شعاراً لهم محيطاً بهم، كاللباس للانسان كمامرّ.

«و مشيهم التواضع» أي لايمشون مشي المختالين والمتكبّرين، كما قال ـ عزّ و جلّ ـ: «وَلاَ تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً ـ الآية» ١٠٤٨، أو المراد أنّ سيرتهم و سلوكهم بين الخلق أو في سبيل الله بالتواضع والتذلّل. «غضّوا أبصارهم»، «غضّ فلان طرفه» ـ كمدّ ـ أي خفضه، و كذلك غضّ من صوته، و كلّ شيء كففته فقد غضضته.

و «وقفت» ـ كضربت ـ أي دمت قائماً، و «وقفته أنا وقفاً» أي فعلت به ما وقف و «وقفت الرجل عن الشيء وقفاً» أي منعته عنه، و «وقفت الدار وقفاً» أي حبستها في سبيل الله. والمراد الاقتصار على استماع العلم النافع، و فيه إيماء إلى ذمّ الاصغاء إلى القصص الكاذبة، بل و كثير من الصادقة، كما سيأتي إن شاء الله.

و «الرخاء» بالفتح، سعة العيش، قال القطب الراونديّ ـ رحمه الله ـ: يعني أنّ المتقين يتعبون أبدانهم في الطاعات، فيطيبون نفسا بتلك المشقّة الّتي يحتملونها مثل طيب قلب الّذي نزلت نفسه في الرخاء. ولابدّ من تقدير مضاف لأنّ تشبيه الجمع بالواحد لايصحّ، أي كلّ واحد منهم إذا نزل في البلاء يكون كالرجل الّذي نزلت نفسه في الرخاء، و نحوه قوله ـ تعالى ـ: «مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ» ١٠٤٩. قال: و يجوز أن يكون «الّذي» بمعنى ما المصدرية كقوله ـ تعالى ـ: «وَ خُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا» ١٠٥٠ أي نزوله في البلاء كنزوله في الرخاء.

و قال ابن ميثم: يحتمل أن يكون المراد بالّذي، الّذين، فحذف النون كما في قوله ـ تعالى ـ: «وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا» ١٠٥١.

١٠٤٨ ـ الإسراء: ٣٧.

١٠٤٩ ـ البقرة: ١٧١.

١٠٥٠ ـ التوبة: ٦٩.

١٠٥١ ـ شرح النهج لابن ميثم، ج ٣، ص ٤١٥، ط بيروت. والآية، كما سبق، في التوبة: ٦٩.

و قال ابن أبي الحديد: موضع كالّذي نصب لأنّه صفة مصدر محذوف والمراد كالنزول الّذي، وقد حذف العائد إليه وهو الهاء في «نزلته» كقولك: «ضربت الّذي ضربت» أي ضربت الّذي ضربته، و تقدير الكلام: نزلت أنفسهم منهم في حال البلاء نزولا كالنزول الّذي نزلته منهم في حال الرخاء.[١٠٥٢]

و قال الكيدريّ ــ قدّس سرّه ــ: «نزّلت أنفسهم... الخ» لأنّهم كسروا سورة الشهوة البهيمية وطيّبوا عن أنفسهم نفساً و وقفوا أشباحهم و أرواحهم على مرضاة الله وحبسوها في سبيله، فلا مطمح لهم إلى ما فيه نصيب أنفسهم، بل جلّ عنايتهم مصروفة إلى تحصيل ما خلقوا لأجله من إعداد زاد المعاد، والاقبال بكلّ الوجوه على عبادة ربّ العباد، والتفاتهم إلى الأبدان يكون على طريق الطبع كالتفات سالك البادية للحجّ الحقيقيّ إلى رعي الجمل، و علموا يقيناً أنّ ما أصابهم من الكدّ في الطريق و إن كان عظيماً فإنّه كلا شيء في جنب ما يصلون به إليه من لقاء المحبوب و نيل المطلوب، فالمحن عندهم كالملح والبليّة كالنعم.

و قوله «كالّذي» نظير قوله ــ تعالى ــ: «وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا»[١٠٥٣] و بيت الحماسة: عسى الأيّام أن يرجعن يوماً كالّذي كانوا.

أي نزلت في البلاء كالنزول الّذي نزلت في الرخاء. انتهى.

والمراد بالبلاء المرض والضيق و نحوهما أو الأعمّ من احتمال المشقّة أيضا و ليس مخصوصا به وطيب قلوبهم للرضا بقضاء الله كما في المجالس[١٠٥٤]: «فصغر مادونه في أعينهم» في اختلاف التعبير دلالة على أنّ الخالق تمكّن في قلوبهم بخلاف مادونه فلم يتجاوز أعينهم.

«فهم والجنّة» قال الراونديّ ــ رحمه الله ــ: الواو بمعنى «مع» و قال ابن أبي الحديد بنصب «الجنّة» وقد روي بالرفع على أنّه معطوف على هم، والأوّل أحسن. و

١٠٥٢ - شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٠، ص ١٤٢، ط بيروت.

١٠٥٣ - التوبة: ٦٩.

١٠٥٤ - حيث قال: نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالّتي نزلت منهم في الرخاء. رضي منهم عن الله بالقضاء.

قوله «كمن قدرآها» و قوله «فهم فيا منعّمون» إمّا كلاهما لقوّة الايمان واليقين، أو لشدّة الخوف والرجاء، أو الرؤية إشارة إلى قوّة اليقين؛ و «التنعّم والعذاب» أي شدّة الرجاء والخوف و هما أيضا من فروع اليقين، واختار الوالد ــ قدّس سرّه ــ الأخير، و قال الكيدريّ: أي حصل لهم من العلوم اليقينيّة ما يجري مجرى الضروريّة كما قال ــ عليه السّلام ــ: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا». و روي «والجنّة» بالنصب فيكون الواو بمعنى مع و يكون خبر المبتدأ الكاف في «كمن رآها».

«قلوبهم محزونة» حزن قلوبهم للخوف من العقاب لاحتمال التقصير و عدم شرائط القبول، كما قال ــ عزّ و جلّ ــ: «وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ»[١٠٥٥]. والأمن من شرورهم لأنّهم لايهمّون بظلم أحد، كما ورد في الخبر: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده». و قيل لأنّ أفعالهم حسنة في الواقع و إن كانت سيّئة في الظاهر، و هو بعيد.

«نحيفة» أي مهزولة لكثرة الصيام والسهر والرياضات، أو للخوف أو لهما و خفّة حاجاتهم لقلّة الرغبة في الدنيا و ترك اتّباع الهوى و قصر الأمل و قناعتهم بما رزقهم الله.

و «العفّة» كفّ النفس عن المحرّمات، بل عن الشبهات والمكروهات أيضاً.

و جملة «أعقبتهم» صفة للأيّام. و «تجارة» عطف بيان للراحة، أو بدل منه، أو منصوب على المدح، أو على الحال، أو على تقدير فعل، أي اتّجروا تجارة.

قال الراونديّ ــ رحمه الله ــ: نصب المصدر مع حذف فعله كثير في الكلام.

و «ربح الرجل في تجارته» ــ كعلم ــ، و يسند إلى التجارة مجازاً، قال ــ تعالى ــ: «فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ»[١٠٥٦].

و قال الأزهري: «ربح الرجل في تجارته» أي صادف سوقاً ذات ربح و «أربحت الرجل إرباحاً» أعطيته ربحاً، فالتجارة المربحة كأنّها تعطي ربحاً أو هي الرابحة من أفعل بمعنى فعل.

١٠٥٥ - المؤمنون: ٦٠.
١٠٥٦ - البقرة: ١٦.

و قال الكيدري: «تجارة» انتصابه على المصدر من معنى الكلام السابق، لأنّ مضمون قوله «صبروا أيّاماً...الخ» يدلّ على أنّهم اتّجروا بذلك أو يكون منصوبا بفعل مضمر يفسّره ما بعده، أي يسّر لهم ربّهم تجارة، أو على المدح أو التخصيص، أي أعني تجارة، أو أخصّ تجارة؛ و جعلها بدلاً من «راحة» على مازعم صاحب المنهاج ليس بالقويّ لأنّ التجارة المربحة ليست بنفس الراحة، و إنّما صبرهم المستعقب لتلك الراحة هي التجارة. انتهى.

«أرادتهم الدنيا» أي أقبلت إليهم من الوجوه المذمومة أو مطلقاً و تمكّنوا من تحصيلها بكسب المال والجاه فلم يقبلوها و لم يسعوا في تحصيلها، وقيل: و يحتمل أن يراد أهل الدنيا. و «أسره»ــ كضربهــ أي شدّه و حبسه. و «الفدية» زخارف الدنيا وملاذّها الّتي سلّموها إلى الدنيا بالترك والإعراض عنها.

أقول: و نقل الكيدريّــ قدّس سرّهــ رواية تمثّل الدنيا لأمير المؤمنينــ عليه السّلامــ و إعراضه عنها كما سننقلها عنه في باب ذمّ الدنيا، ثمّ قال: فهذا معنى قولهــ عليه السّلامــ «أرادتهم الدنيا ولم يريدوها». و إذا تدبّرت الخلال المذكورة في هذه الخطبة وجدت أميرالمؤمنينــ عليه السّلامــ هو الموصوف بها كلّها. وقد أوردت هذه الأبيات و أمثالها في «أنوار العقول من أشعار وصيّ الرسول».

فأمّا أسرها إيّاهم، فلأنّ أرواح الأولياء قدسيّة و مقامها في العالم الجسد أي على خلاف مقتضى طبيعتها فهي غريبة في هذا العالم وصغوها بالكلّيّة إلى عالمها فهي أسيرة هنا من حيث الغربة و عدم الملاءمة، فدائماً يستعدّ ويتهيّأ للسفر الحقيقيّ و يزيل المثبّطات و يرفعها من البين، وذلك فداءها.

«أمّا الليل» في بعض النسخ بالنصب على حذف حرف الجرّ، أي أمّا حالهم في الليل، فالمقصود تفصيل حالهم في الليل والنهار؛ و في بعض النسخ بالرفع، فالغرض تفصيل حال ليلهم و نهارهم. و «الصفّ» ترتيب الجمع على صفّ، و «صفّ القدمين» وضعها في الصلاة بحيث يتحاذى الإبهامان و يتساوى البعد بين الصدر والعقب.

و في بعض النسخ: «تالون» مكان «تالين». «يرتّلونه» أي القرآن، و روي: «يرتّلونها» فالضمير لأجزاء القرآن. «وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً»[١٠٥٧] أي أحسن تأليفه، وعن أميرالمؤمنين ــ عليه السّلام ــ أنّه «حفظ الوقوف وأداء الحروف، وهو جامع لما يعتبره القرّاء».

و «الحزن» الهمّ و «حزنه الأمر» ــ كنصر ــ أي جعله حزيناً و «حزن» ــ كعلم ــ أي صار حزيناً، و «حزّنه تحزيناً» جعل فيه حزناً؛ و في أكثر النسخ على التفعيل و في بعضها كينصرون. و تحزين النفوس بآيات الوعيد ظاهر، و أمّا آيات الوعد فللخوف من الحرمان و عدم الاستعداد.

و «ثار الغبار» إذا سطع وهاج، و «ثار القطا» إذا نهضت من موضعها، و «أثار الغبار واستثاره» هيّجه. ولعلّ المراد بالدواء العلم وبالداء الجهل. واستثارة العلم بالتدبّر والتذكّر، قال في النهاية: في الحديث: «أثيروا القرآن فإنّ فيه علم الأوّلين والآخرين». و يحتمل أن يراد استثارة العلم الكامنة في النفس على حسب الاستعداد والكمال بالتدبّر والتفكّر والتذكّر.

و قال الوالد ــ قدّس سرّه ــ: المراد أنّهم يداوون بآيات الخوف داء الرجاء الغالب الّذي كاد أن يبلغ حدّ الاغترار والأمن لمكر الله، و بآيات الرجاء داء الخوف إذا قرب من القنوط، و بما يستكمل اليقين داء الشبهة، و بالعبر داء القسوة و بما ينفّر عن الدنيا والميل إليها داء الرغبة فيها و نحو ذلك.

و «ركن إلى الشيء» ــ كنصر كما في النسخ و كعلم أيضاً ــ أي مال وسكن. و «التطلّع إلى الشيء» الاستشراف له والانتظار لوروده. و «نصب الشيء» رفعه و أن يستقبل به شيء، والكلمة منصوبة على الظرفيّة أي ظنّوا أنّها فيما نصب بين أيديهم، و في بعض النسخ مرفوعة على أنّها خبر أنّ.

و قال الكيدريّ: «و تطلّعت نفوسهم إليها» أي كادت تطلع شموس نفوسهم من أفق عوالم أبدانهم، فتصعد إلى العالم العلويّ شوقاً إلى ماوعدوا به في تلك

١٠٥٧ ــ المزمّل: ٤.

الآيات، من أخاير الذخائر وعظائم الكرائم. و انتصاب «نصب أعينهم» على الظرف أي في موضع يقابل أعينهم، و يجوز فيه الرفع.

و قال الراونديّ ـ رحمه الله ـ: الظنّ هنا بمعنى اليقين، قال ـ تعالى ـ: «أَلاَ يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ»[١٠٥٨] أي أيقنوا أنّ الجنّة معدّة لهم بين أيديهم.

و قال ابن أبي الحديد: و يمكن أن يكون على حقيقته.

و «صغي إليه» ـ كرضي ـ أي مال، و «أصغى سمعه إليه» أي أماله، و «زفير النار» صوت توقّدها، و «الزفير» أيضاً إخراج النفس بعد مدّه فالمراد زفير أهل جهنّم. و «الشهيق» تردّد البكاء في الصدر مع سماع الصوت من الحلق، و «شهيق الحمار» صوته. و كونها في أصول الآذان كناية عن تمكّنها في الآذان.

«حانون أوساطهم»، «حنى ظهره يحنيه و يحنوه» أي عطفه فانحنى، و حنوهم على أوساطهم وصف لحال ركوعهم. و «الافتراش» البسط على الأرض، و هو وصف لحال سجودهم.

قال الكيدريّ: «فهم حانون» أي منعطفون للركوع، و «حنى» قد جاء متعدّياً و لازماً و تعديته أكثر، فيكون تقديره «حانون ظهورهم على أوساطهم».

«يطلبون إلى الله» أي يسألونه راغبين و متوجّهين إليه. و «فكّ الرقبة» ـ كمدّ ـ أي أعتقها و «[فكّ] الأسير» خلّصه.

«و أمّا النهار» بالنصب والرفع كما تقدّم. قال الكيدريّ: «أمّا النهار» انتصابه على الظرفيّة و تعلّقه بما بعده من الصفات كحلماء و غيره. و «حلماء» خبر مبتدأ محذوف، أي فهم حلماء في النهار، و يجوز فيه الرفع على تقدير «أمّا النهار فهم حلماء فيه» فيكون مبتدأ والجملة بعده خبره و فيها ضمير مقدّر يعود إليه. و «الحلماء» ذوو الأناة أو العقلاء. و «برى السهم يبريه» أي نحته. و «القِداح» جمع «قِدح» بالكسر فيهما، و هو السهم قبل أن يراش و ينصّل، و هو كناية عن نحافة البدن وضعف الجسد، أو زوال الآمال والمطالب الدنيويّة.

١٠٥٨ ـ المطفّفين: ٤.

و «خولط فلان في عقله» إذا اختلّ عقله و صار مجنوناً، و «خالطه» أي مازجه. و قال الراونديّ و غيره: المعنى: يظنّ الناظر بهم الجنون و مابهم من جنّة، بل مازج قلوبهم أمر عظيم و هو الخوف فتولّهوا لأجله. و قيل: «و لقد خالطهم» أي صار سبباً لجنونهم الّذي يظنّه الناظر. «أمر عظيم» هو الخوف.

و قال الكيدريّ: «قد براهم الخوف» أي أنضاهم وأنحفهم. «خولطوا» أي خالط عقولهم جنون.

و «الاستكثار» عدّ الشيء كثيراً. و «اتّهمت فلاناً» أي ظننت فيه ما نسب إليه و «اتّهمته في قوله» أي شككت في صدقه، والاسم «التّهمة» كرطبة، والسكون لغة، و أصل التاء واو. والمراد أنّهم يظنّون بأنفسهم التقصير أو الميل إلى الدنيا، أوعدم الإخلاص في النيّة أو الأعمّ، أو يشكّون في شأنها و نيّاتها و يخافون أن يكون مقصودها في العبادات الرياء والسمعة و أن تجرّها العبادة إلى العجب، فلا يعتمدون عليها.

و «الاشفاق» الخوف، و إشفاقهم من السيّئات و إن تابوا منها لاحتمال عدم قبول توبتهم، و من الحسنات لاحتمال عدم القبول لاختلال بعض الشرائط وشوب النيّة، أو للأعمال السيّئة وقد قال الله ـ عزّ و جلّ ـ: «إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ»[١٠٥٩].

«إذا زكّي أحدهم»، «التزكية» المدح، وخوفهم من الوقوع في العجب والاتكال على العمل و سؤال عدم المؤاخذة لذلك، و يحتمل أن يكون كناية عن عدم الرضا بما يقولون، والتبرّي من التزكية و ظنّ البراءة بالنفس فإنّ النفس أمّارة بالسوء إلّا ما رحم الله.

«واجعلني أفضل ممّا يظنّون» أي وفّقني لدرجة فوق ما يظنّون بي من حسن العمل والقبول.

و قال ابن أبي الحديد: قد قاله لقوم مرّ عليهم، و هم مختلفون في أمره فنهم

١٠٥٩ ـ المائدة: ٢٧.

الحامد له، و منهم الذامّ، فقال ـ عليه السّلام ـ: [اللّهمّ] إن كان ما يقوله الذامّون حقّاً فلا تؤاخذني به، و إن كان ما يقوله الحامدون حقّاً فاجعلني أفضل ممّا يظنّون.[١٠٦٠]

«فن علامة أحدهم أنّك ترى له»، في بعض النسخ: «لهم» فالضمير راجع إلى معنى أحدهم. و «القوّة في الدين» أن لا يتطرّق إلى الايمان الشك، والشبهات و إلى الأعمال الوساوس والخطرات، أو أن لا يدرك العزم في الأمور الدينية وني ولافتور للوم و غيره، قال ـ تعالى ـ: «يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ»[١٠٦١].

و «الحَزم» بالفتح، ضبط الأمر، والأخذ فيه بالثقة، والحذر من فواته و كأنّ المعنى أنّه لايصير حزمه سبباً لخشونته، بل مع الحزم يداري الخلق ويلاينهم.

و «القصد» التوسّط بين طرفي الإفراط والتفريط و ترك الإسراف والتقتير، أي يقتصد في حال الغنا، أو في تحصيل الغنا، أو في الانفاق مع غنى النفس. و «التجمّل» التزيّن و تكلّف الجميل و إظهاره، و «التجمّل في الفاقة» سلوك مسلك الأغنياء والمتجمّلين في حال الفقر، و ذلك بترك الشكوى إلى الخلق والابتهاج بما أعطى الله و إظهار الغنى عن الخلق، أو التجمّل والتزيّن في الفاقة بما أمكن و عدم إظهار الفاقة للناس، إلّا ما لايمكن ستره أو زائداً على ما هو الواقع كالفقراء الطامعين فيما في أيدى الناس.

«والصبر في الشدّة» الصبر على شدّة الفقر أو العبادة أو المصائب أو الأعمّ. و «الطلب في الحلال» الكسب من غير الطرق الّتي نهي عنها. و «النشاط» بالفتح، طيب النفس للعمل و غيره. و «الهدى» الرشاد والدلالة، أي ينشط لهداية الناس، أو لاهتدائه في نفسه. و «التحرّج» التأثّم، والمعنى جعل الطمع حرجاً وعدّه إثما وعيباً.

و قال ابن أبي الحديد: حرف الجرّ في بعض هذه المواضع يتعلّق بالظاهر فيكون موضعه نصباً بالمفعوليّة، و في بعضها يتعلّق بمحذوف فيكون موضعه أيضاً نصباً

١٠٦٠ ـ شرح النهج لابن أبي‌الحديد، ج ١٠، ص ١٤٨، ط بيروت.

١٠٦١ ـ المائدة: ٥٤.

على الصفة؛ ففي قوله «في دين» يتعلّق بالظاهر أي «قوّة»، يقال: فلان قويّ في كذا و على كذا، و «في لين» يتعلّق بمحذوف أي حزما كائناً في لين، و «في يقين» و «في علم» يتعلّق بالظاهر، و «في» بمعنى «على» كقوله ـ تعالى ـ: «وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ»[١٠٦٢]. و «في غنًى» يتعلّق بمحذوف، و «في عبادة» يحتمل الأمرين، و «في فاقة» بمحذوف، و «في شدّة» يحتمل الأمرين، و «في حلال» يتعلّق بالظاهر و «في» بمعنى اللام، و «في هدى» يحتملها، و «عن طمع» بالظاهر.

و «الوجل» الخوف، و خوفهم من التقصير في العمل كمّاً أو كيفاً أو من عذاب الله إشارة إلى قوله ـ سبحانه ـ: «يُؤْتُونَ مَا آتَوْا ـ الآية»[١٠٦٣]. و «الهمّ» أوّل العزم، و ما قصده الانسان و أضمره في نفسه، و كأنّ تخصيص الشكر بالمساء لأنّ الرزق و إفاضة النعم والفوز بالمكاسب يكون في اليوم غالباً، و تخصيص الذكر بالصباح لأنّ الشواغل عن الذكر في اليوم أكثر، و كلّ يوم كأنّه وقت استيناف العمل.

و «الحذر» و «الفرح» ـ ككتف ـ صفتان من الحذر والفرح، بالتحريك. والمراد بالفضل والرحمة، التوفيق والهداية أو ما يشمل النعم الدنيويّة، و هذا الفرح يعود إلى الشكر، و قال بعض الشارحين: ليس المقصود تخصيص البيات بالحذر والصباح بالفرح بل كما يقول أحدنا: يمسي و يصبح حذراً فرحاً، و كذلك تخصيص الشكر بالمساء والذكر بالصباح، و يحتمل أن لايكون مقصوداً.

و «الصعب» نقيض الذلول، و «استصعبت على فلان دابّته» أي صعبت، و «استصعبت عليه نفسه» أي لم تطعه في العبادات المكروهة للنفس و ترك المعاصي، لأنّ النفس أمّارة بالسوء إلّا ما رحم الله.

«و لم يعطها سؤلها فيما تحبّ» أي لم يطاوع النفس فيما تريده من هذا الأمر الّذي استصعبت عليه، أو في غيره من اللذّات لتنقاد و تترك الاستصعاب، إذ إطاعة النفس في لذّاتها توجب طغيانها وقوّتها في الباطل و بعدها عن الله، و لذا ترى القوّة على العبادة في المرتاضين و من أنحلتهم العبادة أكثر منها في الأقوياء والمترفين بالنعم.

١٠٦٢ـ طه: ٧١. ١٠٦٣ـ المؤمنون: ٦٠.

و «قرّت عين فلان و أقرّ الله عينه» ـ كفرّ وعضّ ـ أي سرّ وفرح، و معناه: أبرد الله دمعة عينه لأنّ دمعة الفرح والسرور باردة، و دمعة الحزن حارّة، و قيل: معنى «أقرّ الله عينك» بلّغك اُمنيّتك حتّى ترضى نفسك و تسكن عينك فلا تستشرف إلى غيره، و قيل: معناه: أبرد الله عينك بأن ينقطع بكاءها، و قرّة عين كلّ أحد مأموله و منتهى رضاه.

و «ما لا يزول» ما عندالله والدار الآخرة. و «ما لا يبقى» الدنيا و زخارفها. «يمزج الحلم بالعلم» أي يحلم للعلم بفضله لا لضعف النفس و عدم المبالاة بما قيل له، أو فعل به، أو لا يطيش في المحاورات والمباحثات مع أنّه يقول عن علم؛ و قيل: المراد بالحلم العقل، أي يتعلّم عن تفكّر و تدبّر ولا يعتمد على الظنون و الآراء الواهية، أو يتفكّر فيا علم و يحفظه حتّى يتمكّن في قلبه. «والقول بالعمل» أي إذا أمر الناس بمعروف أو نهاهم عن منكر عمل به، أو يفي بالوعد، أو يقرن الايمان بالأعمال الصالحة، أو يجمع بين القول الجميل والفعل الحسن.

و «النزر والمنزور» القليل. و «الاُكُل» ـ كعنق ـ الحظّ من الدنيا؛ و في بعض النسخ: «أكله» بالفتح، أي لايمتلئ من الطعام، لأنّه من أسباب الكسل عن العبادة و كثرة النوم. و «الحِرز» الموضع الحصين، و «حرز حريز» كحصنٍ حصين، و «حرزه» ـ كنصره ـ حفظه والمراد عدم إهماله في أمردينه وعدم تطرّق الخلل إليه. و «المأمول» المرجوّ.

«إن كان في الغافلين» لعلّ الغرض من القرينتين أنّه لايزال ذاكراً لله سواء كان مع الغافلين أو مع الذاكرين، أمّا إذا كان في الغافلين فيذكر الله بقلبه أو بلسانه أيضاً فيصير سبباً لذكرهم أيضاً، فيكتب أنّه في الذاكرين.

و قوله ـ عليه السّلام ـ «لم يكتب من الغافلين» كأنّه تفنّن في العبارة، أو المعنى أنّه ليس ذكره بمحض اللسان ليكتب من الغافلين بل قلبه أيضاً مشغول بذكره ـ تعالى ـ.

والغالب في الصلة والقطع الاستعمال في الرحم، و قد يستعملان في الأعمّ

أيضاً.

و «بعيداً» عود إلى السياق السابق، والجمل معترضة، أو حال عن فاعل يصل، وقد يعبّر بالبعد عن العدم؛ و كذلك الغيبة والحضور والاقبال والإدبار و يحتمل القلّة فإنّ التقوى غير العصمة، و يمكن أن يراد بالإقبال الازدياد و بالإدبار الانتقاص، أي لا يزال يسعى فيزداد خيره و ينتقص شرّه.

و قال الوالد ــ رحمه الله ــ: يمكن أن يراد بالمعروف والمنكر الاحسان والاساءة إلى الخلق.

و «الزلازل» الشدائد. و «الوقور» فعول من «الوَقار» بالفتح، و هو الحلم والرزانة. و «الرخاء» سعة العيش. و «الحيف» الجور والظلم. والمراد بالإثم الميل عن الحقّ والغرض أنّه لايترك الحقّ للعداوة والمحبّة إذا كان حاكماً، أو لايجور على العدوّ و لا يساعد المحبّ بما يخرج عن الحقّ.

«لا يضيع ما استحفظ» أي ما أُودع عنده من الأموال والأسرار، والتضييع في الأوّل بالخيانة والتفريط و في الثانية بالاذاعة والافشاء، و يحتمل شموله لما استحفظه الله من دينه و كتابه. «و لا ينسى ما ذكّر» أي ما أُمر بتذكّره من آيات الله و عبره و أمثاله، أو الأعمّ منها و من أحكام الله والموت والمصير إلى الله و أهوال الآخرة.

و «النبز» بالتحريك، اللقب، قيل: و كثر فيما كان ذمّاً، و «المنابزة والتنابز» التعاير والتداعي بالألقاب. و «المضارّة» الاضرار. و «الجار» المجاور في السكنى و من آجرته من أن يظلم. و «شمت ــ كفرح ــ شماتة» بالفتح، أي فرح ببليّة العدوّ. «لا يدخل في الباطل» أي في مجلس الفسق واللهو والفساد، أو المراد عدم ارتكاب الباطل، و كذا «الخروج من الحقّ» أي من مجالسه، أو عدم ترك الحقّ.

«لم يغمّه صمته» لعلمه بمفاسد الكلام و عدم التذاذه بالباطل من القول، أو لاشتغال قلبه حين الصمت بذكر الله. «لم يعل صوته» أي لايشتدّ صوته أو يكتفي بالتبسّم، إذ الخروج عنه يكون غالباً بالضحك بالصوت العالي، والواسطة نادرة. و «أراح الناس» لاشتغاله بنفسه. و «الزهد» خلاف الرغبة، و كثيراً ما يستعمل في

عدم الرغبة في الدنيا. و «النّزاهة» بالفتح، التباعد عن كلّ قدر و مكروه، و إنّما كان تباعده زهداً و نزاهة لأنّه إنّما يرغب عن أهل الدنيا و أهل الباطل؛ و قيل: نزاهة عن تدنّس العرض.

و «الخديعة»ــ ككريهة ــ الاسم من «خدعة» أي ختله و أراد به المكروه من حيث لايعلم. و «صعق» ــ كسمع ــ: أي غُشي عليه من صوت شديد سمعه أو من غيره، و ربّما مات منه. «كانت نفسه فيها» أي مات بها، و يحتمل أن يراد بالصعقة الصيحة، كما هو الغالب في هذا المقام. و يراد بكون نفسه فيها خروج روحه بخروجها. و «ويح» كلمة رحمة و يستعمل في التعجّب كما مرّ مراراً، والتلطّف في مثل هذا المقام من قبيل الاحسان إلى من أساء. و قد مرّ الكلام في هذا المقام و في بعض ما تقدّم في شرح رواية الكافي فلانعيده.

و أقول: روى في تحف العقول أيضاً مثله.[1064]

و أقول: لمّا سلك قدوة المحقّقين ابن ميثم البحرانيّ في شرح هذا الحديث مسلكا آخر، أردت إيراده ليطّلع الناظر في كتابنا على أكثر ما قيل في ذلك فأوردته.[1065]

قال ــ قدّس سرّه ــ: وصف ــ عليه السّلام ــ المتّقين بالوصف المجمل فقال: «فالمتّقون فيها هم أهل الفضائل» أي الّذين استجمعوا الفضائل المتعلّقة باصلاح قوّتي العلم والعمل، ثمّ شرع في تفصيل تلك الفضائل و نسقها.

فالأولى: الصواب في القول و هوفضيلة العدل المتعلّقة باللّسان، و حاصله أن لايسكت عمّا ينبغي أن يقال فيكون مفرّطا، ولا يقول ما ينبغي أن يسكت عنه فيكون مفرطا، بل يضع كلّاً من الكلام في موضعه اللائق به و هو أخصّ من الصدق، لجواز أن يصدق الانسان فيما لاينبغي من القول.

الثانية: «و ملبسهم الاقتصاد» و هوفضيلة العدل في الملبوس، فلا يلبس ما

١٠٦٤ ـ تحف العقول، ص ١٥٤-١٥٨، ط إسلامية.

١٠٦٥ ـ شرح النهج لابن ميثم، ج ٣، ص ٤١٤-٤٢٥.

يلحقه بدرجة المترفين و لا يلحقه بأهل الخسّة والدناءة ممّا يخرج به عن عرف الزاهدين في الدنيا.

الثالثة: مشي التواضع، والتواضع ملكة تحت العفّة، يعود إلى العدل بين رذيلتي المهانة والكبر و مشي التواضع مستلزم للسكون والوقار.

الرابعة: غضّ الأبصار عمّا حرّم الله و هو ثمرة العفّة.

الخامسة: وقوفهم أسماعهم على سماع العلم النافع، و هو فضيلة العدل في قوّة السمع. والعلوم النافعة ما هو كمال القوّة النظرية من العلم الالـهيّ و ما يناسبه و ما هو كمال للقوّة العمليّة و هي الحكمة العمليّة.

السادسة: نزول أنفسهم منهم في البلاء كنزولها في الرخاء، أي لا تقنط من بلاء ينزل بها ولا تبطر برخاء يصيبها، بل مقامها في الحالين مقام الشكر. و «الّذي» صفة مصدر محذوف والضمير العائد إليه محذوف أيضاً، والتقدير: نزلت كالنزول الّذي نزلته في الرخاء. و يحتمل أن يكون المراد بـ«الّذي» «الّذين» فحذف النون كما في قوله ــ تعالى ــ: «كَالَّذِي خَاضُوا»[١٠٦٦]. و يكون المقصود تشبيههم حال نزول أنفسهم منهم في البلاء بالّذي نزلت أنفسهم منهم في الرخاء، والمعنى واحد.

السابعة: غلبة الشوق إلى ثواب الله والخوف من عقابه على نفوسهم إلى غاية أنّ أرواحهم لا تستقرّ في أجسادهم من ذلك، لولا الآجال الّتي كتبت لهم. و هذا الشوق والخوف إذا بلغ إلى حدّ الملكة، فإنّه يستلزم دوام الجدّ في العمل والاعراض عن الدنيا، و مبدأ هما تصوّر عظمة الخالق، و بقدر ذلك يكون تصوّر عظمة وعده و وعيده، و بحسب قوّة ذلك التصوّر يكون قوّة الخوف والرجاء و هما بابان عظيمان للجنّة.

الثامنة: عظم الخالق في أنفسهم، و ذلك بحسب الجواذب الالـهيّة إلى الاستغراق في محبّته و معرفته، و بحسب تفاوت تصوّر عظمته ــ تعالى ــ يكون تصوّرهم لأصغريّة مادونه، و نسبته إليه في أعين بصائرهم.

و قوله «فهم والجنّة كمن قد رآها» إلى قوله «معذّبون» إشارة إلى أنّ

١٠٦٦ ـ التوبة: ٦٩.

العارف و إن كان في الدنيا بجسده فهو في مشاهدته بعين بصيرته لأحوال الجنّة و سعادتها و أحوال النار و شقاوتها، كالّذين شاهدوا الجنّة بعين حسّهم و تنعّموا فيها و كالّذين شاهدوا النار و عذّبوا فيها. و هي مرتبة عين اليقين، فبحسب هذه المرتبة كانت شدّة شوقهم إلى الجنّة و شدّة خوفهم من النار.

التاسعة: حزن قلوبهم، و ذلك ثمرة الخوف الغالب.

العاشرة: كونهم مأموني الشرور، و ذلك أنّ مبدء الشرور محبّة الدنيا و أباطيلها، والعارفون بمعزل عن ذلك.

الحادية عشر: نحافة أجسادهم، و مبدء ذلك كثرة الصيام والسهر و جشوبة المطعم و خشونة الملبس و هجر الملاذّ الدنيويّة.

الثانية عشر: خفّة حاجاتهم، و ذلك لاقتصارهم من حوائج الدنيا على القدر الضروريّ من ملبس و مأكل، و لا أخفّ من هذه الحاجة.

الثالثة عشر: عفّة أنفسهم، و ملكة العفّة فضيلة القوّة الشهويّة و هي الوسط بين رذيلتي خمود الشهوة والفجور.

الرابعة عشر: الصبر على المكاره أيّام حياتهم من ترك الملاذّ الدنيويّة و احتمال أذى الخلق؛ و قد عرفت أنّ الصبر مقاومة النفس الأمّارة بالسوء لئلاّ ينقاد إلى قبائح اللذّات. و إنّما ذكر قصر مدّة الصبر و استعقابه للراحة الطويلة ترغيباً فيه و تلك الراحة بالسعادة في الجنّة كما قال ـ تعالى ـ: «وَجَزاهُمْ بِما صَبَرُوا جَنَّةً وَ حَرِيراً ـ الآية»[١٠٦٧]. و قوله «تجارة مربحة» استعار لفظ التجارة لأعمالهم الصالحة و امتثال أوامر الله. و وجه المشابهة كونهم متعوّضين بمتاع الدنيا و بحركاتهم في العبادة متاع الآخرة. و رشّح بلفظ الربح لأفضليّة متاع الآخرة و زيادته في النفاسة على ما تركوه. وظاهر أنّ ذلك بتيسير الله لأسبابه و إعدادهم له بالجواذب الإلهيّة.

الخامسة عشر: عدم إرادتهم للدنيا مع إرادتها لهم، و هو إشارة إلى الزهد الحقيقيّ و هو ملكة تحت العفّة، و كنى بارادتها لهم عن كونهم أهلاً لأن يكونوا فيها

١٠٦٧ ـ الانسان: ١٢.

رؤوساً و أشرافا كقضاة و وزراء و نحو ذلك و كونها بمعرض أن تصل إليهم لو أرادوها. و يحتمل أن يريد: أرادهم أهل الدنيا، فحذف المضاف.

السادسة عشر: افتداء من أسرته لنفسه منها، و هو إشارة إلى من تركها و زهد فيها بعد الانهماك فيها والاستمتاع بها، ففكّ بذلك الترك والإعراض والتمرّن على طاعة الله أغلال الهيئات الرديّة المتلبّسة منها عن عنقه. و لفظ الأسر استعارة في تمكّن تلك الهيئات من نفوسهم، و لفظ الفدية استعارة لتبديل ذلك الاستمتاع بها بالاعراض عنها والمواظبة على طاعة الله. و إنّما عطف بالواو في قوله «و لم يريدوها» و بالفاء في قوله «ففدوا» لأنّ زهد الانسان في الدنيا كما يكون متأخراً عن إقبالها عليه، كذلك قد يكون متقدّماً عليه لقوله ــ صلى الله عليه وآله ــ «و من جعل الآخرة أكبر همّه جمع الله عليه همّه و أتته الدنيا و هي راغمة»، فلم يحسن العطف هنا بالفاء. و أمّا الفدية فلمّا لم يكن إلّا بعد الأسر لاجرم عطفها بالفاء.

السابعة عشر: كونهم صافّين أقدامهم بالليل يتلون القرآن و يرتّلونه... إلى قوله «آذانهم»، و ذلك إشارة إلى تطويع نفوسهم الأمّارة بالسوء بالعبادات و شرح لكيفيّة استيثارهم للقرآن العزيز في تلاوته و غاية ترتيلهم له بفهم مقاصده و تحزينهم لأنفسهم به عند ذكر الوعيدات من جملة استيثارهم لدواء دائهم. و لمّا كان داءهم هو الجهل و سائر الرذائل العمليّة، كان دواء الجهل بالعلم و دواء كلّ رذيلة الحصول على الفضيلة المضادّة لها، فهم بتلاوة القرآن يستثيرون بالتحزين الخوف عن وعيد الله المضادّ للانهماك في الدنيا، وداءه العلم الّذي هو دواء الجهل؛ و كذلك كلّ فضيلة حثّ القرآن عليها، فهي دواء لما يضادّها من الرذائل. و باقي الكلام شرح لكيفيّة التحزين والتشويق.

و قوله «فهم حانون على أوساطهم» ذكر لكيفيّة ركوعهم. و قوله «مفترشون لجباههم...» إلى قوله «أقدامهم» إشارة إلى كيفيّة سجودهم و ذكر الأعظم السبعة و قوله «يطلبون...» إلى قوله «رقابهم» إشارة إلى غايتهم من عبادتهم تلك.

الثامنة عشر: من صفاتهم بالنهار كونهم حكماء وأراد الحكمة الشرعيّة و ما فيها من كمال القوّة العلميّة والعمليّة لكونها المتعارفة بين الصحابة والتابعين و روي:

«حلماء» و «الحلم» فضيلة تحت ملكة الشجاعة هي الوسط بين رذيلتي المهانة والافراط في الغضب. و إنّما خصّ الليل بالصلاة لكونها أولى بها من النّهار.

التاسعة عشر: كونهم علماء وأراد كمال القوّة النظريّة بالعلم النظّريّ و هو معرفة الصانع و صفاته.

العشرون: كونهم أبراراً والبرّ يعود إلى العفيف لمقابلته الفاجر.

الحادية والعشرون: كونهم أتقياء، والمراد بالتقوى ههنا الخوف من الله. و قد مرّ ذكر العفّة والخوف و إنّما كرّرهما هنا في عداد صفاتهم بالنّهار و ذكرها هناك في صفاتهم المطلقة. و قوله «وقد براهم الخوف...» إلى قوله «عظيم» شرح لفعل الخوف الغالب بهم، و إنّما يفعل الخوف ذلك لاشتغال النفس المدبّرة للبدن به عن النظر في صلاح البدن و وقوف القوّة الشهوية والغاذيّة عن أداء بدل ما يتحلّل و شبّه بري الخوف لهم ببري القداح، و وجه التشبيه شدّة النحافة، و يتبع ذلك تغير السحنات[١٠٦٨] والضعف عن الانفعالات النفسانيّة من الخوف والحزن حتّى يحسبهم الناظر مرضى و إن لم يكن بهم مرض.

«و يقول قد خولطوا» و ذلك إشارة إلى ما يعرض لبعض العارفين عند اتّصال نفسه بالملأ الأعلى و اشتغالها عن تدبير البدن و ضبط حركاته أن يتكلّم بكلام خارج عن المتعارف يستبشع بين أهل الشريعة الظاهرة فينسب ذلك منه إلى الاختلاط والجنون و تارة إلى الكفر والخروج عن الدين. و قوله «ولقد خالطهم أمر عظيم» هو اشتغال أسرارهم بملاحظة جلال الله و مطالعة أنوار الملأ الأعلى.

الثانية والعشرون: كونهم لايرضون[من أعمالهم] القليل إلى قوله «الكبير» و ذلك لتصوّرهم شرف غايتهم المقصودة بأعمالهم. و قوله «فهم لأنفسهم متّهمون...» إلى قوله «ما لا يعلمون» فتهمتهم لأنفسهم و خوفهم من أعمالهم يعود إلى شكّهم فيما يحكم به أوهامهم من حسن عبادتهم و كونها مقبولة أو واقعة على الوجه المطلوب الموصل إلى الله ـ تعالى ـ فإنّ هذا الوهم يكون مبدأ للعُجب بالعبادة والتقاصر عن

١٠٦٨ـ «السحنة» بالتحريك، الهيئة واللون، ولين البشرة، والنعمة.

الازدياد عن العمل والتشكّك في ذلك و تهمة النفس بانقيادها في ذلك الحكم للنفس الأمّارة يستلزم خوفها أن تلك الأعمال قاصرة عن الوجه المطلوب و غير واقعة عليه و ذلك باعث على العمل و كاسر للعجب به، وقد عرفت أنّ العجب من المهلكات كما قال ـ عليه السّلام ـ: «ثلاث مهلكات: شحّ مطاع، وهوى متبع، و إعجاب المرء بنفسه».

و كذلك خوفهم من تزكية الناس لهم هو الدواء لما ينشأ من تلك التزكية من الكبر والعجب بما يزكّون به، فيكون جواب أحدهم عند تزكيته أنّي أعلم بنفسي من غيري... إلى آخره.

ثمّ شرع ـ عليه السّلام ـ بعد ذلك في علاماتهم الّتي بجملتها يعرف أحدهم. والصفات السابقة و إن كان كثير منها ممّا يخصّ أحدهم و يعرف به إلّا أنّ بعضها قد يدخله الرياء فلا يدلّ على التقوى الحقّة، فجمعها ههنا و نسقها.

فالأولى: القوّة في الدين، و ذلك أن يقاوم في دينه الوسواس الخنّاس ولا يدخل فيه خداع الناس، و هذا إنّما يكون في الدين العالم.

الثانية: الحزم في الأمور الدنيويّة والدينيّة والتثبّت فيها ممزوجاً باللين للخلق و عدم الفضاضة عليهم كما في المثل: «لا تكن حلواً فتسترط ولا مرّاً فتلفظ»[١٠٦٩]. و هي فضيلة العدل في المعاملة مع الخلق و قد علمت أن اللين قد يكون للتواضع المطلوب بقوله ـ [تعالى] ـ: «وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ»[١٠٧٠]. و قد يكون من مهانة وضعف يقين، والأوّل هو المطلوب و هو المقارن للحزم في الدين و مصالح النفس والثاني رذيلة ولا يمكن معه الحزم لانفعال المهين عن كلّ جاذب.

١٠٦٩ـ ذكره الجوهريّ في «سرط» ولفظه: لا تكن حلواً فتسترط ولا مرّاً فتعق»؛ و«تعق» بمعنى تلفظ، من قولهم «أعقيت الشيء» إذا أزلته من فيك لمرارته، كما يقال: «أشكيت الرجل» إذا أزلته عمّا يشكوه. الصحاح، ص ١١٣٠.

وهكذا ذكره الميدانيّ وقال: «الاستراط» الابتلاع. و«الاعقاء» أن تشتدّ مرارة الشيء حتّى يلفظ لمرارته. وبعضهم يروي: «فتعق» بوزن «فتسترط» والصواب كسر القاف، يقال: «أعق الشيء». والمعنى: لا تتجاوز الحدّ في المرارة فترمى، ولا في الحلاء فتبلع، أي كن متوسّطاً. مجمع الأمثال، ج ٢، ص ٢٣٢، تحت الرقم ٣٦٠٤.

١٠٧٠ـ الشعراء: ١١٥.

الثالثة: الإيمان في اليقين، و لمّا كان الإيمان عبارة عن التصديق بالصانع و بما وردت به الشريعة و كان ذلك التصديق قابلاً للشدّة والضعف، فتارة يكون عن التقليد و هو الاعتقاد المطابق لا لموجب و تارة يكون عن العلم و هو الاعتقاد المطابق لموجب هو الدليل و تارة عن العلم به مع العلم بأنّه لايكون إلّا كذلك و هو علم اليقين. و محقّقو السالكين لايقفون عند هذه المرتبة بل يطلبون بعين اليقين بالمشاهدة بعد طرح حجب الدنيا والاعراض عنها. أراد أنّ علمهم علم اليقين لايتطرّق إليه احتمال.

الرابعة: الحرص في العلم والازدياد منه.

الخامسة: مزج العلم ــ و هو فضيلة القوّة الملكيّة ــ بالحلم و هو من فضائل القوّة السبعيّة.

السادسة: القصد في الغنى و هو فضيلة العدل في استعمال متاع الدنيا و حذف الفضول عن قدر الضرورة.

السابعة: الخشوع في العبادة و هو من ثمرة الفكر في جلال المعبود و ملاحظة عظمته الّذي هو روح العبادة.

الثامنة: التجمّل في الفاقة: و ذلك بترك الشكوى إلى الخلق والطلب منهم و إظهار الغنى عنهم، و ينشأ عن القناعة والرضا و علوّ الهمّة و يعين على ذلك ملاحظة الوعد العاجل و ما أُعدّ للمتّقين.

التاسعة: و كذلك الصبر في الشدّة.

العاشرة: الطلب في الحلال و ينشأ عن العفّة.

الحادية عشر: النشاط في الهدي و سلوك سبيل اللّه و ينشأ عن قوّة الاعتقاد فيما وعد المتّقون و تصوّر شرف الغاية.

الثانية عشر: عمل الصالحات على و جل، أي من أن يكون على غير الوجه اللائق فلا يقبل كما روي عن زين العابدين ــ عليه السّلام ــ أنّه كان في التلبية و هو على راحلته و خرّ مغشيّاً عليه، فلمّا أفاق قيل له في ذلك فقال: «خشية أن يقول

لي: لا لبّيك ولا سعديك».

الثالثة عشر: أن يكون همّهم عند المساء الشكر على ما رزقوا بالنهار و ما لم يرزقوا و يصبحوا و همّهم الذكر لله ليذكرهم الله فيرزقهم من الكمالات النفسانيّة والبدنيّة كما قال ــ تعالى ــ: «فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ»[١٠٧١].

الرابعة عشر: أن يبيت حذراً و يصبح فرحاً، و قوله «حذراً...» إلى قوله «الرحمة» تفسير للمحذور و ما به الفرح و ليس مقصوده تخصيص البيات بالحذر والصباح بالفرح، بل كما يقول أحدنا: يمسي فلان و يصبح حذراً فرحاً. و كذلك تخصيصه الشكر بالمساء والذكر بالصباح يحتمل أن لايكون مقصوداً.

الخامسة عشر: «إن استصعبت...» إلى قوله «تحبّ» إشارة إلى مقاومته لنفسه الأمّارة بالسوء عند استصعابها عليه و قهره لها على ماتكره و عدم متابعته لها في ميولها الطبيعيّة ومحابّها.

السادسة عشر: أن يرى قرّة عينه فيما لايزول، أي من الكمالات النفسانيّة الباقية كالعلم والحكمة و مكارم الأخلاق المستلزمة للذّات الباقية والسعادة الدائميّة. و «قرّة عينه» كناية عن لذّته و ابتهاجه لاستلزامهما لقرار العين و بردها برؤية المطلوب و زهادته فيما لايبقى من متاع الدنيا.

السابعة عشر: أن يمزج العلم بالحلم فلا يجهل ولا يطيش والقول بالعمل، فلا يقول ما لايفعل فلا يأمر بمعروف فيقف دونه ولا ينهى عن منكر ثمّ يفعله ولا يعد فيخلف، فيدخل في مقت الله كما قال ــ تعالى ــ: «كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ»[١٠٧٢].

الثامنة عشر: قصر أمله و قربه، و ذلك لكثرة ذكر الموت والوصول إلى الله.

التاسعة عشر: قلّة زلله وقد عرفت أنّ زلل العارفين يكون من باب ترك الأولى لأنّ صدور الخيرات عنهم صار ملكة والجواذب فيهم إلى الزلل والخطيئات نادرة تكون لضرورة منهم أوسهو، ولا شكّ في قلّته.

١٠٧١ ـ البقرة: ١٥٢. ١٠٧٢ ـ الصف: ٣.

العشرون: خشوع قلبه عن تصوّر عظمة المعبود.

الحادية والعشرون: قناعة نفسه و ينشأ عن ملاحظة حكمة الله في قدرته و قسمته الأرزاق، و يعين عليها تصوّر فوائدها الحاضرة و غايتها في الآخرة.

الثانية والعشرون: قلّة أكله و ذلك لما يتصوّر في البطنة من ذهاب الفطنة و زوال الرقّة و حدوث القسوة والكسل عن العمل.

الثالثة والعشرون: سهولة أمره، أي لايتكلّف لأحد ولا يكلّف أحداً.

الرابعة والعشرون: حرزدينه، فلا يهمل منه شيئاً ولا يطرق إليه خللاً.

الخامسة والعشرون: موت شهوته، و لفظ الموت مستعار لخمود شهوته عمّا حرم عليه و يعود إلى العفّة.

السادسة والعشرون: كظم غيظه و هو من فضائل القوّة الغضبيّة.

السابعة والعشرون: كونه «مأمول الخير» و ذلك لأكثريّة خيريّته [و كونه] «مأمون الشرور» و ذلك لعلم الخلق بعدم قصده للشرور.

الثامنة والعشرون: قوله «إن كان من الغافلين...» إلى قوله «الغافلين» أي إن رآه الناس في أعداد الغافلين عن ذكرالله لتركه الذكر باللسان، كتب عندالله من الذاكرين لاشتغال قلبه بالذكر و إن تركه بلسانه، و إن كان من الذاكرين بلسانه بينهم فظاهر أنّه لايكتب من الغافلين. ولذكر الله ممادح كثيرة و هو باب عظيم من أبواب الجنّة والاتّصال بجناب الله، و قد أشرنا إلى فضيلته و أسراره.

التاسعة والعشرون: عفوه عمّن ظلمه، والعفو فضيلة تحت الشجاعة و خصّ من ظلمه ليتحقّق عفوه مع قوّة الداعي إلى الانتقام.

الثلاثون: و يعطي من حرمه و هي فضيلة تحت السخاء.

الحادية والثلاثون: و يصل من قطعه، والمواصلة فضيلة تحت العفّة.

الثانية والثلاثون: بعد فحشه، و أراد ببعد الفحش عنه أنّه قلّما يخرج في أقواله إلى ما لا ينبغي.

الثالثة والثلاثون: لينه في القول عند محاورات الناس و وعظهم و معاملتهم و

هو من أجزاء التواضع.

الرابعة والثلاثون: غيبة منكره و حضور معروفه و ذلك للزومه حدود الله.

الخامسة والثلاثون: إقبال خيره و إدبار شرّه، و هو كقوله «الخير منه مأمول والشرّ منه مأمون» و يحتمل باقبال خيره أخذه في الازدياد من الطاعة و تشميره فيها، و بقدر ذلك يكون إدباره عن الشرّ لأنّ من استقبل أمراً وسعى فيه بعد عمّا يضادّه و أدبر عنه.

السادسة والثلاثون: و قاره في الزلازل، و كنى بها عن الأمور العظام والفتن الكبار المستلزمة لاضطراب القلوب و أحوال الناس، والوقار ملكة تحت الشجاعة.

السابعة والثلاثون: كثرة صبره في المكاره، و ذلك عن ثباته و علوّ همّته عن أحوال الدنيا.

الثامنة والثلاثون: كثرة شكره في الرخاء و ذلك لمحبّته المنعم الأوّل جلّت قدرته فيزداد شكره في رخائه و إن قلّ.

التاسعة والثلاثون: كونه لايحيف على من يبغض و هو سلب للحيف والظلم مع قيام الداعي إليها و هو البغض لمن يتمكّن من حيفه و ظلمه.

الأربعون: كونه لايأثم فيمن يحبّ و هو سلب لرذيلة الفجور عنه باتّباع الهوى فيمن يحبّ، إمّا باعطائه مالايستحقّ أودفع ما يستحقّ عليه عنه كما يفعله قضاة السوء و أمراء الجور، فالمتّقي لايأثم بشيء من ذلك مع قيام الداعي إليه و هو المحبّة لمن يحبّه، بل يكون على فضيلة العدل في الكلّ على السواء.

الحادية والأربعون: اعترافه بالحقّ قبل أن يشهد عليه، و ذلك لتحرّزه في دينه من الكذب، إذ الشهادة إنّما يحتاج إليها مع إنكار الحقّ و ذلك كذب.

الثانية والأربعون: كونه لايضيع أماناته ولا يفرط فيما استحفظه الله من دينه و كتابه، و ذلك لورعه و لزوم حدود الله.

الثالثة والأربعون: و لا ينسى ما ذكر من آيات الله وعبره و أمثاله ولا يترك العمل بها، و ذلك لمداومة ملاحظتها و كثرة إخطارها بباله والعمل لعنايته المطلوبة منه.

الرابعة والأربعون: ولا ينابز بالألقاب، و ذلك لملاحظته النهي في الذكر الحكيم: «وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ»[۱۰۷۳] ولسرّ ذلك النهي و هو كون ذلك مستلزماً لإثارة الفتن والتباغض بين الناس والفُرقة المضادّة لمطلوب الشارع.

الخامسة والأربعون: ولا يضارّ بالجار لملاحظة وصيّة الله ــ تعالى ــ به: «وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ»[۱۰۷٤] و وصيّة رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ في المرفوع إليه: «أوصاني ربّي بالجار حتّى ظننت أنّه يورّثه»، و لغاية ذلك و هي الألفة والاتّحاد في الدين.

السادسة والأربعون: ولا يشمت بالمصائب، و ذلك لعلمه بأسرار القدر و ملاحظته لأسباب المصائب و أنّه في معرض أن تصيبه فيتصوّر أمثالها في نفسه فلا يفرح بنزولها على غيره.

السابعة والأربعون: أنّه لا يدخل في الباطل ولا يخرج عن الحقّ، أي لا يدخل فيما يبعّد عن الله ــ تعالى ــ من باطل الدنيا ولا يخرج عمّا يقرّب إليه من مطالبه الحقّة، و ذلك لتصوّر شرف غايته.

الثامنة والأربعون: كونه لايغمّه صمته لوضعه كلّاً من الصمت والكلام في موضعه و إنّما يستلزم الغمّ الصمت عمّا ينبغي من القول و هو صمت في غير موضعه.

التاسعة والأربعون: كونه لا يعلو ضحكه، و ذلك لغلبة ذكر الموت و ما بعده على قلبه؛ و ممّا نقل من صفات الرسول ــ صلّى الله عليه وآله ــ: كان أكثر ضحكه التبسّم و قد يفترّ أحياناً و لم يكن من أهل القهقهة والكركرة و هما كيفيّتان للضحك.

الخمسون: صبره في البغي عليه إلى غاية انتقام الله له، و ذلك منه نظراً إلى ثمرة الصبر إلى الوعد الكريم [في قوله ــ تعالى ــ]: «ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ ــ الآية»[۱۰۷۵] و قوله: «وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ»[۱۰۷٦].

۱۰۷۳ ــ الحجرات: ۱۱. ۱۰۷٤ ــ النساء: ۳٦. ۱۰۷۵ ــ الحجّ: ٦۰. ۱۰۷٦ ــ النحل: ۱۲٦.

الحادية والخمسون: كون نفسه منه في عناء، أي نفسه الأمّارة بالسوء لمقاومته لها و قهرها و مراقبته إيّاها والناس من أذاه في راحة لذلك.

الثانية والخمسون: كون بعده عمّن تباعد عنه لزهده فيا في أيدي الناس و نزاهته عنه، لاعن كبر و تعظّم عليهم؛ و كذلك دنوّه ممّن دنا منه عن لين و رحمة منه لهم، لالمكربهم وخديعة لهم عن بعض المطالب كما هوعادة الخبيث المكّار.

و هذه الصفات والعلامات قد يتداخل بعضها، و لكن تورد بعبارة أُخرى أو تذكر مفردة ثمّ تذكر ثانياً مركّبة مع غيرها.[١٠٧٧]

١٩٤ — ومن خطبة له عليه السلام

يصف فيها المنافقين

نَحْمَدُهُ عَلَىٰ مَا وَفَّقَ لَهُ مِنَ الطَّاعَةِ ، وَذَادَ[٢٧٠٧] عَنْهُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ ، وَنَسْأَلُهُ لِمِنَّتِهِ تَمَاماً ، وَبِحَبْلِهِ اعْتِصَاماً. وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، خَاضَ إِلَىٰ رِضْوَانِ اللهِ كُلَّ غَمْرَةٍ[٢٧٠٨] ، وَتَجَرَّعَ فِيهِ كُلَّ غُصَّةٍ[٢٧٠٩] . وَقَدْ تَلَوَّنَ لَهُ الْأَدْنَوْنَ[٢٧١٠] ، وَتَأَلَّبَ عَلَيْهِ الْأَقْصَوْنَ[٢٧١١] ، وَخَلَعَتْ إِلَيْهِ الْعَرَبُ أَعِنَّتَهَا[٢٧١٢] ، وَضَرَبَتْ إِلَىٰ مُحَارَبَتِهِ بُطُونَ رَوَاحِلِهَا ، حَتَّىٰ أَنْزَلَتْ بِسَاحَتِهِ عَدَاوَتَهَا ، مِنْ أَبْعَدِ الدَّارِ ، وَأَسْحَقِ[٢٧١٣] الْمَزَارِ .

أُوصِيكُمْ ، عِبَادَ اللهِ ، بِتَقْوَى اللهِ ، وَأُحَذِّرُكُمْ أَهْلَ النِّفَاقِ ، فَإِنَّهُمْ

١٠٧٧ - بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٦٧، كتاب الإيمان والكفر، ص ٣١٧-٣٤١.

الضَّالُّونَ ٱلْمُضِلُّونَ ، وَالزَّالُّونَ ٱلْمُزِلُّونَ(٢٧١٤) ، يَتَلَوَّنُونَ أَلْوَاناً ،وَيَفْتَنُّونَ ٱفْتِنَاناً(٢٧١٥) ، وَيَعْمِدُونَكُمْ(٢٧١٦) بِكُلِّ عِمَادٍ(٢٧١٧) وَيَرْصُدُونَكُمْ(٢٧١٨) بِكُلِّ مِرْصَادٍ(٢٧١٩) . قُلُوبُهُمْ دَوِيَّةٌ(٢٧٢٠) ، وَصِفَاحُهُمْ(٢٧٢١) نَقِيَّةٌ . يَمْشُونَ ٱلْخَفَاءَ(٢٧٢٢) ، وَيَدِبُّونَ(٢٧٢٣) الضَّرَاءَ . وَصْفُهُمْ دَوَاءٌ ، وَقَوْلُهُمْ شِفَاءٌ ، وَفِعْلُهُمُ الدَّاءُ ٱلْعَيَاءُ(٢٧٢٤) . حَسَدَةُ(٢٧٢٥) الرَّخَاءِ ، وَمُؤَكِّدُو ٱلْبَلَاءِ ، وَمُقْنِطُو الرَّجَاءِ . لَهُمْ بِكُلِّ طَرِيقٍ صَرِيعٌ(٢٧٢٦) ، وَإِلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ شَفِيعٌ ، وَلِكُلِّ شَجْوٍ(٢٧٢٧) دُمُوعٌ . يَتَقَارَضُونَ الثَّنَاءَ(٢٧٢٨) ، وَيَتَرَاقَبُونَ ٱلْجَزَاءَ : إِنْ سَأَلُوا أَلْحَفُوا(٢٧٢٩) ، وَإِنْ عَذَلُوا(٢٧٣٠) كَشَفُوا ، وَإِنْ حَكَمُوا أَسْرَفُوا . قَدْ أَعَدُّوا لِكُلِّ حَقٍّ بَاطِلًا ، وَلِكُلِّ قَائِمٍ مَائِلًا ، وَلِكُلِّ حَيٍّ قَاتِلًا ، وَلِكُلِّ بَابٍ مِفْتَاحاً ، وَلِكُلِّ لَيْلٍ مِصْبَاحاً. يَتَوَصَّلُونَ إِلَىٰ الطَّمَعِ بِٱلْيَأْسِ لِيُقِيمُوا بِهِ أَسْوَاقَهُمْ ،وَيُنْفِقُوا(٢٧٣١) بِهِ أَعْلَاقَهُمْ(٢٧٣٢) . يَقُولُونَ فَيُشَبِّهُونَ(٢٧٣٣) ، وَيَصِفُونَ فَيُمَوِّهُونَ . قَدْ هَوَّنُوا الطَّرِيقَ ، وَأَضْلَعُوا ٱلْمَضِيقَ(٢٧٣٤) ، فَهُمْ لُمَةُ(٢٧٣٥) الشَّيْطَانِ ، وَحُمَةُ(٢٧٣٦) النِّيرَانِ : «أُولٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ، أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ» .

بيان: «الغمرة» الزحمة من الماء والناس والشدّة، و «خوضها» اقتحامها. قوله ــ عليه السّلام ــ «و قد تلوّن» أي تغيّر أقاربه ألواناً. و «تألّب» أي تجمّع عليه الأبعدون نسباً. قوله ــ عليه السّلام ــ و «خلعت هذا» مثل سائر أي أوجفوا إليه مسرعين لمحاربته، لأنّ الخيل إذا خلعت أعنّتها كان أسرع لجريها. و «السحق»

البعد.[١٠٧٨]

١٩٥ ـ ومن خطبة له عليه السلام

يحمد الله ويثني على نبيه ويعظ

حمد الله

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَظْهَرَ مِنْ آثَارِ سُلْطَانِهِ، وَجَلَالِ كِبْرِيَائِهِ، مَا حَيَّرَ مُقَلَ[٢٧٣٧] الْعُقُولِ مِنْ عَجَائِبِ قُدْرَتِهِ، وَرَدَعَ خَطَرَاتِ هَمَاهِمِ[٢٧٣٨] النُّفُوسِ عَنْ عِرْفَانِ كُنْهِ صِفَتِهِ.

الشهادتان

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، شَهَادَةَ إِيمَانٍ وَإِيقَانٍ، وَإِخْلَاصٍ وَإِذْعَانٍ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ وَأَعْلَامُ الْهُدَىٰ دَارِسَةٌ، وَمَنَاهِجُ الدِّينِ طَامِسَةٌ[٢٧٣٩]، فَصَدَعَ[٢٧٤٠] بِالْحَقِّ؛ وَنَصَحَ لِلْخَلْقِ، وَهَدَىٰ إِلَىٰ الرُّشْدِ، وَأَمَرَ بِالْقَصْدِ[٢٧٤١]، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

العظة

وَاعْلَمُوا، عِبَادَ اللهِ، أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً، وَلَمْ يُرْسِلْكُمْ هَمَلاً،

١٠٧٨ ـ بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١٨، كتاب تاريخ نبيّنا ـ صلّى الله عليه وآله ـ، ص ٢٢٤.

عَلِـمَ مَبْلَغَ نِعَمِهِ عَلَيْكُمْ ، وَأَحصَى إِحْسَانَهُ إِلَيْكُمْ ، فَاسْتَفْتِحُوهُ(٢٧٤٢) ، وَاسْتَنْجِحُوهُ(٢٧٤٣) ، وَاطْلُبُوا إِلَيْهِ وَاسْتَمْنِحُوهُ(٢٧٤٤) ، فَمَا قَطَعَكُمْ عَنْهُ حِجَابٌ ، وَلَا أُغلِقَ عَنْكُمْ دُونَهُ بَابٌ ، وَإِنَّهُ لَبِكُلِّ مَكَانٍ ، وَفِي كُلِّ حِينٍ وَأَوَانٍ ، وَمَعَ كُلِّ إِنْسٍ وَجَانٍّ ؛ لَا يَثْلِمُهُ(٢٧٤٥) الْعَطَاءُ ، وَلَا يَنْقُصُهُ الْحِبَاءُ(٢٧٤٦) ، وَلَا يَسْتَنْفِدُهُ سَائِلٌ ، وَلَا يَسْتَقْصِيهِ نَائِلٌ ، وَلَا يَلْوِيهِ(٢٧٤٧) شَخْصٌ عَنْ شَخْصٍ ، وَلَا يُلْهِيهِ صَوْتٌ عَنْ صَوْتٍ ، وَلَا تَحْجُزُهُ هِبَةٌ عَنْ سَلْبٍ ، وَلَا يَشْغَلُهُ غَضَبٌ عَنْ رَحْمَةٍ ، وَلَا تُولِهُهُ(٢٧٤٨) رَحْمَةٌ عَنْ عِقَابٍ ، وَلَا يُجِنُّهُ(٢٧٤٩) الْبُطُونُ عَنِ الظُّهُورِ ، وَلَا يَقْطَعُهُ الظُّهُورُ عَنِ الْبُطُونِ . قَرُبَ فَنَأَى ، وَعَلَا فَدَنَا ، وَظَهَرَ فَبَطَنَ ، وَبَطَنَ فَعَلَنَ ، وَدَانَ(٢٧٥٠) وَلَمْ يُدَنْ . لَمْ يَذْرَإِ(٢٧٥١) الْخَلْقَ بِاحْتِيَالٍ(٢٧٥٢) ، وَلَا اسْتَعَانَ بِهِـمْ لِكَلَالٍ(٢٧٥٣) .

أُوصِيكُمْ ، عِبَادَ اللهِ ، بِتَقْوَى اللهِ ، فَإِنَّهَا الزِّمَامُ(٢٧٥٤) وَالْقِوَامُ(٢٧٥٥) ، فَتَمَسَّكُوا بِوَثَائِقِهَا ، وَاعْتَصِمُوا بِحَقَائِقِهَا ، تَؤُلْ بِكُمْ إِلَى أَكْنَانِ(٢٧٥٦) الدَّعَةِ(٢٧٥٧) وَأَوْطَانِ السَّعَةِ ، وَمَعَاقِلِ(٢٧٥٨) الْحِرْزِ(٢٧٥٩) وَمَنَازِلِ الْعِزِّ «يَوْمَ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ» ، وَتُظْلِمُ لَهُ الْأَقْطَارُ ، وَتُعَطَّلُ فِيـهِ صُرُومُ(٢٧٦٠) الْعِشَارِ(٢٧٦١) . وَيُنْفَخُ فِي الصُّورِ ، فَتَزْهَقُ كُلُّ مُهْجَةٍ ، وَتَبْكَمُ كُلُّ لَهْجَةٍ ، وَتَذِلُّ الشُّمُّ(٢٧٦٢) الشَّوَامِـخُ(٢٧٦٣) ، والصُّمُّ(٢٧٦٤)

الرَّوَاسِـخُ(٢٧٦٥)، فَيَصِيرُ صَلْدُهَا(٢٧٦٦) سَرَاباً(٢٧٦٧) رَقْرَقاً(٢٧٦٨)، وَمَعْهَدُهَا(٢٧٦٩) قَاعاً(٢٧٧٠) سَمْلَقاً(٢٧٧١)، فَلَا شَفِيعٌ يَشْفَعُ، وَلَا حَمِيمٌ يَنْفَعُ، وَلَا مَعْذِرَةٌ تَدْفَعُ.

بيان: تشبيه التقوى بالزمام إمّا لأنها المانعة عن الخطاء والزلل، أو لأنّها تقود إلى الجنّة، و سمّاها قواماً لأنّه بها تقوم أمور الدنيا والآخرة. و «الأكنان» جمع «لكنّ» و هو السّتر. و «المعقل» الملجأ، و «المعاقل» الحصون. و «الصروم» جمع «صرمة» و هي القطيعة من الإبل نحو الثلاثين. و «الشمم» محرّكة، ارتفاع الجبل، أي تذلّ الجبال العالية والأحجار الثابتة. و «الصلد» الصلب الشديد. و «الرقرقة» بصيص الشراب و تلألؤه. و «معهدها» أي ما عهد منزلاً للناس و مسكناً. و «القاع» المستوي من الأرض. و «السملق» الأرض المستوية الجرداء الّتي لاشجر فيها. «فلا شفيع يشفع» أي بغير إذن الله، أو للكافرين.١٠٧٩

١٩٦ ـ ومن خطبة له عليه السلام

بعثة النبي

بَعَثَهُ حِينَ لَا عَلَمٌ قَائِـمٌ، وَلَا مَنَارٌ سَاطِـعٌ، وَلَا مَنْهَجٌ وَاضِحٌ.

العظة بالزهد

أُوصِيكُمْ، عِبَادَ اللهِ، بِتَقْوَى اللهِ، وَأُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا؛ فَإِنَّهَا دَارُ شُخُوصٍ(٢٧٧٢)، وَمَحَلَّةُ تَنْغِيصٍ، سَاكِنُهَا ظَاعِنٌ، وَقَاطِنُهَا بَائِنٌ(٢٧٧٣)،

١٠٧٩ ـ بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٧، كتاب العدل والمعاد، ص ١١٥.

تَمِيدُ(٢٧٧٤) بِأَهْلِهَا مَيَدَانَ السَّفِينَةِ تَقْصِفُهَا(٢٧٧٥) ٱلْعَوَاصِفُ فِي لُجَجِ ٱلْبِحَارِ ، فَمِنْهُمُ ٱلْغَرِقُ ٱلْوَبِقُ(٢٧٧٦) ، وَمِنْهُمُ النَّاجِي عَلَىٰ بُطُونِ ٱلْأَمْوَاجِ ، تَحْفِزُهُ(٢٧٧٧) الرِّيَاحُ بِأَذْيَالِهَا ، وَتَحْمِلُهُ عَلَىٰ أَهْوَالِهَا ، فَمَا غَرِقَ مِنْهَا فَلَيْسَ بِمُسْتَدْرَكٍ ، وَمَا نَجَا مِنْهَا فَإِلَىٰ مَهْلَكٍ !

عِبَادَ ٱللهِ ، ٱلْآنَ فَٱعْلَمُوا ، وَٱلْأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ ، وَٱلْأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ ، وَٱلْأَعْضَاءُ لَدْنَةٌ(٢٧٧٨) ، وَٱلْمُنْقَلَبُ(٢٧٧٩) فَسِيحٌ ، وَٱلْمَجَالُ عَرِيضٌ ، قَبْلَ إِرْهَاقِ(٢٧٨٠) ٱلْفَوْتِ(٢٧٨١) ، وَحُلُولِ ٱلْمَوْتِ . فَحَقِّقُوا عَلَيْكُمْ نُزُولَهُ ، وَلَا تَنْتَظِرُوا قُدُومَهُ .

بيان: «الساطع» المرتفع.[١٠٨٠]

١٩٧ – وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

ينبه فيه على فضيلته لقبول قوله وأمره ونهيه

وَلَقَدْ عَلِمَ ٱلْمُسْتَحْفَظُونَ(٢٧٨٢) مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ – صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ – أَنِّي لَمْ أَرُدَّ عَلَىٰ ٱللهِ وَلَا عَلَىٰ رَسُولِهِ سَاعَةً قَطُّ. وَلَقَدْ وَاسَيْتُهُ(٢٧٨٣) بِنَفْسِي فِي ٱلْمَوَاطِنِ ٱلَّتِي تَنْكُصُ(٢٧٨٤) فِيهَا ٱلْأَبْطَالُ ، وَتَتَأَخَّرُ فِيهَا ٱلْأَقْدَامُ ، نَجْدَةً(٢٧٨٥) أَكْرَمَنِي ٱللهُ بِهَا .

١٠٨٠ – بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١٨، كتاب تاريخ نبينا – صلى الله عليه وآله –، ص ٢٢٤.

وَلَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ ٱللهِ ـ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ وَإِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَىٰ صَدْرِي . وَلَقَدْ سَالَتْ نَفْسُهُ فِي كَفِّي ، فَأَمْرَرْتُهَا عَلَىٰ وَجْهِي . وَلَقَدْ وُلِّيتُ غُسْلَهُ ـ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ وَٱلْمَلَائِكَةُ أَعْوَانِي ، فَضَجَّتِ الدَّارُ وَٱلْأَفْنِيَةُ(٢٧٨٦) : مَلَأٌ يَهْبِطُ ، وَمَلَأٌ يَعْرُجُ ، وَمَا فَارَقَتْ سَمْعِي هَيْنَمَةٌ(٢٧٨٧) مِنْهُمْ ، يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّىٰ وَارَيْنَاهُ فِي ضَرِيحِهِ . فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مِنِّي حَيًّا وَمَيِّتاً ؟ فَٱنْفُذُوا عَلَىٰ بَصَائِرِكُمْ(٢٧٨٨) ، وَلْتَصْدُقْ نِيَّاتُكُمْ فِي جِهَادِ عَدُوِّكُمْ . فَوَالَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ إِنِّي لَعَلَىٰ جَادَّةِ ٱلْحَقِّ . وَإِنَّهُمْ لَعَلَىٰ مَزَلَّةِ(٢٧٨٩) ٱلْبَاطِلِ . أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ ، وَأَسْتَغْفِرُ ٱللهَ لِي وَلَكُمْ !

بيان: «استحفظته الشيء» أودعته عنده وسألته أن يحفظه. و «المستحفظون» على بناء المفعول، المطّلعون على أسرار الرسول ـ صلّى الله عليه وآله ـ وسيرته، الصادقون في الشهادة، الّذين لم يغيّروا و لم يبدّلوا للأغراض الدنيويّة.

و قال ابن أبي الحديد: الظاهر أنّه ـ عليه السّلام ـ يومئ في قوله «لم أردّ على الله... الخ» إلى أمور وقعت عن غيره.[١٠٨١]

ثمّ ذكر أموراً كثيرة من مخالفات عمر و معارضاته لرسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ.

و قال في قوله ـ عليه السّلام ـ «و لقد واسيته بنفسي» يقال: «واسيته و آسيته» و بالهمزة أفصح. و هذا ممّا اختصّ ـ عليه السّلام ـ بفضيلته غير مدافع. ثبت معه يوم أحد و فرّ النّاس، و ثبت معه يوم حنين و فرّ النّاس. و ثبت معه تحت رايته يوم خيبر حتّى فتحها و فرّ من كان بعث بها قبله.[١٠٨٢] انتهى.

١٠٨١ و ١٠٨٢ ـ شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٠، ص ١٨٠ ـ ١٨٢.

و قال الجوهري: «نكص ينكص» رجع. و «نجدة» منصوب على المصدر لفعل محذوف، و هي الشجاعة. «و إنّ رأسه لعلى صدري» قيل: لعلّه أسنده إلى صدره عند اشتداد علّته، أو كان رأسه ـ صلّى الله عليه وآله ـ على ركبته فيكون رأسه في صدره عند إكبابه عليه. و قد يقال: المراد بسيلان النفس هبوب النفس عند انقطاع الأنفاس. و قيل: أراد بنفسه دمه، يقال: إنّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ قاء عند وفاته دماً يسيراً و أنّ علياً ـ عليه السّلام ـ مسح بذلك وجهه. ولا ينافي ذلك نجاسة الدم لجواز أن يخصّص دم الرسول ـ صلّى الله عليه وآله ـ.

و «الضجيج» الصياح عند المكروه، والجزع. و «الهينمة» الكلام الخفيّ لا يفهم. و «الصلاة» تحتمل الحقيقة والدعاء. و انتصاب قوله «حيّاً و ميّتاً» بالحاليّة من الضمير المجرور في «به»، لاعن الضمير في «منّي» كما لايخفى. قوله ـ عليه السّلام ـ «فانفذوا» أي أسرعوا إلى الجهاد على بصيرة منكم. و «المزلّة» الموضع الّذي يزلّ فيه الإنسان كالمزلقة.[١٠٨٣]

توضيح: «المستحفظون» الضابطون لأحوال النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ المطّلعون على سيرته، أو علماء الصحابة لأنّهم استحفظوا الكتاب والسنّة. و «النجدة» الشجاعة. و «الهينمة» الكلام الخفيّ لا يفهم.[١٠٨٤]

بيان: «الهينمة» الكلام الخفيّ لا يفهم.[١٠٨٥]

١٠٨٣ ـ بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٩٢، ط كمباني و ص ٦٣٩، ط تبريز.

١٠٨٤ ـ بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٣٨، كتاب تاريخ أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ، ص ٣١٨.

١٠٨٥ ـ بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٢٢، كتاب تاريخ نبيّنا ـ صلّى الله عليه وآله ـ، ص ٥٤٠.

١٩٨ — ومن خطبة له عليه السلام

ينبه على إحاطة علم الله بالجزئيات، ثم يحث على التقوى، ويبين فضل الإسلام والقرآن

يَعْلَمُ عَجِيجَ ٱلْوُحُوشِ فِي ٱلْفَلَوَاتِ، وَمَعَاصِيَ ٱلْعِبَادِ فِي ٱلْخَلَوَاتِ، وَٱخْتِلَافَ النِّينَانِ(٢٧٩٠) فِي ٱلْبِحَارِ ٱلْغَامِرَاتِ، وَتَلَاطُمَ ٱلْمَاءِ بِالرِّيَاحِ ٱلْعَاصِفَاتِ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً نَجِيبُ ٱللهِ(٢٧٩١)، وَسَفِيرُ وَحْيِهِ، وَرَسُولُ رَحْمَتِهِ.

الوصية بالتقوى

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أُوصِيكُمْ بِتَقْوَىٰ ٱللهِ ٱلَّذِي ٱبْتَدَأَ خَلْقَكُمْ، وَإِلَيْهِ يَكُونُ مَعَادُكُمْ، وَبِهِ نَجَاحُ طَلِبَتِكُمْ، وَإِلَيْهِ مُنْتَهَىٰ رَغْبَتِكُمْ، وَنَحْوَهُ قَصْدُ سَبِيلِكُمْ، وَإِلَيْهِ مَرَامِي مَفْزَعِكُمْ(٢٧٩٢). فَإِنَّ تَقْوَىٰ ٱللهِ دَوَاءُ دَاءِ قُلُوبِكُمْ، وَبَصَرُ عَمَىٰ أَفْئِدَتِكُمْ، وَشِفَاءُ مَرَضِ أَجْسَادِكُمْ، وَصَلَاحُ فَسَادِ صُدُورِكُمْ، وَطُهُورُ دَنَسِ أَنْفُسِكُمْ، وَجِلَاءُ عَشَا أَبْصَارِكُمْ، وَأَمْنُ فَزَعِ جَأْشِكُمْ(٢٧٩٣)، وَضِيَاءُ سَوَادِ ظُلْمَتِكُمْ. فَٱجْعَلُوا طَاعَةَ ٱللهِ شِعَاراً(٢٧٩٤) دُونَ دِثَارِكُمْ(٢٧٩٥)، وَدَخِيلاً دُونَ شِعَارِكُمْ، وَلَطِيفاً بَيْنَ أَضْلَاعِكُمْ، وَأَمِيراً فَوْقَ أُمُورِكُمْ، وَمَنْهَلاً(٢٧٩٦) لِحِينِ وُرُودِكُمْ، وَشَفِيعاً لِدَرَكِ(٢٧٩٧) طَلِبَتِكُمْ(٢٧٩٨)، وَجُنَّةً(٢٧٩٩) لِيَوْمِ فَزَعِكُمْ، وَمَصَابِيحَ

لِبُطُونِ قُبُورِكُمْ . وَسَكَناً لِطُولِ وَحْشَتِكُمْ ، وَنَفَساً لِكَرْبِ مَوَاطِنِكُمْ . فَإِنَّ طَاعَةَ ٱللهِ حِرْزٌ مِنْ مَتَالِفَ مُكْتَنِفَةٍ . وَمَخَاوِفَ مُتَوَقَّعَةٍ ، وَأُوَارِ[(٢٨٠٠)] نِيرَانٍ مُوقَدَةٍ. فَمَنْ أَخَذَ بِالتَّقْوَى عَزَبَتْ[(٢٨٠١)] عَنْهُ الشَّدَائِدُ بَعْدَ دُنُوِّهَا ، وَٱحْلَوْلَتْ لَهُ ٱلْأُمُورُ بَعْدَ مَرَارَتِهَا . وَٱنْفَرَجَتْ عَنْهُ ٱلْأَمْوَاجُ بَعْدَ تَرَاكُمِهَا ، وَأَسْهَلَتْ لَهُ الصِّعَابُ بَعْدَ إِنْصَابِهَا[(٢٨٠٢)] . وَهَطَلَتْ عَلَيْهِ ٱلْكَرَامَةُ بَعْدَ قُحُوطِهَا ، وَتَحَدَّبَتْ[(٢٨٠٣)] عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ بَعْدَ نُفُورِهَا . وَتَفَجَّرَتْ عَلَيْهِ النِّعَمُ بَعْدَ نُضُوبِهَا[(٢٨٠٤)] . وَوَبَلَتْ عَلَيْهِ ٱلْبَرَكَةُ بَعْدَ إِرْذَاذِهَا[(٢٨٠٥)] .

فَٱتَّقُوا ٱللهَ الَّذِي نَفَعَكُمْ بِمَوْعِظَتِهِ . وَوَعَظَكُمْ بِرِسَالَتِهِ ، وَٱمْتَنَّ عَلَيْكُمْ بِنِعْمَتِهِ . فَعَبِّدُوا أَنْفُسَكُمْ لِعِبَادَتِهِ ، وَٱخْرُجُوا إِلَيْهِ مِنْ حَقِّ طَاعَتِهِ .

فضل الاسلام

ثُمَّ إِنَّ هٰذَا ٱلْإِسْلَامَ دِينُ ٱللهِ الَّذِي ٱصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ ، وَٱصْطَنَعَهُ عَلَىٰ عَيْنِهِ . وَأَصْفَاهُ[(٢٨٠٦)] خِيرَةَ خَلْقِهِ ، وَأَقَامَ دَعَائِمَهُ عَلَىٰ مَحَبَّتِهِ . أَذَلَّ ٱلْأَدْيَانَ بِعِزَّتِهِ . وَوَضَعَ ٱلْمِلَلَ بِرَفْعِهِ ، وَأَهَانَ أَعْدَاءَهُ بِكَرَامَتِهِ . وَخَذَلَ مُحَادِّيهِ[(٢٨٠٧)] بِنَصْرِهِ . وَهَدَمَ أَرْكَانَ الضَّلَالَةِ بِرُكْنِهِ[(٢٨٠٨)] . وَسَقَى مَنْ عَطِشَ مِنْ حِيَاضِهِ . وَأَتْأَقَ[(٢٨٠٩)] ٱلْحِيَاضَ بِمَوَاتِحِهِ[(٢٨١٠)] . ثُمَّ جَعَلَهُ لَا ٱنْفِصَامَ

لِعُرْوَتِهِ ، وَلَا فَكَّ لِحَلْقَتِهِ . وَلَا ٱنْهِدَامَ لِأَسَاسِهِ ، وَلَا زَوَالَ لِدَعَائِمِهِ ، وَلَا ٱنْقِلَاعَ لِشَجَرَتِهِ ، وَلَا ٱنْقِطَاعَ لِمُدَّتِهِ . وَلَا عَفَاءَ(٢٨١١) لِشَرَائِعِهِ ، وَلَا جَذَّ(٢٨١٢) لِفُرُوعِهِ ، وَلَا ضَنْكَ(٢٨١٣) لِطُرُقِهِ . وَلَا وُعُوثَةَ(٢٨١٤) لِسُهُولَتِهِ . وَلَا سَوَادَ لِوَضَحِهِ(٢٨١٥) ، وَلَا عِوَجَ لِٱنْتِصَابِهِ ، وَلَا عَصَلَ(٢٨١٦) فِي عُودِهِ ، وَلَا وَعَثَ(٢٨١٧) لِفَجِّهِ(٢٨١٨) . وَلَا ٱنْطِفَاءَ لِمَصَابِيحِهِ ، وَلَا مَرَارَةَ لِحَلَاوَتِهِ . فَهُوَ دَعَائِمُ أَسَاخَ(٢٨١٩) فِي ٱلْحَقِّ أَسْنَاخَهَا(٢٨٢٠) ، وَثَبَّتَ لَهَا آسَاسَهَا . وَيَنَابِيعُ غَزُرَتْ عُيُونُهَا . وَمَصَابِيحُ شَبَّتْ نِيرَانُهَا(٢٨٢١) . وَمَنَارٌ(٢٨٢٢) ٱقْتَدَى بِهَا سُفَّارُهَا(٢٨٢٣) . وَأَعْلَامٌ(٢٨٢٤) قُصِدَ بِهَا فِجَاجُهَا ، وَمَنَاهِلُ رَوِيَ بِهَا وُرَّادُهَا . جَعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ مُنْتَهَى رِضْوَانِهِ ، وَذِرْوَةَ دَعَائِمِهِ ، وَسَنَامَ طَاعَتِهِ ؛ فَهُوَ عِنْدَ ٱللَّهِ وَثِيقُ ٱلْأَرْكَانِ ، رَفِيعُ ٱلْبُنْيَانِ . مُنِيرُ ٱلْبُرْهَانِ ، مُضِيءُ ٱلنِّيرَانِ . عَزِيزُ ٱلسُّلْطَانِ . مُشْرِفُ ٱلْمَنَارِ(٢٨٢٥) . مُعْوِذُ ٱلْمَثَارِ(٢٨٢٦) . فَشَرِّفُوهُ وَٱتَّبِعُوهُ ، وَأَدُّوا إِلَيْهِ حَقَّهُ ، وَضَعُوهُ مَوَاضِعَهُ .

بيان: «الاصطفاء» الاختيار، أي اختراه لأن يكون طريقاً إلى طاعته و سبيلاً إلى جنته. و «الاصطناع» افتعال من «الصنيعة» و هي العطيّة والكرامة والاحسان. و «اصطنعه» أي اختاره و اتّخذه صنيعة و «اصطنع خاتماً» أي أمر أن يصنع له. و قال بعض شرّاح النهج: تقول: «اصنع لي كذا علي عيني» أي اصنعه صنعة كالّتي تصنعها وأنا حاضر أشاهدها بعيني؛ فالمعنى: أمر بأن يصنع الاسلام كالمصنوع المشاهد للأمر أي أسّس قواعده على ما ينبغي و على علم منه بدقائقه. و

قيل: أي على علم منه بشرفه و فضله. و قيل: أي اختاره أو أمر بأن يصنع حافظاً له كما يقال في الدعاء بالحفظ والحياطة: «عين الله عليك». و «على» يفيد الحال على الوجوه. و «اصطفيت الشيء» أي آثرته و «اصطفيته الودّ» أي أخلصته.

«و أصفاه خيرة خلقه» أي آثر و اختار للبعثة به خيرة خلقه، أو جعل خيرة خلقه خالصاً لتبليغه دون غيره. و «الخيرة» بالكسر و كعنبة، الاسم من «الاختيار». و «الدعامة» بالكسر، عماد البيات. والضمير في «محبّته» للاسلام أو لله. و «ذلّة الأديان» نسخها، أو المراد ذلّة أهلها. و كذا «وضع الملل» و هو الحطّ ضدّ الرفع يحتملها. و «خذله» ــ كنصره ــ ترك نصرته. و «المحادّة» المخالفة و منع ما يجب عليك من الحدّ بمعنى المنع. و «ركن الشيء» جانبه الّذي يستند إليه و يقوم به، و «أركان الضلالة» العقائد المضلّة أو رؤساء أهل الضلال أو الأصنام. و «ركنه» أُصوله و قواعده أو النبيّ ــ صلّى الله عليه وآله ــ أو كلمة التوحيد. و «حياضه» قوانينه أو النبيّ والأئمّة ــ صلوات الله عليهم ــ أو العلماء أيضاً و ماءها العلم والهداية. و «تئق الحوض» ــ كفرح ــ أي امتلأ، و «أتأقه» أملأه. و «الماتح» المستقي الّذي يستخرج الدلو. و «الحياض» هنا المستفيدون و «مواتحه» الأئمّة الآخذون شرائعه عن النبيّ ــ صلّى الله عليه وآله ــ أو المستنبطون من القرآن، أو العلماء المستنبطون معالم الكتاب والسنّة بأفكارهم، أو الآخذون عن النبيّ والأئمّة ــ عليهم السّلام ــ. و يحتمل أن يراد بالحياض القواعد و بالمواتح المؤسّسون لها بأمرالله المبيّنون لها للمستضيئين بأنوارهم؛ أو يراد بالحياض أولي العلم ــ عليهم السّلام ــ الّذين ملأ الله صدورهم من زلال المعرفة والهداية و بالمواتح المبلّغون عن الله من الملائكة و روح القدس والالهامات الربّانيّة.

و «الانفصام» الانكسار أو من غير إبانة، و «العروة» من الدلو والكوز المقبض. و «الفكّ» الفصل. و «العفاء» الدروس و ذهاب الأثر. و «الشريعة» ما شرع الله لعباده أي سنّ و أوضح. و «الجذّ» بالجيم والذال المعجمة، القطع أو القطع المستأصل؛ و في بعض النسخ بالحاء المهملة و هو القطع، و في بعضها بالجيم والدال

المهملة و هو القطع أيضاً والفعل في الجميع كـ «مدّ». و«الضنك» الضيق. و «وعوثة الطريق» تعسّر سلوكه، وأصله من «الوعث» و هو الرمل، والمشي فيه يشتدّ و يشقّ و منه «وعثاء السفر» لشدّته و مشقّته، و عن النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ: «بعثت إليكم بالحنيفيّة السمحة السهلة البيضاء».

و «الوَضَح» بالتحريك، البياض و بياض الاسلام صفاءه عن كدر الباطل. و «نصبت الشيء» أي أقمته و رفعته فانتصب. و «العَصَل» بالتحريك، الاستواء والاعوجاج أو الاعوجاج في صلابة. و «الفجّ» الطريق الواسع بين الجبلين. و «طفئت النار ـ كفرح ـ و انطفأت» أي ذهب لهبها.

و «حلاوة الدين» لذّة القرب من الله والنعيم الدائم. و «ساخ الشيء في الأرض» أي غاب و غار. و «السِنخ» بالكسر الأصل. و «الأساس» ـ كسحاب ـ أصل البناء. و «الينبوع» العين ينبع منه الماء أي يخرج، و قيل: الجدول الكثير الماء و هو أنسب. و «غزر العين» ـ ككرم ـ أي كثر ماؤه. و «شبّت النار» على المعلوم والمجهول، توقّدت، لازم متعدّ، ولا يقال: «شابّة» بل مشبوبة، و في النسخ على المجهول. و «النيران» جمع «نار». و «المنار» جمع «منارة» و هو العلم يهتدى به، و قيل: «المنار والمنارة» موضع النور. و «سفر الرجل» ـ كنصر ـ أي خرج للارتحال فهوسافر. و «الفجّ» الطريق الواسع الواضح بين جبلين. و «المنهل» المشرب والموضع الّذي فيه المشرب، و «روي» ـ كرضي ـ ضدّ العطش. و «الورّاد» الّذين يردون الماء ضدّ الصادرين. و «ذُروة الشيء» بالضمّ والكسر، أعلاه؛ و كذلك «السنام» ـ كسحاب ـ مأخوذ من سنام البعير. و «الوثيق» المحكم الثابت. و «ركن الشيء» بالضمّ جانبه. و «البنيان» مابني و مصدر «بنيت الدار و غيره». و «البرهان» الحجّة. و «العزّة» القوّة والغلبة و ضدّ الذلّة. و «السلطان» يحتمل الحجّة والسلطنة. و «أشرف الموضع» أي ارتفع. و «أعوزه الشيء» أي احتاج إليه فلم يقدر عليه و «أعوز فلان» إذا افتقر و «أعوزه الدهر» أي أحوجه.

و «ثار الغبار» هاج وسطع، و «ثاربه الناس» وثبوا عليه، و «ثار فلان إلى

الشرّ» أي نهض، و «المثار» الموضع والمصدر. قيل: أي يعجز الناس إثارته و إزعاجه لقوّته و ثباته، وقال بعضهم: أي يعجز الخلق إثارة دفائنه و ما فيه من كنوز الحكمة ولا يمكنهم استقصاؤها. و روى بعض: «معوز المثال» باللاّم، أي يعجز الخلق عن الإتيان بمثله.

«فشرّفوه» أي عدّوه شريفاً و اعتقدوه كذلك، و كذلك عظّموه. و «أداء حقّه» الاتّباع الكامل. و «وضعه مواضعه» الكفّ عن تغيير أحكامه والعلم بمرتبته و مقداره الّذي جعله الله له، أو العمل بجميع ماتضمّنه من الأوامر والنواهي.[١٠٨٦]

الرسول الاعظم

ثُمَّ إِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ بِٱلْحَقِّ حِينَ دَنَا مِنَ الدُّنْيَا ٱلِٱنْقِطَاعُ، وَأَقْبَلَ مِنَ ٱلآخِرَةِ ٱلِاطِّلاَعُ[٢٨٢٧]، وَأَظْلَمَتْ بَهْجَتُهَا بَعْدَ إِشْرَاقٍ، وَقَامَتْ بِأَهْلِهَا عَلَى سَاقٍ، وَخَشُنَ مِنْهَا مِهَادٌ[٢٨٢٨]، وَأَزِفَ مِنْهَا قِيَادٌ[٢٨٢٩]؛ فِي ٱنْقِطَاعٍ مِنْ مُدَّتِهَا، وَٱقْتِرَابٍ مِنْ أَشْرَاطِهَا[٢٨٣٠]، وَتَصَرُّمٍ[٢٨٣١] مِنْ أَهْلِهَا، وَٱنْفِصَامٍ[٢٨٣٢] مِنْ حَلْقَتِهَا، وَٱنْتِشَارٍ[٢٨٣٣] مِنْ سَبَبِهَا، وَعَفَاءٍ مِنْ أَعْلاَمِهَا[٢٨٣٤]، وَتَكَشُّفٍ مِنْ عَوْرَاتِهَا، وَقِصَرٍ مِنْ طُولِهَا.

جَعَلَهُ ٱللهُ بَلاَغاً لِرِسَالَتِهِ، وَكَرَامَةً لِأُمَّتِهِ، وَرَبِيعاً لِأَهْلِ زَمَانِهِ، وَرِفْعَةً لِأَعْوَانِهِ، وَشَرَفاً لِأَنْصَارِهِ.

١٠٨٦ - بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٦٨، كتاب الايمان والكفر، ص ٣٤٤.

بيان: «على ساق» أي على شدّة. و «المهاد» الفراش. قوله ــ عليه السّلام ــ «و أزف منها قياد» أي قرب منها انقياد للانقطاع والزوال. و «أشراط الساعة» علاماتها. و «التصرّم» الانقضاء. و «الانفصام» الانقطاع. و كنّى بالحلقة عن نظامها و اجتماع أهلها بالنواميس والشرائع. و «السبب» كلّ شيء يتوصّل به إلى غيره، و انتشاره كناية عن فساد أسباب ذلك النظام. و «العفاء» الدروس والهلاك. و يمكن أن يكون المراد بالأعلام العلماء والصلحاء. قوله «من طولها» أي من امتدادها، و قرئ الطول بكسر الطاء و فتح الواو بمعنى الحبل.[١٠٨٧]

القرآن الكريم

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ ٱلْكِتَابَ نُوراً لَا تُطْفَأُ مَصَابِيحُهُ ، وَسِرَاجاً لَا يَخْبُو(٢٨٣٥) تَوَقُّدُهُ ، وَبَحْراً لَا يُدْرَكُ قَعْرُهُ ، وَمِنْهَاجاً(٢٨٣٦) لَا يُضِلُّ نَهْجُهُ(٢٨٣٧) ، وَشُعَاعاً لَا يُظْلِمُ ضَوْؤُهُ ، وَفُرْقَاناً لَا يُخْمَدُ بُرْهَانُهُ ، وَتِبْيَاناً لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ ، وَشِفَاءً لَا تُخْشَىٰ أَسْقَامُهُ ، وَعِزًّا لَا تُهْزَمُ أَنْصَارُهُ ، وَحَقًّا لَا تُخْذَلُ أَعْوَانُهُ . فَهُوَ مَعْدِنُ ٱلْإِيمَانِ وَبُحْبُوحَتُهُ(٢٨٣٨) ، وَيَنَابِيعُ ٱلْعِلْمِ وَبُحُورُهُ ، وَرِيَاضُ(٢٨٣٩) ٱلْعَدْلِ وَغُدْرَانُهُ(٢٨٤٠) ، وَأَثَافِيُّ(٢٨٤١) ٱلْإِسْلَامِ وَبُنْيَانُهُ ، وَأَوْدِيَةُ ٱلْحَقِّ وَغِيطَانُهُ(٢٨٤٢) . وَبَحْرٌ لَا يَنْزِفُهُ ٱلْمُسْتَنْزِفُونَ(٢٨٤٣) ، وَعُيُونٌ لَا يُنْضِبُهَا ٱلْمَاتِحُونَ(٢٨٤٤) ، وَمَنَاهِلُ(٢٨٤٥) لَا يَغِيضُهَا(٢٨٤٦) ٱلْوَارِدُونَ ، وَمَنَازِلُ لَا يَضِلُّ نَهْجَهَا ٱلْمُسَافِرُونَ ، وَأَعْلَامٌ لَا يَعْمَىٰ عَنْهَا السَّائِرُونَ ، وَآكَامٌ(٢٨٤٧) لَا يَجُوزُ عَنْهَا(٢٨٤٨) ٱلْقَاصِدُونَ .

١٠٨٧ ــ بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١٨، كتاب تاريخ نبيّنا ــ صلى الله عليه وآله ــ ص ٢٢٥.

جَعَلَهُ ٱللهُ رِيًّا لِعَطَشِ ٱلْعُلَمَاءِ ، وَرَبِيعاً لِقُلُوبِ ٱلْفُقَهَاءِ ، وَمَحَاجَّ[(٢٨٤٩)] لِطُرُقِ الصُّلَحَاءِ ، وَدَوَاءً لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ ، وَنُوراً لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ ، وَحَبْلًا وَثِيقاً عُرْوَتُهُ ، وَمَعْقِلًا مَنِيعاً ذِرْوَتُهُ ، وَعِزًّا لِمَنْ تَوَلَّاهُ ، وَسِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ ، وَهُدًى لِمَنِ ٱئْتَمَّ بِهِ ، وَعُذْراً لِمَنِ ٱنْتَحَلَهُ ، وَبُرْهَاناً لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ ، وَشَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ ، وَفَلْجاً[(٢٨٥٠)] لِمَنْ حَاجَّ بِهِ ، وَحَامِلًا لِمَنْ حَمَلَهُ ، وَمَطِيَّةً لِمَنْ أَعْمَلَهُ ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ ، وَجُنَّةً[(٢٨٥١)] لِمَنِ ٱسْتَلْأَمَ[(٢٨٥٢)] ، وَعِلْماً لِمَنْ وَعَىٰ ، وَحَدِيثاً لِمَنْ رَوَىٰ ، وَحُكْماً لِمَنْ قَضَىٰ[(٢٨٥٣)] .

١٩٩ — وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

كان يوصي به أصحابه

تَعَاهَدُوا أَمْرَ الصَّلَاةِ ، وَحَافِظُوا عَلَيْهَا ، وَٱسْتَكْثِرُوا مِنْهَا ، وَتَقَرَّبُوا بِهَا ، فَإِنَّهَا « كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً » . أَلَا تَسْمَعُونَ إِلَىٰ جَوَابِ أَهْلِ النَّارِ حِينَ سُئِلُوا : « مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ؟ قَالُوا : لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ » . وَإِنَّهَا لَتَحُتُّ الذُّنُوبَ حَتَّ[(٢٨٥٤)] ٱلْوَرَقِ ، وَتُطْلِقُهَا إِطْلَاقَ الرِّبَقِ[(٢٨٥٥)] ، وَشَبَّهَهَا رَسُولُ ٱللهِ ـ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ بِٱلْحَمَّةِ[(٢٨٥٦)] تَكُونُ عَلَىٰ بَابِ الرَّجُلِ ، فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا فِي ٱلْيَوْمِ

وَاللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ ، فَمَا عَسَىٰ أَنْ يَبْقَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الدَّرَنِ(٢٨٥٧) ؟ وَقَدْ عَرَفَ حَقَّهَا رِجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَا تَشْغَلُهُمْ عَنْهَا زِينَةُ مَتَاعٍ ، وَلَا قُرَّةُ عَيْنٍ مِنْ وَلَدٍ وَلَا مَالٍ . يَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ : «رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ» . وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ نَصِباً(٢٨٥٨) بِالصَّلَاةِ بَعْدَ التَّبْشِيرِ لَهُ بِالْجَنَّةِ ، لِقَوْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ : «وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا» ، فَكَانَ يَأْمُرُ بِهَا أَهْلَهُ وَيَصْبِرُ عَلَيْهَا نَفْسَهُ .

توضيح: «الحتّ» نثر الورق من الغصن. و «الربق» جمع «الربقة» وهي في الأصل عروة في حبل يجعل في عنق البهيمة ويدها يمسكها، ذكره الجزري؛ أي تطلق الصلاة الذنوب كما تطلق الحبال المعقدة.

وقال في العين: «الحمّة» عين ماء حارّ. وقيل: التاء في «إقامة» عوض عن العين الساقطة للإعلال، فإنّ أصله «إقوام» مصدر «أقْوَمَ» كقولك «أعرض إعراضاً» فلمّا اُضيف اُقيمت الاضافة مقام حرف التعويض فاُسقطت التاء. قوله ـ عليه السّلام ـ «ويصبّر عليها نفسه» أي يحبس، قال ـ تعالى ـ: «وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ» (النور: ٣٧). ١٠٨٨

الزكاة

ثُمَّ إِنَّ الزَّكَاةَ جُعِلَتْ مَعَ الصَّلَاةِ قُرْبَاناً لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ ، فَمَنْ أَعْطَاهَا طَيِّبَ النَّفْسِ بِهَا ، فَإِنَّهَا تُجْعَلُ لَهُ كَفَّارَةً ، وَمِنَ النَّارِ حِجَازاً وَوِقَايَةً .

١٠٨٨ ـ بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٨٢، كتاب الصلاة، ص ٢٢٤.

فَلَا يُتْبِعَنَّهَا أَحَدٌ نَفْسَهُ ، وَلَا يُكْثِرَنَّ عَلَيْهَا لَهَفَهُ ، فَإِنَّ مَنْ أَعْطَاهَا غَيْرَ طَيِّبِ النَّفْسِ بِهَا ، يَرْجُو بِهَا مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا ، فَهُوَ جَاهِلٌ بِالسُّنَّةِ ، مَغْبُونُ(٢٨٥٩) الْأَجْرِ ، ضَالُّ الْعَمَلِ ، طَوِيلُ النَّدَمِ .

الامانة

ثُمَّ أَدَاءَ الْأَمَانَةِ ، فَقَدْ خَابَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا . إِنَّهَا عُرِضَتْ عَلَى السَّمَاوَاتِ الْمَبْنِيَّةِ ، وَالْأَرَضِينَ الْمَدْحُوَّةِ(٢٨٦٠) ، وَالْجِبَالِ ذَاتِ الطُّولِ الْمَنْصُوبَةِ . فَلَا أَطْوَلَ وَلَا أَعْرَضَ ، وَلَا أَعْلَى وَلَا أَعْظَمَ مِنْهَا . وَلَوِ امْتَنَعَ شَيْءٌ بِطُولٍ أَوْ عَرْضٍ أَوْ قُوَّةٍ أَوْ عِزٍّ لَامْتَنَعْنَ ؛ وَلٰكِنْ أَشْفَقْنَ مِنَ الْعُقُوبَةِ ، وَعَقَلْنَ مَا جَهِلَ مَنْ هُوَ أَضْعَفُ مِنْهُنَّ ، وَهُوَ الْإِنْسَانُ ، « إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولًا » .

علم الله تعالى

إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا الْعِبَادُ مُقْتَرِفُونَ(٢٨٦١) فِي لَيْلِهِمْ وَنَهَارِهِمْ . لَطُفَ بِهِ خُبْراً(٢٨٦٢) ، وَأَحَاطَ بِهِ عِلْماً أَعْضَاؤُكُمْ شُهُودُهُ ، وَجَوَارِحُكُمْ جُنُودُهُ ، وَضَمَائِرُكُمْ عُيُونُهُ ، وَخَلَوَاتُكُمْ عِيَانُهُ(٢٨٦٣)

٢٠٠ – ومن كلام له عليه السلام

في معاوية

وَٱللهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَىٰ مِنِّي ، وَلٰكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ . وَلَوْلَا كَرَاهِيَةُ ٱلْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى ٱلنَّاسِ ، وَلٰكِنْ كُلُّ غُدَرَةٍ فُجَرَةٌ ، وَكُلُّ فُجَرَةٍ كُفَرَةٌ . « وَلِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ » .

وَٱللهِ مَا أُسْتَغْفَلُ بِٱلْمَكِيدَةِ ، وَلَا أُسْتَغْمَزُ بِالشَّدِيدَةِ(٢٨٦٤)

بيان: «الغمز» العصر باليد والكبس، أي لا أُلَيَّن بالخطب الشديد، بل أصبر عليه؛ ويروى بالراء المهملة، أي لا أستجهل بشدائد المكاره.١٠٨٩

٢٠١ – ومن كلام له عليه السلام

يعظ بسلوك الطريق الواضح

أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَسْتَوْحِشُوا فِي طَرِيقِ ٱلْهُدَىٰ لِقِلَّةِ أَهْلِهِ ، فَإِنَّ النَّاسَ قَدِ ٱجْتَمَعُوا عَلَىٰ مَائِدَةٍ شِبَعُهَا قَصِيرٌ ، وَجُوعُهَا طَوِيلٌ .

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ الرِّضَىٰ وَالسُّخْطُ(٢٨٦٥) . وَإِنَّمَا عَقَرَ نَاقَةَ ثَمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَعَمَّهُمُ ٱللهُ بِٱلْعَذَابِ لَمَّا عَمُّوهُ بِالرِّضَىٰ ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ : « فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ » ، فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ خَارَتْ(٢٨٦٦)

١٠٨٩ – بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٤٠، كتاب تاريخ أمير المؤمنين – عليه السلام –، ص ١٩٣.

أَرْضُهُمْ بِٱلْخَسْفَةِ خُوارَ السِّكَّةِ ٱلْمُحْمَاةِ(٢٨٦٧) فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْخَوَّارَةِ(٢٨٦٨)

أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ ٱلْوَاضِحَ وَرَدَ ٱلْمَاءَ، وَمَنْ خَالَفَ وَقَعَ فِي التِّيهِ!

بيان: لما كانت العادة جارية بأن يستوحش الناس من الوحدة و قلّة الرفيق في الطريق لاسيّما إذا كان طويلاً صعباً غير مأنوس، فنهى عن الاستيحاش في تلك الطريق و كنّى به عمّا عساه يعرض لبعضهم من الوسوسة بأنّهم ليسوا على الحقّ لقلّتهم و كثرة مخالفيهم، كما أشرنا إليه.

و أيضاً قلّة العدد في الطرق الحسّية مظنّة الهلاك والسلامة مع الكثرة، فنبّههم ـ عليه السّلام ـ على أنّهم في طريق الهدى والسلامة و إن كانوا قليلين، ولا يجوز مقايسة طرق الآخرة بطرق الدنيا.

ثمّ نبّه على علّة قلّة أهل طريق أهل الهدى و هي اجتماع الناس على الدنيا فقال: «فإنّ النّاس»، و استعار للدنيا المائدة لكونها مجتمع اللذّات، و كنّى عن قصر مدتها بقصر شبعها، وعن استعقاب الانهماك فيها للعذاب الطويل في الآخرة بطول جوعها.

قيل: و لفظ الجوع مستعار للحاجة الطويلة بعد الموت إلى المطاعم الحقيقية الباقية من الكمالات النفسانيّة و هو بسبب الغفلة في الدنيا، فلذلك نسب الجوع إليها.[١٠٩٠]

بيان: «الخوار» صوت البقر. و «السكّة» هي الّتي يحرث بها. و «المحماة» أقوى صوتاً و أسرع غوصاً.[١٠٩١]

١٠٩٠ ـ بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٦٧، كتاب الايمان والكفر، ص ١٥٨.

١٠٩١ ـ بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١١، كتاب النبوّة، ص ٣٧٩.

٢٠٢ — ومن كلام له عليه السلام

روي عنه أنه قاله عند دفن سيدة النساء فاطمة عليها السلام، كالمناجي به رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قبره

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ ٱللهِ عَنِّي، وَعَنِ ٱبْنَتِكَ النَّازِلَةِ فِي جِوَارِكَ، وَٱلسَّرِيعَةِ اللَّحَاقِ بِكَ! قَلَّ، يَا رَسُولَ ٱللهِ، عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي، وَرَقَّ عَنْهَا تَجَلُّدِي، إِلَّا أَنَّ فِي التَّأَسِّي[٢٨٦٩] لِي بِعَظِيمِ فُرْقَتِكَ، وَفَادِحِ[٢٨٧٠] مُصِيبَتِكَ، مَوْضِعَ تَعَزٍّ[٢٨٧١]، فَلَقَدْ وَسَّدْتُكَ فِي مَلْحُودَةِ[٢٨٧٢] قَبْرِكَ، وَفَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِي وَصَدْرِي نَفْسُكَ، «فَإِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ». فَلَقَدْ ٱسْتُرْجِعَتِ ٱلْوَدِيعَةُ، وَأُخِذَتِ الرَّهِينَةُ! أَمَّا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ، وَأَمَّا لَيْلِي فَمُسَهَّدٌ[٢٨٧٣]، إِلَىٰ أَنْ يَخْتَارَ ٱللهُ لِي دَارَكَ الَّتِي أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ. وَسَتُنَبِّئُكَ ٱبْنَتُكَ بِتَضَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَىٰ هَضْمِهَا[٢٨٧٤]، فَأَحْفِهَا[٢٨٧٥] السُّؤَالَ، وَٱسْتَخْبِرْهَا الْحَالَ؛ هٰذَا وَلَمْ يَطُلِ ٱلْعَهْدُ، وَلَمْ يَخْلُ مِنْكَ الذِّكْرُ، وَٱلسَّلَامُ عَلَيْكُمَا سَلَامَ مُوَدِّعٍ، لَا قَالٍ[٢٨٧٦] وَلَا سَئِمٍ[٢٨٧٧]، فَإِنْ أَنْصَرِفْ فَلَا عَنْ مَلَالَةٍ، وَإِنْ أُقِمْ فَلَا عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ ٱللهُ الصَّابِرِينَ.

٢٠٣ — ومن كلام له عليه السلام

في التزهيد من الدنيا والترغيب في الآخرة

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارُ مَجَازٍ[٢٨٧٨] ، وَالْآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ ، فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ ، وَلَا تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ ، وَأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ ، فَفِيهَا اخْتُبِرْتُمْ ، وَلِغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ . إِنَّ الْمَرْءَ إِذَا هَلَكَ قَالَ النَّاسُ : مَا تَرَكَ ؟ وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ : مَا قَدَّمَ ؟ لِلهِ آبَاؤُكُمْ ! فَقَدِّمُوا بَعْضاً يَكُنْ لَكُمْ قَرْضاً ، وَلَا تُخْلِفُوا كُلّاً فَيَكُونَ فَرْضاً عَلَيْكُمْ .

٢٠٤ — ومن كلام له عليه السلام

كان كثيراً ما ينادي به أصحابه

تَجَهَّزُوا رَحِمَكُمُ اللهُ ! فَقَدْ نُودِيَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ ، وَأَقِلُّوا الْعُرْجَةَ[٢٨٧٩] عَلَى الدُّنْيَا ، وَانْقَلِبُوا بِصَالِحِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ ، فَإِنَّ أَمَامَكُمْ عَقَبَةً كَؤُوداً[٢٨٨٠] ، وَمَنَازِلَ مَخُوفَةً مَهُولَةً ، لَا بُدَّ مِنَ الْوُرُودِ عَلَيْهَا ، وَالْوُقُوفِ عِنْدَهَا . وَاعْلَمُوا أَنَّ مَلَاحِظَ الْمَنِيَّةِ[٢٨٨١] نَحْوَكُمْ دَانِيَةٌ[٢٨٨٢] ، وَكَأَنَّكُمْ بِمَخَالِبِهَا وَقَدْ نَشِبَتْ[٢٨٨٣] فِيكُمْ ، وَقَدْ دَهَمَتْكُمْ فِيهَا مُفْظِعَاتُ الْأُمُورِ ، وَمُعْضِلَاتُ الْمَحْذُورِ . فَقَطِّعُوا عَلَائِقَ الدُّنْيَا وَاسْتَظْهِرُوا[٢٨٨٤]

بِزَادِ التَّقْوَىٰ .

وقد مضى شيء من هذا الكلام فيا تقدم ، بخلاف هذه الرواية .

٢٠٥ ـ ومن كلام له عليه السلام

كلم به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة وقد عتبا عليه من ترك مشورتهما ، والاستعانة في الأمور بهما

لَقَدْ نَقَمْتُمَا[٢٨٨٥] يَسِيراً ، وَأَرْجَأْتُمَا[٢٨٨٦] كَثِيراً . أَلَا تُخْبِرَانِي ، أَيُّ شَيْءٍ كَانَ لَكُمَا فِيهِ حَقٌّ دَفَعْتُكُمَا عَنْهُ ؟ أَمْ أَيُّ قَسْمٍ ٱسْتَأْثَرْتُ عَلَيْكُمَا بِهِ ؟ أَمْ أَيُّ حَقٍّ رَفَعَهُ إِلَيَّ أَحَدٌ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ضَعُفْتُ عَنْهُ ، أَمْ جَهِلْتُهُ ، أَمْ أَخْطَأْتُ بَابَهُ !

وَٱللهِ ما كَانَتْ لِي فِي ٱلْخِلَافَةِ رَغْبَةٌ ، وَلَا فِي ٱلْوِلَايَةِ إِرْبَةٌ[٢٨٨٧] ، وَلٰكِنَّكُمْ دَعَوْتُمُونِي إِلَيْهَا ، وَحَمَلْتُمُونِي عَلَيْهَا ، فَلَمَّا أَفْضَتْ إِلَيَّ نَظَرْتُ إِلَىٰ كِتَابِ ٱللهِ وَمَا وَضَعَ لَنَا ، وَأَمَرَنَا بِٱلْحُكْمِ بِهِ فَٱتَّبَعْتُهُ ، وَمَا ٱسْتَنَّ ٱلنَّبِيُّ ، صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَٱقْتَدَيْتُهُ ، فَلَمْ أَحْتَجْ فِي ذٰلِكَ إِلَىٰ رَأْيِكُمَا ، وَلَا رَأْيِ غَيْرِكُمَا ، وَلَا وَقَعَ حُكْمٌ جَهِلْتُهُ ، فَأَسْتَشِيرَكُمَا وَإِخْوَانِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ؛ وَلَوْ كَانَ ذٰلِكَ لَمْ أَرْغَبْ عَنْكُمَا ، وَلَا عَنْ غَيْرِكُمَا . وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ ٱلْأُسْوَةِ[٢٨٨٨] ، فَإِنَّ ذٰلِكَ أَمْرٌ لَمْ أَحْكُمْ أَنَا فِيهِ بِرَأْيِي ، وَلَا وَلِيتُهُ هَوًى مِنِّي ، بَلْ وَجَدْتُ أَنَا وَأَنْتُمَا مَا جَاءَ بِهِ

رَسُولُ ٱللهِ ـ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ ، فَلَمْ أَحْتَجْ إِلَيْكُمَا فِيمَا قَدْ فَرَغَ ٱللهُ مِنْ قَسْمِهِ ، وَأَمْضَىٰ فِيهِ حُكْمَهُ ، فَلَيْسَ لَكُمَا ، وَٱللهِ ، عِنْدِي وَلَا لِغَيْرِكُمَا فِي هٰذَا عُتْبَىٰ (٢٨٨٩) . أَخَذَ ٱللهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَىٰ ٱلْحَقِّ ، وَأَلْهَمَنَا وَإِيَّاكُمُ الصَّبْرَ .

ثم قال عليه السلام : رَحِمَ ٱللهُ رَجُلًا رَأَىٰ حَقًّا فَأَعَانَ عَلَيْهِ ، أَوْ رَأَىٰ جَوْراً فَرَدَّهُ ، وَكَانَ عَوْناً بِٱلْحَقِّ عَلَىٰ صَاحِبِهِ .

توضيح: قال في النهاية: «نقم» إذا بلغت به الكراهة حدّ السخط. و قال ابن أبي الحديد: أي نقمتما من أحوالي اليسير و تركتما الكثير الّذي ليس لكما ولا لغيركما فيه مطعن فلم تذكراه، فهلاّ اغتفرتما اليسير للكثير؟ و ليس هذا اعترافاً بأنّ مانقماه موضع الطعن والعيب، ولكنّه على جهة الاحتجاج.[١٠٩٢]

و قال ابن ميثم: أشار باليسير الّذي نقماه إلى ترك مشهورتهما و تسويتهما لغيرهما في العطاء، فإنّه و إن كان عندهما صعباً فهو لكونه غير حقّ في غاية السهولة. والكثير الّذي أرجاه ما أخّراه من حقّه و لم يوفياه إيّاه.[١٠٩٣]

و قيل يحتمل أن يريد أنّ الّذي أبدياه و نقماه بعض ممّا في أنفسهما، و قد دلّ ذلك على أنّ في أنفسهما أشياء كثيرة لم يظهراه.

و «الاستئثار» الانفراد بالشيء. و دفع الحقّ عنهما أعمّ من أن يصير إليه ـ عليه السّلام ـ أو إلى غيره أو لم يصر إلى أحد بل بقي بحاله في بيت المال. و «الاستئثار عليهما به» هو أن يأخذ حقّهما لنفسه. و جهل الحكم أن يكون الله قد حكم بحرمة شيء فأحلّه الإمام، و جهل الباب[١٠٩٤] أن يصيب في الحكم و يخطئ في الاستدلال؛

١٠٩٢ ـ شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١١، ص ٨، ط بيروت.
١٠٩٣ ـ شرح النهج لابن ميثم، ج ٤، ص ١٠، ط بيروت.
١٠٩٤ ـ كذا، والصواب هو أن يكون: وخطأ الباب.

أو يكون جهل الحكم بمعنى التحيّر فيه و أن لايعلم كيف يحكم والخطأ في الباب أن يحكم بخلاف الواقع، و «الإربة» بالكسر، الحاجة. و «الأسوة» بالضمّ والكسر، القدوة، أي أسوتكما بغيركما في العطاء. و يقال للأمر الّذي لايحتاج إلى تكميل: مفروغ منه و «العتبى» الرجوع من الذنب والإساءة.[١٠٩٥]

٢٠٦ـ ومن كلام له عليه السلام

وقد سمع قوماً من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم بصفين

إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ، وَلَكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ، وَذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ، كَانَ أَصْوَبَ فِي ٱلْقَوْلِ، وَأَبْلَغَ فِي ٱلْعُذْرِ، وَقُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ: ٱللَّهُمَّ ٱحْقِنْ دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَبَيْنِهِمْ، وَٱهْدِهِمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ، حَتَّى يَعْرِفَ ٱلْحَقَّ مَنْ جَهِلَهُ، وَيَرْعَوِيَ[(٢٨٩٠)] عَنِ ٱلْغَيِّ وَٱلْعُدْوَانِ مَنْ لَهِجَ بِهِ[(٢٨٩١)].

بيان: قوله ـ عليه السّلام ـ «و أبلغ في العذر» أي العذر في القتال معهم، أو في إتمام الحجّة عليهم و إبداء عذر الله ـ تعالى ـ في عقابهم. و في النهاية: «حقنت دمه» إذا منعت من قتله. و «أراقته» أي جمعته له و حبسته عليه. و «يرعوي» أي يرجع و يكفّ. و «اللهج بالشيء» الولوع به، و «قد لهج» بالكسر، أُغري به.[١٠٩٦]

١٠٩٥ـ بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٤٠١، ط كمباني و ص ٣٧٦، ط تبريز.

١٠٩٦ـ بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٥٥٩، ط كمباني و ص ٤٧٢، ط تبريز.

٢٠٧ — ومن كلام له عليه السلام

في بعض أيام صفين وقد رأى الحسن ابنه عليه السلام يتسرع إلى الحرب

اَمْلِكُوا(٢٨٩٢) عَنِّي هٰذَا ٱلْغُلَامَ لَا يَهُدَّنِي(٢٨٩٣)، فَإِنَّنِي أَنْفَسُ(٢٨٩٤) بِهٰذَيْنِ - يَعْنِي ٱلْحَسَنَ وَٱلْحُسَيْنَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - عَلَىٰ ٱلْمَوْتِ لِئَلَّا يَنْقَطِعَ بِهِمَا نَسْلُ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

قال السيد الشريف: وقوله عليه السلام «املكوا عني هذا الغلام» من أعلى الكلام وأفصحه.

بيان: في أكثر النسخ: «أملكوا» بفتح الهمزة. وقال ابن أبي الحديد: الألف في «املكوا» ألف وصل لأنّ الماضي ثلاثيّ من «ملكت الفرس والدار أملك» بالكسر، أي احجروا عليها كما يحجر المالك على مملوكه. و «عن» متعلّقة بمحذوف، تقديره: استولوا عليه و أبعدوه عنيّ. و لمّا كان الملك سبب الحجر عبّر بالسبب عن المسبّب. و وجه علوّ هذا الكلام و فصاحته أنّه لمّا كان في «املكوا» معنى البعد أعقبه بـ «عن»، و ذلك أنّهم لا يملكونه دونه ــ عليه السّلام ــ إلّا و قد أبعدوه عنه.[١٠٩٧]

قوله ــ عليه السّلام ــ «يهدّني» أي لئلاّ يهدّني، و «هدّ البناء» كسره و «نفست به» بالكسر، أي بخلت به.[١٠٩٨]

٢٠٨ — ومن كلام له عليه السلام

قاله لما اضطرب عليه أصحابه في أمر الحكومة

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ، إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ أَمْرِي مَعَكُمْ عَلَىٰ مَا أُحِبُّ، حَتَّىٰ نَهِكَتْكُمُ(٢٨٩٥)

١٠٩٧ - شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١١، ص ٢٥، ط بيروت.
١٠٩٨ - بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٥٥٩، ط كمباني وص ٤٧٢، ط تبريز.

ٱلْحَرْبُ ، وَقَدْ ، وَٱللهِ ، أَخَذَتْ مِنْكُمْ وَتَرَكَتْ ، وَهِيَ لِعَدُوِّكُمْ أَنْهَكُ .

لَقَدْ كُنْتُ أَمْسِ أَمِيراً ، فَأَصْبَحْتُ ٱلْيَوْمَ مَأْمُوراً ، وَكُنْتُ أَمْسِ نَاهِياً ، فَأَصْبَحْتُ ٱلْيَوْمَ مَنْهِيًّا ، وَقَدْ أَحْبَبْتُمُ ٱلْبَقَاءَ ، وَلَيْسَ لِي أَنْ أَحْمِلَكُمْ عَلَىٰ مَا تَكْرَهُونَ !

بيان: قال الجوهري: «نهكت الثوب ــ بالفتح ــ نهكاً» لبسته حتّى خلق، و «نهكت من الطعام» بالغت في أكله و «نهكته الحمّى» إذا جهدته و أضنته و نقضت لحمه؛ و فيه لغة أخرى: نهكته الحُمّى ــ بالكسر ــ تنهكه نهكاً و نهكه. قوله ــ عليه السّلام ــ «و تركت» أن لم يستأصلكم بل فيكم بعد بقيّة. «و هي لعدوّكم أنهك» لأنّ القتل في أهل الشام كان أشدّ استحراراً، والوهن فيهم أظهر. قوله ــ عليه السّلام ــ «و ليس لي أن أحملكم» أي لاقدرة لي عليه و إن كان يجب و عليكم إطاعتي.[١٠٩٩]

٢٠٩ ــ ومن كلام له عليه السلام

بالبصرة ، وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثي ــ وهو من أصحابه ــ يعوده ، فلما رأى سعة داره قال :

مَا كُنْتَ تَصْنَعُ بِسِعَةِ هٰذِهِ الدَّارِ فِي الدُّنْيَا ، وَأَنْتَ إِلَيْهَا فِي ٱلْآخِرَةِ كُنْتَ أَحْوَجَ ؟ وَبَلَىٰ إِنْ شِئْتَ بَلَغْتَ بِهَا ٱلْآخِرَةَ : تَقْرِي فِيهَا الضَّيْفَ ، وَتَصِلُ فِيهَا الرَّحِمَ ، وَتُطْلِعُ(٢٨٩٦) مِنْهَا ٱلْحُقُوقَ مَطَالِعَهَا ، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ بَلَغْتَ بِهَا ٱلْآخِرَةَ .

١٠٩٩ــ بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٥٤٥، ط تبريز.

فقال له العلاء : يا أمير المؤمنين ، أشكو أليك أخي عاصم بن زياد . قال : وما له ؟ قال : لبس العباءة وتخلى عن الدنيا . قال : عليَّ به . فلما جاء قال :

يَا عُدَيَّ(٢٨٩٧) نَفْسِهِ ! لَقَدِ ٱسْتَهَامَ بِكَ ٱلْخَبِيثُ ! أَمَا رَحِمْتَ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ ! أَتَرَىٰ ٱللهَ أَحَلَّ لَكَ ٱلطَّيِّبَاتِ ، وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ تَأْخُذَهَا ! أَنْتَ أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ ذٰلِكَ !

قال : يا أمير المؤمنين ، هذا أنت في خشونة ملبسك وجُشوبة مأكلك!

قَالَ : وَيْحَكَ ، إِنِّي لَسْتُ كَأَنْتَ ، إِنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ فَرَضَ عَلَىٰ أَئِمَّةِ ٱلْعَدْلِ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ(٢٨٩٨) بِضَعَفَةِ ٱلنَّاسِ ، كَيْلَا يَتَبَيَّغَ(٢٨٩٩) بِٱلْفَقِيرِ فَقْرُهُ !

بيان: قوله «كنت أحوج»، «كنت» ههنا زائدة، مثل قوله ــ تعالى ــ: «مَنْ كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيّاً»[1100]. و «مطالع الحقوق» وجوهها الشرعيّة. قوله ــ عليه السّلام ــ «عليّ به» أي أحضره، والأصل: اعجل به عليّ، فحذف فعل الأمر ودلّ الباقي عليه. و «العُديّ» تصغير عدوّ، وقيل: إنّما صغّره من جهة حقارة فعله ذلك لكونه عن جهل منه، و قيل: أُريد به الاستعظام لعداوته لها، و قيل: خرج مخرج التحنّن والشفقة كقولهم «يا بنيّ». قوله «لقد استهام بك الخبيث» أي جعلك الشيطان هائماً ضالاً، والباء زائدة. و «طعام جشب» أي غليظ. و «تبيّغ الدم بصاحبه» إذاهاج.[1101]

١١٠٠ــ مريم: ٢٩.

١١٠١ــ بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٤٠، كتاب تاريخ أميرالمؤمنين عليه‌السلام، ص ٣٣٦.

٢١٠ - ومن كلام له عليه السلام

وقد سأله سائل عن أحاديث البدع ، وعما في أيدي الناس من اختلاف الخبر ، فقال عليه السلام :

إنَّ في أَيْدِي النَّاسِ حقًّا وبَاطِلًا ، وَصِدْقاً وَكَذِباً ، وَنَاسِخاً وَمَنْسُوخاً ، وَعَامًّا وَخَاصًّا ، وَمُحْكَماً وَمُتَشَابِهاً ، وَحِفْظاً وَوَهْماً . وَلَقَدْ كُذِبَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ - صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - عَلَىٰ عَهْدِهِ ، حَتَّىٰ قَامَ خَطِيباً ، فَقَالَ : «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» .

وَإِنَّمَا أَتَاكَ بِالْحَدِيثِ أَرْبَعَةُ رِجَالٍ لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ :

المنافقون

رَجُلٌ مُنَافِقٌ مُظْهِرٌ لِلْإِيمَانِ ، مُتَصَنِّعٌ بِالْإِسْلَامِ ، لَا يَتَأَثَّمُ[٢٩٠٠] وَلَا يَتَحَرَّجُ[٢٩٠١] ، يَكْذِبُ عَلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ - صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - مُتَعَمِّداً ، فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ مُنَافِقٌ كَاذِبٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ ، وَلَمْ يُصَدِّقُوا قَوْلَهُ ، وَلٰكِنَّهُمْ قَالُوا : صَاحِبُ رَسُولِ ٱللهِ - صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - رَآهُ ، وَسَمِعَ مِنْهُ ، وَلَقِفَ عَنْهُ[٢٩٠٢] ، فَيَأْخُذُونَ بِقَوْلِهِ ، وَقَدْ أَخْبَرَكَ ٱللهُ عَنِ ٱلْمُنَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَكَ ، وَوَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ لَكَ ، ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ ، فَتَقَرَّبُوا إِلَىٰ أَئِمَّةِ الضَّلَالَةِ ، وَالدُّعَاةِ

إِلَىٰ النَّارِ بِالزُّورِ وَٱلْبُهْتَانِ ، فَوَلَّوْهُمُ ٱلْأَعْمَالَ ، وَجَعَلُوهُمْ حُكَّاماً عَلَىٰ رِقَابِ النَّاسِ ، فَأَكَلُوا بِهِمُ الدُّنْيَا ، وَإِنَّمَا النَّاسُ مَعَ ٱلْمُلُوكِ وَالدُّنْيَا ، إِلَّا مَنْ عَصَمَ ٱللهُ ، فَهٰذَا أَحَدُ ٱلْأَرْبَعَةِ .

الخاطئون

وَرَجُلٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ ٱللهِ شَيْئاً لَمْ يَحْفَظْهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ ، فَوَهِمَ(٢٩٠٣) فِيهِ ، وَلَمْ يَتَعَمَّدْ كَذِباً ، فَهُوَ فِي يَدَيْهِ ، وَيَرْوِيهِ وَيَعْمَلُ بِهِ ، وَيَقُولُ : أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَلَوْ عَلِمَ ٱلْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ وَهِمَ فِيهِ لَمْ يَقْبَلُوهُ مِنْهُ ، وَلَوْ عَلِمَ هُوَ أَنَّهُ كَذٰلِكَ لَرَفَضَهُ !

اهل الشبهة

وَرَجُلٌ ثَالِثٌ ، سَمِعَ مِنْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ شَيْئاً يَأْمُرُ بِهِ ، ثُمَّ إِنَّهُ نَهَىٰ عَنْهُ ، وَهُوَ لَا يَعْلَمُ ، أَوْ سَمِعَهُ يَنْهَىٰ عَنْ شَيْءٍ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ ، فَحَفِظَ ٱلْمَنْسُوخَ ، وَلَمْ يَحْفَظِ النَّاسِخَ ، فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضَهُ ، وَلَوْ عَلِمَ ٱلْمُسْلِمُونَ إِذْ سَمِعُوهُ مِنْهُ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضُوهُ .

الصادقون الحافظون

وَآخَرُ رَابِعٌ ، لَمْ يَكْذِبْ عَلَىٰ ٱللهِ ، وَلَا عَلَىٰ رَسُولِهِ ، مُبْغِضٌ

لِلْكَذِبِ خَوْفاً مِنَ ٱللهِ ، وَتَعْظِيماً لِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَهِـمْ[٢٩٠٤] ، بَلْ حَفِظَ مَا سَمِـعَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ، فَجَاءَ بِهِ عَلَىٰ مَا سَمِعَهُ ، لَمْ يَزِدْ فِيهِ وَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ ، فَهُوَ حَفِظَ النَّاسِـخَ فَعَمِلَ بِهِ ، وَحَفِظَ ٱلْمَنْسُوخَ فَجَنَّبَ عَنْهُ[٢٩٠٥] ، وَعَرَفَ ٱلْخَاصَّ وَٱلْعَامَّ ، وَٱلْمُحْكَمَ وَٱلْمُتَشَابِهَ[٢٩٠٦] ، فَوَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ مَوْضِعَهُ .

وَقَدْ كَانَ يَكُونُ مِـنْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ٱلْكَلَامُ لَهُ وَجْهَانِ : فَكَلَامٌ خَاصٌّ ، وَكَلَامٌ عَامٌّ ، فَيَسْمَعُهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ مَـا عَنَىٰ ٱللهُ ، سُبْحَانَهُ ، بِهِ ، وَلَا مَا عَنَىٰ رَسُولُ ٱللهِ ـ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ فَيَحْمِلُهُ السَّامِـعُ ، وَيُوَجِّهُهُ عَلَىٰ غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِمَعْنَاهُ ، وَمَا قُصِدَ بِهِ ، وَمَا خَرَجَ مِنْ أَجْلِهِ ، وَلَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ ٱللهِ ـ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ مَنْ كَانَ يَسْأَلُهُ وَيَسْتَفْهِمُهُ ، حَتَّىٰ إِنْ كَانُوا لَيُحِبُّونَ أَنْ يَجِيءَ ٱلْأَعْرَابِيُّ وَالطَّارِىءُ ، فَيَسْأَلَهُ عَلَيْـهِ السَّلَامُ حَتَّىٰ يَسْمَعُوا ، وَكَانَ لَا يَمُرُّ بِي مِنْ ذٰلِكَ شَيْءٌ إِلَّا سَأَلْتُهُ عَنْهُ وَحَفِظْتُهُ فَهٰذِهِ وُجُوهُ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ فِي ٱخْتِلَافِهِـمْ ، وَعِلَلِهِـمْ فِي رِوَايَاتِهِـمْ .

ل: أبي، عن عليّ، عن أبيه، عن حمّادبن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليمانيّ وعمربن أُذينة، عن أبان بن أبي عيّاش، عن سليم بن قيس الهلاليّ قال: قلت لأمير المؤمنين ــ عليه السّلام ــ: يا أمير المؤمنين! إنّي سمعت من سلمان والمقداد و أبي

ذرّ شيئاً من تفسير القرآن و أحاديث عن نبيّ الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ غيرما في أيدي الناس، ثمّ سمعت منك تصديق ماسمعت منهم ورأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن و من الاحاديث عن نبيّ الله ــ صلى الله عليه وآله ــ أنتم تخالفونهم فيها و تزعمون أنّ ذلك كلّه باطل؛ أفترى الناس يكذبون على رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ متعمّدين و يفسّرون القرآن بآرائهم؟

قال: فأقبل عليّ ــ عليه السّلام ــ عليَّ فقال: قد سألت فافهم الجواب!

إنّ في أيدي الناس حقّاً وباطلاً، وصدقاً وكذباً، وناسخاً ومنسوخاً، وعامّاً وخاصّاً ومحكماً ومتشابهاً، وحفظاً ووهماً. وقد كذب على رسول الله - صلّى الله عليه وآله - على عهده حتّى قام خطيباً فقال: «أيّها الناس قد كثرت عليّ الكذابة فمن كذب عليّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النار». ثمّ كذب عليه من بعده.

إنّما أتاكم الحديث من أربعة ليس لهم خامس:

رجل منافق يظهر الإيمان متصنّع بالإسلام لايتأثّم ولا يتحرّج أن يكذب على رسول الله - صلّى الله عليه وآله - متعمّداً فلوعلم الناس أنّه منافق كذّاب لم يقبلوا منه ولم يصدّقوه، ولكنّهم قالوا: هذا قد صحب رسول الله - صلّى الله عليه وآله - و رآه وسمع منه فأخذوا منه وهم لايعرفون حاله وقد أخبرالله - عزّ و جلّ - عن المنافقين بما أخبره ووصفهم بما وصفهم، فقال - عزّ و جلّ -: «وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ»[١١٠٢].

ثم بقوا بعده فتقرّبوا إلى أئمّة الضلال والدعاة إلى النار بالزور والكذب والبهتان، فولّوهم الأعمال وحملوهم على رقاب الناس وأكلوا منهم الدنيا[١١٠٣]، و إنّما الناس مع الملوك والدنيا إلّا من عصم الله، فهذا أحد الأربعة.

ورجل سمع من رسول الله شيئاً لم يحفظه على وجهه ووهم فيه ولم يتعمّد كذباً، فهو في يده يقول به ويعمل به ويرويه ويقول: أنا سمعته من رسول الله - صلّى الله عليه وآله -، فلوعلم المسلمون أنّه وهم لم يقبلوه ولوعلم هوأنّه وهم لرفضه.

١١٠٢ــ المنافقون: ٤.

١١٠٣ــ وفي نسخة: وأكلوا بهم الدنيا.

ورجل ثالث سمع من رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ شيئاً أمر به ثمّ نهى عنه وهو لايعلم، أو سمعه ينهى عن شيء ثمّ أمر به وهو لايعلم، فحفظ منسوخه ولم يحفظ الناسخ، فلو علم أنّه منسوخ لرفضه، ولو علم المسلمون أنّه منسوخ لرفضوه.

وآخر رابع لم يكذب على رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ، مبغض للكذب خوفاً من الله ـ عزّ و جلّ ـ وتعظيماً لرسول الله لم يسه[١١٠٤]، بل حفظ ماسمع على وجهه فجاء به كما سمع لم يزد فيه ولم ينقص منه، وعلم الناسخ من المنسوخ فعمل بالناسخ ورفض المنسوخ. و إنّ أمر النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ مثل القرآن ناسخ ومنسوخ وخاصّ وعامّ ومحكم ومتشابه، وقد كان يكون من رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ الكلام له وجهان: فكلام عامّ وكلام خاصّ مثل القرآن، وقال الله ـ عزّ و جلّ ـ في كتابه: «مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَانَهيكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا»[١١٠٥]. فيشتبه على من لم يعرف ولم يدرما عنى الله به و رسوله، وليس كلّ أصحاب رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ يسأله عن الشيء فيفهم؛ كان منهم من يسأله ولايستفهمه، حتّى أن كانوا ليحبّون أن يجيء الأعرابيّ والطارئ فيسأل رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ حتّى يسمعوا.

وكنت أدخل على رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ كلّ يوم دخلةً وكلّ ليلة دخلةً فيخلّيني فيها، أدورمعه حيثما دار. وقد علم أصحاب رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ أنّه لم يصنع ذلك بأحد من الناس غيري، وربّما كان ذلك في بيتي[١١٠٦] يأتيني رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ أكثر ذلك في بيتي، وكنت إذا دخلت عليه بعض منازله أخلاني وأقام عنّي نساءه فلا يبقى عنده غيري، و إذا أتاني للخلوة معي في بيتي لم تقم عنه فاطمة ولا أحد من بنيّ. وكنت إذا سألته أجابني و إذا سكت عنه وفنيت مسائلي ابتدأني. فما نزلت على رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ آية من القرآن إلّا أقرأنيها وأملاها عليّ فكتبتها بخطّي، وعلّمني تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصّها وعامّها، ودعا الله لي أن يعطيني فهمها وحفظها، فما نسيت آيةً من كتاب الله ولا علماً أملاه عليّ، وكتبته منذ دعا الله لي بما دعاه، وماترك شيئاً علّمه الله من حلال ولا حرام، أمر ولا نهي، كان أو يكون، ولا كتاب منزل على أحد قبله في أمر بطاعة أو نهي عن معصية إلّا علّمنيه وحفّظنيه،

١١٠٤ ـ في الخصال: لم ينسه. ١١٠٥ ـ الحشر: ٧. ١١٠٦ ـ وفي نسخة: في شيء.

فلم أنس حرفاً واحداً. ثمّ وضع ـ صلّى الله عليه وآله ـ يده على صدري ودعا الله لي أن يملأ قلبي علماً وفهماً وحكماً ونوراً، فقلت: يانبيّ الله! بأبي أنت وأُمّي إنّي منذ دعوت الله ـ عزّ وجلّ ـ لي بما دعوت لم أنس شيئاً ولم يفتني شيء لم أكتبه أفتتخوّف عليّ النسيان فيما بعد؟ فقال: لالست أخاف عليك النسيان ولا الجهل.

نهج، ف: مرسلاً مثله.

ني: ابن عقدة ومحمّد بن همّام، وعبدالعزيز وعبدالواحد ابنا عبدالله بن يونس، عن رجالهم، عن عبدالرزّاق، وهمّام، عن معمّر بن راشد، عن أبان بن أبي عيّاش، عن سليم مثله.

ج: عن مسعدة بن صدقة، عن جعفر بن محمّد ــ عليهما السّلام ــ قال: خطب أمير المؤمنين ــ عليه السّلام ــ وساق الحديث... إلى أن قال:

فقال له رجل: إنّي سمعت من سلمان وأبي ذرّ الغفاريّ والمقداد أشياء من تفسير القرآن والأحاديث عن النبيّ ــ صلّى الله عليه وآله ــ.

ثمّ ذكر نحواً ممّا مرّ إلى قوله «حتّى أن كانوا ليحبّون أن يجيء الأعرابي أو الطارئ فيسأله ــ صلّى الله عليه وآله ــ حتّى يسمعوا وكان لايمرّ بي من ذلك شيء إلّا سألت عنه وحفظته.

فهذه وجوه ماعليه الناس في اختلافهم وعللهم في رواياتهم.

إيضاح: سيأتي الخبر بتمامه في باب العلّة الّتي من أجلها لم يغيّر أمير المؤمنين ــ عليه السّلام ــ بعض البدع. قوله ــ عليه السّلام ــ «حقّاً وباطلاً وصدقاً وكذباً» ذكر الصدق والكذب بعد الحقّ والباطل من قبيل ذكر الخاصّ بعد العامّ، لأنّ الصدق والكذب من خواصّ الخبر، والحقّ والباطل يصدقان على الأفعال أيضاً، وقيل: الحقّ والباطل هنا من خواصّ الرأي والاعتقاد والصدق والكذب من خواصّ النقل والرواية. قوله ــ عليه السّلام ــ «محكماً ومتشابهاً» المحكم في اللغة هو المضبوط المتقن ويطلق في الاصطلاح على ما اتّضح معناه وعلى ماكان محفوظاً من النسخ أو التخصيص أو منهما معاً وعلى ما كان نظمه مستقيماً خالياً عن الخلل، وما لايحتمل من

التأويل إلّا وجهاً واحداً، ويقابله بكلّ من هذه المعاني المتشابه. قوله ــ عليه السّلام ــ «ووهماً» بفتح الهاء، مصدر قولك «وهِمت» بالكسر، أي غلطت وسهوت؛ وقد روي: «وهْماً» بالتسكين، مصدر «وهمت» بالفتح، إذا ذهب وهمك إلى شيء وأنت تريد غيره، والمعنى متقارب. قوله ــ عليه السّلام ــ «فليتبوّأ» صيغة الأمر ومعناه الخبر كقوله ــ تعالى ــ: «قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ **فَلْيَمْدُدْ** لَهُ الرَّحْمَنُ مَدّاً»[١١٠٧]. قوله ــ عليه السّلام ــ «متصنّع بالإسلام» أي متكلّف له ومتدلّس به غير **متّصف** به في نفس الأمر. قوله ــ عليه السّلام ــ «لا يتأثّم» أي لايكفّ نفسه عن موجب الإثم، أو لايعدّ نفسه آثماً بالكذب على رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ، وكذا قوله «لايتحرّج» من الحرج بمعنى الضيق. قوله ــ عليه السّلام ــ «وقد أخبر الله ــ عزّ وجلّ ــ عن المنافقين» أي كان ظاهرهم ظاهراً حسناً وكلامهم كلاماً **مزيّفاً** مدلّساً يوجب اغترار الناس بهم وتصديقهم فيما ينقلونه عن النبيّ ــ صلّى الله عليه وآله ــ ويرشد إلى ذلك أنّه ــ سبحانه ــ خاطب نبيّه ــ صلّى الله عليه وآله ــ بقوله: «وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ»[١١٠٨] أي لصباحتهم وحسن منظرهم «وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ»[١١٠٩] أي تصغي إليه لذلاقة ألسنتهم. قوله ــ عليه السّلام ــ «فولّوهم الأعمال» أي أئمّة الضلال بسبب وضع الأخبار أعطوا هؤلاء المنافقين الولايات وسلّطوهم على الناس. ويحتمل العكس أيضاً، أي بسبب مفتريات هؤلاء المنافقين صاروا والين على الناس وصنعوا ماشاؤوا وابتدعوا ما أرادوا، ولكنّه بعيد.

قوله ــ عليه السّلام ــ «ناسخ ومنسوخ» قال الشيخ البهائي ــ رحمه الله ــ: خبرثان لإنّ، أو خبر مبتدء محذوف أي بعضه ناسخ وبعضه منسوخ، أو بدل من «مثل» وجرّه على البدليّة من القرآن ممكن، فإنّ قيام البدل مقام المبدل منه غيرلازم عند كثير من المحقّقين. قوله ــ عليه السّلام ــ «وقد كان يكون» إسم كان ضمير الشأن ويكون تامّة وهي مع اسمها الخبر، وله وجهان: نعت للكلام لأنّه في حكم النكرة، أو حال منه، وإن جعلت «يكون» ناقصة فهو خبرها. قوله ــ عليه السّلام ــ

«وقال الله»لعلّ المراد أنّهم لمّا سمعوا هذه الآية علموا وجوب اتّباعه ــ صلّى الله عليه وآله ــ ولمّا اشتبه عليهم مراده عملوا بما فهموا منه وأخطأوا فيه، فهذا بيان لسبب خطاء الطائفة الثانية والثالثة؛ ويحتمل أن يكون ذكر الآية لبيان أنّ هذه الفرقة الرابعة المحقّة إنّما تتبعوا[١١١٠] جميع ماصدر عنه ــ صلّى الله عليه وآله ــ من الناسخ والمنسوخ والعامّ والخاصّ، لأنّ الله ــ تعالى ــ أمرهم باتّباعه في كلّ مايصدر عنه. قوله ــ عليه السّلام ــ «فيشتبه» متفرّع على ماقبل الآية، أي كان يشتبه كلام الرسول ــ صلّى الله عليه وآله ــ على من لايعرف، ويحتمل أن يكون المراد أنّ الله ــ تعالى ــ إنّما أمرهم بمتابعة الرسول ــ صلّى الله عليه وآله ــ فيما يأمرهم به من اتّباع أهل بيته والرجوع إليهم فإنّهم كانوا يعرفون كلامه ويعلمون مرامه فاشتبه ذلك على من لم يعرف مراد الله ــ تعالى ــ وظنّوا أنّه يجوز لهم العمل بما سمعوا منه بعده ــ صلّى الله عليه وآله ــ من غير رجوع إلى أهل بيته. قوله ــ عليه السّلام ــ «ماعنى الله به» الموصول مفعول «لم يدر» ويحتمل أن يكون فاعل «يشتبه». قوله ــ عليه السّلام ــ «ولا يستفهمه» أي إعظاماً له. قوله ــ عليه السّلام ــ «والطارئ» أي الغريب الّذي أتاه عن قريب من غير أنس به وبكلامه، وإنّما كانوا يحبّون قدومهما إمّا لاستفهامهم وعدم استعظامهم إيّاه أولأنّه ــ صلّى الله عليه وآله ــ كان يتكلّم على وفق عقولهم فيوضحه حتّى يفهم غيرهم. قوله ــ عليه السّلام ــ «فيخليني فيها» من «الخلوة» يقال: «استخلى الملك فأخلاه» أي سأله أن يجتمع به في خلوة ففعل، أو من «التخلية» أي يتركني أدورمعه. قوله ــ عليه السّلام ــ «أدورمعه حيثمادار» أي لا امنع عن شيء من خلواته، أدخل معه أيّ مدخل يدخل فيه وأسير معه أينما سار، أو المراد أنّي كنت محرماً لجميع أسراره قابلاً لعلومه، أخوض معه في كلّ مايخوض فيه من المعارف وكنت أوافقه في كلّ مايتكلّم فيه وأفهم مراده. قوله ــ عليه السّلام ــ «تأويلها وتفسيرها» أي بطنها وظهرها.[١١١١]

١١١٠ ـ كذا، وهذا خطأ واضح والصواب أن يكون: اتّبعوا.

١١١١ ـ بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٢، كتاب العلم، ص ٢٢٨ ـ ٢٣٣.

٢١١ ـ ومن خطبة له عليه السلام

في عجيب صنعة الكون

وَكَانَ مِنِ ٱقْتِدَارِ جَبَرُوتِهِ ، وَبَدِيعِ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ ، أَنْ جَعَلَ مِنْ مَاءِ ٱلْبَحْرِ الزَّاخِرِ(٢٩٠٧) ٱلْمُتَرَاكِمِ ٱلْمُتَقَاصِفِ(٢٩٠٨) ، يَبَساً جَامِداً(٢٩٠٩) ، ثُمَّ فَطَرَ(٢٩١٠) مِنْهُ أَطْبَاقاً(٢٩١١) ، فَفَتَقَهَا سَبْعَ سَمَاوَاتٍ بَعْدَ ٱرْتِتَاقِهَا(٢٩١٢) ، فَٱسْتَمْسَكَتْ بِأَمْرِهِ(٢٩١٣) ، وَقَامَتْ عَلَىٰ حَدِّهِ(٢٩١٤) . وَأَرْسَىٰ أَرْضاً يَحْمِلُهَا ٱلْأَخْضَرُ(٢٩١٥) ٱلْمُثْعَنْجِرُ(٢٩١٦) ، وَٱلْقَمْقَامُ(٢٩١٧) ٱلْمُسَخَّرُ ، قَدْ ذَلَّ لِأَمْرِهِ ، وَأَذْعَنَ لِهَيْبَتِهِ ، وَوَقَفَ ٱلْجَارِي مِنْهُ لِخَشْيَتِهِ . وَجَبَلَ(٢٩١٨) جَلَامِيدَهَا(٢٩١٩) ، وَنُشُوزَ(٢٩٢٠) مُتُونِهَا(٢٩٢١) وَأَطْوَادِهَا(٢٩٢٢) ، فَأَرْسَاهَا فِي مَرَاسِيهَا(٢٩٢٣) ، وَأَلْزَمَهَا قَرَارَاتِهَا(٢٩٢٤) ، فَمَضَتْ رُؤُوسُهَا فِي ٱلْهَوَاءِ ، وَرَسَتْ أُصُولُهَا فِي ٱلْمَاءِ ، فَأَنْهَدَ جِبَالَهَا(٢٩٢٥) عَنْ سُهُولِهَا ، وَأَسَاخَ(٢٩٢٦) قَوَاعِدَهَا فِي مُتُونِ أَقْطَارِهَا وَمَوَاضِعِ أَنْصَابِهَا(٢٩٢٧) ، فَأَشْهَقَ قِلَالَهَا(٢٩٢٨) ، وَأَطَالَ أَنْشَازَهَا(٢٩٢٩) ، وَجَعَلَهَا لِلْأَرْضِ عِمَاداً ، وَأَرَّزَهَا(٢٩٣٠) فِيهَا أَوْتَاداً ، فَسَكَنَتْ عَلَىٰ حَرَكَتِهَا مِنْ أَنْ تَمِيدَ(٢٩٣١) بِأَهْلِهَا ، أَوْ تَسِيخَ(٢٩٣٢) بِحِمْلِهَا ، أَوْ تَزُولَ عَنْ مَوَاضِعِهَا . فَسُبْحَانَ مَنْ أَمْسَكَهَا بَعْدَ مَوَجَانِ مِيَاهِهَا ، وَأَجْمَدَهَا بَعْدَ رُطُوبَةِ أَكْنَافِهَا ، فَجَعَلَهَا لِخَلْقِهِ مِهَاداً ، (٢٩٣٣)

لَا يَسْرِي ، تُكَرْكِرُهُ(٢٩٣٤) الرِّيَاحُ الْعَوَاصِفُ ، وَتَمْخُضُهُ الْغَمَامُ الذَّوَارِفُ(٢٩٣٥) ؛ «إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَىٰ» .

بيان: «الاقتدار على الشيء» القدرة عليه. و«الجبروت» فعلوت من «الجبر» وهو القهر. و«البديع» بمعنى المبدع بالفتح. و«اللطيف» الدقيق. و«زخر البحر» ــ كمنع ــ أي تملأ وارتفع. و«المتراكم» المجتمع بعضه فوق بعض. و«تقاصف البحر» تزاحمت أمواجه. وقال ابن أبي الحديد: «اليَبَس» بالتحريك، المكان يكون رطباً ثمّ ييبس، قال الله ــ تعالى ــ: **﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً﴾**[١١١٢]. و«اليبس» بالسكون، اليابس خلقة، يقال: «خطب يبس» وهكذا يقول أهل اللغة، وفيه كلام لأنّ الحطب ليس يابساً خلقة بل كان رطباً من قبل، والأصوب أن يقال: لا تكون هذه اللفظة محرّكة إلّا في المكان خاصّة.[١١١٣] انتهى.

و«الجامد» ضدّ الذائب، والمراد باليبس الجامد الأرض. و«الفطر» بالفتح، الخلق والإنشاء. و«الأطباق» بالفتح، جمع «طبق» بالتحريك، وهو غطاء كلّ شيء، والطبق أيضاً من كلّ شيء ما ساواه. وقوله ــ عليه السّلام ــ «ففتقها» إشارة إلى قوله ــ تعالى ــ: **﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا﴾**[١١١٤]. وقد مرّت الوجوه في تفسيرها، وهذا ممّا يؤيّد بعضها فتذكّر. ويدلّ على حدوث السماوات وكونها أُولي طبقات منفصلة في الحقيقة متّصلة في الصورة بعضها فوق بعض، ففتقها وفرّقها وباعد بعضها عن بعض، فحصلت سبع سماوات متميّزات بينها أفضية للملائكة.

و«الاستمساك» الاحتباس والاعتصام، والغرض عدم تفرّقها كأنّ بعضها معتصم ببعض. و«قيامها على حدّه» كناية عن وقوفها على ماحدّه لها من المكان والمقدار والشكل والهيئة والنهايات والطبائع وعدم خروجها عن تلك. والضمير في

١١١٢ــ طه: ٧٧.
١١١٣ــ شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١١، ص ٥٢، ط بيروت.
١١١٤ــ الأنبياء: ٣٠.

«حدّه» راجع إلى الله أو إلى اليبس.

وقال الكيدريّ: «الأخضر» الماء، والعرب تصفه بالخضرة. و«المثعنجر» على صيغة اسم الفاعل كمافي النسخ، السائل من ماء أو دمع، وبفتح الجيم، وسط البحر، وليس في البحرماء يشبهه؛ ذكره الفيروزآباديّ.

وقال الجزريّ في حديث عليّ ــ عليه السّلام ــ: «يحملها الأخضر المثعنجر» هو أكثر موضع في البحر ماء، والميم والنون زائدتان. ومنه حديث ابن عبّاس: «فإذاً علمي بالقرآن في علم عَليّ كالقرارة في المثعنجر»، «القرارة» الغدير الصغير.

و«القمقام» بالفتح كمافي النسخ وقد يضمّ، البحر، ويكون بمعنى السيّد والأمر العظيم والعدد الكثير. و«المسخّر» في بعض النسخ بالخاء المعجمة وفي بعضها بالجيم، في القاموس: «سجر النّهر» ملأه و«تسجير الماء» تفجيره. والضمير في قوله ــ عليه السّلام ــ «منه» راجع إلى ماء البحر أو إلى اليبس الجامد، فيكون الدخان الّذي خلق منه السماوات **مرتفعاً منه. و[الضمير] في** «استمسكت» إلى الأطباق، أو إلى مايرجع إليه الضمير في يحملها وهو اليبس الجامد والتأنيث لأنّ المراد به الأرض.

و«أذعن له» أي خضع وانقاد. و«الجاري منه» أي السائل بالطبع، فوقوفه عدم جريانه طبعاً بارادته ــ سبحانه ــ أو السائل منه قبل إرادته وأمره بالجمود. ويحتمل أن تكون الضمائر في «ذلّ» و«أذعن» و«وقف» راجعة إلى الأخضر أو القمقام وهو أنسب بتذكير الضمير والجريان.

و«جبل» ــ كنصر وضرب ــ أي خلق. و«الجلمد» بالفتح و«الجلمود» بالضمّ، الحجر العظيم الصلب. و«النشز» بالفتح، المكان المرتفع والجمع «نشوز» بالضمّ. و«المتن» ماصلب من الأرض وارتفع. و«الطود» بالفتح، الجبل أو العظيم منه، والضمائر راجعة إلى الأرض المعبّر عنها باليبس الجامد. و«أرسيها» أي أثبتها «في مراسيها» أي في مواضعها المعيّنة بمقتضى الحكم الإلهيّة. و«القرارة» موضع القرار. و«رست» أي ثبتت؛ وفي بعض النسخ: «رسبت» يقال: «رسب» ــ

كنصر ــ إذا ذهب إلى أسفل وإذا ثبت. ويقال: «نهدثدي الجارية» ــ كمنع ونصر ــ أي كعب وأشرف. و«السهل من الأرض» ضدّ الحزن. و«ساخت قوائمه في الأرض تسوخ وتسيخ» أي دخلت فيها وغابت، و«أساخها» غيّبها. و«قواعد البيت» أساسه. و«القطر» بالضمّ، الناحية، أي غيّب قواعد الجبال في متون نواحي الأرض، وقيل: أي في جوانب أقطارها. و«النصب» بالفتح ويحرّك، العلم المنصوب، وبالضمّ وبضمّتين، كلّ ماجعل علماً وكلّ ماعبد من دون الله، والمراد بالأنصاب الجبال وبمواضعها الأمكنة الصالحة للجبال بمقتضى الحكمة. و«القلال» بالكسر جمع «قلّة» بالضمّ، وهي أعلى الجبل أو أعلى كلّ شيء. و«الشاهق» المرتفع، أي جعل قلالها مرتفعة، و«إطالة الأنشاز» مؤكّدة لها. و«العماد» بالكسر، الخشبة الّتي تقوم عليها البيت والأبنية الرفيعة، والظاهر أنّ المراد بجعلها للأرض عماداً مايستفاد من الفقرة التالية، وقيل: المراد جعلها مواضع رفيعة في الأرض. و«أرز» بتقديم المهملة ــ كنصر وضرب وعلم ــ أي ثبت، و«أرزّ» بتشديد المعجمة أي أثبت، وفي أكثر النسخ بالتخفيف وفتح العين وفي بعضها بالتشديد. قال في النهاية: في كلام عليّ ــ عليه السّلام ــ: «أرزّها فيها أوتاداً» أي أثبتها. إن كانت الزاي مخفّفة فهي من «أرزت الشجرة تأرز» إذا أثبت في الأرض وإن كانت مشدّدة فهي من «أرزّت الجرادة» إذا أدخلت ذنبها في الأرض لتلقي فيها بيضها. و«رززت الشيء في الأرض رزّاً» أثبته فيها، وحينئذ تكون الهمزة زائدة. انتهى. وقيل: وروي «آرز» بالمدّ، من قولهم «شجرة آرزة» أي ثابتة في الأرض.

«فسكنت على حركتها» أي حال حركتها الّتي هي من شأنها، لأنّها محمولة على سائل متموّج كما قيل، أو على أثر حركتها بتموّج الماء. «من أن تميد» أي تتحرّك وتضطرب. «أو تسيخ بحملها» أي تغوص في الماء مع ماعليها.

قال ابن أبي الحديد: لو تحرّكت الأرض فإمّا أن تتحرّك على مركزها أولا، والأوّل هو المراد بقوله ــ عليه السّلام ــ «تميد بأهلها» والثاني ينقسم إلى أن تنزل إلى تحت وهو المراد بقوله ــ عليه السّلام ــ «تسيخ بحملها» وأن لا تنزل إلى تحت وهو

المراد بقوله «تزول عن مواضعها». انتهى.

ويحتمل أن يراد بقوله ــ عليه السّلام ــ «تميد بأهلها» تحرّكها واضطرابها بدون الغوص في الماء كما يكون عند الزلزلة، ويسوخها بحملها حركتها على وجه يغوص أهلها في الماء سواء كانت على المركز أم لا، فتكون الباء للتعدية، وبزوالها عن مواضعها خراب قطعاتها بالرياح والسيول أو بتفرّق القطعات وانفصال بعضها عن بعض، فإنّ الجبال كالعروق السارية فيها تضبطها عن التفرّق كما سيأتي، ويؤيّده إيراد المواضع بلفظ الجمع.

وصيغة «فعلان» بالتحريك في المصدر، تدلّ على الاضطراب والتقلّب والتنقّل كالميدان والنزوان والخفقان، ولعلّ المراد بهذا الموجان ماكان غامراً للأرض أو أكثرها وإمساكها بخلق الجبال الّتي تقدّم في الكلام. و«رطوبة أكنافها» أي جوانبها لميدانها قبل خلق الجبال. و«المهاد» بالكسر، الفراش، والموضع يهيّأ للصبيّ **ويوطأ**. و«الفراش» مايبسط. و«اللّجة» بالضمّ، معظم الماء. و«ركد» ــ كنصر ــ أي ثبت وسكن. و«سرى عرق الشجر» ــ كرمى ــ أي دبّ تحت الأرض.

وقال الجوهريّ: «الكركرة » تصريف الرياح[١١١٥] السحاب إذا جمعته بعد تفرّق وقال: «باتت **تكركره** الجنوب» وأصله تكرّره من التكرير[١١١٦] و«**كركرته** عنّي» أي دفعته ورددته.

و«الرياح العواصف» الشديدة الهبوب. و«مخض اللبن يمخضه» مثلّثة، أي أخذ زبده، وفي النسخ الفتح والضمّ. و«الغمام» جمع «غمامة» وهي السحابة **البيضاء** أو الأعمّ. و«ذرف الدمع» ــ كضرب ــ أي سال. و«ذرف عينه» أي سال دمعها، و«ذرف العين دمعها» أي أسالها. و«من يخشى» العلماء، كما قال ــ سبحانه ــ: «إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ»[١١١٧]. ويحتمل أن يكون التخصيص لأجل

١١١٥ــ في الصحاح: الريح.

١١١٦ــ في الصحاح: و«كركرت بالدجاجة» صحت بها، و«كركرته عنّي».

١١١٧ــ الفاطر: ٢٨.

أنّ عدم الخشية يوجب عدم المبالاة بالعبر والالتفات إليها.[١١١٨]

٢١٢ — ومن خطبة له عليه السلام

كان يستنهض بها أصحابه الى جهاد أهل الشام في زمانه

اَللَّهُمَّ أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِكَ سَمِعَ مَقَالَتَنَا اَلْعَادِلَةَ غَيْرَ اَلْجَائِرَةِ، وَاَلْمُصْلِحَةَ غَيْرَ اَلْمُفْسِدَةِ، فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا، فَأَبَى بَعْدَ سَمْعِهِ لَهَا إِلَّا النُّكُوصَ عَنْ نُصْرَتِكَ، وَاَلْإِبْطَاءَ عَنْ إِعْزَازِ دِينِكَ، فَإِنَّا نَسْتَشْهِدُكَ عَلَيْهِ يَا أَكْبَرَ الشَّاهِدِينَ شَهَادَةً، وَنَسْتَشْهِدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَا أَسْكَنْتَهُ أَرْضَكَ وَسَمَاوَاتِكَ، ثُمَّ أَنْتَ بَعْدُ اَلْمُغْنِي عَنْ نَصْرِهِ، وَاَلْآخِذُ لَهُ بِذَنْبِهِ.

بيان: قال ابن ميثم: هذا الفصل من خطبة كان يستنهض — عليه السّلام — بها أصحابه إلى جهاد أهل الشام قاله بعد تقاعد أكثرهم عن معاوية.[١١١٩]

و«ما» في «أيّما» زائدة مؤكّدة. وفي وصف المقالة بالعادلة توسّع. و«النّكوص» الرجوع قهقرى. «فإنّا نستشهدك» أي نسألك أن تشهد عليه. «ثمّ أنت بعد» أي بعد تلك الشهادة عليه.[١١٢٠]

١١١٨ـ بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٥٧، كتاب السماء والعالم، ص ٣٨.

١١١٩ـ شرح النهج لابن ميثم، ج ٤، ص ٢٧.

١١٢٠ـ بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٧٨، ط كمپاني وص ٦٢٦، ط تبريز.

٢١٣ ــ ومن خطبة له عليه السلام

في تمجيد الله وتعظيمه

ٱلْحَمْدُ للهِ ٱلْعَلِيِّ عَنْ شَبَهِ[٢٩٣٦] ٱلْمَخْلُوقِينَ، ٱلْغَالِبِ لِمَقَالِ ٱلْوَاصِفِينَ، الظَّاهِرِ بِعَجَائِبِ تَدْبِيرِهِ لِلنَّاظِرِينَ، وَٱلْبَاطِنِ بِجَلَالِ عِزَّتِهِ عَنْ فِكْرِ ٱلْمُتَوَهِّمِينَ، ٱلْعَالِمِ بِلَا ٱكْتِسَابٍ وَلَا ٱزْدِيَادٍ، وَلَا عِلْمٍ مُسْتَفَادٍ، ٱلْمُقَدِّرِ لِجَمِيعِ ٱلْأُمُورِ بِلَا رَوِيَّةٍ وَلَا ضَمِيرٍ، الَّذِي لَا تَغْشَاهُ الظُّلَمُ، وَلَا يَسْتَضِيءُ بِٱلْأَنْوَارِ، وَلَا يَرْهَقُهُ[٢٩٣٧] لَيْلٌ، وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ نَهَارٌ، لَيْسَ إِدْرَاكُهُ بِٱلْإِبْصَارِ، وَلَا عِلْمُهُ بِٱلْإِخْبَارِ.

ومنها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

أَرْسَلَهُ بِالضِّيَاءِ، وَقَدَّمَهُ فِي ٱلِاصْطِفَاءِ، فَرَتَقَ[٢٩٣٨] بِهِ ٱلْمَفَاتِقَ[٢٩٣٩]، وَسَاوَرَ[٢٩٤٠] بِهِ ٱلْمُغَالِبَ، وَذَلَّلَ بِهِ الصُّعُوبَةَ، وَسَهَّلَ بِهِ ٱلْحُزُونَةَ[٢٩٤١]، حَتَّىٰ سَرَّحَ الضَّلَالَ، عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ.

بيان: قوله ــ عليه السّلام ــ «في الاصطفاء» أي على غيره من الأنبياء والأوصياء. و«المفاتق» جمع «مفتق» أي أصلح به المفاسد والأمور المنتشرة. و«المساورة» المواثبة، أي كسر به ــ صلّى الله عليه وآله ــ سورة من أراد الطغيان. و«الحزن» المكان الغليظ الخشن. و«الحزونة» الخشونة. قوله ــ عليه السّلام ــ «حتى سرّح الضلال» أي طرده وأسرع به ذهاباً عن يمين وشمال، من قولهم «ناقة

سرح ومنسرحة» أي سريعة.١١٢١

٢١٤ ـ ومن خطبة له عليه السلام

يصف جوهر الرسول، ويصف العلماء، ويعظ بالتقوى

وَأَشْهَدُ أَنَّهُ عَدْلٌ عَدَلَ، وَحَكَمٌ فَصَلَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَسَيِّدُ عِبَادِهِ، كُلَّمَا نَسَخَ اللهُ الْخَلْقَ(٢٩٤٢) فِرْقَتَيْنِ جَعَلَهُ فِي خَيْرِهِمَا، لَمْ يُسْهِمْ فِيهِ عَاهِرٌ(٢٩٤٣)، وَلَا ضَرَبَ فِيهِ(٢٩٤٤) فَاجِرٌ.

أَلَا وَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَعَلَ لِلْخَيْرِ أَهْلاً، وَلِلْحَقِّ دَعَائِمَ، وَلِلطَّاعَةِ عِصَماً(٢٩٤٥). وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدَ كُلِّ طَاعَةٍ عَوْناً مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ يَقُولُ عَلَى الْأَلْسِنَةِ، وَيُثَبِّتُ الْأَفْئِدَةَ. فِيهِ كِفَاءٌ(٢٩٤٦) لِمُكْتَفٍ، وَشِفَاءٌ لِمُشْتَفٍ.

صفة العلماء

وَاعْلَمُوا أَنَّ عِبَادَ اللهِ الْمُسْتَحْفَظِينَ(٢٩٤٧) عِلْمَهُ، يَصُونُونَ مَصُونَهُ، وَيُفَجِّرُونَ عُيُونَهُ. يَتَوَاصَلُونَ بِالْوِلَايَةِ(٢٩٤٨)، وَيَتَلَاقَوْنَ بِالْمَحَبَّةِ، وَيَتَسَاقَوْنَ بِكَأْسٍ رَوِيَّةٍ(٢٩٤٩)، وَيَصْدُرُونَ بِرِيَّةٍ(٢٩٥٠)، لَا تَشُوبُهُمُ الرِّيبَةُ(٢٩٥١)،

١١٢١ ـ بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١٨، كتاب تاريخ نبيّنا ـ صلّى الله عليه وآله ـ ص ٢٢٥.

وَلَا تُسْرِعُ فِيهِمُ ٱلْغِيبَةُ . عَلَىٰ ذٰلِكَ عَقَدَ خَلْقَهُمْ وَأَخْلَاقَهُمْ[٢٩٥٢] ، فَعَلَيْهِ يَتَحَابُّونَ ، وَبِهِ يَتَوَاصَلُونَ ، فَكَانُوا كَتَفَاضُلِ ٱلْبَذْرِ يُنْتَقَى[٢٩٥٣] ، فَيُؤْخَذُ مِنْهُ وَيُلْقَىٰ ، قَدْ مَيَّزَهُ التَّخْلِيصُ ، وَهَذَّبَهُ[٢٩٥٤] التَّمْحِيصُ[٢٩٥٥] .

العظة بالتقوى

فَلْيَقْبَلِ ٱمْرُؤٌ كَرَامَةً[٢٩٥٦] بِقَبُولِهَا ، وَلْيَحْذَرْ قَارِعَةً[٢٩٥٧] قَبْلَ حُلُولِهَا ، وَلْيَنْظُرِ ٱمْرُؤٌ فِي قَصِيرِ أَيَّامِهِ ، وَقَلِيلِ مُقَامِهِ ، فِي مَنْزِلٍ حَتَّىٰ يَسْتَبْدِلَ بِهِ مَنْزِلًا ، فَلْيَصْنَعْ لِمُتَحَوَّلِهِ[٢٩٥٨] ، وَمَعَارِفِ مُنْتَقَلِهِ[٢٩٥٩] . فَطُوبَىٰ لِذِي قَلْبٍ سَلِيمٍ ، أَطَاعَ مَنْ يَهْدِيهِ ، وَتَجَنَّبَ مَنْ يُرْدِيهِ ، وَأَصَابَ سَبِيلَ السَّلَامَةِ بِبَصَرِ مَنْ بَصَّرَهُ ، وَطَاعَةِ هَادٍ أَمَرَهُ ، وَبَادَرَ ٱلْهُدَىٰ قَبْلَ أَنْ تُغْلَقَ أَبْوَابُهُ ، وَتُقْطَعَ أَسْبَابُهُ ، وَٱسْتَفْتَحَ التَّوْبَةَ ، وَأَمَاطَ ٱلْحَوْبَةَ[٢٩٦٠] ، فَقَدْ أُقِيمَ عَلَىٰ الطَّرِيقِ ، وَهُدِيَ نَهْجَ السَّبِيلِ .

بيان: الظاهر أنّ الضمير في «أنّه» راجع إلى الله، وقيل: راجع إلى القضاء والقدر المذكور في صدر الخطبة. و«الحكم» بالتحريك، منفّذ الحكم. و«الفصل» القطع والقضاء بين الحقّ والباطل. و«النسخ» الإزالة والتغيير والإبطال.

وقال ابن أبي الحديد: يعني كلّما قسم الله الأب الواحد إلى ابنين أعدّ خيرهما وأفضلهما لولادة محمّد ـ صلّى الله عليه وآله ـ وسمّى ذلك نسخاً لأنّ البطن الأوّل تزول ويخلفه البطن الثاني.[١١٢٢]

١١٢٢ـ شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١١، ص ٦٧، ط بيروت.

«لم يسهم فيه عاهر»، «السهم» النصيب والحظّ؛ وفي النهاية: وأصله واحد السهام الّتي يضرب بها في الميسر وهي القداح، ثمّ سمّي به ما يفوز به الفاتح سهمه. ثمّ كثر حتّى سمّي كلّ نصيب سهماً. انتهى. و«السهمة» بالضمّ، القرابة و«المساهمة» المقارعة، و«أسهم بينهم» أي أقرع، وكانوا يعملون بالقرعة إذا تنازعوا في ولد والكلمة في بعض النسخ على صيغة المجرّد كـ «يمنع» وفي بعضها على بناء الإفعال. و«العاهر» الزاني، قيل: أي لم يضرب فيه العاهر بسهم ولم يكن للفجور في أصله شركة.

وقال ابن أبي الحديد[١١٢٣]: في الكلام رمز إلى جماعة من الصحابة في أنسابهم طعن. ثمّ حكى عن الجاحظ أنّه قال: قام عمر على المنبر فقال: إيّاكم وذكر العيوب والطعن في الأصول. ثمّ قال: وروى المدائنيّ هذا الخبر في كتاب **أمّهات** الخلفاء وقال: إنّه روي عند جعفر بن محمّد ـ عليهما السّلام ـ بالمدينة فقال: لا تلمه يا ابن أخي! إنّه أشفق أن يحدج بقصّة نفيل بن عبدالعزّى وصهاك أمة الزبير بن عبدالمطلب. ثمّ قال: رحم الله عمر إنّه لم يعد السنّة وتلا: «إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا ـ الآية»[١١٢٤].

أقول: قد أوردنا هذه القصّة في نسب عمر. و«الدعامة» بالكسر، عماد البيت الّذي يقوم عليه. و«العصم» ـ كعنب ـ جمع «عصمة» وهي المنع والحفظ. و«كفاء» أصله كفاية والاتيان بالهمزة للازدواج، كما قالوا: الغدايا والعشايا [و] كما قال ـ صلّى الله عليه وآله ـ: «مأزورات غير مأجورات» والأصل الواو.

وقال ابن أبي الحديد: «أهل الخير» هم المتقون و«دعائم الحقّ» الأدلّة الموصلة إليه المثبتة له في القلوب، و«عصم الطاعة» هي الادمان على فعلها والتمرّن عليها، لأنّ المرون على الفعل يكسب الفاعل ملكة تقتضي سهولة عليه. و«العون» ههنا هو اللطف المقرّب من الطاعة المبعّد من القبيح ولمّا كان العون من الله ـ سبحانه ـ مستهلّاً للقول أطلق عليه من باب التوسّع أنّه يقول على الألسنة ولمّا كان

١١٢٣ـ نفس الهامش السابق.
١١٢٤ـ النور: ١٩.

الله ــ تعالى ــ هو الّذي يثبت كما قال: «يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ»[١١٢٥] نسب التثبيت إلى اللطف لأنّه من فعل الله.

وقال ابن ميثم[١١٢٦]: قوله ــ عليه السّلام ــ «ألا وإنّ الله» ترغيب للسامعين أن يكونوا من أهل الخير ودعائم الحقّ وعصم الطاعة وكأنّه عنى بالعون القرآن، قال ــ تعالى ــ: «لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ»[١١٢٧].

و«فيه كفاء» أي في ذلك العون كفاية لطالبي الاكتفاء، أي من الكمالات النفسانيّة، «وشفاء» لمن طلب الشفاء من أمراض الرذائل الموبقة، ويمكن أن يكون المراد بأهل الخير الأتقياء وبدعائم الحقّ النبيّ والأئمّة ــ عليهم السّلام ــ وبعصم الطاعة العبادات الّتي توجب التوفيق من الله ــ سبحانه ــ وترك المعاصي الموجبة لسلبه أو الملائكة العاصمة للعباد عن اتّباع الشياطين وبالعون الملائكة المرغّبة في طاعة الله كماورد في الأخبار.

و«المستحفظين» في أكثر النسخ بالنصب على صيغة اسم المفعول وهو أظهر، يقال: «استحفظته إيّاه» أي سألته أن يحفظه؛ وفي بعض النسخ على صيغة اسم الفاعل، أي الطالبين للحفظ؛ وفي بعض النسخ بالرفع حملاً على المحلّ وكونه خبراً بعيد والمراد بهم الأئمّة ــ عليهم السّلام ــ كماورد في الأدعية والأخبار، وقال الشرّاح: المراد بهم العارفون أو الصالحون.

«يصونون مصونه» أي يكتمون ماينبغي أن يكتم من أسرار علمه من غير أهله. و«يفجّرون عيونه» أي يفيضون ماينبغي إفاضته على عامّة الناس، أو كلّ علم على من هو قابل له، أو يتّقون في مقام التقيّة ويظهرون الحقّ عند عدمها. و«الولاية» في النسخ بالكسر، قال سيبويه: «الولاية» بالفتح المصدر وبالكسر الاسم؛ وقال ابن أبي الحديد: «الولاية» بفتح الواو المحبّة والنصرة، أي يتواصلون وهم أولياء ومثله

١١٢٥ ـ ابراهيم: ٢٧.

١١٢٦ ـ شرح النهج لابن ميثم، ج ٤، ص ٣٣، ط بيروت.

١١٢٧ ـ الفرقان: ٣٢.

«ويتلاقون بالمحبّة» كما تقول: «خرجت بسلاحي» أي وأنا متسلّح أو يكون المعنى: **يتواصلون بالقلوب لا بالأجسام، كما تقول: أنا أراك بقلبي وأزورك بخاطري وأواصلك بضميري. انتهى.**

وأقول: يحتمل أن يكون المراد ولاية أهل البيت ـــ عليهم السّلام ـــ أي بسببها، أو متّصفين بها أو مظهرين لها. و **«ماءروِيّ»** ـــ كغني ـــ أي كثير مرق، و«روي من الماء ـــ كرضي ـــ ريّاً» بالفتح والكسر، أي تنعّم، والاسم «الرِيّ» بالكسر. «والريّة» في بعض النسخ بالفتح وفي بعضها بالكسر، ولعلّ المراد التساقي من المعارف والعلوم. و«الريبة» بالكسر، التهمة والشكّ اسم من «الرَيب» بالفتح، أي لاتخالطهم شكّ في المعارف والعقائد أو تهمة في حبّ أحدهم للآخر. وعدم إسراع الغيبة فيهم لعدم استحقاقهم للغيبة في أقوالهم وأعمالهم واتّقائهم مواضع التهم، أو المعنى: لايغتابون الناس ولا يتبعون عيوبهم.

و«الخلق» يكون بمعنى التقدير والابداع و بمعنى الطبيعة كالخليقة. و«الأخلاق» جمع «خلق» بالضمّ وبضمّتين، وهو السجيّة والطبع والمروّة والدين. ويحتمل أن يكون المراد بالخلق ماهو بمنزلة الأصل والمشخّص للذّات وبالأخلاق الفروع والشعب. والضمير في «عليه» راجع إلى ما أشير إليه بذلك أو إلى العقد.

«فكانوا كتفاضل البذر» أي كان التفاضل بينهم وبين الناس كالتفاضل بين ما ينتقى من البذر أي يختار وبين مايلقى؛ فالمعنى: كالتفاضل بين الجيّد والرديّ. ويحتمل أن يكون المراد أنّه كان التفاضل بينهم كالتفاضل بين أفراد المختار من البذر فكما أنّه لاتفاضل يعتدّ به فيما بينها كذلك فيما بينهم. و**«خلص الشيء»** ـــ كنصر ـــ أي صار خالصاً و«خلّصه» أي جعله كذلك و«خلّصه» أيضاً نجّاه؛ والمراد بالتخليص الانتقاء المذكور أي ميّزه ذلك عن غيره، أو المعنى: ميّزه الله تخليصاً إيّاه عن شرور النفس والشيطان عن غيره. وفي بعض النسخ: **«التلخيص»** بتقديم اللام، وهو التبيين و«التلخيص والتهذيب» التنقية والاصلاح. و«التمحيص» الابتلاء والاختبار.

و «الكرامة» الاسم من التكريم والاكرام، والمراد بها هنا نصحه ــ سبحانه ــ ووعظه وتذكيره أو ما وعده الله على تقدير حسن العمل من المثوبة والزلفى؛ وقبول الكرامة على الثاني بالعمل الصالح الموجب للفوز بها وعلى الأوّل العمل بمقتضاه وبقبولها القبول الحسن اللائق بها. و «قرعه» ــ كمنعه ــ أي أتاه فجأة و «قرع الباب» دقّه، وقال الأكثر: «القارعة» الموت، ويحتمل القيامة لأنّها من أسمائها سمّيت بها لأنّها تقرع القلوب بالفزع وأعدّها الله للعذاب، أو الداهية الّتي يستحقّها العاصي، يقال: «أصابه الله بقارعة» أي بداهية تهلكه، وحلولها نزولها. و «استبدلت الشيء بالشيء» أي اتّخذت الأوّل بدلاً من الثاني. والمراد بالنظر التدبّر والتفكّر. والظرف في قوله «في منزل» متعلّق بالمقام و «حتّى» لانتهاء غاية المقام، أي الثبات أو الاقامة، أي ليعتبر الانسان بهذه المدّة القصيرة وإقامته القليلة في الدنيا المنتهية إلى الاستبدال بها واتّخاذ غيرها.

وقيل: يحتمل أن تكون كلمة «في» لافادة الظرفيّة الزمانيّة ويكون قوله «في منزل» متعلّقاً بالنظر ومدخول «حتّى» علّة غائيّة النظر، أي لينظر بنظر الاعتبار وليتأمّل مدّة حياته في الدنيا في شأن ذلك المنزل الفاني حتّى تتخذ بدله منزلاً لائقاً للنزول فالاستبدال حينئذ اتّخاذ البدل المستحقّ لذلك، أو توطين النفس على الارتحال ورفض المنزل الفاني.

«فليصنع» أي فليعمل. و «المتحوّل» بالفتح، مكان التحوّل؛ و كذلك «المنتقل» و «معارف المنتقل» قيل: هي المواضع الّتي يعرف الانتقال إليها، وقال ابن أبي الحديد: «معارف الدار» مايعرفه المتوسّم بها، واحدها «معرف» مثل معاهد الدار ومعالمها، ومنه: «معارف المرأة» أي ما يظهر منها كالوجه واليدين. وقيل: يحتمل أن يكون المراد بمعارف المنتقل ماعرف من أحواله والأمور السانحة فيه، فيمكن أن يكون المتحوّل والمنتقل مصدرين.

«من يهديه» يعني نفسه والأئمّة من ولده ــ عليهم السّلام ــ. «من يرديه» أي يهلكه بالقائه في مهاوي الجهل والضلالة. و «البصر» يطلق على الحاسّة ويراد به العلم مجازاً وقد يطلق على العلم، يقال: «بصرت بالشيء» أي علمته. ويحتمل أن

تكون الاضافة لأدنى ملابسة، أي بالبصر الحاصل للمطيع بتبصير الهادي إيّاه.

و «السبب» في الأصل الحبل. وإغلاق الأبواب بالموت. وجوّز بعضهم أن يكون الأبواب والأسباب عبارة عن نفسه والأئمّة من ذرّيته ــ عليهم السّلام ــ فإنّهم أبواب الفوز والفلاح والأسباب الممدودة من السماء إلى الأرض. بهم يصل العبد إلى الله ــ سبحانه ــ. والغلق والقطع كناية عن عدمهم أو غيبتهم ــ عليهم السّلام ــ.

و «استفتح التوبة» أي طلب فتحها كأنّها باب مغلق يطلب فتحها للدخول فيها. ويمكن أن يكون من «الاستفتاح» بمعنى الاستنصار. أي طلب أن تنصره التوبة. و «مطت ــ كبعت ــ وأمطت» أي تنحّيت وكذلك «مطت غيري وأمطته» أي نحّيته.

وقال **الأصمعيّ**: مطت أنا وأمطت غيري.[١١٢٨]

و «الحوبة» بالفتح، الاثم. «فقد أقيم على الطريق» أي بهداية الله ــ سبحانه ــ. و «النهج» بالفتح، الطريق الواضح.[١١٢٩]

نهج: وأشهد أنّ محمّداً عبده وسيّد عباده، كلّما نسخ[١١٣٠] الله الخلق فرقتين جعله في خيرهما، لم يسهم فيه عاهر، ولا ضرب فيه فاجر.

بيان: «النسخ» الإزالة والتغيير، استعير هنا للقسمة لأنّها إزالة للمقسوم وتغيير له. و «العاهر» الزاني، ويطلق على الذكر والأنثى، وكذلك الفاجر.

تذنيب: أقول: قد ذكر علمائنا ــ رضي الله عنهم ــ بعض خصائصه ــ صلّى الله عليه وآله ــ في كتبهم وجمعها العلاّمة ــ رحمه الله ــ في كتاب التذكرة. فلنورد ملخّص ماذكروه ــ رحمهم الله ــ.

قال في التذكرة: فأمّا الواجبات عليه دون غيره من أمّته أمور: الأوّل السواك، الثاني الوتر، الثالث الأضحية.

١١٢٨ ـ راجع الصحاح، ج ٣، ص ١١٦٢.

١١٢٩ ـ بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٦٩، كتاب الايمان والكفر، ص ٣١١.

١١٣٠ ـ قيل: «نسخ الخلق» نقلهم بالتناسل عن أصولهم فجعلهم بعد الوحدة في الأصول فرقاً.

روي عنه ـ صلّى الله عليه وآله ـ أنّه قال: ثلاث كتب عليّ ولم يكتب عليكم: السواك والوتر والأضحيّة.

وفي حديث آخر: كتب عليّ الوتر ولم يكتب عليكم، وكتب عليّ السواك ولم يكتب عليكم، وكتبت عليّ الأُضحيّة ولم تكتب عليكم.

وتردّد الشافعي [١١٣١] في وجوب السواك عليه ـ صلّى الله عليه وآله ـ.

الرابع: قيام اللّيل لقوله ـ تعالى ـ: «وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ» [١١٣٢]. وإن أشعر لفظ النافلة بالسنّة، ولكنّها في اللغة الزيادة ولأنّ السنّة جبر للفريضة، وكان ـ صلّى الله عليه وآله ـ معصوماً من النقصان في الفرائض. واختلف الشافعيّة فقال بعضهم: كان ذلك واجباً عليه وقال بعضهم: كان واجباً عليه وعلى أُمّته فنسخ.

أقول: ذكر الوتر مع قيام الليل يشتمل على تكرار ظاهراً، والأصل فيه أنّ العامّة رووا حديثاً عن عايشة أنّ النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ قال: «ثلاث عليّ فريضة ولكم سنّة: الوتر والسواك وقيام الليل». ولذا جمعوا بينهما تبعاً للرواية، كما يظهر من شارح الوجيزة وتبعهم أصحابنا ـ رضوان الله عليهم ـ.

وقال الشهيد الثاني ـ قدّس سرّه ـ: اعلم أنّ بين قيام الليل وبين الوتر الواجبين عليه مغايرة العموم والخصوص المطلق، لأنّ قيام الليل بالتهجّد يحصل بالوتر وبغيره فلا يلزم من وجوبه وجوبه، وأمّا الوتر فلمّا كان من العبادات الواقعة بالليل فهو من جملة التهجّد بل أفضله. فقد يقال: إنّ إيجابه يغنى عن إيجاب قيام الليل وجوابه أنّ قيام الليل وإن تحقّق بالوتر لكن مفهومه مغاير لمفهومه لأنّ الواجب من القيام لمّا كان يتأدّى به وبغيره. وبالكثير منه والقليل كان كلّ فرد يأتي به منه موصوفاً بالوجوب لأنّه أحد أفراد الواجب الكلّيّ، وهذا القدر لايتأدّى بإيجاب الوتر خاصّة ولا يفيد فائدته، فلابدّ من الجمع بينهما.

١١٣١ـ في المصدر: أصحاب الشافعيّ.

١١٣٢ـ الإسراء: ٧٩.

ثمّ قال في التذكرة: الخامس: قضاء دين من مات معسراً لقوله ـ صلّى الله عليه وآله ـ: «من مات وخلف مالاً فلورثته، ومن مات وخلف ديناً أو كلاً فعليّ» وإلى هذا مذهب الجمهور[١١٣٣]. وقال بعضهم: كان ذلك كرماً منه، وهذا اللفظ لايمكن حمله على الضمان لأنّ من صحّح ضمان المجهول لم يصحّح على هذا الوجه. وللشافعيّة وجهان في أنّ الإمام هل يجب عليه قضاء دين المعسر إذا مات وكان في بيت المال سعة تزيد على حاجة الأحياء لما في إيجابه من الترغيب في اقتراض المحتاجين.

السادس: مشاورة أولي النهي لقوله ـ تعالى ـ: «وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ»[١١٣٤]. وقيل: إنّه لم يكن واجباً عليه، بل أمر لاستمالة قلوبهم وهو المعتمد، فإنّ عقل النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ أوفر من عقول كلّ البشر.

السابع: إنكار المنكر إذا رآه وإظهاره، لأنّ إقراره على ذلك يوجب جوازه، فإنّ الله ـ تعالى ـ ضمن له النصر والإظهار.

الثامن: كان عليه تخيير نسائه بين مفارقته ومصاحبته بقوله ـ تعالى ـ: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً * وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عَظِيماً»[١١٣٥].

والأصل فيه أنّ النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ آثر لنفسه الفقر والصبر عليه، فأمر بتخيير نسائه[١١٣٦] بين مفارقته واختيار زينة الدنيا وبين اختياره والصبر على ضرّ الفقر لئلاّ يكون مكرهاً لهنّ على الضرّ والفقر؛ هذا هو المشهور. وللشافعيّة وجه في التخيير لم يكن واجباً عليه وإنّما كان مندوباً، والمشهور الأوّل. ثمّ إنّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ لمّا خيّرهنّ اخترنه والدار الآخرة، فحرّم الله ـ تعالى ـ على رسوله التزويج عليهنّ والتبدّل بهنّ من أزواج ثمّ نسخ ذلك ليكون المنّة لرسول الله ـ

١١٣٣ ـ في المصدر: أو كلاً فإليّ. وعلى هذا مذهب الجمهور.
١١٣٤ ـ آل عمران: ١٥٩.
١١٣٥ ـ الأحزاب: ٢٨ و ٢٩.
١١٣٦ ـ في المصدر: فأمره بتخيير نسائه.

صلّى الله عليه وآله ــ بترك التزوّج عليهنّ بقوله ــ تعالى ــ: «إنّا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهنّ»[١١٣٧].

قالت عايشة: إنّ النبيّ ــ صلّى الله عليه وآله ــ لم يمت حتّى أحلّ له النسآء تعني اللاّتي حظرن عليه. وقال أبوحنيفة: إنّ التحريم باقٍ لم ينسخ. وقد روي أنّ بعض نسآء النبيّ ــ صلّى الله عليه وآله ــ طلبت منه حلقة من ذهب فصاغ لها حلقة من فضّة وطلاّها بالزعفران، فقالت: لا أُريد إلّا من ذهب، فاغتمّ النبيّ ــ صلّى الله عليه وآله ــ لذلك فنزلت آية التخيير.

وقيل: إنّما خيّره لأنّه لم يمكنه التوسعة عليهنّ، فربما يكون فيهنّ من يكره المقام معه فنزّهه عن ذلك.

وروي أنّ النبيّ ــ صلّى الله عليه وآله ــ كان يطالب بأمور لايملكها وكان نساءه يكثرن مطالبته حتّى قال عمر: كنّا معاشر المهاجرين متسلّطين على نسائنا بمكّة وكانت نسآء الأنصار متسلّطات على الأزواج، فاختلط نسآؤنا فيهنّ فتخلّقن بأخلاقهنّ؛ وكلّمت امرأتي يوماً فراجعتني، فرفعت يدي لأضربها وقلت: أتراجعيني يا لكعاء[١١٣٨]؟

فقالت: إنّ نساء رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ يراجعنه وهو خير منك.

فقلت: خابت حفصة وخسرت، ثمّ أتيت حفصة وسألتها.

فقالت: إنّ رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ قد يظلّ على بعض نسائه طول نهاره غضباناً.

فقلت: لاتغترّي بابنة أبي قحافة، فإنّها حبّة[١١٣٩] رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ يحمل منها ما لايحمل منك.

وقال عمر: كنت قد ناوبت رجلاً من الأنصار حضور مجلس رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ ليخبر كلّ واحد منّا صاحبه فيما يجري، فقرع الأنصاريّ باب

١١٣٧ ـ الأحزاب: ٥٠.

١١٣٨ ـ «اللكعاء» اللئيمة.

١١٣٩ ـ «الحبّة» بالكسر، المحبوبة.

الدار يوماً، فقلت: أجاءنا غسان؟

وكان قد أخبرنا بأنّ غسّان تنعل خيولها لتغزونا، فقال: أمر أفظع من ذلك، طلّق رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ جميع نسائه.

فخرجت من البيت ورأيت أصحاب رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ يبكون حوله وهو جالس وكان أنس على البيت[١١٤٠].

فقلت: استأذن لي فلم يجب. فانصرفت فنازعتني نفسي وعاودت فلم يجب، حتّى فعلت ذلك ثلاثاً، فسمع رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ صوتي فأذن، فدخلت فرأيته نائماً على حصير من الليف، فاستوى وأثر الليف في جنبيه؛ فقلت: إنّ قيصر وكسرى يفرشان الديباج والحرير.

فقال: أفي شكّ أنت ياعمر؟ أما علمت أنّها لهم في الدنيا ولنا في الآخرة.

ثمّ قصصت عليه القصّة فابتسم لمّا سمع قولي لحفصة «لا تغترّي بابنة أبي قحافة». ثمّ قلت: طلّقت نساءك؟

فقال: لا.

وروي أنّه كان آلى من نسائه شهراً فكمث في غرفة شهراً، فنزل قوله ــ تعالى ــ: «يا أيّها النّبيّ قل لأزواجك ــ الآية»[١١٤١] فبدأ رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ بعايشة وقال: إنّي ملق إليك أمراً فلا تبادريني بالجواب حتّي تؤامري[١١٤٢] أبويك، وتلا الآية.

فقالت: أفيك أؤامر أبوي؟ اخترت الله ورسوله والدار الآخرة.

ثمّ قالت: لاتخبر أزواجك بذلك. وكانت تريد أن يخترن.

فيفارقهنّ رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ فدار ــ صلّى الله عليه وآله ــ على نسائه وكان يخبرهنّ بماجرى لعايشة، فاخترن بأجمعهنّ الله ورسوله، وهذا التخيير

١١٤٠ ــ في المصدر: وكان أسامة على البيت.

١١٤١ ــ الأحزاب: ٢٨.

١١٤٢ ــ أي حتّى تشاوري أبويك.

عند العامّة كناية في الطلاق وعندنا أنّه ليس له حكم.

وقال الشهيد الثاني والشيخ عليّ ــ رحمهما الله ــ: هذا التخيير عند العامّة القائلين بوقوع الطلاق بالكناية كناية عن الطلاق، وقال بعضهم: إنّه صريح فيه وعندنا ليس له حكم بنفسه، بل ظاهر الآية أنّ من اختارت الحياة الدنيا وزينتها يطلّقها لقوله ــ تعالى ــ: «إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً»[١١٤٣].

أقول: سيأتي القول فيه في بابه.

ثمّ قال في التذكرة: وأمّا المحرّمات فقسمان:

الأوّل: ماحرّم عليه خاصّة في غير النكاح وهو أمور:

الأوّل: الزكاة المفروضة، صيانةً لمنصبه العليّ عن أوساخ أموال الناس الّتي تعطى على سبيل الترحّم وتنبئ عن ذلّ الآخذ، وأبدل بالفيء الّذي يؤخذ على سبيل القهر والغلبة المنبئ عن عزّ الآخذ وذلّ المأخوذ منه، ويشركه[١١٤٤] في حرمتها أولوا القربى، لكنّ التحريم عليهم بسببه أيضاً فالخاصّة[١١٤٥] عائدة إليه، قال رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ: إنّا أهل بيت لاتحلّ لنا الصدقة.

أقول: قال الشهيد الثاني ــ رحمه الله ــ بعد ذكر هذا الوجه: مع أنّها لاتحرم عليهم مطلقاً، بل من غير الهاشميّ مع وفاء نصيبهم من الخمس بكفايتهم وأمّا عليه ــ صلّى الله عليه وآله ــ فإنّها تحرم مطلقاً، ولعلّ هذا أولى من الجواب السابق لأنّ ذاك مبنيّ على مساواتهم له في ذلك كماتراه العامّة، فاشتركوا في ذلك الجواب والجواب الثاني مختصّ بقاعدتنا.

رجعنا إلى كلام التذكرة:

الثاني: الصدقة المندوبة، الأقرب تحريمها على رسول الله ــ صلّى الله عليه

١١٤٣ ـ الأحزاب: ٢٨.

١١٤٤ ـ في المصدر: ويشاركه.

١١٤٥ ـ في المصدر وفي غير نسخة المصنف: فالخاصيّة.

وآله ــ لما تقدّم وهو أحد قولي الشافعيّ تعظيماً له وتكريماً، وفي الثاني يجوز، وحكم الإمام عندنا حكم النبيّ ــ صلّى الله عليه وآله ــ.

الثالث: إنّه كان ــ صلّى الله عليه وآله ــ لايأكل الثوم والبصل والكرّاث، وهل كان محرماً عليه؟ الأقرب: لا، وللشافعيّة وجهان، لكنّه كان يمتنع منها لئلاّ يتأذّى بها من يناجيه من الملائكة؛ روي أنّه ــ صلّى الله عليه وآله ــ أُتي بقدر فيها بقول فوجد لها ريحاً فقرّبها إلى بعض أصحابه وقال له: كل! فإنّي أُناجي من لا تناجي.

الرابع: إنّه ــ صلّى الله عليه وآله ــ كان لايأكل متكئاً، روي أنّه ــ صلّى الله عليه وآله ــ قال: أنا آكل كما تأكل العبيد وأجلس كما تجلس العبيد.

وهل كان ذلك محرّماً عليه أو مكروهاً كما في حقّ الأُمّة؟ الأقرب الثاني، وللشافعيّ وجهان.

الخامس: يحرم عليه الخطّ والشعر تأكيداً لحجّته وبياناً لمعجزته، قال الله ــ تعالى ــ: «وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ»[١١٤٦] وقال ــ تعالى ــ: «وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ»[١١٤٧]. وقد اختلف في أنّه ــ صلّى الله عليه وآله ــ كان يحسنها أم لا؟ وأصحّ قولي الشافعيّ الثاني، وإنّما يتّجه التحريم على الأوّل.

السادس: كان ــ صلّى الله عليه وآله ــ إذا لبس لأمة[١١٤٨] الحرب يحرم عليه نزعها حتّى يلق العدوّ ويقاتل، قال ــ صلّى الله عليه وآله ــ: «ما كان لنبيّ إذا لبس لأمته أن ينزعها حتّى يلق العدوّ»؛ وهو المشهور عند الشافعيّة ولهم وجه: إنّه كان مكروهاً لا محرّماً.

السابع: كان ــ صلّى الله عليه وآله ــ إذا ابتدأ بتطوّع حرم عليه تركه قبل إتمامه، وفيه خلاف.

الثامن: كان يحرم أن يمدّ عينيه إلى ما متّع الله به الناس، قال الله ــ تعالى ــ: «وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ ــ الآية»[١١٤٩].

١١٤٦ ـ العنكبوت: ٤٨. ١١٤٧ ـ يس: ٦٩. ١١٤٨ ـ «اللأمة» الدرع. ١١٤٩ ـ الحجر: ٨٨.

التاسع: كان يحرم عليه خائنة الأعين، قال ـ صلّى الله عليه وآله ـ: «ما كان لنبيّ أن يكون له خائنة الأعين». وفسّروها بالإيماء إلى مباح، من ضرب أو قتل على خلاف مايظهر ويشعر به الحال، وإنّما قيل له خائنة الأعين لأنّه سبب الخيانة[١١٥٠] من حيث أنّه يخفى ولايحرم ذلك على غيره إلّا في محظور، وبالجملة أن يظهر خلاف مايضمر. وطرد بعض الفقهاء ذلك في مكائدة الحروب وهو ضعيف، وقد صحّ أنّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ كان إذا أراد سفراً ورّى بغيره.

العاشر: اختلفوا في أنّه هل كان يحرم عليه أن يصلّي على من عليه دين أم لا؟ على قولين.

الحادي عشر: اختلفوا في أنّه هل كان يجوز أن يصلّي على من عليه دين مع وجود الضامن.

الثاني عشر: لم يكن له أن يمنّ ليستكثر، قال الله ـ تعالى ـ: «وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ»[١١٥١] أي لا تعط شيئاً لتنال أكثر منه، قال المفسّرون: إنّه كان من خواصّه ـ صلّى الله عليه وآله ـ.

الثاني: ماحرّم عليه خاصّة في النكاح وهو أمور:

الأوّل: إمساك من تكره نكاحه وترغب عنه لأنّه ـ صلّى الله عليه وآله ـ نكح امرأة ذات جمال، فلقّنت أن تقول لرسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ: «أعوذ بالله منك» وقيل لها: «إنّ هذا الكلام يعجبه». فلمّا قالت ذلك قال ـ صلّى الله عليه وآله ـ: «لقد استعذت بمعاذ» وطلّقها.

وللشافعيّة وجه غريب: أن كان لايحرم إمساكها لكن فارقها تكرّماً منه

ومات رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ عن تسع نسوة: عايشة، وحفصة، وأمّ سلمة بنت ابن أميّة المخزوميّ، وأمّ حبيبة بنت أبي سفيان، وميمونة بنت الحارث الهلاليّة، وجويريّة بنت الحارث الخزاعيّة، وسودة بنت زمعة، وصفيّة بنت حيّ بن أخطب

١١٥٠ـ في المصدر: لأنّه شبه الخيانة.

١١٥١ـ المدّثر: ٦.

الخيبريّة، وزينب بنت جحش. وجميع من تزوّج بهنّ خمسة عشر وجمع بين إحدى عشرة ودخل بثلاث عشرة وفارق امرأتين في حياته: إحداهما الكلبيّة وهي الّتي رأى بكشحها بياضاً، فقال لها: الحقي بأهلك! والأخرى الّتي تعوّذت منه.

وقال: أبوعبيد: تزوّج رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ ثمانية عشر امرأة واتّخذ من الاماء ثلاثاً.[١١٥٢]

الثاني: نكاح الكفّار[١١٥٣]. عندنا لايصحّ للمسلم على الأقوى، لقوله ـ تعالى ـ: «وَلاَ تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ»[١١٥٤] وقال: «وَلاَ تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ»[١١٥٥]. وقال بعض علمائنا: إنّه يصحّ، وهو مذهب جماعة من العامّة؛ فعندنا التحريم بطريق الأولى ثابت في حقّ النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ.

واختلف في مشروعيّته له من جوّز من العامّة في حقّ الأُمّة على قولين:

أحدهما المنع لقوله ـ صلّى الله عليه وآله ـ: «زوجاتي في الدنيا زوجاتي في الآخرة»، والجنّة محرّمة على الكافرين، ولأنّه أشرف من أن يضع ماءه في رحم كافرة، والله ـ تعالى ـ أكرم زوجاته إذجعلهنّ أُمّهات المؤمنين والكافرة لا تصلح لذلك لأنّ هذه أسوة الكرامة، ولقوله ـ تعالى ـ: «إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ»[١١٥٦]، ولقوله «كلّ سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلّا سببي ونسبي» وذلك لايصحّ في الكافرة.

والثاني الجواز لأنّ ذبائحهم له حلال فكذلك نساءهم. والمقدّمة الأولى ممنوعة، فإنّ ذبائح أهل الكتاب عندنا محرّمة، وأمّا نكاح الأمة فلم يجز له بلاخلاف بين الأكثر، وأمّا وطي الأمة فكان سائغاً له مسلمةً كانت أو كتابيّة لقوله ـ تعالى ـ: «أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»[١١٥٧] وقوله ـ تعالى ـ: «وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ»[١١٥٨] ولم يفصل. وملك ـ صلّى الله عليه وآله ـ مارية القبطيّة وكانت مسلمةً، وملك صفيّة وهي مشركةٌ، فكانت عنده إلى أن أسلمت فأعتقها وتزوّجها. وجوّز بعضهم نكاح الأمة

١١٥٢ـ سيأتي أحوال أزواجه في بابه.

١١٥٣ـ في المصدر: نكاح الكتابيّة.

١١٥٤ـ البقرة: ٢٢١.

١١٥٥ـ الممتحنة: ١٠.

١١٥٦ـ التوبة: ٢٨.

١١٥٧ـ النساء: ٣.

١١٥٨ـ الأحزاب: ٥٠.

المسلمة له ـــ صلّى الله عليه وآله ـــ بالعقد كما يجوز بالملك والنكاح أوسع منه من الأمة، ولكنّ الأكثر على المنع لأنّ نكاح الأمة مشروط بالخوف من العنت، والنبيّ ـــ صلّى الله عليه وآله ـــ معصوم وبفقدان طول[١١٥٩] الحرّة، ونكاحه ـــ صلّى الله عليه وآله ـــ مستغني[١١٦٠] عن المهر ابتداء وانتهاء، وبأنّ من نكح أمة كان ولده منها رقيقاً عند جماعة ومنصب النبيّ ـــ صلّى الله عليه وآله ـــ منزّه عن ذلك، لكن من جوّز له نكاح الأمة قال: خوف العنت إنّما يشترط في حقّ الأُمّة ومنع من اشتراط فقدان الطول، وأمّا رقّ الولد فقد التزم[١١٦١] بعض الشافعيّة وجهاً مستبعداً فيه بذلك، والصحيح خلافه لأنّه عندنا يتّبع أشرف الطرفين.

وأمّا التخفيفات فقسمان:

الأوّل: مايتعلّق بغير النكاح وهي أمور:

الأوّل: الوصال في الصوم، كان مباحاً للنبيّ ـــ صلّى الله عليه وآله ـــ وحرام على أُمّته؛ ومعناه أنّه يطوي الليل بلا أكل وشرب[١١٦٢] مع صيام النهار، لا أن يكون صائماً لأنّ الصوم في الليل لاينعقد، بل إذا دخل الليل صار الصائم مفطراً إجماعاً، فلمّا نهى النبيّ ـــ صلّى الله عليه وآله ـــ أُمّته عن الوصال قيل له: إنّك تواصل، فقال: إنّي لست كأحدكم، إنّي أظلّ عند ربّي يطعمني ويسقيني.

وفي رواية: إنّي أبيت عند ربّي فيطعمني ويسقيني.

قيل: معناه يسقيني ويغذيني بوحيه.

وقال الشهيد الثاني ـــ نوّرالله ضريحه ـــ: الوصال يتحقّق بأمرين: أحدهما الجمع بين الليل والنهارعن تروك الصوم بالنيّة، والثاني تأخير عشائه الى سحوره بالنيّة كذلك[١١٦٣] بحيث يكون صائماً مجموع ذلك الوقت. والوصال بمعنييه محرّم على أُمّته ومباح له ـــ صلّى الله عليه وآله ـــ.

١١٥٩ ـ «الطول» القدرة والغنى.

١١٦٠ ـ هكذا في النسخة، والصحيح: مستغنٍ.

١١٦١ ـ في المصدر: فقد ألزم.

١١٦٢ ـ في المصدر: ولا شرب.

١١٦٣ ـ والروايات قد وردت بمعنيين. في مرسلة الصدوق عن الصادق ـ عليه السلام ـ: الوصال الّذي نهى عنه هو أن يجعل ←

ثمّ نقل كلام التذكرة وقال: ليس بجيّد لأنّ الأكل بالليل ليس بواجب، وقد صرّح به هو في المنتهى فقال: لو أمسك عن الطعام يومين لابنيّة الصيام بل بنيّة الإفطار فالأقوى عدم التحريم، وعلى ماذكره هنا لافرق بينه ــ صلّى الله عليه وآله ــ وبين غيره، بل المراد الصوم فيهما معاً بالنيّة، فإنّ هذا حكم مختصّ به محرّم على غيره.

أقول: ماذكره ــ رحمه الله ــ هو المطابق لكلام الأكثر، لكنّ الأخبار الواردة في تفسيره تقتضي التحريم مطلقاً؛ وأيضاً لوكان المراد مع النيّة فلا وجه للتخصيص بهذين الفردين، بل الظاهر أنّه لونوى دخول ساعة من الليل مثلاً في الصوم كان تشريعاً محرّماً.

وسيأتي تمام القول في ذلك في كتاب الصوم ان شاء الله ــ تعالى ــ.

ثمّ قال في التذكرة:

الثاني: اصطفاء مايختاره من الغنيمة قبل القسمة، كجارية حسنة وثوب مترفّع[1164] وفرس جواد وغير ذلك، ويقال لذلك الّذي اختاره: «الصفيّ والصفيّة» والجمع «الصفايا» ومن صفاياه صفيّة بنت حيّي، اصطفاها واعتقها وتزوّجها، وذوالفقار.

الثالث: خمس الفيء والغنيمة كان لرسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ الاستبداد به، وأربعة أخماس الفيء كانت له أيضاً.

الرابع: أبيح له دخول مكّة بغير إحرام خلافاً لاُمّته، فإنّه محرّم عليهم على خلاف.

الخامس: أُبيحت له ولاُمّته كرامةً له الغنائم وكانت حراماً على من قبله من الأنبياء، بل أُمروا بجمعها فتنزل نار من السماء فتأكلها. وإنّه كان يقضي لنفسه

.

الرجل عشاه سحوره. وفي حديث الحلبي عن أبي‌عبدالله ــ عليه السلام ــ، قال: الوصال في الصيام أن يجعل عشاه سحوره. وفي حديث سليمان الديلميّ عنه ــ عليه السلام ــ: وإنّما قال رسول‌الله صلّى الله عليه وآله: «لاوصال في صيام» يعني لايصوم الرجل يومين متواليين من غير إفطار. وفي حديث حفص عنه ــ عليه السلام ــ: المواصل في الصيام يصوم يوماً وليلة ويفطر في السحر.

١١٦٤ ــ «رفع الثوب» خلاف غلظ. وفي الحديث: ثوب حسن.

وفي غيره خلاف، وأن يحكم لنفسه ولولده، وأن يشهد لنفسه ولولده، وأن يقبل شهادة من شهدله[١١٦٥].

السادس: أبيح له أن يحمي لنفسه الأرض لرعي ماشيته وكان حراماً على من قبله من الأنبياء ــ عليهم السّلام ــ والأئمّة بعده ليس لهم أن يحموا لأنفسهم.

وقال المحقّق الثاني ــ رحمه الله ــ في شرح القواعد: وهذا عندنا مشترك بينه وبين الأئمّة ــ عليهم السّلام ــ وقول المصنّف ــ رحمه الله ــ في التذكرة «والأئمّة بعده ليس لهم أن يحموالأنفسهم» ليس جارياً على مذهبنا.

ثمّ قال في التذكرة:

السابع: أبيح له أن يأخذ الطعام والشراب من المالك وإن اضطرّ إليها[١١٦٦] لأنّ حفظه لنفسه الشريفة أولى من حفظ نفس غيره، وعليه البذل والفداء بمهجته مهجة رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ لأنّه ــ صلّى الله عليه وآله ــ أولى بالمؤمنين من أنفسهم.

وقال المحقّق في شرح القواعد: وينبغي أن يكون الإمام كذلك كما يرشد إليه التعليل، ولم أقف على تصريح في ذلك.

ثمّ قال في التذكرة:

الثامن: كان لاينتقض وضوءه بالنوم، وبه قال الشافعيّة، وحكى أبوالعباس منهم وجهاً آخرغريباً، وكذلك حكى وجهين في انتقاض وضوئه باللمس.

التاسع: كان يجوز له أن يدخل المسجد جنباً، ومنعه بعض الشافعيّة وقال: لا أُخاله صحيحاً.

العاشر: قيل: إنّه كان يجوز له أن يقتل من آمنه وهو غلط، فإنّه من يحرم[١١٦٧] عليه خائنة الأعين كيف يجوز له قتل من آمنه؟

١١٦٥ـ في المصدر: من يشهد له.

١١٦٦ـ في المصدر: و إن اضطرّ إليها.

١١٦٧ـ في المصدر: فإنّ من يحرم عليه.

الحادي عشر: قيل: إنّه كان يجوز له لعن من شاء من غير سبب يقتضيه لأنّ لعنه رحمة؛ واستبعده الجماعة وروى أبوهريرة أنّ النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ قال: «اللّهمّ إنّي أتّخذ عندك عهداً لن تخلفه، إنّما أنا بشر فأيّ المؤمنين آذيته بتهمة ولعنة[١١٦٨] فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة يتقرّب بها إليك يوم القيامة». وهو عندنا باطل لأنّه معصوم لايجوز منه لعن الغير وسبّه بغير سبب؛ والحديث لو سلّم إنّما هو لسبب.

ومن التخفيفات[١١٦٩] مايتعلّق بالنكاح وهي أمور:

الأوّل: الزيادة على أربع نسوة، فإنّه ـ صلّى الله عليه وآله ـ مات عن تسع، وهل كان له الزيادة على تسع؟ الأولى الجواز لامتناع الجور عليه، وللشافعيّة وجهان: هذا أصحّهما، والثاني المنع، وأمّا انحصار طلاقه في الثلاث فالوجه في ذلك كما في حقّ الأمّة وهو أحد وجهي الشافعيّة. والثاني العدم كما لم ينحصر عدد زوجاته ـ صلّى الله عليه وآله ـ.

الثاني: العقد بلفظ الهبة، لقوله ـ تعالى ـ: «وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ»[١١٧٠] فلا يجب المهر حينئذٍ بالعقد ولا بالدخول، لا ابتداءً ولا انتهاء كما هو قضيّة الهبة، وهو أظهر وجهي الشافعيّة. والثاني المنع، كما في حقّ الأمّة. وعلى الأوّل هل يشترط لفظ النكاح من جهة النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ؟ للشافعيّة وجهان: أحدهما: نعم، لظاهر قوله ـ تعالى ـ: «أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا»[١١٧١]. والثاني لايشترط في حقّ الواهبة[١١٧٢]، وهل ينعقد نكاحه بمعنى الهبة حتّى لايجب المهر ابتداء ولا انتهاء؟ وجهان للشافعيّة، ولهم وجه غريب: إنّه يجب المهر في حقّ الواهبة، وخاصيّة النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ ليست في إسقاط المهر، بل في الانعقاد بلفظ الهبة.

الثالث: كان إذا رغب ـ صلّى الله عليه وآله ـ في نكاح امرأة فإن كانت خليّة فعليها الإجابة ويحرم على غيره خطبتها، وللشافعيّة وجه: إنّه لايحرم، وإن كانت

١١٦٨ ـ في المصدر: أولعنه.
١١٦٩ ـ في المصدر: القسم الثاني من التخفيفات.
١١٧٠ و ١١٧١ ـ الأحزاب: ٥٠.
١١٧٢ ـ في المصدر: أن يشترط في حقّ الواهبة.

ذات زوج وجب على الزوج طلاقها لينكحها لقضية زيد[١١٧٣]. ولعلّ السرّ فيه من جانب الزوج امتحان إيمانه واعتقاده بتكليفه النزول عن أهله، ومن جانب النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ ابتلاؤه ببليّة البشريّة ومنعه من خائنة الأعين ومن الإضمار الّذي يخالف الإظهار كما قال ـ تعالى ـ: «وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ»[١١٧٤] ولا شيء أدعى إلى غضّ البصر وحفظه لمجاريه الاتّفاقيّة[١١٧٥] من هذا التكليف وليس هذا من باب التخفيفات كما قاله الفقهاء، بل هو في حقّه غاية التشديد[١١٧٦] إذ لو كلّف بذلك آحاد الناس لما فتحوا أعينهم في الشوارع خوفاً من ذلك، ولهذا قالت عايشة: لوكان ـ صلّى الله عليه وآله ـ يخفي آية لأخفى هذه.

الرابع: انعقاد نكاحه بغير وليّ وشهود، وهو عندنا ثابت في حقّه ـ صلّى الله عليه وآله ـ وحقّ أمّته[١١٧٧] إذ لانشترط نحن ذلك؛ وللشافعيّة وجهان.

الخامس: انعقاد نكاحه في الإحرام، وللشافعيّة فيه وجهان: أحدهما الجواز لما روي أنّه ـ صلّى الله عليه وآله ـ نكح ميمونة محرماً، والثاني المنع كما لم يحلّ له الوطئ في الإحرام، والمشهور عندهم أنّه نكح ميمونة حلالاً.

السادس: هل كان يجب عليه القسم بين زوجاته بحيث إذا باتت عند واحدة منهنّ ليلة وجب عليه أن يبيت عند الباقيات كذلك أم لايجب؟ قال الشهيد الثاني ـ رحمه الله ـ: اختلف العلماء في ذلك، فقال بعضهم: لايجب عليه ذلك لقوله ـ تعالى ـ: «تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ»[١١٧٨] ومعنى «ترجي» تؤخّر وتترك إيواءه إليك ومضاجعته بقرينة قسيمه، وهو

١١٧٣ ـ في المصدر: كقضيّة زيد. ١١٧٤ ـ الأحزاب: ٣٧.

١١٧٥ ـ في المصدر: وحفظه عن المحاباة الاتّفاقيّة. ١١٧٦ ـ فيه تأمّل واضح يعلم بمراجعة الآية وتفسيرها.

١١٧٧ ـ في ثبوت جواز النكاح بغير وليّ مطلقاً في حقّ أمّته محلّ تأمّل، بل منع.

١١٧٨ ـ الأحزاب: ٥١. قال الطبرسيّ في معناها: أي تؤخّر وتبعّد من تشاء من أزواجك، وتضمّ إليك من تشاء منهنّ واختلف في معناه على أقوال:

أحدها: أنّ المراد: تقدّم من تشاء من نسائك في الايواء إليك وهو الدعاء للفراش، وتؤخّر من تشاء في ذلك، وتدخل من تشاء منهنّ في القسم، ولا تدخل من تشاء؛ عن قتادة، قال: وكان رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ يقسم بين أزواجه وأباح الله له ترك ذلك.

قوله: «وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ» أي تضمّه إليك وتضاجعه؛ ثمّ لايتعيّن ذلك عليك، بل لك بعد الإرجاء ، أن تبتغي ممّن عزلت ماشئت وتؤويه إليك. وهذا ظاهر في عدم وجوب القسمة عليه ــ صلّى الله عليه وآله ــ، حتى روي أنّ بعد نزول الآية ترك القسمة لجماعة من نسائه وآوى إليه جماعة منهنّ معيّنات وقال آخرون: بل تجب القسمة عليه كغيره لعموم الأدلّة الدالّة عليها ولأنّه لم يزل يقسّم بين نسائه حتّى كان يطاف به وهو مريض عليهنّ ويقول: «هذا قسمي فيما أملك، وأنت أعلم بما لاأملك» يعني قلبه ــ صلّى الله عليه وآله ــ.والمحقّق ــ رحمه الله ــ استضعف الاستدلال بالآية على عدم وجوب القسمة بأنّه كما يحتمل أن يكون المشيّة في الإرجاء والإيواء لجميع نسائه يحتمل أن يكون متعلّقاً بالواهبات أنفسهنّ خاصّة، فلا يكون دليلاً على التخيير مطلقاً. وحينئذٍ فيكون اختيار قول ثالث وهو وجوب القسمة لمن تزوّجهنّ بالعقد وعدمها لمن وهبت نفسها. وفي هذا عندي نظر لأنّ ضمير الجمع المؤنّث في قوله: «تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ» واللفظ العامّ في قوله: «وَمَنِ ابْتَغَيْتَ» لايصحّ عوده للواهبات، لأنّه لم يتقدّم ذكر الهبة إلّا لامرأة واحدة، وهي قوله: «وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا»[١١٧٩] فوحّد ضمير الهبة في مواضع من الآية، ثمّ عقّبه بقوله: «تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ» فلا يحسن عوده إلى الواهبات، إذلم يسبق لهنّ ذكر على وجه الجمع. بل إلى جميع الأزواج المذكورات في هذه الآية وهي قوله ــ تعالى ــ: «يَا أَيُّهَا

ثانيها: أنّ المراد: تعزل من تشاء منهنّ بغير طلاق، وتردّ إليك من تشاء منهنّ بعد عزلك إيّاها بلا تجديد عقد.

ثالثها: أنّ المراد: تطلق من تشاء منهنّ وتمسك من تشاء.

رابعها: أنّ المراد: تترك نكاح من تشاء من نساء أمّتك وتنكح منهنّ من تشاء؛ عن الحسن، قال: وكان ـ صلّى الله عليه وآله ـ إذا خطب امرأة لم يكن لغيره أن يخطبها حتّى يتزوّجها أو يتركها.

خامسها: [أنّ المراد]: تقبل من تشاء من المؤمنات اللّاتي يهبن أنفسهنّ لك فتؤويها إليك، وتترك من تشاء منهنّ فلا تقبلها.

«وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ» (الأحزاب: ٥١) أي إن أردت أن تؤوي إليك امرأة ممّن عزلتهنّ عن ذلك وتضمّها إليك فلا سبيل عليك بلوم ولا عتب ولا إثم عليك في ابتغائها، أباح الله ـ سبحانه ـ له ترك القسم في النساء حتّى يؤخّر من يشاء عن وقت نوبتها، ويطأ من يشاء في غير وقت نوبتها، وله أن يعزل من يشاء، وله أن يردّ المعزولة إن شاء. فضّله الله بذلك على جميع الخلق.

النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ــ الآية»[1180] الآية، ثمّ عقّبها بقوله: «تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ ــ الآية»، وهذا هو ظاهر في عود ضمير النسوة المخيّر فيهنّ إلى من سبق من أزواجه جمع. وأيضاً فإنّ النبيّ ــ صلّى الله عليه وآله ــ لم يتزوّج بالهبة إلّا امرأة واحدة على ماذكره المحدّثون والمفسّرون، وهو المناسب لسياق الآية، فكيف يجعل ضمير الجمع عائداً إلى الواهبات وليس له منهنّ إلّا واحدة؟ ثمّ لو تنزّلنا وسلّمنا جواز عوده إلى الواهبات لماجاز حمله عليه بمجرّد الاحتمال مع وجود اللفظ العامّ الشامل لجميعهنّ، وأيضاً فإنّ غاية الهبة أنّ تزويجه ــ صلّى الله عليه وآله ــ يجوز بلفظ الهبة من جانب المرأة أو من الطرفين، وذلك لايخرج الواهبة عن أن تكون زوجة فيلحقها مايلحق غيرها من أزواجه. لأنّها تصير بسبب الهبة بمنزلة الأمة. وحينئذٍ فتخصيص الحكم بالواهبات لاوجه له أصلاً، وأمّا فعله ــ صلّى الله عليه وآله ــ فجاز كونه بطريق التفضّل والانصاف وجبر القلوب، كما قال الله ــ تعالى ــ: «ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ»[1181].

انتهى كلامه ــ رحمه الله ــ.

ورجعنا إلى كلام التذكرة:

السابع: إنّه كان يجوز للنبيّ ــ صلّى الله عليه وآله ــ تزويج المرأة ممّن شاء بغير إذن وليّها وتزويجها من نفسه وتولّى الطرفين من غير إذن وليّها، وهل[1182] كان يجب عليه نفقة زوجاته؟ وجهان لهم بناء على الخلاف في المهر، وكانت المرأة تحلّ له بتزويج الله ــ تعالى ــ؛ قال ــ سبحانه ــ في قصّة زيد: «فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا»[1183]. وقيل: إنّه نكحها بمهر، وحملو «زَوَّجْنَاكَهَا» على إحلال الله ــ تعالى

←

١١٧٩ و ١١٨٠ ـ الأحزاب: ٥٠. ١١٨١ ـ الأحزاب: ٥١.

١١٨٢ ـ في المصدر قبل ذلك: وسوّغ الشافعيّة أن ينكح المعتدة في وجه؛ وهل كان.اهـ .

١١٨٣ ـ الأحزاب: ٣٧.

ـ له نكاحها؛ وأعتق ـ صلّى الله عليه وآله ـ صفيّة ـ رضي الله عنها ـ وتزوّجها وجعل عتقها صداقها، وهو ثابت عندنا في حقّ أُمّته.. وجوّز بعض الشافعيّة له الجمع بين المرأة وعمّتها أو خالتها، وإنّه كان يجوز له الجمع بين الأختين، وكذا في الجمع بين الأمّ وبنتها. وهو عندنا بعيد لأنّ خطاب الله ـ تعالى ـ يدخل فيه النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ.

وأمّا الفضل[١١٨٤] والكرامات فقسمان:

الأوّل: في النكاح، وهو أمور:

الأوّل: تحريم زوجاته على غيره[١١٨٥]، قال الشهيد الثاني ـ قدّس سرّه ـ: من جملة خواصّه ـ صلّى الله عليه وآله ـ تحريم أزواجه من بعده على غيره لقوله ـ تعالى ـ: «وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا»[١١٨٦]. وهي متناولة بعمومها لمن مات عنها من أزواجه، سواء كانت مدخولاً بها أم لا، لصدق الزوجيّة عليهما ولم يمت ـ صلّى الله عليه وآله ـ عن زوجة في عصمته إلّا مدخولاً بها. ونقل المحقّق الإجماع على تحريم المدخول بها، والخلاف في غيرها ليس بجيّد لعدم الخلاف أوّلاً وعدم الفرض الثاني ثانياً، وإنّما الخلاف فيمن فارقها في حياته بفسخ أو طلاق كالّتي وجد بكشحها بياضاً والمستعيذة، فإنّ فيه أوجهاً أصحّها عندنا تحريمها مطلقاً لصدق نسبة زوجيّتها إليه ـ صلّى الله عليه وآله ـ بعد الفراق في الجملة، فيدخل في عموم الآية.[١١٨٧] والثاني أنّها لا تحرم مطلقاً لأنّه يصدق في حياته أن يقال: ليست زوجته الآن ولإعراضه ـ صلّى الله عليه وآله ـ عنها وانقطاع اعتنائه بها. والثالث إن كانت مدخولاً بها حرمت وإلّا فلا، لما روي أنّ الأشعث بن قيس نكح المستعيذة في زمان عمر فهمّ برجمها فأُخبر أنّ النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ فارقها قبل أن يمسّها فخلّاها، ولم ينكر عليه أحد من الصحابة.

١١٨٤ ـ في المصدر: وأمّا الفضائل والكرامات.

١١٨٥ ـ في المصدر: تحريم زوجاته اللّواتي مات عنهنّ على غيره.

١١٨٦ ـ الأحزاب: ٥٣.

١١٨٧ ـ إن لم نقل: إنّها ظاهرة في اللّواتي كنّ زوجاته حين موته ـ صلّى الله عليه وآله ـ، نعم يدلّ على ذلك الحديث الآتي.

وروى الكلينيّ في الحسن عن عمر بن أُذينة في حديث طويل أنّ النبيّ ــ صلّى الله عليه وآله ــ فارق المستعيذة وامرأة أخرى من كندة، قالت لمّا مات ولده إبراهيم: لوكان نبيّاً ما مات ابنه فتزوّجتا[١١٨٨] بعده باذن الأوّلين؛ وأنّ أباجعفر ــ عليه السّلام ــ قال: مانهى الله ــ عزّ و جلّ ــ عن شيء إلّا وقد عصي فيه، لقد نكحوا أزواج رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ من بعده، وذكر هاتين العامريّة والكنديّة. ثمّ قال أبوجعفر ــ صلّى الله عليه وآله ــ: لو سألتم عن رجل تزوّج امرأة فطلّقها قبل أن يدخل بها أتحلّ لابنه؟

لقالوا: لا، فرسول الله أعظم حرمةً من آبائهم.

وفي رواية أخرى عن زرارة عنه ــ عليه السّلام ــ نحوه، وقال في حديثه: وهم يستحلّون أن يتزوّجوا[١١٨٩] أمّهاتهم؟ وإنّ أزواج النبيّ ــ صلّى الله عليه وآله ــ في الحرمة مثل أُمّهاتهم إن كانوا مؤمنين.[١١٩٠]

إذا تقرّر ذلك فنقول: تحريم أزواجه ــ صلّى الله عليه وآله ــ لما ذكرناه من النهي المؤكّد عنه في القرآن لالتسميتهنّ أُمّهات المؤمنين في قوله ــ تعالى ــ: «وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ»[١١٩١] ولا لتسميته ــ صلّى الله عليه وآله ــ والداً، لأنّ ذلك وقع على وجه المجاز لا الحقيقة، كناية عن تحريم نكاحهنّ، ووجوب احترامهنّ؛ ومن ثمّ لم يجز النظر إليهنّ ولا الخلوة بهنّ ولا يقال لبناتهنّ: أخوات المؤمنين، لأنّهنّ لايحرمن على المؤمنين. فقد زوّج رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ فاطمة ــ عليها السّلام ــ بعليّ ــ عليه السّلام ــ وأختيها «رقيّة» و «أمّ كلثوم» عثمان، وكذا لايقال لآبائهنّ وأمّهاتهنّ: أجداد المؤمنين وجدّاتهم، ولا لاخوانهنّ وأخواتهنّ أخوال المؤمنين وخالاتهم. وللشافعيّة وجه ضعيف في إطلاق ذلك كلّه، وهو في غاية البعد. انتهى.

ثمّ قال ــ رحمه الله ــ في التذكرة:

١١٨٨ ــ في الحديث: فتزوّجتا، فجذم أحد الرجلين وجنّ الآخر.

١١٨٩ ــ في الكافي: وهم لايستحلّون أن يتزوّجوا أمّهاتهم.

١١٩٠ ــ فروع الكافي، ج ٢، ص ٣٣ــ٣٤.

١١٩١ ــ الأحزاب: ٦.

الثاني: إنّ أزواجه أُمّهات المؤمنين، سواء فيه من ماتت تحت النبيّ ومن مات النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ وهي تحته، وليست الأُمومة هنا حقيقة، ثمّ ذكر نحواً ممّا ذكره الشهيد الثاني ـ رحمه الله ـ في ذلك.

الثالث: تفضيل زوجاته على غيرهنّ بأن جعل ثوابهنّ وعقابهنّ على الضعف.

الرابع: لايحلّ لغيرهنّ من الرجال أن يسألهنّ شيئاً إلاّ من وراء حجاب لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾[1192]. وأمّا غيرهنّ فيجوز أن يسألن مشافهة.

الثاني: في غير النكاح، وهو أمور:

الأوّل: أنّه خاتم النبيّين ـ صلّى الله عليه وآله ـ.

الثاني: إنّ له خير الأمم[1193]، لقوله ـ تعالى ـ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾[1194] تكرمةً له ـ صلّى الله عليه وآله ـ وتشريفاً.

الثالث: نسخ جميع الشرائع بشريعته.

الرابع: جعل شريعته مؤبّدة.

الخامس: جعل كتابه معجزاً بخلاف كتب سائر الأنبياء ـ عليهم السّلام ـ.

السادس: حفظ كتابه عن التبديل والتغير، وأُقيم بعده حجّةً على الناس، ومعجزات غيره من الأنبياء انقرضت بانقراضهم.

السابع: نصر بالرعب على مسيرة شهر، فكان العدوّ يرهبه من مسيرة شهر.

الثامن: جعلت له الأرض مسجداً وترابها طهوراً.

التاسع: أُحلّت له الغنائم دون غيره من الأنبياء ـ عليهم السّلام ـ.

العاشر: يشفع في أهل الكبائر، لقوله ـ صلّى الله عليه وآله ـ: «ذخرت

١١٩٢ ـ الأحزاب: ٥٣.

١١٩٣ ـ في المصدر: أمّته خير الأمم.

١١٩٤ ـ آل عمران: ١١٠.

شفاعتي لأهل الكبائر من أُمّتي».

الحادي عشر: بعث إلى الناس عامّة.

الثاني عشر: سيّد ولد آدم يوم القيامة.

الثالث عشر: أوّل من تنشقّ عنه الأرض.

الرابع عشر: أوّل شافع ومشفّع.

الخامس عشر: أوّل من يقرع باب الجنّة.

السادس عشر: أكثر الأنبياء تبعاً.

السابع عشر: أُمّته معصومة لاتجتمع على الضلالة.

أقول: قال المحقق في شرح القواعد: في عدّ هذا من الخصائص نظر لأنّ الحديث غير معلوم الثبوت، وأُمّته ــ صلّى الله عليه وآله ــ مع دخول المعصوم ــ عليه السّلام ــ فيهم لاتجتمع على ضلالة لكن باعتبار المعصوم فقط ولا دخل لغيره في ذلك، وبدونه هم كسائر الأُمم على أنّ الأُمم الماضين مع أوصياء أنبيائهم كهذه الأُمّة مع المعصوم، فلا اختصاص.[١١٩٥]

ثمّ قال في التذكرة:

الثامن عشر: صفوف أُمّته كصفوف الملائكة.

التاسع عشر: تنام عينه ولا ينام قلبه.

العشرون: كان يرى من ورائه كما يرى من قدّامه، بمعنى التحفّظ والحسّ، وكذلك قوله ــ صلّى الله عليه وآله ــ: «تنام عيناي ولا ينام قلبي».

الحادى والعشرون: كان تطوّعه بالصلاة قاعداً كتطوّعه قائماً وإن لم يكن عذر[١١٩٦]، وفي حقّ غيره ذلك على النصف من هذا.

الثاني والعشرون: مخاطبة المصلّي بقوله «السّلام عليك و رحمة الله

١١٩٥ـ يمكن أن يقال: إنّ أُمّته لاتجتمع على الضلالة، لأنّ فيها فرقة في جميع الأعصار يتبعون الحقّ؛ ولواتّبع غيرهم غيرسواء السبيل، فعليه يثبت الاختصاص.

١١٩٦ـ في المصدر: و إن لم يكن له عذر.

وبركاته»[١١٩٧]، ولا يخاطب سائر الناس.

الثالث والعشرون: يحرم على غيره رفع صوته على صوت النبيّ.

الرابع والعشرون: يحرم على غيره نداءه[١١٩٨] من وراء الحجرات للآية.[١١٩٩]

الخامس والعشرون: نادى الله ـ تعالى ـ الأنبياء وحكى عنهم بأسمائهم، فقال ـ تعالى ـ: «يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا»[١٢٠٠] [و] «أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ»[١٢٠١] [و] «يَا نُوحُ»[١٢٠٢]. و ميّز نبيّنا ـ صلّى الله عليه وآله ـ بالنداء بألقابه الشريفة فقال ـ تعالى ـ: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ»[١٢٠٣] [و] «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ»[١٢٠٤] [و] «يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ»[١٢٠٥] [و] «يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ»[١٢٠٦].

ولم يذكر اسمه في القرآن إلّا في أربعة مواضع، شهد له فيها بالرسالة لافتقار الشهادة إلى ذكر اسمه، فقال:

«مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ».[١٢٠٧]

«مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ».[١٢٠٨]

وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ».[١٢٠٩]

١١٩٧ـ في المصدر: السلام عليك أيها النبيّ ورحمة الله وبركاته.

١١٩٨ـ في المصدر: مناداته.

١١٩٩ـ والآية نفسها: «إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ» (الحجرات: ٤).

١٢٠٠ـ يوسف: ٢٩.

١٢٠١ـ الصافّات: ١٠٤.

١٢٠٢ـ هود: ٤٦.

١٢٠٣ـ الأنفال: ٦٤، ٦٥ و ٧٠، والتوبة: ٧٣، وفي غيرها.

١٢٠٤ـ المائدة: ٤١ و ٦٧.

١٢٠٥ـ المزّمّل: ١.

١٢٠٦ـ المدّثّر: ١.

١٢٠٧ـ الفتح: ٢٩.

١٢٠٨ـ الأحزاب: ٤٠.

١٢٠٩ـ محمّد: ٢.

«بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ». [١٢١٠]

و كان يحرم أن ينادى باسمه فيقول: يا محمد! يا أحمد! ولكن يقول[١٢١١]: يا نبيّ الله! يا رسول الله! يا خيرة الله!... إلى غير ذلك من صفاته الجلية.

السادس والعشرون: كان يستشفى به.

السابع والعشرون: كان يتبرّك ببوله و دمه.

الثامن والعشرون: من زنى بحضرته أو استهان به كفر.

التاسع والعشرون: يجب على المصلّي إذا دعاه يجيبه[١٢١٢] ولا تبطل صلاته؛ وللشافعيّة وجه: إنّه لايجب و تبطل به الصلاة.

الثلاثون: كان أولاد بناته ينسبون إليه و أولاد بنات غيره لاينسبون إليه: لقوله ــ صلّى الله عليه وآله ــ: «كلّ سبب و نسب ينقطع يوم القيامة إلّا سببي و نسبي». و قيل: معناه أنّه لاينتفع يومئذٍ بسائر الأنساب، و ينتفع بالنسبة إليه ــ صلّى الله عليه وآله ــ.

مسألة: قال ــ صلّى الله عليه وآله ــ: «سمّوا باسمي ولا تكنّوا بكنيتي». واختلفوا، فقال الشافعيّ: إنّه ليس لأحد أن يكنّي بأبي القاسم سواء كان اسمه محمّداً أو لم يكن؛ و منهم من حمله على كراهة الجمع بين الاسم والكنية و جوّزوا الإفراد و هو الوجه لأنّ الناس لم يزالوا بكنيته ــ صلّى الله عليه وآله ــ يكتنون[١٢١٣] في جميع الأعصار من غير إنكار. انتهى.[١٢١٤]

و يؤيّد ما اختاره ــ رحمه الله ــ ما رواه الكلينيّ والشيخ عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفليّ، عن السكونيّ، عن أبي عبدالله ــ عليه السّلام ــ أنّ النبيّ ــ

١٢١٠ـ الصف: ٦. وفي الهامش: كأنّه ـ رحمه الله ـ غفل عمّا في سورة آل‌عمران: «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ»، ومعه خمسة مواضع، لكن لايخلّ بمقصوده. منه عفي عنه. أقول: راجع سورة آل‌عمران، الآية رقم ١٤٤.

١٢١١ـ أي المنادي.

١٢١٢ـ في المصدر: أن يجيبه.

١٢١٣ـ في المصدر: يكتنون بكنيته.

١٢١٤ـ التذكرة، مقدّمات النكاح.

صلّى الله عليه وآله ـ نهى عن أربع كنى: عن أبي عيسى، وعن أبي الحكم، وعن أبي مالك، وعن أبي القاسم إذا كان الاسم محمّداً.١٢١٥

أقول: هذا جملة ما ذكره أصحابنا و أكثر مخالفينا من خصائصه ـ صلّى الله عليه وآله ـ و لم نتعرّض للكلام عليها و إن كان لبعضها مجال للقول فيه لقلّة الجدوى، ولأنّا أوردنا من الأخبار في هذا الباب و غيره ما يظهر به جليّة الحال لمن أراد الاطّلاع عليه. والله الموفّق للسداد.١٢١٦

٢١٥ ــ وَمِنْ دُعَاءٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

كان يدعو به كثيراً

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يُصْبِـحْ بِي مَيِّتاً وَلَا سَقِيماً ، وَلَا مَضْرُوباً عَلَى عُرُوقِي بِسُوءٍ ، وَلَا مَأْخُوذاً بِأَسْوَإِ عَمَلِي ، وَلَا مَقْطُوعاً دَابِرِي (٢٩٦١) ، وَلَا مُرْتَدّاً عَنْ دِينِي ، وَلَا مُنْكِراً لِرَبِّي ، وَلَا مُسْتَوْحِشاً مِنْ إِيمَانِي ، وَلَا مُلْتَبِساً (٢٩٦٢) عَقْلِي ، وَلَا مُعَذَّباً بِعَذَابِ الْأُمَمِ مِنْ قَبْلِي . أَصْبَحْتُ عَبْداً مَمْلُوكاً ظَالِماً لِنَفْسِي ، لَكَ الْحُجَّةُ عَلَيَّ وَلَا حُجَّةَ لِي . وَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ آخُذَ إِلَّا مَا أَعْطَيْتَنِي ، وَلَا أَتَّقِي إِلَّا مَا وَقَيْتَنِي .

اَللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَفْتَقِرَ فِي غِنَاكَ ، أَوْ أَضِلَّ فِي هُدَاكَ ، أَوْ أُضَامَ فِي سُلْطَانِكَ ، أَوْ أُضْطَهَدَ وَالْأَمْرُ لَكَ !

اَللَّهُمَّ اجْعَلْ نَفْسِي أَوَّلَ كَرِيمَةٍ تَنْتَزِعُهَا مِنْ كَرَائِمِي ، وَأَوَّلَ وَدِيعَةٍ

١٢١٥ ـ فروع الكافي، ج ٢، ص ٨٧.

١٢١٦ ـ بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١٦، كتاب تاريخ نبيّنا ـ صلّى الله عليه وآله ـ، ص ٣٨٢ ـ ٤٠١.

تَرْتَجِعُهَا مِنْ وَدَائِعِ نِعَمِكَ عِنْدِي !

ٱللّٰهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَذْهَبَ عَنْ قَوْلِكَ ، أَوْ أَنْ نُفْتَتَنَ عَنْ دِينِكَ ، أَوْ تَتَابَعَ بِنَا أَهْوَاؤُنَا(٢٩٦٣) دُونَ ٱلْهُدَىٰ ٱلَّذِي جَاءَ مِنْ عِنْدِكَ !

٢١٦ — ومن خطبة له عليه السلام

خطبها بصفين

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ جَعَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ لِي عَلَيْكُمْ حَقّاً بِوِلَايَةِ أَمْرِكُمْ ، وَلَكُمْ عَلَيَّ مِنَ ٱلْحَقِّ مِثْلُ ٱلَّذِي لِي عَلَيْكُمْ ، فَٱلْحَقُّ أَوْسَعُ ٱلْأَشْيَاءِ فِي التَّوَاصُفِ ، وَأَضْيَقُهَا فِي التَّنَاصُفِ ، لَا يَجْرِي لِأَحَدٍ إِلَّا جَرَىٰ عَلَيْهِ ، وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ إِلَّا جَرَىٰ لَهُ . وَلَوْ كَانَ لِأَحَدٍ أَنْ يَجْرِيَ لَهُ وَلَا يَجْرِيَ عَلَيْهِ ، لَكَانَ ذٰلِكَ خَالِصاً للهِ سُبْحَانَهُ دُونَ خَلْقِهِ ، لِقُدْرَتِهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ ، وَلِعَدْلِهِ فِي كُلِّ مَا جَرَتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ قَضَائِهِ ، وَلٰكِنَّهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ حَقَّهُ عَلَىٰ ٱلْعِبَادِ أَنْ يُطِيعُوهُ ، وَجَعَلَ جَزَاءَهُمْ عَلَيْهِ مُضَاعَفَةَ الثَّوَابِ تَفَضُّلاً مِنْهُ ، وَتَوَسُّعاً بِمَا هُوَ مِنَ ٱلْمَزِيدِ أَهْلُهُ .

حق الوالي وحق الرعية

ثُمَّ جَعَلَ ـ سُبْحَانَهُ ـ مِنْ حُقُوقِهِ حُقُوقاً ٱفْتَرَضَهَا لِبَعْضِ النَّاسِ عَلَىٰ بَعْضٍ ، فَجَعَلَهَا تَتَكَافَأُ(٢٩٦٤) فِي وُجُوهِهَا ، وَيُوجِبُ بَعْضُهَا بَعْضاً ، وَلَا

يُسْتَوْجَبُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ . وَأَعْظَمُ مَا ٱفْتَرَضَ - سُبْحَانَهُ - مِنْ تِلْكَ ٱلْحُقُوقِ حَقُّ ٱلْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ ، وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَى ٱلْوَالِي ، فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا اللهُ - سُبْحَانَهُ - لِكُلٍّ عَلَىٰ كُلٍّ ، فَجَعَلَهَا نِظَاماً لِأُلْفَتِهِمْ ، وَعِزّاً لِدِينِهِمْ ، فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِصَلَاحِ ٱلْوُلَاةِ ، وَلَا تَصْلُحُ ٱلْوُلَاةُ إِلَّا بِٱسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ ، فَإِذَا أَدَّتِ الرَّعِيَّةُ إِلَىٰ ٱلْوَالِي حَقَّهُ ، وَأَدَّىٰ ٱلْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا عَزَّ ٱلْحَقُّ بَيْنَهُمْ ، وَقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ ، وَٱعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ ٱلْعَدْلِ ، وَجَرَتْ عَلَى أَذْلَالِهَا(٢٩٦٥) السُّنَنُ(٢٩٦٦) ، فَصَلَحَ بِذٰلِكَ الزَّمَانُ ، وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ ، وَيَئِسَتْ مَطَامِعُ ٱلْأَعْدَاءِ . وَإِذَا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالِيَهَا ، أَوْ أَجْحَفَ(٢٩٦٧) ٱلْوَالِي بِرَعِيَّتِهِ ، ٱخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ ٱلْكَلِمَةُ ، وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ ٱلْجَوْرِ ، وَكَثُرَ ٱلْإِدْغَالُ(٢٩٦٨) فِي الدِّينِ ، وَتُرِكَتْ مَحَاجُّ السُّنَنِ(٢٩٦٩) ، فَعُمِلَ بِٱلْهَوَىٰ ، وَعُطِّلَتِ ٱلْأَحْكَامُ ، وَكَثُرَتْ عِلَلُ النُّفُوسِ ، فَلَا يُسْتَوْحَشُ لِعَظِيمِ(٢٩٧٠) حَقٍّ عُطِّلَ ، وَلَا لِعَظِيمِ بَاطِلٍ فُعِلَ ! فَهُنَالِكَ تَذِلُّ ٱلْأَبْرَارُ ، وَتَعِزُّ ٱلْأَشْرَارُ ، وَتَعْظُمُ تَبِعَاتُ اللهِ سُبْحَانَهُ عِنْدَ ٱلْعِبَادِ . فَعَلَيْكُمْ بِالتَّنَاصُحِ فِي ذٰلِكَ ، وَحُسْنِ التَّعَاوُنِ عَلَيْهِ ، فَلَيْسَ أَحَدٌ - وَإِنِ ٱشْتَدَّ عَلَىٰ رِضَى اللهِ حِرْصُهُ ، وَطَالَ فِي ٱلْعَمَلِ ٱجْتِهَادُهُ - بِبَالِغٍ حَقِيقَةَ مَا اللهُ سُبْحَانَهُ أَهْلُهُ مِنَ الطَّاعَةِ لَهُ . وَلٰكِنْ مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ اللهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلنَّصِيحَةُ بِمَبْلَغِ جُهْدِهِمْ ،

وَالتَّعاوُنُ عَلَىٰ إِقامَةِ ٱلْحَقِّ بَيْنَهُمْ. وَلَيْسَ ٱمْرُؤٌ - وَإِنْ عَظُمَتْ فِي ٱلْحَقِّ مَنْزِلَتُهُ، وَتَقَدَّمَتْ فِي الدِّينِ فَضِيلَتُهُ - بِفَوْقِ أَنْ يُعانَ(٢٩٧١) عَلَىٰ ما حَمَّلَهُ اللهُ مِنْ حَقِّهِ. وَلَا ٱمْرُؤٌ - وَإِنْ صَغَّرَتْهُ النُّفُوسُ، وَٱقْتَحَمَتْهُ(٢٩٧٢) ٱلْعُيُونُ - بِدُونِ أَنْ يُعِينَ عَلَىٰ ذٰلِكَ أَوْ يُعانَ عَلَيْهِ.

فاجابه عليه السلام رجل من أصحابه بكلام طويل، يكثر فيه الثناء عليه، ويذكر سمعه وطاعته له؛ فقال عليه السلام:

إِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظُمَ جَلَالُ اللهِ سُبْحانَهُ فِي نَفْسِهِ، وَجَلَّ مَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِهِ، أَنْ يَصْغُرَ عِنْدَهُ - لِعِظَمِ ذٰلِكَ - كُلُّ ما سِواهُ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ كانَ كَذٰلِكَ لَمَنْ عَظُمَتْ نِعْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ، وَلَطُفَ إِحْسانُهُ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَمْ تَعْظُمْ نِعْمَةُ اللهِ عَلَىٰ أَحَدٍ إِلَّا ٱزْدادَ حَقُّ اللهِ عَلَيْهِ عِظَماً. وَإِنَّ مِنْ أَسْخَفِ(٢٩٧٣) حالاتِ ٱلْوُلاةِ عِنْدَ صالِحِ النّاسِ، أَنْ يُظَنَّ بِهِمْ حُبُّ ٱلْفَخْرِ، وَيُوضَعَ أَمْرُهُمْ عَلَىٰ ٱلْكِبْرِ، وَقَدْ كَرِهْتُ أَنْ يَكُونَ جالَ فِي ظَنِّكُمْ أَنِّي أُحِبُّ ٱلْإِطْراءَ، وَٱسْتِماعَ الثَّناءِ؛ وَلَسْتُ - بِحَمْدِ اللهِ - كَذٰلِكَ، وَلَوْ كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ يُقالَ ذٰلِكَ لَتَرَكْتُهُ ٱنْحِطاطاً لِلهِ سُبْحانَهُ عَنْ تَناوُلِ ما هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ ٱلْعَظَمَةِ وَٱلْكِبْرِياءِ. وَرُبَّما ٱسْتَحْلَىٰ النّاسُ الثَّناءَ بَعْدَ ٱلْبَلاءِ(٢٩٧٤)، فَلا تُثْنُوا عَلَيَّ بِجَمِيلِ ثَناءٍ، لِإِخْراجِي نَفْسِي إِلَىٰ اللهِ سُبْحانَهُ وَإِلَيْكُمْ مِنَ التَّقِيَّةِ(٢٩٧٥) فِي حُقُوقٍ لَمْ أَفْرُغْ مِنْ أَدائِها،

وَفَرَائِضَ لَا بُدَّ مِنْ إِمْضَائِهَا ، فَلَا تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلَّمُ بِهِ ٱلْجَبَابِرَةُ ، وَلَا تَتَحَفَّظُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ ٱلْبَادِرَةِ(٢٩٧٦) ، وَلَا تُخَالِطُونِي بِٱلْمُصَانَعَةِ(٢٩٧٧) ، وَلَا تَظُنُّوا بِيَ ٱسْتِثْقَالاً فِي حَقٍّ قِيلَ لِي ، وَلَا ٱلْتِمَاسَ إِعْظَامٍ لِنَفْسِي ، فَإِنَّهُ مَنِ ٱسْتَثْقَلَ ٱلْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوِ ٱلْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ ، كَانَ ٱلْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ . فَلَا تَكُفُّوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقٍّ ، أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلٍ ، فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِيءَ ، وَلَا آمَنُ ذٰلِكَ مِنْ فِعْلِي ، إِلَّا أَنْ يَكْفِيَ ٱللهُ مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي(٢٩٧٨) ، فَإِنَّمَا أَنَا وَأَنْتُمْ عَبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبٍّ لَا رَبَّ غَيْرُهُ ؛ يَمْلِكُ مِنَّا مَا لَا نَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنَا ، وَأَخْرَجَنَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ إِلَىٰ مَا صَلَحْنَا عَلَيْهِ ، فَأَبْدَلَنَا بَعْدَ الضَّلَالَةِ بِٱلْهُدَىٰ ، وَأَعْطَانَا ٱلْبَصِيرَةَ بَعْدَ ٱلْعَمَىٰ .

تبيين: قوله ـ عليه السّلام ـ: «أوسع الأشياء في التواصف» أي كلّ أحد يصف الحقّ والعدل و يقول: لو ولّيت لعدلت، ولكن إذا تيسّر له لم يعمل بقوله و لم ينصف الناس من نفسه. و «معالم الشيء» مظانّه و ما يستدلّ به عليه. و «الأذلال» المجاري والطرق. و «اختلاف الكلمة» اختلاف الآراء والأهواء.

و قال الجزريّ: أصل «الدغل» الشجر الملتفّ الّذي يكون[١٢١٧] أهل الفساد فيه، و «أدغلت في هذا الأمر» إذا أدخلت فيه ما يخالفه.[١٢١٨]

و «المحاجّ» جمع «محجّة» و هي جادّة الطريق. و «اقتحمته عيني» احتقرته و «الإطراء» المبالغة في المدح. قوله «من البقيّة» في أكثر النسخ بالباء الموحّدة، أي

١٢١٧ ـ الصحيح كما في المصدر: يكمن.
١٢١٨ ـ النهاية، ج ٢، ص ٢٥.

لا تثنوا عليّ لأجل ما ترون منّي في طاعة الله، فإنّما هو إخراج لنفسي إلى الله من حقوقه الباقية عليّ لم أفرغ من أدائها، و كذلك إليكم من الحقوق الّتي أوجبها الله عليّ لكم من النصيحة والهداية والإرشاد؛ و قيل: المعنى: لاعترافي بين يدي الله و بمحضر منكم أنّ عليّ حقوقاً في رئاستي عليكم لم أقم بها بعد، و أرجو من الله القيام بها؛ و في بعض النسخ المصحّحة القديمة بالتاء المثناة الفوقانيّة، أي خوف الله في حقوق لم أفرغ من أدائها بعدُ. قوله ــ عليه السّلام ــ «و لا تتحفّظوا منّي» أي لا تمتنعوا من إظهار ما تريدون إظهاره لديّ خوفاً من سطوتي كما هو شأن الملوك . و «البادرة» الحدّة و ما يبدر عند الغضب. و «المصانعة» المداراة والرشوة.[١٢١٩]

كا[١٢٢٠]: عليّ بن الحسن المؤدّب، عن أحمد بن محمّد بن خالد، و أحمد بن محمّد[١٢٢١] عن عليّ بن الحسن التيميّ، جميعاً عن إسماعيل بن مهران، قال: حدّثني عبدالله بن الحارث، عن جابر، عن أبي جعفر ــ عليه السّلام ــ قال: خطب أمير المؤمنين ــ عليه السّلام ــ الناس بصفّين، فحمدالله و أثنى عليه وصلّى على محمّد النبيّ ــ صلّى الله عليه وآله ــ ثمّ قال:

أمّا بعد، فقد جعل الله ــ تعالى ــ لي عليكم حقّاً بولاية أمركم[١٢٢٢] ومنزلتي الّتي أنزلني الله ــ عزّ ذكره ــ بها منكم ولكم عليّ من الحقّ مثل الّذي لي عليكم، والحقّ أجل الأشياء في التواصف وأوسعها في التناصف[١٢٢٣]، لا يجري لأحد إلّا جرى عليه

١٢١٩ ــ بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٤١، كتاب تاريخ أمير المؤمنين ــ عليه السلام ــ، ص ١٥٢.

١٢٢٠ ــ الروضة من الكافي، ص ٣٥٢ ــ ٣٦٠. وقد صحّح هذا الكتاب «علي أكبر الغفّاري» وقابله مع الأصل وعلّق عليه تعليقات.

١٢٢١ ــ «أحمد بن محمّد» عطف على «عليّ بن الحسن»، وهو العاصميّ. والتيميّ هو ابن فضّال و... قل من تفطن لذلك. (آت). وفي بعض النسخ: «أحمد بن محمّد بن أحمد» وفي بعضها: «عليّ بن الحسين المؤدّب».

١٢٢٢ ــ الّذي له عليهم من الحقّ هو وجوب طاعته و إمحاض نصيحته، والّذي لهم عليه من الحقّ هو وجوب معدلته فيهم. (في)

١٢٢٣ ــ «التواصف» أن يصف بعضهم لبعض. و«التناصف» أن ينصف بعضهم بعضاً. و إنّما كان الحقّ أجل الأشياء في التواصف لأنّه يوصف بالحسن والوجوب وكلّ جميل و إنّما كان أوسعها في التناصف لأنّ الناس لو تناصفوا في الحقوق لما ضاق عليهم أمر من الأمور. وفي النهج: «والحقّ أوسع الأشياء في التواصف وأضيقها في التناصف» وهو أوضح ومعناه أنّ الناس كلّهم يصفون الحقّ ولكن لا ينصف بعضهم بعضاً (في). وفي بعض النسخ: «التراصف» موضع التواصف.

ولا يجري عليه إلّا جرى له. ولو كان لأحد أن يجري ذلك له ولا يجري عليه، لكان ذلك الله ـ عزّ و جلّ ـ خالصاً دون خلقه لقدرته على عباده ولعدله في كلّ ماجرت عليه ضروب قضائه[١٢٢٤]، ولكن جعل حقّه على العباد أن يطيعوه وجعل كفّارتهم[١٢٢٥] عليه بحسن الثواب تفضّلاً منه وتطوّلاً بكرمه وتوسّعاً بماهومن المزيد له أهلاً.

ثمّ جعل من حقوقه حقوقاً فرضها لبعض الناس على بعض فجعلها تتكافى[١٢٢٦] في وجوهها ويوجب بعضها بعضاً ولا يستوجب بعضها إلّا ببعض.[١٢٢٧] فأعظم ممّا افترض الله ـ تبارك وتعالى ـ من تلك الحقوق حقّ الوالي على الرعيّة وحقّ الرعيّة على الوالي، فريضة فرضها الله ـ عزّ و جلّ ـ لكلٍّ على كلٍّ، فجعلها نظام أُلفتهم وعزّاً لدينهم[١٢٢٨] وقواماً لسنن الحقّ فيهم، فليست تصلح الرعيّة إلّا بصلاح الولاة ولا تصلح الولاة إلّا باستقامة الرعيّة، فإذا أدّت الرعيّة إلى الوالي حقّه وأدّى إليها الوالي كذلك عزّ الحقّ بينهم، فقامت مناهج الدين واعتدلت معالم العدل وجرت على أذلالها السنن[١٢٢٩]، فصلح بذلك الزمان وطاب به العيش وطمع في بقاء الدولة ويئست مطامع الأعداء. وإذا غلبت الرعيّة واليهم وعلا الوالي الرعيّة، اختلفت هنالك الكلمة وظهرت مطامع الجور وكثر الإدغال في الدين وتركت معالم

١٢٢٤ـ أي أنواعه المتغيّرة المتوالية. وفي بعض النسخ: «صروف قضائه».

١٢٢٥ـ إنّما سمّي جزاؤه ـ تعالى ـ على الطاعة كفّارة لأنّه يكفر مايزعمونه من أنّ طاعتهم له ـ تعالى ـ حقّ لهم عليه يستوجبون به الثواب، مع أنّه ليس كذلك لأنّ الحقّ له عليهم حيث أقدرهم على الطاعة وألهمهم إيّاها ولهذا سمّاه التفضّل والتطوّل والتوسّع بالانعام الّذي هو للمزيد منه أهل لأنّه الكريم الّذي لاتنفد خزائنه بالاعطاء والجود تعالى مجده وتقدّس. وفي نهج البلاغة: «وجعل جزاءهم عليه» وعلى هذا فلايحتاج إلى التكليف. (ف)

١٢٢٦ـ أي جعل كلّ وجه من تلك الحقوق مقابلاً بمثله، فحقّ الوالي، وهو الطاعة من الرعيّة، مقابل بمثله وهو العدل فيهم وحسن السيرة. (آت)

١٢٢٧ـ كما أنّ الوالي إذا لم يعدل لم يستحقّ الطاعة. (آت)

١٢٢٨ـ فإنّها سبب اجتماعهم به ويقهرون أعداءهم ويعزّ دينهم. وقوله «قواماً» أي به يقوم جريان الحقّ فيهم وبينهم. (آت)

١٢٢٩ـ في القاموس: «ذلّ الطريق» بالكسر، محجّته. وأمورالله جارية أذلالها وعلى أذلالها أي مجاريها، جمع «ذِلّ» بالكسر.

السنن ١٢٣٠، فعمل بالهوى. وعطّلت الآثار وكثرت علل النفوس ١٢٣١ ولا يستوحش لجسيم حدّ عطّل، ولا لعظيم باطل أثّل! فهنالك تذلّ الأبرار وتعزّ الأشرار وتخرب البلاد ١٢٣٢ وتعظم تبعات الله ـ عزّ و جلّ ـ عند العباد.

فهلمّ أيها النّاس إلى التعاون على طاعة الله ـ عزّ و جلّ ـ والقيام بعدله والوفاء بعهده والانصاف له في جميع حقّه، فإنّه ليس العباد إلى شيء أحوج منهم إلى التناصح في ذلك وحسن التعاون عليه، وليس أحد و إن اشتدّ على رضى الله حرصه وطال في العمل اجتهاده ببالغ حقيقة ما أعطى الله من الحقّ أهله، ولكن من واجب حقوق الله ـ عزّ و جلّ ـ على العباد النصيحة له بمبلغ جهدهم والتعاون على إقامة الحقّ فيهم؛ ثمّ ليس امرء ـ و إن عظمت في الحقّ منزلته وجسمت في الحقّ فضيلته ـ بمستغنٍ عن أن يعان على ما حمله الله ـ عزّ و جلّ ـ من حقّه؛ ولا لامرئٍ مع ذلك خسئت به الأمور واقتحمته العيون ١٢٣٣ بدون ما أن يعين على ذلك ويعان عليه. وأهل الفضيلة في الحال وأهل النعم العظام أكثر في ذلك حاجة وكلٌّ في الحاجة إلى الله ـ عزّ و جلّ ـ شرع سواء. ١٢٣٤

١٢٣٠ ـ «الادغال» بكسر الهمزة، وهو أن يدخل في الشيء ماليس منه وهو الابداع والتلبيس، أو بفتحها، جمع «الدغل» بالتحريك، الفساد. (آت)

١٢٣١ ـ قال البحرانيّ: «علل النفوس» أمراضها بملكات السوء كالغلّ والحسد والعدوات ونحوها، وقيل: عللها وجوه ارتكابها للمنكرات فتأتي في كلّ منكر بوجه ورأي فاسد.

١٢٣٢ ـ «التأثيل» التأصيل و«مجد مؤثّل» أي مجموع ذوأصل. وفي النهج: «فعل» مكان أثّل. و«التبعة» مايتبع أعمال العباد من العقاب وسوء العاقبة.

١٢٣٣ ـ «ولالامرئ» يعني مع عدم الاستغناء عن الاستعانة. وقوله «خسئت به الأمور» يقال: «خسئت والكلب خسأً» طردته وخسأ الكلب بنفسه؛ يتعدّى ولا يتعدّى. وقد تعدّي بالباء، أي طردته الأمور، أو يكون الباء للسببية، أي بعدت بسببه الأمور. (آت) وفي بعض النسخ: «حست» بالمهملتين، أي اختبرته. و«اقتحمه» احتقره. وفي النهج: «ولا امرؤ و إن صغّرته النفوس واقتحمته العيون». وقوله «بدون ما أن يعين» أي بأقلّ من أن يستعان به ويعان. والحاصل أنّ الشريف والوضيع جميعاً محتاجون في أداء الحقوق إلى إعانة بعضهم بعضاً واستعانة بعضهم ببعض، وكلّ من كانت النعمة عليه أعظم فاحتياجه في ذلك أكثر لأنّ الحقوق عليه أوفر لازدياد الحقوق بحسب ازدياد النعم. (ق)

١٢٣٤ ـ «سواء» بيان لقوله «شرع» وتأكيد، و إنّما ذكره ـ عليه السلام ـ ذلك لئلّا يتوهّم أنّهم يستغنون بإعانة بعضهم بعضاً عن ربّهم ـ تعالى ـ بل هو الموفّق والمعين لهم في جميع أمورهم ولا يستغنون بشيء عن الله ـ تعالى ـ. و إنّما كلّفهم بذلك ليعتبر طاعتهم ويثيبهم على ذلك واقتضت حكمته البالغة أن يجرى الأشياء بأسبابها وهو المسبّب لها والقادر على إمضائها بلاسبب. (آت)

فأجابه رجل من عسكره لايدرى من هو (و يقال: إنّه لم يرفي عسكره قبل ذلك اليوم ولا بعده).

فقام و أحسن الثناء على الله ــ عزّ و جلّ ــ بما أبلاهم و أعطاهم من واجب حقّه عليهم والإقرار[١٢٣٥] بكلّ ما ذكر من تصرّف الحالات به و بهم.

ثمّ قال: أنت أميرنا و نحن رعيّتك؛ بك أخرجنا الله ــ عزّ و جلّ ــ من الذلّ و باعزازك أطلق عباده من الغلّ.[١٢٣٦] فاختر علينا وامض اختيارك وائتمر فأمض ائتمارك[١٢٣٧] فإنّك القائل المصدّق والحاكم الموفّق والملك المخوّل[١٢٣٨] لانستحلّ في شيء من معصيتك ولا نقيس علماً بعلمك، يعظم عندنا في ذلك[١٢٣٩] خطرك و يجلّ عنه في أنفسنافضلك.

فأجابه أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ فقال:

إنّ من حقّ من عظم جلال الله في نفسه وجلّ موضعه من قلبه، أن يصغر عنده لعظم ذلك كلّ ما سواه، و إنّ أحقّ من كان كذلك لمن عظمت نعمة الله عليه ولطف إحسانه إليه؛ فإنّه لم تعظم نعمة الله على أحد إلّا زاد حقّ الله عليه عظماً. و إنّ من أسخف حالات الولاة عند صالح الناس[١٢٤٠] أن يظنّ بهم حبّ الفخر ويوضع أمرهم على الكبر، وقد كرهت أن يكون جال في ظنّكم أنّي أُحبّ الإطراء[١٢٤١] واستماع الثناء؛ ولست بحمدالله كذلك، ولو كنت أُحبّ أن يقال

١٢٣٥ـ «أبلاهم» أنعمهم. «من واجب حقّه» يعني من حقّ أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ. (ق)

١٢٣٦ـ أشار به إلى قوله ـ تعالى ـ: «وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ» (الأعراف: ١٥٧) أي يخفّف عنهم ماكانوا به من التكاليف الشاقّة. (ق)

١٢٣٧ـ «الائتمار» المشاورة.

١٢٣٨ـ أي الملك الّذي أعطاك الله للإمرة علينا وجعلنا خدمك وتبعك. «(آت)

١٢٣٩ـ أي في العلم بأن تكون كلمة «في» تعليلية؛ و يحتمل أن يكون إشارة إلى ما دلّ عليه الكلام من إطاعته ـ عليه السلام ـ. و«الخطر» القدر والمنزلة. (آت)

١٢٤٠ـ «السخف» رقّة العيش ورقّة العقل، و«السخافة» رقّة كلّ شيء، أي أضعف أحوال الولاة عند الرعيّة أن يكونوا متّهمين عندهم بهذه الخصلة المذمومة. (آت)

١٢٤١ـ «جال» من «الجولان». و«الإطراء» مجاوزة الحدّ في الثناء.

ذلك لتركته انحطاطاً لله ـ سبحانه ـ[١٢٤٢] عن تناول ماهو أحقّ به من العظمة والكبرياء. وربّما استحلى الناس[١٢٤٣] الثناء بعد البلاء، فلا تثنوا عليّ بجميل ثناء لإخراجي نفسي إلى‌الله وإليكم من البقيّة[١٢٤٤] في حقوق لم أفرغ من أدائها وفرائض لابدّ من إمضائها، فلا تكلّموني بما تكلّم به الجبابرة ولا تتحفّظوا منّي بما يتحفّظ به عند أهل البادرة[١٢٤٥] ولا تخالطوني بالمصانعة ولا تظنّوا بي استثقالاً في حقّ قيل لي ولا التماس إعظام لنفسي لما لايصلح لي، فإنّه من استثقل الحقّ أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه، كان العمل بهما أثقل عليه. فلا تكفّوا عنّي مقالة بحقّ أو مشورة بعدل، فإنّي لست في نفسي بفوق ما أن أخطئ ولا آمن ذلك من فعلي[١٢٤٦] إلّا أن يكفي الله من نفسي ماهو أملك به منّي، فإنّما أنا وأنتم عبيد مملوكون

١٢٤٢ـ أي تواضعاً له ـ تعالى ـ. وفي بعض النسخ القديمة: «ولو كنت أحبّ أن يقال ذلك لتناهيت له أغنانا الله وإيّاكم عن تناول ماهو أحقّ به من التعاظم وحسن الثناء». و«التناهي» قبول النهي، والضمير في «له» راجع إلى‌الله ـ تعالى ـ. وفي النهج كما في النسخ المشهورة. (آت)

١٢٤٣ـ يقال: «استحلاه» أي وجده حلواً قال ابن ميثم ـ رحمه الله ـ: هذا يجري مجرى تمهيد العذر لمن أثنى عليه، فكأنّه يقول: وأنت معذور في ذلك حيث رأيتني أجاهد في‌الله وأحثّ الناس على ذلك ومن عادة الناس أن يستهلّ الثناء عند أن يبلو بلاءً حسناً في جهاد أو غيره من سائر الطاعات. ثمّ أجاب أنّ هذا العذر في نفسه بقوله «ولا تثنوا عليّ بجميل ثناء» أي لا تثنوا عليّ لأجل ما ترونه منّي من طاعة الله، فإنّ ذلك إنّما هو إخراج لنفسي إلى‌الله من حقوقه الباقية عليّ، لم أفرغ بعد من أدائها وهي حقوق نعمه وفرائضه الّتي لابدّ من المضيّ فيها؛ وكذلك إليكم من الحقوق الّتي أوجبها الله عليّ من النصيحة في الدين والارشاد إلى الطريق الأفضل والتعليم لكيفيّة سلوكه.

١٢٤٤ـ أي لاعترافي بين يدي‌الله وبمحضر منكم، أنّ عليّ حقوقاً في إيالتكم ورئاستي عليكم لم أقم بها بعدُ، وأرجو من‌الله القيام بها. وفي بعض النسخ: «من التقية» يعني من أن يتقوني في مطالبة حقوق لكم لم أفرغ من أدائها. وعلى هذا يكون المراد بمستحلي الثناء الّذين يثنيهم الناس اتّقاء شرّهم وخوفاً من بأسهم. (في)

١٢٤٥ـ «أهل البادرة» الملوك والسلاطين. و«البادرة» الحدة والكلام الّذي يسبق من الانسان في الغضب، أي لا تثنوا عليّ كما يثنى على أهل الحدة من الملوك خوفاً من سطوتهم، أولا تحتشموا منّي كما يحتشم من السلاطين والأمراء كترك المسارة والحديث إجلالاً وخوفاً منهم وترك مشاورتهم أو إعلامهم ببعض الأمور والقيام بين أيديهم. (آت). و«المصانعة» الرشوة والمداراة.

١٢٤٦ـ هذا من قبيل هضم النفس، ليس بنفي العصمة مع أنّ الاستثناء يكفينا مؤونة ذلك. (في) وقال المجلسيّ ـ رحمه الله ـ: هذا من الانقطاع إلى‌الله والتواضع الباعث لهم على الانبساط معه بقول الحقّ وعدّ نفسه من المقصّرين في مقام العبوديّة، والإقرار بأنّ عصمته من نعمه ـ تعالى ـ عليه.

لرب لاربّ غيره، يملك منّا ما لانملك من أنفسنا وأخرجنا ممّا كنّا فيه[١٢٤٧] إلى ماصلحنا عليه، فأبدلنا بعد الضلالة بالهدى وأعطانا البصيرة بعد العمى.

فاجابه الرجل الّذي أجابه من قبل، فقال:

أنت أهل ماقلت والله والله فوق ماقلته، فبلاءه عندنا ما لايكفر[١٢٤٨] وقد حملك الله ـ تبارك وتعالى ـ رعايتنا وولّاك سياسة أمورنا، فأصبحت علمنا الّذي نهتدي به و إمامنا الّذي نقتدي به، وأمرك كلّه رشد وقولك كلّه أدب، قد قرّت بك في الحياة أعيننا وامتلأت من سرور بك قلوبنا وتحيّرت من صفة ما فيك من بارع الفضل[١٢٤٩] عقولنا. ولسنا نقول لك: «أيّها الإمام الصالح!» تزكية لك ولا تجاوز القصد في الثناء عليك، ولم يكن[١٢٥٠] في أنفسنا طعن على يقينك أو غشّ في دينك، فنتخوّف أن تكون أحدثت بنعمة الله ـ تبارك وتعالى ـ تجبّراً أو دخلك كبر؛ ولكنّا نقول لك ما قلنا تقرّباً إلى الله ـ عزّ و جلّ ـ بتوقيرك وتوسّعاً بتفضيلك وشكراً بإعظام أمرك. فانظر لنفسك ولنا وآثر أمرالله على نفسك وعلينا، فنحن طوّع فيما أمرتنا ننقاد من الأمور مع ذلك فيما ينفعنا.

فأجابه أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ فقال:

وأنا أستشهدكم عندالله على نفسي لعلمكم فيما وُلّيت به من أموركم، وعمّا قليل يجمعني و إيّاكم الموقف بين يديه والسؤال عمّا كنّا فيه، ثمّ يشهد بعضنا على بعض فلا تشهدوا اليوم بخلاف ما أنتم شاهدون غداً؛ فإنّ الله ـ عزّ و جلّ ـ لايخفى عليه خافية ولا يجوز عنده إلّا مناصحة الصدور في جميع الأمور.

١٢٤٧ـ أي من الجهالة وعدم العلم والمعرفة والكمالات الّتي يسّرها الله تعالى لنا ببعثة الرسول ـ صلّى الله عليه وآله ـ. قال ابن أبي الحديد: ليس هذا إشارة إلى نفسه ـ عليه السلام ـ خاصّة لأنّه لم يكن كافراً فأسلم، ولكنّه كلام يقوله ويشير به إلى القوم الّذين يخاطبهم في أفناء الناس، فيأتي بصيغة الجمع لداخلة فيها نفسه توسّعاً. (آت)

١٢٤٨ـ أي نعمته عندنا وافرة بحيث لانستطيع كفرها وسترها أو لايجوز كفرانها وترك شكرها. (آت)

١٢٤٩ـ «برع في الشيء» فاق أقرانه فيه.

١٢٥٠ـ قال المجلسيّ ـ رحمه الله ـ: «لم يكن» على بناء المجهول، من «كننت الشيء» سترته. أو بفتح الياء وكسر القاف، من «وكنت الطائر بيضه يكنّه» إذا حضنه. وفي بعض النسخ: «لم يكن» وفي النسخة القديمة: «لن يكون».

فأجابه الرجل (و يقال: لم يرالرجل بعد كلامه هذا لأمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ).

فأجابه و قد عال الّذي [١٢٥١] في صدره، فقال والبكاء يقطع منطقه و غصص الشجا تكسر صوته إعظاماً لخطر مرزئته و وحشة من كون فجيعته. [١٢٥٢]

فحمدالله و أثنى عليه، ثمّ شكا إليه هول ما أشفى عليه [١٢٥٣] من الخطر العظيم والذلّ الطويل في فساد زمانه و انقلاب جده [١٢٥٤] و انقطاع ما كان من دولته ثمّ نصب المسألة إلى الله ـ عزّ و جلّ ـ بالامتنان عليه والمدافعة عنه بالتفجّع و حسن الثناء فقال:

ياربّاني العباد وياسكن البلاد [١٢٥٥]! أين يقع قولنا من فضلك؟ وأين يبلغ وصفنا من فعلك؟ وأنّى تبلغ حقيقة حسن ثنائك أو تحصي جميل بلائك؟ فكيف وبك جرت نعم الله علينا وعلى يدك اتّصلت أسباب الخير إلينا؟ ألم تكن لذلّ الذليل ملاذاً وللعصاة الكفّار إخواناً؟ [١٢٥٦] فبمن؟ إلّا بأهل بيتك وبك أخرجنا الله ـ عزّ و جلّ ـ من فظاعة تلك الخطرات؟ أو بمن فرج عنّا غمرات الكربات؟ [١٢٥٧] وبمن؟ إلّا بكم أظهرالله معالم ديننا واستصلح ماكان فسد من دنيانا حتّى استبان بعد الجور ذكرنا [١٢٥٨] وقرّت من رخاء العيش أعيننا لما ولّيتنا بالاحسان جهدك ووفيت لنا بجميع وعدك وقمت لنا على جميع عهدك؛ فكنت شاهد من غاب منّا

١٢٥١ ـ «عال» بالمهملة، اشتدّ وتفاقم وغلبه وثقل عليه وأهمّه. (ق)

١٢٥٢ ـ «الغصّة» بالضمّ، ما اعترض في الحلق وكذا الشجا. و«المرزئة» المصيبة، وكذا الفجيعة. والضميران راجعان إلى أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ.

١٢٥٣ ـ أي أشرف عليه، والضمير في قوله «إليه» راجع إلى الله ـ تعالى ـ.

١٢٥٤ ـ «الجدة» البحث والتفجّع والتضرّع.

١٢٥٥ ـ «السكن» بالتحريك، كلّ مايسكن إليه. وفي بعض النسخ: «ياساكن البلاد».

١٢٥٦ ـ أي كنت تعاشر من يعصيك ويكفر نعمتك معاشرة الإخوان شفقة منك عليهم، أو المراد الشفقة على الكفّار والعصاة والاهتمام في هدايتهم. ويحتمل أن يكون المراد المنافقين الّذين كانوا في عسكره وكان يلزمه رعايتهم بظاهر الشرع. (آت)

١٢٥٧ ـ «الفظاعة» الشناعة. و«فظاعة تلك الخطرات» شناعتها وشدّتها والغمرات الشدائد والمزدحمات.

١٢٥٨ ـ قال الجوهريّ: «نعوذ بالله من الحور بعد الكور» أي من النقصان بعد الزيادة. وفي بعض النسخ: «بعد الجور» بالمعجمة.

وخلف أهل البيت لنا وكنت عزّ ضعفائنا وثمال فقرائنا[١٢٥٩] وعماد عظمائنا. يجمعنا في الأمور عدلك ويتّسع لنا في الحقّ تأنّيك[١٢٦٠]. فكنت لنا أُنساً إذا رأيناك وسكناً إذا ذكرناك. فأيّ الخيرات لم تفعل؟ وأيّ الصالحات لم تعمل؟ ولولا أنّ الأمر الّذي نخاف عليك منه، يبلغ تحويله[١٢٦١] جهدنا وتقوي لمدافعته طاقتنا أو يجوز الفداء عنك منه بأنفسنا وبمن نفديه بالنفوس من أبنائنا، لقدّمنا أنفسنا وأبناءنا قبلك ولأخطرناها[١٢٦٢] وقلّ خطرها دونك ولقمنا بجهدنا في محاولة من حاولك وفي مدافعة من ناواك[١٢٦٣]؛ ولكنّه سلطان لايحاول وعزّ لايزاول[١٢٦٤] وربّ لايغالب. فإن يمنن علينا بعافيتك ويترحّم علينا ببقائك ويتحنّن علينا بتفريج[١٢٦٥] هذا من حالك إلى سلامة منك لنا وبقاء منك بين أظهرنا نحدث للّه ـ عزّ و جلّ ـ بذلك شكراً نعظّمه وذكراً نديمه ونقسم أنصاف أموالنا صدقات، وأنصاف رقيقنا[١٢٦٦] عتقاء ونحدث له تواضعاً في أنفسنا ونخشع في جميع أمورنا. و إن يُمض بك إلى الجنان و يجري عليك حتم سبيله، فغير متّهم فيك قضاءه ولا مدفوع عنك بلاءه ولا مختلفة مع ذلك قلوبنا بأنّ اختياره لك ماعنده على ما كنت فيه ولكنّا نبكي من غير إثم لعزّ هذا السلطان أن يعود ذليلاً[١٢٦٧] وللدين والدنيا أكيلاً[١٢٦٨] فلانرى لك خلفاً نشكو

١٢٥٩ ـ في النهاية: «الثمال» بالكسر، الملجأ والغياث، وقيل: هو المطعم في الشدّة.

١٢٦٠ ـ أي صار مداراتك وتأنّيك وعدم مبادرتك في الحكم علينا بما تستحقّه سبباً لوسعة الحقّ علينا وعدم تضيّق الأمور بنا. (آت)

١٢٦١ ـ في بعض النسخ: «تحريكه» أي تغييره وصرفه.

١٢٦٢ ـ أي جعلناها في معرض المخاطرة والهلاك ، أو صيّرناها خطراً ورهناً وعوضاً لك . قال الجزري فيه: الأهل مشمر للجنّة، فإنّ الجنّة لاخطر لها، أي لاعوض لها ولامثل. و«الخطر» بالتحريك ، في الأصل الرهن وما يخاطر عليه ومثل الشيء وعدله، ولا يقال إلّا في الشيء الّذي له قدر ومزيّة. (آت)

١٢٦٣ ـ «حاولك» أي قصدك . و«ناواك» أي عاداك . وقوله «ولكنّه» أي الربّ ـ تعالى ـ.

١٢٦٤ ـ أي ذوعزّ وغلبة. و«زاوله» أي حاوله وطالبه.

١٢٦٥ ـ في بعض النسخ: «بتفريح».

١٢٦٦ ـ «الرقيق» المملوك .

١٢٦٧ ـ في أكثر النسخ: «لعزّ هذا السلطان» فقوله «لعزّ» متعلّق بالبكاء و«أن يعود» بدل اشتمال له، أي نبكي لتبدّل عزّ هذا السلطان ذلّاً. (آت) وفي بعض النسخ: «لعن الله هذا السلطان» أي هذه السلطنة الّتي لا تكون صاحبها.

١٢٦٨ ـ «الأكيل» يكون بمعنى المأكول وبمعنى الآكل، والمراد هنا الثاني.

إليه ولا نظيراً نؤمّله ولا نقيمه.[١٢٦٩]

تبيين: أقول: أورد السيّد في النهج بعض هذا السؤال والجواب و أسقط أكثرهما؛ و سنشير إلى بعض الاختلافات.

قوله— عليه السّلام— «بولاية أمركم» أي لي عليكم حقّ الطاعة لأنّ الله جعلني والياً عليكم متولّياً لأموركم و لأنّه أنزلني منكم منزلة عظيمة هي منزلة الإمامة والسلطنة و وجوب الطاعة. قوله— عليه السّلام— «والحقّ أجمل الأشياء في التواصف» أي وصفه جميل و ذكره حسن؛ يقال: «تواصفوا الشيء» أي وصفه بعضهم لبعض. و في بعض النسخ: «التراصف» بالراء المهملة، و «التراصف» تنضيد الحجارة بعضها ببعض، أي أحسن الأشياء في إحكام الأمور و إتقانها. «و أوسعها في التناصف» أي إذا أنصف الناس بعضهم لبعض فالحقّ يسعه و يحتمله ولا يقع للناس في العمل بالحقّ ضيق. و في نهج البلاغة: «فالحقّ أوسع الأشياء في التواصف و أضيقها في التناصف» أي إذا أخذ الناس في وصف الحقّ و بيانه كان لهم في ذلك مجال واسع لسهولته على ألسنتهم و إذا حضر التناصف بينهم فطلب منهم ضاق عليهم المجال لشدّة العمل بالحقّ و صعوبة الإنصاف. قوله— عليه السّلام— «صروف قضائه» أي أنواعه المتغيّرة المتوالية. و في بعض النسخ: «ضروب قضائه» بمعناه، والحاصل أنّه لوكان لأحد أن يجعل الحقّ على غيره و لم يجعل له على نفسه لكان هو— سبحانه— أولى بذلك، و على الأولويّة بوجهين: الأوّل القدرة، فإنّ غيره— تعالى— لو فعل ذلك لم يطعه أحد والله— تعالى— قادر على جبرهم وقهرهم عليه؛ والثاني أنّه لولم يجبرهم على أعمالهم و كلّفهم بها لكان عادلاً لأنّ له من النعم على العباد ما لوعبدوه أبدالدهر، لم يوفوا حقّ نعمة واحدة منها؛ فالمراد من أوّل الكلام أنّه— سبحانه— جعل لكلّ أحد على غيره حقّاً حتى على نفسه. أمّا الحقّ المفروض على الناس فبمقتضى الاستحقاق و أمّا ما أجرى على نفسه فللوفاء بالوعد مع عدم لزوم الوعد عليه، فظهر جريان الحقّ على كلّ أحد و إن اختلفت الجهة والاعتبار.

١٢٦٩— بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٨، كتاب العدل والمعاد، ص ٣٥٢—٣٦٠.

قوله ـ عليه السّلام ـ «و جعل كفّارتهم عليه حسن الثواب» لعلّ المراد بالكفّارة الجزاء العظيم لستره عملهم حيث لم يكن له في جنبه قدر، فكأنّه قد محاه وستره. و في أكثر النسخ: «بحسن الثواب» فيحتمل أيضاً أن يكون المراد بها مايقع منهم لتدارك سيّئاتهم كالتوبة و سائر الكفّارات، أي أوجب قبول كفّارتهم و توبتهم على نفسه مع حسن الثواب بأن يثيبهم على ذلك أيضاً؛ ولا يبعد أن يكون تصحيف «كفاءتهم» بالهمز. و في النهج: «و جعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب تفضّلاً منه و توسّعاً بما هو من المزيد أهله.

قوله ـ عليه السّلام ـ «ثمّ جعل من حقوقه» هذا كالمقدّمة لما يريد أن يبيّنه من كون حقّه عليهم واجباً من قبل الله ـ تعالى ـ و هو حقّ من حقوقه ليكون ادّعى لهم على أدائه. و بيّن أنّ حقوق الخلق بعضهم على بعض، هي من حقّ الله ـ تعالى ـ من حيث أنّ حقّه على عباده هو الطاعة و أداء تلك الحقوق طاعات الله، كحقّ الوالد على ولده و بالعكس وحقّ الزوج على الزوجة و بالعكس و حقّ الوالي على الرعيّة و بالعكس. قوله ـ عليه السّلام ـ «فجعلها تتكافأ في وجوهها» أي جعل كلّ وجه من تلك الحقوق مقابلاً بمثله، فحقّ الوالي و هو الطاعة من الرعيّة مقابل بمثله و هو العدل فيهم و حسن السيرة. قوله ـ عليه السّلام ـ «ولا يستوجب بعضها إلّا ببعض» كما أنّ الوالي إذا لم يعدل لم يستحقّ الطاعة. قوله ـ عليه السّلام ـ «فريضة فرضها الله» بالنصب على الحاليّة أو بإضمار فعل أو بالرفع ليكون خبر مبتدأ محذوف. قوله ـ عليه السّلام ـ «نظاماً لألفتهم» فإنّها سبب اجتماعهم و بها يقهرون أعداءهم و يعزّ دينهم. قوله ـ عليه السّلام ـ «و قواماً» أي بها يقوم جريان الحقّ فيهم و بينهم. قوله ـ عليه السّلام ـ «عزّ الحقّ» أي غلب. قوله ـ عليه السّلام ـ «و اعتدلت معالم العدل» أي مظانّه، أو العلامات الّتي نصبت في طريق العدل لسلوكه، أو الأحكام الّتي يعلم بها العدل. قوله ـ عليه السّلام ـ «على أذلالها» قال الفيروزآبادي: «ذِلّ الطريق» بالكسر، محجّتها و «أمور الله جارية على أذلالها» أي مجاريها، جمع «ذلّ» بالكسر. قوله ـ عليه السّلام ـ «و كثر الإدغال» بكسر الهمزة، و «الإدغال» أن

يدخل في الشيء ما ليس منه و هو الإبداع والتلبيس؛ أو بفتحها، جمع «الدغل» بالتحريك، الفساد. قوله ــ عليه السّلام ــ «علل النفوس» أي أمراضها بملكات السوء كالغلّ والحسد والعداوة و نحوها؛ و قيل: وجوه ارتكاباتها للمنكرات فتأتي من كلّ منكر بوجه و علّة و رأي فاسد. قوله ــ عليه السّلام ــ «أثّل» يقال: «مال مؤثّل» و «مجد مؤثّل» أي مجموع ذو أصل، و «أثل الشيء» أصله و زكاه؛ ذكره الجزريّ». و في النهج: «فُعل». قوله ــ عليه السّلام ــ «تبعات الله» قال في العين: «التبعة» اسم للشيء الّذي لك فيه بغية شبه ظلامة و نحوها.

قوله ــ عليه السّلام ــ «فهلمّ أيّها الناس» قال الجوهري: «هلمّ يا رجل» بفتح الميم، بمعنى تعال؛ قال الخليل: أصله «لمّ» من قولهم «لمّ الله شعثه» أي جمعه، كانّه أراد: لمّ نفسك إلينا، أي أقرب؛ و «هاء» للتنبيه و إنّما حذفت ألفها لكثرة الاستعمال و جعلا اسماً واحداً، يستوي فيه الواحد والجمع والتأنيث في لغة أهل الحجاز. قوله ــ عليه السّلام ــ «حقيقة ما أعطى الله من الحقّ أهله» أي جزاء ما أعطى الله أهل الحقّ من الدين المبين و سائر ما هداهم الله ــ تعالى ــ إليه بأن يكون المراد بالحقيقة الجزاء مجازاً، أو يكون في الكلام تقدير مضاف، أي حقيقة جزاء ما أعطى من الحقّ، أو يكون المراد بالبلوغ إليها كونه بازائها و مكافاة لها؛ و قيل: المراد بحقيقة ما أعطى الله شكر نعمة هدايته ــ تعالى ــ إلى دين الحقّ. و في النهج: «حقيقة ما الله أهله من الطاعة له». و في بعض النسخ القديمة من الكتاب: «حقيقة ما الحقّ من الله أهله». قوله ــ عليه السّلام ــ «النصيحة له» أي لله أو للامام أو نصيحة بعضهم لبعض لله ــ تعالى ــ بأن لايكون الظرف صلة. و في النهج: «النصيحة بمبلغ» بدون الصلة، و هو يؤيّد الأخير. قال الجزريّ: «النصيحة» في اللغة الخلوص، يقال: «نصحته و نصحت له». و معنى نصيحة الله صحّة الاعتقاد في وحدانيّته و إخلاص النيّة في عبادته، والنصيحة لكتاب الله، هو التصديق به والعمل بما فيه، و نصيحة رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ التصديق بنبوّته و رسالته والانقياد لما أمربه ونهى عنه، و نصيحة الأئمّة [ــ عليهم السّلام ــ] أن يطيعهم في الحقّ، و نصيحة عامّة

المسلمين، إرشادهم إلى مصالحهم. قوله ــ عليه السّلام ــ «ولا لامرئٍ مع ذلك» كأنّه راجع إلى ما حمل الله على الوالي أو إلى الوالي الّذي أشير إليه سابقاً، أي لايجوز، أو لابدّ لامرئٍ، أو لا استغناء لامرئٍ مع الوالي أو مع كون واليه مكلّفاً بالجهاد و غيره من أمور الدين و إن كان ذلك المرء ضعيفاً محقّراً بدون أن يعين على إقامة الدين و يعينه الناس أو الوالي عليه. و في النهج: «و لا امرؤ و إن صغّرته النفوس واقتحمته العيون بدون أن يعين على ذلك أو يعان عليه» و هو الظاهر. قوله ــ عليه السّلام ــ «خسئت به الأمور» يقال: «خسأت الكلب خسأ» طردته و «خسأ الكلب بنفسه»، يتعدّى ولايتعدّى؛ ذكره الجوهريّ. فيجوز أن يكون هنا استعمل غير متعدّ بنفسه قد عدّي بالباء، أي طردته الأمور؛ أو يكون الباء للسببيّة، أي بعدت بسببه الأمور. و في بعض النسخ: «حبست به الأمور». و على التقادير المراد أنّه يكون بحيث لايتمشّى أمر من أموره ولا ينفع سعيه في تحصيل شيء من الأمور. «واقتجمته العيون» أي احتقرته. و كلمة «ما» في قوله ــ عليه السّلام ــ «ما أن يعين» زائدة. قوله ــ عليه السّلام ــ «و أهل الفضيلة في الحال» المراد بهم الأئمّة والولاة والأمراء والعلماء و كذا أهل النعم العظام فإنّهم لكونهم مكلّفين بعظائم الأمور كالجهاد في سبيل الله و إقامة الحدود والشرائع والأحكام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلى اعانة الخلق أحوج. و يحتمل أن يكون المراد بأهل الفضيلة العلماء فإنّهم محتاجون فيما حمل عليهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى أعوان ولا أقلّ إلى من يؤمر و ينهى، و بأهل النعم أصحاب الأموال لأنّ ما حمل عليهم من الحقوق أكثر كأداء الأخماس والصدقات، و هم محتاجون إلى الفقير القابل لها و إلى الشهود و إلى غيرهم؛ والأوّل أظهر. قوله ــ عليه السّلام ــ «و كلّ في الحاجة إلى الله ــ عزّ و جلّ ــ شرع سواء» بيان لقوله «شرع» و تأكيد. و إنّما ذكر ــ عليه السّلام ــ ذلك لئلّا يتوهّم أنّهم يستغنون بإعانة بعضهم بعضاً عن ربّهم ــ جلّ و عزّ ــ، بل هو الموفّق والمعين لهم في جميع أمورهم ولا يستغنون بشيء عن الله ــ عزّ و جلّ ــ. و إنّما كلّفهم بذلك ليختبر طاعتهم و يثيبهم على ذلك، واقتضت حكمته البالغة أن يجرى الأشياء بأسبابها و هو المسبّب لها والقادر على إمضائها بلاسبب.

قوله[١٢٧٠] «فأجابه رجل» الظاهر أنّه كان الخضر ـ عليه السّلام ـ و قد جاء في مواطن كثيرة و كلّمه ـ عليه السّلام ـ لإتمام الحجّة على الحاضرين؛ و قد أتى بعد وفاته ـ عليه السّلام ـ و قام على باب داره و بكى و أبكى و خاطبه ـ عليه السّلام ـ بأمثال تلك الكلمات و خرج و غاب عن النّاس.

قوله «والإقرار» الظاهر أنّه معطوف على الثناء، أي أقرّ إقراراً حسناً بأشياء ذكرها ذلك الرجل و لم يذكره ـ عليه السّلام ـ اختصاراً أو تقيّةً من تغيّر حالاته من استيلاء أئمّة الجور عليه و مظلوميّته و تغيّر أحوال رعيّته من تقصيرهم في حقّه و عدم قيامهم بما يحقّ من طاعته والقيام بخدمته؛ و يمكن أن يكون الواو بمعنى «مع»، و يحتمل عطفه على واجب حقّه.

قوله[١٢٧١] «من الغلّ» أي أغلال الشرك والمعاصي. و في بعض النسخ القديمة: «أطلق عنّا رهائن الغلّ» أي ما يوجب إغلال القيمة. قوله «فاخبُر» أي اقبل ما أمرك الله به فامضه علينا. قوله «والملك المخوّل» أي الملك الّذي أعطاك الله الإمرة علينا و جعلنا خدمك و تبعك. قوله «لا تستحلّ في شيء من معصيتك» لعلّه عدّي ب«في» لتضمين معنى الدخول، أو المعنى: لا تستحلّ في شيء شيئاً من معصيتك. و في بعض النسخ القديمة: «لا نستحلّ في شيء من معصيتك» و هو أظهر. قوله «في ذلك» أي في العلم بأن تكون كلمة «في» تعليليّة، و يحتمل أن يكون إشارة إلى مادلّ عليه الكلام من إطاعته ـ عليه السّلام ـ. و «الخطر» القدر والمنزلة.

قوله «و يجلّ عنه» يحتمل إرجاع الضمير إلى القياس، أي فضلك أجلّ في أنفسنا من[١٢٧٢] يقاس بفضل أحد، و يمكن إرجاعه إلى العلم فتكون كلمة «عن» تعليليّة، كما في قوله ـ تعالى ـ: «وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ»[١٢٧٣] أن[١٢٧٤] يجلّ و

١٢٧٠ ـ أي قول الراوي. (المصحّح)

١٢٧١ ـ أي قول الخضر ـ عليه السلام ـ. (المصحّح)

١٢٧٢ ـ هكذا في النسخة والصحيح: من أن يقاس. (المصحّح)

١٢٧٣ ـ هود: ٥٣.

١٢٧٤ ـ هكذا في النسخة والصحيح: أي. (المصحّح)

يعظم بسبب ذلك في أنفسنا فضلك.

قوله ـ عليه السّلام ـ «من عظم جلال الله» إمّا على التفعيل بنصب «جلال الله» أو بالتخفيف برفعه، يعني: من حقّ من عظّم جلالَ الله في نفسه و جلّ موضعه في قلبه، أن يصغر عنده كلّ ما سوى الله ـ تعالى ـ لما ظهر له من جلال الله؛ و إنّ أحقّ من كان كذلك ائمّة الحقّ ـ عليهم السّلام ـ لعظم نعم الله و كمال معرفتهم بجلال ربّهم، فحقّ الله ـ تعالى ـ عليهم أعظم منه على غيرهم؛ فينبغي أن يصغر عندهم أنفسهم فلا يحبّوا الفخر والإطراء في المدح، أو يجب أن يضمحلّ في جنب جلال الله عندهم غيره ـ تعالى ـ فلا يكون غيره منظوراً لهم في أعمالهم ليطلبوا رضى الناس بمدحهم.

قوله ـ عليه السّلام ـ «و إنّ من أسخف»، «السخف» رقّة العيش و رقّة العقل و «السخافة» رقّة كلّ شيء، أي أضعف حالات الولاة عند الرعيّة أن يكونوا متّهمين عندهم بهذه الخصلة المذمومة. قوله ـ عليه السّلام ـ «أنّي أحبّ الإطراء» أي مجاوزة الحدّ في المدح والمبالغة فيه. قوله ـ عليه السّلام ـ «انحطاطاً لله ـ سبحانه ـ» أي تواضعاً له ـ تعالى ـ. و في بعض النسخ القديمة: «و لو كنت أحبّ أن يقال ذلك لتناهيت له. أغنانا الله و إيّاكم عن تناول ما هو أحقّ به من التعاظم و حسن الثناء. و «التناهي» قبول النهي؛ والضمير في «له» راجع إلى الله ـ تعالى ـ. و في النهج كما في النسخ المشهورة.

قوله ـ عليه السّلام ـ «و ربّما استحلى الناس» يقال: «استحلاه» أي وجده حلواً. قال ابن ميثم ـ رحمه الله ـ: هذا يجري مجرى تمهيد العذر لمن أثنى عليه، فكأنّه يقول: أنت معذور في ذلك حيث رأيتني أجاهد في الله و أحثّ الناس على ذلك. و من عادة الناس أن يستحل[١٢٧٥] الثناء عند أن يبلو[١٢٧٦] بلاء حسناً في جهاد أو غيره من سائر الطاعات. ثمّ أجاب عن هذا العذر في نفسه بقوله «فلا تثنوا» عليّ بجميل ثناء» أي لا تثنوا عليّ لأجل ما ترونه منّي من طاعة الله، فإنّ ذلك إنّما هو

١٢٧٥ و ١٢٧٦ ـ هكذا في النسخة والصواب: «يستحلوا» و«يبلوا». (المصحّح)

إخراج لنفسي إلى الله من حقوقه الباقية عليّ، لم أفرغ بعد من أدائها و هي حقوق نعمه و فرائضه الّتي لابدّ من المضيّ فيها؛ و كذلك إليكم من الحقوق الّتي أوجبها الله إليّ[١٢٧٧] من النصيحة في الدين و الإرشاد إلى الطريق الأفضل والتعليم لكيفيّة سلوكه. و في خطّ الرضي ــ رحمه الله ــ: «من التقيّة» بالتاء، والمعنى: فإنّ الّذي أفعله من طاعة الله إنّما هو إخراج لنفسي إلى الله و إليكم من تقيّة الخلق فيما يجب عليّ من الحقوق إذا كان ــ عليه السّلام ــ إنّما يعبد الله لله غير ملتفت في شيء من عبادته وأداء واجب حقّه إلى أحد سواه خوفاً منه أو رغبة إليه، أو المراد بها التقيّة الّتي كان يعملها في زمن الخلفاء الثلاثة و تركها في أيّام خلافته. و كأنّه قال: لم أفعل شيئاً إلّا و هو أداء حقّ واجب عليّ، و إذا كان كذلك فكيف أستحقّ أن يثنى عليّ لأجل إتيان الواجب بثناء جميل و أقابل هذا التعظيم. و هذا من باب التواضع منه و تعليم كيفيّته و كسر للنفس عن محبّة الباطل والميل إليه. انتهى.

و قال ابن أبي الحديد: معنى قوله ــ عليه السّلام ــ «لإخراجي نفسي إلى الله و إليكم» أي لاعترافي بين يدي الله و بمحضر منكم أنّ عليّ حقوقاً في إيالتكم و رئاستي، لم أقم بها بعدُ، و أرجو من الله القيام بها. انتهى. فكأنّه جعل قوله «لإخراجي» تعليلاً لترك الثناء لامثنى عليه، ولا يخفى بعده. ثمّ اعلم أنّه يحتمل أن يكون المراد بالبقيّة الابقاء والترحّم، كما قال ــ تعالى ــ: «أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ»[١٢٧٨] أي إخراجي نفسي من أن أبقي و أترحّم مداهنة في حقوق لم أفرغ من أدائها.

قال الفيروزآباديّ: «و أبقيت ما بيننا» لم أبالغ في إفسادها، والاسم «البقيّة»، و «أولوا بقيّة ينهون عن الفساد» أي إبقاء أو فهم. قوله ــ عليه السّلام ــ «ولا تتحفّظوا عنّي بما يتحفّظ به عند أهل البادرة»، «البادرة» الحدّة والكلام الّذي يسبق من الانسان في الغضب، أي لا تثنوا عليّ كما يثنى على أهل الحدّة من الملوك

١٢٧٧ ـ هكذا في النسخة والصواب وهو الأفصح. عليّ. (المصحح)

١٢٧٨ ـ هود: ١١٦.

خوفاً من سطوتهم، أو لاتحتشموا منّي كما يحتشم من السلاطين والأمراء كترك المساءة والحديث إجلالاً و خوفاً منهم و ترك مشاورتهم أو إعلامهم ببعض الأمور والقيام بين أيديهم. قوله ـ عليه السّلام ـ «بالمصانعة» أي الرشوة أو المداراة. قوله ـ عليه السّلام ـ «كان العمل بها أثقل عليه» و شأن الولاة العمل بالعدل والحقّ، أو أنتم تعلمون أنّه لايثقل على العمل بها، قوله ـ عليه السّلام ـ «بفوق أن أخطئ» هذا من الانقطاع إلى الله والتواضع الباعث لهم على الانبساط معه بقول الحقّ وعدّ نفسه من المقصّرين في مقام العبوديّة و الإقرار بأنّ عصمته من نعمه ـ تعالى ـ عليه و ليس اعترافاً بعدم العصمة كما توهّم، بل ليست العصمة إلّا ذلك، فإنّها هي أن يعصم الله العبد من ارتكاب المعاصي. و قد أشار إليه بقوله ـ عليه السّلام ـ «أن يكفي الله» و هذا مثل قول يوسف ـ عليه السّلام ـ: وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي»[١٢٧٩].

قوله ـ عليه السّلام ـ «ما هو أملك به منّي» أي العصمة من الخطا، فإنّه ـ تعالى ـ أقدر على ذلك للعبد من العبد لنفسه. قوله ـ عليه السّلام ـ «ممّا كنّا فيه» أي من الجهالة و عدم العلم والمعرفة والكمالات الّتي يسّرها الله ـ تعالى ـ لنا ببعثة الرسول ـ صلّى الله عليه وآله ـ. قال ابن أبي الحديد: ليس هذا إشارة إلى خاصّ نفسه ـ عليه السّلام ـ لأنّه لم يكن كافراً فأسلم، و لكنّه كلام يقوله و يشير به إلى القوم الّذين يخاطبهم من أفناء الناس، فيأتي بصيغة الجمع الداخلة فيها نفسه توسّعاً. و يجوز أن يكون معناها: لولا ألطاف الله ـ تعالى ـ ببعثة محمّد ـ صلّى الله عليه وآله ـ لكنت أنا وغيري على مذهب الأسلاف. انتهى.

قوله[١٢٨٠] «فبلاءه عندنا ما لايكفر» أي نعمته عندنا وافرة بحيث لانستطيع كفرها و سترها، أي لايجوز كفرانها و تركُ شكرها. قوله «سياسة أمورنا»، «سست الرعيّة سياسةً» أمرتها و نهيتها. و «العَلَم» بالتحريك، ما نصب في الطريق ليهتدى

١٢٧٩ ـ يوسف: ٥٣.

١٢٨٠ ـ أي قول الرجل وهو الخضر ـ عليه السلام ـ. (المصحح)

به السائرون. قوله «من بارع الفضل» قال الفيروزآباديّ: «برع ـ و يثلّث ـ براعةً» فاق أصحابه في العلم و غيره، أوتمّ في كلّ جمال و فضيلة، فهوبارع و هي بارعة.

قوله «ولن يكن» على المجهول، من «كننت الشيء» سترته؛ أو بفتح الياء و كسر الكاف، من «وكن الطائر بيضه يكنه» إذا حضنه. و في بعض النسخ: «لم يكن»؛ و في النسخة القديمة: «لن يكون». قوله «و توسّعاً» أي في الفضل والسواد قوله «مع ذلك» أي مع طاعتنا لك، أي نفس الطاعة أمر مرغوب فيه و مع ذلك موجب لحصول ماينفعنا و ما هوخيرلنا في دنيانا و آخرتنا.

قوله ـ عليه السّلام ـ «إلّا مناصحة الصدور» أي خلوصها عن غشّ النفاق بأن يطوى فيه ما يظهر خلافه، أو نصح الإخوان نصحاً يكون في الصدر لابمحض اللسان.

قوله[١٢٨١] «و قد عال الّذي في صدره» يقال: «عالني الشيء» أي غلبني و «عال أمرهم» اشتدّ. قوله «و غصص الشجا»، «الغُصّة» بالضمّ، ما اعترض في الحلق، و كذا الشجا و «الشجو» الهمّ والحزن. قوله «لخطر مرزئته»، «الخَطَر» بالتحريك القدر والمنزلة والإشراف على الهلاك. و«المرزئة» المصيبة، و كذا الفجيعة و كونها أي وقوعها و حصولها. والضميران راجعان إلى أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ والقائل كان عالماً بقرب أوان شهادته ـ عليه السّلام ـ فلذا كان يندب و يتفجّع؛ و إرجاعها إلى القائل بعيد.

قوله «أشفى» أي أشرف عليه. والضمير في قوله «إليه» راجع إلى الله ـ تعالى ـ. قوله «و انقلاب جده»، «الجد» البخت والتفجّع والتوجّع في المصيبة، أي سأل الله دفع هذا البلاء الّذي قد ظنّ وقوعه عنه ـ عليه السّلام ـ مع التفجّع والتضرّع.

قوله ـ عليه السّلام ـ «يا ربّاني العباد» قال الجزريّ: «الربّانيّ» منسوب إلى الربّ بزيادة الف والنون؛ و قيل: هو من الربّ بمعنى التربية لأنّهم كانوا يربّون

١٢٨١ ـ أي قول الراوي. (المصحح)

المتعلّمين بصغار العلوم و قيل: كبارها. و «الربّانيّ» العالم الراسخ في العلم والدين والّذي يطلب بعلمه وجه الله؛ و قيل: العالم العامل المعلّم. قوله ــ عليه السّلام ــ «و يا سكن البلاد»، «السَكَن» بالتحريك، كلّ ما يسكن إليه. قوله ــ عليه السّلام ــ «و بك جرت نعم الله علينا» أي بجهادك و مساعيك الجمّيّة لترويج الدين و تشييد الإسلام في زمن الرسول ــ صلّى الله عليه وآله ــ و بعده. قوله ــ عليه السّلام ــ «وللعصاة الكفّار إخواناً» أي كنت تعاشر من يعصيك و يكفر نعمتك معاشرة الإخوان شفقة منك عليهم، أو المراد الشفقة على الكفّار والعصاة والاهتمام في هدايتهم. و يحتمل أن يكون المراد المنافقين الّذين كانوا في عسكره و كان يلزمه رعايتهم بظاهر الشرع. و قيل: المراد بالإخوان الخوان الّذي يؤكل عليه الطعام، فإنّه لغة فيه كما ذكره الجزريّ، ولا يخفى بعده. و في النسخة القديمة: «ألم نكن» بصيغة المتكلّم، و حينئذٍ فالمراد بالفقرة الأولى أنّه كان ينزل بنازل كلّ ذليل، أي كنّا نذلّ بكلّ ذلّة و هوان، و هو أظهر وألصق بقوله «فبمن؟». قوله ــ عليه السّلام ــ «من فضاعة تلك الخطرات» أي شناعتها و شدّتها. قوله «بعد الحور» قال الجوهريّ: نعوذ بالله من الحور بعد الكور، أي من النقصان بعد الزيادة. و في بعض النسخ بالجيم.

قوله ــ عليه السّلام ــ «و ثمال فقراءنا» قال الجزريّ: «الثِمال» بالكسر، الملجأ والقياس، و قيل: هو المطعم في الشدّة.

قوله ــ عليه السّلام ــ «يجمعنا في الأمور عدلك» أي هو سبب اجتماعنا و عدم تفرّقنا في جميع الأمور أو من بين سائر الأمور، و هو سبب لانتظام جميع أمورنا، أو عدلك يحيط بجميعنا في جميع الأمور. قوله «و يتّسع لنا في الحقّ تأنّيك» أي صار مداراتك و تأنّيك و عدم مبادرتك في الحكم علينا بما نستحقّه، سبباً لوسعة الحقّ علينا و عدم تضيّق الأمور بنا.

قوله ــ عليه السّلام ــ «يبلغ تحريكه» أي تغييره و صرفه. و في النسخة القديمة: «تحويله». قوله «ولأخطرناها» أي جعلناها في معرض المخاطرة والهلاك، أوصيّرناها خطراً و رهناً و عوضاً لك. قال الجزريّ فيه: «فإنّ الجنّة لا خطر لها» أي

لا عوض لها ولا مثل، و «الخَطَر» بالتحريك، في الأصل الرهن و ما يخاطر عليه و مثل الشيء و عدله؛ ولا يقال إلّا في الشيء الّذي له قدر و مزيّة. و منه الحديث: «إلّا رجل يخاطر بنفسه و ماله» أي يُلقيها في الهلكة بالجهاد. و منه حديث النعمان: «إنّ هؤلاء ــ يعني المجوس ــ قد أخطروا لكم رثة و متاعاً و أخطرتم بهم الاسلام» المعنى أنّهم قد شرطوا لكم ذلك و جعلوه رهناً من جانبهم، و جعلتم رهنكم دينكم.

قوله ــ عليه السّلام ــ «حاولك» أي قصدك. قوله «من ناواك» أي عاداك. قوله «ولكنّه» أي الربّ ــ تعالى ــ. قوله «و عزّ» أي ذو عزّ وغلبة. و «زاوله» أي حاوله وطالبه. و هذا إشارة إلى أنّ تلك الأمور بقضاء الله و تقديره والمبالغة في دفعها في حكم مغالبة الله في تقديراته. و قد سبق تحقيق القضاء والقدر في كتاب العدل.

قوله ــ عليه السّلام ــ «نعظّمه» الضمير[١٢٨٢] في قوله «و نعظّمه و نديمه» راجعان إلى الشكر والذكر.

قوله [ــ عليه السّلام ــ] «بلاءه» يحتمل النعمة أيضاً. قوله [ــ عليه السّلام ــ] «ما عنده» هو خبر «أنّ»، و يحتمل أن يكون الخبر محذوفاً، أي خير لك. والمعنى أنّه لاتختلف قلوبنا، بل تتفق على أنّ الله اختار لك بإمضائك النعيم والراحة الدائمة على ما كنت فيه من المشقّة والجهد والعناء. قوله [ــ عليه السّلام ــ] «من غير إثم» أي لا نأثم على البكاء عليك، فإنّه من أفضل الطاعات، أو لا نقول ما يوجب الإثم. قوله [ــ عليه السّلام ــ] «لعزّ» متعلّق بالبكاء و «أن يعود» بدل اشتمال له، أي نبكى لتبدّل عزّ هذا السلطان ذلّاً. قوله [ــ عليه السّلام ــ] «أكيلاً»، «الأكيل» يكون بمعنى المأكول و بمعنى الآكل، والمراد هنا الثاني، أي نبكي لتبدّل هذا السلطان الحقّ بسلطنة الجور، فيكون أكلاً للدين والدنيا. و في بعض النسخ: «لعن الله هذا السلطان» فلايكون مرجع الإشارة سلطنته ــ عليه السّلام ــ، بل جنسها الباطل الشامل أيضاً، أي لعن الله السلطنة الّتي لا تكون صاحبها. و يحتمل أن

١٢٨٢ ـ هكذا في النسخة والصواب: الضميران. (المصحّح)

يكون اللعن مستعملاً في أصل معناه لغة و هو الإبعاد، أي أبعد الله هذا السلطان عن أن يعود ذليلاً؛ ولا يخفى بعده. قوله [ــ عليه السّلام ــ] «ولانرى لك خلفاً» أي من بين السلاطين لخروج السلطنة عن أهل البيت ــ عليهم السّلام ــ.[١٢٨٣]

٢١٧ ــ ومن كلام له عليه السلام

في التظلم والتشكي من قريش

اَللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ(٢٩٧٩) عَلَىٰ قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِي وَأَكْفَؤُوا إِنَائِي(٢٩٨٠)، وَأَجْمَعُوا عَلَىٰ مُنَازَعَتِي حَقّاً كُنْتُ أَوْلَىٰ بِهِ مِنْ غَيْرِي، وَقَالُوا: أَلَا إِنَّ فِي ٱلْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ، وَفِي ٱلْحَقِّ أَنْ تُمْنَعَهُ، فَٱصْبِرْ مَغْمُوماً، أَوْ مُتْ مُتَأَسِّفاً. فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ(٢٩٨١)، وَلَا ذَابٌّ(٢٩٨٢) وَلَا مُسَاعِدٌ، إِلَّا أَهْلَ بَيْتِي؛ فَضَنَنْتُ(٢٩٨٣) بِهِمْ عَنِ ٱلْمَنِيَّةِ، فَأَغْضَيْتُ عَلَىٰ ٱلْقَذَىٰ(٢٩٨٤)، وَجَرِعْتُ رِيقِي عَلَىٰ الشَّجَا(٢٩٨٥)، وَصَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ ٱلْغَيْظِ عَلَىٰ أَمَرَّ مِنَ ٱلْعَلْقَمِ، وَآلَمَ لِلْقَلْبِ مِنْ وَخْزِ الشِّفَارِ(٢٩٨٦).

قال الشريف رضي الله عنه: وقد مضى هذا الكلام في أثناء خطبة متقدمة، إلا أني ذكرته ها هنا لاختلاف الروايتين.

١٢٨٣ ــ بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٥٥ ــ ٦٥٨، ط تبريز.

٢١٨ ـــ ومن كلام له عليه السلام

في ذكر السائرين إلى البصرة لحربه عليه السلام

فَقَدِمُوا عَلَىٰ عُمَّالِي وَخُزَّانِ بَيْتِ ٱلْمُسْلِمِينَ ٱلَّذِي فِي يَدَيَّ ، وَعَلَىٰ أَهْلِ مِصْرٍ ، كُلُّهُمْ فِي طَاعَتِي وَعَلَىٰ بَيْعَتِي ؛ فَشَتَّتُوا كَلِمَتَهُمْ ، وَأَفْسَدُوا عَلَيَّ جَمَاعَتَهُمْ ، وَوَثَبُوا عَلَىٰ شِيعَتِي ، فَقَتَلُوا طَائِفَةً مِنْهُمْ غَدْراً ؛ وَطَائِفَةٌ عَضُّوا عَلَىٰ أَسْيَافِهِمْ(٢٩٨٧) ، فَضَارَبُوا بِهَا حَتَّىٰ لَقُوا ٱللهَ صَادِقِينَ .

٢١٩ ـــ ومن كلام له عليه السلام

لما مر بطلحة بن عبد الله وعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد وهما قتيلان يوم الجمل :

لَقَدْ أَصْبَحَ أَبُو مُحَمَّدٍ بِهٰذَا ٱلْمَكَانِ غَرِيباً ! أَمَا وَٱللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ قُرَيْشٌ قَتْلَىٰ تَحْتَ بُطُونِ ٱلْكَوَاكِبِ ! أَدْرَكْتُ وَتْرِي(٢٩٨٨) مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ، وَأَفْلَتَتْنِي أَعْيَانُ بَنِي جُمَحَ ، لَقَدْ أَتْلَعُوا(٢٩٨٩) أَعْنَاقَهُمْ إِلَىٰ أَمْرٍ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَهُ فَوُقِصُوا(٢٩٩٠) دُونَهُ .

٢٢٠ ـــ ومن كلام له عليه السلام

في وصف السالك الطريق إلى الله سبحانه

قَدْ أَحْيَا عَقْلَهُ[٢٩٩١]، وَأَمَاتَ نَفْسَهُ[٢٩٩٢]، حَتَّىٰ دَقَّ جَلِيلُهُ[٢٩٩٣]، وَلَطُفَ غَلِيظُهُ[٢٩٩٤]، وَبَرَقَ لَهُ لَامِعٌ كَثِيرُ ٱلْبَرْقِ، فَأَبَانَ لَهُ الطَّرِيقَ، وَسَلَكَ بِهِ السَّبِيلَ، وَتَدَافَعَتْهُ[٢٩٩٥] ٱلْأَبْوَابُ إِلَىٰ بَابِ السَّلَامَةِ، وَدَارِ ٱلْإِقَامَةِ، وَثَبَتَتْ رِجْلَاهُ بِطُمَأْنِينَةِ بَدَنِهِ فِي قَرَارِ ٱلْأَمْنِ وَالرَّاحَةِ، بِمَا ٱسْتَعْمَلَ قَلْبَهُ، وَأَرْضَىٰ رَبَّهُ.

٢٢١ــ وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قاله بعد تلاوته: «أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ[٢٩٩٦] * حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ»

يَا لَهُ مَرَاماً[٢٩٩٧] مَا أَبْعَدَهُ! وَزَوْراً[٢٩٩٨] مَا أَغْفَلَهُ[٢٩٩٩]! وَخَطَراً مَا أَفْظَعَهُ! لَقَدِ ٱسْتَخْلَوْا[٣٠٠٠] مِنْهُمْ أَيَّ مُدَّكِرٍ[٣٠٠١]، وَتَنَاوَشُوهُمْ[٣٠٠٢] مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ! أَفَبِمَصَارِعِ آبَائِهِمْ يَفْخَرُونَ! أَمْ بِعَدِيدِ ٱلْهَلْكَىٰ يَتَكَاثَرُونَ! يَرْتَجِعُونَ مِنْهُمْ أَجْسَاداً خَوَتْ[٣٠٠٣]، وَحَرَكَاتٍ سَكَنَتْ. وَلَأَنْ يَكُونُوا عِبَراً، أَحَقُّ مِنْ أَنْ يَكُونُوا مُفْتَخَراً؛ وَلَأَنْ يَهْبِطُوا بِهِمْ جَنَابَ ذِلَّةٍ، أَحْجَىٰ[٣٠٠٤] مِنْ أَنْ يَقُومُوا بِهِمْ مَقَامَ عِزَّةٍ! لَقَدْ نَظَرُوا إِلَيْهِمْ بِأَبْصَارِ ٱلْعَشْوَةِ[٣٠٠٥]، وَضَرَبُوا مِنْهُمْ فِي غَمْرَةِ جَهَالَةٍ. وَلَوِ ٱسْتَنْطَقُوا عَنْهُمْ عَرَصَاتِ تِلْكَ الدِّيَارِ ٱلْخَاوِيَةِ[٣٠٠٦]، وَالرُّبُوعِ[٣٠٠٧] ٱلْخَالِيَةِ، لَقَالَتْ: ذَهَبُوا فِي ٱلْأَرْضِ ضُلَّالاً[٣٠٠٨]، وَذَهَبْتُمْ فِي

أَعْقَابِهِمْ جُهَّالاً ، تَطَؤُونَ فِي هَامِهِمْ[٣٠٠٩]. وَتَسْتَنْبِتُونَ[٣٠١٠] فِي أَجْسَادِهِمْ ، وَتَرْتَعُونَ[٣٠١١] فِيمَا لَفَظُوا ، وَتَسْكُنُونَ فِيمَا خَرَّبُوا ؛ وَإِنَّمَا ٱلْأَيَّامُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ بَوَاكٍ[٣٠١٢] وَنَوَائِحُ[٣٠١٣] عَلَيْكُمْ .

أُولٰئِكُمْ سَلَفُ غَايَتِكُمْ[٣٠١٤]، وَفُرَّاطُ[٣٠١٥] مَنَاهِلِكُمْ[٣٠١٦]، ٱلَّذِينَ كَانَتْ لَهُمْ مَقَاوِمُ[٣٠١٧] ٱلْعِزِّ ، وَحَلَبَاتُ[٣٠١٨] ٱلْفَخْرِ ، مُلُوكاً وَسُوَقاً[٣٠١٩] . سَلَكُوا فِي بُطُونِ ٱلْبَرْزَخِ[٣٠٢٠] سَبِيلاً سُلِّطَتِ ٱلْأَرْضُ عَلَيْهِمْ فِيهِ . فَأَكَلَتْ مِنْ لُحُومِهِمْ ، وَشَرِبَتْ مِنْ دِمَائِهِمْ ؛ فَأَصْبَحُوا فِي فَجَوَاتِ[٣٠٢١] قُبُورِهِمْ جَمَاداً لَا يَنْمُونَ[٣٠٢٢] . وَضِمَاراً[٣٠٢٣] لَا يُوجَدُونَ ؛ لَا يُفْزِعُهُمْ وُرُودُ ٱلْأَهْوَالِ ، وَلَا يَحْزُنُهُمْ تَنَكُّرُ ٱلْأَحْوَالِ . وَلَا يَحْفِلُونَ[٣٠٢٤] بِالرَّوَاجِفِ[٣٠٢٥] ، وَلَا يَأْذَنُونَ[٣٠٢٦] لِلْقَوَاصِفِ[٣٠٢٧] . غُيَّباً لَا يُنْتَظَرُونَ . وَشُهُوداً لَا يَحْضُرُونَ ، وَإِنَّمَا كَانُوا جَمِيعاً فَتَشَتَّتُوا . وَآلَافاً[٣٠٢٨] فَٱفْتَرَقُوا ، وَمَا عَنْ طُولِ عَهْدِهِمْ ، وَلَا بُعْدِ مَحَلِّهِمْ . عَمِيَتْ أَخْبَارُهُمْ . وَصَمَّتْ[٣٠٢٩] دِيَارُهُمْ ، وَلٰكِنَّهُمْ سُقُوا كَأْساً بَدَّلَتْهُمْ بِالنُّطْقِ خَرَساً . وَبِالسَّمْعِ صَمَماً ، وَبِٱلْحَرَكَاتِ سُكُوناً . فَكَأَنَّهُمْ فِي ٱرْتِجَالِ الصِّفَةِ[٣٠٣٠] صَرْعَى[٣٠٣١] سُبَاتٍ[٣٠٣٢] . جِيرَانٌ لَا يَتَأَنَّسُونَ . وَأَحِبَّاءُ لَا يَتَزَاوَرُونَ . بَلِيَتْ[٣٠٣٣] بَيْنَهُمْ عُرَا[٣٠٣٤] التَّعَارُفِ . وَٱنْقَطَعَتْ مِنْهُمْ أَسْبَابُ ٱلْإِخَاءِ . فَكُلُّهُمْ وَحِيدٌ وَهُمْ جَمِيعٌ ، وَبِجَانِبِ ٱلْهَجْرِ وَهُمْ أَخِلَّاءُ . لَا يَتَعَارَفُونَ

لِلَيْلٍ صَباحاً ، وَلَا لِنَهارٍ مَساءٌ .

أيُّ الْجَدِيدَيْنِ[٣٠٣٥] ظَعَنُوا فِيهِ كَانَ عَلَيْهِمْ سَرْمَداً ، شَاهَدُوا مِنْ أخْطَارِ دَارِهِمْ أَفْظَعَ مِمَّا خَافُوا ، وَرَأَوْا مِنْ آيَاتِهَا أَعْظَمَ مِمَّا قَدَّرُوا ، فَكِلْتَا الْغَايَتَيْنِ[٣٠٣٦] مُدَّتْ لَهُمْ إلَىٰ مَبَاءَةٍ[٣٠٣٧] ، فَاتَتْ مَبَالِغَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ . فَلَوْ كَانُوا يَنْطِقُونَ بِهَا لَعَيُّوا[٣٠٣٨] بِصِفَةِ مَا شَاهَدُوا وَمَا عَايَنُوا .

وَلَئِنْ عَمِيَتْ آثَارُهُمْ ، وَانْقَطَعَتْ أَخْبَارُهُمْ ، لَقَدْ رَجَعَتْ فِيهِمْ أَبْصَارُ الْعِبَرِ[٣٠٣٩] ، وَسَمِعَتْ عَنْهُمْ آذَانُ الْعُقُولِ ، وَتَكَلَّمُوا مِنْ غَيْرِ جِهَاتِ النُّطْقِ ، فَقَالُوا : كَلَحَتِ[٣٠٤٠] الْوُجُوهُ النَّوَاضِرُ[٣٠٤١] ، وَخَوَتِ[٣٠٤٢] الْأَجْسَامُ النَّوَاعِمُ ، وَلَبِسْنَا أَهْدَامَ[٣٠٤٣] الْبِلَىٰ ، وَتَكَاءَدَنَا[٣٠٤٤] ضِيقُ الْمَضْجَعِ ، وَتَوَارَثْنَا الْوَحْشَةَ ، وَتَهَكَّمَتْ[٣٠٤٥] عَلَيْنَا الرُّبُوعُ[٣٠٤٦] الصُّمُوتُ[٣٠٤٧] ، فَانْمَحَتْ مَحَاسِنُ أَجْسَادِنَا ، وَتَنَكَّرَتْ مَعَارِفُ صُوَرِنَا ، وَطَالَتْ فِي مَسَاكِنِ الْوَحْشَةِ إقَامَتُنَا ، وَلَمْ نَجِدْ مِنْ كَرْبٍ فَرَجاً ، وَلَا مِنْ ضِيقٍ مُتَّسَعاً ! فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ بِعَقْلِكَ ، أَوْ كُشِفَ عَنْهُمْ مَحْجُوبُ الْغِطَاءِ لَكَ ، وَقَدِ ارْتَسَخَتْ[٣٠٤٨] أَسْمَاعُهُمْ بِالْهَوَامِّ[٣٠٤٩] فَاسْتَكَّتْ[٣٠٥٠] ، وَاكْتَحَلَتْ أَبْصَارُهُمْ بِالتُّرَابِ فَخَسَفَتْ[٣٠٥١] ، وَتَقَطَّعَتِ الْأَلْسِنَةُ فِي

أَفْوَاهِهِـمْ بَعْدَ ذَلَاقَتِهَا[٣٠٥٢] ، وَهَمَدَتِ ٱلْقُلُوبُ فِي صُدُورِهِـمْ بَـعْدَ يَقَظَتِهَا ، وَعَاثَ[٣٠٥٣] فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنْهُمْ جَدِيدُ بِلًى[٣٠٥٤] سَمَّجَهَا[٣٠٥٥] ، وَسَهَّلَ طُرُقَ ٱلْآفَةِ إِلَيْهَا ، مُسْتَسْلِمَاتٍ فَلَا أَيْدٍ تَدْفَعُ ، وَلَا قُلُوبٌ تَجْزَعُ ، لَرَأَيْتَ أَشْجَانَ قُلُوبٍ[٣٠٥٦] ، وَأَقْذَاءَ عُيُونٍ[٣٠٥٧] ، لَهُمْ فِي كُلِّ فَظَاعَةٍ صِفَةُ حَالٍ لَا تَنْتَقِلُ ، وَغَمْرَةٌ[٣٠٥٨] لَا تَنْجَلِي . فَكَمْ أَكَلَتِ ٱلْأَرْضُ مِنْ عَزِيزِ جَسَدٍ ، وَأَنِيقِ[٣٠٥٩] لَوْنٍ ، كَانَ فِي الدُّنْيَا غَذِيَّ[٣٠٦٠] تَرَفٍ ، وَرَبِيبَ[٣٠٦١] شَرَفٍ ! يَتَعَلَّلُ[٣٠٦٢] بِالسُّرُورِ فِي سَاعَةِ حُزْنِهِ ، وَيَفْزَعُ إِلَىٰ السَّلْوَةِ[٣٠٦٣] إِنْ مُصِيبَةٌ نَزَلَتْ بِهِ ، ضَنًّا[٣٠٦٤] بِغَضَارَةِ[٣٠٦٥] عَيْشِهِ ، وَشَحَاحَةً[٣٠٦٦] بِلَهْوِهِ وَلَعِبِهِ ! فَبَيْنَا هُوَ يَضْحَكُ إِلَىٰ الدُّنْيَا وَتَضْحَكُ إِلَيْهِ فِي ظِلِّ عَيْشٍ غَفُولٍ[٣٠٦٧] ، إِذْ وَطِىءَ الدَّهْرُ بِهِ حَسَكَهُ[٣٠٦٨] وَنَقَضَتِ ٱلْأَيَّامُ قُوَاهُ ، وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ ٱلْحُتُوفُ[٣٠٦٩] مِنْ كَثَبٍ[٣٠٧٠] ، فَخَالَطَهُ[٣٠٧١] بَثٌّ[٣٠٧٢] لَا يَعْرِفُهُ ، وَنَجِيُّ[٣٠٧٣] هَمٍّ مَا كَانَ يَجِدُهُ ، وَتَوَلَّدَتْ فِيهِ فَتَرَاتُ[٣٠٧٤] عِلَلٍ ، آنَسَ مَا كَانَ بِصِحَّتِهِ ، فَفَزِعَ إِلَىٰ مَا كَانَ عَوَّدَهُ ٱلْأَطِبَّاءُ مِنْ تَسْكِينِ ٱلْحَارِّ بِٱلْقَارِّ[٣٠٧٥] ، وَتَحْرِيكِ ٱلْبَارِدِ بِٱلْحَارِّ ، فَلَمْ يُطْفِىءْ بِبَارِدٍ إِلَّا ثَوَّرَ حَرَارَةً ، وَلَا حَرَّكَ بِحَارٍّ إِلَّا هَيَّجَ بُرُودَةً ، وَلَا ٱعْتَدَلَ بِمُمَازِجٍ[٣٠٧٦] لِتِلْكَ الطَّبَائِـعِ إِلَّا أَمَدَّ مِنْهَا كُلَّ ذَاتِ دَاءٍ ؛ حَتَّىٰ فَتَرَ مُعَلِّلُهُ[٣٠٧٧] ، وَذَهَلَ مُمَرِّضُهُ ، وَتَعَايَا[٣٠٧٨] أَهْلُهُ بِصِفَةِ دَائِهِ ،

وَخَرِسُوا عَنْ جَوَابِ السَّائِلِينَ عَنْهُ ، وَتَنَازَعُوا دُونَهُ شَجِيَّ خَبَرٍ يَكْتُمُونَهُ : فَقَائِلٌ يَقُولُ : هُوَ لِمَا بِهِ(٣٠٧٩) ، وَمُمَنٍّ(٣٠٨٠) لَهُمْ إِيَابَ(٣٠٨١) عَافِيَتِهِ ، وَمُصَبِّرٌ لَهُمْ عَلَىٰ فَقْدِهِ ، يُذَكِّرُهُمْ أَسَى(٣٠٨٢) الْمَاضِينَ مِنْ قَبْلِهِ . فَبَيْنَا هُوَ كَذٰلِكَ عَلَىٰ جَنَاحٍ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا ، وَتَرْكِ الْأَحِبَّةِ ، إِذْ عَرَضَ لَهُ عَارِضٌ مِنْ غُصَصِهِ ، فَتَحَيَّرَتْ نَوَافِذُ فِطْنَتِهِ(٣٠٨٣) ، وَيَبِسَتْ رُطُوبَةُ لِسَانِهِ. فَكَمْ مِنْ مُهِمٍّ مِنْ جَوَابِهِ عَرَفَهُ فَعَيَّ(٣٠٨٤) عَنْ رَدِّهِ ، وَدُعَاءٍ مُؤْلِمٍ بِقَلْبِهِ سَمِعَهُ فَتَصَامَّ عَنْهُ ، مِنْ كَبِيرٍ كَانَ يُعَظِّمُهُ ، أَوْ صَغِيرٍ كَانَ يَرْحَمُهُ ! وَإِنَّ لِلْمَوْتِ لَغَمَرَاتٍ(٣٠٨٥) هِيَ أَفْظَعُ مِنْ أَنْ تُسْتَغْرَقَ بِصِفَةٍ ، أَوْ تَعْتَدِلَ عَلَىٰ عُقُولِ(٣٠٨٦) أَهْلِ الدُّنْيَا .

٢٢٢ ـ وَمِن كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قاله عند تلاوته : «يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ» .

إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جَعَلَ الذِّكْرَ(٣٠٨٧) جِلَاءً(٣٠٨٨) لِلْقُلُوبِ ، تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْرَةِ(٣٠٨٩) ، وَتُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَةِ(٣٠٩٠) ، وَتَنْقَادُ بِهِ بَعْدَ الْمُعَانَدَةِ ، وَمَا بَرِحَ للهِ ـ عَزَّتْ آلَاؤُهُ ـ فِي الْبُرْهَةِ بَعْدَ الْبُرْهَةِ ، وَفِي أَزْمَانِ الْفَتَرَاتِ(٣٠٩١) ، عِبَادٌ نَاجَاهُمْ(٣٠٩٢) فِي فِكْرِهِمْ ، وَكَلَّمَهُمْ فِي

ذَاتِ عُقُولِهِـمْ ، فَاسْتَصْبَحُوا[٣٠٩٣] بِنُورِ يَقَظَةٍ فِي الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ وَالْأَفْئِدَةِ ، يُذَكِّرُونَ بِأَيَّامِ اللهِ ، وَيُخَوِّفُونَ مَقَامَهُ ، بِمَنْزِلَةِ الْأَدِلَّةِ[٣٠٩٤] فِي الْفَلَوَاتِ[٣٠٩٥] . مَنْ أَخَذَ الْقَصْدَ[٣٠٩٦] حَمِدُوا إِلَيْهِ طَرِيقَهُ ، وَبَشَّرُوهُ بِالنَّجَاةِ ، وَمَنْ أَخَذَ يَمِيناً وَشِمَالاً ذَمُّوا إِلَيْهِ الطَّرِيقَ ، وَحَذَّرُوهُ مِنَ الْهَلَكَةِ ، وَكَانُوا كَذٰلِكَ مَصَابِيحَ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ ، وَأَدِلَّةَ تِلْكَ الشُّبُهَاتِ . إِنَّ لِلذِّكْرِ لَأَهْلاً أَخَذُوهُ مِنَ الدُّنْيَا بَدَلاً ، فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْهُ ، يَقْطَعُونَ بِهِ أَيَّامَ الْحَيَاةِ ، وَيَهْتِفُونَ[٣٠٩٧] بِالزَّوَاجِرِ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ ، فِي أَسْمَاعِ الْغَافِلِينَ ، وَيَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ[٣٠٩٨] وَيَأْتَمِرُونَ بِهِ[٣٠٩٩] ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَتَنَاهَوْنَ عَنْهُ ، فَكَأَنَّمَا قَطَعُوا الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ وَهُمْ فِيهَا ، فَشَاهَدُوا مَا وَرَاءَ ذٰلِكَ ، فَكَأَنَّمَا اطَّلَعُوا غُيُوبَ أَهْلِ الْبَرْزَخِ فِي طُولِ الْإِقَامَةِ فِيهِ ، وَحَقَّقَتِ الْقِيَامَةُ عَلَيْهِمْ عِدَاتِهَا[٣١٠٠] ، فَكَشَفُوا غِطَاءَ ذٰلِكَ لِأَهْلِ الدُّنْيَا ، حَتَّىٰ كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ مَا لَا يَرَىٰ النَّاسُ ، وَيَسْمَعُونَ مَا لَا يَسْمَعُونَ . فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ لِعَقْلِكَ فِي مَقَاوِمِهِمُ[٣١٠١] الْمَحْمُودَةِ ، وَمَجَالِسِهِـمُ الْمَشْهُودَةِ ، وَقَدْ نَشَرُوا دَوَاوِينَ[٣١٠٢] أَعْمَالِهِـمْ ، وَفَرَغُوا لِمُحَاسَبَةِ أَنْفُسِهِـمْ عَلَىٰ كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ أُمِرُوا بِهَا فَقَصَّرُوا عَنْهَا ، أَوْ نُهُوا عَنْهَا فَفَرَّطُوا فِيهَا ، وَحَمَّلُوا ثِقَلَ أَوْزَارِهِـمْ[٣١٠٣] ظُهُورَهُمْ ، فَضَعُفُوا عَنِ الِاسْتِقْلَالِ بِهَا ، فَنَشَجُوا[٣١٠٤] نَشِيجاً ، وَتَجَاوَبُوا نَحِيباً[٣١٠٥] ،

يَعِجُّونَ(٣١٠٦) إِلَىٰ رَبِّهِمْ مِنْ مَقَامِ نَدَمٍ وَاعْتِرَافٍ ، لَرَأَيْتَ أَعْلاَمَ هُدًىٰ ، وَمَصَابِيحَ دُجًىٰ ، قَدْ حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلاَئِكَةُ ، وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ، وَفُتِحَتْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، وَأُعِدَّتْ لَهُمْ مَقَاعِدُ الْكَرَامَاتِ ، فِي مَقْعَدٍ اطَّلَعَ اللهُ عَلَيْهِمْ فِيهِ ، فَرَضِيَ سَعْيَهُمْ ، وَحَمِدَ مَقَامَهُمْ ، يَتَنَسَّمُونَ(٣١٠٧) بِدُعَائِهِ رَوْحَ التَّجَاوُزِ . رَهَائِنُ فَاقَةٍ إِلَىٰ فَضْلِهِ ، وَأُسَارَىٰ ذِلَّةٍ لِعَظَمَتِهِ ، جَرَحَ طُولُ الأَسَىٰ(٣١٠٨) قُلُوبَهُمْ ، وَطُولُ الْبُكَاءِ عُيُونَهُمْ . لِكُلِّ بَابِ رَغْبَةٍ إِلَىٰ اللهِ مِنْهُمْ يَدٌ قَارِعَةٌ ، يَسْأَلُونَ مَنْ لاَ تَضِيقُ لَدَيْهِ الْمَنَادِحُ(٣١٠٩) ، وَلاَ يَخِيبُ عَلَيْهِ الرَّاغِبُونَ .

فَحَاسِبْ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ ، فَإِنَّ غَيْرَهَا مِنَ الأَنْفُسِ لَهَا حَسِيبٌ غَيْرُكَ .

٢٢٣ — وَمِنْ كَلاَمٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ

قاله عند تلاوته : «يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ *».

أَدْحَضُ(٣١١٠) مَسْؤُولٍ حُجَّةً ، وَأَقْطَعُ مُغْتَرٍّ مَعْذِرَةً ، لَقَدْ أَبْرَحَ(٣١١١) جَهَالَةً بِنَفْسِهِ .

يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ ، مَا جَرَّأَكَ عَلَىٰ ذَنْبِكَ ، وَمَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ، وَمَا أَنَّسَكَ بِهَلَكَةِ نَفْسِكَ ؟ أَمَا مِنْ دَائِكَ بُلُولٌ(٣١١٢) ، أَمْ لَيْسَ مِنْ نَوْمَتِكَ

يَقظَةٌ؟ أَمَا تَرْحَمُ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَرْحَمُ مِنْ غَيْرِكَ؟ فَلَرُبَّمَا تَرَىٰ الضَّاحِيَ(٣١١٣) مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ فَتُظِلُّهُ، أَوْ تَرَىٰ ٱلْمُبْتَلَىٰ بِأَلَمٍ يُمِضُّ جَسَدَهُ(٣١١٤) فَتَبْكِي رَحْمَةً لَهُ! فَمَا صَبَّرَكَ عَلَىٰ دَائِكَ، وَجَلَّدَكَ عَلَىٰ مُصَابِكَ، وَعَزَّاكَ عَنِ ٱلْبُكَاءِ عَلَىٰ نَفْسِكَ وَهِيَ أَعَزُّ ٱلْأَنْفُسِ عَلَيْكَ! وَكَيْفَ لَا يُوقِظُكَ خَوْفُ بَيَاتِ نِقْمَةٍ(٣١١٥)، وَقَدْ تَوَرَّطْتَ بِمَعَاصِيهِ مَدَارِجَ سَطَوَاتِهِ! فَتَدَاوَ مِنْ دَاءِ ٱلْفَتْرَةِ فِي قَلْبِكَ بِعَزِيمَةٍ، وَمِنْ كَرَىٰ ٱلْغَفْلَةِ فِي نَاظِرِكَ بِيَقَظَةٍ، وَكُنْ لِلهِ مُطِيعاً، وَبِذِكْرِهِ آنِساً. وَتَمَثَّلْ(٣١١٧) فِي حَالِ تَوَلِّيكَ(٣١١٨) عَنْهُ إِقْبَالَهُ عَلَيْكَ، يَدْعُوكَ إِلَىٰ عَفْوِهِ، وَيَتَغَمَّدُكَ(٣١١٩) بِفَضْلِهِ، وَأَنْتَ مُتَوَلٍّ عَنْهُ إِلَىٰ غَيْرِهِ. فَتَعَالَىٰ مِنْ قَوِيٍّ مَا أَكْرَمَهُ! وَتَوَاضَعْتَ مِنْ ضَعِيفٍ مَا أَجْرَأَكَ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ! وَأَنْتَ فِي كَنَفِ سِتْرِهِ مُقِيمٌ، وَفِي سَعَةِ فَضْلِهِ مُتَقَلِّبٌ. فَلَمْ يَمْنَعْكَ فَضْلَهُ، وَلَمْ يَهْتِكْ عَنْكَ سِتْرَهُ، بَلْ لَمْ تَخْلُ مِنْ لُطْفِهِ مَطْرِفَ عَيْنٍ(٣١٢٠) فِي نِعْمَةٍ يُحْدِثُهَا لَكَ، أَوْ سَيِّئَةٍ يَسْتُرُهَا عَلَيْكَ، أَوْ بَلِيَّةٍ يَصْرِفُهَا عَنْكَ. فَمَا ظَنُّكَ بِهِ لَوْ أَطَعْتَهُ! وَٱيْمُ ٱللهِ لَوْ أَنَّ هٰذِهِ الصِّفَةَ كَانَتْ فِي مُتَّفِقَيْنِ فِي ٱلْقُوَّةِ، مُتَوَازِيَيْنِ فِي ٱلْقُدْرَةِ، لَكُنْتَ أَوَّلَ حَاكِمٍ عَلَىٰ نَفْسِكَ بِذَمِيمِ ٱلْأَخْلَاقِ، وَمَسَاوِىءِ ٱلْأَعْمَالِ. وَحَقّاً أَقُولُ! مَا الدُّنْيَا غَرَّتْكَ، وَلٰكِنْ بِهَا ٱغْتَرَرْتَ، وَلَقَدْ كَاشَفَتْكَ ٱلْعِظَاتِ(٣١٢١)، وَآذَنَتْكَ(٣١٢٢) عَلَىٰ سَوَاءٍ.

وَلَهِيَ بِمَا تَعِدُكَ مِنْ نُزُولِ ٱلْبَلَاءِ بِجِسْمِكَ ، وَالنَّقْصِ فِي قُوَّتِكَ ، أَصْدَقُ وَأَوْفَى مِنْ أَنْ تَكْذِبَكَ ، أَوْ تَغُرَّكَ. وَلَرُبَّ نَاصِحٍ لَهَا عِنْدَكَ مُتَّهَمٌ(٣١٢٣) ، وَصَادِقٍ مِنْ خَبَرِهَا مُكَذَّبٌ . وَلَئِنْ تَعَرَّفْتَهَا(٣١٢٤) فِي الدِّيَارِ ٱلْخَاوِيَةِ ، وَالرُّبُوعِ ٱلْخَالِيَةِ ، لَتَجِدَنَّهَا مِنْ حُسْنِ تَذْكِيرِكَ ، وَبَلَاغِ مَوْعِظَتِكَ ، بِمَحَلَّةِ الشَّفِيقِ عَلَيْكَ ، وَالشَّحِيحِ(٣١٢٥) بِكَ ! وَلَنِعْمَ دَارُ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِهَا دَاراً ، وَمَحَلُّ مَنْ لَمْ يُوَطِّنْهَا(٣١٢٦) مَحَلاً ! وَإِنَّ السُّعَدَاءَ بِالدُّنْيَا غَداً هُمُ ٱلْهَارِبُونَ مِنْهَا ٱلْيَوْمَ .

إِذَا رَجَفَتِ الرَّاجِفَةُ(٣١٢٧) ، وَحَقَّتْ(٣١٢٨) بِجَلَائِلِهَا ٱلْقِيَامَةُ ، وَلَحِقَ بِكُلِّ مَنْسَكٍ(٣١٢٩) أَهْلُهُ ، وَبِكُلِّ مَعْبُودٍ عَبَدَتُهُ ، وَبِكُلِّ مُطَاعٍ أَهْلُ طَاعَتِهِ ، فَلَمْ يُجْزَ(٣١٣٠) فِي عَدْلِهِ وَقِسْطِهِ يَوْمَئِذٍ خَرْقُ بَصَرٍ فِي ٱلْهَوَاءِ ، وَلَا هَمْسُ قَدَمٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِحَقِّهِ ، فَكَمْ حُجَّةٍ يَوْمَ ذَاكَ دَاحِضَةٌ ، وَعَلَائِقِ عُذْرٍ مُنْقَطِعَةٌ !

فَتَحَرَّ(٣١٣١) مِنْ أَمْرِكَ مَا يَقُومُ بِهِ عُذْرُكَ ، وَتَثْبُتُ بِهِ حُجَّتُكَ ، وَخُذْ مَا يَبْقَى لَكَ مِمَّا لَا تَبْقَى لَهُ ؛ وَتَيَسَّرْ(٣١٣٢) لِسَفَرِكَ ؛ وَشِمْ(٣١٣٣) بَرْقَ النَّجَاةِ ؛ وَارْحَلْ(٣١٣٤) مَطَايَا التَّشْمِيرِ .

٢٢٤ ــ وَمِن كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

يتبرأ من الظلم

وَاللهِ لَأَنْ أَبِيتَ عَلَىٰ حَسَكِ السَّعْدَانِ (٣١٣٥) مُسَهَّداً (٣١٣٦) ، أَوْ أُجَرَّ فِي ٱلْأَغْلاَلِ مُصَفَّداً ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَىٰ ٱللهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ظَالِماً لِبَعْضِ ٱلْعِبَادِ ، وَغَاصِباً لِشَيْءٍ مِنَ ٱلْحُطَامِ ، وَكَيْفَ أَظْلِمُ أَحَداً لِنَفْسٍ يُسْرِعُ إِلَى ٱلْبِلَىٰ قُفُولُهَا (٣١٣٧) ، وَيَطُولُ فِي الثَّرَى (٣١٣٨) حُلُولُهَا ؟!

وَٱللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلاً وَقَدْ أَمْلَقَ (٣١٣٩) حَتَّىٰ ٱسْتَمَاحَنِي (٣١٤٠) مِنْ بُرِّكُمْ (٣١٤١) صَاعاً ، وَرَأَيْتُ صِبْيَانَهُ شُعْثَ (٣١٤٢) الشُّعُورِ ، غُبْرَ (٣١٤٣) ٱلْأَلْوَانِ ، مِنْ فَقْرِهِمْ ، كَأَنَّمَا سُوِّدَتْ وُجُوهُهُمْ بِٱلْعِظْلِمِ (٣١٤٤) ، وَعَاوَدَنِي مُؤَكِّداً ، وَكَرَّرَ عَلَيَّ ٱلْقَوْلَ مُرَدِّداً ، فَأَصْغَيْتُ إِلَيْهِ سَمْعِي ، فَظَنَّ أَنِّي أَبِيعُهُ دِينِي ، وَأَتَّبِعُ قِيَادَهُ (٣١٤٥) مُفَارِقاً طَرِيقَتِي ، فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَةً ، ثُمَّ أَدْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا ، فَضَجَّ ضَجِيجَ ذِي دَنَفٍ (٣١٤٦) مِنْ أَلَمِهَا ، وَكَادَ أَنْ يَحْتَرِقَ مِنْ مِيسَمِهَا (٣١٤٧) ، فَقُلْتُ لَهُ : ثَكِلَتْكَ الثَّوَاكِلُ (٣١٤٨) ، يَا عَقِيلُ ! أَتَئِنُّ مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلَعِبِهِ ، وَتَجُرُّنِي إِلَىٰ نَارٍ سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِغَضَبِهِ ! أَتَئِنُّ مِنَ ٱلْأَذَىٰ وَلَا

أَئِنٌ مِنْ لَظًى[٣١٤٩] ؟! وَأَعْجَبُ مِنْ ذٰلِكَ طَارِقٌ طَرَقَنَا بِمَلْفُوفَةٍ[٣١٥٠] فِي وِعَائِهَا ، وَمَعْجُونَةٍ شَنِئْتُهَا[٣١٥١] ، كَأَنَّمَا عُجِنَتْ بِرِيقِ حَيَّةٍ أَوْ قَيْئِهَا ، فَقُلْتُ : أَصِلَةٌ[٣١٥٢] ، أَمْ زَكَاةٌ ، أَمْ صَدَقَةٌ ؟ فَذٰلِكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ! فَقَالَ : لَا ذَا وَلَا ذَاكَ ، وَلٰكِنَّهَا هَدِيَّةٌ . فَقُلْتُ : هَبِلَتْكَ ٱلْهَبُولُ[٣١٥٣] ! أَعَنْ دِينِ ٱللهِ أَتَيْتَنِي لِتَخْدَعَنِي ؟ أَمُخْتَبِطٌ[٣١٥٤] أَنْتَ أَمْ ذُو جِنَّةٍ[٣١٥٥] ، أَمْ تَهْجُرُ[٣١٥٦] ؟ وَٱللهِ لَوْ أُعْطِيتُ ٱلْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلَاكِهَا ، عَلَىٰ أَنْ أَعْصِيَ ٱللهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جُلْبَ[٣١٥٧] شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُهُ ، وَإِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لَأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمِ جَرَادَةٍ تَقْضَمُهَا[٣١٥٨] . مَا لِعَلِيٍّ وَلِنَعِيمٍ يَفْنَىٰ ، وَلَذَّةٍ لَا تَبْقَىٰ ! نَعُوذُ بِٱللهِ مِنْ سُبَاتِ[٣١٥٩] ٱلْعَقْلِ ، وَقُبْحِ الزَّلَلِ . وَبِهِ نَسْتَعِينُ .

٢٢٥ — وَمِنْ دُعَاءٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يلتجيء إلى الله أن يغنيه

ٱللَّهُمَّ صُنْ وَجْهِي[٣١٦٠] بِٱلْيَسَارِ[٣١٦١] ، وَلَا تَبْذُلْ جَاهِي[٣١٦٢] بِٱلْإِقْتَارِ[٣١٦٣] ، فَأَسْتَرْزِقَ طَالِبِي رِزْقِكَ ، وَأَسْتَعْطِفَ شِرَارَ خَلْقِكَ ، وَأُبْتَلَىٰ بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِي ، وَأُفْتَتَنَ بِذَمِّ مَنْ مَنَعَنِي ، وَأَنْتَ مِنْ وَرَاءِ ذٰلِكَ كُلِّهِ وَلِيُّ ٱلْإِعْطَاءِ وَٱلْمَنْعِ ؛ «إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» .

٢٢٦ — ومن خطبة له عليه السلام

في التنفير من الدنيا

دَارٌ بِالْبَلاَءِ مَحْفُوفَةٌ ، وَبِالْغَدْرِ مَعْرُوفَةٌ ، لاَ تَدُومُ أَحْوَالُهَا ، وَلاَ يَسْلَمُ نُزَّالُهَا(٣١٦٤) .

أَحْوَالٌ مُخْتَلِفَةٌ ، وَتَارَاتٌ مُتَصَرِّفَةٌ(٣١٦٥) ، الْعَيْشُ فِيهَا مَذْمُومٌ ، وَالْأَمَانُ مِنْهَا مَعْدُومٌ ، وَإِنَّمَا أَهْلُهَا فِيهَا أَغْرَاضٌ مُسْتَهْدَفَةٌ(٣١٦٦) ، تَرْمِيهِمْ بِسِهَامِهَا ، وَتُفْنِيهِمْ بِحِمَامِهَا(٣١٦٧)

وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللهِ أَنَّكُمْ وَمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ هٰذِهِ الدُّنْيَا عَلَىٰ سَبِيلِ مَنْ قَدْ مَضَىٰ قَبْلَكُمْ ، مِمَّنْ كَانَ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَاراً ، وَأَعْمَرَ دِيَاراً ، وَأَبْعَدَ آثَاراً(٣١٦٨) ؛ أَصْبَحَتْ أَصْوَاتُهُمْ هَامِدَةً ، وَرِيَاحُهُمْ رَاكِدَةً(٣١٦٩) ، وَأَجْسَادُهُمْ بَالِيَةً ، وَدِيَارُهُمْ خَالِيَةً ، وَآثَارُهُمْ عَافِيَةً(٣١٧٠) . فَاسْتَبْدَلُوا بِالْقُصُورِ الْمُشَيَّدَةِ ، وَالنَّمَارِقِ(٣١٧١) الْمُمَهَّدَةِ(٣١٧٢) ، الصُّخُورَ وَالْأَحْجَارَ الْمُسَنَّدَةَ ، وَالْقُبُورَ اللاَّطِئَةَ(٣١٧٣) الْمُلْحَدَةَ(٣١٧٤) ، الَّتِي قَدْ بُنِيَ عَلَى الْخَرَابِ فِنَاؤُهَا(٣١٧٥) ، وَشُيِّدَ بِالتُّرَابِ بِنَاؤُهَا ؛ فَمَحَلُّهَا مُقْتَرِبٌ ، وَسَاكِنُهَا مُغْتَرِبٌ ، بَيْنَ أَهْلِ مَحَلَّةٍ مُوحِشِينَ ، وَأَهْلِ فَرَاغٍ مُتَشَاغِلِينَ ، لاَ يَسْتَأْنِسُونَ بِالْأَوْطَانِ ، وَلاَ يَتَوَاصَلُونَ تَوَاصُلَ الْجِيرَانِ ، عَلَىٰ مَا بَيْنَهُمْ

مِنْ قُرْبِ ٱلْجِوَارِ ، وَدُنُوِّ الدَّارِ . وَكَيْفَ يَكُونُ بَيْنَهُمْ تَزَاوُرٌ ، وَقَدْ طَحَنَهُمْ بِكَلْكَلِهِ[٣١٧٦] ٱلْبِلَى[٣١٧٧] ، وَأَكَلَتْهُمُ ٱلْجَنَادِلُ[٣١٧٨] وَالثَّرَى[٣١٧٩] !

وَكَأَنْ قَدْ صِرْتُمْ إِلَىٰ مَا صَارُوا إِلَيْهِ ، وَٱرْتَهَنَكُمْ ذٰلِكَ ٱلْمَضْجَعُ[٣١٨٠] ، وَضَمَّكُمْ ذٰلِكَ ٱلْمُسْتَوْدَعُ . فَكَيْفَ بِكُمْ لَوْ تَنَاهَتْ[٣١٨١] بِكُمُ ٱلْأُمُورُ ، وَبُعْثِرَتِ ٱلْقُبُورُ[٣١٨٢] : «هُنَالِكَ تَبْلُو[٣١٨٣] كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ ، وَرُدُّوا إِلَىٰ ٱللهِ مَوْلَاهُمُ ٱلْحَقِّ ، وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ» .

٢٢٧ — وَمِنْ دُعَاءٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يلجأ فيه إلى الله ليهديه إلى الرشاد

ٱللَّهُمَّ إِنَّكَ آنَسُ[٣١٨٤] ٱلْآنِسِينَ لِأَوْلِيَائِكَ ، وَأَحْضَرُهُمْ بِٱلْكِفَايَةِ لِلْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْكَ . تُشَاهِدُهُمْ فِي سَرَائِرِهِمْ ، وَتَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ فِي ضَمَائِرِهِمْ ، وَتَعْلَمُ مَبْلَغَ بَصَائِرِهِمْ . فَأَسْرَارُهُمْ لَكَ مَكْشُوفَةٌ ، وَقُلُوبُهُمْ إِلَيْكَ مَلْهُوفَةٌ[٣١٨٥] . إِنْ أَوْحَشَتْهُمُ ٱلْغُرْبَةُ آنَسَهُمْ ذِكْرُكَ ، وَإِنْ صُبَّتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَصَائِبُ لَجَؤُوا إِلَىٰ ٱلِاسْتِجَارَةِ بِكَ ، عِلْماً بِأَنَّ أَزِمَّةَ ٱلْأُمُورِ بِيَدِكَ ، وَمَصَادِرَهَا عَنْ قَضَائِكَ .

ٱللَّهُمَّ إِنْ فَهِهْتُ[٣١٨٦] عَنْ مَسْأَلَتِي ، أَوْ عَمِيتُ عَنْ طِلْبَتِي[٣١٨٧] ، فَدُلَّنِي عَلَىٰ مَصَالِحِي ، وَخُذْ بِقَلْبِي إِلَىٰ مَرَاشِدِي[٣١٨٨] ، فَلَيْسَ ذٰلِكَ

بِنُكْرٍ(٣١٨٩) مِنْ هِدَايَاتِكَ ، وَلَا بِبِدْعٍ(٣١٩٠) مِنْ كِفَايَاتِكَ .
اَللَّهُمَّ احْمِلْنِي عَلَىٰ عَفْوِكَ ، وَلَا تَحْمِلْنِي عَلَىٰ عَدْلِكَ .

٢٢٨ — وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يريد به بعض أصحابه

لِلّٰهِ بَلَاءُ فُلَانٍ(٣١٩١) ، فَلَقَدْ قَوَّمَ(٣١٩٢) الْأَوَدَ ، وَدَاوَى الْعَمَدَ(٣١٩٣) ، وَأَقَامَ السُّنَّةَ ، وَخَلَّفَ(٣١٩٤) الْفِتْنَةَ ! ذَهَبَ نَقِيَّ الثَّوْبِ ، قَلِيلَ الْعَيْبِ . أَصَابَ خَيْرَهَا ، وَسَبَقَ شَرَّهَا . أَدَّىٰ إِلَى اللّٰهِ طَاعَتَهُ ، وَاتَّقَاهُ بِحَقِّهِ . رَحَلَ وَتَرَكَهُمْ فِي طُرُقٍ مُتَشَعِّبَةٍ(٣١٩٥) ، لَا يَهْتَدِي بِهَا الضَّالُّ ، وَلَا يَسْتَيْقِنُ الْمُهْتَدِي .

٢٢٩ — وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في وصف بيعته بالخلافة

قال الشريف : وقد تقدم مثله بألفاظ مختلفة .

وَبَسَطْتُمْ يَدِي فَكَفَفْتُهَا ، وَمَدَدْتُمُوهَا فَقَبَضْتُهَا ، ثُمَّ تَدَاكَكْتُمْ عَلَيَّ(٣١٩٦) تَدَاكَّ الْإِبِلِ الْهِيمِ(٣١٩٧) عَلَىٰ حِيَاضِهَا يَوْمَ وِرْدِهَا ، حَتَّى انْقَطَعَتِ النَّعْلُ ، وَسَقَطَ الرِّدَاءُ ، وَوُطِئَ الضَّعِيفُ ، وَبَلَغَ مِنْ سُرُورِ النَّاسِ

بِبَيْعَتِهِمْ إِيَّايَ أَنِ ٱبْتَهَجَ بِهَا ٱلصَّغِيرُ ، وَهَدَجَ[٣١٩٨] إِلَيْهَا ٱلْكَبِيرُ ، وَتَحَامَلَ نَحْوَهَا ٱلْعَلِيلُ ، وَحَسَرَتْ[٣١٩٩] إِلَيْهَا ٱلْكِعَابُ[٣٢٠٠] .

٢٣٠ ومن خطبة له عليه السلام

في مقاصد أخرى

فَإِنَّ تَقْوَى ٱللهِ مِفْتَاحُ سَدَادٍ ، وَذَخِيرَةُ مَعَادٍ ، وَعِتْقٌ مِنْ كُلِّ مَلَكَةٍ[٣٢٠١] ، وَنَجَاةٌ مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ[٣٢٠٢] . بِهَا يَنْجَحُ ٱلطَّالِبُ ، وَيَنْجُو ٱلْهَارِبُ ، وَتُنَالُ ٱلرَّغَائِبُ .

فضل العمل

فَٱعْمَلُوا وَٱلْعَمَلُ يُرْفَعُ ، وَٱلتَّوْبَةُ تَنْفَعُ ، وَٱلدُّعَاءُ يُسْمَعُ ، وَٱلْحَالُ هَادِئَةٌ ، وَٱلْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ . وَبَادِرُوا[٣٢٠٣] بِٱلْأَعْمَالِ عُمُراً نَاكِساً[٣٢٠٤] ، أَوْ مَرَضاً حَابِساً[٣٢٠٥] ، أَوْ مَوْتاً خَالِساً[٣٢٠٦] . فَإِنَّ ٱلْمَوْتَ هَادِمُ لَذَّاتِكُمْ ، وَمُكَدِّرُ شَهَوَاتِكُمْ ، وَمُبَاعِدُ طِيَّاتِكُمْ[٣٢٠٧] . زَائِرٌ غَيْرُ مَحْبُوبٍ ، وَقِرْنٌ[٣٢٠٨] غَيْرُ مَغْلُوبٍ ، وَوَاتِرٌ[٣٢٠٩] غَيْرُ مَطْلُوبٍ . قَدْ أَعْلَقَتْكُمْ حَبَائِلُهُ[٣٢١٠] ، وَتَكَنَّفَتْكُمْ[٣٢١١] غَوَائِلُهُ[٣٢١٢] ، وَأَقْصَدَتْكُمْ[٣٢١٣] مَعَابِلُهُ[٣٢١٤] وَعَظُمَتْ فِيكُمْ سَطْوَتُهُ ، وَتَتَابَعَتْ عَلَيْكُمْ عَدْوَتُهُ[٣٢١٥] ،

وَقَلَّتْ عَنْكُمْ نَبْوَتُهُ[٣٢١٦]، فَيُوشِكُ[٣٢١٧] أَنْ تَغْشَاكُمْ[٣٢١٨] دَوَاجِي[٣٢١٩] ظُلَلِهِ[٣٢٢٠] وَٱحْتِدَامُ[٣٢٢١] عِلَلِهِ، وَحَنَادِسُ[٣٢٢٢] غَمَرَاتِهِ[٣٢٢٣]، وَغَوَاشِي سَكَرَاتِهِ، وَأَلِيمُ إِرْهَاقِهِ[٣٢٢٤]، وَدُجُوُّ[٣٢٢٥] أَطْبَاقِهِ[٣٢٢٦]، وَجُشُوبَةُ[٣٢٢٧] مَذَاقِهِ. فَكَأَنْ قَدْ أَتَاكُمْ بَغْتَةً فَأَسْكَتَ نَجِيَّكُمْ[٣٢٢٨]، وَفَرَّقَ نَدِيَّكُمْ[٣٢٢٩]، وَعَفَّى آثَارَكُمْ[٣٢٣٠]، وَعَطَّلَ دِيَارَكُمْ، وَبَعَثَ وُرَّاثَكُمْ، يَقْتَسِمُونَ تُرَاثَكُمْ[٣٢٣١]، بَيْنَ حَمِيمٍ[٣٢٣٢] خَاصٍّ لَمْ يَنْفَعْ، وَقَرِيبٍ مَحْزُونٍ لَمْ يَمْنَعْ، وَآخَرَ شَامِتٍ لَمْ يَجْزَعْ.

فضل الجد

فَعَلَيْكُمْ بِٱلْجِدِّ وَٱلِاجْتِهَادِ، وَٱلتَّأَهُّبِ وَٱلِاسْتِعْدَادِ، وَٱلتَّزَوُّدِ فِي مَنْزِلِ الزَّادِ. وَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَاةُ الدُّنْيَا كَمَا غَرَّتْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ ٱلْأُمَمِ ٱلْمَاضِيَةِ، وَٱلْقُرُونِ ٱلْخَالِيَةِ، ٱلَّذِينَ ٱحْتَلَبُوا دِرَّتَهَا[٣٢٣٣]: وَأَصَابُوا غِرَّتَهَا[٣٢٣٤]، وَأَفْنَوْا عِدَّتَهَا، وَأَخْلَقُوا جِدَّتَهَا[٣٢٣٥]. وَأَصْبَحَتْ مَسَاكِنُهُمْ أَجْدَاثاً[٣٢٣٦]، وَأَمْوَالُهُمْ مِيرَاثاً. لَا يَعْرِفُونَ مَنْ أَتَاهُمْ. وَلَا يَحْفِلُونَ مَنْ بَكَاهُمْ[٣٢٣٧]، وَلَا يُجِيبُونَ مَنْ دَعَاهُمْ. فَٱحْذَرُوا الدُّنْيَا فَإِنَّهَا غَدَّارَةٌ غَرَّارَةٌ خَدُوعٌ، مُعْطِيَةٌ مَنُوعٌ. مُلْبِسَةٌ نَزُوعٌ[٣٢٣٨]. لَا يَدُومُ رَخَاؤُهَا، وَلَا يَنْقَضِي عَنَاؤُهَا، وَلَا يَرْكُدُ[٣٢٣٩] بَلَاؤُهَا.

ومنها في صفة الزهاد: كَانُوا قَوْماً مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَلَيْسُوا مِنْ أَهْلِهَا، فَكَانُوا فِيهَا كَمَنْ لَيْسَ مِنْهَا، عَمِلُوا فِيهَا بِمَا يُبْصِرُونَ، وَبَادَرُوا[٣٢٤٠] فِيهَا مَا يَحْذَرُونَ، تَقَلَّبُ أَبْدَانُهُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ أَهْلِ ٱلْآخِرَةِ[٣٢٤١]، وَيَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُعَظِّمُونَ مَوْتَ أَجْسَادِهِمْ وَهُمْ أَشَدُّ إِعْظَاماً لِمَوْتِ قُلُوبِ أَحْيَائِهِمْ.

٢٣١ — ومن خطبة له عليه السلام

خطبها بذي قار، وهو متوجه إلى البصرة، ذكرها الواقدي في كتاب «الجمل»:

فَصَدَعَ[٣٢٤٢] بِمَا أُمِرَ بِهِ. وَبَلَّغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ، فَلَمَّ ٱللَّهُ بِهِ الصَّدْعَ[٣٢٤٣]. وَرَتَقَ بِهِ ٱلْفَتْقَ[٣٢٤٤]، وَأَلَّفَ بِهِ الشَّمْلَ بَيْنَ ذَوِي ٱلْأَرْحَامِ. بَعْدَ ٱلْعَدَاوَةِ ٱلْوَاغِرَةِ[٣٢٤٥] فِي الصُّدُورِ، وَالضَّغَائِنِ ٱلْقَادِحَةِ[٣٢٤٦] فِي ٱلْقُلُوبِ.

٢٣٢ — ومن كلام له عليه السلام

كلم به عبدالله بن زمعة، وهو من شيعته، وذلك أنه قدم عليه في خلافته يطلب منه مالاً، فقال عليه السلام:

إِنَّ هٰذَا ٱلْمَالَ لَيْسَ لِي وَلَا لَكَ، وَإِنَّمَا هُوَ فَيْءٌ لِلْمُسْلِمِينَ[٣٢٤٧]، وَجَلْبُ أَسْيَافِهِمْ[٣٢٤٨]، فَإِنْ شَرِكْتَهُمْ[٣٢٤٩] فِي حَرْبِهِمْ، كَانَ لَكَ

مِثْلُ حَظِّهِمْ ، وَإِلَّا فَجَنَاةُ[٣٢٥٠] أَيْدِيهِمْ لَا تَكُونُ لِغَيْرِ أَفْوَاهِهِمْ .

٢٣٣ — وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بعد أن أقدم أحدهم على الكلام فحصر ، وهو في فضل أهل البيت ، ووصف فساد الزمان

أَلَا وَإِنَّ اللِّسَانَ بَضْعَةٌ[٣٢٥١] مِنَ ٱلْإِنْسَانِ ، فَلَا يُسْعِدُهُ ٱلْقَوْلُ إِذَا ٱمْتَنَعَ ، وَلَا يُمْهِلُهُ النُّطْقُ إِذَا ٱتَّسَعَ . وَإِنَّا لَأُمَرَاءُ ٱلْكَلَامِ ، وَفِينَا تَنَشَّبَتْ[٣٢٥٢] عُرُوقُهُ ، وَعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ[٣٢٥٣] غُصُونُهُ .

فساد الزمان

وَٱعْلَمُوا رَحِمَكُمُ ٱللهُ أَنَّكُمْ فِي زَمَانٍ ٱلْقَائِلُ فِيهِ بِٱلْحَقِّ قَلِيلٌ ، وَاللِّسَانُ عَنِ الصِّدْقِ كَلِيلٌ[٣٢٥٤] . وَاللَّازِمُ لِلْحَقِّ ذَلِيلٌ . أَهْلُهُ مُعْتَكِفُونَ عَلَى ٱلْعِصْيَانِ ، مُصْطَلِحُونَ عَلَى ٱلْإِدْهَانِ ، فَتَاهُمْ عَارِمٌ[٣٢٥٥] ، وَشَائِبُهُمْ آثِمٌ ، وَعَالِمُهُمْ مُنَافِقٌ ، وَقَارِنُهُمْ مُمَاذِقٌ[٣٢٥٦] . لَا يُعَظِّمُ صَغِيرُهُمْ كَبِيرَهُمْ . وَلَا يَعُولُ غَنِيُّهُمْ فَقِيرَهُمْ .

٢٣٤ — وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

روى ذعلب اليامي عن أحمد بن قتيبة ، عن عبد الله بن يزيد ، عن مالك بن دحية ، قال

كنا عند أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد ذكر عنده اختلاف الناس فقال :

إِنَّمَا فَرَّقَ بَيْنَهُمْ مَبَادِىءُ طِينِهِمْ(٣٢٥٧) ، وَذٰلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِلْقَةً(٣٢٥٨) مِنْ سَبَخِ(٣٢٥٩) أَرْضٍ وَعَذْبِهَا ، وَحَزْنِ تُرْبَةٍ وَسَهْلِهَا ، فَهُمْ عَلَىٰ حَسَبِ قُرْبِ أَرْضِهِمْ يَتَقَارَبُونَ ، وَعَلَىٰ قَدْرِ ٱخْتِلَافِهَا يَتَفَاوَتُونَ ، فَتَامُّ الرُّوَاءِ(٣٢٦٠) نَاقِصُ ٱلْعَقْلِ ، وَمَادُّ ٱلْقَامَةِ(٣٢٦١) قَصِيرُ ٱلْهِمَّةِ ، وَزَاكِي ٱلْعَمَلِ قَبِيحُ ٱلْمَنْظَرِ ، وَقَرِيبُ ٱلْقَعْرِ(٣٢٦٢) بَعِيدُ السَّبْرِ ، وَمَعْرُوفُ الضَّرِيبَةِ(٣٢٦٣) مُنْكَرُ ٱلْجَلِيبَةِ(٣٢٦٤) ، وَتَائِهُ ٱلْقَلْبِ مُتَفَرِّقُ اللُّبِّ ، وَطَلِيقُ اللِّسَانِ حَدِيدُ ٱلْجَنَانِ .

٢٣٥ — ومن كلام له عليه السلام

قاله وهو يلي غسل رسول الله ، صلى الله عليه وآله ، وتجهيزه :

بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ ٱللهِ! لَقَدِ ٱنْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِكَ مِنَ النُّبُوَّةِ وَٱلْإِنْبَاءِ وَأَخْبَارِ السَّمَاءِ . خَصَّصْتَ حَتَّىٰ صِرْتَ مُسَلِّياً عَمَّنْ سِوَاكَ ، وَعَمَّمْتَ حَتَّىٰ صَارَ النَّاسُ فِيكَ سَوَاءً . وَلَوْلَا أَنَّكَ أَمَرْتَ بِالصَّبْرِ ، وَنَهَيْتَ عَنِ ٱلْجَزَعِ ، لَأَنْفَدْنَا(٣٢٦٥) عَلَيْكَ مَاءَ الشُّؤُونِ(٣٢٦٦) ، وَلَكَانَ الدَّاءُ مُمَاطِلاً(٣٢٦٧) ، وَٱلْكَمَدُ مُحَالِفاً(٣٢٦٨) ، وَقَلَّا لَكَ(٣٢٦٩) ! وَلٰكِنَّهُ مَا لَا يُمْلَكُ رَدُّهُ ، وَلَا يُسْتَطَاعُ دَفْعُهُ ! بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ! ٱذْكُرْنَا

عِنْدَ رَبِّكَ ، وَٱجْعَلْنَا مِنْ بَالِكَ !

٢٣٦ — ومن كلام له عليه السلام

اقتص فيه ذكر ما كان منه بعد هجرة النبي — صلى الله عليه وآله — ثم لحاقه به:

فَجَعَلْتُ أَتْبَعُ مَأْخَذَ رَسُولِ ٱللهِ — صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ — فَأَطَأُ ذِكْرَهُ ، حَتَّىٰ ٱنْتَهَيْتُ إِلَىٰ ٱلْعَرَجِ (٣٢٧٠) .

قال السيد الشريف رضي الله عنه في كلام طويل :

قوله عليه السلام: «فَأَطَأُ ذِكْرَهُ» ، من الكلام الذي رمى به إلى غايتي الإيجاز والفصاحة، أراد أني كنت أُعطَى خبره — صلى الله عليه وآله — من بدء خروجي إلى أن انتهيت إلى هذا الموضع ، فكنى عن ذلك بهذه الكناية العجيبة .

٢٣٧ — ومن خطبة له عليه السلام

في المسارعة إلى العمل

فَٱعْمَلُوا وَأَنْتُمْ فِي نَفَسِ ٱلْبَقَاءِ (٣٢٧١) ، وَٱلصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ (٣٢٧٢) ، وَٱلتَّوْبَةُ مَبْسُوطَةٌ (٣٢٧٣) ، وَٱلْمُدْبِرُ (٣٢٧٤) يُدْعَىٰ ، وَٱلْمُسِيءُ يُرْجَىٰ ، قَبْلَ أَنْ يَخْمُدَ ٱلْعَمَلُ (٣٢٧٥) ، وَيَنْقَطِعَ ٱلْمَهَلُ ، وَيَنْقَضِيَ ٱلْأَجَلُ ، وَيُسَدَّ بَابُ ٱلتَّوْبَةِ ، وَتَصْعَدَ ٱلْمَلَائِكَةُ (٣٢٧٦) .

فَأَخَذَ ٱمْرُؤٌ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ ، وَأَخَذَ مِنْ حَيٍّ لِمَيِّتٍ ، وَمِنْ فَانٍ لِبَاقٍ ،

وَمِنْ ذَاهِبٍ لِدَائِمٍ . ٱمْرُؤٌ خَافَ ٱللهَ وَهُوَ مُعَمَّرٌ إِلَىٰ أَجَلِهِ ، وَمَنْظُورٌ[٣٢٧٧] إِلَىٰ عَمَلِهِ . ٱمْرُؤٌ أَلْجَمَ نَفْسَهُ بِلِجَامِهَا ، وَزَمَّهَا بِزِمَامِهَا[٣٢٧٨] ، فَأَمْسَكَهَا بِلِجَامِهَا عَنْ مَعَاصِي ٱللهِ ، وَقَادَهَا بِزِمَامِهَا إِلَىٰ طَاعَةِ ٱللهِ .

٢٣٨ — وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

في شأن الحكمين وذم أهل الشام

جُفَاةٌ[٣٢٧٩] طَغَامٌ[٣٢٨٠] ، وَعَبِيدٌ أَقْزَامٌ[٣٢٨١] ، جُمِعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ ، وَتُلُقِّطُوا مِنْ كُلِّ شَوْبٍ[٣٢٨٢] ، مِمَّنْ يَنْبَغِي أَنْ يُفَقَّهَ وَيُؤَدَّبَ ، وَيُعَلَّمَ وَيُدَرَّبَ ، وَيُوَلَّىٰ عَلَيْهِ ، وَيُؤْخَذَ عَلَىٰ يَدَيْهِ . لَيْسُوا مِنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلْأَنْصَارِ ، وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ تَبَوَّؤُوا ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَانَ .

أَلَا وَإِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ أَقْرَبَ ٱلْقَوْمِ مِمَّا تُحِبُّونَ ، وَإِنَّكُمُ ٱخْتَرْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ أَقْرَبَ ٱلْقَوْمِ مِمَّا تَكْرَهُونَ . وَإِنَّمَا عَهْدُكُمْ بِعَبْدِ ٱللهِ ٱبْنِ قَيْسٍ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُ : « إِنَّهَا فِتْنَةٌ ، فَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ[٣٢٨٣] ، وَشِيمُوا[٣٢٨٤] سُيُوفَكُمْ » . فَإِنْ كَانَ صَادِقاً فَقَدْ أَخْطَأَ بِمَسِيرِهِ غَيْرَ مُسْتَكْرَهٍ ، وَإِنْ كَانَ كَاذِباً فَقَدْ لَزِمَتْهُ ٱلتُّهَمَةُ . فَٱدْفَعُوا فِي صَدْرِ عَمْرِو بْنِ ٱلْعَاصِ بِعَبْدِ ٱللهِ بْنِ ٱلْعَبَّاسِ ، وَخُذُوا مَهَلَ ٱلْأَيَّامِ ، وَحُوطُوا قَوَاصِيَ ٱلْإِسْلَامِ . أَلَا تَرَوْنَ إِلَىٰ بِلَادِكُمْ تُغْزَىٰ ، وَإِلَىٰ صَفَاتِكُمْ تُرْمَىٰ ؟

٢٣٩ – ومن خطبة له عليه السلام

يذكر فيها آل محمد – صلى الله عليه وآله –

هُمْ عَيْشُ ٱلْعِلْمِ ، وَمَوْتُ ٱلْجَهْلِ . يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ ، وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ حِكَمِ مَنْطِقِهِمْ . لَا يُخَالِفُونَ ٱلْحَقَّ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ . وَهُمْ دَعَائِمُ ٱلْإِسْلَامِ ، وَوَلَائِجُ(٣٢٨٥) ٱلِاعْتِصَامِ . بِهِمْ عَادَ ٱلْحَقُّ إِلَىٰ نِصَابِهِ(٣٢٨٦) ، وَٱنْزَاحَ ٱلْبَاطِلُ(٣٢٨٧) عَنْ مُقَامِهِ ، وَٱنْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنْبِتِهِ(٣٢٨٨) . عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلَ وِعَايَةٍ وَرِعَايَةٍ(٣٢٨٩) ، لَا عَقْلَ سَمَاعٍ وَرِوَايَةٍ . فَإِنَّ رُوَاةَ ٱلْعِلْمِ كَثِيرٌ ، وَرُعَاتَهُ قَلِيلٌ .

٢٤٠ – ومن كلام له عليه السلام

قاله لعبد الله بن العباس ؛ وقد جاءه برسالة من عثمان ، وهو محصور يسأله فيها الخروج إلى ماله بينبُع ، ليقلّ هتف(٣٢٩٠) الناس باسمه للخلافة ، بعد أن كان سأله مثل ذلك من قبل ، فقال عليه السلام :

يَا بْنَ عَبَّاسٍ ، مَا يُرِيدُ عُثْمَانُ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَنِي جَمَلًا نَاضِحاً بِٱلْغَرْبِ(٣٢٩١) : أَقْبِلْ وَأَدْبِرْ ! بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَقْدُمَ ، ثُمَّ هُوَ ٱلْآنَ يَبْعَثُ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ ! وَٱللهِ لَقَدْ دَفَعْتُ عَنْهُ حَتَّىٰ

خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ آثِماً .

٢٤١ — ومن كلام له عليه السلام

يحث به أصحابه على الجهاد

وَٱللهُ مُسْتَأْدِيكُم(٣٢٩٢) شُكْرَهُ وَمُوَرِّثُكُمْ أَمْرَهُ ، وَمُمْهِلُكُم(٣٢٩٣) في مِضْمَارٍ(٣٢٩٤) مَحْدُودٍ ، لِتَتَنَازَعُوا سَبَقَهُ(٣٢٩٥) ، فَشُدُّوا عُقَدَ ٱلْمَآزِرِ(٣٢٩٦) ، وَٱطْوُوا فُضُولَ ٱلْخَوَاصِرِ(٣٢٩٧) ، وَلَا تَجْتَمِعُ عَزِيمَةٌ وَوَلِيمَةٌ(٣٢٩٨) . مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ ٱلْيَوْمِ ، وَأَمْحَى الظُّلَمَ(٣٢٩٩) لِتَذَاكِيرِ ٱلْهِمَمِ !

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي ، وعلى آله مصابيح الدجى والعروة الوثقى ، وسلم تسليماً كثيراً .

فهرس الألفاظ الغريبة المشروحة
حسب تعاقب أرقامها في متن الخطب

خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ آثِماً

يحث به أصحابه على الجهاد

وَاللهُ مُسْتَأْدِيكُمْ[٣٣٦٢] شُكْرَهُ، وَمُوَرِّثُكُمْ أَمْرَهُ، وَمُمْهِلُكُمْ[٣٣٦٣] فِي مِضْمَارٍ[٣٣٦٤] مَحْدُودٍ، لِتَتَنَازَعُوا سَبَقَهُ[٣٣٦٥]؛ فَشُدُّوا عُقَدَ الْمَآزِرِ[٣٣٦٦]، وَاطْوُوا فُضُولَ الْخَوَاصِرِ[٣٣٦٧]، وَلَا تَجْتَمِعُ عَزِيمَةٌ وَوَلِيمَةٌ[٣٣٦٨]. مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ الْيَوْمِ، وَأَمْحَى الظُّلَمَ[٣٣٦٩] لِتَذَاكِيرِ الْهِمَمِ!

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله مصابيح الدجى والعروة الوثقى، وسلم تسليماً كثيراً.

(١٧٠٩) أثوياء : جمع ثَوِيّ - كَغَنِيّ -: وهو الضيف .

(١٧١٠) الدائب : المداوم في العمل .

(١٧١١) الكادح : الساعي لنفسه بجهد ومشقة . والمراد : من يقصر سعيه على جمع حطام الدنيا .

(١٧١٢) أمكنت الفريسة : أي سهلت وتيسرت .

(١٧١٣) الحُثالة - بالضم - الرديء من كل شيء . والمراد قَزَم الناس وصغراء النفوس .

(١٧١٤) الرَّبَذة : بالتحريك ، موضع على قرب من المدينة المنورة فيه قبر أبي ذرّ الغفاري رضي الله عنه ، والذي أخرجه اليه عثمان بن عفان .

(١٧١٥) قرضت منها : قطعت منها جزءاً واختصصت به نفسك .

(١٧١٦) أظأركم : أعطفكم .

(١٧١٧) السَرار - كسَحاب - وتكسر أيضاً ، في الأصل : آخر ليلة من الشهر . والمراد الظُلْمة .

(١٧١٨) النَّهْمة - بفتح النون وسكون الهاء - إفراط الشهوة والمبالغة في الحرص .

(١٧١٩) الحائف - من الحيف - أي الجَوْر والظلم .

(١٧٢٠) **الدُوَل** : جمع دُولة بالضم : هي المال ، لأنه يُتَدَاول أي ينقل من يد ليد . والمراد من يحيف في قسم الأموال فيفضّل قوماً في العطاء على قوم بلا موجب للتفضيل .
(١٧٢١) **المقَاطع** : الحدود التي عينها الله لها.
(١٧٢٢) **الإبلاء** : الإحسان والانعام . والابتلاء : الامتحان .
(١٧٢٣) **بَعيثه** : مصطفاه ومبعوثه .
(١٧٢٤) « **الموت أسمعَ داعِيه** » : أي إن الداعي إلى الموت قد أسمع بصوته كلّ حيّ ، فلا حي إلا وهو يعلم أنه يموت .
(١٧٢٥) « **أعْجَلَ حادِيه** » : أي إن الحادي قد أعْجَلَ المدبّرين عن تدبيرهم ، وأخذهم قبل الاستعداد لرحيلهم .
(١٧٢٦) **بَرَزَ الرجل على أقرانه** : أي فاقهم . والمَهَل : التقدم في الخير ، أي فاق تقدمه إلى الخير على تقدم غيره .
(١٧٢٧) **اهْتَبَلَ الصيد** : طلبه . والضمير في « هَبَلَها » للتقوى لا للدنيا . أي : اغنموا خيرَ التقوى .
(١٧٢٨) **الوَفْز** ـ بتسكين الفاء وفتحها ـ العَجَلَة ، وجمعه أوْفاز ، أي كونوا منها على استعجال .
(١٧٢٩) **الظهور** : يراد بها هنا ظهور المطايا
(١٧٣٠) **الزّيال** : الفراق .
(١٧٣١) **مقاليدها**: جمع مِقْلاد، وهو المفتاح.
(١٧٣٢) **قَدَحَتْ** : اشتعلت .
(١٧٣٣) **الغِل** : الحقد ، والاصطلاح عليه: الاتفاق على تمكينه في النفوس.
(١٧٣٤) « **نَبَتَ المرعى على دِمَنِكم** » : تأكيد وتوضيح لمعنى الحقد . والدِّمَن ـ بكسر ففتح ـ جمع دِمْنَة بالكسر ، وهي الحقد القديم . ونَبْتُ المرعى عليه استتارُهُ بظواهر النفاق . وأصل الدِّمَن : السرقين وما يكون من أرواث الماشية وأبوالها . وسُمّيت بها الأحقاد لأنها أشبه شيء بها .
(١٧٣٥) **استهام** : أصله من هام على وجهه ، إذا خرج لا يدري أين يذهب .
(١٧٣٦) **الحَوْزَة** : ما يَحُوزُه المالك ويتولى حفظه . وإعزازُ حَوْزَة الدين : حمايتها من تغلّب أعدائه .
(١٧٣٧) **كانفة** : عاصمة يلجؤون اليها ، من « كنفه » إذا صانه وستره .
(١٧٣٨) **احفِزْ** : أمر من الحفز ، وهو الدفع والسَوْق الشديد .
(١٧٣٩) **أهل البَلاء** : أهل المهارة في الحرب مع الصدق في القصد والجراءة في الإقدام . والبَلاء : هو الإجادة في العمل وإحسانه .
(١٧٤٠) **الرِدْء** ـ بالكسر ـ الملجأ .
(١٧٤١) **المَثابة** : المرجع .

(١٧٤٢) **الأبتَر** : هو من لا عقِب له .

(١٧٤٣) **النوَى** : هاهنا بمعنى الدار .

(١٧٤٤) **الفلْتة** : الأمر يقع عن غير رويّة ولا تدبّر .

(١٧٤٥) **الخِزامة** - بالكسر - حلْقة من شعر تجعل في وترة أنف البعير ليشدّ فيها الزمام ويسهل قياده .

(١٧٤٦) **النّصْف** - بكسر النون - الإنصاف.

(١٧٤٧) **الطَّلِبة** : بفتح الطاء وكسر اللام - ما يطالب به من الثأر .

(١٧٤٨) المراد بالحَماً هنا مطلق القريب والنسيب ، وهو كناية عن الزبير ، فانه من قرابة النبي ابن عمته ، والحُمَة - بضم ففتح - أصلها الحية أو إبرة اللاسعة من الهوام .

(١٧٤٩) **أغدَفَت المرأة قناعها** : أرسلته على وجهها ، وأغدف الليل : أرخى سدوله . يعني : أن شبهة الطلب بدم عثمان شبهة ساترة للحق.

(١٧٥٠) **زاح يزيحُ زَيْحاً وزيَحاناً** : بَعُدَ وذهب ، كانزاح . والنصاب الأصل . أي : قد انقلع الباطل عن مَغْرِسه .

(١٧٥١) **الشّغَب** : - بالفتح - تهييج الشرّ

(١٧٥٢) **أفرطَ الحوضَ** : ملأه حتى فاض والمراد حوض المنية .

(١٧٥٣) **ماتِحهُ** : أي نازع مائه لأسقيهم.

(١٧٥٤) **عبّ** : شرب بلا تنفّس .

(١٧٥٥) **الحَسْيُ** : بفتح الحاء وتكسر - سهل من الأرض يستنقع فيه الماء .

(١٧٥٦) **العُوذ** : بضم العين ، جمع عائذة : وهي النّتاج من الظباء والإبل ، أو كل أنثى . والمطَافيل : جمع مُطْفِل - بضم الميم وكسر الفاء - ذات الطفل من الإنس والوحش .

(١٧٥٧) **التألّب** : الإفساد .

(١٧٥٨) **استَثَبْتُهُما** : من ثاب (بالثاء) إذا رجع ، أي استرجعتهما . وطلبت اليهما الرجوع للبيعة .

(١٧٥٩) **أمام الوِقاع** : -ككتاب - قبيل المواقعة بالحرب .

(١٧٦٠) **غمَطَ النعمة** : جَحدَها .

(١٧٦١) **النواجذ** : أقصى الأضراس أو الأنياب . وبُدُوّ النواجذ : كناية عن شدة الاحتدام .

(١٧٦٢) **الأخلاف** : جمع خِلْف بالكسر- وهو للناقة حلمة الضرع .

(١٧٦٣) **أفاليذ** : جمع أفْلاذ ، جمع فلذة : وهي القطعة من الذهب والفضة .

(١٧٦٤) **فحص** : بحث .

(١٧٦٥) **كُوفان** : الكوفة .

(١٧٦٦) **الضّروس** : الناقة السيئة الخُلُق تعضّ حالبها .

(١٧٦٧) **« فغَرَتْ فاغِرَتُهُ »** : انفتح فمه ، وأكّد الفعل بذكر الفاعل من لفظه .

(١٧٦٨) **ليشرّدنكم** : ليفرقنكم

(١٧٦٩) **عوازب أحلامها** : غائبات عقولها.

(١٧٧٠) **يُسَنّ** : يسهّل .

(١٧٧١) تُنْتَضى : تُسَلّ .
(١٧٧٢) المصنوع اليهم : الذين أنعم الله عليهم وأحسن صنعه اليهم بالسلامة من الآثام
(١٧٧٣) يُحيل : يتغير عن وجه الحق .
(١٧٧٤) الغارم : مَنْ عليه الديون .
(١٧٧٥) صَبرَ نفسه ـ بالتخفيف ـ حبَسها .
(١٧٧٦) تُظلكم : تعلو فوقكم .
(١٧٧٧) الزُلْفة : القُرْبة .
(١٧٧٨) السِّنون ـ جمع سَنَة ـ بمعنى الجدب والقحط
(١٧٧٩) المضايق الوَعْرة ـ بالتسكين ولا يجوز التحريك ـ الصعبة .
(١٧٨٠) أجاءته اليه : ألجأته .
(١٧٨١) المَقاحط : جمع مَقْحَطة ، وهي السنة المُمْحِلة .
(١٧٨٢) تلاحمت : اتصلت .
(١٧٨٣) الواجم : الذي قد اشتد حزنه حتى أمسكَ عن الكلام .
(١٧٨٤) الحَيا : الخِصْب والمطر .
(١٧٨٥) القِيعان : جمع قاع ، الأرض السهلة المطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام .
(١٧٨٦) البُطْنان : جمع بطن ، بمعنى ما انخفض من الأرض في ضيق .
(١٧٨٧) تستورق الأشجار : تخرج ورقها .
(١٧٨٨) كشفَ الخلْقَ : علم حالهم في جميع أطوارهم .
(١٧٨٩) بَواء : مصدر باء فلان بفلان : أي قُتِل به ، والعقاب : القصاص.
(١٧٩٠) الآجن : الماء المتغير اللون والطعم واستعاره الامام للذات الدنيا ، تشبيهاً بالماء الذي لا يسوغ شربه لتغير لونه وطعمه .
(١٧٩١) بَسِيء به ـ كفرح ـ ألِفَهُ واستأنس به.
(١٧٩٢) خلائقُهُ : ملكاته الراسخة في نفسه.
(١٧٩٣) لا يَحْفِل ـ كيضرب ـ لا يبالي .
(١٧٩٤) «ازْدَحَمُوا على الحُطام» : استعار لفظ الحُطام لمُقْتَنَيات الدنيا ، لسرعة فنائها وفسادها .
(١٧٩٥) تَنْتَضِل فيه : ترامى اليه .
(١٧٩٦) يَخْلَق : يَبْلَى .
(١٧٩٧) المَهْيَعْ ـ كالمقعد ـ الطريق الواضح
(١٧٩٨) عوازم الأمور : ما تقادَمَ منها ، وكانت عليه ناشئة الدين . من قولهم : « ناقة عَوْزَمٌ ـ كجعفر ـ» أي عجوز فيها بقية من شباب .
(١٧٩٩) القيِّم بالأمر : القائم به ، يريد الخليفة .
(١٨٠٠) النظام : السِّلْك ينظم فيه الخرز.
(١٨٠١) بحذافيره : أي بأصله ، والحذافير جمع حِذْفار ، وهو أعلى الشيء وناحيته .
(١٨٠٢) شَخَصَتْ : خرجت .
(١٨٠٣) « تجلى لهم سبحانه » : ظهر لهم من غير أن يرى بالبصر .
(١٨٠٤) المَثُلات ـ بفتح فضم ـ العقوبات .
(١٨٠٥) أنفَق منه : أروج منه .
(١٨٠٦) الزَبْر ـ بالفتح ـ الكتابة .

(١٨٠٧) مثّلوا : نكّلوا وشنّعوا ، والاسم منه المُثْلة بضم الميم .
(١٨٠٨) الفِرْية : بكسر الفاء ـ الكذب .
(١٨٠٩) الموعود : هنا الموت الذي لا يقبل فيه عذر ولا تفيد بعده توبة .
(١٨١٠) القارعة : الداهية المهلكة .
(١٨١١) البارِي : المُعافي من المرض .
(١٨١٢) السّقم : المرض والعلة .
(١٨١٣) لا يَمُتّان : لا يمدّان .
(١٨١٤) السبب : الحبل .
(١٨١٥) الضّبّ : بالفتح ويكسر : الحقد . والعرب تضرب المثل بالضبّ في العقوق .
(١٨١٦) المُحْتَسِبون : الذين يجاهرون حِسْبَةً لله .
(١٨١٧) اللّدْم : الضرب على الصدر والوجه عند النياحة .
(١٨١٨) مَسَاق النّفْس : هو ما تَسُوقها اليه أطوار الحياة حتى تُوافِيه .
(١٨١٩) أطْرِدَ : أمر بالإخراج والطّرْد .
(١٨٢٠) « خلاكم ذَمّ » : برئتم من الذمّ .
(١٨٢١) تَشرُدُوا ـ كتنصروا ـ أي تَنْفِروا وتميلوا عن الحق .
(١٨٢٢) « إن تَثْبُتِ الوَطْأةُ » : يريد بثبات الوطأة معافاته من جراحه .
(١٨٢٣) المَزَلّة : محلّ الزّلَل .
(١٨٢٤) دَحَضَتِ القدَمُ : زلّت وزلقت .
(١٨٢٥) الأفْياء : جمع فَيْء ـ وهو الظلّ ينسخ ضوء الشمس عن بعض الأمكنة .
(١٨٢٦) مُتَلَفّقَها : بفتح الفاء ، مجتَمَعُها أي ما اجتمع من الغيوم في الجو ، والتلفيق : الجمع .
(١٨٢٧) عفَا : اندرَس وذهب .
(١٨٢٨) مَخَطّها : أثر ما خَطّتْ في الأرض .
(١٨٢٩) « جثة خلاء » : خالية من الروح .
(١٨٣٠) الخُفُوت : السكون .
(١٨٣١) أطرافه : يداه ورأسه ورجلاه
(١٨٣٢) مُرْصِد : اسم فاعل من « أرصد » مُنْتَظِر .
(١٨٣٣) تباشيره : أوائله .
(١٨٣٤) إبّان : بكسر فتشديد ـ وقت .
(١٨٣٥) الدّنُوّ : القرب .
(١٨٣٦) الرِّبْق ـ بكسر فسكون ـ حبل فيه عدة عُرًا ، كل عروة رَبْقة ـ بفتح الراء ـ تُشدّ فيه البُهْم .
(١٨٣٧) « يَصْدَع شَعْبًا » : يفرّق جمعاً .
(١٨٣٨) « يَشْعَبُ صَدْعاً » : يجمع متفرقاً .
(١٨٣٩) القائف : الذي يعرف الآثار فيتبعها .
(١٨٤٠) يَشْحَذ : من شحذَ السكّين إذا حدّدها .
(١٨٤١) القَيْن : الحداد ، والنّصْل : حديدة السيف والسكين ونحوها .
(١٨٤٢) يُغْبَقُون ـ مبني للمجهول ـ يُسْقَون بالمساء . والصّبُوح : ما يُشْرَبُ وقت الصباح .
(١٨٤٣) الغِيَر ـ بكسر ففتح ـ أحداث الدهر ونوائبه .

(١٨٤٤) «اخْلَوْلَقَ الأجَل» : من قولهم «اخلولق السحاب» إذا استوى وصار خليقاً أن يمطر. والمراد أن الأجل يشرف على الانقضاء.
(١٨٤٥) أشَالَتِ النَّاقَة ذَنَبَها : رفعته، أي رفعوا أيديهم بسيوفهم ليلحقوا حروبهم على غيرهم، أي يسعّروها عليهم.
(١٨٤٦) «حملوا بصائرهم على أسيافهم»: من الطف أنواع التمثيل، يريد أشهروا عقيدتهم داعين اليها غيرهم
(١٨٤٧) الولائج - جمع وليجة - : وهي البطانة وخاصة الرجل من أهله وعشيرته، ويراد بها دخائل المكر والخديعة.
(١٨٤٨) الغَمْرة : الشدّة.
(١٨٤٩) مارُوا : تحركوا واضطربوا.
(١٨٥٠) الدَّحْر - بفتح الدال - الطرد. والمَدَاحِر والمزَاجِر بها يُدْحَر ويُزْجَر.
(١٨٥١) مخاتل الشيطان : مكائده.
(١٨٥٢) «على فَتْرة» : خلوّ من الشرائع الإلهية لا يعرفون منها شيئاً.
(١٨٥٣) البوائق : جمع بائقة: وهي الداهية.
(١٨٥٤) القَتَام - كسحاب - : الغبار. والعِشْوة - بالكسر وبضم وبفتح - ركوب الأمر على غير بيان.
(١٨٥٥) شِبابها: بكسر الشين- أي بداياتها في عنوان وشدة كشباب الغلام وفتوته.

(١٨٥٦) السِّلام - بكسر السين - الحجارة الصمّ، واحدها سَلِمة - بكسر السين أيضاً - وآثارها في الأبدان الرّض والحَطْم.
(١٨٥٧) أراح اللحمُ فهو مُريح: أنْتَنَ.
(١٨٥٨) يتزايلون : يتفارقون.
(١٨٥٩) الرَّجُوف : شديدة الرجفان والاضطراب.
(١٨٦٠) القاصمة : الكاسرة. والزّحوف : الشديدة الزحف.
(١٨٦١) نُجومها : ظهورها. وهي من نجم ينجم إذا ظهر.
(١٨٦٢) يتكادمون : يعضّ بعضهم بعضاً.
(١٨٦٣) العانة: الجماعة من حُمُر الوحش.
(١٨٦٤) تَغِيض - بالغين المعجمة - تنقص وتغور.
(١٨٦٥) تَدُقّ : تُفَتّتُ.
(١٨٦٦) المِسْحَل - كمنبر - المِبْرَد أوِ المِنْحَت. والمِسْحَل أيضاً : حَلْقَة تكون في طريف شكيمة اللّجام مُدْخلة في مثلها.
(١٨٦٧) الرّضّ : التهشيم.
(١٨٦٨) الكَلْكَل : الصدر.
(١٨٦٩) الوُحْدان : جمع واحد، أي المتفرّدون.
(١٨٧٠) عَبيط الدماء : الطريّ الخالص منها.
(١٨٧١) «تَثْلِمُ مَنَارَ الدين»: تكسره. وأصله من «ثلم الإناءَ أو السيف ونحوه» : كسر حرفه. ومنار

الدين : أعلامه ، وهم علماؤه ، وثَلْمها : قتل العلماء وهدم قواعد الدين .

(١٨٧٢) **الأكْياس** : جمع كَيّس ، الحاذق العاقل .

(١٨٧٣) **الأرْجاس** - جمع رِجْس - : وهو القذر والنجس ، والمراد الأشرار .

(١٨٧٤) **مَطْلُول** : من « طَلَلْتُ دَمَه » هدَرْته .

(١٨٧٥) « **يَخْتِلون بِعقْد الأيْمان** » : أي يخدعون الناس بحلف الأيمان .

(١٨٧٦) **الأنْصاب** : كل ما يُنْصَبُ لِيُقْصَدَ .

(١٨٧٧) **اللُعَق** : جمع لُعْقة - بضم اللام : وهي ما تأخذه في الملْعقة .

(١٨٧٨) « **إنّكم بِعيْنِه** » : أي إنه يراكم .

(١٨٧٩) **لا تستلمه المشاعر** : أي لا تصل اليه الحواس .

(١٨٨٠) **النَصَب** - محرّكة - التعب .

(١٨٨١) **الأداة** : الآلة .

(١٨٨٢) **تفريق الآلة** : تفريق الأجفان وفتح بعضها عن بعض .

(١٨٨٣) **البائن** : المنفصل عن خَلْقه .

(١٨٨٤) « **مَنْ وَصَفَهُ** » : أي من كيّفه بكيفيّات المُحدَثين .

(١٨٨٥) **لاح** : بدا .

(١٨٨٦) **الغِيَر** - بكسر ففتح - صُروف الحوادث وتقلباتها .

(١٨٨٧) **جِماعُ الشيء** : مجتمعهُ .

(١٨٨٨) **مَرَابيع** : جمع مِرْباع - بكسر الميم - : المكان ينبت نبته في أول الربيع .

(١٨٨٩) « **أحْمَى حِماه** » : من « أحْمى المكانَ » : جعله حِمىً لا يُقْرَب ، أي أعز الله الإسلام ومنعه من الأعداء .

(١٨٩٠) **المَغَاوِي** : جمع مِغْواة . وهي الشُبْهة يذهب معها الإنسان إلى ما يخالف الحق .

(١٨٩١) **مَهّدَ** - كَمَنَعَ - بَسَطَ .

(١٨٩٢) **يَعْرُوهُ** : يَعْيبُهُ ويلطخه .

(١٨٩٣) **يستنجح** : يطلب نجاح حاجته

(١٨٩٤) **مستكينون** : خاضعون .

(١٨٩٥) **ناظِرُ القلب** : استعاره من ناظر العين : وهو النقطة السوداء منها . والمراد بصيرة القلب .

(١٨٩٦) **الغَوْر** : ما انخفض من الأرض .

(١٨٩٧) **النَجْد** : ما ارتفع من الأرض .

(١٨٩٨) **أرَزَ يأرِز** : بكسر الراء في المضارع أي انقبض وثبت . وأرَزَتِ الحية : لاذَتْ بجُحْرِها ورجعت اليه .

(١٨٩٩) **الشّعار** : ما يلي البدن من الثياب ، والمراد بِطانة النبي الكريم .

(١٩٠٠) **الكرائم** : جمع كريمة ، والمراد آيات في مدحهم كريمات .

(١٩٠١) **انحسرت** : انقطعت .

(١٩٠٢) **العَشَا** - مقصوراً - : سوء البصر وضعفه .

(١٩٠٣) **سُبُحات النور** : درجاته وأطواره

(١٩٠٤) **الائتلاف** : اللمعان . والبَلَج - بالتحريك - الضوء ووضوحه .

(١٩٠٥) **أسدَفَ الليلُ** : أظلمَ .

(١٩٠٦) **الدُجُنّة** : الظُلْمة ، وغَسَقُ الدّجُنّة : شدّتها .

(١٩٠٧) **أوضاح** : جمع وَضَح بالتحريك - وهو هنا بياض الصبح .

(١٩٠٨) **الضِّباب** - ككتاب - جمع ضَبّ : الحيوان المعروف . والوِجار - ككتاب - الجُحْر .

(١٩٠٩) **مآقيها** : جمع مَأْقٍ - وهو طرف العين مما يلي الأنف .

(١٩١٠) **تَبَلّغَتْ** : اكتفت أو اقتاتت .

(١٩١١) **شظايا** - جمع شظيّة - كعطيّة - : وهي الفلقة من الشيء ، أي كأنها مؤلفة من شقق الآذان .

(١٩١٢) **القَصَبة** : عمود الريشة أو أسفلها المتصل بالجناح . وقد يكون مجرداً عن الزّغَب في بعض الحيوانات مما ليس بطائر ، كبعض أنواع القنفذ والفيران .

(١٩١٣) **أعلاماً** : رسوماً ظاهرة .

(١٩١٤) **« خلا من غيره »** : تقدّمه من سواه فحاذاه .

(١٩١٥) **المِرْجَل** : القِدْر .

(١٩١٦) **القَيْن** - بالفتح - الحداد .

(١٩١٧) **المَقْصَر** - كمقعد - : المجلس ، أي لا مستقر لهم دون القيامة .

(١٩١٨) **مُرْقِلين** : مسرعين .

(١٩١٩) **شخَصُوا** : ذهبوا .

(١٩٢٠) **الأجداث** : القبور .

(١٩٢١) **مصائر الغايات** : جمع مصير ، ما يصير اليه الانسان من شقاء وسعادة .

(١٩٢٢) **نَقَعَ العطش** : أزاله .

(١٩٢٣) **يُسْتَعْتَبُ** : يُطْلَبُ منه العُتْبى حتى يرضى .

(١٩٢٤) **أخْلَقَهُ** : ألبسه ثوباً خَلَقاً : أي بالياً . وكثرة الرد : كثرة ترديده على الألسنة بالقراءة .

(١٩٢٥) **وُلُوج السمع** : دخول الآذان والمسامع .

(١٩٢٦) **حِيزَتْ** : حازها الله عني فلم أنلها .

(١٩٢٧) **تتشابه أمور الدهر** : أي مصائبه ، كأنّ كلاً منها يطلب النزول قبل الآخر ، فالسابق منها مهلك ، والمتأخر لاحق له في مثل أثره .

(١٩٢٨) **الأعلام** هي الرايات ، كنى بها عن الجيوش ، وتظاهر : تعاونها .

(١٩٢٩) **الساعة** : القيامة . وحَدْوُها : سَوْقها وحثّها لأهل الدنيا على المسير للوصول إليها .

(١٩٣٠) **زاجر الإبل** : سائقها .

(١٩٣١) **الشَوْل** - بالفتح - جمع شائلة ، وهي من الإبل ما مضى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر .

(١٩٣٢) **لا يُحْرِزُ** : لا يحفظ .

(١٩٣٣) **الحمَة** - بضم ففتح - في الأصل إبرة الزّنبور والعقرب ونحوها تلسع بها ، والمراد هنا سطوة الخطايا على النفس .

(١٩٣٤) **أيام الفناء** : يريد أيام الدنيا .

(١٩٣٥) المراد « **بالظّعن** » المأمور به هاهنا السير إلى السعادة بالأعمال الصالحة ، وهذا ما حثنا الله عليه .

(١٩٣٦) **تَبِعَتُهُ** : ما يتعلق به من حق الغير فيه .

(١٩٣٧) **الرّصَد** : الرّقيب . ويريد به هنا رقيب الذمة وواعظ السر .

(١٩٣٨) **الرّتاج** - ككتاب - الباب العظيم إذا كان مُحكَم الغَلْق .

(١٩٣٩) « **منزل وحدته** » : هو القبر .

(١٩٤٠) المراد « **بالصيحة** » هنا الصيحة الثانية ، لقوله تعالى : « إن كانت إلا صيحةً واحدة » .

(١٩٤١) **زاحت** : بعدت وانكشفت .

(١٩٤٢) **الهَجْعة** : المرة من الهجوع ، وهو النوم ليلاً . والمراد نوم الغفلة في ظلمات الجهالة .

(١٩٤٣) **المُبْرَم** : المُحكَم ، من أبرَمَ الحبْلَ إذا أحكَمَ فتْلَه . والمراد الأحكام الإلهية التي أبرمت على ألسنة الأنبياء .

(١٩٤٤) **بيت مَدَر ولا وبَر** : كناية عن أهل الحاضرة والبادية .

(١٩٤٥) **تَرْحة** : حزن .

(١٩٤٦) **أصفَيْتَه الشيء** : آثرته به واختصصته .

(١٩٤٧) **الصَّبِر** - ككَتِف - عُصارة شجر مرّ .

(١٩٤٨) **المَقِر** - على وزن كَتِف - السمّ .

(١٩٤٩) **الدّثار** - ككتاب - من اللباس : أعلاه فوق الملابس . والسيف يكون أشبه بالدّثار إذا عمّت إباحة الدم بأحكام الهوى .

(١٩٥٠) **الرّوامل** : جمع زاملة ، وهي ما يحمل عليها الطعام من الإبل ونحوها .

(١٩٥١) **نَخِمَ** - كفرح - : أخرج النّخامة من صدره فألقاها . والنّخامة - بالضمّ - ما يدفعه الصدر أو الدماغ من المواد المُخاطيّة .

(١٩٥٢) **الجديدان** : الليل والنهار .

(١٩٥٣) **رِبَق** - جمع رِبْقة - وهي الحبل يُرْبَق به .

(١٩٥٤) **حَلَق** : جمع حَلْقة .

(١٩٥٥) **السِّنة** - بكسر السين - أوائل النوم .

(١٩٥٦) **ذَرَأتَ** : خلَقْتَ .

(١٩٥٧) **المَوْر** - بالفتح - الموج .

(١٩٥٨) **حَسِيراً** : مُتْعَباً .

(١٩٥٩) **المَبْهور** : المغلوب ومنقطع نَفَسه من الاعياء .

(١٩٦٠) **الواله** - من الوَلَهِ - وهو ذهاب الشعور .

(١٩٦١) **المَدْخول** : المغشوش غير الخالص ، أو هو المَعِيب الناقص لا يترتب عليه عمل .

(١٩٦٢) **الخوف المحقّق** : هو الثابت الذي يبعث على البعد عن المَخُوف والهرب منه .

(١٩٦٣) الخوف المعلول : هو ما لم يثبت في النفس ولم يخالط القلب ، وإنما هو عارض في الخيال يزيله أدنى الشواغل . فهو كالأوهام لا قرار لها ، و « معلول » : من علَّهُ يَعُلّه إذا شربه مرة بعد أخرى .

(١٩٦٤) الضِّمار - ككتاب - ما لا يُرْجى من الوعود والديون .

(١٩٦٥) الأسْوَة : القدوة .

(١٩٦٦) الأكناف : الجوانب. وزَوَى : قبض.

(١٩٦٧) شفيف : رقيق ، يُستَشَفّ ما وراءه .

(١٩٦٨) الصِّفاق : على وزن -كتاب - الجلد الباطن الذي فوقه الجلد الظاهر من البطن .

(١٩٦٩) تَشَذَّبُ اللحم : تفرّقه .

(١٩٧٠) السَّفائف - جمع سَفِيفة - وصف من « سَفَّ الخُوصَ » إذا نسجه ، أي منسوجات الخوص .

(١٩٧١) ظلاله - جمع ظل - بمعنى الكِنّ والمأوى. ومن كان كنه المشرق والمغرب فلا كِنّ له .

(١٩٧٢) تأسّ : أي اقتَدِ .

(١٩٧٣) القَضْم : الأكل بأطراف الأسنان، كأنه لم يتناول إلا على أطراف أسنانه ، ولم يملأ منها فمه .

(١٩٧٤) أهْضَمُ : من الهضم : وهو خمص البطن ، أي خلوها وانطباقها من الجوع.

(١٩٧٥) الكَشْح : ما بين الخاصرة إلى الضِّلَع الخلفي .

(١٩٧٦) أخْمَصُهم : أخلاهم .

(١٩٧٧) المُحادّة : المخالفة في عناد .

(١٩٧٨) خَصَفَ النعلَ : خرزها .

(١٩٧٩) الحمار العاري : ما ليس عليه بَرْدَعة ولا إكاف .

(١٩٨٠) أرْدَف خلفه : أركب معه شخصاً آخر على حمار واحد أو جمل أو فرس أو نحوها وجعله خلفه .

(١٩٨١) الرِّياش : اللباس الفاخر .

(١٩٨٢) أشخصها : أبعدها

(١٩٨٣) خاصّته : اسم فاعل في معنى المصدر ، أي مع خصوصيته وتفضله عند ربه.

(١٩٨٤) زُوِيَت عنه - بالبناء للمجهول - : قُبِضَت وأُبْعِدت ، ومثله بعد قليل : زَوَى الدنيا عنه : قبضها .

(١٩٨٥) عظيمَ زُلْفَته : منزلته العليا من القرب إلى الله .

(١٩٨٦) العَلَم - بالتحريك - : العلامة ، أي أن بعثته دليل على قرب القيامة إذ لا نبي بعده .

(١٩٨٧) خميصاً : أي خالي البطن ، كناية عن عدم التمتع بالدنيا .

(١٩٨٨) العَقِب - بفتح فكسر - : مؤخر القدم . ووطوء العقب مبالغة في الاتباع والسلوك على طريقه ، نَقْفُوه خطوة خطوة حتى كأننا نطأ مؤخر قدمه .

(١٩٨٩) **المِدْرَعة** - بالكسر - : ثوب من صوف .

(١٩٩٠) **اغْرُبْ عني** : اذهَبْ وابعد .

(١٩٩١) **السُرَى** : بضم ففتح . السير ليلاً وهذا المثل « عند الصباح يحمد القوم السَرى » معناه : إذا أصبح النائمون وقد رأوا السارين واصلين إلى مقاصدهم حَمِدوا سُراهم وندموا على نوم أنفسهم .

(١٩٩٢) **المنهاج البادي** : أي الظاهر .

(١٩٩٣) **متهدّلة**: متدلّية ؛ دانية للاقتطاف .

(١٩٩٤) **طَيْبَة** : المدينة المنورة .

(١٩٩٥) **مُتَلافية** : من تلافاه : تداركه بالاصلاح قبل أن يهلكه الفساد ، فدعوة النبي تلافت أمور الناس قبل هلاكهم .

(١٩٩٦) **المفصولة** : التي فصلها الله أي قضى بها على عباده .

(١٩٩٧) **الكَبْوَة** : السقطة .

(١٩٩٨) **المآب** : المرجع .

(١٩٩٩) **الإنابة** : الرجوع .

(٢٠٠٠) **أسْبَغ** : أي أحاط بجميع وجوه الترغيب .

(٢٠٠١) **الشفيق** : الخائف . والناصح : الخالص .

(٢٠٠٢) **الكادح** : المُبالغ في سعْيه .

(٢٠٠٣) **تزايلت** : تفرقت . والأَوْصال : مجتمع العظام . وتفرقها كناية عن تبدد القوم وفنائهم .

(٢٠٠٤) **المحاورة** : المخاطبة والمناجاة .

(٢٠٠٥) **الجَدَد** - بالتحريك - : المستوي المسلوك .

(٢٠٠٦) **القصد** : القويم .

(٢٠٠٧) **الوَضِين** : بطان يشد به الرحل على البعير كالحِزام للسرج ، فاذا قلق واضطرب اضطرب الرحل فكثر تملل الجمل وقلّ ثباته في سيره .

(٢٠٠٨) **الإرسال** : الإطلاق والإهمال .

(٢٠٠٩) **السَدَد** - محركاً - : الاستقامة .

(٢٠١٠) **الذِّمامة** : الحماية والكفاية . والصِّهْر : الصلة بين أقارب الزوجة وأقارب الزوج .

(٢٠١١) **النَوْط** - بالفتح - : التعلّق والالتصاق .

(٢٠١٢) **الأَثَرَة**: الاختصاص بالشيء دون مستحقه .

(٢٠١٣) **النَهْب** - بالفتح - : الغنيمة .

(٢٠١٤) **صِيحَ** - صيغة المجهول من صاح - : أي صاحوا للغارة .

(٢٠١٥) **حَجَراته** - جمع حَجْرة : بفتح الحاء - : الناحية .

(٢٠١٦) **هَلُمَّ** : اذكر .

(٢٠١٧) **الخَطْب** : عظيم الأمر وعجيبه .

(٢٠١٨) **الأَوَد** : الاعوجاج .

(٢٠١٩) **الفَوّار** والفَوّارة من الينبوع : الثقب الذي يفور الماء منه بشدّة .

(٢٠٢٠) **جَدَحُوا** : خلطُوا .

(٢٠٢١) **الشِرْب** بالكسر : النصيب من الماء . والوَبيء : ما يوجب شربه من الوَباء .

(٢٠٢٢) **محض الحق** : خالصه .

(٢٠٢٣) **ساطح المهاد** : جاعله سطحاً سهلاً وباسطه للعمل فيه. والمِهاد الأرض.

(٢٠٢٤) **الوهاد** ـ جمع وَهْدَة ـ ما انخفض من الأرض . ومُسيلها فاعل من أسال ، أي مُجري السيل فيها .

(٢٠٢٥) **النِّجاد** ـ جمع نَجْد ـ : ما ارتفع من الأرض .

(٢٠٢٦) **الإبانة** : ها هنا التمييز والفصل، والضمير في له يرجع اليه سبحانه أي تمييزاً لذاته تعالى عن شبهها أي مشابهتها .

(٢٠٢٧) **شخوص لحظة** : امتداد بصر بلا حركة من جفن .

(٢٠٢٨) **ازدلاف الرَّبْوة** : تقربها من النظر وظهورها له لأنه يقع عليها قبل المنخفضات .

(٢٠٢٩) **الداجي** : المُظْلم .

(٢٠٣٠) **الغَسَق** : الليل . وساجٍ :أي ساكن لا حركة فيه .

(٢٠٣١) عبر عن نسخ نور القمر له ، بالتفيؤ تشبيهاً له بنسخ الظلّ لضياء الشمس وهو من لطيف التشبيه ودقيقه .

(٢٠٣٢) **الأفول** : المغيب . والكُرُور : الرجوع بالشروق .

(٢٠٣٣) **نَحَلَهُ القولَ** ـ كمنعه ـ نسبه اليه .

(٢٠٣٤) **صفات الاقدار** : جمع قَدْر ـ بسكون الدال ـ : وهو حال الشيء من الطول والعرض والعمق ومن الصغر والكبر .

(٢٠٣٥) **نهايات الأقطار** : هي نهايات الأبعاد الثلاثة المتقدم ذكرها .

(٢٠٣٦) **التأثّل** : التأصّل .

(٢٠٣٧) **أقام حدّه** : أي ما به امتاز عن سائر الموجودات .

(٢٠٣٨) **السَّوِيّ**: مستوى الخلقة لا نقص فيه.

(٢٠٣٩) **المنشأ** : المبتدع . **والمَرْعِي** : المحفوظ المعنيّ بأمره .

(٢٠٤٠) **السُلالة من الشيء**: ما انسلّ منه.

(٢٠٤١) **القرار المَكِين** : محل الجنين من الرحم .

(٢٠٤٢) **تَمُور** : تتحرّك .

(٢٠٤٣) **لا تحيرُ** : من قولهم : ما أحار جواباً ، أي لم يستطع ردّاً .

(٢٠٤٤) **استَسفَرُوني** : جعلوني سفيراً .

(٢٠٤٥) **الوَشِيجة** : اشتباك القرابة .

(٢٠٤٦) **ربطه فارتبط** : أي شدّه وحبسه .

(٢٠٤٧) **المَرْج** : الخلط .

(٢٠٤٨) **السَّبِقة** ـ كَكَبِسة ـ ما استاقه العدو من الدواب .

(٢٠٤٩) **نَعَقَتْ** من نَعَقَ بغنمه ـ كنع ـ : صاح .

(٢٠٥٠) **ذرأ** : خلق .

(٢٠٥١) **الأخاديد** ـ جمع أُخدُود ـ : الشقّ في الأرض .

(٢٠٥٢) **الخُرُوق** ـ جمع خرْق ـ : الأرض الواسعة تتخرق فيها الرياح . والفِجاج ـ جمع فج ـ : الطريق الواسع .

(٢٠٥٣) **الأعلام** : جمع علَم بالتحريك، وهو الجبل .
(٢٠٥٤) **مرفرفة**: من رفرف الطائر : بسط جناحيه .
(٢٠٥٥) **المَخارق** - جمع مَخْرق -: الفلاة.
(٢٠٥٦) **الحِقاق** - ككتاب - : جمع حُقّ - بالضم - : مجتمع المَفْصِلَيْن .
(٢٠٥٧) **احتجاب المفاصل** : استتارها باللحم والجلد .
(٢٠٥٨) **العَبالة** : الضخامة وامتلاء الجسد
(٢٠٥٩) **يسمو** : يرتفع .
(٢٠٦٠) **خُفُوفاً** : سرعة وخفة .
(٢٠٦١) **دفيف الطائر** : مروره فُوَيْق الأرض .
(٢٠٦٢) **نَسَقَها** : رتبها .
(٢٠٦٣) **الأصابِيغ** : جمع أصْباغ - بفتح الهمزة - : جمع صِبْغ بالكسر وهو اللون أو ما يصبغ به .
(٢٠٦٤) **القالَب** : مثال تفرغ فيه الجواهر لتأتي على قدره . والطائر ذو اللون الواحد كأنما أفرغ في قالب من اللون.
(٢٠٦٥) **طَوّق** : أي ان جميع بدنه بلون واحد إلا لون عنقه فانه يخالف سائر بدنه ، كأنه طَوْقٌ صِيغَ لِحِلْيَتِه .
(٢٠٦٦) **التنضيد** : النظم والترتيب .
(٢٠٦٧) **أشْرَجَ قَصَبَهُ** : أي داخَلَ بين آحاده ونظمها على اختلافها في الطول والقصر .
(٢٠٦٨) **دَرَجَ إليه** : مشى اليه .
(٢٠٦٩) **سما به** : أي ارتفع به ، أي رفعه .
(٢٠٧٠) **مطلا على رأسه** : مشرفاً عليه كأنه يظلّله .
(٢٠٧١) **القِلْع** - بكسر فسكون - : شراع السفينة .
(٢٠٧٢) **الدّاريّ** : جالب العطر من دَارِين.
(٢٠٧٣) **عَنَجَهُ** : جذبه فرفعه ، من عَنَجت البعير إذا جذبته بخطامه فرددته على رجليه. النّوتيّ: البحار.
يختال : يعجب .
(٢٠٧٤) **يميس** : يتبختر بزَيَفَان ذنبه . وأصل الزّيَفَان التبختر أيضاً ، ويريد به هنا حركة ذنب الطاووس يميناً وشمالاً .
(٢٠٧٥) **يُفْضي** : أي يذهب إلى أنثاه ويسفد كما تذهب الديكة - جمع ديك.
(٢٠٧٦) **يَؤُرّ** : يَسْفِدُ . ومَلاقِحُهُ : أدوات اللِّقاح وأعضاؤه ، وهي آلات التناسل .
(٢٠٧٧) **أرّ الفُحولِ** : أي أرّاً مثلَ أرّ الفحول .
(٢٠٧٨) **المغتلمة**: ذات الغلمة والشهوة والشبق.
(٢٠٧٩) **الضراب** : لقاح الفحل لأنثاه .
(٢٠٨٠) **على مُعايَنَة** : أي اذهب وعاين صدق ما أقول .
(٢٠٨١) **تَسْفَحُها**: أي ترسلها أوعية الدمع.
(٢٠٨٢) **ضَفّة الجفن** - بفتح الضاد وتكسر، استعارة من ضَفّي النهر بمعنى جانبيه.

(٢٠٨٣) **تَطْعَمُ ذلك** - كتعلم - أي تذوقه كأنها تحرشفه .

(٢٠٨٤) **لقَاحِ الفحلِ** : ماء التناسل يلقح به الأنثى

(٢٠٨٥) **المنبجس** : النابع من العين .

(٢٠٨٦) **مُطاعَمَةُ الغراب**: تلقيحه لأنثاه .

وقالوا : ان مطاعمة الغراب بانتقال جزء من الماء المستقر في قانصة الذكر إلى الأنثى تتناوله من منقاره .

(٢٠٨٧) **القَصَب** - جمع قَصَبة - هي عمود الريش .

(٢٠٨٧) **المدَاري** جمع مِدْرَى - بكسر الميم - قال ابن الأثير المِدْرَى والمِدْرَاة : مصنوع من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المشط وأطول منه يسرح به الشعر المتلبد ويستعمله من لا مشط له .

(٢٠٨٩) **الدَّارات** : هالات القمر .

(٢٠٩٠) **العِقْيان** : الذهب الخالص أو ما ينمو منه في معدنه .

(٢٠٩١) **فِلَذ** - كعنب - جمع فِلْذَة بمعنى القطعة .

(٢٠٩٢) **جَنَى** : أي مجتنى جمع كل زهر لأنه جمع كل لون ، ومنه قوله تعالى (وجنى الجنتين دان) .

(٢٠٩٣) **الموَشّيّ** : المنقوش المنمنم على صيغة اسم الفاعل ؛

(٢٠٩٤) **العَصْب** - بالفتح - : ضرب من البرود منقوش .

(٢٠٩٥) جعل اللَّجَيْن - وهو الفضة - منطقة لها . والمكلّل : المزيّن بالجواهر . فكما تمنطقت الفصوص باللجين كذلك زُين اللجين بها .

(٢٠٩٦) **المرِح** - ككتف - : المُعْجَب والمختال الزاهي بحسنه .

(٢٠٩٧) **السِّرْبال** : اللباس مطلقاً أو هو الدِرْع خاصة .

(٢٠٩٨) **الوِشاح** : نظامان من لؤلؤ وجوهر يخالف بينهما ويعطف أحدهما على الآخر بعد عقد طرفه به حتى يكونا كدائرتين إحداهما داخل الأخرى كل جزء من الواحدة يقابل جزءاً من قرينتها ثم تلبسه المرأة على هيئة حمالة السيف .

(٢٠٩٩) **زقا يزقو** : صاح .

(٢١٠٠) **مُعْوِلاً** : من أعْوَل ، رفع صوته بالبكاء .

(٢١٠١) **حُمْش** - جمع أحمش - أي دقيق.

(٢١٠٢) **الديك الخِلاسي** - بكسر الخاء - : هو المتولد بين دجاجتين هندية وفارسية .

(٢١٠٣) **وقد تَجَمَت** : أي نبتت .

(٢١٠٤) **ظُنْبوب ساقه**: حرف عظمه الأسفل.

(٢١٠٥) **صِيصِيَة** : شوكة تكون في رجل الديك .

(٢١٠٦) **القُنْزُعة** - بضم القاف والزاي - : بينهما سكون - الخصْلة من الشعر تُتْرك على رأس الصبي .

(٢١٠٧) **مُوَشّاة** : منقوشة .
(٢١٠٨) **مَغْرِزها** : الموضع الذي غُرِزَ فيه العنقُ منتهياً إلى مكان البطن .
(٢١٠٩) **الوَسِمَة** : هي نبات يختضب به .
(٢١١٠) **الصِّقال** : الجلاء .
(٢١١١) **المِعْجَر** - كمنبر - : ثوب تعتجر به المرأة فتضع طرفه على رأسها ثم تمر الطرف الآخر من تحت ذقنها حتى ترده إلى الطرف الأول فيغطي رأسها وعنقها وعاتقها وبعض صدرها ، وهو معنى التلفع هاهنا . والأَسْحَم : الأسود .
(٢١١٢) **الأقحُوان** : البابونج .
(٢١١٣) **اليَقَق** - محركاً - : شديد البياض .
(٢١١٤) **يأتَلِقُ** : يلمع .
(٢١١٥) **قِسْط** : نصيب .
(٢١١٦) **علاه** : أي فاق اللون الذي أخذ نصيباً منه بكثرة جلائه .
(٢١١٧) **البصيص** : اللمعان .
(٢١١٨) **الرونق** : الحسن .
(٢١١٩) **الأزاهير** : جمع أزهار جمع زَهْر . فهي جمع الجمع . والمبثوثة المنثورة .
(٢١٢٠) **لم تُرَبِّها** ، فعل من التربية .
(٢١٢١) **القَيْظ** : الحر .
(٢١٢٢) **يَنْحَسِرُ** : هو من « حَسَرَهُ » أي كشفه ، أي وقد ينكشف من ريشه فيسقط .
(٢١٢٣) **تَتْرَى** : أي شيئاً بعد شيء وبينهما فترة .
(٢١٢٤) **يَنْحَتّ** : يسقط وينقشر .
(٢١٢٥) **عسْجَدِيّة** : ذهبية .
(٢١٢٦) **عمائق** : جمع عميقة .
(٢١٢٧) **بهر العقول** : قهرها فردّها .
(٢١٢٨) **جَلاه** - كحَلاهُ - كشفه .
(٢١٢٩) **أَدْمَجَ قوائمها** : أَوْدَعَ أرْجُلَها فيها .
(٢١٣٠) **الذَرَّة** : واحدة الذَرّ : صغار النمل .
(٢١٣١) **الهَمَجة** - محركة - : واحدة الهَمَج ذباب صغير يسقط على وجوه الغنم .
(٢١٣٢) **وَأَى** : وعد .
(٢١٣٣) **الحِمام** : الموت .
(٢١٣٤) **عَزَفَتْ نفسك** : كرهت وزَهِدت .
(٢١٣٥) **اصطفاق الأشجار** : تضارب أوراقها بالنسيم بحيث يسمع لها صوت .
(٢١٣٦) **الكُثْبان** - جمع كثيب - وهو التلّ .
(٢١٣٧) **الأفنان** - جمع فَنَن - بالتحريك : وهو الغصن .
(٢١٣٨) **غُلُف** بضمتين - جمع غلاف - **والأكمام** - جمع كِمّ بكسر الكاف وهو وعاء الطلع وغطاء النوّار .
(٢١٣٩) **تُجْتَنَى** : تُقْطَف .
(٢١٤٠) **المُصَفَّقة** : المصفّاة .
(٢١٤١) **المُونِقة** : المُعْجِبة .
(٢١٤٢) **العِذْق** : للنخلة كالعنقود للعنب : مجموع الشماريخ وما قامت عليه من العُرْجون .
(٢١٤٣) **ليَتأسّ** : ليَقْتَدِ .
(٢١٤٤) **القَيْض** : القشرة العليا اليابسة على البيضة .

(٢١٤٥) **الأَداحِي**- جمع أُدْحي- كلُجَيّ وهو مبيض النعام في الرمل تدحوه برجلها لتبيض فيه.

(٢١٤٦) **القَزَع** - محركاً -: القطع المتفرقة من السحاب واحدته قَزَعة بالتحريك.

(٢١٤٧) **الرُكام** : السحاب المتراكم. والمستثار : موضع انبعاثهم ثائرين. وسيل الجنتين هو الذي سماه الله سَيْلَ العَرِم الذي عاقب الله به سبأ على ما بطروا نعمته فدمَّرَ جِنانَهم وحوّل نعيمهم شقاء. والقارَة - كالقَرارَة - ما اطمأن من الأرض.

(٢١٤٨) **الأَكَمَة** - محركة - : غليظ من الأرض يرتفع عما حوالَيْه. والسَنَن يريد به الجَرْي. والطَوْد الجبل العظيم والمقصود الجمع. والرصّ يراد به الارتصاص أي الانضمام والتلاصق، أي لم يمنع جريته تلاصق الجبال. والحِداب - جمع حَدَب بالتحريك - : ما غلظ من الأرض في ارتفاع.

(٢١٤٩) **يُذَعْذِعهم** - بالذال المعجمة مرتين -: يفرقهم. وبطون الأودية كناية عن مسالك الاختفاء.

(٢١٥٠) **ليضعَفَنّ لكم التيهُ** : لتزادَنّ لكم الحيرةُ أضعاف ما هي لكم الآن.

(٢١٥١) **الفادحُ** - من فدحه الدَيْنُ - : إذا أثقله.

(٢١٥٢) **صَدَفَ** : أعرَض. والسمْت : الجهة. وتَقَصَّدوا : تستقيموا.

(٢١٥٣) **مدخول** : مَعيب.

(٢١٥٤) **مَعاقد الحقوق**: مواضعها من الذمم.

(٢١٥٥) **بادره** : عاجله ؛ أي عاجلوا أمرَ العامة بالاصلاح لئلا يغلبكم الفساد فتهلكوا.

(٢١٥٦) **المُجْلِبون**: من أجْلَبَ عليه: أعانه.

(٢١٥٧) **على حدّ شوكتهم** : شدتهم، أي لم تنكسر سَوْرَتُهم.

(٢١٥٨) **خِلالكم** : فيما بينكم.

(٢١٥٩) **يسومونكم** : يكلفونكم.

(٢١٦٠) **مادّة** : أي عَوْناً ومَدَداً.

(٢١٦١) **مُسْمِحة** : اسم مفعول من أسمح أي مُيَسَّرة.

(٢١٦٢) **ضَعْضَعَهُ** : هدمه حتى الأرض.

(٢١٦٣) **المُنّة** - بالضم - : القدرة.

(٢١٦٤) **الوَهْن** : الضعف.

(٢١٦٥) **الكَيّ** : كناية عن القتل.

(٢١٦٦) **إلا هالك** : أي إلا من كان في طبْعِه عوج جِبِلّي، فحتم الشقاء الأبدي.

(٢١٦٧) **المُبْتَدَعات** : ما أحْدِثَ ولم يكن على عهد الرسول.

(٢١٦٨) **المُشَبّهات** : البِدَع الملبسة ثوب الدين المشبهة به وليست منه هي المهلكة إلا أن يحفظ الله منها بالتوبة.

(٢١٦٩) **مَلُوّمة** - من لَوَمَهُ - مبالغة في لامه ؛ أي غير ملوم عليها بالنفاق.

(٢١٧٠) **يأرِز** : يرجع .
(٢١٧١) **تمالأُوا** : اتفقوا وتعاونوا .
(٢١٧٢) **السَّخْطة** - بالفتحة - الكراهة والبغض .
(٢١٧٣) **فَيَالة الرأي** - بالفتح - : ضَعْفه .
(٢١٧٤) **أفاءها عليه** : أرجعها اليه .
(٢١٧٥) **النَعْش** : مصدر نعشه ، إذا رفعه .
(٢١٧٦) **السقف المرفوع** : السماء .
(٢١٧٧) **المكفوف** اسم مفعول ، من كَفَّه إذا جمعه وضم بعضه إلى بعض .
(٢١٧٨) **مَغِيضاً** : من غاض الماءُ إذا نقص ، كأن هذا الجو منبع الضياء والظلام وهو مغيضها كما يغيض الماء في البئر .
(٢١٧٩) **السِّبْط** - بالكسر - : القبيلة .
(٢١٨٠) **اعتماداً** : أي معتمداً ، أو ملجأ يعتصم به .
(٢١٨١) **الذِّمار** - ككتاب - : ما يلزم الرجل حفظه من أهله وعشيرته .
(٢١٨٢) **الغائر** : من غار على امرأته أو قريبته أن يمسها أجنبي .
(٢١٨٣) **الحقائق** : هنا وصف لا اسم ، يريد النوازل الثابتة التي لا تدفع بل لا تقلع إلا بعازمات الهمم .
(٢١٨٤) **الحفاظ** : الوفاء ورعاية الذمم .
(٢١٨٥) **لا تُوَارِي** : لا تحجُبُ .
(٢١٨٦) **ضَرْبَ الوجه**: كناية عن الرد والمنع .
(٢١٨٧) **قرعته بالحجة** : من قرعه بالعصا ضربه بها .
(٢١٨٨) **هَبَّ** : من هبيب التيس أي صياحه أي كان يتكلم بالمهمل مع سرعة حمل عليها الغضب .
(٢١٨٩) **حَبِيس**: فعيل بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث ، وأم المؤمنين كانت محبوسة لرسول الله لا يجوز لأحد أن يمسها بعده كأنها في حياته .
(٢١٩٠) **خزُّان** : جمع خازن .
(٢١٩١) **القتل صبراً** : أن تحبس الشخص ثم ترميه حتى يموت .
(٢١٩٢) **معتمدين** : قاصدين .
(٢١٩٣) **المنابذة** : تهييج الفساد .
(٢١٩٤) **استَعْتَبَ**: طلب منه الرضى بالحق .
(٢١٩٥) **أهل القِبْلَة** : من يعتقد بالله وصدق ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ويصلي معنا إلى قبلة واحدة .
(٢١٩٦) **الغِيَر** (بكسر ففتح) اسم للتغيير أو التغير .
(٢١٩٧) **الخنين** - بالخاء المعجمة - : ضرب من البكاء يردد به الصوت في الأنف .
(٢١٩٨) **زُوِيَ** : أي قبض .
(٢١٩٩) **مُتَجَرِّداً** : كأنه سيف تجرد من غمده .
(٢٢٠٠) **يَلْتَبِس** : أي يشتبه .
(٢٢٠١) **يوازر** : ينصر ويعين .
(٢٢٠٢) **المنابذة** : المراماة والمراد المعارضة والمدافعة .

(٢٢٠٣) **بهنهه عن الأمر** : كفّه وزجره عن إتيانه .
(٢٢٠٤) **المعذرين فيه** : المعتذرين عنه فيما نقم منه .
(٢٢٠٥) **يَرْكُد جانباً** : يسكن في جانب عن القاتلين والناصرين .
(٢٢٠٦) **النَعَم** - محركة - : الابل أو هي الغنم .
(٢٢٠٧) **أراح بها** : ذهب بها . وأصل الاراحة الانطلاق في الريح فاستعمله في مطلق الانطلاق .
(٢٢٠٨) **السائم** : الراعي .
(٢٢٠٩) **الوَبي** : الردي يجلب الوباء .
(٢٢١٠) **الدوي** : الوبيل يفسد الصحة ، أصله من الدوا بالقصر أي المرض .
(٢٢١١) **المُدَى** - جمع مُدْية - : السكين ، أي معلوفة للذبح .
(٢٢١٢) **تحسب يومها دهرها** : أي لا تنظر إلى عواقب أمورها فلا تعد شيئاً لما بعد يومها ، ومتى شبعت ظنت أنه لا شأن لها بعد هذا الشبع .
(٢٢١٣) **مَوْلجه** : من ولج يلج إذا دخل .
(٢٢١٤) **مفضيه** : أصله من أفضى اليه : خلا به .
(٢٢١٥) **أعْذَرَ اليكم بالجلية** : أي بالأعذار الجلية . والعذر هنا مجاز عن سبب العقاب في المؤاخذة عند مخالفة الأوامر الالهية .
(٢٢١٦) **نزع عنه** : انتهى وأقلع .
(٢٢١٧) **أبعد منزعاً** : أي نزوعاً بمعنى الانتهاء والكف عن المعاصي .
(٢٢١٨) **ظَنون** - كصَبور - الضعيف والقليل الحيلة .
(٢٢١٩) **زارياً عليها** : أي عائباً .
(٢٢٢٠) **التقويض** : نزع أعمدة الخيمة وأطنابها ، والمراد أنهم ذهبوا بمساكنهم وطووا مدة الحياة كما يطوي المسافر منازل بسفره أي مراحله ومسافاته .
(٢٢٢١) **فاقَة** : أي فقر وحاجة إلى هاد سواه .
(٢٢٢٢) **اللأواء** : الشدة .
(٢٢٢٣) **شفاعة القرآن** : نطق آياته بانطباقها على عمل العامل .
(٢٢٢٤) **مَحَلَ به** : مثلث الحاء : كاده بتبيين سيئاته عند السلطان ، كناية عن مباينة أحكامه لما أتاه العبد من أعماله .
(٢٢٢٥) **استغشّوا أهواءكم** ، أي : ظنوا فيها الغش وارجعوا إلى القرآن .
(٢٢٢٦) **العلَم** : محركاً يريد به القرآن .
(٢٢٢٧) **خرج إلى فلان من حقه** : أداه ، فكأنه كان حبيساً في مؤاخذته فانطلق .
(٢٢٢٨) **الوظائف** : ما قدّر الله لنا من الأعمال المخصصة بالأوقات والأحوال كالصوم والصلاة والزكاة .

(٢٢٢٩) حَجِيجُ: من حج - إذا أقنع بحجته

(٢٢٣٠) توردَ : هو تفعّل كتنزّل . أي ورد شيئاً بعد شيء .

(٢٢٣١) عِدَة الله - بكسر ففتح - وعده .

(٢٢٣٢) تهزيع الشيء : تكسيره ، والصادق إذا كذب فقد انكسر صدقه . والكريم إذا لؤم فقد انثلم كرمه .

(٢٢٣٣) تصريف الأخلاق : من صرفته إذا قلبته . نهي عن النفاق والتلوّن في الاخلاق .

(٢٢٣٤) ليخزن - كينصر - أي ليحفظ لسانه .

(٢٢٣٥) الجَمُوح : من جمح الفرس إذا غلب فارسه فيوشك أن يطرح به في مهلكة فيرديه .

(٢٢٣٦) لسان المؤمن من وراء قلبه : لسان المؤمن تابع لاعتقاده ، لا يقول إلا ما يعتقد .

(٢٢٣٧) ضَرّسَتْه الحرب : جرّبته . أي جربتموها .

(٢٢٣٨) الاتيان من الأمام: كناية عن الظهور كأن التقصير عدوّ قويّ يأتي مجاهرة لا يخدع ولا يفر .

(٢٢٣٩) جواد قاصد : أي مستقيم أو قريب من الله والسعادة .

(٢٢٤٠) الهَنات: - بفتح الهاء - جمع هَنَة محركة: الشيء اليسير والعمل الحقير. والمراد به صغائر الذنوب .

(٢٢٤١) المُدى: جمع مُدْية، وهي السكّين.

(٢٢٤٢) السِياط : جمع سَوْط .

(٢٢٤٣) الفُرقة - بضم الفاء - التفرّق والشقاق .

(٢٢٤٤) يُجَعْجِعَا : من جعجع البعير إذا برك، ولزم الجَعْجاع أي الأرض. أي أن يقيما عند القرآن . والتَبَع - محركاً - التابع ، للواحد والجمع . وتاهَا : أي ضلاَّ .

(٢٢٤٥) لا يَعْزُب : لا يخفى .

(٢٢٤٦) سَوَافي الريح : جمع سافية . من «سفَت الريح التراب والورَق» أي حَمَلَتْه .

(٢٢٤٧) الصَفا : مقصوراً - جمع صَفاة - : الحجر الأملس الضخم . ودبيب النمل أي حركته عليه في غاية الخفاء لا يسمع لها حس .

(٢٢٤٨) الذَرّ : صغار النمل . ومَقِيلها : محلّ استراحتها ومَبيتها .

(٢٢٤٩) طَرْف الحَدَقَة: تحريك جَفْنَيْها والحَدَقة هنا العين .

(٢٢٥٠) عَدَلَ بالله: جعل له مِثْلاً وعَدِيلاً .

(٢٢٥١) تكوينه : خَلْقه للناس جميعاً .

(٢٢٥٢) دِخْلته - بالكسر والضم - : باطنه.

(٢٢٥٣) المجتبى : المصطفى . والعِيمَة - بكسر العين - : المختار من المال .

(٢٢٥٤) اعتامَ : أخذ المال . فالمُعْتام : المختار لبيان حقائق توحيده وتنزيهه.

(٢٢٥٥) العقائل : الكرائم .

(٢٢٥٦) الكرامات : ما أكرم الله به نبيه من معجزات ومنازل في النفوس عاليات .

(٢٢٥٧) **أشْراط الهدى** : علاماته ودلائله .
(٢٢٥٨) **غِرْبيب الشيء** ـ كعِفْريت ـ أشده سواداً ، فغربيب العمى أشد الضلال ظلمةً .
(٢٢٥٩) **المُخْلِد** : الراكن المائل .
(٢٢٦٠) **نَفِس** ـ كفرح ـ : ضنّ ، أي لا تضن الدنيا بمن يباري غيره في اقتنائها وعدّها من نفائسه ، ولا تحرص عليه بل تهلكه .
(٢٢٦١) **الغض** : الناضر .
(٢٢٦٢) **اجترحَ الذنبَ** : اكتسبه وارتكبه.
(٢٢٦٣) **الغِتْرة** : كناية عن جهالة الغرور.
(٢٢٦٤) **الرويّة** : التفكر .
(٢٢٦٥) **الهمّة** : الاهتمام بالأمر بحيث لو لم يفعل لجر نقصاً وأوجب هماً .
(٢٢٦٦) **الجارحة** : العضو البدني .
(٢٢٦٧) **الجفاء** : الغِلَظ والخشونة .
(٢٢٦٨) **تعنو** : تذل .
(٢٢٦٩) **وَجَبَ القلب** يجب وَجيباً ووَجَباناً: خفق واضطرب .
(٢٢٧٠) **أمهِلتم** : أخرتم ، ويروى « أهملتم » بمعنى خُلّيتم وتُرِكتم .
(٢٢٧١) **خُرْتم** : ضعفتم وجبنتم .
(٢٢٧٢) **المشاقّة** : المقاطعة والمصارمة .
(٢٢٧٣) **نكصتم** : رجعتم القهقرى وأحجمتم.
(٢٢٧٤) المعروف في التقريع : لا أبا لكم ، ولا أبا لك . وهو دعاء بفقد الأب أو تعيير بجهله ، فتلطف الامام بتوجيه الدعاء أو الذمّ لغيرهم .
(٢٢٧٥) **قال** : أي كاره .
(٢٢٧٦) **غير كثير بكم** : أي : إني أفارق الدنيا وأنا في قلة من الأعوان . وإن كنتم حولي كثيرين .
(٢٢٧٧) **من شحذ السكين** : كمنع . أي حددها .
(٢٢٧٨) **الجُفاة** ـ جمع جافـ : أي غليظ .
(٢٢٧٩) **الطَغام** ـ بالفتح ـ : أرذال الناس .
(٢٢٨٠) **المعونة** : يراد بها هنا ما يعطى للجند لإصلاح السلاح ، وعلف الدواب زائداً على العطاء المفروض ، والأرزاق المعينة لكل منهم .
(٢٢٨١) **التريكة** ـ كسفينة ـ بيضة النعامة بعد أن يخرج منها الفرخ تتركها في مجثمها، والمراد: أنتم خلف الإسلام وعوَض السلف .
(٢٢٨٢) **دَارَسْتُكُمُ الكتابَ** : أي قرأت عليكم القرآن تعليماً وتفهيما .
(٢٢٨٣) **فاتحتكم** : مجرده فتح بمعنى قضى ، فهو بمعنى قاضيتكم أي حاكمتكم . والحِجاج : المحاجة أي قاضيتكم عند الحجة حتى قضيت عليكم بالعجز عن الخصام .
(٢٢٨٤) **سَوّغْتُكُمْ ما مججتم** : سوّغت لأذواقكم من مشرب الصدق ما كنتم تمجّونه وتطرحونه . فسوّغ الشيء: جعله سائغاً مقبولاً ، ومجّ الشيء من فيه : رمى به .
(٢٢٨٥) **أقْرِبْ بهم: ما أقربَهم من الجهل .**

(٢٢٨٦) **ابن النابغة** : عمرو بن العاص .
(٢٢٨٧) **قَطَنوا** : أقاموا .
(٢٢٨٨) **ظَعَنوا** : رحلوا .
(٢٢٨٩) **أشرعت** : سُدّدت وصُوّبت نحوهم .
(٢٢٩٠) **الهامات** : الرؤوس .
(٢٢٩١) **استفلّهم** : دعاهم للتفلّل : وهو الانهزام عن الجماعة .
(٢٢٩٢) **حَسْبُهُم بخروجهم** : كافيهم من الشرّ خروجهم ، والباء زائدة .
(٢٢٩٣) **الارتكاس** : الانقلاب والانتكاس .
(٢٢٩٤) **صدّهم** : إعراضهم .
(٢٢٩٥) **الجِماح** : الجموح وهو أن يغلب الفرس راكبه . والمراد تعاصيهم وغلوّهم وإفراطهم .
(٢٢٩٦) **التيه** : الضلال .
(٢٢٩٧) **المِدْرعة** : ثوب يعرف عند بعض العامــة بالدراعية ، قميص ضيق الأكمام ، قال في القاموس : ولا يكون إلا من صوف .
(٢٢٩٨) **الثَّفِنَة** - بكسر بعد فتح - : ما يمس الأرض من البعير بعد البرُوك ويكون فيه غلظ من ملاطمة الأرض . وكذلك كان في جبين أمير المؤمنين من كثرة السجود .
(٢٢٩٩) **النوامي** : جمع نام ؛ بمعنى زائد .
(٢٣٠٠) **الطَّوْل** - بفتح الطاء وسكون الواو - الفضل .
(٢٣٠١) **خَنَعَ** : ذل وخضع .
(٢٣٠٢) **يتعاوره** : يتداوله ويتبادل عليه .
(٢٣٠٣) **موطَّدات** : مُثبّتات في مَداراتها على ثقل أجرامها .
(٢٣٠٤) **التلكّؤ** : التوقّف والتباطؤ .
(٢٣٠٥) **ادلهمام الظلمة** : كثافتها وشدّتها .
(٢٣٠٦) **السُّجُف** - بضمتين - جمع سِجاف ككتاب : الستر .
(٢٣٠٧) **الجلابيب** - جمع جِلْباب - : ثوب واسع تلبسه المرأة فوق ثيابها كأنه مِلْحَفَة . ووجه الاستعارة فيها ظاهر .
(٢٣٠٨) **الحنادس** : جمع حِنْدِس - بكسر الحاء - : الليل المظلم .
(٢٣٠٩) **شاع** : تفرق .
(٢٣١٠) **الغَسَق** : الظلمة ، والداجي : الشديد الظلام .
(٢٣١١) **الساجي** : الساكن .
(٢٣١٢) **المُتَطَأطئات** : المنخفضات .
(٢٣١٣) **اليفاع** : التل أو المرتفع مطلقاً من الأرض . والسُفْع - جمع سَفْعاء - السوداء تضرب إلى الحمرة ، والمراد منها الجبال ؛ عبر عنها بلونها فيما يظهر لنظر على بعد .
(٢٣١٤) **ما يَتَجَلْجَل به الرعد** : صوته ، والجَلْجَلَة : صوت الرّعد .
(٢٣١٥) **تلاشت** : اضمحلت ، وأصله من لَشيء بمعنى خَسّ بعد رفعة . وما يضمحل عنه البرق هو الأشياء التي تُرى عند لمعانه .
(٢٣١٦) **العواصف** : الرياح الشديدة ؛ وإضافتها للأنواء من إضافة الشيء لمصاحبه عادةً . **والأنواء** - جمع

نَوْء ـ : أحد منازل القمر . يعدّها العرب ثمانية وعشرين يغيب منها عن الأفق في كل ثلاث عشرة ليلة منزلة ويظهر عليه أخرى .

(٢٣١٧) **السماء** هنا : المطر .

(٢٣١٨) **الوهم** هنا : الفكرة والتوهم .

(٢٣١٩) « **لا يَشْغَلُه سائل** » : لإحاطة علمه وقدرته .

(٢٣٢٠) **النائل** : العطاء .

(٢٣٢١) **الأين** : المكان .

(٢٣٢٢) **الأزواج** : هنا القُرناء والأمثال . أي لا يقال : ذو قرناء ، ولا هو قرين لشيء . ويراد من هذا نفي الاثنينية والتعدد عنه جلّ شأنه .

(٢٣٢٣) « **لا يُخْلَقُ بعلاج** » : أي أنه لا يشبه المخلوقات في احتياج وجودها إلى معالجة ومزاولة . لأنه بذاته واجب الوجود سبحانه .

(٢٣٢٤) **اللّهَوات** ـ جمع لَهاة ـ : اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى الفم .

(٢٣٢٥) **المتكلف** : هو شديد التعرض لما لا يعنيه .

(٢٣٢٦) **الحُجُرات** : جمع حُجْرة ـ بضم الحاء ـ : الغرفة .

(٢٣٢٧) **المُرْجَحِنّ** ـ كالمقشعرّ ـ : المائل لثقله والمتحرك يميناً وشمالاً .

(٢٣٢٨) **متولّهة** : أي حائرة أو متخوّفة .

(٢٣٢٩) **الرياش** : اللباس الفاخر .

(٢٣٣٠) **الطُعْمة** ـ بالضم ـ : المأكلة ، أي ما يؤكل . والمراد الرزق المقسوم.

(٢٣٣١) **جُنَّة الحِكْمة** : ما يحفظها على صاحبها من الزهد والورع . وأصل الجُنَّة الوقاية . ومنه الدّرع والمجنّ . وما يُتَّقى به .

(٢٣٣٢) **عَسِيب الذَنَب** : أصله .

(٢٣٣٣) **الجِران** ـ ككتاب ـ : مقدّم عُنُق البعير من المذبح إلى المنْحَر . والبعير أقل ما يكون نفعه عند بروكه . وإلصاق جرانه بالأرض كناية عن الضعف .

(٢٣٣٤) **اسْتَوْسَقَتِ الإبل** : اجتمعت وانضمّ بعضها إلى بعض .

(٢٣٣٥) **الرَّنِقُ** ـ بكسر النون وفتحها وسكونها ـ : الكَدِر .

(٢٣٣٦) **عمار بن ياسر** : من السابقين الأولين.

(٢٣٣٧) **أبو الهيثم مالك بن التيّهان** : بتشديد الياء وكسرها : من أكابر الصحابة.

(٢٣٣٨) **ذو الشهادتين** : خُزَيْمة بن ثابت الأنصاري . قبل النبي شهادته بشهادة رجلين في قصة مشهورة .

(٢٣٣٩) **أُبرِدَ برؤوسهم** : أي أُرسلت مع البريد بعد قتلهم إلى الفجرة البغاة للتشفي منهم رضي الله عنهم .

(٢٣٤٠) **أوِّهِ** : ـ بفتح الهمزة وكسر الواو وتشديدها وكسر الهاء ـ : كلمة توجّع .

(٢٣٤١) **المَنْصَبة** ـ كمصطبة ـ : التعب .

(٢٣٤٢) **هجَم عليه** ـ كنصر ـ : دخل غفلة.

(٢٣٤٣) **المُعْتَبَر** مصدر ميمي : الاعتبار والاتعاظ .

(٢٣٤٤) **التصرف** : هنا التبدّل .

(٢٣٤٥) **المصاحّ** جمع مَصِحّة - بكسر الصاد وفتحها- بمعنى الصحة والعافية.

(٢٣٤٦) **استَحْمَدَ** : أي طلب من خلقه أن يحمدوه .

(٢٣٤٧) **ارتَهَنَ عليهم أنفسَهم:** حبس نفوسهم وجعلها رَهْناً على الوفاء بميثاقهم .

(٢٣٤٨) يقال : « فلان بعين فلان » إذا كان بحيث لا يخفى عليه منه شيء .

(٢٣٤٩) **يَرْهَقُهُم بالأجل** : أي يغشاهم بالمنية .

(٢٣٥٠) يريد **بالرجعة** هنا ما يسأله الانسان المذنب من العودة إلى الدنيا ليعمل صالحاً كما قال الله : « ربّ ارجعني لعلي أعملُ صالحاً فيما تركت » .

(٢٣٥١) **مالك** : هو الموكّل بالجحيم .

(٢٣٥٢) **اليَفَن** - بالتحريك - : الشيخ المسنّ .

(٢٣٥٣) **لَهَزَهُ** : أي خالطه . والقَتِير: الشيب .

(٢٣٥٤) **نَشِبَتْ** - كفرحت - : علقت . والجوامع - جمع جامعة - الغلّ لأنها تجمع اليدين إلى العنق .

(٢٣٥٥) **غَلِقَ الرهنُ** - كفرح - : استحقه صاحب الحق . وذلك إذا لم يكن فكاكه في الوقت المشروط .

(٢٣٥٦) **يَبْلوكم** : يختبركم .

(٢٣٥٧) **الحسيس** : الصوت الخفي .

(٢٣٥٨) **لَغِبَ** : كسمع ومنع وكرم - لَغْباً ولُغُوباً : أعيي أشد الإعياء . والنَّصَب : التعب أيضاً .

(٢٣٥٩) **قَبَحَكَ الله** : كسرك . كما يقال : قبحت الجوزة : كسرتها .

(٢٣٦٠) **أثرَمُ** : ساقط الثنية من الأسنان .

(٢٣٦١) **الضئيل** : النحيف المهزول . كناية عن الضعف .

(٢٣٦٢) **نعَرَ** : أي صاح .

(٢٣٦٣) **نَجَمَتْ** : ظهرت وبرزت . والتشبيه بقرن الماعز في الظهور على غير شرف ولا شجاعة ولا قدم ، بل على غفلة .

(٢٣٦٤) **واحد لا بعدد** : أي لا يتكون من أجزاء .

(٢٣٦٥) **الأمَد** : الغاية .

(٢٣٦٦) **المُشَاعَرة** : انفعال إحدى الحواس بما تحسه من جهة عروض شيء منه عليها .

(٢٣٦٧) **المَرَائي** - جمع مِرْآة بالفتح - وهي المنظر . أي تشهد له مناظر الأشياء لا بحضوره فيها شاخصاً للأبصار .

(٢٣٦٨) **الفَلَج** : الظفر . وظهوره : علو كلمة الدين .

(٢٣٦٩) **صادعاً** : جاهراً .

(٢٣٧٠) **الأمراس** : جمع مَرَس بالتحريك وهو جمع مَرَسة - بالتحريك - : وهو الحبل .

(٢٣٧١) **البَشَر** : جمع بَشَرة . وهي ظاهر الجلد الإنساني .

(٢٣٧٢) **الصَّدَر** - محركاً - الرجوع بعد الورود .

(٢٣٧٣) **بِوِفْقِها** : بكسر الواو ، أي بما يوافقها من الرزق ويلائم طبعها .
(٢٣٧٤) **الصَفا** : الحجر الأملس لا شقوق فيه . والجامس : الجامد .
(٢٣٧٥) **الشرَاسِيف** : مَقاطّ الأضلاع : وهي أطرافها التي تشرف على البطن.
(٢٣٧٦) **القِلال** - جمع قُلّة بالضم - وهي رأس الجبل .
(٢٣٧٧) **لم يلجؤوا** : لم يستندوا .
(٢٣٧٨) **أوْعاه** : كَوَعاه - بمعنى حفظه .
(٢٣٧٩) **قَمْرَاوَيْن** : أي مضيئين ، كأن كلا منهما ليلة قمراء أضاءها القمر.
(٢٣٨٠) **المِنْجَل** - كمنبر - آلة من حديد معروفة يُقْضَبُ بها الزرع. قالوا: أراد بهما هنا ، رِجْلي الجرادة ، لاعوجاجهما وخُشُونتهما .
(٢٣٨١) **ذَبّها** : دفعها .
(٢٣٨٢) **نَزَواتها**: وثباتها. نزا عليه: وَثَبَ.
(٢٣٨٣) « **الندى** » : هنا مقابل اليَبَس بالتحريك .
(٢٣٨٤) **الهَطْل** - بالفتح -: تتابع المطر والدمع.
(٢٣٨٥) **الدِّيَم** - كالهِمَم - جمع دِيمة : مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق .
(٢٣٨٦) **تعديد القِسَم** : إحصاء ما قُدِّر منها لكل بقعة .
(٢٣٨٧) **جُدوب الأرض**: يَبَسها لاحتجاب المطر عنها .
(٢٣٨٨) **صَمَدَه** : **قصدَه** .
(٢٣٨٩) « **كل معروف بنفسه مصنوع** » : أي كل معروف الذات بالكُنْه مصنوع . لأن معرفة الكُنْه إنما تكون بمعرفة أجزاء الحقيقة فمعروف الكنه مركب . والمركب مفتقر في الوجود لغيره . فهو مصنوع .
(٢٣٩٠) **ترْفِدُهُ** : أي تعينه .
(٢٣٩١) **المَشْعَر** - كمقعد - : محلّ الشعور أي الاحساس ، فهو الحاسّة . وتَشْعِيرها : إعدادها للانفعال المخصوص الذي يعرض لها من المواد ، وهو ما يسمى بالاحساس، فالمَشْعَر ، من حيث هو مَشْعَر ، منفعل دائماً. ولو كان لله مشعر لكان منفعلاً ، والمنفعل لا يكون فاعلاً.
(٢٣٩٢) **الصَرَد** - محركاً - : البرد ، أصلها فارسية .
(٢٣٩٣) **مُتَدانياتها** : متقارباتها كالجزئين من عنصر واحد في جسمين مختلفي المزاج .
(٢٣٩٤) كل مخلوق يقال فيه « **قد وجد** » ووجد منذ كذا . وهذا مانع للقدم والأزلية . وكل مخلوق يقال فيه « لولا » خالقه ما وجد . فهو ناقص لذاته محتاج للتكملة بغيره.
(٢٣٩٥) **لتَفاوَتَتْ ذاته** : أي لاختلفت باختلاف الأعراض عليها ولتجزّأت حقيقته ، فان الحركة والسكون **من خواص الجسم وهو منقسم** .

(٢٣٩٦) **سلطان الامتناع** : هو سلطان العزّة الأزلية .
(٢٣٩٧) **الأُفُول** : من « أفَلَ النجمُ » إذا غاب .
(٢٣٩٨) المراد « **بالمولود** » المتولّد عن غيره ، سواء أكان بطريق التناسل المعروف أم بطريق النشوء كتولد النبات عن العناصر . ومن ولد له كان متولداً بإحدى الطريقتين .
(٢٣٩٩) **لا يوصف بشيء من الأجزاء** : أي لا يقال: ذو جزء كذا ولا ذو عضو كذا .
(٢٤٠٠) **تُقلّه** : أي ترفعه .
(٢٤٠١) **تُهْوِيه** : أي تحطه وتسقطه .
(٢٤٠٢) **والِج** : أي داخل .
(٢٤٠٣) **اللَّهَوات** ـ بفتح الهاء ـ : جمع لَهَاة: اللحمة في سقف أقصى الفم.
(٢٤٠٤) **لا يتحفّظ** : أي لا يتكلف الحفظ «ولا يؤوده حفظهما وهو العليّ العظيم» .
(٢٤٠٥) **الأَوَد** : الاعوجاج .
(٢٤٠٦) **التَّهافُت** : التساقط قطعةً قطعة .
(٢٤٠٧) **الانفراج** : الانشقاق .
(٢٤٠٨) **الأوتاد** : جمع وتِد ، ويراد به هنا الجبل .
(٢٤٠٩) **الأسْداد** : جمع سدّ والمراد بها الجبال أيضاً .
(٢٤١٠) **خدّ** : أي شقّ .
(٢٤١١) **يَهِن** ـ من الوَهْن ـ بمعنى الضعف.
(٢٤١٢) **مُراحها** ـ بضم الميم ـ : اسم مفعول من أراح الإبلَ . ردّها إلى المُراح ـ بالضم كالمُناخ ـ أي المأوى.
(٢٤١٣) **السائم** : الراعي يريد ما كان في مأواه وما كان في مرعاه .
(٢٤١٤) **الأسناخ** : الأصول . والمراد منها الأنواع ،أي الأصناف الداخلة في أنواعها .
(٢٤١٥) **المتبلّدة** : أي الغبية .
(٢٤١٦) **الأكياس**: جمع كيّس ـ بالتشديد، العاقل الحاذق .
(٢٤١٧) **الحاسىء** : الذليل .
(٢٤١٨) **الحسير** : الكالّ المُعْيي .
(٢٤١٩) **لم يتكاءَدْهُ** : لم يشقّ عليه .
(٢٤٢٠) **لم يؤُدْهُ** : لم يثقله .
(٢٤٢١) **برَأَهُ** : مرادف لخلقه .
(٢٤٢٢) **النّد** ـ بكسر النون ـ : المِثْل .
(٢٤٢٣) **المكاثرة** : المغالبة بالكثرة . يقال: كاثره فكثره أي غلبه .
(٢٤٢٤) **المُثاوِر** : المواثب المهاجم .
(٢٤٢٥) **الإحراج** : التضييق .
(٢٤٢٦) **القَتَب** ـ محركاً ـ : الإكاف .
(٢٤٢٧) **الغارِب** : ما بين العنُق والسَّنام .
(٢٤٢٨) **الأزمّة** ـ كأئمة ـ جمع زمام . والمراد بظهورها ظهور المزْمُومات بها .
(٢٤٢٩) « **لا تصدّعوا** » : بتخفيف إحدى التائين : لا تتفرقوا.
(٢٤٣٠) **فوْر النار** : ارتفاع لهَبِها .
(٢٤٣١) **أميطوا عن سَنَنِها** : أي تنحّوا عن طريقها وميلوا عن وجهة سيرها.

(٢٤٣٢) **قصد السبيل** : الطريق المستقيمة .
(٢٤٣٣) **البلاء** : الإحسان . وأصله للخير والشر . ولكنه هنا بمعنى الخير .
(٢٤٣٤) **أعورتم له**: أي أظهرتم له عوراتكم وعيوبكم .
(٢٤٣٥) **أخذه** : أي أن يأخذكم بالعقاب
(٢٤٣٦) **أغفله** : سها عنه وتركه .
(٢٤٣٧) **أوطن المكان** : اتخذه وطناً .
(٢٤٣٨) **أوحشه** : هجره ، حتى لا أنيس منه به .
(٢٤٣٩) **عواري** - جمع عارية - : والكلام كناية عن كونه زعماً بغير فهم .
(٢٤٤٠) **«على حدها الأول»** : أي لم يزل حكمها الوجوب على من بلغته دعوة الاسلام ورضي الإسلام ديناً.
(٢٤٤١) **استسر الأمر** : كتمه .
(٢٤٤٢) **الإمة** - بكسر الهمزة - : الحالة .
(٢٤٤٣) **أحلام** : عقول .
(٢٤٤٤) **شغر برجله** : رفعها . ثم الجملة كناية عن كثرة مداخل الفساد فيها. من قولهم : بلدة شاغرة برجلها أي معرّضة للغارة لا تمتنع عنها .
(٢٤٤٥) **تطأ في خطامها** : أي تتعثر فيه . كناية عن إرسالها وطيشها وعدم قائد لها .
(٢٤٤٦) **المعقل** : كمسجد - : الملجأ .
(٢٤٤٧) **ذروة كل شيء** : أعلاه .
(٢٤٤٨) **مبادرة الموت** : سبقه بالأعمال الصالحة .
(٢٤٤٩) **الغمرات** : الشدائد .
(٢٤٥٠) **مهد** - كمنع - : معناه هنا عمِل.
(٢٤٥١) **الأرماس** : القبور - جمع رَمْس - : وأصله اسم للتراب .
(٢٤٥٢) **الإبلاس**: حزن في خذلان ويأس.
(٢٤٥٣) **المُطّلَع** : بضم فتشديد مع فتح : المنزلة التي منها يشرف الإنسان على أمور الآخرة ، وهي منزلة البرزخ . وأصل المُطّلَع : موضع الاطلاع من ارتفاع إلى انحدار .
(٢٤٥٤) **اختلاف الأضلاع** : دخول بعضها في موضع الآخر من شدة الضغط .
(٢٤٥٥) **استكاك الأسماع** : صممها من التراب أو الأصوات الهائلة .
(٢٤٥٦) **الضريح** : اللحد .
(٢٤٥٧) **الردم** : السد . **والصفيح**: **الحجر** العريض . والمراد ما يسدّ به القبر .
(٢٤٥٨) **سنن**:طريق معروف . والمراد:أن الدنيا تفعل بكم فعلها بمن سبقكم.
(٢٤٥٩) **القرن** - محركاً - ما يقرن به البعيران.
(٢٤٦٠) **الأشراط** : العلامات .
(٢٤٦١) **أزفت** : قربت .
(٢٤٦٢) **الأفراط** : - جمع فَرْط : بسكون الراء. وهو العلَم المستقيم يهتدى به أي بدلائلها .
(٢٤٦٣) **الكلاكل** : الصدور . كناية عن الأثقال .
(٢٤٦٤) **انصرمت** : تقطعت .
(٢٤٦٥) **الرث** : البالي .

(٢٤٦٦) **الغَثّ** : المهزول.
(٢٤٦٧) **الكَلَب** ـ محركاً ـ : أكلٌ بلا شبع.
(٢٤٦٨) **اللَجَب** : الصياح أو الاضطراب
(٢٤٦٩) **التغيظ** : الهيجان.
(٢٤٧٠) **الزفير** : صوت توقد النار.
(٢٤٧١) **ذَكَتِ النارُ** : اشتد لهيبها.
(٢٤٧٢) «**عَمٍ قرارها**» : أي لا يهتدى فيه لظلمته. ولأنه عميق جداً.
(٢٤٧٣) «**التوحش**» : عدم الاستئناس بشؤون الدنيا والركون اليها.
(٢٤٧٤) **لزوم الأرض**: كناية عن السكون. ينصحهم به عند عدم توفر أسباب المغالبة، وينهاهم عن التعجل بحمل السلاح.
(٢٤٧٥) **إصْلاتُ السيف** : سلّه.
(٢٤٧٦) **الفاشي** : المنتشر الذائع.
(٢٤٧٧) **الجَدّ** ـ بالفتح ـ : العظمة.
(٢٤٧٨) **تُؤام** : جمع تَوْأم ـ كجعفر ـ وهو المولود مع غيره في بطن. وهو مجاز عن الكثير أو المتواصل. والآلاء : النِعَم.
(٢٤٧٩) **الحُكْم** : هنا بمعنى الحِكْمة.
(٢٤٨٠) **ضَرَبَ في الماء** : سبح. وضرب في الأرض : سار بسرعة وأبعد. والغَمْرة : الماء الكثير والشدّة وما يغمر العقل من الجهل. والمراد هنا شدّة الفتن وبلاياها.
(٢٤٨١) **الأزِمّة** : جمع زِمام. ما تقاد به الدابّة.
(٢٤٨٢) **الحَيْن** : بفتح الحاء ـ : الهلاك.
(٢٤٨٣) **الرَيْن** ـ بفتح الراء ـ : التغطية والحجاب. وهو هنا حجاب الضلال.
(٢٤٨٤) **مُسْتَوْدَع التقوى** : هو الذي تكون التقوى وديعة عنده وهو الله.
(٢٤٨٥) **أسدى** : منح وأعطى وأرسل معروفه.
(٢٤٨٦) **الإهْطاع** : الإسراع. أهْطَعَ البعيرُ : مدّ عنقه وصوّب رأسه.
(٢٤٨٧) «**ألِظُّوا بجِدّكم**» : أي ألحوا، والإلْظاظ : الإلحاح في الأمر والجِدّ بكسر الجيم : الاجتهاد.
(٢٤٨٨) **رَحَضَ** ـ كمنع ـ : غسل. والحِمام ـ ككتاب ـ : الموت.
(٢٤٨٩) **تَصَوَّنوا** : تحفّظوا.
(٢٤٩٠) **النُزّاه** ـ جمع نازِه ـ : العفيف النفس.
(٢٤٩١) **الوُلّاهُ** ـ جمع وَالِه ـ : الحزين على الشيء حتى ينالهُ. أي المشتاق.
(٢٤٩٢) **شامَ البرقَ** : نظر إليه أين يمطر.
(٢٤٩٣) **البارق** : السحاب.
(٢٤٩٤) **الأعلاق** ـ جمع عِلْق ـ : بكسر العين بمعنى النفيس.
(٢٤٩٥) **خالب** : خادع.
(٢٤٩٦) **المحروبة** : المنهوبة.
(٢٤٩٧) **المتصدّية** : المرأة تتعرض للرجال تميلهم اليها. ومن الدوابّ ما تمشي معترضة خابطة.
(٢٤٩٨) **العَنُون** ـ بفتح فضم ـ : مبالغة من عنّ إذا ظهر. ومن الدواب المتقدمة في السير.

(٢٤٩٩) **الجامحة** : الصعبة على راكبها . والحَرُون: التي إذا طلب بها السير وقفت .

(٢٥٠٠) **المائنة** : الكاذبة . والخَوُون : مبالغة في الخائنة .

(٢٥٠١) **الكَنُود** ـ من كَنَدَ ـ كنصر : كفر النعمة . وجحد الحق : أنكره وهو به عالم .

(٢٥٠٢) **العَنُود**: شديدة العناد. والصَدُود: كثيرة الصد والهجر .

(٢٥٠٣) **الحَيُود**: مبالغة في الحيد: بمعنى الميل . والمَيُود ـ من ماد ـ إذا اضطرب .

(٢٥٠٤) **الحَرَب** ـ بالتحريك ـ : سلب المال . والعَطَب : الهلاك .

(٢٥٠٥) « **على ساق وسِياق** » : أي قائمون على ساق استعداداً لما ينتظرون من آجالهم . والسِّياق مصدر ساق فلاناً إذا أصاب ساقه . أي لا يلبثون أن يضربوا على سُوقهم فينكبّوا للموت على وجوههم .

(٢٥٠٦) **اللّحاق** للماضين ، والفِراق عن الباقين .

(٢٥٠٧) **تحير المذاهب** : حيرة الناس فيها .

(٢٥٠٨) « **المهَارب** » جمع مَهرَب . مكان الهروب ، والمراد بقوله « أعْجزَت مهاربها » أنها ليست كما يرونها مهارب بل هي مهالك . فقد أعْجزَتهم عن الهروب .

(٢٥٠٩) **المَحاول** ـ جمع مَحالَة ـ بمعنى الحذق وجَوْدة النظر ، أي لم يُفِدْهم ذلك خلاصاً .

(٢٥١٠) **معْقور** : مجروح .

(٢٥١١) **المَجزُور** : المسلوخ أخِذ عنه جلده .

(٢٥١٢) **الشِلْو** ـ بالكسر ـ: هنا البدن كله.

(٢٥١٣) **المَسْفُوح** : المسفوك .

(٢٥١٤) **المُرتفِق بخدّيه** ، واضع خدّيْه على مرفقَيْه ومرفقيه على ركبتيْه منصوبتين وهو جالس على ألْيتيه .

(٢٥١٥) **الزاري على رأيه** : المُقبِّح له اللائم لنفسه عليه .

(٢٥١٦) **الغِيلة** : الشر الذي أضمرته الدنيا في خداعها .

(٢٥١٧) « **لاتَ حينَ مناصٍ** »: أي ليس الوقت وقتَ التملص والفرار .

(٢٥١٨) **البال** : القلب والخاطر . والمراد ذهبت الدنيا على ما تَهواه لا على ما يريد أهلها .

(٢٥١٩) **مُنْظَرين** : مؤخَرين،من أنْظَره إذا أخرَه وأمهله .

(٢٥٢٠) **القاصعة** : من قصع فلان فلاناً : أي حقَره،لأنه عليه السلام حقر فيها حال المتكبرين .

(٢٥٢١) **العَصَبية** : الاعتزاز بالعصبة وهي قوم الرجل الذين يدافعون عنه ، واستعمال قوتهم في الباطل والفساد فهي هنا عصبية الجهل .

(٢٥٢٢) الحِمَى : ما حَمَيْتَه عن وصول الغير اليه والتصرف فيه .
(٢٥٢٣) اصطفاهما : اختارهما .
(٢٥٢٤) الرُواء - بضم ففتح - : حُسْن المنظر
(٢٥٢٥) العَرْف - بالفتح - : الرائحة .
(٢٥٢٦) أحبَطَ عَمَلَهُ : أضاع عمله .
(٢٥٢٧) الهَوَادة - بالفتح - : اللين والرخصة.
(٢٥٢٨) يُعْديكم بدائه : أي يصيبكم بشيء من دائه بالمخالطة كما يعدي الأجرب السليم ، والضمير لإبليس.
(٢٥٢٩) يستفزكم : يستنهضكم لما يريد .
(٢٥٣٠) أجلَبَ عليكم بخيله : أي رُكْبَانه . ورَجِله : أي مُشاته ، والمراد أعوان السوء .
(٢٥٣١) فَوَّقَ السهمَ : جعل له فُوقاً ، والفُوق موضع الوتر من السهم .
(٢٥٣٢) أغرقَ النازعُ : إذا استوفى مدَّ قوسه .
(٢٥٣٣) النزع في القوس : مدّها .
(٢٥٣٤) الجامحة من « جَمَحَ الفرسُ » ، وأراد بها هنا الطائفة التي لم تطعه .
(٢٥٣٥) الطَماعيَة : الطمع .
(٢٥٣٦) «نجمَت من السرّ إلى الخفيّ» : أي بعد أن كانت وسوسة في الصدور ، وهمساً في القول ، ظهرت إلى المجاهرة بالنداء ورفع الأيدي بالسلاح .
(٢٥٣٧) دلَفَت الكتيبة في الحرب : تقدمت.
(٢٥٣٨) أقحَموكم : أدخلوكم بغتة

(٢٥٣٩) الوَلَجَات - جمع وَلَجَة - : بالتحريك كهف يستتر فيه المارة من مطر ونحوه .
(٢٥٤٠) أوْطَأه : أركبه .
(٢٥٤١) إثْخَان الجِرَاحة : المبالغة فيها ، أي أركبوكم الجراحات البالغة ، كناية عن إشعال الفتنة بينهم حتى يتقاتلوا .
(٢٥٤٢) الخزائم - جمع خِزَامة ككتابة - : وهي حَلْقَة توضع في وترة أنف البعير فيشد فيها الزمام .
(٢٥٤٣) أوْرَى : أي أشدّ قدحاً للنار .
(٢٥٤٤) مُنَاصِبِين : مجاهرين لهم بالعداوة.
(٢٥٤٥) مُتَألِّبِين : مجتمعين .
(٢٥٤٦) حَدّكم : غضبكم وحدتكم .
(٢٥٤٧) جَدّكم - بفتح الجيم - : أي قطعكم ، يريد قطع الوصلة بينكم وبينه .
(٢٥٤٨) البَنَان : الأصابع .
(٢٥٤٩) حَوْمَة الشيء : معظمه وأشدّ موضع فيه . وأكثر ما يستعمل في حومة القتال والبحر والرمل .
(٢٥٥٠) النَخْوة : التكبر والتعاظم .
(٢٥٥١) النَزْعَة : المرة من النَزْع بمعنى الافساد.
(٢٥٥٢) النَفْثَة : النفخة .
(٢٥٥٣) المَسْلَحة : الثغر يدافع العدو عنده والقوم ذوو السلاح .
(٢٥٥٤) أمْعَنْتم : بالغتم
(٢٥٥٥) المصارحة : التظاهر .

(٢٥٥٦) **المَلاقِح** - جمع مُلْقَح كمُكْرَم : الفحول التي تلقح الإناث وتستولد الأولاد .

(٢٥٥٧) **الشَنَآن** : البغض .

(٢٥٥٨) **أعْنَقُوا** : من أعْنَقَت الثريا : غابت . أي غابوا واختفوا .

(٢٥٥٩) **الحَنادِس** - جمع حِنْدِس بكسر الحاء - : الظلام الشديد .

(٢٥٦٠) **المَهاوِي** - جمع مَهْواة - : الهُوة التي يتردى فيها الصيد .

(٢٥٦١) **الذُلُل** - جمع ذَلُول - من الذُلّ - بالضم - ضد الصعوبة . والسِياق هنا السَوْق .

(٢٥٦٢) **سُلُس** - بضمتين - جمع سَلِس . كَكَتِف : وهو الشيء السهل .

(٢٥٦٣) **الهجينة** : الفعلة القبيحة المستهجنة.

(٢٥٦٤) **الآلاء** : النعم .

(٢٥٦٥) **اعْتزاء الجاهلية** : تفاخرهم بأنسابهم ، كل منهم يعتزي أي ينتسب إلى أبيه وما فوقه من أجداده.

(٢٥٦٦) **الأدْعياء** - جمع دَعي - : وهو من ينتسب إلى غير أبيه . والمراد منهم الأخِسّاء المنتسبون إلى الأشراف ، والأشرار المنتسبون إلى الأخيار .

(٢٥٦٧) « **شربتم بصفْوِكم كَدَرَهم** » : أي خلطوا صافيَ إخلاصكم بكَدَر نفاقهم ، وبسلامة أخلاقكم مرضَ أخلاقهم .

(٢٥٦٨) **آساس** بالمد - جمع أساس - دِعامة الشيء .

(٢٥٦٩) **الأحْلاس** - جمع حِلْس بالكسر : كساء رقيق يكون على ظهر البعير ملازماً له . فقيل لكل ملازم لشيء : هو حِلْسُهُ . والعقوق : العصيان .

(٢٥٧٠) **النَبْل** - بالفتح - : السهام .

(٢٥٧١) **المَثُلات** - بفتح فضم - : العقوبات.

(٢٥٧٢) **مَثاوِي** - جمع مَثْوَى - : بمعنى المنزل . ومنازل الحُدود : مواضعها من الأرض بعد الموت .

(٢٥٧٣) **مصارع الجُنُوب** : مطارحها على التراب .

(٢٥٧٤) **لواقِح الكبر** : محدثاته في النفوس .

(٢٥٧٥) **المَخْمَصَة** : الجوع .

(٢٥٧٦) **المَجْهَدَةُ** : المشقة .

(٢٥٧٧) **مخض اللبن** : تحريكه ليخرج زُبْدُه . والمكاره تستخلص إيمان الصادقين وتظهر مزاياهم العقلية والنفسية .

(٢٥٧٨) **الذِهْبانُ** - بكسر الذال - : جمع ذهب .

(٢٥٧٩) **العِقْيان** : نوع من الذهب ينمو في معدنه .

(٢٥٨٠) **سَقْط البَلاء** : أي الامتحان الذي به يتميز الخبيث من الطيب .

(٢٥٨١) **خَصاصَة** : فقر وحاجة .

(٢٥٨٢) **النَتائِق** - جمع نَتيقة - : البقاع المرتفعة . ومكة مرتفعة بالنسبة لما انحط عنها من البلدان .

(٢٥٨٣) **المَدَر** : قطع الطين اليابس . وأقل الأرض مَدَراً لا ينبت إلا قليلاً .

(٢٥٨٤) **دَمِثَة** : لَيِّنَة يصعب السير فيها والاستنبات منها .

(٢٥٨٥) **وَشِلَة** - كفرحة - : قليلة الماء .

(٢٥٨٦) **لا يَزْكو** : لا ينمو . والخُفّ عبارة عن الجمال . والحافر عبارة عن الخيل وما شاكلها . والظِلْف عبارة عن البقر والغنم ، تعبير عن الحيوان بما رُكِّبَت عليه قوائمه .

(٢٥٨٧) **ثَنى عِطْفَه اليه** : مال وتوجه اليه .

(٢٥٨٨) **مُنْتَجَع الأسْفار** : محل الفائدة منها .

(٢٥٨٩) **مُلْتَى** : مصدر ميمي من ألتى أي نهاية حصر حالهم عن ظهور إبلهم .

(٢٥٩٠) **تَهْوِي** : تسرع سيراً اليه . والمراد بالثمار هنا الأرواح .

(٢٥٩١) **المَفَاوز** - جمع مَفَازة - : الفلاة لا ماء بها .

(٢٥٩٢) **السحيقة** : البعيدة .

(٢٥٩٣) **المَهَاوِي** - كالهُوّات - : مُنْخفضات الأراضي .

(٢٥٩٤) **الفِجاج** : الطرق الواسعة بين الجبال .

(٢٥٩٥) **مَنَاكِبهم** : رؤوس أكتافهم .

(٢٥٩٦) **الرَمَل** : ضرب من السير فوق المشي ودون الجري .

(٢٥٩٧) **الأشْعَث** : المنتشر الشعر مع تلبّد فيه .

(٢٥٩٨) **الأغْبر** : من علا بَدَنَهُ الغُبارُ .

(٢٥٩٩) **السَرَابيل** : الثياب .

(٢٦٠٠) **إعْفاء الشعور** : تركها بلا حلق ولا قص .

(٢٦٠١) **القَرار** : المطمئن من الأرض .

(٢٦٠٢) **جَمّ الأشجار** : كثيرها .

(٢٦٠٣) **البُنى** - جمع بُنْيَة بضم الباء وكسرها - : ما ابتنيته . وملتفّ البُنى : كثير العمران .

(٢٦٠٤) **البُرَّة** : الحِنْطة ، والسمراء : أجْوَدُها .

(٢٦٠٥) **الأرْياف** : الأراضي الخِصْبة .

(٢٦٠٦) **العِراص** - جمع عَرْصة - : الساحة ليس بها بناء .

(٢٦٠٧) **المُغْدَقة** : من « أغْدَقَ المطرُ » كثر ماؤه .

(٢٦٠٨) **الإساس** - بكسر الهمزة جمع أسّ مثلثها ، أو أساس .

(٢٦٠٩) **مُعْتَلَج** : مصدر ميمي من الاعتلاج : الالتطام . اعتلجت الأمواج : التطمت ، أي زال تلاطم الريب والشك من صدور الناس .

(٢٦١٠) **فُتُحاً** - بضمتين - : أي مفتوحة واسعة .

(٢٦١١) **تُساوِرُ القلوب** : تُواثِبُها وتُقاتلها .

(٢٦١٢) **أكْدَى الحافرُ** : إذا عجزَ عن التأثير في الأرض .

(٢٦١٣) **أشْوَتِ الضربة** : أخطأت المَقْتَل .

(٢٦١٤) **الطِمْر** - بالكسر - : الثوب الخَلَق أو الكساء البالي من غير الصوف .

(٢٦١٥) **الأطراف** : الأيدي والأرجل .

(٢٦١٦) **عتاق الوجوه** : كرامها ، وهو جمع عتيق ، من « عتق » إذا رقت بشرته .

(٢٦١٧) **المتون** : الظهور .

(٢٦١٨) **القمع** : القهر .

(٢٦١٩) **النواجم** : من « نجم » إذا طلع وظهر .

(٢٦٢٠) **القدع** : الكف والمنع .

(٢٦٢١) **تليط وتلوط** : أي تلصق .

(٢٦٢٢) **المترف** ـ على صيغة اسم المفعول : الموسع له في النعم يتمتع بما شاء من اللذات .

(٢٦٢٣) « **آثار مواقع النعم** » : ما ينشأ عن النعم من التعالي والتكبر .

(٢٦٢٤) **اليعاسيب** ـ جمع يعسوب ـ : وهو أمير النحل . ويستعمل مجازاً في رئيس القوم كما هنا .

(٢٦٢٥) **الأخلاق الرغيبة** : المرضية المرغوبة .

(٢٦٢٦) **الأحلام** : العقول .

(٢٦٢٧) **الجوار** ـ بالكسر ـ المجاورة بمعنى الاحتماء بالغير من الظلم .

(٢٦٢٨) **الذمام** : العهد .

(٢٦٢٩) **المثلات** : العقوبات .

(٢٦٣٠) **تفاوت** : اختلاف وتباين .

(٢٦٣١) **مدت** : انبسطت .

(٢٦٣٢) **الفقرة** ـ بالكسر والفتح ـ كالفقارة بالفتح ـ : ما انتظم من عظم الصلب من الكاهل إلى عجب الذنب .

(٢٦٣٣) **أوهن** : أي أضعف .

(٢٦٣٤) **المنة** ـ بضم الميم ـ : القوة .

(٢٦٣٥) **التمحيص** : الابتلاء والاختبار .

(٢٦٣٦) **المرار** ـ بضم ففتح ـ : شجر شديد المرارة تتقلص منه شفاه الإبل إذا أكلته . والمراد هنا عصارته .

(٢٦٣٧) **الأملاء** ـ جمع ملأ ـ : بمعنى الجماعة والقوم . والأيدي المترادفة المتعاونة .

(٢٦٣٨) **أرباباً** : سادات .

(٢٦٣٩) **غضارة النعمة** : سعتها . وقصص الأخبار حكايتها وروايتها .

(٢٦٤٠) **الاعتدال** : هنا التناسب .

(٢٦٤١) **الاشتباه** : هنا التشابه .

(٢٦٤٢) **يحتازونهم** : يقبضونهم عن الأراضي الخصبة .

(٢٦٤٣) **المهافي** : المواضع التي تهفو فيها الرياح أي تهب .

(٢٦٤٤) **النكد** ـ بالتحريك ـ : أي الشدة والعسر .

(٢٦٤٥) **الدبر** ـ بالتحريك ـ : القرحة في ظهر الدابة .

(٢٦٤٦) **الوبر** : شعر الجمال . والمراد أنهم رعاة .

(٢٦٤٧) **لا يأوون** : لم يكن فيهم داع إلى الحق فيأووا اليه ويعتصموا بمناصرة دعوته .

(٢٦٤٨) **بلاء أزل** : على الاضافة . والأزل ـ بالفتح ـ : **الشدة** .

(٢٦٤٩) **مَوْؤودة** : من « وأد بنته » - كوعد - : أي دفنها وهي حية .
(٢٦٥٠) «**شنّ الغارة**»: صبّها من كل وجه.
(٢٦٥١) « **التفّت الملّة بهم** » : يقال التفّ الحبل بالحطب إذا جمعه ، فملّة محمد (ص) جمعتهم بعد تفرقهم .
(٢٦٥٢) **العوائد** : ما يعود على الناس من الخيرات والنعم .
(٢٦٥٣) **فَكِهِين** : راضين ، طيبة نفوسهم
(٢٦٥٤) **تربعت** : أقامت .
(٢٦٥٥) **القَناة** : الرمح . وغمزها : جسّها باليد لينظر هل هي محتاجة للتقويم والتعديل فيفعل بها ذلك .
(٢٦٥٦) **الصَفاة** : الحجر الصلد . وقرْعها : صدْمها لتكسر .
(٢٦٥٧) **ثَلَمتم** : خرقتم .
(٢٦٥٨) **المُوالاة** : المحبة .
(٢٦٥٩) **النكْث** : نقض العهد .
(٢٦٦٠) **القاسطون** : الجائرون عن الحق .
(٢٦٦١) **المارقة** : الذين مرقوا من الدين أي خرجوا منه .
(٢٦٦٢) **دَوّخهم** : أضعفهم وأذلهم .
(٢٦٦٣) الرَدْهة - بالفتح - : النُقْرَة في الجبل قد يجتمع فيها الماء . وشيطان **الرَدْهة** : ذو الثديّة . من رؤساء الخوارج وُجد مقتولاً في ردهة .
(٢٦٦٤) **الصَعْقَة** : الغَشية تصيب الإنسانَ **من الهول** .
(٢٦٦٥) **وَجْبَة القلب**: اضطرابه وخفقانه.
(٢٦٦٦) **رَجّة الصدر** : اهتزازه وارتعاده .
(٢٦٦٧) **لأُديلَنّ منهم** : لأمحقنّهم ، ثم أجعل الدولة لغيرهم .
(٢٦٦٨) **يتَشَذّر** : يتفرّق .
(٢٦٦٩) **الكَلاكِل** : الصدور ، عبّر بها عن الأكابر .
(٢٦٧٠) **النَواجِمُ من القرون** : الظاهرة الرفيعة ، يريد بها أشراف القبائل .
(٢٦٧١) **عَرْفُهُ** - بالفتح - : رائحته الذكيّة.
(٢٦٧٢) **الخَطْلَة** : واحدة الخَطَل ، كالفرحة واحدة الفرح . والخَطَل الخطأ ينشأ عن عدم الروية .
(٢٦٧٣) **الفَصيل** : ولد الناقة .
(٢٦٧٤) **عَلَماً** : أي فضلاً ظاهراً .
(٢٦٧٥) **حِراء** - بكسر الحاء - : جبل على القرب من مكة .
(٢٦٧٦) **تَفيئُون** : ترجعون .
(٢٦٧٧) **القَليب** - كأمير - : البئر . والمراد منه قَليب بَدْر .
(٢٦٧٨) **القَصْف** : الصوت الشديد .
(٢٦٧٩) **عُمّار** - جمع عامر - : أي يَعْمُرُونه بالسهر للفكر والعبادة .
(٢٦٨٠) **يَغُلّون** : يخونون .
(٢٦٨١) « **ملبسهم الاقتصادُ** » : يلبسون الثياب بين بين لا هي بالثمينة جداً ولا الرخيصة جداً .
(٢٦٨٢) « **غَضّوا أبصارهم** » : خفضوها وغمضوها .

(٢٦٨٣) « تَنَزَّلَتْ أنفسهم منهم بالبلاء » : أي أنهم إذا كانوا في بلاء كانوا بالأمل في الله ، كأنهم كانوا في رخاء لا يجزعون ولا يهنون، وإذا كانوا في رخاء كانوا من خوف الله وحذر النقمة ، كأنهم في بلاء لا يبطرون ولا يتجبّرون .
(٢٦٨٤) أربحت التجارة : أفادت ربحاً .
(٢٦٨٥) الترتيل : التبيين والإيضاح .
(٢٦٨٦) استثار الساكنَ : هيّجه . وقارىء القرآن يستثير به الفكر الماحي للجهل.
(٢٦٨٧) زَفير النار : صوت توقّدها .
(٢٦٨٨) شهيق النار : الشديد من زفيرها كأنه تردد البكاء .
(٢٦٨٩) « حانُون على أوساطهم » : من « حَنَيْتَ العودَ » : عطفته ، يصف هيئة ركوعهم وانحنائهم في الصلاة .
(٢٦٩٠) مُفْتَرِشُون لجباههم : باسطون لها على الأرض .
(٢٦٩١) فكاك الرّقاب : خلاصها .
(٢٦٩٢) القِداح - جمع قِدْح بالكسر - : وهو السهم قبل أن يُراش . وبرَاه : نحته ، أي رقّق الخوفُ أجسامهم كما تُرقّق السهام بالنحت.
(٢٦٩٣) خُواط في عقله : مازجَهُ خلَلٌ فيه ، والأمر العظيم الذي خالط عقولهم هو الخوف الشديد من الله .
(٢٦٩٤) مشفقون : خائفون من التقصير .
(٢٦٩٥) زُكّيَ أحدهم : مدحه أحد الناس.
(٢٦٩٦) قصداً : أي اقتصاداً .
(٢٦٩٧) التجمّل : التظاهر باليسر عند الفاقة أي الفقر .
(٢٦٩٨) التحرّج : عدّ الشيء حَرَجاً أي إثماً ؛ أي تباعداً عن طمع .
(٢٦٩٩) استَصْعَبَتْ : لم تطاوعه .
(٢٧٠٠) مَنْزُوراً : قليلاً .
(٢٧٠١) حَرِيزاً : حصيناً .
(٢٧٠٢) الفُحْش : القبيح من القول .
(٢٧٠٣) في الزلازل : الشدائد المُزْعِدة .
(٢٧٠٤) الوَقُور : الذي لا يضطرب .
(٢٧٠٥) « لا ينابز بالألقاب » : لا يدعو باللقب الذي يكره ويشمئز منه .
(٢٧٠٦) صَعِقَ : غُشيَ عليه .
(٢٧٠٧) ذادَ عنه : حمى عنه وطَرَدَ .
(٢٧٠٨) الغَمْرة : الشدة . وأصلها ما ازدحم وكثر من الماء .
(٢٧٠٩) الغَصّة : الشجا في الحلق .
(٢٧١٠) تلوّنَ : تقلب له الأدْنَوْن أي الأقربون فلم يثبتوا معه .
(٢٧١١) تألّبَ عليه الأقْصَوْن : اجتمع عليه الأبعدون
(٢٧١٢) الأعِنّة : جمع عِنان ، وهو حبل اللجام .
(٢٧١٣) أسحق : أقصى .
(٢٧١٤) الزّالّون : من زلّ أي أخطأ . والمُزِلّون : من «أزلّه» إذا أوقعه في الخطأ .

(٢٧١٥) **يفتنّون** : يأخذون في فنون من القول لا يذهبون مذهباً واحداً .
(٢٧١٦) **يَعْمِدونكم** : يَفْدَحونكم
(٢٧١٧) **العماد** : ما يُقام عليه البناء .
(٢٧١٨) **المِرْصاد** : محل الارتقاب .
(٢٧١٩) **يَرْصُدُونكم** : يقعدون لكم بكل طريق ويُعِدّون المكايد لكم .
(٢٧٢٠) **دَوِيَة** : مريضة ، من الدَّوَى - بالقصر - وهو المرض .
(٢٧٢١) **الصِفاح** - جمع صفحة - : والمراد منها صِفاح وجوههم ، ونقاوتها : صفاؤها من علامات العداوة وقلوبهم ملتهبة بنارها .
(٢٧٢٢) « **يمشون الخَفَاءَ** » : يمشون مشي التستر .
(٢٧٢٣) **يَدِبّون** : أي يمشون على هينة دبيب الضراء : أي كما يسري المرض في الجسم .
(٢٧٢٤) **الداء العَيَاء** - بالفتح - : الذي أعيا الأطباء ولا يمكن منه الشفاء .
(٢٧٢٥) **حَسَدَة** : جمع حاسد ، أي يحسدون على النعمة .
(٢٧٢٦) **الصريع** : المطروح على الأرض .
(٢٧٢٧) **الشَجْو** : الحزن ، أي يبكون تصنعاً متى أرادوا .
(٢٧٢٨) **يتقارضون** : كل واحد منهم يثني على الآخر ليثني الآخر عليه ، كأن كلاً منهم يسلف الآخر ديناً ليؤديه إليه .
(٢٧٢٩) **ألحفوا** : بالغوا في السؤال وألحّوا .

(٢٧٣٠) **عذلوا** : لاموا .
(٢٧٣١) **ينفقون** : يروّجون . وأصله الثلاثي « نَفَقَ يَنْفُقُ » من النَفاق - بالفتح - : ضد الكساد .
(٢٧٣٢) **الأعْلاق** - جمع علق - : الشيء النفيس ، والمراد ما يزينونه من خدائعهم .
(٢٧٣٣) « **يقولون فيشبّهون** » : أي ، يشبهون الحق بالباطل .
(٢٧٣٤) **يُضْلِعون المضائق** : يجعلونها معوجّة يصعب تجاوزها فيهلكون .
(٢٧٣٥) **اللُمَة** - بضم ففتح - : الجماعة من الثلاثة إلى العشرة والمراد هنا مطلق الجماعة .
(٢٧٣٦) **الحُمَة** بالتخفيف : الإبرة تلسع بها العقرب ونحوها .
(٢٧٣٧) **المُقَل** - بضم ففتح - : جمع مُقْلة ، وهي شحمة العين التي تجمع البياض والسواد .
(٢٧٣٨) **هَمَاهِمُ النفوس** : همومها في طلب العلم .
(٢٧٣٩) **طامسة** : من طَمَسَ بفتحات ، أي انمحى واندرس .
(٢٧٤٠) **صَدَعَ** : أي جهر ، وأصلها شق بناء الباطل بصدمة الحق .
(٢٧٤١) **القصد** : الاعتدال في كل شيء .
(٢٧٤٢) **استفتحوه** : اسألوه الفتح على أعدائكم .
(٢٧٤٣) **استنجحوه** : اسألوه النجاح في أعمالكم .

(٢٧٤٤) **استمنحوه** : التمسوا منه العطاء .
(٢٧٤٥) **ثَلْمَ السيفَ** : كسر جانبه : مجاز عن عدم انتقاص خزائنه بالعطاء .
(٢٧٤٦) **الحِباء** - ككتاب - : العطية لا مكافأة . واستنفده : جعله نافد المال لا شيء عنده . واستقصاه : أتى على آخر ما عنده .
(٢٧٤٧) **لا يَلْوِيه** : لا يُميله .
(٢٧٤٨) **تُولِهُهُ** : تُذْهله .
(٢٧٤٩) **يُجِنّه** : يستره .
(٢٧٥٠) **دانَ** : جازى وحاسَبَ ولم يحاسبه أحد .
(٢٧٥١) **ذَرَأ** : خَلَقَ .
(٢٧٥٢) **الاحتيال** : التفكر في العمل وطلب التمكن من إبرازه ولا يكون إلا من العجز .
(٢٧٥٣) **الكَلال** : الملل من التعب .
(٢٧٥٤) **الزِمام** : المِقْود .
(٢٧٥٥) **قَوَام** - بالفتح - : أي عيش يحيا به الأبرار .
(٢٧٥٦) **الأكْنان** - جمع كِنّ بالكسر - : ما يستكن به .
(٢٧٥٧) **الدَعَة** : خَفْضُ العيش وَسَعته .
(٢٧٥٨) **المعاقل** : الحصون .
(٢٧٥٩) **الحِرْز** : الحفظ .
(٢٧٦٠) **الصُرُوم** - جمع صِرْمة بالكسر - : وهي قطعة من الإبل فوق العشرة إلى تسعة عشر أو فوق العشرين إلى الثلاثين أو الأربعين أو الخمسين.
(٢٧٦١) **العشار** - جمع عُشَراء بضم ففتح كنُفَساء - وهي الناقة ، مضى لحملها عشرة أشهر . وتعطيل جماعات الإبل : إهمالها من الرَعْي . والمراد أن يوم القيامة تهمل فيه نفائس الأموال لاشتغال كل شخص بنجاة نفسه .
(٢٧٦٢) **الشُمّ** - جمع أشَمّ - : أي رفيع .
(٢٧٦٣) **الشامخ** : المتسامي في الارتفاع .
(٢٧٦٤) **الصُمّ** - جمع أصَمّ - : وهو الصُلْب المُصْمَت ، أي الذي لا تجويف فيه.
(٢٧٦٥) **الراسخ** : الثابت .
(٢٧٦٦) **الصَلْد** : الصُلْب الأملس .
(٢٧٦٧) **السرَاب** : ما يخيله ضوء الشمس كالماء خصوصاً في الأراضي السَبِخة وليس بماء .
(٢٧٦٨) **الرَقْرَق** - كجعفر - : المضطرب .
(٢٧٦٩) **معهدها** : المحل الذي كان يعهد وجودها فيه .
(٢٧٧٠) **القاع** : ما اطمأن من الأرض .
(٢٧٧١) **السَمْلَق** - كجعفر - : الصَفْصف المستوي ، أي تُنْسَف تلك الجبال ويصير مكانها قاعاً صفصفاً : أي مستوياً .
(٢٧٧٢) **الشُخُوص** : الذهاب والانتقال إلى بعيد .
(٢٧٧٣) **بائن** : مبتعد منفصل .
(٢٧٧٤) **تَميد**: تضطرب اضطراب السفينة
(٢٧٧٥) **تقصفها: تكسرها الرياح الشديدة.**

(٢٧٧٦) **الوَبِق** ـ بكسر الباء ـ : الهالك ، أي منهم من هلك عند تكسر السفينة ، ومنهم من بقيت فيه الحياة فنجا .
(٢٧٧٧) **تَحفِزه** : أي تدفعه .
(٢٧٧٨) **اللدْن** ـ بالفتح ـ : اللين .
(٢٧٧٩) **المُنْقلَب** ـ بفتح اللام ـ : مكان الانقلاب من الضلال إلى الهدى في هذه الحياة .
(٢٧٨٠) **أرهقه الشيء** : أعجله فلم يتمكن من فعله .
(٢٧٨١) **الفَوْت** : ذهاب الفرصة بحلول الأجل .
(٢٧٨٢) **المُسْتَحْفَظون** ـ بفتح الفاء ـ اسم مفعول ، أي الذين أودعهم النبي (ص) أمانة سره وطالبهم بحفظها .
(٢٧٨٣) **المواساة بالشيء** : الإشراك فيه ، فقد أشرك النبي في نفسه .
(٢٧٨٤) **تَنكُص** : تراجع .
(٢٧٨٥) **النَجْدة** ـ بالفتح ـ : الشجاعة .
(٢٧٨٦) **الأفنِيَة** ـ جمع فِناء بكسر الفاء ـ : ما اتسع أمام الدار .
(٢٧٨٧) **الهَيْنَمة** : الصوت الخفي .
(٢٧٨٨) **البصيرة** : ضياء العقل .
(٢٧٨٩) **المزَلّة** : مكان الزَلَل الموجب للسقوط في الهَلَكة .
(٢٧٩٠) **النِينان** ـ جمع نُون ـ : وهو الحُوت .
(٢٧٩١) **النَجيب** : المختار المصطفى .
(٢٧٩٢) **مرمى المَفزَع** : ما يدفع إليه الخوف ؛ وهو الملجأ : أي وإليه ملاجىء خوفكم .
(٢٧٩٣) **الجأش** : ما يضطرب في القلب عند الفزع ، أو التهيب ، أو توقع المكروه .
(٢٧٩٤) **الشعار** : ما يلي البدنَ من الثياب .
(٢٧٩٥) **الدثار** : ما فوق الشعار .
(٢٧٩٦) **المَنْهَل** : ما تَرِدُهُ الشاربةُ من الماء للشرب .
(٢٧٩٧) **الدَرَك** ـ بالتحريك ـ : اللحاق .
(٢٧٩٨) **الطَلِبَة** ـ بفتح الطاء وكسر اللام ـ : المطلوب .
(٢٧٩٩) **الجُنّة** ـ بالضم ـ : الوِقاية .
(٢٨٠٠) **الأُوار** ـ بالضم ـ : حرارة النار ولهيبها .
(٢٨٠١) **عَزَبت** ـ بالزاي ـ : غابت وبعدت
(٢٨٠٢) **الإنصاب** ـ بكسر الهمزة ـ : مصدر بمعنى الإتعاب .
(٢٨٠٣) **تَحَدَّبَ عليه** : عطف .
(٢٨٠٤) **نَضَبَ الماء نُضوباً** : غار وذهب في الأرض . ونضوب النعمة : قلتها أو زوالها . ووَبَلَتِ السماء : أمطرت مطراً شديداً .
(٢٨٠٥) **أرذّت** ـ بتشديد الذال ـ إرذاذاً : مطرت مطراً ضعيفاً في سكون كأنه الغبار المتطاير .
(٢٨٠٦) « **أصفاه خيرةَ خَلقه** » : آثر به أفضلَ الخلق عنده ؛ وهو خاتم النبيين .

(٢٨٠٧) **مُحَادّيه** ـ جمع مُحَادّ ـ : الشديد المخالفة .

(٢٨٠٨) **الركن** : العز والمنعة .

(٢٨٠٩) **تَئِقَ الحوضُ** ـ كفرح ـ : امتلأ . وأتأقه : ملأه .

(٢٨١٠) **المَوَاتح** ـ جمع ماتح ـ : نازع الماء من الحوض .

(٢٨١١) **العفاء** ـ كسحاب ـ : الدُرُوس والاضمحلال .

(٢٨١٢) **الجذّ** : القطع .

(٢٨١٣) **الضَنْك** : الضيق .

(٢٨١٤) **الوُعُوثة** : رخاوة في السهل تغوص بها الأقدام عند السير فيعسر المشي فيه .

(٢٨١٥) **الوَضَح** ـ محركة ـ : بياض الصبح .

(٢٨١٦) **العَصَل** ـ بفتح الصاد ـ : الاعوجاج يصعب تقويمه .

(٢٨١٧) **وَعث الطريق** : تعسّر المشي فيه .

(٢٨١٨) **الفجّ** : الطريق الواسع بين جبلين .

(٢٨١٩) **أساخ** : أثبت . وأصل ساخ غاص في لين وخاض فيه .

(٢٨٢٠) **الأسْناخ** : الأصول . وغَزُرت : كثرت .

(٢٨٢١) **شبّت النار** : ارتفعت من الايقاد .

(٢٨٢٢) **المَنار** : ما ارتفع لتوضع عليه نار يهتدى إليها .

(٢٨٢٣) **السُفّار** ـ بضم فتشديد ـ : ذوو السفر ، أي يهتدي إليه المسافرون في طريق الحق .

(٢٨٢٤) **الأعلام** : ما يوضع على أوليات الطرق وأوساطها ليدل عليها .

(٢٨٢٥) **مُشْرِف المنار** : مرتفعه .

(٢٨٢٦) **مُعْوِذُ** المَثار : من أعْوَذَ ـ بالذال كأعاذ ـ بمعنى ألجأ . **والمَثار** : مصدر ميمي من ثار الغبار إذا هاج ؛ أي لو طلب أحد إثارة هذا الدين لألجأه إلى مشقة لقوته ومتانته .

(٢٨٢٧) **الاطّلاع** : الاتيان ؛ اطّلع فلان علينا : أي أتانا .

(٢٨٢٨) **خُشونة المِهاد** : كناية عن شدة آلام الدنيا .

(٢٨٢٩) **أزِف** ـ كفرح ـ : أي قرب ؛ والمراد من القِياد انقيادها للزوال .

(٢٨٣٠) **الأشراط** ـ جمع شَرَط كسبب ـ : أي علامات انقضائها .

(٢٨٣١) **التصرّم** : التقطع .

(٢٨٣٢) **الانفصام** : الانقطاع . وإذا انفصمت الحلْقة انقطعت الرابطة .

(٢٨٣٣) **انتشار الأسباب** : تبددها حتى لا تُضْبَط .

(٢٨٣٤) **عَفَاء الاعلام** : اندراسها .

(٢٨٣٥) **خَبَتِ النار** : انطفأت .

(٢٨٣٦) **المِنْهاج** : الطريق الواسع

(٢٨٣٧) **النَهْج** هنا السلوك . ويُضِل رباعي . أي لا يكون من سلوكه إضلال .

(٢٨٣٨) **بُحْبُوحة المكان** : وسطه .

(٢٨٣٩) **الرياض** ـ جمع روضة ـ : **وهي** مستنقع الماء في رمل أو عشب .

(٢٨٤٠) **الغُدْران** - جمع غَدِير - : وهو القطعة من الماء يغادرها السيل .
(٢٨٤١) **الأثافيّ** - جمع أُثْفِيَة - : الحجر يوضع عليه القدر ، أي عليه قام الاسلام .
(٢٨٤٢) **غيطان الحق** - جمع غاط أو غَوْط وهو المطمئن من الأرض .
(٢٨٤٣) **لا يُنْزِفه** : لا يفنى ماؤه ولا يستفرغه المغترفون .
(٢٨٤٤) **لا يُنْضِبُها** - كيُكْرِمها - : أي ينقصها . والماتحون - جمع ماتح - : نازع الماء من الحوض .
(٢٨٤٥) **المناهل** : مواضع الشرب من النهر .
(٢٨٤٦) **لا يَغيضها** : « من غاض الماءَ » نقصه .
(٢٨٤٧) **آكام** - جمع أَكَمَة - : وهو الموضع يكون أشد ارتفاعاً مما حوله ، وهو دون الجبل في غلظ لا يبلغ أن يكون حجراً .
(٢٨٤٨) **يجوز عنها** : يقطعها ويتجاوزها .
(٢٨٤٩) **المَحاجّ** - جمع مَحَجّة - : وهي الجادّة من الطريق .
(٢٨٥٠) **الفَلْج** - بالفتح - : الظفر والفوز .
(٢٨٥١) **الجُنّة** - بالضم - : ما به يتقى الضرر .
(٢٨٥٢) **استلأمَ** : أي لبس اللأْمَةَ وهي الدرْع أو جميع أدوات الحرب ، أي ان من جعل القرآن لأمة حربه لمدافعة الشبه كان القرآن وقاية له .
(٢٨٥٣) **قضى** : حكم وفصل .
(٢٨٥٤) **حتّ الورقَ عن الشجرة** : قشره .
(٢٨٥٥) **الرِبْق** - بكسر الراء - : حبل فيه عدة عرىً كل منها رِبْقة .
(٢٨٥٦) **الحَمّة** - بالفتح - : كل عين ينبع منها الماء الحار ويستشفى بها من العلل .
(٢٨٥٧) **الدرَن** : الوسخ .
(٢٨٥٨) **نَصِباً** - بفتح فكسر - : أي تَعِباً .
(٢٨٥٩) **مَغْبون الأجر** : منقوصه .
(٢٨٦٠) **المَدْحُوّة** : المبسوطة .
(٢٨٦١) **مقترفون** : أي مكتسبون .
(٢٨٦٢) **الخُبْر** - بضم الخاء - : العِلْم .
(٢٨٦٣) **العِيان** - بكسر العين - : المعاينة والمشاهدة .
(٢٨٦٤) **لا أُسْتَغْمَزُ** - مبني للمجهول - : أي لا أُسْتَضْعَفُ بالقوة الشديدة. والمعنى : لا يستضعفني شديد القوة . والغمَز - محركه - : الرجل الضعيف .
(٢٨٦٥) **السُخْط** : الغضب ، ضد الرضى .
(٢٨٦٦) **خارَت** : صوّتت كخُوار الثور .
(٢٨٦٧) **السِكّة المُحْماة** : حديدة المِحْراث إذا أُحْمِيَتْ في النار فهي أسرع غَوْراً في الأرض .
(٢٨٦٨) **الخَوّارة** : السهلة اللينة .
(٢٨٦٩) يريد « **بالتأسي** » : الاعتبار بالمثال المتقدم .
(٢٨٧٠) **الفادح** : المُثْقِل .
(٢٨٧١) **التعزّي** : التصبر .
(٢٨٧٢) **مَلْحُودة القبر** : الجهة المشقوقة منه .

(٢٨٧٣) **ومُسْتَهِد** : أي ينقضي بالسهاد وهو السهر .
(٢٨٧٤) **هَضَمها** : ظلمها .
(٢٨٧٥) **إحفاء السؤال** : الاستقصاء فيه .
(٢٨٧٦) **القالي** : المبغض .
(٢٨٧٧) **السَّأَم** : من السآمة : وهي الضجر .
(٢٨٧٨) **مجاز** : أي ممر إلى الآخرة .
(٢٨٧٩) **العُرْجة** : بالضم - اسم من التعريج . بمعنى حبس المطية على المنزل .
(٢٨٨٠) **الكَؤود** : الصعبة المرتقى .
(٢٨٨١) **مَلاحِظ المنيّة** : منبعث نظرها .
(٢٨٨٢) **دانية** : قريبة .
(٢٨٨٣) **نَشِبَتْ** : علقت بكم .
(٢٨٨٤) **استظهروا** : استعينوا .
(٢٨٨٥) **نَقَمْتُما** : أي غضبتما .
(٢٨٨٦) **أرجأتما** : أي أخرتما مما يرضيكما كثيراً لم تنظرا إليه .
(٢٨٨٧) **الإرْبة** - بكسر الهمزة - : الغرض والطلبة
(٢٨٨٨) **الأُسْوَة** : ها هنا التسوية بين المسلمين في قسمة الأموال ، وكان ذلك قد أغضب القوم على ما روي .
(٢٨٨٩) **العُتْبى** : الرجوع عن الاساءة .
(٢٨٩٠) **الارعواء** : النزوع عن الغيّ والرجوع عن وجه الخطأ .
(٢٨٩١) **لَهِجَ به** : أُولع به .
(٢٨٩٢) **املكوا عني** : أي خذوه بالشدة وأمسكوا به . والهمزة وَصْلية . فالمادة من المِلْك .

(٢٨٩٣) **يَهُدّني** : يهدمني .
(٢٨٩٤) **نَفِسَ به** - كفرح - : أي ضن به .
(٢٨٩٥) **نَهِكَتْهُ الحمى** : أضعفته وأضنته .
(٢٨٩٦) **أطْلَعَ الحقّ مَطْلَعَهُ** : أظهره حيث يجب أن يظهر .
(٢٨٩٧) **عُدَيّ** - تصغير عَدُوّ .
(٢٨٩٨) **يُقَدِّروا أنفسهم** : أي يقيسوا أنفسهم .
(٢٨٩٩) **يَتَبَيَّغ** : يهيج به الألم فيهلكه .
(٢٩٠٠) **يتأثّم** : يخاف الإثم .
(٢٩٠١) **يتحرّج** : يخشى الوقوع في الحرَج وهو الجُرْم .
(٢٩٠٢) **لَقِفَ** : تناول وأخذ عنه .
(٢٩٠٣) **وَهِمَ** : غلط وأخطأ .
(٢٩٠٤) **لم يَهِم** : لم يخطىء ولم يظن خلاف الواقع .
(٢٩٠٥) **جنّب عنه** : أي تجنب .
(٢٩٠٦) **المتشابه من الكلام** : هو ما لا يعلمه إلّا الله والراسخون في العلم . ومُحْكَم الكلام : صريحه الذي لم يُنْسَخ .
(٢٩٠٧) **زَخَرَ البحر** - كمنع - : زُخوراً ، وتزَخّر : طمى وامتلأ .
(٢٩٠٨) **المتقاصف** : المتراحم كأن أمواجه في تراحمها يقصف بعضها بعضاً ، أي يكسر .
(٢٩٠٩) **اليَبَس** - بالتحريك - : اليابس
(٢٩١٠) **فَطَرَ** : خلق .
(٢٩١١) **الأطباق** : طبقات مختلفة في تركيبها

(٢٩١٢) كانت الأطباق رتقاً يتصل بعضها ببعض . ففتقها سبعاً وهي السموات وقف كل منها حيث مكنه الله على حسب ما أودع فيه من السر الحافظ له .

(٢٩١٣) **استمسكت بأمره:** أي بأمر الله التكويني .

(٢٨١٤) **قامت على حدّه :** أي حد الأمر الإلهي .

(٢٩١٥) المراد من **الأخضر** . الحامل للأرض وهو البحر .

(٢٩١٦) **المثْعَنْجِر** ـ بكسر الجيم ـ : معظم لبحر وأكثر مواضعه ماء .

(٢٩١٧) **القَمْقام** ـ بفتح القاف وتضم ـ : البحر أيضاً .

(٢٩١٨) **جَبَلَ :** خلقَ .

(٢٩١٩) **الجلاميد :** الصخور الصُلْبة .

(٢٩٢٠) **النُشُوز** ـ جمع نَشْز بسكون الشين وفتحها وفتح النون ـ : ما ارتفع من الأرض .

(٢٩٢١) **المُتون** ـ جمع مَتْن ـ : ما صلب منها وارتفع .

(٢٩٢٢) **الأطواد :** عطف على المتون وهي عظام الناتئات .

(٢٩٢٣) **مراسيها:** ما«رست»أي رسخت فيه.

(٢٩٢٤) **قرارها :** ما استقرت فيه .

(٢٩٢٥) قوله « أنْهَدَ جبالها » الخ . كأن النشوز والمتون والأطواد كانت في بداية أمرها على ضخامتها غير ظاهرة الامتياز ولا شامخة الارتفاع عن السهول ، حتى إذا ارتجت الأرض بما أحدثت يد القدرة الالهية في بطونها نهدت الجبال عن السهول فانفصلت كل الانفصال .

(٢٩٢٦) **أساخ قواعدها :** أي جعلها غائصة.

(٢٩٢٧) **مواضع الأنصاب** ـ جمع نُصُب ـ: وهو ما جعل عَلَماً يُشهَد فيُقصَد.

(٢٩٢٨) **قُلّة الجبل :** أعلاه . وأشهقها : جعلها شاهقة : أي بعيدة الارتفاع .

(٢٩٢٩) **أطال أنشازها:** أي متونها المرتفعة في جوانب الأرض .

(٢٩٣٠) **أرّزها** ـ بالتشديد ـ ثبتها .

(٢٩٣١) **تَميد** ـ أي تضطرب وتتزلزل .

(٢٩٣٢) **تَسيخ** ـ كتَسُوخ ـ : أي تغوص في الهواء فتنخسف .

(٢٩٣٣) **لا يجري :** المراد هنا أنه لا يسيل في الهواء .

(٢٩٣٤) **تُكَرْكِرُه :** تذهب به وتعود .

(٢٩٣٥) **الذَوارِف :** جمع ذارِفة . من ذرف الدمع إذا سال .

(٢٩٣٦) **شَبَه** ـ بالتحريك ـ : أي مشابهة .

(٢٩٣٧) **رَهِقَه** ـ كفرح ـ : غَشِيَه .

(٢٩٣٨) **الرَتْق :** سدّ الفتْق .

(٢٩٣٩) **المفاتق :** مواضع الفتْق وهي ما كان بين الناس من فساد وفي مصالحهم من اختلال .

(٢٩٤٠) **ساوَرَ به المُغالِب:** أي واثب بالنبي (ص) كل من يغالب الحق .

(٢٩٤١) **الحَزُونة** : غِلَظ في الأرض .

(٢٩٤٢) **نَسَخَ الخلقَ** : نقَلَهم بالتناسل عن أصولهم . فجعلهم بعد الوحدة في الأصول فِرَقاً .

(٢٩٤٣) **العاهر** : من يأتي غير حِلّه كالفاجر .

(٢٩٤٤) **ضرب في الشيء** : صار له نصيب منه .

(٢٩٤٥) **العِصَم** ـ بكسر ففتح ـ : جمع عِصْمة وهي ما يعتصم به . وعِصَم الطاعات : الإخلاص لله وحده .

(٢٩٤٦) **الكِفاء** ـ بالكسر ـ : الكافي أو الكِفاية .

(٢٩٤٧) **المستحفَظين** : بصيغة اسم المفعول : الذين أودعوا العلم ليحفظوه .

(٢٩٤٨) **الوِلاية** : الموالاة والمُصافاة .

(٢٩٤٩) **الرَوِيّة** فعيلة ـ بمعنى فاعلة ـ : أي يروي شرابها من ظمأ التباعد والنُفْرة .

(٢٩٥٠) **رِيّة** ـ بكسر الراء وتشديد الياء ـ الواحدة من الريّ : زوال العطش .

(٢٩٥١) **الريبة** : الشك في العقائد .

(٢٩٥٢) **عقد خلقهم** : أي وصل خلقهم الجسماني وأخلاقهم النفسية بهذه الصفات . وأحكم صلتهما بها حتى كأنهما معقودان بها .

(٢٩٥٣) « **كتفاضل البَذْر يُنْتَقَى** » : أي كانوا إذا نسبتهم إلى سائر الناس رأيتهم يفضلونهم ويمتازون عليهم كتفاضل البذر . فان البذر يعتنى بتنقيته ليخلص النبات من الزوان . ويكون النوع صافياً لا يخالطه غيره ، وبعد التنقية يؤخذ منه ويلقى في الأرض . فالبذر يكون أفضل الحبوب وأخلصها .

(٢٩٥٤) **التهذيب** هنا : التنقية .

(٢٩٥٥) **التمحيص** : الاختبار .

(٢٩٥٦) **الكرامة** : هنا النصيحة أي اقبلوا نصيحة لا ابتغي عليها أجراً إلا قبولها .

(٢٩٥٧) **القارعة** : داعية الموت أو القيامة تأتي بغتةً .

(٢٩٥٨) **المُتَحَوَّل** ـ بفتح الواو مشددة ـ : ما يُتَحَوَّل إليه .

(٢٩٥٩) **معارف المنتقَل** : المواضع التي يعرف الانتقال إليها .

(٢٩٦٠) **الحَوْبة** ـ بفتح الحاء ـ : الإثم ، وإماطتها : تنحيتها .

(٢٩٦١) **الدابر** : بقية الرجل من ولده ونسله . وأصل الدابر : الظهر ، وكنى بقطعه عن الدواعي التي من شأنها قطع القوة وإبادة النسل .

(٢٩٦٢) **الالتباس** : الاختلاط .

(٢٩٦٣) **التتابع** : ركوب الأمر على خلاف الناس . أراد به هنا الإسراع إلى الشر واللَجاجة .

(٢٩٦٤) **تتكافأ** : تتساوى .

(٢٩٦٥) **أذلال الطريق** : جمع ذِلّ ـ بكسر الذال ـ : مجراه ووسطه . و « جرت أمور الله أذلالها . وعلى أذلالها » أي وجوهها .

(٢٩٦٦) **السُنَن** : جمع سُنَّة .
(٢٩٦٧) **أجحف بالرعيّة** : ظلمهم .
(٢٩٦٨) **الإدغال** في الأمر : إدخال ما يفسده فيه .
(٢٩٦٩) **مَحَاجّ السُنَن** : جمع مَحَجّة ، وهي جادّة الطريق وأوسطها .
(٢٩٧٠) **لا يستوحش لعظيم** : أي لا تأخذ النفوس وحشة أو استغراب ، لتعودها على تعطيل الحقوق .
(٢٩٧١) « **بِفَوْق أن يُعان** ... الخ » : أي : بأعلى من أن يحتاج إلى الإعانة ، أي : بغنى عن المساعدة .
(٢٩٧٢) **اقتحمَتْهُ** : احتقرَتْهُ وازدرته .
(٢٩٧٣) أصل « السخف » رقة العقل وغيره ، أي ضَعفه .
(٢٩٧٤) **البَلاء** : هنا إجهاد النفس في إحسان العمل .
(٢٩٧٥) **التَقِيّة** : الخوف ، والمراد لازمه ، وهو العقاب .
(٢٩٧٦) **البادرة** : الغضب .
(٢٩٧٧) **المُصَانعة** : المُدَاراة .
(٢٩٧٨) **أمْلَكُ به مني** : أي أشد ملكاً مني .
(٢٩٧٩) **أستعديك** : أستعينك لتنتقم لي .
(٢٩٨٠) « **إكفاء الإناء** » : قلبه ، مجاز عن تضييع الحق .
(٢٩٨١) **الرافد** : المُعين .
(٢٩٨٢) **الذابّ** : المدافع .
(٢٩٨٣) **ضننت** : أي بخلت .
(٢٩٨٤) **القذى** : ما يقع في العين . **وأغضيت على القذى** : غضضت الطرف عنه .
(٢٩٨٥) **الشجا** : ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه ، يريد به غصة الحزن .
(٢٩٨٦) **الشِفار** : جمع شَفْرة : حد السيف ونحوه . ووَخز الشِفار : طعنها الخفيف .
(٢٩٨٧) **العضّ على السيوف** : كناية عن الصبر في الحرب وترك الاستسلام .
(٢٩٨٨) **الوِتْر** : الثأر .
(٢٩٨٩) **أتلعوا** : أي رفعوا أعناقهم ومدّوها لتناول أمر ، وهو مناوأة أمير المؤمنين على الخلافة .
(٢٩٩٠) **وُقِصوا** : أي كُسِرَت أعناقهم ، دون الوصول إليه .
(٢٩٩١) **إحياء العقل** : بالعلم والفكر والنفوذ في الأسرار الإلهية .
(٢٩٩٢) **إماتة النفس** : بكفّها عن شهواتها .
(٢٩٩٣) **الجليل** : العظيم . ودق : أي صغر حتى خفي أو كاد . والمراد نحول بدنه الكثيف .
(٢٩٩٤) **لَطُفَ غليظه** : تلطفت أخلاقه وصفت نفسه .
(٢٩٩٥) **تَدافَعتهُ الأبواب** : أي ما زال يتنقل من مقام إلى آخر من مقامات الكمال .
(٢٩٩٦) **ألهاه** عن الشيء : صرفه عنه باللهو أي صرفكم عن الله اللهوُ والتكاثر بمكاثرة بعضكم لبعض وتعديد كل منكم مزايا أسلافه .

(٢٩٩٧) **المَرام** : الطلب بمعنى المطلوب .
(٢٩٩٨) **الزَّوْر** ـ بالفتح ـ : الزائرون .
(٢٩٩٩) **ما أغفلهُ** : أي ما أشدّ غفلته !
(٣٠٠٠) **استَخْلَوْهم** : وجدوهم خالين.
(٣٠٠١) **المُدَّكَر** : مصدر ميمي من الادّكار بمعنى الاعتبار .
(٣٠٠٢) **تَنَاوَشُوهم** : تناولوهم .
(٣٠٠٣) **خَوَتْ** : سقط بناؤها وخلت من أرواحها .
(٣٠٠٤) **أحْجَى** : أقرب للحِجى أي العقل.
(٣٠٠٥) **العَشْوَة** : ضعف البصر .
(٣٠٠٦) **الخاوية** : المنهدمة .
(٣٠٠٧) **الربوع** : المساكن .
(٣٠٠٨) **الضُلاّل** ـ كعُشّاق ـ جمع ضال .
(٣٠٠٩) **هام** ـ جمع هامة ـ : أعلى الرأس .
(٣٠١٠) **تستَنْبِتون** أي : تزرعون النبات في أجسادهم .
(٣٠١١) **ترتعون** : تأكلون وتتلذذون بما لفظوه ، أي طرحوه وتركوه .
(٣٠١٢) **بَواك** ـ جمع باكية .
(٣٠١٣) **نوائح** ـ جمع نائحة .
(٣٠١٤) **سلف الغاية** : السابق إليها . وغايتهم حد ما ينتهون إليه ، وهو الموت .
(٣٠١٥) **الفُرّاط** ـ جمع فارط ، وهو كالفَرَط بالتحريك ـ : متقدم القوم إلى الماء ليهيىء لهم موضع الشرب .
(٣٠١٦) **المَناهِل** : مواضع ما تشرب الشاربة من النهر مثلاً .

(٣٠١٧) **مَقَاوِم** : جمع مَقام .
(٣٠١٨) **الحَلَبات** ـ جمع حَلْبة بالفتح ـ : وهي الدفعة من الخيل في الرِهان .
(٣٠١٩) **السُوَق** ـ بضم ففتح ـ جمع سُوقة بالضم ـ : بمعنى الرعية .
(٣٠٢٠) **البرزخ** : القبر .
(٣٠٢١) **الفَجَوات** : جمع فَجْوة ، وهي الفُرْجة ، والمراد منها هنا شق القبر .
(٣٠٢٢) **يَنْمُون** : من النماء ، وهو الزيادة في الغذاء .
(٣٠٢٣) **الضِمار** : ككتاب : المال لا يرجى رجوعه .
(٣٠٢٤) **لا يَحْفِلون** ـ بكسر الفاء : لا يبالون .
(٣٠٢٥) **الرَواجِف** ـ جمع راجفة ـ : الزلزلة توجب الاضطراب .
(٣٠٢٦) **يأذَنُون** : يستمعون . والمصدر منه الأذَن بالتحريك .
(٣٠٢٧) **القواصف** : من « قصف الرعد » اشتدت هَدْهَدَته .
(٣٠٢٨) **آلافاً** ـ جمع أليف ـ : أي مؤتلف مع غيره .
(٣٠٢٩) **صَمّ يَصَمّ** ـ بالفتح فيهما ـ : خرس عن الكلام . وخرس الديار : ألا يصعد الصوت من سكانها .
(٣٠٣٠) **ارتجال الصفة** : وصف الحال بلا تأمل .
(٣٠٣١) **صرعى** : جمع صريع : أي هالك .

(٣٠٣٢) **السُبات** - بالضم - : أي النوم .
(٣٠٣٣) **بَلِيَتْ** : رثّت وفنِيَت .
(٣٠٣٤) **العُرا** - جمع عُرْوَة - : وهي مَقْبِض الدلو والكوز مثلاً .
(٣٠٣٥) **الجديدان** : الليل والنهار .
(٣٠٣٦) يريد **بالغايتين** هنا : الجنة والنار .
(٣٠٣٧) **المَباءة** : مكان التبوء والاستقرار ، والمراد منها ما يرجعون إليه في الآخرة .
(٣٠٣٨) **عَيُّوا** : عجزوا .
(٣٠٣٩) **العِبَر** : جمع عِبْرة ، وهي ما يعتبر به ، ويتخذ موعظة .
(٣٠٤٠) **كَلَحَ** : كمنع - كُلُوحاً - : تكشّر في عبوس .
(٣٠٤١) **النواضر** : الحسنة البواسم .
(٣٠٤٢) **خوَت** : تهدمت بنيتها .
(٣٠٤٣) **الأهْدام** - جمع هِدْم بكسر الهاء - : الثوب البالي أو المرقع .
(٣٠٤٤) **تَكَاءَدَهُ الأمرُ** : أي شقّ عليه .
(٣٠٤٥) **تَهكّمت** : المراد هنا تهدمت .
(٣٠٤٦) **الرُبُوع** : أماكن الإقامة .
(٣٠٤٧) **الصُموت** : جمع صامت ، والمراد بها القبور .
(٣٠٤٨) **ارتسخ** : مبالغة في رسخ ، ورسخ الغدير : نشّ ماؤه ، أي أخذ في النقصان ونضب .
(٣٠٤٩) **الهوام** : الديدان .
(٣٠٥٠) **استكّت الأذن** : صمّت .
(٣٠٥١) **خسفت** عين فلان : فقئت
(٣٠٥٢) **ذلاقة الألسن** : حدتها في النطق .
(٣٠٥٣) **عاث** : أفسد .
(٣٠٥٤) **البِلى** : التحلل والفناء .
(٣٠٥٥) **سمّج** الصورة تسميجاً : قبّحها .
(٣٠٥٦) **أشجان القلوب** : همومها .
(٣٠٥٧) **أقذاء العيون** : ما يسقط فيها فيؤلمها .
(٣٠٥٨) **الغَمْرة** : الشدة .
(٣٠٥٩) **الأنيق** : رائق الحسن .
(٣٠٦٠) **الغَذِيّ** : اسم بمعنى المفعول أي مغذّى بالنعيم .
(٣٠٦١) **الربيب** : بمعنى المربى ، ربّه يربّه أي رباه .
(٣٠٦٢) **يتعلّل** : يتشاغل .
(٣٠٦٣) **السلوة** : انصراف النفس عن الألم بتخيّل اللذة .
(٣٠٦٤) **ضناً** : أي بخلاً .
(٣٠٦٥) **غَضارة العيش** : طيبه .
(٣٠٦٦) **شحاحةً** : بخلاً وضناً .
(٣٠٦٧) **عيش غَفول** : وصف العيش بالغفلة لأنه إذا كان هنيئاً يوجبها .
(٣٠٦٨) **الحَسَك** : نبات تعلق قشرته بصوف الغنم ، وورقه كورق الرجلة أو أدق ، وعند ورقه شوك ملزز صلب ذو ثلاث شُعَب ، وهو تمثيل لمس الآلام .
(٣٠٦٩) **الحُتوف** : المهلكات ، وأصل الحَتْف : الموت .
(٣٠٧٠) **كَثَبَ** - بالتحريك - : أي قُرْب

(٣٠٧١) **خالطه الحزن** : مازج خواطره.
(٣٠٧٢) **البَثّ** : الحزن .
(٣٠٧٣) **النَجِيّ** : المُناجي .
(٣٠٧٤) **الفَترات** : جمع فَترة . وهي المدة من الزمن . ويريد بفترات العلل أوائل السقم والمرض وانحطاط القوة .
(٣٠٧٥) **القارّ** - بتشديد الراء . على وزن اسم الفاعل - : هنا البارد .
(٣٠٧٦) **اعتدل بممازج** : أي طلب تعديل مزاجه بدواء يمازج ما فيه من الطبائع .
(٣٠٧٧) **مُعَلِّل المريض** : من يسليه عن مرضه بترجية الشفاء .
(٣٠٨٨) **تَعَايا أهله** : اشتركوا في العجز عن وصف دائه .
(٣٠٧٩) **هو لِمَا به** : أي هو مملوك لعلته فهو هالك .
(٣٠٨٠) **المُمَنّي** : مخيّل الأمنية .
(٣٠٨١) **الإياب** : الرجوع .
(٣٠٨٢) **أسى** : جمع أسوة .
(٣٠٨٣) **نوافذ الفِطْنة** : ما كان من أفكار نافذة أي مصيبة للحقيقة .
(٣٠٨٤) **عَيّ** : عجز لضعف القوة المحركة للسانه .
(٣٠٨٥) **الغَمرات** : الشدائد . ويريد بها هنا سكرات الموت .
(٣٠٨٦) **تعتدل على عقولهم** : أي تستقيم عليها بالقبول والإدراك .
(٣٠٨٧) **الذِكْر** : استحضار الصفات الإلهية.

(٢٠٨٨) **جِلاء** : - بالكسر - من جلا السيف يجلوه إذا صقله وأزال منه صدأه .
(٣٠٨٩) **الوَقْرة** : ثِقَل في السمع .
(٣٠٩٠) **العَشْوة** : ضعف البصر .
(٣٠٩١) **الفَتْرة بين العملين** : زمان بينهما يخلو منهما، والمراد : أزمنة الخلوّ من الأنبياء مطلقاً .
(٣٠٩٢) **ناجاهم** : أي خاطبهم بالإلهام .
(٣٠٩٣) **استصبَحَ** : أضاء مصباحه .
(٣٠٩٤) **الأدلة**: الذين يدلون المسافرين على الطريق .
(٣٠٩٥) **الفَلَوات** : المَفازات والقِفار
(٣٠٩٦) **أخذ القصد** : ركب الاعتدال في سلوكه .
(٣٠٩٧) **هَتَفَ به** - كضرب - : صاح ودعا . وهتفت الحمامة : صاتت .
(٣٠٩٨) **القِسْط** : العدل .
(٣٠٩٩) **يأتمرون به** : يمتثلون الأمر .
(٣١٠٠) **العِدات** - جمع عِدَة بكسر ففتح مخفف - : الوعود .
(٣١٠١) **مَقاوِم** - جمع مَقام - : مقاماتهم في خطاب الوعظ .
(٣١٠٢) **الدواوين** - جمع ديوان - : وهو مجتمع الصحف . والدفتر : ما يكتب فيه أسماء الجيش وأهل الأعطيات .
(٣١٠٣) **الأوزار** جمع وِزر : الحِمل ويراد بها هنا الذنوب .

(٣١٠٤) **نَشَجَ الباكي** : يَنْشِج - كضرب يضرب - نشيجاً : غصّ بالبكاء في حلقه .

(٣١٠٥) **النحيب** : أشد البكاء . وتجاوبوا به : أجاب بعضهم بعضاً يتناحبون.

(٣١٠٦) **عجّ** : يَعِجّ - كضرب ومل - : صاح ورفع صوته ، فهم يصيحون في مواقف الندم والاعتراف بالخطا.

(٣١٠٧) **تنسّمَ النسيمَ** : تشمّمه . والرَوْح - بالفتح - : النسيم ،أي يتوقعون التجاوز بدعائهم له

(٣١٠٨) **الأسى** : الحزن .

(٣١٠٩) **المَنادح** - جمع مَنْدوحة - : وهي كالنُدْحة - بالضم والفتح - والمُنْتَدَح : - بفتح الدال - المتسع من الأرض .

(٣١١٠) **دَحَضَتِ الحجةُ** : - كمنع - : بَطَلَت .

(٣١١١) **أبرح جهالة بنفسه** أي أعجبته نفسه بجهالتها .

(٣١١٢) **بَلّ مرضُهُ** : يَبِلّ - كقل يقل - : بُلولاً : حسنت حاله بعد هُزال .

(٣١١٣) **ضحا ضَحْواً** : برز في الشمس .

(٣١١٤) **يُمِضّ جسده** : يبالغ في نهكه .

(٣١١٥) **بَيَات نِقْمة** : أي أن تبيت بنقمة من الله ورزية تذهب بنعيمك وقد وقعت بمعاصيه .

(٣١١٦) **الكَرَى** : - بالفتح والقصر - : النوم .

(٣١١٧) **تمثّل** : تصور .

(٣١١٨) **توَلّيك** : إعراضك .

(٣١١٩) **يتغمدك** : أي يغمرك ويسترك .

(٣١٢٠) **طَرَفَ عينَهُ** - كضرب - : أطبق جفنَيْها . والمراد من المَطْرَف اللحظة يتحرك فيها الجفن .

(٣١٢١) **كاشَفَتْكَ العظات** : بالنصب على نزع الخافض : أظهرت لك العظات أي المواعظ .

(٣١٢٢) **آذنتك** : أعلمتك على عدل .

(٣١٢٣) « **رب ناصح لها عندك مُتّهم** » : رب حادث من حوادثها يلقي إليك النصيحة بالعِبْرة فتتهمه وهو مخلص.

(٣١٢٤) **تعرفتها** : طلبت معرفتها وعاقبة الركون إليها .

(٣١٢٥) **الشحيح بك** : البخيل بك على الشقاء والهلكة .

(٣١٢٦) **وطّنه** - بالتشديد - : اتخذه وطناً .

(٣١٢٧) **الراجفة** : النفخة الأولى حين تهب ريح الفناء فتنسف الأرض نسفاً .

(٣١٢٨) **حقّت القيامة** : وقعت وثبتت بعظائمها .

(٣١٢٩) **المَنْسَك** - بفتح الميم والسين - : العبادة أو مكانها .

(٣١٣٠) **لم يُجزَ** - من الجزاء - : مبني للمجهول ونائب فاعله« خَرْق بصر»و« هَمْسُ قدم» ، أي لا تجازَى لمحة البصر تنفذ في الهواء ولا همسة القدم في الأرض إلا بحق، وذلك بعدل الله.

(٣١٣١) **تحرّ** : من التحري . أي اطلب ما هو أحرى وأليق .

(٣١٣٢) **تيسر** : تأهب .

(٣١٣٣) **شام البرقَ** : لمحه .

(٣١٣٤) **رَحَلَ المطيةَ** : وضع عليها رحلها للسفر .

(٣١٣٥) كأنه يريد من «الحَسَك» الشوك. والسَعْدان : نبت ترعاه الإبل له شوك تشبه به حلمة الثدي .

(٣١٣٦) **المُسَهَّد** ـ من سهَّده ـ : إذا أسهره والمصفَّد : المقيَّد .

(٣١٣٧) **قفولها** : رجوعها .

(٣١٣٨) **الثرى** : التراب .

(٣١٣٩) **أملَقَ** : افتقر أشدَّ الفقر .

(٣١٤٠) **استماحني** : استعطاني .

(٣١٤١) **البُرّ** : القمح .

(٣١٤٢) **شُعْث** ـ جمع أشعث ـ : وهو من الشعر المتلبد بالوسخ .

(٣١٤٣) **الغُبْر** ـ بضم الغين ـ : جمع أغبر متغير اللون شاحبه .

(٣١٤٤) **العِظْلِم** ـ كزبْرِج ـ : سواد يصبغ به قيل هو النيلج أي النيلة .

(٣١٤٥) **القياد** : ما يُقادُ به كالزمام .

(٣١٤٦) **الدَنَف** ـ بالتحريك ـ : المرض .

(٣١٤٧) **الميسَم** ـ بكسر الميم وفتح السين ـ : المكْواة .

(٣١٤٨) **ثَكِلَ** ـ كفرح ـ : أصاب ثُكْلاً بالضم ،وهو فقدان الحبيب أو خاص بالولد . والثواكل : النساء .

(٣١٤٩) **لَظَى** : اسم جهنم .

(٣١٥٠) **الملفوفة** : نوع من الحلواء أهداها الأشعث بن قيس إلى عليّ .

(٣١٥١) **شَنِئْتها** أي : كرهتها

(٣١٥٢) **الصلة** : العطية .

(٣١٥٣) **هَبِلَتْكَ** ـ بكسر الباء ـ : ثكلتك ، والهَبُول ـ بفتح الهاء ـ : المرأة لا يعيش لها ولد .

(٣١٥٤) **أمُخْتَبِطٌ في رأسك** : أمختلّ نظام إدراكك ؟

(٣١٥٥) **ذو جِنة** : من أصابه مس من الشيطان.

(٣١٥٦) **تَهجر** : أي تهذي بما لا معنى له في مرض ليس بصرع .

(٣١٥٧) **جُلْب الشعيرة** ـ بضم الجيم ـ : قشرتها . وأصل الجُلْب غطاء الرحل فتجوّز في إطلاقه على غطاء الحبة .

(٣١٥٨) **قَضِمَتِ** الدابةُ الشعيرَ ـ من باب عَلِمَ ـ : كسرته بأطراف أسنانها.

(٣١٥٩) **سُبات العقل** : نومه . والزلَل : السقوط في الخطأ .

(٣١٦٠) **صيانة الوجه** : حفظه من التعرض للسؤال .

(٣١٦١) **اليسار** : الغنى .

(٣١٦٢) **بذل الجاه** : إسقاط المنزلة من القلوب .

(٣١٦٣) **الإقتار** : الفقر .

(٣١٦٤) **النزّال** ـ بالضم وتشديد الزاي ـ جمع نازل .

(٣١٦٥) **متصرفة** : متنقلة متحولة .

(٣١٦٦) **مُسْتَهْدِفة** ـ بكسر الدال ـ : منتصبة مهيأة للرمي .

(٣١٦٧) **الحِمام** ـ بالكسر ـ : الموت .

(٣١٦٨) **بعد الآثار** : طول بقائها بعد ذويها .

(٣١٦٩) **راكدة** : ساكنة . وركود الريح : كناية عن انقطاع العمل وبطلان الحركة .

(٣١٧٠) **آثارهم عافية** : أي مندرسة .

(٣١٧١) **النمارق** ـ جمع نُمْرُقة ـ : تطلق على الوسادة الصغيرة وعلى الطنفسة أي البساط ولعله المراد هنا .

(٣١٧٢) **الممهدة** : المفروشة .

(٣١٧٣) **لطأ بالأرض** ـ كمنع وفرح ـ : لصق .

(٣١٧٤) **المُلْحدَة** ـ من ألحد القبر ـ . جعل له لحداً أي شقاً في وسطه أو جانبه .

(٣١٧٥) **فِناء الدار** ـ بالكسر ـ : ساحتها وما اتسع أمامها .

(٣١٧٦) **الكَلْكَل** : هو صدر البعير .

(٣١٧٧) **البِلى** ـ بكسر الباء ـ : أي الفناء .

(٣١٧٨) **الجنادل** : الحجارة .

(٣١٧٩) **الثرى** : التراب

(٣١٨٠) « **ارتهنكم ذلك المضجع** » : أي لقرب آجالكم كأنكم قد صرتم إلى مصيرهم وحُبستم في ذلك المضجع كما يحبس الرهن في يد المرتهن .

(٣١٨١) **تناهى به الأمر** : وصل إلى غايته . والمراد انتهاء مدة البرزخ .

(٣١٨٢) **بُعثرت القبور** : قُلِب ثراها وأخرج موتاها .

(٣١٨٣) **تَبْلُوه** : تخبره فتقف على خيره وشره .

(٣١٨٤) **آنس** : أشد أنساً .

(٣١٨٥) **الملْهوف** : المضطر يستغيث ويتحسر .

(٣١٨٦) **فَهِهَ** ـ كفرح ـ : عيّ فلم يستطع البيان

(٣١٨٧) **الطِلْبة** ـ بكسر الطاء ـ : المطلوب .

(٣١٨٨) **المَرَاشد** : مواضع الرشد .

(٣١٨٩) **النُكْر** ـ بالضم ـ : المُنْكَر .

(٣١٩٠) **البِدْع** ـ بالكسر ـ : الأمر يكون أولاً . أي الغريب غير المعهود .

(٣١٩١) **لله بلاء فلان** : أي لله ما فعل من الخير .

(٣١٩٢) **قَوَّمَ الأوَدَ** : عدَّلَ الاعوجاج .

(٣١٩٣) **العَمَد** ـ بالتحريك ـ : العلة .

(٣١٩٤) **خَلّفَ الفتنة** : تركها خلفاً . لا هو أدركها ولا هي أدركته .

(٣١٩٥) **متشعّبة** : متباينة مختلفة .

(٣١٩٦) **التَداكّ** : الازدحام كأن كل واحد يدك الآخر أي يدقه .

(٣١٩٧) **الهِيم** : أي العطاش جمع هَيْماء كَعَيْناء وعِين .

(٣١٩٨) **هَدَجَ** : مشى مشية الضعيف في ارتعاش .

(٣١٩٩) **حسرت** : كشفت عن وجهها .

(٣٢٠٠) **الكَعاب** ـ كسحاب ـ : الجارية حين يبدو ثديها للنهود وهي الكاعبة .

(٣٢٠١) **المَلَكة** ـ بالتحريك ـ : كل ذنب موبق يملك الشيطان فاعله ويستحوذ عليه .

(٣٢٠٢) **الهَلَكة** ـ بالتحريك ـ : الهلاك .

(٣٢٠٣) **بادروا** : أي اسبقوا .
(٣٢٠٤) **عمراً ناكساً** : أي يقلبكم من الحياة إلى الموت .
(٣٢٠٥) **الخابس** : المانع من العمل .
(٣٢٠٦) **الخالس** : الخاطف .
(٣٢٠٧) **طِيّاتكم** : جمع طِيّة ـ بالكسر ـ : منزل السفر . والمراد ان السفر يباعد رحيل القوم .
(٣٢٠٨) **القِرْن** ـ بالكسر ـ : الكفوْ في الشجاعة .
(٣٢٠٩) **الواتر** : الجاني .
(٣٢١٠) **أعلقتكم الحَبائل** : أوقعتكم فيها فاقتنصتكم . وهي جمع حِبالة : المصيدة من الحبال .
(٣٢١١) **تكنفتكم** : أحاطتكم .
(٣٢١٢) **غوائله** : دواهيه ومصائبه .
(٣٢١٣) **قصده** : رماه بسهم فأصاب مقتله .
(٣٢١٤) **المَعابِلُ** ـ جمع مِعْبَلة كمِكْنَسة بكسر الميم ـ : وهي النصل الطويل العريض .
(٣٢١٥) **العَدْوة** ـ بالفتح ـ : العُدْوان .
(٣٢١٦) **النَبْوة** ـ بالفتح ـ : أن يخطىء في الضربة فلا يصيب .
(٣٢١٧) **يوشك** : يقرب .
(٣٢١٨) **تغشاكم** : تحيط بكم .
(٣٢١٩) **الدواجي** ـ جمع داجية ـ : أي مظلمة .
(٣٢٢٠) **الظُلَل** ـ جمع الظُلة ـ أي السحابة .
(٣٢٢١) **الاحتدام** : الاشتداد .
(٣٢٢٢) **الحَنادِس** : جمع حِنْدِس ـ بكسر الحاء والدال ـ : الظلمة الشديدة .
(٣٢٢٣) **الغَمَرات** : الشدائد .
(٣٢٢٤) **إرهاقه** ـ بالراء ـ أي : إعجاله ، من أرهقه إذ أعجله .
(٣٢٢٥) **الدُجُوّ** : الإظلام .
(٣٢٢٦) **أطباقه** : جمع طَبَق ، ويراد به تكاثف الظلمات طبقاً فوق طبق .
(٣٢٢٧) **الجُشُوبة**: غِلَظ الطعام وخشونته.
(٣٢٢٨) **النَجِيّ** : القوم يتناجون .
(٣٢٢٩) **النَدِيّ**: الجماعة يجتمعون للمشاورة.
(٣٢٣٠) **عَفَي الآثار** : محاها .
(٣٢٣١) **التراث** : الميراث .
(٣٢٣٢) **الحَميم** : الصديق .
(٣٢٣٣) **الدِرّة** ـ بالكسر ـ : اللبن .
(٣٢٣٤) **الغِرّة** ـ بالكسر ـ : الغفلة .
(٣٢٣٥) **أخلقوا جِدّتها** : جعلوا جديدها قديماً خَلَقاً .
(٣٢٣٦) **الأجداث** : القبور .
(٣٢٣٧) **يَحفِلُون** : يبالون .
(٣٢٣٨) **مُلْبِسة نَزُوعٌ** : ما ألبست إلا نزعت لباسها عمن ألبسته .
(٣٢٣٩) **يَرْكُدُ** : يسكن .
(٣٢٤٠) **بادَرَ المحذُورَ**: سبقه فلم يصبه.
(٣٢٤١) **تقلّب أبدانهم** : أي تتقلب ، أي أن أبدانهم وهي في الدنيا تتقلب بين أظهر أهل الآخرة ؛ وهو بين ظهرانيهم أي بينهم حاضراً ظاهراً.

(٣٢٤٢) **صَدَعَ** : جهر ، وأصل الصدع الشق .

(٣٢٤٣) **لمّ الصَدْعَ** : لَحَمَ المنشقَ فأعاده إلى القيام بعد الإشراف على الانهدام.

(٣٢٤٤) **الفتق** : نقض خياطة الثوب فينفصل بعض أجزائه عن بعض ، والرتق : خياطتها ليعود ثوباً .

(٣٢٤٥) **الواغِرة** : الداخلة .

(٣٢٤٦) **القادحة في القلوب** : كأنها تقدح النار فيها كما تقدح النار بالمِقْدحة .

(٣٢٤٧) **الفيء** : الأصح فيه كما قال الشافعي وغيره أنه مختص بما أخذ من مال الكفار بغير قتال .

(٣٢٤٨) **الجَلَب** : المال المجلوب . وجلب أسيافهم : ما جلبته أسيافهم وساقته إليهم .

(٣٢٤٩) **شَرِكه** - كعلمه - : شاركه .

(٣٢٥٠) **الجَناة** - بفتح الجيم - : ما يُجتَنى من الشجر : أي يقطف .

(٣٢٥١) **بَضْعَة** : قطعة .

(٣٢٥٢) **تنشّبت العروق**: علقت وثبتت . والمراد من العروق الأفكار العالية والعلوم السامية .

(٣٢٥٣) **تهدّلت** : أي تدلت علينا فأظلتنا .

(٣٢٥٤) **كَلّ لسانه** : نبا عن الغرض .

(٣٢٥٥) **عارم** : شرس . سيىء الخلق .

(٣٢٥٦) **مُماذِق** : يمزج وده بالغش .

(٣٢٥٧) **طِينهم** : جمع طينة ،يريد عناصر تركيبهم .

(٣٢٥٨) **الفِلْقَة** - بكسر الفاء - : القطعة من الشيء .

(٣٢٥٩) **سَبَخ الأرض** : مالحها .

(٣٢٦٠) **الرُواء** - بالضم والمد - : حسن المنظر .

(٣٢٦١) **مادّ القامة** : طويلها .

(٣٢٦٢) **القَعْر** - يريد به قعر البدن - : أي أنه قصير الجسم لكنه داهي الفؤاد

(٣٢٦٣) **الضريبة** : الطبيعة .

(٣٢٦٤) **الجليبة** : ما يتصنعه الإنسان على خلاف طبعه .

(٣٢٦٥) **لأنفذنا** : أي لأفنينا .

(٣٢٦٦) **الشؤون** : منابع الدمع من الرأس .

(٣٢٦٧) **« لكان الداء مماطلا »** : مماطلاً بالشفاء .

(٣٢٦٨) **الكَمَد** : الحزن ، ومحالفته : ملازمته .

(٣٢٦٩) **قلاّ** : فعل ماض متصل بألف التثنية ، أي مماطلة الداء ومحالفة الكمد قليلتان لك .

(٣٢٧٠) **العَرَج** - بالتحريك - : موضع بين مكة والمدينة .

(٣٢٧١) **نَفَس البقاء** - بالتحريك - : أي سَعَة البقاء .

(٣٢٧٢) **صحف الأعمال منشورة** : أي لكتابة الصالحات والسيئات .

(٣٢٧٣) **بسط التوبة** : قبولها .

(٣٢٧٤) **المُدْبِر** : أي المعرض عن الطاعة يدعى إليها .

(٣٢٧٥) **خمود العمل** : انقطاعه بحلول الموت .

(٣٢٧٦) **صعود الملائكة** لعرض أعمال العبد إذا انتهى أجله ليس بعده توبة

(٣٢٧٧) **منظور**: أي ممهل من الله لا يأخذه بالعقاب إلى أن يعمل فيعفو عن تقصيره وبُثْيِهُ على عمله .

(٣٢٧٨) **زَمّها** : قادها بقيادها .

(٣٢٧٩) **الجُفاة** - بضم الجيم - : جمع جافٍ أي غليظ فظ .

(٣٢٨٠) **الطَغام** - كسحاب - : أوغاد الناس والعبيد. كناية عن رديئي الأخلاق .

(٣٢٨١) **الأقزام** : - جمع قَزَم بالتحريك - أرذال الناس جمعوا من كل أوب أي ناحية .

(٣٢٨٢) **الشوْب** : الخلط ، كناية عن كونهم أخلاطاً ليسوا من صراحة النسب في شيء .

(٣٢٨٣) **قطعوا أوتاركم** : أي قطعوا أوتار القسي .

(٣٢٨٤) **شِيموا سيوفكم** : أغمدوها ولا تقاتلوا. وقواصي الإسلام: أطرافه. ورمي الصَفاة - بفتح الصاد - كناية عن طمع العدو فيما باليد . وأصل الصفاة الحجر الصلد .

(٣٢٨٥) **ولائج** : جمع ولِيجة ، وهي ما يدخل فيه السائر اعتصاماً من مطر أو برد أو توقياً من مفترس .

(٣٢٨٦) **نِصاب الحق** : أصله ، والأصل في معنى النصاب مقبض السكين ، فكأن الحق نصل ينفصل عن مقبضه ويعود إليه .

(٣٢٨٧) **انزاح** : زال .

(٣٢٨٨) **انقطاع لسان الباطل عن مَنْبِته** : - بكسر الباء: أي عن أصله، مجاز عن بطلان حجته وانخذاله عند هجوم جيش الحق عليه .

(٣٢٨٩) **عقل الوعاية** : حفظ في فهم والرِعاية : ملاحظة أحكام الدين وتطبيق الأعمال عليها وهذا هو العلم بالدين .

(٣٢٩٠) **الهَتْف** : مصدر هتف يهتف إذا نادى .

(٣٢٩١) **نَضَحَ الجملُ الماءَ** : حمله من بئر أو نهر ليسقي به الزرع فهو ناضح. الغَرْب - بفتح فسكون - : الدلو العظيمة ، والكلام تمثيل للتسخير .

(٣٢٩٢) **مُستَأدِيكم** : طالب منكم أداء شكره .

(٣٢٩٣) **مُمْهِلكم** : معطيكم مهلة .

(٣٢٩٤) **أصل المضمار المكان** تضمّر فيه الخيل أي تحضر للسباق . وهو هنا كناية عن مدة العمر .

(٣٢٩٥) **لتتنازعوا سَبَقَهُ** : أي تتنافسوا في سَبْقِهِ . والسَبَق - بالتحريك - الخطر بوضع بين المتسابقين يأخذه السابق منهم وهو هنا الجنة .

(٣٢٩٦) **العُقَد** : جمع عُقْدة . والمآزر . جمع مِئْزَر . وشدّ عُقَد المآزر كناية عن الجد والتشمير .

(٣٢٩٧) **اطووا فُضول الخواصر** : أي ما فضل من مآزركم يلتف على أقدامكم فاطووه حتى تَخِفّوا في العمل ولا يعوقكم شيء عن الإسراع في عملكم .

(٣٢٩٨) **لا تجتمع عزيمة ووليمة** : أي لا يجتمع طلب المعالي مع الركون إلى اللذائذ .

(٣٢٩٩) **الظُلَم** : جمع ظُلْمة ، متى دخلت تحت تذكار الهمة التي كانت في النهار .

(٣٢٧٥) خمود الجمل : انقطاعه [illegible].

(٣٢٧٦) صمود الملائكة لبرص أعمال العبد إذا انتهى أجله ليس بعده توبة.

(٣٢٧٧) مغفور : أي أغفر من الله لا يأخذه بالعقاب إلى أن يصل يعفو عن التقصير ويثيبه على عمله.

(٣٢٧٨) رهقها : فاقدها بلياليها.

(٣٢٧٩) الفلاة : [illegible] جمع [illegible] أي [illegible].

(٣٢٨٠) الطغام : [illegible] أوغاد الناس [illegible] كناية عن [illegible] الأخلاق.

(٣٢٨١) الأوباش : جمع [illegible] أي أوباش الناس جمعوا من كل أوب أي ناحية.

(٣٢٨٢) التمويه : الخلط ، كناية عن كونهم أخلاطاً ليسوا من صراحة النسب في شيء.

(٣٢٨٣) اطمروا أوطاركم : أي اطمروا آثار النبي.

(٣٢٨٤) [illegible] : [illegible] ولا تقاتلوا ، وفراعين الإسلام [illegible] ودعي الشقاق [illegible] ، كناية عن [illegible] ، وأصل الصفاة الحجر الصلد.

(٣٢٨٥) ولائج : جمع وليجة : وهي ما يدخل فيه الناس اعتصاماً من مطر أو برد أو توقياً من مفترس.

(٣٢٨٦) انشعاب الحق : أسنه ، والأصل [illegible]

[illegible]

(٣٢٩١) [illegible] : [illegible] من [illegible] الزرع [illegible] العظيمة ، والكلام [illegible].

(٣٢٩٢) مستثاريكم : طالب منكم أداء شكره.

(٣٢٩٣) مستمهلكم : مطلبكم مهلة.

(٣٢٩٤) أصل المضمار المكان تضمر فيه الخيل أي تحضر للسباق ، وهو هنا كناية عن مدة العمر.

(٣٢٩٥) لتنازعوا سبقكم : أي تنافسوا في سبقكم ، والسبق بالتحريك ، الخطر يوضع بين المتسابقين يأخذه السابق منهم وهو هنا الجنة.

رموز الكتاب

ب : لقرب الاسناد .
بشا : لبشارة المصطفى .
تم : لفلاح السائل .
ثو : لثواب الاعمال .
ج : للاحتجاج .
جا : لمجالس المفيد .
جش : لفهرست النجاشي .
جع : لجامع الاخبار .
جم : لجمال الاسبوع .
جنة : للجنة .
حة : لفرحة الغرى .
ختص : لكتاب الاختصاص .
خص : لمنتخب البصائر .
د : للعدد .
سر : للسرائر .
سن : للمحاسن .
شا : للارشاد .
شف : لكشف اليقين .
شى : لتفسير العياشي .
ص : لقصص الانبياء .
صا : للاستبصار .
صبا : لمصباح الزائر .
صح : لصحيفة الرضا (ع) .
ضا : لفقه الرضا (ع) .
ضوء : لضوء الشهاب .
ضه : لروضة الواعظين .
ط : للصراط المستقيم .
طا : لامان الاخطار .
طب : لطب الائمة .

ع : لعلل الشرائع .
عا : لدعائم الاسلام .
عد : للعقائد .
عدة : للعدة .
عم : لاعلام الورى .
عين : للعيون والمحاسن .
غر : للغرر والدرر .
غط : لغيبة الشيخ .
غو : لغوالي اللئالي .
ف : لتحف العقول .
فتح : لفتح الابواب .
فر : لتفسير فرات بن ابراهيم
فس : لتفسير علي بن ابراهيم
فض : لكتاب الروضة .
ق : للكتاب العتيق الغروى
قب : لمناقب ابن شهر آشوب
قبس : لقبس المصباح .
قضا : لقضاء الحقوق .
قل : لاقبال الاعمال .
قية : للدروع .
ك : لاكمال الدين .
كا : للكافي .
كش : لرجال الكشي .
كشف : لكشف الغمة .
كف : لمصباح الكفعمي .
كنز : لكنز جامع الفوائد و تاويل الايات الظاهرة معاً .
ل : للخصال .

لد : للبلد الامين .
لى : لامالي الصدوق .
م : لتفسير الامام العسكري (ع) .
ما : لامالي الطوسي
محص : للتمحيص .
مد : للعمدة .
مص : لمصباح الشريعة .
مصبا : للمصباحين .
مع : لمعاني الاخبار .
مكا : لمكارم الاخلاق
مل : لكامل الزيارة .
منها : للمنهاج .
مهج : لمهج الدعوات .
ن : لعيون اخبار الرضا (ع) .
نبه : لتنبيه الخاطر .
نجم : لكتاب النجوم .
نص : للكفاية .
نهج : لنهج البلاغة .
نى : لغيبة النعماني .
هد : للهداية .
يب : للتهذيب .
يج : للخرائج .
يد : للتوحيد .
ير : لبصائر الدرجات .
يف : للطرائف .
يل : للفضائل .
ين : لكتابي الحسين بن سعيد او لكتابه والنوادر .
يه : لمن لايحضره الفقيه .

الفهرس التّفصيلي لموادّ الكتاب
على ترتيب صفحاتها في هذا المجلّد

فهرس العناوين (٧)

خطب أمير المؤمنين عليه السلام (٩– ٤٨٩)



